الجزء الأول ٢٨٧ المجلد الثامن والعشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

دمشق

١ كانون الثاني سنة ١٩٥٣ م

١٥ شهر ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ هـ

ابرهيم اليازجي

١٢٦٣ ــ ١٣٢٤ هـ

١٨٤٨ ــ ١٩٠٦ م

هاجر من حمص أحد أجداد بيت اليازجي سنة ١٦٩٠ ونزل قرية كفرشيما من سواحل بيروت ، وكان أهل هذا البيت على مذهب الروم الأرثوذكس فانتحلوا الكثلكة ودخل بعضهم في خدمة الدولة العثمانية كاتباً فأطلق عليه اسم «يازيجى» أي الكاتب حرفت فصارت يازجي .

ولد ابرهيم في بيروت وظهرت عليه مخايل النجابة في سن العاشرة وكان أبوه الشيخ ناصيف من رجال النهضة العربية الأولى وله مقام عالٍ في الأدب والشعر . وكان لقب الشيخ في لبنان يطلق على الطبقة التي كانت ترتفع عن العامة وتنحط عن طبقة الأمراء .

وتخرج ابرهيم بأبيه في علوم العربية وحفظ القرآن في صباه وأخذ الفقه الحنفي عن الأستاذ محيي الدين اليافي وأولع بالرسم والنقش والحفر وامتاز بجمال خطه . وهو الذي نقش بعدُ أمهات حروف مجلتيه البيان والضياء وحروف المطبعة الأدبية وكانت منها حروف معظم المطابع في الشام ومصر .

وتعلم الفرنسية والانكليزية وأخذ بطرف من الألمانية . وقال أحد مريديه في الكلام على اتقانه الفرنسية انه سمعه يقرأ فصولاً استملح عربيتها ثم تبين ان نظره كان يجول في السطور الفرنسية فيلقيها لسانه بالعربية الفصحى .

قال لي المترجم له : لو كان لي الخيار لآثرت أن أكون رساماً مصوراً الا انني رأيت الأجدر بي الانصراف الى خدمة اللغة العربيــة حتى لا يُغلق

يتنا بانقراض أفراده المعنيين بهذه اللغة فيفوتني شرف خدمتها على ما كان الحظ لأبي في هذه الخدمة ·

انضم الشيخ في أول شبابه الى الجمعية العلمية السورية فألقى فيها الخطب وأنشد القصائد ثم تولى تحرير جريدة النجاح فحبّر المقالات وترسّل، فكانت هذه الجمعية وهذه الجريدة مدرسته الأولى في البيان والصحافة ·

وعهد اليه الآباء اليسوعيون بتقويم ترجمة الأسفار المقدسة وكانت عربت عن أصلها العبراني واليوناني عدا ثلاث ترجمات عربية كانت أمام من قاموا على تصحيحها · وكان تعريب المزامير والانجيل مقيداً بترجمة عبد الله زاخر لشهرة نصوصها في المعابد · فقضى الشيخ في هذا العمل ثماني سنين واضطرته معارضة الترجمة على المتن الأصلي الى التبحر في بعض اللغات السامية ولا سيما العبرانية والسريانية وألف في العبرانية كتاب نحو وصرف نسج فيه على منوال النحو العربي وصرفه ·

علّم الشيخ دهراً في المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك في بيروت خلفاً لأبيه فتخرجت به طائفة من الأدباء كانت لهم منزلة رفيعة في الآداب · وفي سنة ١٨٨٤ نشر بالاشتراك مع الدكتورين بشارة زلزل وخليل سعادة مجلة «الطبيب» سنة واحدة ثم هاجر الى مصر فأصدر فيها مجلة «البيان» بالاشتراك مع الدكتور زلزل سنة واحدة ، واستقل بعد ذلك باصدار مجلة «الضياء» وقد اطرد صدورها ثماني سنين حتى سنة وفاته · وكانت من أمتع المجلات العربية بجمال أسلوبها وطلاوة عبارتها وطرافة أبحاثها · وفي الضياء ظهرت شخصيته ، كأن ما كان مضى من حياته العلمية في لبنان قبل أن تصح عزيمته على نشر مجلته في مصر كان دور استعداد تجلي بعده نبوغه على أكمل حالاته ، وما سبق له من نشر آيات علمه وأدبه كان كالمقدمة قدمها بين يدي كتابه الشامل ·

وفي الطبيب والبيان والضياء توفر على نشر أبحاث متسلسلة استخرج من بعضها كتباً برأسها مثل « لغة الجرائد » . ومن أبحاثه الممتعة « أمالي لغوية » ، « أغلاط العرب » ، « أغلاط المولدين » ، « اللغة العامية واللغة الفصحى » ، « اللغة والعصر » ، « أغلاط لسان العرب » ، « المجاز » ، « الشعر » ، « التعريب » ، « العلوم عند العرب » الى غير ذلك من المقالات والأبحاث الممتعة . ومن كتبه « نجعة الرائد في المترادف والمتوارد » . ومنها اختصار أو تصحيح بعض كتب والده كمختصر « نار القرى » و « مختصر الجمانة » وشرح ديوان المتنبي سماه « العرف الطيب » . والى ذلك يشير في آخر هذا الديوان اشارة تنم عن بره بوالده قال : « وانا أبقيت عنوان الشرح باسمه ـ باسم أبيه ـ رعاية لكونه هو واضع الأصل فلم أوثر ان أتطفل عليه في نسبة الكتاب ، وان تطفلت عليه في التأليف . واني لأرجو أن يكون قد وهبني الله السلامة في ذلك كله ، وأنزلني من هذا الشرح منزلة توجب استدرار الرحمة على واضعه ، ولا تكون مدرجة لنقص يزري به بأن أمر عليه تبعة تلزمني دونه أو ينسب اليّ فضل هو أحق به مني . ومعاذ الله أن أدعي لنفسي في جنبه فضلاً أو علماً فانما أنا اهتديت بمناره واقتديت بآثاره ، واني لا علم لي الا ما علمني » .

وصحح الشيخ كتباً كثيرة ومنها « تاريخ بابل وأشور » و « نفح الأزهار » و « دليل الهائم » و « نخب الملح » و « العقود الدرية » في شرح شواهد المختصر و « رسالة الغفران » للمعري و « الفرائد الدرية » وهو معجم عربي فرنسي . ونقد القسم الذي ترجمه باربيه دي مينار من مستعربي الفرنسيس من كتاب « مروج الذهب » للمسعودي كما نقد تكملة المعجمات العربية لدوزي . ومعجم « محيط المحيط » للبستاني وسماه الحواشي ، ومعجم « أقرب الموارد » للشرتوني ، و « الدرة اليتيمة » لشكيب أرسلان ، وناقش أرباب المقتطف فيما وقع لهم من الأغلاط وغير ذلك .

وصرف شطراً من حياته في تأليف معجم سماه « الفرائد الحسان من قلائد اللسان » قال انه شرع في وضعه مقتصراً على الفصيح دون المولد والمحدث في الاصطلاح لأنه رآهما طرفين لا يلتقيان ولا تؤلف منهما حلقتا بطان ، فضلاً عما يقتضي بحث الطارئ من التجرد والجهد ، واخلاء الذرع للبلوغ الى باحة القصد ، فلا بد من افراد هذا القسم في كتاب مخصوص يحاط به بعد مراجعة الكتاب والنصوص قال : وقد وضعت الكتاب على نسق لم أكن متابعاً فيه ولا مقلداً ، ولا متحدياً من سبقني أحداً . فاني اعتبرت فيه جانب المعاني في كل مادة فقدمت منها ما حسبته الأصل في ذلك التركيب ثم ألحقت به ما تفرع عنه من طريق المجاز الأقرب بالأقرب الى أن تنقطع سلسلة الترتيب ، وما بقي بعد ذلك مقتضباً من ذلك النظام ذيلته في آخر المادة وضمنته المشهور من الأعلام ، وكل ذلك على أسلوب مختصر اطرحت فيه الوحشي من اللفظ والمهجور في استعمال الفصحاء . وتجنبت ما يستحى منه من ألفاظ السوءات ، وما يضاف اليها مما تبذأه نفوس الأدباء ، وكنت قد بلغت في تسويده الى آخر حرف الحاء المهملة مما يقدر بالربع أو يزيد اه .

أُولع الشيخ ببلاغة القرآن . حدثني تلميذه صديقي خليل مطران الشاعر انه كثيراً ما كان يقول لتلاميذه اذا تصدّوا للكتابة ونشر المقالات أن يستشهدوا بآيات القرآن ليكون بها رونق لما يكتبون ، أو ما هذا معناه . فمن كان هذا اعتقاده لا يعقل أن يطعن ببلاغة الكتاب العزيز وفصاحته على ما اتهمه بذلك بعض الطوائف من أنه عارض القرآن وحط من شأنه في رسالة له نحلته اياها وما هي الا من أقلام بعض دعاتهم .

وكان أعداء الشيخ من الفريق الذي أصلاهم الشيخ نار نقده مثل صاحبي المقتطف وسعيد الشرتوني وشكيب أرسلان وجماعة اليسوعيين ، وعلى مطبوعات

هؤلاء حمل حملة شعواء وكثيراً ما عمد في حوارهم الى السخرية وربما انتهى بعض هذه المناقشات بالمهاترة أحياناً وأدى بعضها الى ما كان يودّ أحباب الشيخ لو تصوّن عنها . وقيل ان الشيخ كان ينشر أشياء باسم بعض تلاميذه أو باسماء مستعارة غيرهم فيما لا يريد أن ينسب اليه . وهذا أيضاً لا يخليه من تبعة خصوصاً وهو في بعده عن اللغو والتحلي بالفضائل النفسية المثل الأعلى . بيد أنه جُبل على حب المطارحات والمناظرات وبها تجلت ملكته في البيان هذا التجلي الرائع ، اذا أريد التنظير بين كلامه وكلام معاصريه وفي المناقشة التي دارت بينه وبين العلامة أحمد فارس كان أكثر اعتدالاً مع أنه كان شاباً وخصمه كان شيخاً .

كان الشيخ يألم ممن يرتكب غلطاً لغوياً ألمه ممن يسيء اليه مباشرة فما كان يغفل عن نقد معظم ما كان يهدى اليه من الكتب الجديدة لتقريظه والتنويه بصاحبه ، وكل ذلك حتى لا يعبث باللغة عابث و « كان أقصى أمانيه أن يعيد الى اللغة بهجتها الأولى ويرد الناشئة من كتاب العصر الى النهج القويم من الاحتفاظ بقواعدها وأصولها المقررة في أمهات المعاجم ، وكتب البلاغة المعروفة بصحة التعبير وفصاحة الألفاظ ، والا يعدل الى المولد الدخيل الا بعد طول البحث والتنقيب ، واجماع أهل العلم الواسع من المحققين ، وبعد اليأس من الوقوع على الفصيح الأصيل . »

ومما كان يحزنه ان اللغة لا تفي بمطالب العلم في هذا العصر ولذلك وضع الفاظاً لمسميات افرنجية سرى بعضها على أسلات أقلام الكتاب والصحافيين في حياته ، وعرّب بعض المصطلحات تعريباً صحيحاً ولو طال به الأجل لاستكثر من كل ما يفيد اللسان العربي حتى يداني بمادته العلمية لغات العلم عند الافرنج ويؤدي على أيسر وجه معاني الألفاظ الجاري استعمالها في العلم والاجتماع والفن والصناعة .

قال لي مرة وأنا أسأله رأيه في اللغة العصرية : اني مغتبط بأن اللغة علت بلهجتها ، وقلّ فيها الابتذال الذي كان لها أول نهضتها ، ويتخللها الآن من الفصيح

ما لم يكن يعهد فيها في عصور الانحطاط · وكيف لا يفرح لسمو اللغة وهو من أول العارفين بجرس الألفاظ ورنتها وخفتها وثقلها ، وادراك أجدر المواضع باستعمالها · درج حياته على تصفح كتب البلغاء والتقاط ألفاظها وتراكيبها الجميلة يتمثلها ويدمج في تضاعيف كلامه ما تقضي الصناعة بادماجه ، يقرنها الى أمثالها مما وعاه صدره ، وبهذا ارتفعت كتابته عن كتابة غيره اذ توفرت لهـا المادة والقوالب وعرف اساليب الكتاب على اختلاف العصور فبعد عن مستوى غيره · يعين على ذلك ذوق سام جمع بين أدب الافرنج والعرب · هذا وهو لم يعالج من فنون الانشاء الا ما أخذ من نفسه ، ولا تتعلق همته على الأكثر بغير الموضوعات الأدبية والتاريخية القريبة المأخذ مما لا يتعاصى تفهمه على من شدوا شيئاً من الآداب ·

كانت مجلة « الضياء » كتابه الأم حفلت بالفوائد الأدبية واللغوية حتى ليستخرج منها عدة كتب ، ومن أهم ما ينتزع منها مجموعة جميلة من نقده الأدبي وتحرياته · يستخرج منها أسفار نافعة حري بالناشئة أن تجعلها سمرها في خلوتها وتتخذها أصولاً للبلاغة · وفي مجلته هذه يتمثل لعينيك جهده في انشائها وتوفره على إتقان أبحاثها حتى لقد صدته عن النظر في سائر مؤلفاته ومنها معجمه ، ويبدو لناظرك أن صاحبها قد نقى اللغة وغربلها وطحنها ونخلها وعجنها وخبزها فجاء منها بكل لقمة كريمة وحلواء لذيذة ·

وكان باب النقد مما يحبب مجلة الضياء الى القراء ذلك لأنه كان على مثل اليقين ان أبحاثها لا تخلو من جفاف كان يداويه بشيء من الفكاهات والأقاصيص يكتبها له أهل هذا الشأن من تعريبهم او تأليفهم · والناس أميل الى تلقف ما يسليهم منهم الى الجنوح الى ما يتعلمون منه ، ولو بحصر أذهانهم دقائق معدودة ، والبحث في الآداب مما يثقل على السواد الأعظم وهم لا عهد لهم بالنظر في هذه الأبحاث ويعدونها من الأبحاث الجامدة ·

وكانت الضياء تبرز الى قرائها في حلة لبنانية بروحها وموضوعها . اذا قرأها القارئ تراءى له انها تكتب في لبنان وتطبع في مصر . وترى منشئها فيها وقد التف حوله تلاميذه وذوو قرباه ومواطنوه من الشاميين يؤازرونه في انشاء مجلته فيما يتفننون من الموضوعات فلا يكاد المتأمل يقع بينهم على كثير من النابهين المصريين ينشرون أبحاثهم في مجلته . ولعلّ العلة في ذلك ابتعاد الشيخ عن الاختلاط بالناس ، فأكثر الشاميين في مصر يعيشون بين الجالية السورية لا يمتزجون بالمصريين كثيراً . على انه يندر يومئذ في المصريين رجال من الطراز الذي تعجب صاحب المجلة كتابته وبحثه .

لم ينصرف الشيخ الى الشعر انصرافه للنثر ولذلك يعد من المقلين منه ، استخدمه في أغراض اجتماعية على الأغلب ، كأن يذكر العرب بمجدهم او يدعو القوم الى كسر قيود الاستبداد وتطلب الحياة الحرة والقضاء على من وقفوا عثرة في سبيل نهوض العرب وكانوا سبباً في تدنيه وخموله .

فمن شعره في هذه المعاني :

وما العرب الكرام سوى نصال ... لها في أجفن العَليا مقام
لعمرك نحن مصدر كل فضل ... وعن آثارنا أخذ الأنام
ونحن أولو المآثر من قديم ... وان جحدت مآثرنا اللئام
فقد علم العراق لنا قديماً ... أيادي ليس تنكرها الشآم
وفي أرض الحجاز لنا فيوض ... يسيل لها الى اليمن انسجام
وفوق الأندلس لنا بنود ... لهامات النجوم بها اعتمام
وسل في الغرب عن آثار فخر ... لها في جبهة الزمن ارتسام

وله السينية المشهورة ومطلعها :

دع مجلس الغيد الأوانس ... وهوى لواحظها النواعس

الى أن يقول :

فالشر كل الشر ما بين العمائم والقلانس
والخير كل الخير في هدم الجوامع والكنائس
ما هم رجال الله فيـكم بل هم القوم الأبالس
يمشون بين ظهوركم تحت الطيالس والقلانس
أي النعيم لمن يبيـت على بساط الذل جالس
ولمن تراه بائساً أبداً لذيل الترك «بائس»
ولمن أزمته بكف — عداه يظلم وهو آيس
ولمن تباح حقوقه ودماؤه بيع الخسائس
ولمن يرى أوطانه خرباً كأطلال دوارس

وقال في الترك :

فالترك قوم لا يفوز لديهم الا المشاكس
أولستم العرب الكرام ومن هم الشم المعاطس
فاستوقدوا لقتالهم ناراً تروع كل قابس
عمت قبائحهم فأضحت لا تحيق بها الفهارس
حال بها طاب التبسـم للوغى والموت عابس
وحلا بها سفك الدما ء وسفكها للجور حابس

ومثلها قصيدته :

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طما الخطب حتى غاصت الركب
فيم التعلل بالآمال تخدعكم وأنتم بين راحات القنا سلب
كم تظلمون ولستم تشتكون وكم تستغضبون فلا يبدو لكم غضب

ثم يعرض بحكام تلك الأيام فيقول :

سلاحهم في وجوه القوم مكرهم وخير جندهم التدليس والكذب
لا يستقيم لهم عهد اذا عقدوا ولا يصح لهم وعد اذا ضربوا
بالله يا قومنا هبوا لشأنكم فكم تناديكم الأسفار والخطب
ألستم من سطوا في الأرض واقتحموا شرقاً وغرباً وعزوا أينما ذهبوا
فما لكم ويحكم أصبحتم همـلاً ووجه عزكم بالهون منتقب
لا دولة لكم يشتد أزركم بها ولا ناصر للخطب ينتدب
أقداركم في عيون الترك نازلة وحقكم بين أيدي الترك مغتصب

وأظن هذه القصيدة هي التي اتهم بها أحد الأدباء يومئذ وحبس بها سنة كما قال لي الشيخ رحمه الله . وهذه القصائد تنادي بأنه كان حراً يدعو الى الحرية وعربياً يبكي لمجد العرب ويحاول أن ينزعوا من ربقتهم حكم العثمانيين وينجوا من الاستعباد . وهو ما كان يطيب له ادعاء هذه القصائد لأن قصده مجرد عن الغاية فلا يطمع في الظهور والتمجد . ولو ظهر عليه أدنى أثر من الانكار على الدولة لناله من العقوبات أفظعها فهو بعقله وحيطته يتقيهم ولا يرتكب ما لا يرضيهم على ما كان يتقي أهل بيئته ، وبيئته كانت جد متعصبة جامدة ، وكنت تلمح حرية فكره تلمع أشعتها من خلال ما ينشره ويتجلى للناقد البصير أنه معلم حكيم يرمي الى تهذيب النفوس بكل ما لديه من الذرائع ، ويحاول إخراج أمته الى طريق سليم ليدخلها في غمار الأمم الناهضة وهو الذي يعرف مبلغ أمته من معاونته ومعاونة أمثاله ولذلك لم يجاهر بدعوته لأن الأمة خلت من هذه المعاني وما كانت تفكر الا في الساعة التي هي فيها .

وما سلم الشيخ من عيوب الشعراء المتأخرين فقد كان أصحابه وجيرانه وأهله يريدونه على أن ينظم تواريخ لأضرحة موتاهم ، وكان يرجى ألا يقبل اضاعة

وقته في مثل هذه المنظومات ومنها المدح والرثاء ، وما كان الحامل له على نظمها الا ارادة التخلص من تعجيز المعجزين وقد اعتاد الناس ألا يرضوا عن الشاعر الا اذا مدح أحياءهم ورثى موتاهم . وقد أثرت له رسائل لك أن تدعوها من جنس الاخوانيات كان يبعث بها الى أحبابه أو الى ارباب الوجاهة لدفع مغرم وجلب مغنم لمن يتوسطه ، يكتبها من حاضر الوقت لا يتعمل فيها ، وأكثرها مسجوع اذا تلوتها تراءى لك انه ينسج فيها على منوال الهمذاني والخوارزمي والصاحب . ومن شعره الجميل يذكر حمص منبت أجداده :

وسقى الله أرض حمص وحيت نفحات الرضا خصيب ثراها
هي فردوسي القديم ومنها ثمرات الحياة كان جناها

ومنه :

لبس الوقيعة من شأني فان عرضت أعرضت عنها بوجه بالحياء ندي
اني أضن بعرضي أن يُلم به غيري فهل أتولى خرقه بيدي

وقال في ساعة دقاقة :

ومحصية أعمارنا كلما انقضت لنا ساعة دقت لها جرس الحُزن
فيابنت هذا الدهر سرت بسيره فهل أنت دون الناس منه على أمن

وقال في عود الطرب :

وعود صفا الندمان قدماً بظله وما برحت تصفو لديه المجالس
تعشقه طير الأراكة أخضراً وحنّ اليه ريشه وهو يابس

وقال في بعلبك :

يا بعلبك غريبة الأزمان والعهد والصناع والبنيان
لم تُبلك الأيام في حدثانها الا لتظهر قدرة الرحمن

وقال :

تعجب قوم من تأخر حالنا ولا عجب في حالنا ان تأخرا
فمذ أصبحت أذنابنا وهي أرؤس غدونا بحكم الطبع نمشي الى الورا

وقال في الحكم :

حياة أمرّ العيش فيها مذمم وناس بها قلب الخليّ متيم
سقت كل قلب كل يوم مشاربا توهم فيها لذةً وهي علقم
وما الأرض الا قفرة زأرت بها أسود المنايا حولنا وهي حوّم
لها كل يوم بيننا كل منذر ينادي علينا مسمعا وهو أبكم
تنبهنا بعضاً ببعض فتنثني وأجفاننا في غفلة اللهو نوّم
وأصبح من قد كان يرهب بأسه يناح عليه بعد حين ويرحم
تراب من الأرض استوى تحت صورة تلوح عليها مدة ثم تهدم
اذا ما دفعنا للبلية مرة ولم ننتفع بالحزن فالصبر أحزم
جرى قدر المولى بما شاء واستوى لديه جزوع في الأسى ومسلّم
وليس لنا من مطمع فات نيله اذا كان ما نبغيه ما ليس يغنم
وما كان ما لا بد منه مؤخراً يهون لديه الرزء وهو مقدم
وما الفرق في الحالين الا هنيهة تمر سريعاً والقضا متحتم

ومن قوله في الحكم أيضاً :

وانما نحن في دار اذا اعتبرت ليست سوى مأتم ناحت به البشر
في كل يوم أناس فوقها نجموا على أناس طوتهم تحتها الحفر
بئس الحياة التي ما زال واردها يمازج الورد في كاساته الصدر
حالان احداهما مملوءة حذراً مما يليها وأخرى فاتها الحذر

قال في مصير الأرض من مقالة :

«واعتبر ذلك في الأرض وما يؤلف أديمها من الجواهر ، ويشتمل عليه جوها من العناصر ، وما يعيش عليها من النبات القائم في الصحراء ، والحيوان السارح على وجه الغبراء ، والسابح في لجتي الماء والهواء ، تجد هناك سلسلة يتصل أعلاها بأسفلها ، ويتحول بعضها الى بعض حتى يرتد آخرها الى أولها ، بل ترى الأرض نفسها عرضةً للطبيعة تغزوها بالسيول الجوارف والرياح النواسف ، والأمواج التي تهاجم ثغورها والزلازل التي تصدع صخورها ، متعاقبة عليها ما تعاقب الليل والنهار ، الى أن يأتي يوم تنحل فيه الجبال ، وترسب في درك البحار ، ثم لا تزال المياه تسحل وجه الأرض حتى لا يبقى فيه أمت ولا انحناء ، وحتى يغمرها الماء من كل ناحية وقد عاد سطحها مستوياً تحت الماء كاستواء سطح الماء ، فعادت كما كانت في اول خلقها ماء غامر وكون بائر ، قد خلا من عالمي البر والهواء ، ولم يبق فيه من ذوات الحياة الا عالم الماء» .

«هذا اذا لم تصب الأرض قبل ذلك بالهرم ، وينضب ماؤها بعد خمود ما في باطنها من الضرم ، ولم تتشرب هواءها فلا يتنفسه بعد ذلك نبات ولا حيوان ، ولا يجد ذو جناح ما يعتمد عليه جناحه في الطيران ، على حد ما تمّ ذلك في القمر حتى لم يبق فيه وشل لمرتاد ، وحتى تجرد من ثوب هوائه او كاد ، وحتى اصبح قفراً هامداً لا ينبت عليه شجر ، ولا يتنفس فيه دابة ولا بشر . بل لو بقي هواء الأرض وهو خال من بخار الماء لجمّد البر وسطحها تجميدا ، وانقبض الأحياء من وجهه حيث يقع شعاع الشمس عموداً . ثم لا يزال بساطهم يزداد ضيقاً على توالي الحقب ، الى ان تموت آخر عشيرة منهم بالبرد والسغب ، فتدفنها الثلوج حيث لا ينكشف رمها الا يوم التلاقي . ويخط يد القضاء على أديم الأرض سبحان الحيّ الباقي .

« وهذا اذا لم تهرم الشمس فتقلب نارها برداً ، ولكنه برد بغير سلام ، فتهيم السيارات والأقمار من حولها في فضاء من الزمهرير والظلام ، ويومئذ لا يبزغ الصباح فيذهب آفاق المشرق ولا يقبل الماء فيخيم على أرجائه بجيشه المطبق ، ولا يكون اذ ذاك كسوف ولا خسوف ، ولا تبدو القبة الزرقاء بلونها المألوف ، ولكنها تلتحف السواد حداداً على عالمها بالأمس ، وقد التف بكفن من الثلج فآوته منها الى مثل ظلمة الرمس . ويومئذ تتجمد البحار فلا يكون موج يتنفس ، ولا سحاب ينبجس ، ولا سيل يتدفق ، ولا جدول يترقرق . وتركد حركة الهواء ، فلا تهب شمال ولا صبا ، ولا تجري نسمة على الوهاد والربى . وأنى والشمس مصدر الحركة في العوالم ، وقوام الحياة لكل قائم ، فاذا هبت الريح فالشمس هي التي تهب ، واذا دبت النسم فالشمس هي التي تدب ، واذا انتشر الغمام ، فهي التي تنتشر ، واذا انهمرت الغيوث فهي التي تنهمر ، ألا وهي الشمس التي تجري في الأنهار ، وهي التي تغرد في الأطيار ، وهي التي تزهر في الرياض ، وهي التي يسمع حفيفها في الغياض ، وعلى الجملة فالشمس هي روح الكائنات وفؤادها ، واذا ماتت الأفئدة فمحال أن تعيش أجسادها . اه» .

وبعد فلم ينبغ لبنان أكتب من الشيخ فيما أعتقد ولا أجزل حظاً منه في علوم البيان وندر أن كلت لغيره ما كل له من عبقرية صقلتها العناية أي صقل ومن قام بواجبه في خدمة اللغة وسلك كل طريق نافع في غرضه . فقد قال فيه الأستاذ الامام محمد عبده انه أكتب من أديب بكثير بل هو أكتب المعاصرين فيما أرى . وناهيك بها من شهادة . وقال فيه الأستاذ شيخو ان كلامه يظهر لقارئه كأنه المرآة الصقيلة أو الماء الزلال ، فكان لا يزال يردد النظر فيما كتب وينقحه مراراً حتى يخرجه كالبرد القشيب والخميلة الناعمة .

وقال الأستاذ عبود « ان انشاء الشيخ ليس بالانشاء المتمق العالي اذا استثنينا صدر مقالتي الزهرة والقمر وفيها ظهر أنه ناثر فني من الطراز الأول فخياله

طريف فيها ومجمه أنيق ظريف ، كأنه الشعر أو فوق الكثير من الشعر ، وقد كتب جل نثره بأسلوب العلماء والمؤرخين والكتاب الاجتماعيين ، وتضلعه من اللغة وادراكه أسرارها أدى به الى العدول عن المجاز ، وله فضل على النهضة بتعابيره الصحيحة ، وكان له أبعد الأثر في توجيه كتاب النهضة نحو الكلام الصحيح السليم ، ولئن كان في انشائه جفاف أساليب العلماء فلا تنس ان فيه صحة وشدة أسر » .

كان سمت الشيخ سمت العلماء وكان على جانب عظيم من الوقار تقرأ في طلعته جلال العلم وجمال الأدب وتحس في كلامه كأنك في مجلس فنان أفنى أيامه في التحقيق والتدقيق ، عقل عالم ، وحكمة حكيم ، وعين فنان ، وذوق شاعر .

كان الشيخ مأخوذاً بعلمه مخلصاً له ، لم يتعلق من الحياة بغير المعنويات ، دار حياته في دائرة ماحدثته نفسه أن يتخطاها قيد أنملة فلم يخرج فيها عن نشر العلم والآداب ، وخدم لغة القرآن خدمةً لم يوفق الى أكثر منها أكبر علماء الاسلام ، وعاش مقلاً متقشفاً لم يطرق أبواب الملوك ولا رجال المال ليستعين بهم على ما يضطلع به ، ومع أنه سبق للدولة المصرية قبله أن عاونت اللبنانيين العظيمين بطرس البستاني واحمد فارس الشدياق من رجال النهضة الأولى فهو لم يجد من حكومة مصر العربية عوناً وغفل أغنياء المصريين والشاميين عن الأخذ بيده . وكان يشير في الأحايين الى هذا النقص في أخلاق الأمة ويردد ان الأغنياء وأرباب الشأن بمعزل عن نشدان المطالب العالية والمشاركة في الأمور النافعة .

عاش الشيخ عزيز النفس وما أسفَّ الى ما أسف أكثر علماء عصره ومات لم يتزوج ولم يعرف سعادة البيوت ولا عطف الولد . ومن أغرب ما يسجل أن

حكومة لبنان اقترحت عليه أن توليه « قائم مقام » على زحلة وهو عمل يقوم به بعض تلاميذه على أنه لم يخلق للادارة ولا للسياسة ، وكافأته الجالية السورية في البرازيل بعد وفاته بأن صنعت له تمثالاً نصبته ببيروت في احدى ساحاتها .

قلت فيه يوم نعيته في جريدة « المؤيد » : قضى حياة المتعلم والمعلم والعالم على أكمل وجوهها ، وبرز خاصة في علوم العربية على أقرانه فعد من آحاد زمانه . نشأ في بيت كان ربه يتغنى ليله ونهاره بالشعر والأدب فشب وشاب فيما نشأ عليه وأنشئ له . وناهيك بمن يرضع اللغة من صغره ويعاني الأدب في جميع أدواره ، لا يصل الى سمعه غيره ولا تقع عينه على ما سواه والجميع مستحسن له ومصفق ومؤمن على أقواله ومصدق . . . ولا بد لمن يتمخض للانتقاد أن يلاقي ما لقي الشيخ اليازجي فيصاب ويصيب . والناس لم يألفوا الانتقاد وأكثر المتقدمين يعدون الانتقاد ثلماً لشرفهم واسقاطاً لأقدارهم ، والناقد كيفما كانت الحال لا تصفو له القلوب .

محمد كردعلي

تعريب الاصطلاحات العلمية

اللغة العربية من أغنى اللغات ، وأوسعها اشتقاقاً ، وأدقها تعبيراً ، صقلتها القرائح والعقول في الماضي بضعة عشر قرناً حتى جعلتها لغة الشعر والخطابة ، واصطنعها العلماء في مفردات الطب والكيمياء والرياضيات والفلسفة حتى جعلوها لغة العلم والثقافة .

والسبب في اتساع اللغة العربية لجميع الاصطلاحات العلمية انها لغة غنية كثيرة المرونة ، لطيفة المخارج ، فيها ألفاظ متباينة ، ومتفقة ، ومترادفة ، ومشتقة [1] . وربما وجدت فيها أيضاً ألفاظ مختلفة دالة على معان متقاربة ، وان كانت أشخاص تلك المعاني مختلفة ، وربما دلت على أحوال مختلفة ولكنها مع اختلافها هي لشخص واحد .

ولكن هذه المرونة في دلالة الألفاظ على فائدتها لا تخلو في بعض الأحيان من الالتباس والاشكال ، ولا من الغلط والخطأ في التعبير . لأن الأصل في الكلام هو أن تختلف الألفاظ بحسب اختلاف المعاني . ومن حق المعنى كما قال الجاحظ أن يكون الاسم له طبقاً ، وأن لا يكون له فاضلاً ولا مفضولاً ، ولا مقصراً ولا مشتركاً ولا مضمناً [2] .

ولكن العلماء الذين أخذوا في عشرات السنين الأخيرة يدونون علوم العصر ، وينقلونها من اللغات الأوربية الى اللغة العربية لم يتقيدوا بهذا الأصل الذي

(١) المتباينة هي التي تختلف باختلاف المعاني ، والمتفقة هي التي تتفق فيها ألفاظ واحدة بعينها ومعانيها مختلفة ، والمترادفة هي التي تختلف ألفاظها ومعانيها واحدة .

(٢) البيان والتبيين ، الجزء الأول ، ص : ٧٥ .

قدمناه ، بل مالوا الى استعمال الألفاظ المترادفة للدلالة على المعنى الواحد ، أو الى استعمال اللفظ الواحد للدلالة على المعاني المختلفة ، فعرض لهم من الخلاف في المعاني ما عرض للشعراء والخطباء وأصحاب السجع من استعمال الألفاظ المترادفة والمتواطئة ، وان كانت متباينة بالحقيقة . فأدّى فعلهم هذا الى الالباس والاشكال ، والى كثير من الغلط والخطأ . مع انه كان ينبغي لهم اذا وجدوا ألفاظاً مختلفة متقاربة المعاني أن ينظروا فيها ويبحثوا عن السبب في اختلافها ليضعوا لكل معنى لفظاً مطابقاً له ، الا أنهم قلدوا في ذلك البلغاء والشعراء والخطباء فجاءت اصطلاحاتهم كثيرة الغموض وعلومهم قليلة الوضوح والضبط .

والدليل البين على ان الأمر على ما ذكرناه ان الشخص الواحد يستعمل للدلالة على المعنى الواحد ألفاظاً مختلفة فيترجم كلمة (Déduction) تارة بالاستدلال وأخرى بالاستنتاج أو الاستنباط ، ويستعمل اللفظ الواحد للدلالة على المعاني المختلفة فيترجم كلمات (Intelligence) و (Raison) ، و (Bon sens) كلها بكلمة عقل .

واذا كان الشخص الواحد لا يتقيد هو نفسه بالاصطلاحات التي اختارها ، فما بالك بالمترجمين الآخرين الذين قد يوافقونه على اختياره أو يخالفونه ويخالفون أنفسهم ؟ وما بالك بالقارئ الذي يجهل اللغة الأجنبية ، هل يفهم ما يقوله هؤلاء وما يكتبونه ؟

ان مدار الأمر والغاية التي يجري اليها الكاتب والقارئ ، انما هو الفهم والافهام . فاذا كانت معاني الألفاظ تختلف باختلاف القائل والسامع فكيف تتضح ، وكيف تفهم ؟ ان التفاهم بألفاظ متبدلة المعاني أصعب من التعامل بنقود متبدلة القيم ، فلا بدّ للعلماء اذن من الاتفاق على معاني الألفاظ ، ولا بدّ لهم أيضاً من تثبيت الاصطلاحات العلمية حتى لا تتبدل الحقائق بتبدل الألفاظ التي أفرغت فيها . ان الألفاظ حصون المعاني وتثبيت الاصطلاحات العلمية

هو الحجر الأساسي في بناء العلم . فاذا أقيم هـذا البناء على أساس متحرك لم يبلغ الغاية التي أنشيء من أجلها .

على أنه قد يقال ان الأساس في العلم هو الكشف عن الحقائق ، وان الحقيقة اذا كشفت فبأي لغة بلغت الافهام فذلك هو البيان المطلوب . ولكن هذا القول يهمل ناحية أساسية من الاصطلاحات العلمية وهي ان السبب الذي من أجله احتيج الى وضعها لا يقتصر على الافهام وحده . لأن العالم بالشيء يفهمه مها تكن اللغة التي تستعملها في تفهيمه اياه ركيكة ومضطربة . ولكن تثبيت الاصطلاحات العلمية لا يفيد العلماء الاخصائيين وحدهم بل يفيد المعلمين والمتعلمين كما يفيد جمهور القراء . فله اذن فائدة في التربية ، وفائدة اجتماعية معاً .

أما الفائدة في التربيـة فهي ان تثبيت الاصطلاحات يستلزم تحديد معاني الألفاظ وتوضيحها ، فلا يستعمل اللفظ الا فيما وضع له ، ولا يدل على المعنى الواحد الا بلفظ واحد . وفي ذلك تيسير لعمل المعلمين والمتعلمين معاً . لأن المعاني اذا كانت محددة ، سهل على المعلم شرحها وعلى المتعلم فهمها . وكذلك الألفاظ اذا كانت مطابقة للمعاني صار استعمالها أدق ووضوحها أتم . وقد عرفنا بالتجربة أن التلاميذ الذين يقرأون النصوص الفلسفية دون أن نشرح لهم اصطلاحاتها يضيعون زماناً طويلاً في تفهم ما يقرأون دون أن يصلوا الى نتيجة . وكثيراً ما يورثهم هذا الأمر كرهاً للفلسفة وعجزاً عن النجاح في الامتحان . حتى ان بعضهم وان نجح في فحوصه يعتاد استعمال الألفاظ الفارغة فيردد ما قرأه كالببغاء أو يلوكه كما يلوك الطفل طعامه . وهذه العقول الببغائية التي تردد الألفاظ الفارغة تعجز في مستقبل حياتها الفكرية عن الانتاج العلمي . وربما كانت تمارين الترجمة التي تقتضي مراجعة معاني الألفاظ في المعاجم العلمية والفلسفية خير وسيلة لشفاء هذه العقول من الببغائية الفكرية ، لأنها تمنعها من استعمال ألفاظ لم تتضح معانيها ، وتعودها الدقة في التعبير ، والمطابقة بين المعنى واللفظ ، فلا يكون أحدهما زائداً على الآخر .

وأما الفائدة الاجتماعية فهي ان تحديد معاني الألفاظ يسهّل على الناس التفاهم فيما بينهم ، فلا يتكلمون بما لا يعلمون ، ولا يمارون فيما لم يتضح لهم من المعاني . ان معظم الاختلافات في الآراء السياسية والاجتماعية يرجع الى أن الناس لم يحددوا معاني الألفاظ التي يجادلون فيها . فالحرية والعدل والمساواة لا تدل على معان واحدة عند الاشتراكيين والمموانين ، وكذلك الحق والواجب والخير والكرامة وغيرها . فاذا أردت أن تحسم الخلاف بين الناس ، وتحقق التفاهم بين أصحاب المذاهب المتباينة فابدأ أولاً بتحديد هذه المعاني تحديداً علمياً واضحاً . ان هذا التحديد يقرب الآراء بعضها من بعض ويبطل أسباب الخلاف ، ويوفر على الناس كثيراً من الجهد والوقت .

وربما كانت الألفاظ التي يستعملها المترجمون المحدثون أكثر الألفاظ احتياجاً الى هذا التحديد ، لأنهم ـ كما قلنا ـ لا يطلقون على المعنى الواحد لفظاً واحداً . مثال ذلك ان بعضهم يترجم كلمة (Intuition) بكلمة حدس ويترجمها الآخر بالبداهة أو الاكتناه ، أو الاستبصار ، وكذلك كلمة (Conscience) بعضهم يترجمها بالشعور وبعضهم يترجمها بالوعي . فاذا استمر الأمر على هذه الحال أدى الى كثير من الفوضى والاضطراب ، لأن النقلة ، اذا لم يوحدوا اصطلاحاتهم عجزوا هم أنفسهم عن فهم ما ترجموه . ولا يكفي أن تتطور الاصطلاحات العلمية تطوراً عفوياً حتى تصل الى الوحدة ، لأن التطور العفوي قد يؤدي الى الاحتفاظ بألفاظ كثيرة للدلالة على معنى واحد ، واذا أدى الى انتصار لفظ على غيره لم يكن هذا اللفظ الفائز في المعركة أحسن الألفاظ دائماً . فلا بدّ اذن من توجيه هذا التطور حتى يبلغ غايته . والوسيلة الوحيدة للتوجيه الصحيح تقتضي انشاء مجمع علمي واحد ينتقي من الاصطلاحات التي اهتدى اليها النقلة الاخصائيون اصطلاحاً واحداً يثبته ويحله حظيرة اللغة ، لا أن يضع هو نفسه اصطلاحاً علمياً جديداً . ذلك لأنه ليس من شأن المجامع العلمية ان تضع

الاصطلاحات وانما هي بمثابة عضو رئيسي في جسم العلم ، ينقح ما يكشفه العلماء ، ويحصه ، وينظمه ، ويثبته . واذا خرجت المجامع العلمية عن هذا الحد الذي يجب عليها ان تقف عنده عرضت نفسها الكثير من الخطأ والغلط والنقد .

ان لكل علم لغة فنية ، والعلماء الاختصاصيون وحدهم يفهمون هذه اللغة . فأنت لا تفهم معنى كلمة (تفاعل) الا اذا كنت كيماوياً ، كما انك لا تفهم معنى الساحة المغناطيسية الا اذا كنت فيزيائياً . ومن كان طبيباً كان قادراً على الكلام عن المرضى بلغة لا يفهمها المريض . وكذلك لما كانت الألفاظ التي يستعملها الفلاسفة لا تختلف عن الألفاظ التي يستعملها الأدباء والصحافيون والمحامون كان هذا الاتفاق فيها أدعى الى الإشكال والاضطراب . ان رجال الأدب لا يستغنون عن اصطلاحات علم النفس ، كما أن رجال السياسة لا يستغنون عن اصطلاحات علم الاجتماع والأخلاق . ولكن الفلاسفة الذين يستعملون كلمة ذاكرة وعقل وحقيقة وواجب وحرية وارادة لا يبلغون غايتهم الا اذا كانت هذه المعاني المتصورة في أذهانهم محددة معرفة . وكثيراً ما يكون لبعض هذه الألفاظ في أذهانهم معان مخالفة لما يتصوره المحامون والأطباء والمهندسون . فينبغي لنا اذن اذا شئنا أن نختار اللفظ الموافق للمعنى العلمي أن نعتمد في ذلك على أرباب الاختصاص لأن صاحب البيت أدرى بالذي فيه . ومتى عرض علينا الاختصائيون ألفاظهم نقحناها ومحصناها واخترنا أوفقها وأصلحها وثبتناه في معاجم اللغة .

والسبيل الواضحة والطريقة الصحيحة التي يجب على الاختصاصيين اتباعها في وضع الاصطلاحات العلمية الموافقة تنحصر عندنا في القواعد الآتية :

القاعدة الأولى : هي البحث في الكتب العربية القديمة عن اصطلاح مستعمل للدلالة على المعنى المراد ترجمته . ويشترط في هذه القاعدة ان يكون

اللفظ الذي استعمله القدماء مطابقاً للمعنى الجديد . فاذا وجدناه مطابقاً له أطلقناه عليه دون تبديل أو تغيير . مثال ذلك أن القدماء أطلقوا لفظ الجوهر على المعنى الذي تدل عليه كلمة (Substance) ، وأطلقوا لفظ المقولات على المعنى الذي تدل عليه كلمة (Catégories) فاذا أردنا أن نترجم هذه الألفاظ أطلقنا عليها الأسماء التي سماها بها من عرفها من أصحاب اللغة .

والقاعدة الثانية : هي البحث عن لفظ قديم يقرب معناه من المعنى الأوربي الحديث ، فيبدل معناه قليلاً ويطلق على المعنى الجديد . مثال ذلك ما ترجمنا به لفظ (Intuition) ، فقد أطلقنا على هذا المعنى اسم الحدس بعد أن وسعنا معناه القديم . فالحدس كما يقول الجرجاني في تعريفاته «هو سرعة انتقال الذهن من المبادئ الى المطالب ويقابله الفكر ، وهو أدنى مراتب الكشف» ، والحدسيات عنده هي «ما لا يحتاج العقل في جزم الحكم فيه الى واسطة بتكرر المشاهدة» ، ويعبر ابن سينا عن ذلك بقوله : «ان من المتعلمين من يكون أقرب الى التصور لأن استعداده ... أقوى ، فان كان ذلك الانسان مستعداً للاستكمال فيما بينه وبين نفسه سمي هذا الاستعداد حدساً ، وهذا الاستعداد قد يشتد في بعض الناس حتى لا يحتاج في أن يتصل بالعقل الفعال الى كبير شيء والى تخريج وتعليم» . ثم يقول : «الحدس فعل للذهن يستنبط به بذاته الحد الأوسط . والذكاء قوة الحدس ، وتارة يحصل بالتعليم ، ومبادئ التعليم الحدس . فإن الأشياء تنتهي لا محالة الى حدوس استنبطها أرباب تلك الحدوس . ثم أدوها الى المتعلمين . فيمكن أن يكون شخص من الناس مؤيد النفس بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية الى أن يشتعل حدساً ، أعني قبولاً لإلهام العقل الفعال ، في كل شيء ، فترتسم فيه الصور التي في العقل الفعال من كل شيء

اما دفعة واما قريباً من دفعة »[١] ويقول ايضاً في كتاب الاشارات : « واما الحدس فهو ان يتمثل الحد الأوسط في الذهن دفعة ، اما عقب طلب وشوق من غير حركة ، واما من غير اشتياق وحركة »[٢] . فهذه النصوص كلها تبين لنا أن معنى الحدس عند القدماء هو اصابة الحد الأوسط اذا وضع المطلوب ، أو اصابة الحد الأكبر اذا أصيب الأوسط ، وبالجملة سرعة الانتقال من معلوم الى مجهول . فهذا المعنى كما ترى يختلف بعض الشيء عن المعنى الذي تدل عليه كلمة حدس عند المحدثين . ولكننا نلاحظ ان للحدس عند كل من هؤلاء الفلاسفة معنى خاصاً . فهناك حدس عقلي كحدس البداهة ، وهناك حدس حسي وحدس نفسي ، وحدس فلسفي كالذي تكلم عنه (برغسون) . فاذا كان معنى الحدس مختلفاً باختلاف الفلاسفة ، فان اختلاف معناه في الفلسفة الحديثة عن معناه في الفلسفة العربية القديمة لا يمنع من اطلاق اللفظ نفسه على المعنيين . ولا حاجة الى البحث عن لفظ آخر كلفظ البداهة الذي اختاره بعضهم للدلالة على هذا المعنى لأن البداهة انما تقابل كلمة (Évidence) لا كلمة حدس . فيكفي اذن في هذه الحالة الاعتماد على اللفظ القديم مع تبديل وتحديد معناه تحديداً جديداً .

والقاعدة الثالثة : هي البحث عن لفظ جديد لمعنى جديد مع مراعاة الاشتقاق العربي ، كأن تستعمل لفظ الشخصية للدلالة على (Personnalité) ولفظ الاستبطان للدلالة على (Introspection) ولفظ الاهتمام للدلالة على (Intérêt) ولفظ الانتحاء للدلالة على (Tropisme) ولفظ التكيف أو المؤالفة للدلالة على (Adaptation) . فهذه كلها اصطلاحات حديثة لم يستعملها القدماء ولكننا

(١) ابن سينا : النجاة ، ص ٢٧٢ – ٢٧٤ من طبعة القاهرة .
(٢) ابن سينا ، الاشارات ، ص ١٥٣ – ١٥٦ من الطبعة الخيرية ، القاهرة ١٣٢٥ .

نستعملها مطمئنين لأنها مطابقة للأصول التي وضعها أصحاب اللغة وهذا شبيه بما فعله القدماء من استعمال كلمة قوة للدلالة على (Puissance) وكلمة فعل للدلالة على (Acte) وكلمة صورة للدلالة على (Forme) ، وكلمة امكان للدلالة على (Possibilité) ، فقالوا ان الامكان في الشيء هو جواز اظهار ما في قوته الى الفعل ، وطبيعته بين الواجب والممتنع ، فاشتقوا من الامكان التمكين بمعنى اخراج الشيء من القوة الى الفعل بالارادة وقد يجيء التمكين عندهم بمعنى آخر وهو ان يكون تفعيلاً من المكان . فتقول مكنت الحجر في موضعه اذا وفيته حقه من بسط المكان وتسويته ليلزمه ولا يضطرب وليس في استعمالنا اليوم لفظ الحتميـة (Détérminisme) والموضوعيـة (Objectivité) ، والوضعية (Positivisme) شطط ما دام القدماء من علمائنا لم يحجموا عن استعمال لفظ الهوية والأنية والصوفية وغيرها . ولكن اللغويين المحافظين منا لا يريدون ان يخرجوا من قفص المعاجم ، كأن الألفاظ التي اصطنعها علماؤنا القدماء في الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والطبيعيات لم توضع الا اعتباطاً .

والقاعدة الرابعة : هي اقتباس اللفظ الأجنبي بحروفه على أن يصاغ صياغة عربية كقولنا (هرمية) في ترجمة (Hormique) وقولنا (الراد) في ترجمة (Radium) أو قولنا (المناد) في ترجمة (Monade) ، أو قولنا الديموقراطية في ترجمة (Démocratie) . ومن البديهي أنه لا ينبغي لنا العمل بهذه القاعدة الا عند عجزنا عن اشتقاق لفظ عربي للدلالة على المعنى الجديد . فاذا كانت كتب العلم القديمة لا تحتوي على لفظ نقتبسه كما هو أو نبدله ، وكانت اللغة نفسها لا تشتمل على اسم قريب من المعنى نشتق منه فعلاً أو صفة كان استعمال اللفظ الأجنبي أوفى بالقصد وأقرب الى الوضوح من اطلاق لفظ عربي غير مألوف يفرض على العلم فرضاً . ان علماءنا القدماء لم يجدوا في استعمال كلمة فلسفة وكلمة

جغرافيا وكلمة كيمياء انتقاصاً من حقوق اللغة العربية ، فاذا استعملنا اليوم كلمة (فيزياء) للدلالة على (Physique) وكلمة ديموقراطية للدلالة على (Démocratie) فاننا لا نكون أقل منهم اصابة . فهم قد استعملوا كلمة البخت مع انه لا وجود لها في لغة العرب . يقول صاحب كتاب الهوامل والشوامل في الجواب عن احدى المسائل : «على اني رأيتك تستعفي أن تفهم حقيقة الا أن تكون في لفظ عربي . فان عدمت لغة العرب رغبت في العلوم ، لكنا أيدك الله لا نترك البحث عن المعاني في أي لغة كانت وبأي عبارة حصلت»[1] . وهذا القول يدلنا على أن القاعدة الرابعة التي ذكرناها هي السبيل الواضحة التي يجب سلوكها عند افتقار اللغة العربية الى لفظ أجنبي لا يُدَل على المعنى الجديد الا به ، شأنها في ذلك شأن سائر اللغات التي تقتبس المعنى العلمي الجديد باللفظ الذي اختاره واضعه . فنقول مثلاً ميكرسكوب وتلسكوب كما نقول سينما وتلفزة دون ان نخل بلغة العرب لأن انتشار هذه الألفاظ على ألسنة الناس يجعل استعمالها في الكتب العلمية أوفى بالقصد من استعمال لفظ المكبرة والمنظار والصور المتحركة وغيرها . فالمعاني القائمة في الصدور كما يقول الجاحظ مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة[2] . وانما تحيا تلك المعاني في ذكر الناس لها ، واخبارهم عنها واستعمالهم اياها . ومهما يكن الاصطلاح العلمي وحشياً بعيداً عن المألوف فانه اذا انتشر على ألسنة الناس كان أحق بالترجيح من اللفظ الصحيح الذي لم يكتب له الانتشار . والخطأ المشهور كما قال بعضهم خير من الصحيح المهجور .

* * *

(١) الهوامل والشوامل لأبي حيان التوحيدي ومسكويه ، ص ١٠٤ ، القاهرة : ١٩٥١ .
(٢) الجاحظ ، البيان والتبيين ، الجزء الأول ، ص : ٦٨ .

هذه أربع قواعد ذكرناها هنا على سبيل الاشارة لا على سبيل الاحاطة · ولا نزعم أبداً أننا استقصينا جميع الصعوبات التي تعترض طريق المترجم · ان العلماء الأوربيين يعتمدون في وضع الاصطلاحات العلمية على اللاتينية واليونانية · وفي وسعهم أن يؤلفوا كلمات مركبة من كلمتين أو أكثر أو ان يضموا السوابق (Préfixes) او اللواحق (Suffixes) الى جذر المادة الأصلية بحيث يتألف منها كلمات متشابهة دالة على معان متباينة · مثال ذلك ان (Synthèse) و (Parenthèse) و (Antithèse) و (Hipothèse) تدل على معان مختلفة مع أن جذرها الأصلي واحد ، أما الاشتقاق في اللغة العربية فانه يغير الأصل الثلاثي بما يضيفه عليه من حروف الزيادة وليس في اللغة العربية سوابق ولواحق مضافة على الأصل ، كما انه لا يمكنها الآن أن تستمد من غيرها من اللغات القديمة ما تستمده اللغات الأوربية من اللاتينية واليونانية · وهذه صعوبة أخرى يجب التغلب عليها بما امتازت به اللغة العربية من سعة المناهج ولطف المخارج وسهولة الاشتقاق · وسنعود ان شاء الله الى بحث هذه الصعوبة الأخيرة في مقال آخر ·

الدكتور جميل صليبا

أوضاع لغوية عسكرية

(*Sentier*), (*Ravin*)

جاءني من حضرة مدير المجلة العسكرية بدمشق مانصه :

نحار هنا في ترجمة (Sentier) فنحن نترجمها بكلمة (زَقِيلة) كما وردت في القاموس المحيط ٠ أو (شُريّك) كما ترد على لسان الفلاحين والبدو عامةً في بلادنا ٠ وقد جاءت كلمة (شَرَك) في القاموس المحيط ولكن بمعنى الطريق ذات الجوادّ ٠ فهل تكون (شُريك) تصغيراً (لشَرَك) و (شريّك) تصغيراً للتصغير فتكون صالحة لهذا المعنى ؟ أما مسلك فنحن نستعملها ترجمة لكلمة (Cheminement) الافرنسية والمقصود هو مطلق مسلك تسلكه طريقاً : كان ذا حدود أو لم يكن : نسلكه مثلاً خلف صف من الأشجار لنختفي به عن أنظار العدوّ ٠ و (درب) هل تصلح لمعنى (Sentier) أو لما هو أوسع ٠ وقد رأينا أن نترجم كلمة (Ravin) الافرنسية بكلمة (تَلْعَة) العربية وقد جاء في القاموس المحيط ما يؤيد رأينا : وقد سمعت أنا شخصياً من الهجانة البدو النجديّين وأنا معهم في الصحراء هذه الكلمة لهذا المعنى ٠ ومعني (Ravin) هو مجرى الماء في سفح الجبل ٠

فهل لكم أن تتفضلوا فتفيدونا ما هي الترجمة الصحيحة لكلٍ من تينك الكلمتين والشكر لكم ٠ اهـ ٠

وقد أجبت السائل المحترم بما يلي :

تضمن سؤالكم أمرين أصليين ، (الأول) كيف نترجم كلمة (Sentier) الافرنسية : قلتم في كتابكم انكم في حيرة بين أن تترجموها بكلمة (زَقِيلة) العربية التي معناها : سكة ضيقة ٠ طريق ضيق ٠ أو تترجموها بلفظ (شُريّك)

بتشديد الياء تصغير (شُرَيْك) الذي هو مصغر شَرَك . والشَرَك والشَرَكة بمعنى الطريق فيكون (الشُريّك) تصغير التصغير ويصبح معناه الطريق الضيق جداً وهو معنى (Sentier) وقد استأنستم الى صحة (شُريّك) بورودها (على لسان الفلاحين والبدو عامةً في بلادنا السورية) ولعمري ان تخريجكم أو (إخراجكم) لكلمة (شُريّك) على هذه الصورة يدل على بصارتكم ٠ ولكن هنا ملاحظات ينبغي إيرادها وربما أفاد التبسط فيها ٠

(أ) ما هو المعنى المطابق لكلمة (Sentier) ؟

يظهر من المعاجم الافرنسية أن معناها الطريق الضيّق (Chemin étroit) وسكتوا عن تقييده بوصفٍ ما : فكل طريقٍ ضيق سواء أكان في سهل أو جبل ٠ طويل أو قصير ٠ مستقل أو منشعب من جادة عظمى يسمى عندهم (Sentier) فيحسن اذن ان نترجم (Sentier) بكلمة عربية تفيد معنى (الطريق الضيق) ويحضرني من هذه الكلمات كلمة (الزقيلة) التي ذكرتموها فقد فسّرت بالسكة الضيقة والطريق الضيق ولم يقيدوها بوصفٍ ما فتكون هي المعنى الحقيقي المطابقي لكلمة (Sentier) الافرنسية وهي التي يحسن ترجمتها بها غير ان (الزَقيلة) فيها غرابة وعليها سِمة من استكراه في اللفظ ٠ تقولون أن الاستعمال كفيل بصقلها وتقريبها من الأذواق ٠ حسن ولكن يبقى هناك شك في عُروبتها من حيث أن صاحب القاموس انفرد بذكرها وقد أهملها كلٌّ من صاحبي الصحاح واللسان : فهي في الغالب لغة يمانية : لما أن الفيروزابادي (الذي انفرد بذكرها في قاموسه) كان قاضياً في اليمن في القرن الثامن الهجري فلعله التقطها من أفواه اليمانيين ودوّنها في معجمه ٠ تقولون وهذا أيضاً لا يضرّ فان اليمن عربية ولغتها عربية فالشك في عروبة (زقيلة) مشكوك فيه بل مردود ٠

إذن (زقيلة) أصبحت في الكف ؟ وهل من كلمة غيرها تدل على معنى

الطريق الضيق ؟ نعم كلمة زَقَب (بفتحتين) في الصحاح طريق (زَقَب) أي ضيّق . وقد يقال إنها غريبة مهجورة أيضاً كالزُّقيلة . والجواب ان الاستعمال كفيل بصقلها وتحليتها في الأذواق .

وهناك كلمة ثالثة ربما اخترتها ورجحتها على أختيها (الزَقيلة والزَقب) لسهولة لفظها واستئناس الناس بها ودلالتها على معنى الطريق الضيّق في العصور القديمة والحديثة : وهي كلمة (زقاق) قال الشاعر :

(ولم ترَ عيني مثلَ سِرْبٍ رأيته خرجنَ علينا من زقاق ابن واقف)

والسِرب من النساء كالسِرب من الظباء ، فلنترجم (Sentier) بكلمة (زقاق) ولا سيما أن لها علاقة قديمة بتاريخنا العربي وجغرافيتنا العربية : فأسلافنا العرب سموا بها المجاز الضيّق بين طنجة وسبتة من برّ الأندلس . وهو الذي يسمى أحياناً (بحر الزقاق) وأحياناً (بوغاز جبل طارق) نسبة الى الفاتح العربي الشهير . فمزية (زقاق) على (زَقَب) و (زَقيلة) واضحة جلية . و (السكّة) بمعنى الزقاق أو هي الواسع من الأزقة . تقولون الكن (زقاق) أصبحت مبتذلة جداً . فلنتفق اذن على (زقيلة) لعروبتها وخفتها بخلاف (زَقَب) فان فتح قافها ومجيء الباء المقلقلة بعدها يُبعدها عن الأذواق . وفي استعمال كلمة (زقيلة) إحياء لها . وعلينا ذمة للغتنا وهي إحياء مواتها أي ألفاظها الميتة ما أمكن .

أما الشريّك تصغير الشرك التي يستعملها الفلاحون بمعنى الطريق الضيق فاستعمال فيه نظر لأن (الشَرَك) ليس مفرداً بل هو جمع شركة وهي الجادّة أي الطريق المعظمى في الصَحاح : (الشركة معظم الطريق ووسطه والجمع شَرَك) ومن اللغويين من فسّر (الشَركة) بالطُرُق الصغار المنتشرة على متن الطريق الأعظم : فان المشاة وحوافر الدواب تُحدث على ظهر الجادة طرائق قِدَداً وأخاديد صغيرة تتفرق ثم تلتقي ثم تتفرق ويكون بينها قطع من الأرض لا توطأ وتكون

ذات نبات أحياناً : فاذا نظرت الى هذه الجادة من عَلُ حسبتها عباءةً مخطّطة . وقد جاء في اللغة : (بُرد مُسَيَّح أي مخطّط والمُسَيَّح من الطُرُق المُبَيِّن شَرَكه وإنما سَيَّحه (أي خطّطه) كثرةُ شَرَكه شُبِّه (أي الطريق) بالعباء المسَيَّح) انتهى ملخصاً من اللسان . فالشركة إذن طريق ضيق لكن لا مُطلقاً بل يكون مع طرق صغار أخرى منتشرة جميعها على ظهر الطريق الأعظم . وربما كانت هذه الشَّركات هي التي تسمى في اللغة الترهات أيضاً ثم نقلت الترهات الى معنى الأباطيل مجازاً .

فاذا أردنا أن نترجم كلمة (الشرّيك) مثلاً الى اللغة الافرنسية أمكننا أن نترجمها بكلمة (Sentier) ولكن لا يمكننا أن نترجم (Sentier) الى العربية بكلمة شَرَكة ولا بكلمة شريك كما لا يخفى .

وكلمة (درب) لا تصلح لأن تترجم بها (Sentier) لما أن الدرب اسم لمطلق طريقاً ضيقاً كان او واسعاً وربما كان معرَّباً عن الفارسية . ومن اللطائف ان (الردب) الذي هو مقلوب (درب) اسم للطريق الذي لا ينفذ كما في القاموس .

ومثل درب كلمة (مسلك) (Cheminement) فإنها في اللغة مطلق منفذ يُسلك منه الى ما وراءه مهما ضاق المنفذ أو اتسع : فخُرْم الابرة مسلك للخيط كما أن أجواز الفضاء وأجواز البحار مسلك للطائرات والسفن الماخرات ومنه فنّ (سلك البحار) فسلك اذن لا تصلح لترجمة (Sentier) .

بقي أنكم معشر رجال الفنّ العسكري إنما تريدون من (Sentier) في الغالب الطرُق التي يسلكها الجند وهي التي تكون في البراري والسهول المنبسطة لا في داخل المدن والقرى . فالذي يصلح عرضه عليكم من الألفاظ ما دلّ على مسالك الجنود في السهول : إذن يكون الزقاق والزقيلة والزَّقب والشارع غير ما تطلبون . ويكون مطلوبكم هو الطريق . السبيل . اللَّقَمُ .

النهْج • المنهج • المَهْيَع • الجادّة • الدَّرْب • السِكّة • المدعاس • والثلاثة الأخيرة تدل على الطريق الضيق ولا سيما المدعاس فقد فسروه بالطريق الذي أثر فيه طول دعس أقدام المارة • وهو الذي تسميه عامة زماننا طريق قادومية أي قدمية • فهذه الثلاثة إذن هي الصالحة لترجمة (Sentier) • والطرقات التي سردنا أسماءها تكون في بَساط البرية وبعضها يستعمل في داخل المدن • كالجادة والدرب والسكة ، أما طرقات أوعار الجبال فالمشهور من أسمائها الشِعب بكسر الشين وجمعه شِعاب والجُدّة بضم الجيم جمعها جُدَد وهي الطرق تكون في الجبل يخالف لونها لونه : بيض وسود وحمر • ومنه الآية الكريمة : (جُدَد بيض وحُمر) وقولي إن الدرب يراد منه الطريق الضيق ملاحظ فيه غلبة استعمال سكان المدن له في هذا المعنى والا فان أصل معناه كل مدخل بين جبلين والباب الواسع والمسالك الى بلاد الروم ومنه قول امرئ القيس :

(بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه) الخ

(الأمر الثاني) أو السؤال الثاني كيف نترجم كلمة (Ravin) ؟

يجب أولاً أن نحدد معنى (Ravin) بالافرنسية : ففي لاروس ان معناها (مَسيلٌ حُفِر بواسطة جرَيان ماء المطر) • فقولكم في تفسيرها (مجرى الماء في سفح الجبل) تكون كلمة (سفح الجبل) زائدة على معناها الافرنسي إلا اذا كنتم جريتم على اصطلاح عسكري يُراد به : المجرى في السفح • ويعجبني في (Ravin) أن أترجمها بكلمة (غَبيب) قال في المخصص الغَبيب مَسيلٌ في متن الأرض أو الجبل • أما المسيل على ظهر السهل من الأرض فيسمى مسيلٌ ومجرى وأخدود غير ملاحظ فيها اشتراط أن تكون في الجبل • ولا يمنع مانع أن تكون في الجبل أيضاً •

وإذ قد فهمنا من عبارتكم في ترجمة (Ravin) إرادة المسيل في الجبل •

واخترتم لها كلمة (تَلْعة) فعلينا أن نوافي رغبتكم في ذلك فنقول: إن أقوال اللغويين في تفسير (التَلْعة) مختلفة بل متضاربة فهم يفسرونها تارةً بما علا من الأرض وتارةً بما انخفض منها وقال في المخصص (التَلْعة) ما انهبطَ من الأرض وتردّد فيه السيل) ثم سموا الماء المتردّد في الوادي تَلْعة وجمعوه على تلاع . وفسروا التلاع بالسواقي الصغيرة تكون في الوادي .

هذه السواقي أو المجاري أو المسايل لا تكون على حالةٍ واحدة: فهي إذا كانت صغيرة سميت أمْراش (جمع مَرْش) واذا كانت كبيرة سميت تِلاع (جمع تَلْعَة) واذا كانت أكبر من التلاع سميت مذانب (جمع مِذنب) والأكبر من المذانب تسمى شواجن (جمع شاجنة) وما كان أكبر من الشواجن يسمى جلاويخ (جمع جلواخ) وكل مجرى منها اذا كان واسعاً يسمى (رِجْلَة) وجمعه (رِجَل) واذا كان ضيقاً سمي (قَرِيًّا) وجمعه (أقرية) والذي يشتمل على كل هذه المجاري المائية هو المسمى (بالوادي) . ولكنها أي تلك المجاري تكون طبيعية قديمة لا حديثة أوجدها اندفاع سيل المطر فان الحديثة على ما يظهر هو معنى كلمة (Ravin) . ويمكن القول بأن كلمة تَلْعَة لا بأس في أن نصطلح عليها ترجمةً لكلمة (Ravin) والذي يزيد في رواجها ما ذكرتموه من أن المجانة النجديين يستعملونها .

المغربي

الأتلنتدا هي اميركا الجنوبية

موضوع تاريخي جغرافي

ان وجود أرض فيما وراء بحر الظلمات ، كان موضوع بحث العالم القديم في القرون الوسطى ، فقد رويت أساطير وحكايات كثيرة في المناطق العامرة والجزر الكبيرة الزاهرة ، المنبثة في طول الاقيانوس وعرضه ، تلك الأماكن التي تعيش في أحراجها الكثيفة حيوانات غريبة وتخترقها الأنهر العظيمة والجبال الشاهقة الغنية بالمعادن والأحجار الكريمة النادرة التي لا تقل الأزهار العجيبة عنها روعة وجمالاً .

وقد لاحظ المؤرخ هنري مارتن [1] في درسه كتاب تيميو — الذي ألفه أفلاطون بعد جمهوريته الشهيرة — الشيء الكثير من خرافة الاتلنتدا التي رواها كريسياس الطاغية الى سقراط . فكانت هذه أولى الروايات النقلية عن هذه الجزيرة المجهولة ، أو بالحري حول القارة الواقعة وراء أعمدة هرقل ، وفيها ازدهرت قبل تسعة آلاف سنة مدنية شعب عظيم اشتهر بثقافته النهية ، في زمن سلالة اطلس [2] ابن الالـه بوسيدون وزوجته الانسانة كليّو .

ونقل كهنة معبد سايس [3] هذه الحكاية الى الفيلسوف سولون فكانت روايتهم هذه بمثابة تعليم سري ، يتناقله منهم السلف عن الخلف ، الى أن لقنه المربي سيلينو [4] الى الملك ميداين [5] .

---

(١) هـ . مارتن Henri Martin (١٨١٠ – ١٨٨٥) .

(٢) Atlas ملك زمناً طويلاً جزيرة موريتانيا .

(٣) Sais عاصمة سلالة السيت في مصر Saites .

(٤) Sileno هو الذي تبنى الالـه باخوس كما جاء في الأسطورة اليونانية .

(٥) Midas الملك ذو اذني الحمار – حسب رواية الأساطير الرومانية .

وأوضح كريسياس ما ورد في محاورات أفلاطون المشهورة ، ان شعب الأتلنتدا قوي ، امتد سلطانه الى مصر وبعد استيلائه على مقاطعات واسعة ، دحره الأثينيون في معركة دامية . واختفى أثره بين ليلة وضحاها ، حتى لم يعد يعرف عن شعب الأتلنتدا وعن بلادهم ومدنيتهم الزاهرة شيء ، وذلك بعد طوفان هائل وزلازل شديدة مفجعة قضت على كل معالمهم وأخبارهم .

ونشأ عن هذه الروايات المنقولة ، الاعتقاد بأن أرخبيل اسورس وجزر الكناریاس وبقية جزر الأنتليا تشكل جزءاً من الاتلنتدا المختفية التي هي سلسلة مرتفعات مغمورة بالمياه يصعب اكتشافها والتثبت من صحة ما يروى عنها .

أما بركلوس (١) الاسكندري فقد أخذ على عاتقه نقل آراء الكتاب المتناقضة حول الاتلنتدا فقال :

« ان Nomenius كان يعتبر الاتلنتدا رمز صراع بين الخير والشر » .

« و Amelius يعتقد ان الصراع بين الكواكب والنجوم قد انتهى بتهديم الجزيرة وخرابها السريع الهائل واختفائها العاجل » .

« واريجنس قال انها الحرب بين الأرواح الشريرة والصالحة » .

« واعتبرها لونجينوس Longinus أسطورة كبقية الأساطير التي رواها أفلاطون لتجميل محاوراته المبهمة ، وجاراه بعدئذ كتبة ومؤرخون عديدون أمثال بلوتارخوس وسترابون وماركوبيوس وديونيسيوس دي متيلين وبينو ويوميونيو ميلا وديودورو الصقلي ممن أوردوا في تواريخهم الشهيرة ذكر مناطق مجهولة واقعة خارج عالم البحر المتوسط الوضيع » .

فديونيسيو المتيليني قال : ان سكان الاتلنتدا كانوا أشداء وأذكياء وسماهم « اتلانديس ، واتلانتي واتارانيس » .

(١) Proclus : فيلسوف اسكندري (٤١٢ – ٤٨٥) .

«أما ريودوروا الصقلي فقد ألمع في تاريخه عن جزيرة ذات ثروة عظيمة اكتشفها الفنيقيون بعد إبحار أيام طويلة حول الشواطئ الافريقية ، ربيعها دائم ومناخها عذب واخضرارها بديع جميل وأثمارها طازجة وزكية الطعم» .

«وأرسطوطاليس الفيلسوف لم يغفل ذكر جزيرة عظيمة دعاها «انتيليا» ويقتضي للوصول اليها سفر عدة أسابيع من القارة التي يستعمرها الفنيقيون وعرفوا بحرصهم على ما يتملكون كل الحرص ، والويل لمن يلفظ اسم تلك الجزيرة بفمه أو يبوح بسرها» .

«وأما الآثينيون فكانوا يعتقدون اعتقاداً راسخاً بهذه الأساطير ويؤمنون بوجود الاتلنتدا ، مع كل ما جاء عنها من الروايات المتناقضة والأقوال المتباينة» .

ومن أخص الأساطير التي تناقلها الأثينيون قديماً تلك التي تتعلق بحروبهم ضد الاتلنتديين ، حتى انهم كانوا يقيمون في معابدهم احتفالات سنوية لتقديم ابتهالاتهم وتضرعاتهم فيها الى الإلهة باليس [١] ليحميهم في حروبهم أعداءهم الاتلنتديين .

واعتبر كتبة اسبانيا والبرتغال في القرن الخامس عشر ، رواية ريودوروا الصقلي حقيقة بعد اكتشاف القارة الجديدة لمطابقة الأوصاف التي أوردها في تاريخه ، ما في تلك القارة العجيبة من مناخ جيد ومناظر ساحرة .

وتأييداً للأساطير الرتيبة وغيرها من النصوص التي تقدم ذكرها من العالم الجديد نورد ترجمة نبوءة سنيكا الفيلسوف بهذا الصدد :

«تطوي الأجيال السنين الغابرة وفيها ، يجمع البحر حوادث الدنيا فيظهر تل عظيم» .

«ومنه تكتشف بلاد جديدة ولن يكون هذا الحادث آخر ما يظهر للعالم» .

(١) Palès : الــه الجيوش والرعيان .

وكل هذه الأقاويل والروايات المشوقة كانت من العوامل الدافعة الى القيام برحلات طويلة خطرة في عرض البحار لاكتشاف عوالم خفية ، وأراض غنية ، قال عنها السلتيون القدماء إنها كالجنان ، وأطلقوا عليها اسم البلاد الخالدة التي تقطنها الأرواح العليا .

وهكذا تجددت فكرة التفتيش عن تلك الجزيرة المجهولة ، الى أن أتيح للبرتقاليين والاسبان اكتشافها وبها تغنى كامويس في ملحمته الشهيرة ، فقال في أنشودته الأولى :

في البحر أعاصير وخسائر ،
وفي الحرب حروب وخداع ،
فكم من رغبة تثير الملل ،
أين يمكن أن يلجأ انسان ضعيف ،
حيث لا تحنق ولا تغضب السماء الهادئة ،
على قشرة الأرض الصغيرة ؟

فبعد اكتشاف الأميركات الثلاث صارت الاتلنتدا وحضارة القبائل الأميركية وثقافتها القديمة ، موضوع درس كثير من علماء الاثريات في أميركا . ومن أهم نواحي هذه الدروس ناحية المقابلة بين لغات القبائل الهندية المنتشرة في قارة أميركا ، من القطب الشمالي الى القطب الجنوبي ، وبين لغة السومريين في ما بين النهرين ، ولغة المصريين القدماء وما بينهما من التشابه خطاً ولفظاً مما يدل على أن مدنية السومريين الشهيرة قد وصلت الى أميركا ، ولكن كيف وصلت ، ومتى ؟

فلنبحث هذه القضية التاريخية ، والإجابة على السؤال المتقدم يقتضي أن ندرس العوامل الجغرافية والطبيعية التي تأثرت بها الأرض قديماً ، وما قاله بهذا الصدد علماء اللغة والآثار .

التقيت منذ ست سنوات على ضفاف نهر سان فرنسيسكو الشهير في أواسط البرازيل ، بالرحالة الألماني الدكتور اوتوفيلي اورنخ وكان يدرس القبائل البرغوائية والبرازيلية المنتشرة على حدود الجمهوريتين في ولايات البرازيل الوسطى فاستحكمت بينه وبيني صداقة متينة ، وكنت وقتئذ أسافر الى هاتيك المناطق النائية للتفتيش عن مواد أولية ومعادن ، فآنست في نفسي هوى لاستطلاع بعض دروس هذا المستكشف فأقمت مع بعثته وقتاً اطلعت فيه على لمحة صغيرة من أبحاثه ، وتنقلاته ومقابلاته ؛ بين لغات القبائل البرغوائية ، التي كان يجيد التكلم بها – وهي لغة الغوراني والتوبي – وبين اللغة المصرية القديمة . وكان يردد أبداً قوله : «ان مدنية قبائل أميركا الوسطى ترجع الى المصريين ، والدليل على ذلك آثار متعددة واضحة . أما حضارة القبائل في أميركا الجنوبية فمختلفة المصادر» .

وبعد سنتين من هذه المقابلة كنت أجتاز حرجاً من شمالي ولاية منياس على مقربة من قرية فورتليزا ، ووجهتي مناجم البلور الطبيعي في هضبة سان جوزه دي غورتوبا فلقيني صاحب المنجم وقال لي : «سترى على باب المنجم كتابة غريبة ، وأعتقد كما يعتقد غيري أنها كتابة هيروغليفية أو فينيقية أو غير ذلك» .

فعادت الى ذاكرتي أحاديث العلامة أورنخ ونظريته في الآثار الكتابية التي خلفتها القبائل الهندية في الأميركتين الوسطى والجنوبية .

وجدت خطاً بشرياً محفوراً في صخر الى جانب مجرى ماء ومطلياً بدهان أحمر وقاه أفاعيل الأمطار والعوامل الطبيعية فبقي على روائه ، كما كان حديث الحفر والطلي ، وقد حاولت حك الصباغ بآلة حادة فلم أفلح فصورت الصخر ورسمت الأحرف رسماً دقيقاً واحتفظت بها حتى الآن .

ومرت الأيام وأنا أقوم برحلاتي الشاقة في مجاهل البرازيل مقتحماً أدغالها وأحراجها ، طلباً للمعادن والأحجار شبه الكريمة مردداً ما قاله الشاعر الثائر الياس فرحات :

شرق وغرب فقد يغنى أخو سفر   عن كل ما تجمع الأسفار من حكم
والمرء لا يرتقي معها تلا كتباً   الا اذا احتك بالأفراد والأمم

الى أن بلغتُ ذات يوم هضبة تدعى سيرادى كايابو قائمة الى جانب نهر اراغوايا الشهير عند التخوم التي تفصل بين ولايتي غواياز وماتوغروسو في مزرعة غنية بالمعادن ، وهناك وجدت رسماً محفوراً في صخر أيضاً والى جانبه مجرى ماء وبعض أنجم متكاثفة ، ومن المدهش ان الرسم المطلي بصباغ أحمر زاه لا يؤثر فيه الحك .

وهكذا كنت ألاحظ كل ما هو غريب في المناطق النائية عن العمران ، من آثار حجرية أو كتابات أو رسوم محفورة ، لم تقو يد الطبيعة على محوها على مر الزمان ، وقد حفظت في مجموعتي عدداً وافراً منها .

لقد ابتدأت أبحاث البرازيليين وفي طليعتهم برغرنيوقيدال ، على أثر ادلاء الأب هليودورو بيرمي بنظريته : «ان اميركا هي الأتلنتدا بذاتها» أي أن الجزيرة العظيمة التي ذكرها بلاطون الفيلسوف وهيرودتو من المؤرخين الأقدمين . وان الاميركات قد احتفظت بكل ما دون في الأساطير الأولية ، وانتقل بالرواية عن الاتلنتدا ، وانه اذا أرهف الانسان سمعه ووعى اللغات الهندية وألفاظها ولهجاتها المتعددة تأكد لدى فهمها أنها لا تختلف البتة عن لغة السومريين القدماء ، وقد حافظت هذه اللغة على تسمية المواقع الخطيرة والجبال والأنهر والهضاب وأسماء الأعلام كما تسمت بها القبائل المتعددة ، وأخصها قبيلة الانقا في ولاية براهيبا دو نورثي من أعمال البرازيل ، تلك القبيلة الكبيرة التي خلفت بين ما خلفته من الآثار الكتابات المنقوشة على الصخور الضخمة لكي يراها الرحالة ويشاهدها كل من أراد التعمق في درس هذه المخلفات التاريخية والأثرية واللغوية .

ويقول قيدال : «أين مدنية هنود أميركا من مدنية وحضارة السومريين أجدادهم القدماء ؟ ويستند في تحليله الى اختبارات ودروس عدد من العلماء

الأثريين واللغويين كالأب براسيردي بوربورغ والمستشرق الأب هلاريو دي بارنتون ، والى التاريخ العام الذي وضعه العلامة الألماني قايس كما يستند الى ما جاء في الملحمة العالمية الاسبانية عن التاريخ والآثار الأمريكية والى ما صرح به العلامة البرازيلي ليونسيو دي امارال غورجل سنة ١٩٠٧ في درس قدمه الى المعهد التاريخي الجغرافي في سان باولو جاء فيه :

« لا يسعني الا أن أجاهر باعتقادي الراسخ وهو أن أجزاء العالم كانت فيما مضى متحدة ، وان الاتلنتدا التي يزعم بعضهم أن المياه قد غمرتها على أثر كارثة عظيمة ، لم تكن سوى أميركا التي انفصلت عن العالم القديم وابتعدت عن أوربا وافريقيا ، ودخلت في طور الأساطير والخرافات » .

أميركا قبل التاريخ :

لقد مرّ على العالم ٦٧ قرناً قبل اكتشاف اميركا سنة ١٥٠٠ بعد أن كانت هذه القارة المترامية الأطراف ، في عالم المجهول ، بينما كانت بقية القارات تسير في معارج العمران والحضارة والمدنية .

ومن المحتم في هذا الباب مراجعة تقارير العلوم الطبيعية ، ودرس التوراة وبعض نصوصها التاريخية والميثولوجية لكشف النقاب عن هذا المجهول .

ومن ينظر في تواريخ الأمم يرى أن شعوباً كثيرة كانت ذات شأن في تلك الأزمنة كالبابليين والمصريين والهنود وغيرهم ونقشت أسماء أسرهم الملكية على الأنصاب والأعمدة وفي الهياكل الأثرية القديمة . وكل هـذه التواريخ والحوادث جرت قبل المسيح ، والعلم يرجع بعضها الى عشرات الألوف من السنين وأكثر . واذا عدنا الى ألفي سنة أو ثلاثة آلاف سنة ، عندما بدأت الأسر الملكية في مصر وبابل تتعاقب على الحكم أبدت لنا المقابلة أن آثار المكسيك تحتفظ بأمثلة متعددة تشير الى ان سنة ١٧٨٦ بعد خلق العالم (حسب ميثولوجية

التوراة) شهدت انهطال أمطار غزيرة فأدت الى الطوفان الذي غمر الأرض . وتدل الكتابات التي عثر عليها في المكسيك انه في السنة ٥٢١ بعد هذا الطوفان تأسست مدينة تاباتان أولى المدن المكسيكية . ويقول الجهابذة موتيسبنوس بهذا الصدد « ان مقاطعة بيرو قد ازدهرت بالسكان والعمران في السنة الستمائة بعد الطوفان » .

وبموجب تقدير قبائل الأزتكاس Aztecas يرجع خلق العالم الى عشرين قرناً قبل الطوفان العام .

وقد انتقلت هذه النظرية الى المكسيك من المايا وسموها تاتاثيوه Tanateua ومنها يستدل على الحقبات الأربع التي انتهت بحوادث الطوفان .

فالدور الأول قد انتهى بالزلازل والفاقة ، لأن الأرض لم تنتج ما يكفي سكانها من الغذاء ، وانتهى الدور الثاني بالنار الآكلة التي أرسلتها الآلهة على الأرض فدمرتها . وامتاز الدور الثالث بما اجتاح الأرض من الأعاصير المقوضة . وأما الدور الرابع فكان دور الانغمار بالطوفان .

وفي غضون هذه الأدوار الأربعة كانت القارة الأمريكية متصلة بالعالم القديم فما هو الحادث الذي فصلها عنه ؟ وفي أي زمن جرى ؟

جاء في التوراة (الاصحاح ١٠ — ع ٢٥) : « ولعابر ولد ابنان : اسم الواحد فالج لأن في أيامه قسمت الأرض ، واسم أخيه يقطان » وكلمة فالج العبرانية تعني بالعربية فالق من فلق أي قسم الى شطرين ، واليهود يقولون عن قسمة الأرض بلغتهم « Ki Beyamyô niphelegàh hà Éres » .

والكلمة الثالثة فعل ترجمته باليونانية « Diemeristhé hé Gêpaleg » ومعناه ان الأرض قد شطرت او انقسمت بشدة . فانقسم Pal والارض Eg ، وفي لغة السومريين تجد اللفظ والمعنى عينهما .

وجاء في الاصحاح العاشر عده من (سفر التكوين) ان الأمم قد تفرقت في كل الأرض بعد الطوفان وبعد انقسام الأرض الى أقسام متعددة ، واليها تفرق أبناء نوح بعد الطوفان فمتى حدث ذلك ؟

ولد فالج أو فالق سنة ٤٠٠ للخليقة والطوفان حدث سنة ٢٢٤٧ بعد خلق آدم و ٢٩٥٢ قبل ولادة المسيح . وعلى هذا الأساس يكون حدوث انفصال القارات بعضها عن البعض الآخر قد وقع سنة ٢٦٥٠ بعد آدم او ٢٥٥٢ ق . م . أي قبل عصرنا الحاضر بـ ٢٥ قرناً ، وقد تفرقت الأمم من شنعار الى أقاصي الارض حوالي القرن الواقع بين ٢٨٠٠ و ٢٧٠٠ ق . أي خلال مدة قرن أو قرنين قبل انقسام الأرض حينما تفرق في أجزائها أبناء نوح ، وعاصروا الحادث التاريخي الذي حصل وكان من نتائجه انفصال القارات المتعددة بعضها عن البعض الآخر ، وبينها القارة الأميركية التي أخذت في الابتعاد عن أوربا وافريقية تدريجياً فكان أول انزلاقها حتى درجة العرض من جزر الكنارياس ، وبقيت ثابتة على هذا الوضع ما يزيد على انني عشر الى خمسة عشر قرناً وعرف الأقدمون ، وفي طليعتهم اليونان ، بجزيرة الأتلنتدا ، ويقول البحاثة فيدال أنها عرفت بأرض أبناء آرام وبعدئذ بأمريكا .

واذا نحن أمعنا النظر في هندسة كل قارة على حدة رأينا أولاً ان حدود افريقية حتى التجويف الذي يلي خط الاستواء تلتئم مع التقعس المشاهد في تكوين أميركا الجنوبية على موازاة الدرجة ذاتها . واثباتاً لذلك نرى أيضاً ان كل ما في القارة الأميركية من حيوان ونبات ، يؤيد نظرية انفصال هذه القارة عن الشرق ، وقد عثر الأثريون في بيرو على عظام حيوانات متحجرة منها الأسود مثلاً والمعلوم أن الأسد انقرض من القارات الأمريكية منذ قرون ولم يبق له أثر ، وهو لا يزال كثيراً في افريقية .

حلت بالأرض كوارث طبيعية ذات أثر بعيد ، فغمرتها الثلوج والجليد ، وعرتها زلازل عبثت بوحدة تكوينها فانفلقت وانفتحت فيها حفر وأخاديد عميقة وشقوق واسعة ، غمرها ذوب الثلوج والجليد ، وهكذا نرى أن الأماكن المرتفعة عن سطح المياه بقيت متصلة ولكن حيث بعد مدى انفراج الأخاديد كان الانفصال بالغاً .

واذا نحن حللنا كلة Okéanos التي أطلقت على البحار الكبيرة التي تفصل بين القارات وجدنا معناهـا واضحاً في لغة السومريين فمعنى (O) ماء البحر و (Ki) الأرض ، و (A) مجرى او نحو و (Nu) يحيط .

وعلم اللغة يحدد كلمة Oceano كما يعرفها اليونان « Okeanos Ho Perrireôn tên Oikumenên » .

ومعناها : « النهر الذي تجري مياهه حول الأراضي المأهولة » .

وانزلاق القارة الأميركية وابتعادها عن القارات الأخرى قد حصل تدريجياً ، وهذا ما تؤيده نظرية العالم الألماني الفريد وجنيس Alfred Wegenes القائل بانفصال القارات بعد أن كانت متصلة بافريقية الحالية ، فحركة دوران الأرض وقوة الجاذبية والتيارات الأقيانوسية المتتالية ، الى ما سوى ذلك من القوى التي تعمل على تفكك الكتلة الأرضية كانت عوامل بل أسباباً طبيعية لانفصال أميركا وابتعادها غرباً وتكون الأوقيانوس الأتلنتيكي بحيث شغل المكان الذي كانت قبلاً تشغله أرض أميركا . وما حصـل لأميركا حدث أيضاً لأوستراليا والقطبين الشمالي والجنوبي .

وليس تمدن قبائل المكسيك القديمة وقبائل اوتوميس وناحواس وآزتكا والمايا وكينشز ومويسكا والانكا وايرا وشيبوس سوى استئناف لمدنية الشعوب الأولية التي قطنت الأتلنتدا . وما هذه الأتلنتدا العجيبة سوى أميركا التي ابتعدت عن جزر الكنارياس .

والخطط الذي وضعه سيباستيان مونستر سنة ١٥٤٠ يتضمن أميركا ويشير اليها بالاسم الذي كانت معروفة به في ذلك العصر وهو Nonus Orbis وفي وسط مخطط أميركا الجنوبية تقرأ هذه العبارة : «جزيرة اتلنتكا « Jusula Atlantica, Quam Vocant Brasilii et Americam ». ومعناها : ان الاتلنتدا هي أميركا بما فيها البرازيل .

* * *

الخلاصة :

يستدل من المعلومات المتقدمة ان هجرة أبناء الشرق من السوريين والمصريين وسواهم من القبائل المتعددة قد انتهت الى اميركا ، وفيها أبدعت مدنية لم تختلف في أول أمرها عن مدنية الأمم القديمة ، غير انه بانقطاع سبيل الهجرة أخذت تلك المدنية تتقهقر تدريجياً وخمد نشاط أولئك المغتربين وضؤل ذكاؤهم حتى انتهى أمرهم الى التوحش والتناحر ولا يزال هذا حالهم الى يومنا هذا ١٠ هـ .

جورج لبان

سفر خالد بن الوليد

من العراق الى الشام

-٢-

تفضيل الروايات :

نبدأ أولاً بالروايات التي زعمت أن خالداً دخل الشام عن طريق تدمر وقد اعتمد عليها كايتاني ودي خويه كما سبق بيانه .

أولاً — رواية الواقدي وفيها أن خالداً خرج من سوى الى الكواثل وأتى بعد ذلك قرقيسيا وأرك ، ثم دومة الجندل فقصم فالقريتين فحوارين حتى بلغ مرج راهط والكواثل كما أثبته موسل في خريطته محل ماء واقع على بعد خمسة عشر كيلومتراً غربي ، جنوبي غربي (الميادين) أما قرقيسيا فهي مدينة قديمة واقعة على ضفة الفرات اليسرى في مصب الخابور وذهب موسل الى ان قصم في (خان المنقورة) على طريق (تدمر — دمشق) الروماني على بعد ستين كيلومتراً شرقي ، شمالي شرقي ضمير . وهي Casama الرومانية . وذكرها بوادبار في خريطة المواقع الرومانية في بادية الشام ، بقرية النبك[1] على طريق (حمص — دمشق) الروماني . وقصبة النبك واقعة في منتصف الطريق بين حمص ودمشق . وذكر دوسو أيضاً في كتابه «طبوغرافية سورية التاريخية القديمة والوسطى» في صفحات ٢٦٤ — ٢٦٦ ان Casama هي قصبة النبك وأثبتها في الخريطة المربوطة بكتابه[2] .

---

(١) المجلد الثاني لكتاب (أثر روماني في بادية الشام) يتضمن الخرائط والرسوم والصور.

(٢) Topographie Historique de la Syrie, Par René Dussaud, 1927.

لهذا ينبغي أن نعتبر قصمة أو قصم القصبة الحالية نبك على ما ذهب اليه الكاتبان الفرنسيان الاخصائيان . أما موقع أرك فقد ذكرها ياقوت في معجمه وقال هي مدينة صغيرة في طرف برية حلب قرب تدمر وهي من فتوح خالد ابن الوليد عندما سار من العراق الى الشام . وهي (إرك) الحالية و (Harac) الرومانية في شمالي شرقي تدمر على بعد خمسين كيلومتراً على الطريق الروماني القديم بين تدمر والرصافة . وكان فيها حصن روماني لحراسة الحدود .

ولنبحث الآن في رواية الواقدي ولنتحقق من صحتها . قال الواقدي ان خالداً خرج من سوى الى الكواثل والمسافة بينهما خطاً مائتان وخمسون كيلومتراً . والمسافة بين الكواثل وقرقيسيا ثلاثون كيلومتراً . واذا صدقنا الرواية فيكون خالد قد شرق من سوى الى قرقيسيا وبها بلغ ضفة الفرات ، ثم توجه غرباً الى أرك والمسافة بينهما خطاً مائة وخمسة وثمانون كيلومتراً . وذهب من أرك الى دومة الجندل والمسافة بينهما خطاً خمسمائة وخمسون كيلومتراً ، هذا اذا فرضنا انه توجه الى دومة الجندل رأساً ، متوجهاً نحو الجنوب قاطعاً البادية . وزعم الواقدي ان خالداً سار من دومة الجندل الى قصم والمسافة بينهما خطاً أكثر من خمسمائة كيلومتر . ولم يذهب من قصم الى مرج راهط رأساً بل توجه شرقاً الى القريتين ثم عرج على حوارين وانتهى أخيراً الى مرج راهط . والمحل هذا واقع قريباً من قرية عذراء أو عدرا الحالية على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً شمالي ، شرقي شمالي دمشق . ويبدو من المسافات التي ذكرناها ان خالداً بعد تفويزه الى سوى وقد قرب من دمشق نحواً من مائة وخمسين كيلومتراً وبلغ حدود الشام شرق وغرب ونزل جنوباً وصعد شمالاً . وبذلك قطع أكثر من الف وخمسمائة كيلومتر على أقل تقدير يضاف الى ذلك المدة التي قضاها في القتال والحصار والفتح وعقد الصلح وغير ذلك من الأعمال . وقضى هذا الوقت الطويل مشرقاً ومغرباً تاركاً هدفه الأصلي وهو الاجتماع بالمسلمين في

الشام ، قبل أن يهاجمهم الروم بجموعهم . والذي يدرس الرواية على الخريطة ويثبت الأماكن يتجلى له ان رواة الواقدي حشروا في رواياتهم فتوحاً تمت على يد خالد قبل سفره من العراق وفتوحات أخرى تمت بعد انضمامه الى المسلمين واشتراكه معهم في الحروب التي وقعت سنة ثلاث عشرة هجرية . ومن المعقول أن يتوجه خالد ، بعد وصوله الى سوى ، قاصداً الى الشام ويلاقي جمع غسان في مرج راهط . لهذا اذا نقحنا الرواية من أعمال خالد قبل سفره وأعماله بعد حروبه فى الشام ، تطابق الرواية الواقع وتدل على أنه خرج من سوى وتوجه الى مرج راهط .

ثانياً رواية المدائني : روى المدائني أن خالداً بعد أخذه أمر ابي بكر بالشخوص الى الشام توجه الى صندوداء فقاتل من فيها ، ثم لقي جمعاً في المصيخ والحصيد ثم فوز من قراقر الى سوى ، ثم أتى أرك وتدمر والقريتين وحوارين وقصم حتى انتهى الى مرج راهط . وهو في طريقه هذا يقاتل ويحاصر ويصالح . وبديهي أن الذي يقرأ هذه الرواية ولا يعلم محل قراقر وسوى يظن أن خالداً سار الى الشام على ضفة الفرات اليمنى ، من ناحية البادية أي طريق القوافل من الانبار الى السخنة فأرك ، فتدمر ، فحوارين ، فقصم وانتهى الى مرج راهط وهذه الطريق طويلة وتكثر فيها المياه .

ولنثبت المواقع التي وردت في رواية المدائني . أما صندوداء ولم يثبتها ياقوت واكتفى بذكر الوقعة ، فقال ان خالداً سار يريد الشام فأتى صندوداء وبها قوم من كندة وإياد والعجم فقاتلهم . وثبت موسل صندوداء في محل المشهد الحالي الواقع شرقي الرمادي على بعد خمسة كيلومترات وذكر ابن منقذ في كتابه الاعتبار انها كانت ضاحية من ضواحي الأنبار وذكر كتاب المراصد انهـا في الضفة الغربية للفرات في أعلى الأنبار .

لم تضبط المعاجم والتقاويم المصّيخ والحُصيّد وذكر ياقوت ان المصيخ بين حوران والقلت ، وحوران هذا هو وادي حوران الذي يجري من بادية الشام ويصب في نهر الفرات بين جُبّة وآلوس . وأضاف الى ذلك مُصّيخ بهراء فقال أن خالداً ورده بعد سوى . وذكر عن الحصيد انه موضع بأطراف العراق من جهة الجزيرة . وقال نصر إنه واد بين الكوفة والشام . ولكن موسل استند الى رواية سيف بن عمر الباحث عن فتوح خالد في الفرات الأوسط قبل بلوغه الشام والتي اعتبرها موثوقة لأنها تدل بجملتها على أن رواة سيف كانوا عالمين بجغرافية البلاد حق المعرفة .

ذكر موسل انه لم يجد المصيخ ولكنه ثبت موقع القلت وهو واد صغير يسمى الآن (ابو قلته) يلتقي بالفرات جنوبي هيث . والطريق بين عين التمر والسخنة يقطعه . وما دام موقع المصيخ بين القلت ووادي حوران كما أشار ياقوت أي على الطريق التي سار فيها خالد قبل التقائه بجموع تغلب في المصيخ ، فينبغي ان يكون على هذا الطريق . قال موسل انه لم يجد محلاً باسم المصيخ ولكنه وجد محلاً فيه ماء كثير ، يسمي الآن (عين الأرنب) وكان المحل هذا لقبيلة نمر ورد ذكره في الأغاني[1] . لم يثبت موسل موقع الحصيد ويظهر من رواية سيف التي عرضت لغزوات خالد بين الأنبار وجبل البِشْر أنه أقرب الى عين التمر منه الى المصيخ ، لهذا ينبغي ان يكون شمالي عين التمر وجنوبي القلت .

واذا ما درست رواية المدائني بعد تثبت موقعي صندوداء والمصيخ يتضح ان خالداً لما أخذ أمر ابي بكر لم يتوجه من عين التمر رأساً الى الشام وتوجه أولاً الى صندوداء فقاتل من تجمع فيها ، ثم توجه الى الحصيد والمصيخ ولقي جمع تغلب وغيرهم فيهما وتغلب عليهم ، ثم غير وجهته وذهب الى قراقر ففوز الى سوى .

(١) البادية العربية ص (٣١٠) Arabia Dezerta .

لماذا يتوجه خالد من عين التمر الى صندوداء وقد أراده أبو بكر على الشخوص الى الشام فقطع مسافة تسعين كيلومتراً ؟ ثم توجه الى المصيخ والمسافة بينه وبين صندوداء مائة وخمسون كيلومتراً ، لأنه مرّ بيردان والحنى كما ذكره سيف بن عمر ؛ والطريق الى المصيخ يمر بهما . والمعقول أن يتوجه خالد من عين التمر تواً الى قراقر ، ما لم تبلغه أمور تستدعي حضوره الى صندوداء ورأى انه لا بد من البت فيها قبل السفر . والمسافة بين المصيخ وقراقر خطاً نحو من اربعمائة كيلو متر . واذا وقع هذا فعلاً فإن شخوصه الى أرك بعد تفويزه من قراقر الى سوى لا يمكن قبوله على ما أشرنا الى ذلك حين نقد رواية الواقدي . لهذا ينبغي أن نعتبر أعمال خالد في صندوداء والحصيد والمصيخ أعمالاً قام بها قبل استلامه أمر أبي بكر بالسفر الى الشام . أما أعماله في أرك وتدمر والقريتين وحوارين وقصم فلا بد أنها وقعت بعد انضمامه الى جيش المسلمين وفتح بصرى وأجنادين .

ويفهم من كل ما ذكرناه آنفاً ان زعم القائلين ان خالد بن الوليد شخص من العراق الى الشام عن طريق (أرك ـ تدمر ـ القريتين ـ حوارين) زعم خاطئ . واذا نظر المرء خريطة مواقع الرومان في بادية الشام والمصورات التي وضعها مؤلف كتاب طبوغرافية سورية في القرون القديمة والقرون الوسطى يرى أن أماكن الحصون والقلاع والمخافر التي أقامها الرومان على ذلك الطريق من الفراض الى دمشق منتشرة في شمال الطريق الروماني والى جنوبه وتكاد لا توجد قرية أو بئر الا وعليه حصن أو معقل أو مخفر . صحيح أن الروم كانوا قبل الفتوحات العربية قد تغلبوا على الفرس بقيادة الامبراطور هرقل وانهم لم يعودوا يخشون بأس الفرس ولا سيما وكانت فارس وقتئذ تموج بثورات داخلية وانقلابات ؛ غير ان قبائل تغلب المعادية من جهة ، وسعي الأهلين الى الدفاع عن أموالهم وماشيتهم وامداد الروم لهم من المراكز العسكرية الخطيرة كالفراض

وتدمر والرصافة من جهة أخرى لا تدعو خالداً الى المجازفة بقوته القليلة بالسير في تلك الطريق . يضاف الى ذلك أن قبائل تغلب كانت تستطيع دائماً ، كما أشار موسل ، أن تطمر الآبار في طريق خالد وتفسد ماءها .

فكيف يتسنى لخالد أن يجتاز أرضاً معادية له في سفره من الأنبار الى تدمر والمسافة بينهما خمسمائة كيلومتر ؟ واذا لم يسلك الطريق البعيدة عن ضفة الفرات ، فينبغي له أن يمر بوادي الفرات ويصطدم بالقرى المحصنة ، ويبدو من رواية الواقدي انه لم يجرؤ على مقابلة من تجمع من أهل قرقيسيا بقيادة بطريقها فتركهم وانحاز الى البر . هكذا يتضح مما ذكرناه آنفاً ان الأعمال التي قام بها خالد والتي حدثت في أماكن بعيدة عن طريق سفره الى الشام سواء أكانت طريق (الحيرة ـ قراقر ـ سوى ـ مرج راهط) أم طريق (عين التمر ـ قراقر ـ سوى ـ مرج راهط) ما هي الا فتوحات وقعت قبل سفره أو بعد سفره . وقدمنا القول ان الطرق التي تقطع بادية الشام من الشرق الى الغرب لا يصح الركون اليها في سفر خالد لأن مياهها قليلة لا تستطيع الخيل أن تسير فيها .

السبب الذي حدا بخالد على التفويز :

أي الطريقين سلكهما خالد ؟ طريق (الحيرة أو عين التمر ـ قراقر ـ سوى ـ مرج راهط) او طريق (الحيرة او عين التمر ـ دومة الجندل ـ قراقر ـ سوى ـ مرج راهط) . وما هو السبب الذي حمل خالداً ، بعد بلوغه قراقر ، أن يفوز الى سوى بدلاً من ان يسير في طريق القوافل المارة بوادي السر ، التي تنتهي ببصرى أو بأذرعات ؟

روى ابن اسحق أن خالداً أخذ كتاب ابي بكر في الحيرة فتوجه الى عين التمر ومنها سار الى قراقر ففوز الى سوى ثم توجه الى مرج راهط . لم يذكر ابن اسحق المنازل التي نزل بها خالد بين عين التمر وقراقر . تُرى هل سار

بطريق (عين التمر ـ الأخدمية ـ الخفية ـ الخلط ـ قراقر) التي ذكرها ابن خرداذبه وثبتها موسل بالأسماء الشائعة الآن ، أي (عين التمر ـ شعيب الخَدَمية ـ غدير الخليط ـ خفاية لاهة ـ قراقر) ؛ ام انه سار بطريق (الحيرة ـ الرهيمة ـ البجيث ـ القواي ـ الخنفس ـ الحُسية ـ الغرنقة ـ القراقر) ، وقد ثبته موسل بالاسماء الشائعة كما يلي : (الرهيمة ـ البرّيت ـ غدير الغرابي ـ عمارة الخنفس ـ بريكة أم أحسَيّة) .

أما الطريق الأول وهو الطريق الشمالي فلا يختلف كثيراً عن الطرق الشمالية الأخرى التي تقطع البادية من الشرق الى الغرب لأن الماء فيها قليل لايتأتى لقافلة كبيرة أن تسير عليها ، لا سيما اذا كان فيها خيل . أما الطريق الثانية فمع أنها أحسن من الطريق الأولى فلا يحتمل ان خالداً سلكها . ولو لم يذكر سيف بن عمر والواقدي وموسى بن عقبة ومصعب بن عبد الله في رواياتهم ان خالد بن الوليد مر بدومة الجندل لجاز لنا ان نميل الى أن خالداً سلكها . وقد أيد موسل ان الماء مفقود فيها في مسافة أربعمائة وخمسين كيلومتراً أي من البرّيت الى قراقر ، لهذا من المستبعد جداً ان يمر بها خالد والموسم كما سيتضح لنا بعد حين ، ليس موسم أمطار . اذن لم يبق الا طريق (الحيرة ـ دومة الجندل ـ قراقر ـ سوى ـ مرج راهط) والقسم الأول منه الى قراقر تسير فيه القوافل وفي منازله مياه كثيرة في الآبار والبركات الكبيرة . انه طريق طويل ولكنه أمين

قلنا ان ابن اسحق لم يذكر في روايته المراحل بين عين التمر وقراقر ويدل هذا السكوت على ان خالداً مر بالطريق العادية اي طريق (الحيرة ـ دومة الجندل ـ قراقر) بحيث لم ير الرواة حاجة لذكر المنازل لأنه لم يحدث فيه احداث من قتال او فقدان ماء مما يستدعي أن تبقى محفوظة في محفوظ الرواة

فينقلوها ولا سيما اذا اعتبرنا ان فتح عين التمر الذي ذكره ابن اسحق تمّ قبل ان اخذ خالد كتاب ابي بكر بالسفر الى الشام ·

وهذه الطريق تبدأ من الحيرة مارة بالرهيمة والقرعاء ووقصة وحبكة والصوير وسكاكة والقارة وتنتهي بدومة الجندل ، ثم تمر بوادي السر الى قراقر · والقرى والمياه موفورة في الوادي الذي يعد من الواحات المشهورة في بادية الشام لكثرة المياه فيه · وتبلغ المسافة من الحيرة الى قراقر اكثر من ستمائة وخمسين كيلومتراً ·

ما هو السبب الذي حدا بخالد على ان يترك الجادة بين دومة الجندل وبصرى وهو الطريق الممتدة نحو الشمال الغربي وينحرف من قراقر الى الاتجاه الشمالي ويفوز الى سوى في ارض : «اذا ما سار فيهـا الجيش بكى ما سار فيها من قبل إنسي يرى »

ويبدو من رواية ابن اسحق ان الدليل (رافع) حذّر خالداً من اجتياز هذه المفازة وقال له : «انك لم تطق ذلك بالخيل والأثقال · والله ان الراكب المفرد ليخافها على نفسه ، وما يسلكها الا مغوزاً ، انهـا خمس ليال جياد ، لا يصاب فيها ماء مع مضلتها · » · وعلى الرغم من تحذير رافع هذا لخالد فانه أصرّ على رأيه · ويتضح من رواية سيف بن عمر ان رجال خالد بعد ما سمعوا أقوال رافع ترددوا ، الى أن قام خالد بهم خطيباً ، مشحذاً لهمتهم · لم يذكر ابن اسحق سبب انحراف خالد عن الجادة ولكن سيف بن عمر ذكره بقوله ان خالداً كان يريد طريقاً يخرج به وراء الروم ولا يريد ان يستقبلهم فيمنعونه من غياث المسلمين ·

لا نعلم على وجه الصحة المواقع التي كان المسلمون مجتمعين فيهـا في الشام أثناء سفر خالد · والذي أثبتته الروايات ان خالد بن الوليد لما خرج من مرج راهط وانتهى الى قناة بصرى التقى بالمسلمين فيها · واختلفت الروايات فيمن كان

حاضراً في بصرى . فابن اسحق روى ان اباعبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن ابي سفيان كانوا على بصرى . اما رواية سيف بن عمر فتنص على ان خالد بن الوليد ، وحده فتح بصرى . ولم يذكر الواقدي من كان من المسلمين في بصرى واكتفى بأن قال انه قيل ان خالداً أتى الجابية وبها ابوعبيدة في جماعة ، فالتقيا ومضيا جميعاً الى بصرى . وأما المدائني فتنتهي روايته بوصول خالد الى مرج راهط . وروى موسى بن عقبة ان خالداً قدم الشام وبه يومئذٍ ابو عبيدة . واكتفى اليعقوبي بقوله ان خالداً بعد ان فوز وافى المسلمين فافتتحوا بصرى . وروى اللالطائي ان خالداً خرج من ضمير فوجد المسلمين في الجابية . وذكر ابن عساكر ان أبا بكر أمر خالداً ان يأتي الشام فيلقى بها أبا عبيدة ومن معه من المسلمين . واكتفى ابن خلدون بالقول ووافى خالد المسلمين مكانهم عندما وصل ماهان الروم ايضاً .

لا جرم ان من الصعب اثبات مواقع جند المسلمين في الشام اثناء سفر خالد . اما ان يكون جند المسلمين في الجابية حين وصول خالد الى الشام فلا نحسب انه صحيح ، ومن أشاروا الى ذلك كانوا رواة جعلوا معركة اليرموك في سنة ثلاث عشرة من الهجرة وذكروا أنها كانت بعد وصول خالد الى الشام ، على حين ثبت ان معركة اليرموك وقعت في سنة خمس عشرة وان معركة اجنادين وقعت في جنوبي فلسطين سنة ثلاث عشرة ، أي بعد نجدة خالد جيش المسلمين [1] . ورواية أن اباعبيدة كان في بصرى قبيل وصول خالد اليها ، رواية تحتاج الى تمحيص ، لأن خبر مجيء ابي عبيدة الى الشام في سنة ثلاث عشرة غير متفق عليه . والثابت ان ابا بكر أوفد اباعبيدة الى الشام بعد تسريح الجنود اليها بمدة غير قصيرة . وهناك ما يشير الى أن ابا بكر أراد أن يعقد لأبي عبيدة فاستعفاه من ذلك .

(١) أفضنا في مقال لنا نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي ، (العدد الثاني) .

ذكر البلاذري ان الثابت ان عمر ولّى ابا عبيدة الشام كله حين استخلف . ومن المعلوم ان عمرو بن العاص لما لقي مقاومة عنيفة في جنوبي فلسطين انسحب الى الغمر ، الواقع في وادي العربة في انتظار ورود المدد ؛ ولعل شرحبيل بن حسنة الذي وجهه أبو بكر الى كورة الأردن كان معسكراً قريباً من الغمر . أما يزيد بن ابي سفيان الذي وجهه أبو بكر الى البلقاء فكان يقيم مع جنده فيها ، ينتظر ورود خالد . لهذا نحسب ان خالداً عندما وافى قناة بصرى كان يزيد بن أبي سفيان قد وصل اليها بعد أن بلغه خبر وصول خالد الى الشام . ويجوز ان خالداً بعد وصوله مرج راهط وتغلبه على الغسانيين أرسل رسولاً الى يزيد بن أبي سفيان وطلب اليه أن يتقدم نحو بصرى .

يتراءى لنا أن جند العرب كانت معسكرة في شرقي الأردن من الغمر الى البلقاء . وفي رواية سيف بن عمر أن خالداً كان يريد أن ينفذ الى الشام من محل ليس للروم فيه معاقل وحصون حتى لا تحبسه عن نجدة المسلمين . وقد يسأل سائل لماذا لم ينفذ خالد الى المسلمين ، اذا كان يعلم انهم مرابطون في شرقي الأردن ؟ فيتوجه غرباً من الطريق الأقصر ، والمسافة بين قراقر وموآب (قرب الكرك) مائتان وستون كيلومتراً أي من أربع مرحلات . ويدل صدوف خالد عن الذهاب الى موآب انه علم ان المسلمين لم يكونوا فيها ، وانما تقدموا الى الشمال .

ولا يستطيع خالد أن ينفذ الى المسلمين من هذا الطريق من دون ان يصطدم بالحصون والقلاع والمخافر التي كانت تحمي شرقي الأردن من جهة البادية . ولم تكن هذه البلاد وقتئذٍ تحت سيطرة المسلمين لأنهم كانوا في بداية الفتوح . ويظهر من الروايات ان قصبة موآب لم تفتح الا بعد سقوط بصرى . أضف الى ذلك أن الروم بعد اصطدامهم بالمسلمين في جنوبي فلسطين لا بدّ انهم احتاطوا فسدوا منافذ البادية من جهة الشرق وحثوا أهل البلاد على الدفاع عنها بالاشتراك

معهم . لهذا لا يعقل ان خالداً بعد وصوله الى قراقر متكتماً ، يقتحم بلاد الشام في منطقة لا بد له من الاصطدام بحصونها ومناجزة أهلها . ويتضح من عزمه على النفوذ الى الشام بطريق (قراقر ـ سوى) انه كان يرى مباغتة الروم في النفوذ اليهم من باب لم يتوقعوا ان يتسلل المسلمون منه .

ذكر موسل في كتابه البادية العربية[1] : ان البدو يدخلون الشام من بادية الشام من منفذين : المنفذ الأول في جنوبي غربي بصرى وجبل حوران . والثاني في شمالي شرقي دمشق بين سلسلة الرواق وتلول الاعطيات . وفي المنفذ الأول تحدد شعبان الزرقاء من جهة وجبل حوران من جهة أخرى حركة البدو . لقد اختط خالد في أول الأمر ان يدخل سورية من المنفذ الأول ، ولما علم ان العدو يسدّ منافذه غيّر اتجاهه الى المنفذ الثاني أي انه بمروره بطريق (الحيرة ـ دومة الجندل)[2] أراد أن يسلك وادي السر حتى يبلغ أذرعات وهي باب الشام من الجنوب الشرقي .

واذا سهل الوصول الى المنفذ الأول بالمرور من وادي السرحان وفيه مياه كثيرة ، فمن المتعذر الوصول الى المنفذ الثاني الآ بعد هطول أمطار غزيرة في الشتاء تملأ الأودية والجوابي . شمخ جبل حوران بقممه بين المنفذين المذكورين ، في شرقه المنطقة البركانية المخيفة التي قامت حافتها سوراً أسود يتجه في سمت الشمال .

ويبلغ عرض المنفذ الأول نحو ثلاثين كيلومتراً يحده من الغرب جبال الزرقاء الوعرة ومن الشرق الحمم البركانية ولقد شيدت قلعتا بصرى وعمان وأقيمت حصون الحراني والأزرق والحلابان للدفاع عنه . وكان الروم يحتلون

---

(١) البادية العربية Arabia Dezerta ص (٥٥٧ – ٥٥٨ – ٥٥٩) .
(٢) تشير رواية عبد الوهاب بن مبارك الى ان خالداً سار من الحيرة الى قراقر بطريق دومة الجندل ، ابن عساكر : الجزء الثاني (ص ١٢١٩) .

هذه القلاع والحصون ، وكان العرب المتنصرة يرابطون في أطرافها . ولا بد من أن خالداً علم ذلك من عيونه .

يقع ماء قراقر على الطريق الموصل الى المنفذ الأول ، بينما تقع سوى على الطريق الموصل الى المنفذ الثاني . والذي يسير من قراقر الى سوى يتوجه أولاً الى الشمال الشرقي ويسير خمسين كيلومتراً في منطقة بركانية ، ثم يجتاز مفازة طولها خمسة أيام متوجهاً الى الشمال من دون انحراف . وفي الأيام الأربعة الأولى يشاهد المسافر عن يساره كتلاً من الحمم ، قامت فيها قنن منفردة ، وعرة تهدي خطاه . وفي بداية اليوم الخامس يرى ان الحمم توجهت الى الشمال الغربي نحو المنفذ الثاني . وينبغي له هنا ان يترصد الأطراف بدقة للعثور على الوادي الضحل وفيه آبار (صبع بيار) .

ويظهر مما ذكره موسل ان للقادم من بادية الشام منفذين للدخول الى أرض الشام ، منفذ جنوبي بين جبل حوران في الشرق وجبل عجلون في الغرب ومنفذ في الشمال بين سلسلة الرواق الممتد نحو الشمال الشرقي من ضمير الى تدمر وبين الحرّات التي تبدأ من جنوبي ضمير وتمتد الى الجنوب موازية جبل حوران حتى جنوب قراقر . ويستطيع المسافر المنفرد أو جماعة ان يدخل الى بلاد الشام من محال أخرى ولكن قوة كبيرة فيها فرسان على ظهور الخيل لا تنفذ الى الشام إلاّ من المنفذين المذكورين لأن طريق دومة الجندل وطريق تدمر هما طريق القوافل لنقل التجارات بين العراق والشام .

ويلوح لنا أن خالد بن الوليد اعتزم حين استلامه أمر ابي بكر أن يسير الى الشام من طريق دومة الجندل وكان قد افتتحها في السنة الماضية ووطد أقدام المسلمين فيها ولا بدّ أن أهلها ذكروا له أخبار القتال في جنوبي فلسطين وحشد الروم جيوشهم واستنفارهم للغسانيين . والعرب المتنصرة الآخرين وانزالهم للمرتزقة العرب في بعض الأماكن والحصون . لقد ذكر تثوفانوس ان العرب كانوا

نافرين من بيزنطية لأنها قطعت أعطياتهم بسبب ضعف المالية في الامبراطورية بسبب حرب الفرس • وزعم ان هذه النفرة ساعدت المسلمين على فتوحاتهم • صحيح ان بيزنطية لم تكن في وضع مالي حسن وانها لم تستخدم المرتزقة كالسابق بعد انتصاراتها العظيمة على الفرس في عهد هرقليوس ولكنها حين علمت بغزو العرب جنوبي الشام كان ينبغي لها ان تستخدم بعض المرتزقة وتقدم الأعطيات للغسانيين وغيرهم ممن خدموها في حروبها مع الفرس • وهناك روايات تشير الى ان خالد بن سعيد حينما توغل في مشارف الشام من دون أن يحتاط ، باغته العرب من مناصري الروم وهزموه • ولا يستبعد أن خالداً علم من أهل دومة الجندل أخبار الروم فأدرك أن الدخول الى الشام في المنفذ الجنوبي صعب وأنه ليس من الحزم المجازفة بقوته في اختراق الحصون التي توصد في وجهه باب ذلك المنفذ ، كقلعة بصرى وغيرها • ولعل أخبار الروم وصلته في طريقه من دومة الجندل الى قراقر ، لأن أهل وادي السر كانوا على اتصال مستمر بالشام • ولما وصل قراقر اختمرت في رأسه فكرة الدخول الى الشام من منفذ آخر يخرج منه وراء جموع الروم ، فطلب الى الدليل رافع بن عميرة الطائي أن يدله على الطريق ، فعزم أن يقطعه رغم الصعوبات التي سيلاقيها في طريقه هذا • ونشأت الصعوبة في قطع المفازة بين قراقر وسوى في تدبير الماء للخيل لأنه ليس في المفازة ماء ولأن الوقت ليس موسم الأمطار كما سيظهر لنا •

كيف دبر خالد أمر الماء في قطعه المفازة :

لقد دُبّر أمر الماء على الطريقة التي كانت شائعة في غزوات البدو • والبدو كان من عادتهم اذا اضطروا الى اجتياز مفازات في غزواتهم يجعلون أجواف بعض إبلهم مخازن ماء سيارة ، لا سيما إذا أرادوا أن يباغتوا عدوهم ويخرجوا اليه من أماكن لا يتوقع خروجهم منها • وطريقة تدبير الماء تتلخص

في ارواء الجمال العظام ، السمان المسنة ، بعد أن يظمأن أو يجهدهن العطش وذلك بسقيهن نهلاً وعللاً ، ثم بشد أفواههن حتى لا يجترن فيفسدن ما في كراشهن من الماء .

وفي هذا الصدد ذكر موسل[1] ما يلي : «ان البدوي اذا أراد أن يهيج ظمأ الناقة يأخذها الى محل الماء ويعقلها قريباً منه ويصب الماء في الوعاء الذي تشرب منه ، ثم يضرب الماء براحته ، ويحرضها على الشرب بالشدي (أغنية قصيرة) وبتصفيق خاص . ترى الناقة كل ذلك وتسمعه ولكنها لا تستطيع الوصول الى الماء ، لهذا تمد أذنيها شوقاً الى الماء .. يتدرب كثير من الإبل بهذا التحريض والتصويت وهي تفهم بسليقتها انها تعدُّ لسفر طويل في صحراء قاحلة وان عليها أن تشرب وتعبّ كثيراً . واذا عقلت النوق وسمعت ما اعتادت سماعه من التصفيق والغناء مدت آذانها نحو الماء وأظهرت لهفتها الى الماء بأنين خاص . وبقدر ما يكون الماء قريباً منها فان المرحلة أمامها طويلة وانها لن يعثر فيها على ماء . واذا أحلّ عقالها أسرعت الى الوعاء وشربت جرعات طويلة كبيرة . فيصب صاحبها الماء في الوعاء مادامت تشرب . ثم يبعدها عن الماء ويتركها ترعى .. ولشدة ما يجهدها العطش ، تختلج ، ثم يفك عقالها فتشرب مرةً أخرى . وبهذه الطريقة تشرب الناقة السمينة العظيمة من ستين الى سبعين لتراً من الماء . وأخيراً يشد أفواهها لكيلا ترعى وتجتر فيختلط الماء بالكلأ في أكراشها » . هكذا تُسقى في المرة الأولى نهلاً وفي المرة الثانية عللاً .

ويتضح مما قاله موسل ان كايتاني لم يصدق الروايات القائلة بشق كراش الإبل في كل يوم وشرب ما في كراشها رغم اجماع الرواة . وعد خبر الروايات هذه من نسج الخيال ، وقال انه اذا كان الغرض هو حمل الماء ، فلا حاجة لهذا العمل الفظيع ، لأن الجمل يحمل على ظهره من الماء أكثر مما يشربه مرات .

(١) البادية العربية ، ص (٥٧٠) .

ولكن موسل شجب قول كايتاني قائلاً : ان كايتاني نسي ان القرب كانت مفقودة عند خالد ، لأنه حينما غادر الحيرة لم يأخذ القرب معه ، لأن الطريق التي سار بها من الحيرة الى قراقر كانت عامرة بالمياه للرجال والخيل والجمال • ولكنه حينما اعتزم في قراقر أن يفوز الى سوى كان لا بد له من أن يفكر في سقي الخيل في المفازة لأنها لا تحمل العطش •

والإبل اذا سقيت نهلاً وعللاً على الطريقة المذكورة فانها تحمل العطش • وفي وسع الرجال أن تحمل ماءها على ظهور دوابها • وليست قراقر بلداً توجد فيه القرب وفيها الماء فقط • لهذا استعمل خالد الطريقة الشائعة في البادية • ويبدو مما ذكره موسل أنها لا تزال شائعةً عندهم • واذ لم تكن القرب متيسرة في قراقر حملت الإبل الماء في جوفها بدلاً من أن تحمله على ظهورها • وذكر موسل انه ليس في عمل خالد ذلك شيء يستدعي العجب ، لأن قوته كانت بحاجة الى الطعام ، فالإبل التي تنحر وتشق بطونها يأكل الجند لحومها • أما الماء الذي يستخرج من كراشها فبعد ركوده يصلح لشرب الخيل واذا مامزج بلبن النوق كما أشار اليه سيف بن عمر في روايته يشربه الرجال •

واذا كان عدد الإبل التي استخدمت للماء وللنحر خمسين دابة وشرب كل منها ستين ليتراً من الماء فتكون قد حملت ثلاثة آلاف لتر من الماء ، أي ما يكفي لارواء مائة جواد خمسة أيام • وأضاف موسل قائلاً ان أرض المفازة اذا أمطرت في الشتاء يسقط الجواد على الكلأ وهذا مايجعل ستة لترات من الماء ترويه يومياً •

وبعد أن دبر خالد أمر الماء تقدم نحو سوى • لم يذكر ياقوت اسم سوى أما البكري فقد رسم سوى بفتح أوله ؛ ويظهر مما كتبه انه ماء ولكنه لم يحدد موقعه • وفي بيت للنابغة انه في ديار كلب :

نجالة القنابة أو سوى   مضنة كلب من مياه المناظر ؟

وقد جعله موسل كما تقدم في أرجاء سبع بيار على طريق السيارات بين الرطبة وخان ابي الشامات . وقد شيد الافرنسيون فوق الرابية المشرفة على الشعيب مخفراً للدرك . والمخفر يرى على يمين الطريق للقادم من الرطبة والبدو يلفظونه كما رأى موسل بسكون أوله . وفي رواية لسيف بن عمر ان مُحرز بن جريش المحاربي ولعله من أهل تلك الديار قال لخالد : « اجعل كوكب الصبح على جانبك الأيمن ، أمه تفض الى سوى . » وقد أكد عبد العزيز العقيلي ان المسافر من قراقر اذا وضع نجمة الصباح على جانبه الأيمن يصل الى سبع بيار .

(يتبع) طه الهاشمي

---

(١) بادية العرب ، (ص ٥٥٩) .

تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر؛ مع نقد وتعليق

— ٤ —

٥ً – القمّي المفسر :

ومن بحث هذا الموضوع في هذا العصر القمي حسن بن محمد (٣٧٨) المفسر وقد سبق أن ذكرنا أنه يعالج الموضوع على طريقة المتكلمين أكثر مما يعالجه على طريقه المفسرين . وكان مثالاً لغيره من المفسرين الذين وسعوا ميدان علم التفسير باستمداد بعض براهينهم من علم الكلام وعلم الفلسفة ، وأشرنا الى الفرق بينه وبين الطبري في بحث هذا الموضوع .

وذكر عبد العليم الهندي (في مقالته السابقة) أن القمي يؤكد بأن طبيعة هذه المعجزة يمكن فقط أن تعرف ولا يمكن أن توصف شأن القطعة من الذهب الصافي أو جمال الوجه . وكل شخص – في رأيه – يقول غير هذا وينكره ويحاول أن يبرهن أن الإعجاز كان بالصرفة أو الخروج عن أنواع الكلام المعروفة أو الخلو من التناقض أو الإخبار عن الغيب هو مخطئ مطلقاً .

٦ً – الواسطي الأديب المتكلّم :

يؤلف في هذا العصر أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي (٣٠٦) كتاباً في إعجاز القرآن البياني يقول فيه : إن القرآن معجز بالنظم . والكتاب مفقود ولم أجد من تكلم عن فكرة المؤلف بالتفصيل . وذكره الرافعي فلم يزد على أن قال إنه قد سبق عبد القاهر الجرجاني الى التأليف في هذا الوجه من الإعجاز وإنه أول من جود في هذا المذهب – أي مذهب أن القرآن معجز بالنظم –

ثم تبعه الرماني (٣٨٢) وأنه ـ أي الواسطي ـ بسط القول فيه على طريقتهم في التأليف . وذكر الرافعي كما ذكر عبد العليم الهندي أن الجرجاني شرح كتاب الواسطي شرحاً كبيراً سماه «المعتضد» وشرحاً أصغر منه وذلك قبل أن يضع كتابيه «دلائل الإعجاز» و «أسرار البلاغة» . ويعقب الرافعي على ذلك بقوله : «ولا نظن الواسطي بنى إلا على ما ابتدأه الجاحظ كما بنى عبد القاهر في دلائل الإعجاز على الواسطي» . ومن الواضح أن الرافعي يدلي بحكمه هذا وليس بين يديه كتاب الواسطي (إعجاز القرآن للرافعي ص ١٥٣) . ولا ندري علامَ اعتمد الرافعي في قوله بأن الواسطي هو أول من جوّد في هذا المذهب .

٧ – الرمّاني الأديب المتكلم :

ومن ألف في الاعجاز في هذا العصر علي بن عيسى الرمّاني وقد ذكر كتابه صاحب الفهرست ومنه نسخة في استانبول حصل على نسخة منها عبد العليم الهندي وقال (في مقالته السابقة) : إنه سيطبعها قريباً .

وقد ذكر الرافعي أنه المؤلف الثالث الذي ناصر قضية الأسلوب والنظم بعد الجاحظ والواسطي وقال إنه بذلك رفع الرأي درجة ثالثة . (إعجاز القرآن للرافعي ص ١٥٣) .

وذكر ابن سنان الخفاجي (في كتابه سر الفصاحة) رأي الرماني في الاعجاز فقال إن الرماني جعل مراتب الكلام في تأليفه ثلاثاً : متنافراً ومتلائماً في الطبقة الوسطى ومتلائماً في الطبقة العليا والقرآن كله متلائم في الطبقة العليا وذلك بيّن لمن تأمله والفرق بينه وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى ويفهم من هذا أن الإعجاز عند الرماني يقوم على تلاؤم الألفاظ .

وذكر يحيى اليمني صاحب الطراز رأي الرماني في الإعجاز (كتاب الطراز

ليحيى اليمني ج ٣ بحث الإعجاز ، في نقد المذهب السابع ووجوه الإعجاز) فقال عند نقده مذهب القائلين بأن القرآن معجز ببلاغته : «وإن أرادوا أنه بليغ بالإضافة الى معانيه دون ألفاظه فهو خطأ لأنه صار معجزاً باعتبار ألفاظه ومعانيه جميعاً ، وغالب ظني أن هذا المذهب يحكى عن أبي عيسى الرماني» .

ونرى من هذا أن صاحب الطراز قد ألبس علينا الأمر فلم يتضح من جملته أي مذهب مذهب الرماني في إعجاز القرآن من حيث البلاغة ، أهو مذهب أن البلاغة في المعاني دون الألفاظ ، أم في الألفاظ والمعاني معاً فضلاً عن أنه بنى قوله على غلبة الظن فلا يمكن الاعتماد عليه .

وذكر السيوطي (الاتقان ج ٢ ص ١٩٨ وما بعدها) رأي الرماني فقال إن الإعجاز عنده بالصرفة والإخبار عن الأمور المستقبلة ونقض العادة وقياسه بكل معجزة وإنه فسر نقض العادة باتيان القرآن بطريقة مفردة من النظم خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق بها كل طريقة وتفوق الموزون الذي هو أحسن الكلام وفسر قياسه بكل معجزة بما معناه أنه أدى إلى ما أدت اليه المعجزات من عجز الناس عن الإتيان بمثلها .

ونجد أن السيوطي من بين من ذكروا رأي الرماني هو أقربهم من الصواب في معرفة رأيه . فعبد العليم الهندي لخص رأيه (في مقالته السابقة) فذكر ما ذكره السيوطي وزاد عليه أيضاً أنه معجز لأنه لم يعارضه شخص برغم الدواعي الكثيرة والحاجة الملحة والتحدي العام ثم لاتصافه بالبلاغة التي يمكن إدماجها تحت اسم النظم الحسن الذي ذكره السيوطي .

وقال عبد العليم الهندي بعد أن أورد رأي الرماني : « ونرى هنا كيف أن الرماني جمع بين حجتي الأسلوب والصرفة اللذين ينفي الواحد منهما الآخر وهذه النقطة في التعارض قد ضاعت على مرور الزمن وأصبح يمكن أن يوضع نظريتان متعارضتان جنباً الى جنب» . ثم قال .

« ويعرض ـ أي الرماني ـ في مسألة الأسلوب هذا السؤال وهو : كيف يستطيع المرء أن يكتشف أن أسلوب القرآن فوق طاقة البشر ؟ وأول جواب على هذا أن ذلك يتعلق بذوق الشخص والذين حصلوا على ذوق قويم في الأسلوب العربي هم وحدهم قادرون على التأكد من ذلك وأما العامة والأعاجم فلا يستطيعون التأكد من هذه الحقيقة وإنما يعتمدون على آراء أولي العلم » .

ونلاحظ في رأي الرماني في الإعجاز اتجاهاً جديداً وهو جمعه لكثير من النظريات التي قيلت قبله ، فهو لا يأخذ بناحية وينقد الأخرى أو يرفضها بل يقبل كل ما قيل في الأمر على علاته فكأنه في هذا يوفق بين الآراء المختلفة كما نلاحظ أن تركه مسألة الحكم في المفاضلة بين الأساليب إلى الذوق الأدبي وحده دليل على نضج ذوقه في البيان وحسن فهمه للأدب .

٨ – الخطابي :

ويأتي بعد الرماني معاصره الخطابي (٣٨٨) وهو ممن جمع بين الكلام في البلاغة وعلم الكلام وألف كتاباً في الاعجاز . توجد منه نسخة في ليدن وذكر رأي الخطابي في البلاغة وذكر الرأي نفسه السيوطي قبله في الإتقان ؛ قال السيوطي : (الاتقان ج ٢ ، ص ١٩٨) وقال الخطابي : « ذهب الأكثرون من علماء النظم الى أن وجه الإعجاز فيه من جهة البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها وصغوا فيه الى حكم الذوق ثم يذكر ما مؤداه أن كلام القرآن جمع بين المتضادين الجزالة والسهولة ليكون آية للنبي وإنما عجز العرب عن الإتيان بمثله لأنهم لا يستطيعون أن يحيطوا بالألفاظ في العربية وتأدية المعاني في وجوه الكلام المختلفة وأن القرآن جمع جمال الألفاظ الى حسن النظم وسمو المعاني مجموعة في كلام واحد هو كلام العليم القدير ولم تجتمع في غيره » ثم يعدد ما تضمنه القرآن من المعاني المختلفة بالتفصيل وبخاصة إخباره عن الغيب والأمور المستقبلة . ومن الجميل في رأيه قوله : « وقد قلت في إعجاز القرآن وجهاً ذهب عنه الناس

وهو صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ذوي الروعة والمهابة في حال آخر ما يخلص منه اليه . قال تعالى : «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشيه الله» وقال : «الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم» .

ونلاحظ على الخطابي أنه جمع بين أقوال مختلفة قيلت في القرآن ولكن بعضها لا يناقض بعضاً ويدل جمعه إياها على معرفة عميقة بجمال الكلام وبالبلاغة الحقيقية . وفهمه لما قريب مما نفهمه نحن الآن من صفات الأدب الرفيع : معانٍ سامية وأسلوب محكم جميل وعاطفة قوية تؤثر في القلوب . وقد أنقص من صفات هذا الأدب عنصر الخيال وربما كان ينحل عنده فيدخل قسم منه في المعنى وقسم منه في الأسلوب فيكون مفهومه عن البلاغة قريباً جداً من الكمال .

٩ — العسكري :

يرى أبو هلال العسكري أن إعجاز القرآن ببلاغته ولذلك ارتأى ضرورة دراستها . قال أبو هلال (البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها ، الخولي : ص ٢٨) : «البلاغة إنما تدرس لأن إغفالها يؤدي إلى عدم وقوع العلم بإعجاز القرآن على وجه استدلالي تعليلي والقول في ذلك بالتقليد غير مقبول عنده ولا لائق لأنه قبيح بالفقيه المؤتم به والقارئ المهتدى بهديه والمتكلم المشار إليه في حسن مناظرته وتمام آلته في مجادلته وشدة شكيمته في حجاجه وبالعربي الصليب والقرشي الصريح ألا يعرف إعجاز كتاب الله إلا من الجهة التي يعرفها الزنجي والنبطي وأن يستدل عليه بما استدل به الجاهل الغبي» .

وكتاب ابي هلال في الحقيقة كتاب أدبي لم يخصص لفكرة الإعجاز وإنما لبيان بعض فنون البلاغة وبيان ما يحتويه القرآن الكريم منها وما يحتويه الشعر

ولهذا لا نرى له رأياً صريحاً عن الإعجاز في هذا الكتاب وإنما يستنتج من المقدمة كما قلت أن الإعجاز عنده قائم على البلاغة .

* * *

نقد وتلخيص :

نلاحظ على مؤلفي هـذا العصر (الرابع الهجري) ممن ذكرت آراءهم في الإعجاز آنفاً أنهم لم يأتوا بجديد في الموضوع وإنما دخل ميدان المعركة فيه والكلام عليه طائفة المفسرين فتحدث الطبري عن الفكرة ببساطة وبما يستدعيه فن التفسير من القول وتكلم القمي المفسر كلام المفسر المتأثر بعلم الكلام ثم نرى في هذا العصر ظاهرة جديدة لم تكن واضحة في القرن الثالث وهي أن الأدباء أصبحوا يؤلفون كتباً مستقلة في البلاغة تعنى بالإعجاز وكان مؤلفوها ممن تأثروا قليلاً أو كثيراً بعلم الكلام كالواسطي والرماني والخطابي أو أدباء خُلَّصاً كالعسكري على حين كان الجاحظ في القرن الثالث أديباً ومعتزلياً .

ثم نرى المتكلمين كالأشعري والتوحيدي وبندار الفارسي قد ثابروا على طرق البحث كأسلافهم من قبل كما نشهد هذا العصر لم يخل ممن رموا بما نسميه الآن حرية الفكر كالمتنبي الذي لم ينسب اليه فقط عدم اعتقاده بإعجاز القرآن بل رمي في حداثة سنّه بادّعاء النبوة ومحاولته معارضة القرآن .

القرن الخامس الهجري :

يمتاز هذا العصر بوفرة المتكلمين والمؤلفين في مسألة الإعجاز ويعدّ بحق عصرها الذهبي ولا عجب فإن هـذه المسألة جزء من الحركة الفكرية العامة ومظهر من مظاهرها ، وقد نضجت في هذا العصر العلوم الفلسفية والعقلية بعد أن انقضى دور الترجمة والنقل وانتقل العرب والمسلمون إلى دور الهضم والانتاج كما نضجت العلوم والفنون اللغوية والأدبية . وأشهر من اتهم بالمعارضة فيه قابوس

ابن وشمكير أحد ملوك الديلم ، وابن سينا الفيلسوف ، وأبو العلاء المعري الأديب المفكر المتفلسف . وأشهر علماء الكلام الذين بحثوا هذه المسألة فيه اثنان من الشيعة هما الشريف المرتضى وداعي الدعاة وثلاثة من رجال السنة هم الباقلاني وكان أديباً أيضاً وابن سراقة وابن حزم الأندلسي . وأشهر الأدباء اثنان من رجال البيان : ابن سنان الخفاجي وعبد القاهر الجرجاني وكان من علماء الكلام في أهل السنة أيضاً . وسنورد كلمة في كلّ واحد منهم على الترتيب .

١ – قابوس بن وشمكير :

قيل بأن قابوس بن وشمكير (٤٠٣) عارض القرآن وقد ذكره عبد العليم المندي في جملة من اتهموا بالمعارضة ودافع عنهم بما سبق أن ذكرته قبل . وممن ذكر اتهام قابوس بالمعارضة ودافع عنه الرافعي حيث يقول : « وزعم هؤلاء الملحدة أيضاً أن حِكَم قابوس بن وشمكير وفصصه (وهو شمس المعالي قابوس ابن وشمكير ، من ملوك الديلم على جرجان وطبرستان ، وكان أديباً مترسلاً) هي من بعض معارضته القرآن وكأنهم يحسبون أن كل ما فيه أدب وحكمة وتاريخ وأخبار فتلك سبيله وما ندري لمن كانوا يزعمون مثل هذا . ومثل هذا قولهم : إن القصائد السبع المسماة بالمعلقات هي عندهم معارضة للقرآن بفصاحتها » . وليس بين أيدينا ما يثبت هذه المعارضة .

٢ – ابن سينا :

وقد اتهم في هذا العصر ابن سينا (٤٢٨) بمعارضة القرآن ولم يصلنا ما يستأنس به من نبإ ما اتهم به وقد ذكر الرافعي هذا بدون أن يشير إلى مصدره فقال : « ومن أعجب ما رأيناه أن بعضهم اتهم ابن سينا بمعارضة القرآن لأنه زنديق وأنّ ابن سينا وضع رسالة في دفع هذا الافتراء . قلنا وأين ابن سينا من طور سيناء هذا رجل وهذا جبل (؟) ولكنها عصور الجدل والمكابرة » .

٦ ـ أبو العلاء المعري :

زعم بعضهم أن أبا العلاء المعري(٤٤٩)قد عارض القرآن بكتاب سماه«الفصول والغايات في مجاراة السور والآيات» وأنه قيل له ما هذا إلا جيد غير أنه ليس عليه طلاوة القرآن فقال حتى تصقله الألسن في المحاريب أربعمائة سنة وعند ذلك انظروا كيف يكون ... ومما جاء في كتابه قوله : «أقسم بخالق الليل والريح الهابة بليل بين الشرط ومطالع سهيل إن الكافر لطويل الويل وإن العمر لمكفوف الذيل تعدّ مدارج السيل وطالع التوبة من قبيل تنج وما إخالك بناج» فلفظة ناج هي الغاية وما قبلها فصل مسجوع فيبتدئ بالفصل ثم ينتهي الى الغاية وهذا كما ترى عكس الفواصل في القرآن الكريم لأنها تأتي خواتم لآياته .

وينفي الرافعي التهمة عن المعري لأنه أبصر بنفسه وبطبقة الكلام الذي يعارضه وأعرف بضعفه فهو يستعمل الكلمات الغريبة ويتعثر في الأسلوب ويراغم اللغة الخ فليس مما يعارض به القرآن ولأن المعري أثبت إعجاز القرآن فيما أنكره في رسالته على ابن الراوندي فقال :

«وأجمع ملحد ومهتدٍ وناكب عن الحجة ومقتدٍ أن هذا الكتاب الذي جاء به محمد (ﷺ) كتاب بهر بالإعجاز ولقي عدوه بالأرجاز ما حذي على مثال ولا أشبه غريب الأمثال ما هو من القصيد الموزون ولا في الرجز من سهل وحزون ولا شاكل خطابة العرب ولا سجع الكهنة ذوي الأرب وإن الآية منه أو بعض الآية لتعترض في أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون فتكون فيه كالشهاب المتلألئ في جنح غسق والزهرة البادية في جدوب ذات نسق» .

ويقول الرافعي إنه لم يجبر أبا العلاء المعري أحد على أن يقول هذا القول في إعجاز القرآن فهو لا يقول إلا ما يرى في نفسه وهو وإن كانت له آراء فيما وراء الطبيعة لا تستجيب الدين لكن إدراكه للبلاغة يجعله يقول الحق .

فالرافعي كما ترى يرفض فكرة معارضة المعري للقرآن من أصلها لأنه ردّ على ابن الراوندي بما سبق ويكذب القائلين بها • وليس من مانع في الحقيقة لأن يكون المعرّي فكر في معارضة القرآن وإمكانها في زمن ورأى عدم إمكانها في زمن آخر فالرأي يتغير بتغير الظروف والحالات العقلية والنفسية والمعري في كثير من المسائل الدينية والفلسفية لا يثبت على رأي واحد لأنه يقف في أكثر الأوقات منها موقف الحائر المتردد وقد يجعل الشك سبيلاً الى اليقين •

٤ً ــ الشريف المرتضى :

ألّف الشريف المرتضى (٤٣٦) كتاباً في الإعجاز ضاع ويقول عبد العليم المندي (في مقالته السابقة) فيه ما ترجمته : « وضياع كتاب الشريف المرتضى موجب للأسف لأنه اشتهر شهرة عظيمة وقال بنظريته قبله النظـام فقط • ولو ظفرنا به لرأينا أسلوبه في البرهان على مضمونها • وذكر بعض براهينه غيره من المؤلفين ومن حسن الحظ أن جزءاً من مؤلفه الخاص نفسه في هـذا الموضوع لايزال موجوداً • وكان من عادته أن يجيب على أسئلة تتعلق بالدين والألوهيه من يراسله من الناس ولا تزال مجموعة من رسائله موجودة (CMS. Berlin Ret. 40) وتناقش اثنتان من هذه الرسائل هذه المسألة ونقف بها على آرائه وبراهينه (MS. Berlin Ret. 40. fol. 4 a - 56 and 926. 94 a)

ويقول في موضع آخر من مقالته : « أما القول بالصرفة فكان له من السيد الشريف المرتضى بطل آخر وربما كان آخر رجل يرى ان معجزة القرآن هي فقط بالصرفة ونحن لا ندرك ما يتصل بأقواله في الموضوع لأن كتبه ضاعت ولكنه يذكر في إحدى رسائله (MS. Berlin Ret. 40. fol 46) أن الحجة الأولى هي أن الفرق بين الأقسام الصغيرة في القرآن وأحسن كتابات العرب ليس واضحاً لكل أحد بالرغم من ان الفرق بين كلام العرب الجيد وكلامهم

الردي، واضح وهكذا يكون الطريق الوحيد للبرهان على إعجاز القرآن هو أن العرب لم يأتوا بمثله أو بتعبير آخر هو أن الله صرفهم عن ذلك . ثم يعلق عبد العليم الهندى على القول بالصرفة فيقول : « وهذا الدليل أي الصرفة يوجد عند المتكلمين من أهل الشيعه أكثر منه عند المتكلمين من أهل السنة ـ انظر القطب الراوندي (النصوص العربية) مما يثبت ارتباط هؤلاء الشيعة النظريين بالمعتزلة وبخاصة المتقدمين منهم » .

وقال الرافعي من غير إشارة الى المصدر : « وقال المرتضى من الشيعة : (بل معنى الصرفة أن الله سلبهم العلوم التي يحتاج اليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القرآن) فكأنه يقول إنهم بلغاء يقدرون على مثل النظم والأسلوب ولا يستطيعون ما وراء ذلك مما لبسته ألفاظ القرآن من المعاني إذ لم يكونوا اهل علم ولا كان العلم في زمنهم وهذا رأي بيّن الخلط كما ترى » (ص ١٤٤ ، إعجاز القرآن للرافعي) .

ونلاحظ أن بسط الرافعي رأي المرتضى خطأ لأن معنى سلبهم العلوم أنها كانت موجودةً فيهم فتكون الصرفة بسلبهم العلوم والرافعي فسره بأنهم لم يكونوا بطبيعتهم عارفين بهذه العلوم فإذن لم يسلبهم الله شيئاً فأين الصرفة إذن ويظهر أن سبب هذا الخطأ أن الرافعي فهم من معنى العلوم غير ما يقصده منها المرتضى من أنها العلوم المساعدة على نظم الكلام .

ونلاحظ فرقاً دقيقاً بين رأي النظام في الصرفة ورأي المرتضى فالصرفة عند النظام عدم معارضتهم للقرآن مع قدرتهم عليها والصرفة عند المرتضى عدم قدرتهم عليها لأنهم سلبوا مقوّماتها وما يساعدهم من المعارف عليها بعد أن كانت متأصلة فيهم وقد لاحظ عبد العليم الهندي أن الشريف المرتضى ربما كان آخر من يقول في إعجاز القرآن بالصرفة وحدها دون سبب آخر وليس ذلك صحيحاً فمن الحق أن أكثر من قال بها بعده قد جمعها مع مسألة النظم كالأصفهاني ولكن الخفاجي مثلاً يقول بها فقط .

٥ ـ داعي الدعاة :

وفي هذا الزمن نرى معاصراً لأبي العلاء المعري هو داعي الدعاة [ابو النصر هبة الله الشيرازي الملقب بالمؤيد في الدين] يردّ على دعاوى ابن الراوندي في القرآن ويسعى لإبطالها وقد رأينا أن ابن الراوندي لا يرى عجز العرب عن مجاراة القرآن حين تحدّاهم النبيّ دليلاً على النبوة وأن الفصاحة إذا ألزمت العرب بالإعجاز فهي لا تلزم الأعاجم .

ذكر الأستاذ كراوس (في مجلة الأديب ص ٣٢ سنة ١٩٤٣ — ١٩٤٤ م) أن داعي الدعاة قال في ردّه : « إن الكلام ألفاظ مقدّرة على معانٍ ملائمة لها . والكلام كالجسد والمعنى فيه روحه . ومعلوم أن الأجساد من حيث كونها أجساداً لا تتفاوت تفاوتاً كثيراً . فإنها وإن رجح بعضها على بعض من حيث استقامة النظم وحسن الهندام فهو أمر قريب ، وليس كذلك التفاوت من جهة النفوس التي هي المعاني . فإن نفساً واحدة تقع بوزان الخلق كلهم من حيث افتقار النفوس اليها والحاجة الى الامتيار منها . والقرآن كلام هو بمثابة الجسد . ومعناه روحه الذي كنى الله عنه بالحكمة فلم يذكره في موضع من الكتاب إلا قرنه بالحكمة . وقد قاربت أيها الخصم بالإقرار بكونه معجزاً من حيث لفظه للعرب الذين هم أهل اللسان ثم أردفته بقولك : « فما الحجة على العجم الذين هم ليسوا من اللسان في شيء » . فنقول إن في معناه المكنيّ عنه بالحكمة ما تقوم به الحجة على كل من تنتق بالكلام لسانه على جميع اللغات وسائر العبارات . والحجة فيه أن ما كان ظاهره الذي هو بمنزلة الجسد الذي لا يتفاوت بعضه عن بعض كثير التفاوت بهذه المثابة من الإعجاز فما يقال في معناه الذي هو بمنزلة نفس شريفة تفتقر النفوس اليها كلها فأين موقعها من الإعجاز ؟

ونستنتج من هذا النص أن الإعجاز عند داعي الدعاة قائم على المعنى أكثر

منه على الألفاظ والمعنى عنده هو روح الكتاب الكريم وهو الحكمة فإذا كان القرآن معجزاً للعرب بألفاظه فهو معجز الأعاجم بمعانيه التي هي روح تلك الألفاظ وبهذا يرد على طعن ابن الراوندي في إعجاز القرآن .

٦ — الباقلاني :

ألف القاضي الباقلاني (٤٠٣) كتاباً مشهوراً في الإعجاز رداً على الحركة التي قامت في عهده تعاكس فكرة إعجاز القرآن وصداً لتواني علماء عصره في هذا البحث . وهو عالم من علماء التوحيد ومن أتباع الأشعري وتلاميذ العباس بن مجاهد الطائي الذي كان تلميذاً لذلك الإمام الكبير . ولم يصلنا من مؤلفاته إلا هذا الكتاب وهو خير الكتب التي ألفت في موضوع الإعجاز الى عصره . فقد تعرض فيه الكاتب للنظريات التي قيلت قبله في الإعجاز ونقدها . ثم صوّر حال أهل عصره من حيث عقيدتهم في الدين وفي إعجاز القرآن وبلاغته بصورة خاصة وحاذر من ضعف الدين وفكرة الإعجاز في النفوس . ولما كان للكتاب شأن كبير في تاريخ الفكرة فإني أرى حاجة ماسة الى تلخيص الأفكار والآراء المهمة التي وردت فيه لا سيما وأن المؤلفين بعده قد احتذوا في الغالب مثاله في التأليف . ويتلخص ما أورده فيما يلي :

١ — أن القرآن في نفسه حجة للنبوة ومعجزة وأن الذهاب عنها كالذهاب عن الضروريات والشك في المشاهدات ويورد من القرآن ما يؤيده في هذا المعنى . وهي حجة عامة سبقه اليها غيره من المتكلمين .

٢ — يذكر ما حداه على تأليف كتابه من طعن الملاحدة في القرآن وتسويته بالشعر وتقصير العلماء في الدفاع عن الإعجاز بكتب كافية مما جعل الناس يظنون أنه لا مؤيد لهذه الفكرة .

٣ً – يذكر أن الجاحظ سبق الى وضع كتاب في نظم القرآن ولكنه غير كاف لأنه لم يزد فيه على ما قال المتكلمون قبله ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى . ولكنه لا يذكر كتب الواسطي والرماني والخطابي الذين سبقوه .

٤ً – كان الرأي السائد في عصره أن القرآن معجز لمعاصري النبي من العرب دون سواهم وهو يقول بأنه معجز لكل عصر ويكفي أن نقارنه بغيره من الكلام في كل عصر لنتبين فضله في ذلك (ص ٣ – ٥ من كتابه الإعجاز) .

٥ً – يذكر أثر القرآن في نفوس سامعيه ويستشهد بآيات من القرآن في هذا المعنى ويذكر أنه لا تثبت على عدم إعجازه حجة وأن القرآن تحدى العرب بما هو من لسانهم العربي ولم يأت بأعجمي (ص ٦ من الكتاب المذكور) .

٦ً – القرآن وحده معجز ببلاغته من بين الكتب المنزلة لأن نظمها ليس معجزاً وإعجازها من ناحية إخبارها عن الغيوب فقط وإعجاز القرآن ببيانه ينوب مناب سماع الكلام من القديم سبحانه والنبي يعلم أن ما يوحى اليه كلام الله على طريق الاستدلال وكذلك نحن نعلم ما نقرؤه من هذا على وجه الاستدلال .

٧ً – إذا ثبت أن القرآن معجز وأن الخلق لا يقدرون عليه ثبت أن الذي أتى به غيرهم وأنه إنما يختص بالقدرة عليه من يختص بالقدرة عليهم وأنه صدق وتلتقي هذه النقطة مع الأولى (ص ٩ و ١٠ منه) .

١٠ – الدليل على أن العرب لم يأتوا بمثله النقل المتواتر الذي يقع به العلم الضروري ويردّ على من يقولون بأن العرب ربما لم يعلموا أن النبي تحداهم وأن النبي كتم آيات التحدي عنهم ويسعى ليثبت أن النبي قد بلّغهم إياها وأن في القرآن مايدل على أنهم ردّوا على التحدي بتهمة أن القرآن مخلوق .

٩ً – يورد آيات يجمل بها أقوال المشركين في القرآن وآيات تدل على أنهم كانوا يجادلون (ص ١١) .

١٠ – يحتج بأنه لو كان في استطاعة العرب يومئذ الإتيان بمثله لقدموه من أشعارهم ونثرهم وقارنوه بالقرآن ولكنهم لم يفعلوا ذلك .

١١ – يدرك إعجاز القرآن من كان متناهياً في معرفة وجوه الخطاب وطرق البلاغة ويذكر (ص ١٤) قصة عتبة بن ربيعة حينما سمع النبي يقرأ سورة السجدة وقصة أبي سفيان حين جاء النبي مسلماً .

١٢ – يرد على القائلين بالصرفة ويقول لو كان الأمر كذلك لرأينا مثله في نظم أهل الجاهلية أو من بعدهم وإنما إعجازه لشيء فيه من حسن النظم والبلاغة ولو كان الإعجاز بالصرفة لم يكن القرآن معجزاً بل المنع هو الذي يكون معجزاً (ص ١٥) .

١٣ – يذكر جملة أقوال لمن شكوا في إعجاز القرآن أوردها صاحب الاتقان ويذكر قول القائلين بأنه لا فرق بين كلام البشر وكلام الله تعالى في هذا الباب وأنه يصح في كل منهما على حدّ واحد . (ص ١٧ إعجاز القرآن للباقلاني) .

١٤ – يذكر أن علة إعجاز القرآن البياني التفاوت العظيم في النظم (ص ١٧) الموجود في اللغة العربية دون غيرها لأنها محتملة لوجوه من التلوّن في التعبير وفي دلالة الكلمات والترادف لا توجد في غيرها .

١٥ – يذكر أن بعضهم قال بمعارضة ابن المقفع للقرآن ويقول إن كتابه الدرة اليتيمة ليس فيه فضل لابن المقفع والحِكَم فيه لأسلافه ثم يذكر أنه استحيا لنفسه ومزّقها (ص ١٧) .

١٦ – يتعرض للإعجاز على طريقة علماء الكلام فيتساءل أكان ذلك له لأنه حكاية عن الكلام القديم أو لأنه تعبير (عبارة) عنه أو لأنه قديم في نفسه ويقول في الرد على ذلك : لسنا نقول بأن الحروف قديمة ولا بأنه حكاية عن الكلام القديم . فيكون رأيه إذن أنه تعبير عن الكلام القديم .

١٧ – يقول ادّعى جماعة أنه شعر ومن الملحدة من زعم أن فيه شعراً ومن أهل الملة من يقول إنه كلام مسجع إلا أنه أفصح مما اعتادوه من أسجاعهم

ومنهم من يدّعي أنه كلام موزون فلا يخرج ذلك عن أصناف مايتعارفونه من الخطاب .

١٨ً – يذكر أن ممن ذهب الى ان القرآن غير معجز النظام وعبّاد بن سليمان وهشاماً القرطي (ص ١٦) . ونحن نعلم أنهم يقولون بالصرفة لا بعدم إعجازه مطلقاً .

١٩ً – البديع ليس سبباً في الإعجاز لأنه كثير في شعر أبي تمام وفي استطاعة البشر أن يحذقوه . (الصفحة والكتاب نفسها) .

٢٠ً – يدرك غير العربي إعجاز القرآن باطّلاعه على عجز العرب عنه . ونرى الباقلاّني يدعو للنظر في نصوص القرآن وغيره من ضروب الكلام في اللغة العربية لمعرفة الفرق بينهما وهنا يقول إنه ليس في وسع من لا يعرف العربية ولا من تعلمها ولكن لم يصل فيها الى درجة العلم العميق بالنواحي الدقيقة أن يحكم في هذه المسألة ولكن يجب ان يعتمد على من يستطيع التفريق بين الأسلوب العادي والأسلوب المعجز . ثم يقارن الباقلاّني بين القرآن ورسائل النبي ليبين فرق ما بينهما في البلاغة وأن النبي عاجز عن مثل القرآن ، وهذا يثبت أنه من لدن الله ثم يقارن بين أقوال الصحابة وغيرهم من المتقدمين وبين القرآن فيثبت عجزهم عن مثل أسلوبه ثم يبين سخف كلام مسيلمة وسجاح ثم يتناول الأشعار ليقارن بينها وبين القرآن وليقول ان الشعر دون النثر في جودة الأسلوب لأنه مقيد بالوزن والقافية وان ليس هناك داع الى مقارنة الشعر بالقرآن لأن أسلوب الشعر دون أسلوب النثر ـ ونحن نخالفه في هذا الرأي ـ ثم يذكر أنه إنما لجأ الى مقارنة الشعر بالقرآن لأن قوماً من الجهال يقارنونهما .

ثم يقارن معلقة امرئ القيس أحسن شعرائهم بالقرآن ويبين ما في الاثنين من جمال وما في المعلقة من عيوب ويترك الحكم في هذا الأمر لكل من كان عنده ذوق من الذوق الفني ثم يقارن شعراء عصره بالقرآن فقد يدّعي أحدهم أنه أشعر من امرئ القيس زوراً وبهتاناً . ونحن نخالفه أيضاً في تقديم شعر الأوائل . وقد استغرقت هذه المقارنات نحو نصف الكتاب وينظر بعد ذلك الى أشياء صغيرة تتلخص فيما يلي :

١ً — هل إعجاز القرآن واضح بنفسه ؟ ٢ً — ما هو سبب إعجاز القرآن ٣ً — على أي سند يقوم ؟ ٤ً — مسألة التحدي ٥ً — المدلول الصحيح لكلمة معجز ٦ً — لماذا لا يصح أن يقال إن القرآن من تأليف النبي ·

ثم يذكر شؤوناً أخرى تتعلق بالإعجاز ويأتي بقسم منفصل عن البحث يأتي فيه بأنواع مختلفة من الكلام وأمثلة لها من القرآن ويقول في جملة ما يقول إن الكتابة في هذا الموضوع خطيرة وإنه ليس في مقدور بشر أن يحصر نواحي الجمال الموجود في القرآن ·

٢١ً — يتعرض لمقدار المعجز من القرآن (ص ١١٧ من كتابه) ويذكر قول أبي الحسن الأشعري وعامة أصحابه في أن أقل المعجز أصغر سورة وقول من شرط الآيات الكثيرة في القدر المعجز ونراه يوافق على رأي الأشعري في أن مقدار المعجز هو أصغر سورة ويقول إن تحدي القرآن بقوله « فليأتوا بحديث مثله » لا يخالف هذا لأن الحديث التام لا تتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة ولأنه يحتمل أن يكون المراد بحديث مثله القبيل دون التفصيل ·

٢٢ً — تتلخص وجوه إعجاز القرآن في رأي الباقلاني في ثلاثة براهين وهو مخالف رأي الصرفة · وهذه البراهين الثلاثة هي :

آ — احتواء القرآن على تنبؤات عن المستقبل وهذا خارج عن قدرة البشر ·

ب — كون النبي كان أمياً أمر مسلم به وهو لم يطلع على كتب الأقدمين وقصصهم وتراجمهم ومع هذا فقد ذكر الحوادث الماضية منذ خلق آدم حتى زمنه فليس من منصرف عن القول بأنه تلقى كل هذا رأساً من الله عن طريق الوحي ·

ج — القرآن يتجاوز قدرة البشر في النظم والأسلوب والبلاغة ·

وهذا ما ذكره من تقدموه ويرجع اليه فضل التفصيل فيه وهو قد اعتنى بالتوسع في البرهان الثالث فذكر الأمور الآتية :

١ً — أسلوب القرآن على اختلاف أشكاله خارج عن الأساليب المعروفة وخاص به ·

٢ً — لم يوجد عند العرب أثر أدبي يجاري القرآن في بلاغته بحيث يحفظ فيه جمال الأسلوب ويكون في طوله بقدر القرآن ·

٣ً – عرض القرآن لموضوعات شتى في الحكم والأوامر والنواهي والوعد والوعيد والقصص و كل ما جاء به حتى لا يقارن به أحسن الأشعار والخطب · وانما يجيد الشعراء والخطباء في نوع منها وقد أجاد القرآن فيها كلّها ·

٤ً – نرى أن أقسام الكلام تتفاوت في كتابة أحسن الأدباء حتى اذا كتبوا في موضوع واحد وبخاصة عندما ينتقلون من فكرة الى أخرى ونرى القرآن على خلاف ذلك يجمع النواحي المختلفة فيبرزها بطريقة تظهر فيها أنها وحدة منسجمة ·

٥ً – أسلوب القرآن ليس أعلى فقط من أسلوب الإنس بل من أسلوب الجن أيضاً ويقول بهذا الصدد : ربما قال بعض الناس كيف نحكم بهذا فليس إلا مجرّد ادّعاء لأنه ليس بين أيدينا كلامهم فيقال نحن متأكدون على الأقل من أن أسلوب القرآن أرفع من أسلوب الكلام الذي ينسبه العرب الى الجن ·

٦ً – أساليب الأداء المختلفة الموجودة في كلام العرب من بسط وإيجاز وجمع وتفريق واستعارة وتصريح موجودة في القرآن وهي في القرآن أعلى من تلك اذا قورنت بها ·

٧ً – تأليف كلام في رأي جديد أصعب من تأليف كلمات في رأي مألوف والقرآن يعبر عن أفكار جديدة بطريقة تفوق قدرة البشر ·

٨ً – تظهر جودة نظم القرآن وسمو بلاغته إذا أخذت كلمة منه واستعملتها في كلام آخر شعر أو نثر وتسترعي انتباه القارئ والسامع وقد يدمج البلغاء الجملة من القرآن في كلامهم فتأتي فيه كالجوهر والحلي ·

٩ً – إن حروف الألف باء هي ٢٨ حرفاً والمقاطع التي ابتدئ بها بهذه الحروف في القرآن هي ٢٨ وعدد الحروف المستعملة في هذه البدايات (١٤) أي نصف عدد هذه المقاطع وقد صنف العلماء الحروف فيما بعد في زمن متأخر الى حروف حلقية وغير حلقية ومهموسة ومجهورة ومطبقة ومنفتحة وشديدة وغير شديدة وعدد الحروف المستعملة في هذه البدايات من كل نوع من هذه الأنواع هو نصف عدد النوع فهذا التصنيف في كل هذه الأصناف دليل على معرفة أمور المستقبل معرفة لا يتأتى صدورها إلا من الله ·

١٠ — لغة القرآن سهلة ومدلولاتها تفهم على أيسر وجه ولا تتخللها كلمات أو تراكيب عويصة ومع ذلك فليس في الإمكان مجاراة أسلوبه .

وخصّ الباقلاّني بقية كتابه بالتوسع في هذه الأمور يوردها منظمة حسنة التسلسل والتنظيم قوية الارتباط والكتاب يعدّ بحقّ الحلقة الوسطى في سلسلة الأبحاث التي تسعى لإثبات إعجاز القرآن . والتصانيف الأخرى التي تحمل أفكار سابقيه تنتهي اليه ثم تتفرع منه في شعب مختلفة .

وتتبين من تلخيصنا له قيمته وشمول بحثه والمامه بما قيل حتى زمنه وتناوله لأكثر الآراء بالنقد ويظهر لك من مقارنة المؤلف بين ما ينسبه العرب الى الجن من أقوال وبين القرآن ثم من قوله بفكرة التنصيف في حروف أوائل السور أنه يتناول الأمور أحياناً تناولاً سطحياً لا نوافقه عليه لأنه بعيد عن الروح العلمية التي لا تثبت لها مثل هذه الآراء ، وتدرك أن النظريات الاسلامية في الإعجاز قد أخذت في نهاية القرن الرابع وبداية الخامس نوعاً من الاستقرار سرى على الأعصر التالية فإن علم الكلام كان قد تكامل في هذا الوقت وجهود المتكلمين المتأخرين انتهت الى هذا البناء الذي تم وضعه .

ينتقد الرافعي كتاب الباقلاني (ص ١٥٥ إعجاز القرآن للرافعي) برغم اعترافه بعظم شأنه بما انتقد به الباقلاّني الجاحظ فيقول : « على أن كتاب الباقلاّني وإن كان فيه الجيد الكثير وكان الرجل قد هذّبه وصفّاه وتصنع له إلا أنه لم يملك فيه بادرة عابها هو من غيره ولم يتحاشَ وجهاً من التأليف لم يرضه من سواه وخرج كتابه كما قال هو في كتاب الجاحظ : « فلم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى ومرجع الإعجاز فيه الى الكلام والى شيء من المعارضة البيانية بين جنس وجنس من القول ... وقد حشر إليه أمثلة من كل قبيل ... واستراح الى النقل » وهو يذكر أنه لم يقم بما أخذ على نفسه القيام به ولكنه لا ينكر قيمة الكتاب من حيث وفاؤه بما قصد اليه من أمهات المسائل .

(يتبع) نعيم الحمصي

تاريخ علم الفلك في العراق

وعلاقاته بالأقطار الاسلامية والعربية

(في العهود التالية لأيام العباسيين)

من سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م الى سنة ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م

— ١ —

كلمة

كنت جمعت مذكرات في علم الفلك وما يتعلق به من علوم رياضية وتنجيم ، فتكونت منها مجموعة في تاريخ هذا العلم الا أني لم أقطع بها ، فكانت جولتي الأخيرة في ربوع الشام سنة ١٩٥١ م مصروفة الى تحقيق هذا الغرض والتثبت من درجة اتصال هذا العلم بالقطر الشقيق . والا فلم تكن جولة سائح يدوّن كل ما رأى ، أو ما كانت فيه غرابة ... بل زرت دمشق المحبوبة بأمل إكمال البحث بقدر المستطاع لينكشف أكثر اتماماً (التاريخ العلمي) الذي كنت أحاول تدوينه .

وتختلف نظرتي عمن يحاول معرفة المفردات من الكتب وترتيبها على حروف المعجم ، وعمن يجمع كلّ نوع أو صنف من صنوفها دون تنظيم عصورها ، والتعرف لتاريخ تأليفها ووفيات مؤلفيها ... ولا تعرف هذه العلاقة بما في خزائن الكتب وان كانت المستقى المهمّ . لذا كان للاتصال المباشر بالأقطار الأثر المحمود .

ودمشق عاصمة ثقافية . وتتلوها حلب والقدس الشريف ... وعلماؤنا متصلون بهذه الثقافة في رحلاتهم ، واجازاتهم العلمية ، وفي تلقيح المعرفة ، فيتيسر من هذه الجولة الاطلاع على نواحي الاتصال المهمة جداً . يضاف الى ما كان عندي ، أو ما هو مقتبس من خزائن العراق ومن فهارس الكتب أو من الجولات الاخرى .

حاولت انتزاع ما أمكن مما يتعلق بالشام خاصة اجابة لرغبة الأستاذ رئيس المجمع العلمي العربي ، وعددت من الواجب تلبية رغبته في (وصف المخطوطات) وهي كل التاريخ نظراً للاتصال الوثيق في الأقطار العربية والاسلامية . وفي هذه تحقيق الصلات الثقافية بين الشعوب العربية والاسلامية فعزمت أن أعين علم الفلك في العراق وعلاقاته المهمة بالشام وغيره مما تيسر لي بحثه . لا سيما أن هذه الجولة مرتبطة بأصل البحث . وفيها علاقات جمة بل ان ذلك مما يؤكد الثقافة المشتركة .

وفي بحثي حاولت أن أتصل الاتصال العلمي من وجوهه بقدر الامكان . ومن ذلك الاجازات . وكتب الفلك ظاهرة من ظواهر الثقافة . ومن الضروري التثبت منها . وكانت المخلفات الماضية خير غذاء . وعلى آثارها تجدد النشاط في الفلك . والمهم أن علماءنا قاموا بالمهمة ولم يظهر جديد . ولا ريب أن الاستيعاب صعب . ونواحي الايضاح مما يكشف نوعاً عن تاريخ المعرفة والأمل أن يتزايد الاشتغال .

يعجب المرء أن يرى تقدم هذا العلم في أوائل هذه العهود كما كان في أيام العباسيين ، ويشاهد تجواله في الأقطار الاسلامية ثم يرى ركوداً وتدهوراً ، فلم يأخذ بما وصل اليه من تقدم في الغرب ولولا أن (المهندسخانة) في استنبول وأخذ الترك العثمانيين بالجديد من هذه العلوم لمات هذا العلم عندنا ولم يبق له أثر الا أنه في تجدده لم ينل تلك العناية المشهودة اليوم في الاستفادة منه للملاحة البحرية والطيران وتكوّن أنواع الرصد لتحقيق سير الكواكب وضبط حركاتها .

وفي تاريخ هذا العلم أستعرض المادة العلمية وما فيها من مؤلفات ، والكتب التعليمية وما خدمت به لتسهيل الأخذ بهذه الثقافة ، والسبب الوحيد للقضاء على هذه الثقافة الفتن والاضطرابات المتوالية المستمرة ، فانها ألهت عن الالتفات

الى تقوية الثقافة وزال المنشط من الدول ... فلم تتيسر العودة الى الهدوء والطمأنينة ، ولم تنشأ الأرصاد (المراصد) ، فيبذل لها البذل اللائق . واقتصر المرء على المعرفة (التعليمية) دون جدوى ، ولم يهتم بتكامل العلم .

حصل في هذه الأيام بعض الانتباه ، فظهرت مؤلفات مهمة مثل (علم الفلك وتاريخه عند العرب) ولكنه لم يف بما رسم ، فلم يصل الى نهاية القرن التاسع الهجري . و (التراث العلمي عند العرب) لا يخلو من غمز وان كان من أجل الآثار . و (قاموس الرياضيات) لم يكمل . ونقصه ظاهر وان كان أبدى مؤلفه معرفة وافرة ... و (آداب اللغة العربية) لم يتصل بثقافات العصور الموضوعة البحث ... وخزائن الكتب لم تنظم فهارسها ، أو لم يقم بها علماء استكملوا العدة ... فكل هذه لم تخل من نقص الا أنها بذرت المعرفة . ولها فضل كبير في اعداد العرض .

كشفت هذه التجربة عن ثقافة عظيمة . فكان اشتغال علمائنا كبيراً . وقد عدت من الشام بصفقة رابحة فيما راجعت ، وفيما اقتنيت بما عين الحالة العلمية وما كانت عليه البلاد العربية والاسلامية .

والمهم ألا يهدأ البحث ويستمر في التعليق والاستدراك على ما فات وبذلك تتكامل الثقافة التاريخية . ولا ريب أن مؤلفات علم الفلك نماذج ناطقة بما عرضت . وكلما زادت أعلنت عن زيادة في الثقافة . والكتب ظواهر . والعلوم لم تتصل بنا من كل وجه ، وانما حصل انقطاع أنسانا التعرف الى كثير منها . ورأيت مؤلفات مختلف الأقطار فكان لمخطوطات الشام علاقة بجميع الأقطار الاسلامية والعربية . ومثلها مخطوطات بغداد ، والمخطوطات الأخرى لمختلف خزائن الكتب . والأمل أن يتناول هذا البحث أساتذة أفاضل ليوفوه حقه من التوسع والايضاح والتعليق والاستدراك لما فات .

٢ ـ تاريخ علم الفلك في العراق في عهد المغول والتركمان

من سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م الى سنة ٩٤١ هـ — ١٥٣٤ م

يصعب كثيراً أن نحيط بالمعرفة الفلكية في هذا العهد . فهي واسعة المدى متأثرة بالثقافة العباسية . ويهمنا الانتاج العلمي والأثر والتأثير أو العلاقة بالأقطار . فقد كان هذا العلم شائعاً في المملكة الاسلامية شيوعاً عظيماً . وقد روعي في (بناء بغداد) الطالع . والخلفاء العباسيون تأثروا بالفلك كثيراً . وكان معروفاً في العراق قبل الاسلام . وعناية الخلفاء العباسيين به كبيرة . والعبيديون اتخذوه عقيدة ومثلهم الاسماعيلية في ايران ، وهو من فروع الفلسفة ومن أصول الابطان .

ولما هاجم المغول العراق ، وعزموا على فتح بغداد استطلعوا أمر الطالع وما ألهم ، فتضاربت الفتاوى العلمية في السعد والنحس وما يليه علم الاختيارات . وكان في صحبة هولاكو في هذا الفتح (حسام الدين المنجم) . أوصاه القاآن الأعظم الا يخرج عن رأيه في الفلك ، فجمع هولاكو بينه وبين الخواجة الطوسي لما رأى من اختلاف بينهما ، فكان البخشية في جانب الطوسي ، فرجح هولاكو قوله ومضى في طريق الفتح ، فتمّ له في ٥ صفر سنة ٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م .

استعان المغول بعلمائنا في التنجيم أو علم الاختيارات المسمى بـ (علم الأحكام) وكان استولى هولاكو على بلاد الاسماعيلية في قهستان وألموت من ايران سنة ٦٥٤ هـ — ١٢٥٧ م وغنم منها آلات في الاسطرلاب والحلق وذات الكرمي . . .

وعند فتح بغداد جيء بشهاب الدين سليمان شاه بن برجم من رجال الدولة العباسية . قال له هولاكو : لك علم بالتنجيم وسير الكواكب والسعد والنحس ، فكيف غاب عنك هذا اليوم الأسود ؟ فأمر بقتله . وهذا يدل على الاتصال بهذا العلم ، ولم ينقطع من الدولة العباسية .

وفي جمادى الأولى سنة ٦٥٧ هـ — ١٢٥٩ م أمر هولاكو (ببناء رصد)

في مراغة تولاه الخواجة الطوسي ، وجلب له العلماء من مختلف الأقطار الاسلامية للاستعانة بهم . ومن العلماء الذين قاموا بهذه المهمة :

١ — الخواجة الطوسي نفسه .

٢ — الكاتب القزويني . من ايران .

٣ — ركن الدين الاسترابادي . من الموصل .

٤ — الفخر الخلاطي . من بتليس (بدليس) .

٥ — المؤيد العرضي . من دمشق .

٦ — الفخر المراغي . من الموصل .

٧ — محيي الدين المغربي .

٨ — قطب الدين الشيرازي .

٩ — شمس الدين الشرواني .

١٠ — الشيخ كمال الدين الايجي .

١١ — حسام الدين الشامي .

١٢ — نجم الدين الاسطرلابي .

١٣ — صدر الدين علي ابن الخواجة الطوسي .

١٤ — نجم الدين الكاتب البغدادي .

١٥ — قومنجي (تومه جي) الصيني الملقب (سينك سينك) أي العارف .

١٦ — ابن الفوطي .

١٧ — أصيل الدين حسن بن الخواجة الطوسي .

وعلماء كثيرون من تلامذة هؤلاء عملوا في الرصد . ولا شك أن هؤلاء جمهرة من العلماء قلّ أن تملك أمة هذا العدد . وليسوا كل ما نملك . ولكل نصيب في هذا العمل . وللاحتكاك العلمي بهذه المجموعة قيمته العظيمة ، فظهرت مواهب هؤلاء ومن تبعهم فكانت ثروة لا تقدر . جمع الخواجة الطوسي بين معارف

أهل الأقطار ، فحصل التلقيح العلمي بنتيجة هذا الاحتكاك . ومع هذا نرى التقي محمد بن زين الدين معروف الراصد المتوفى سنة ٩٩٣ هـ يقول في كتابه (سدرة المنتهى) : ان الخواجة الطوسي لم يكن رصده بمراغة جيداً لاشتغاله بالوزارة وتسليمه الرصد الى من لا يساويه أو يقاربه في الفضيلة . وأعتقد أن هذا مبالغ فيه بل ليس بصواب لأن للزمن دخلاً في ظهور النقص في الزيج الايلخاني . لا نشعر به في حينه وانما يظهر بعد مدة طويلة كما ظهر أيام أولوغ بك . وهذا ظهر الخلل فيه أيضاً بعد مدة . وهكذا كان شأن الأزياج الأخرى . فهي في تعديل وتصحيح على الدوام حتى ظهرت الأزياج الجديدة بسبب انقان آلاتها مثل زيج كاسيني ثم زيج لالاند ...

لم نستفد من العالم الصيني الذي اشترك في الرصد ولا من البخشية أي السحرة والروحانيين من المغول . وانما تكامل بعلمائنا وبما خلفناه من كتب . وكان ابن الفوطي من كتاب الزيج ولا يزال الزيج بخطه في خزانة باريس الوطنية . ولعله أصل الزيج الايلخاني . وكان خازن كتب مراغة . فنرى العلاقة بالعراق واضحة . وان المدارس العلمية ترعى الثقافة . والشام لا تقل عن بغداد . والمؤيد العرضي كان من أكابر علماء الفلك . ولا يزال أثره في الرصد وآلاته وأسباب عمله مشهوداً . ومنه نسخة في خزانة مدرسة السپهسالار . ورد ذكرها في (فهرس دانشكده معقول ومنقول) وكتب الجزيرة والشام جلبت الى مراغة وأضيفت الى خزانة كتبها . ويقدر المجموع بأربعمائة الف كتاب . وللأقطار العربية والاسلامية نصيب في الاشتغال في الرصد المذكور .

ونشأ علم الفلك في العراق أوائل الدولة العباسية ، وبنيت أرصاد . وعني بها عناية كبيرة . ومن بغداد انتشر في الأقطار ، فتكونت معاهد علمية ضارعت ما في الدولة العباسية . وزاد نشاطها في ايران وفي مصر والشام في عهد العبيديين .

وفي أيام المغول ازدهر علم الفلك بعد أن أصابته جفوة ، وبني الرصد . وخصص له من ربع الوقوف (العشر) . وظهر في العراق جماعة من علماء الفلك كانوا أقرب الى الاتصال بما جرى في ايران بل ان العراق وايران والمملكة التركية في ما وراء النهر وفي الأناضول متصلات بعضها ببعض ، وحكومتها واحدة . والمطالب العلمية مشتركة لا سيما بغداد وكانت عاصمة الدولة المغولية في الشتاء كما كانت تبريز عاصمة المغول صيفاً . ويعول غذاء العراق على مخلفات أسلافه ، ولم يغفل عن التطور الجديد بفضل المدارس وما فيها من أساتذة .

١ ــ مشاهير علماء الفلك في العراق أيام المغول والتركمان :

١ ــ الخواجة نصير الدين الطوسي :

هو الخواجة نصير الدين محمد بن محمد الطوسي . كان رأساً في علم الفلك والرياضيات والتنجيم في بلاد الاسماعيلية النزارية ، وفي ايران والعراق . ولد سنة ٥٩٧ هـ ــ ١٢٠١ م . وقد جمع العلماء من مختلف الأقطار للعمل في الرصد . وقام بنشاط علمي ، فتكاملت الثقافة وأثرت في الأقطار الاسلامية بعد أن كانت في خمود وخمول ، فيعد مجدداً لها . وهو صدر الوقوف ببغداد ولم ينقطع عن الاتصال بها .

ومن مؤلفاته في الفلك :

١ ــ مجموعة رسائله . وعدتها ١٦ رسالة . في مجلدين طبعت في مطبعة المعارف العثمانية في عاصمة حيدر آباد الدكن سنة ١٢٥٩ هـ ومنها ما كان كتبه الخواجة ومنها ما كتبه رأساً . ومن هذه الرسائل جملة في خزانة المجلس الملي الايراني . وبينها ما لم يحرّر . وعندي بعض المخطوط منها .

٢ ــ تحرير المجسطي في الهيئة . قدمه الخواجة الى حسام الدين بن حسن السيواسي في بلاد الأناضول عندي نسخة منه . ومنه نسخ في خزانة أياصوفيا . والأصل لبطلميوس . نقله كثيرون الى اللغة العربية . ومن شروحه :

١) شرح شمس الدين السمرقندي . منه نسخة في خزانة المجلس .
٢) شرح لبعض المتأخرين لم يتعين مؤلفه . أوله: الحمد لله الأول بلا ابتداء ...
٣) لخصه ابن أبي الشكر المغربي . ألفه لأبي الفرج ابن العبري صاحب تاريخ مختصر الدول .
٤) تفسير التحرير . للنظام الأعرج النيسابوري فرغ من تأليفه سنة ٧٠٤ .

٣ — تحرير أوقليدس . في الهندسة والحساب . منه نسخة في أياصوفيا وأخرى في خزانة المجلس . وعندي نسخ عديدة منه . نقله الى العربية كثيرون فجاء هذا التحرير مهماً .

٤ — التذكرة في الهيئة . جامعة لمسائل الفن . ولم يقلّ الاشتغال بها إلاّ بعد ظهور (الملخص) للجغميني . ومن شروح التذكرة :

١) شرح الشريفي . من العلماء المعاصرين للخواجة .
٢) شرح قطب الدين الشيرازي .
٣) شرح النظام الأعرج . ويسمى (توضيح التذكرة) . ومنه نسخ في الأزهر وفي المجلس الايراني . وعندي نسخة أيضاً كتبت سنة ١١٣٨ هـ .
٤) شرح الشريف الجرجاني . ومنه نسخ في خزانة الآثار ببغداد وفي برلين وأياصوفيا .
٥) شرح البرجندي . منه نسخة في المجلس الايراني .
٦) شرح الخفري . اعتمد شرح الشريفي ونقل منه ومن غيره . وسماه (التكملة في شرح التذكرة) . منه نسخة في خزانة الآثار ببغداد .

٥ — الزيج الايلخاني . اشترك فيه جماعة . كتبه بالفارسية . ونوّه باسم جنكزخان وأولاده وصرح باسم السلطان هولاكو . قال الخواجة : انه من طوس . وصار الى همذان . فأخرجه هولاكو من هناك ، واختاره لعمل الرصد ، فطلب العارفين به . وكانت الأزياج قبله كثيرة . والمعروف أو الموجود منها :

١) زيج البتّاني . ويقال له (زيج الصابي) أو (الزيج الجامع) . طبع

في روما سنة ١٨٩٩ م . وجاء كوشيار فأوضح ما فيه وسماه (اللامع في أمثلة الزيج الجامع) .

٢) الزيج الشامل . للبوزجاني .

٣) الزيج الحاكمي . لابن يونس . منه نسخة في الخزانة الأهلية بباريس .

٤) زيج حبش . منه نسخة في خزانة برلين . وله ثلاثة أزياج . الممتحن ومنه نسخة في (بكي جامع) وفي كمبرج ، والمأموني على مذهب (سند هند) ، وزيج الشاه . وهو الزيج الصغير .

٥) زيج الخوارزمي .

٦) الزيج السنجري . منه نسخة في الفاتيكان . وهو لعبد الرحمن الخازني .

٧) زيج عمر الخيام . ويقال له (الزيج الملكشاهي) .

٨) زيج المجريطي .

٩) زيج أبي القاسم بن محفوظ المنجم البغدادي . منه نسخة في خزانة باريس الأهلية . وقد وهم صاحب (گاه شماري) في أنه كان تأليفه سنة ٦٨٣ هـ — ٦٨٤ هـ . فان هذا التاريخ يشير الى زمن نسخه .

وهناك أزياج أخرى ذكرها صاحب (علم الفلك وتاريخه عند العرب) ، وصاحب (التراث العلمي) ، وصاحب (گاه شماري) وصاحب (كشف الظنون) . كان من آخرها (الزيج الشاهي) والظاهر أنه كتبه لإمام الاسماعيلية في ألموت (ركن الدين خورشاه) . اختصره نجم الدين ابن اللبودي . وسماه (الزيج الزاهي) . وله أيضاً (الزيج المقرب المبني على الرصد المجرب) .

هذا والزيج الايلخاني منه نسخ عديدة . منها نسخة رأيتها عند الأستاذ أحمد عبيد صاحب المكتبة المعروفة بدمشق . ومنه نسخة في الظاهرية ، وفي كمبرج ، وفي الخزنة الوطنية بباريس وهي بخط أصيل الدين حسن ابن الخواجة الطوسي ، وعلى هذا الزيج نظرات علمية عديدة لما أحرز من مكانة .

١) شرحه حسين بن محمد النيسابوري القمي المعروف بـ (نظـام) وسماه (كشف الحقائق) .

٢) شرحه حسن بن حسين شاه السمناني سنة ٧٩٦هـ . ومنه نسخة في خزانة لندن .

٣) لخصه علي شاه بن محمد بن القاسم المعروف بـ (علاء المنجم) الخوارزمي . وسماه (عمدة الايلخانية) .

٤) زيج الوابكنى . كتب زيجه على أساس الزيج الايلخاني . وسماه (الزيج المحقق السلطاني على أصول الرصد الايلخاني) منه نسخة في اياصوفيا . وينسب الى القطب الشيرازي .

ومن الأزياج :

١ — الزيج الأشرفي . فارسي منه نسخة في الخزانة الوطنية بباريس . ألفه سنة ٧٠٢ هـ .

٢ — الزيج الخاقاني في تكميل الزيج الايلخاني . فارسي . لغياث الدين جمشيد الكاشي . عندي نسختان منه احداهما تنقص الورقة الأولى . والأخرى كاملة .

وهذه الأزياج والشروح جاءت مكملة وموضحة أو مختصرة للزيج الأيلخاني ولم ينسخ الزيج الايلخاني الا بالزيج الأولوغ بيكي على ما يأتي في محله .

٦ — الزبدة في الهيئة . من مؤلفات الخواجة . فارسية . طبعت . ومنها نسخة خطية في المجلس الايراني .

٧ — بيست باب . فارسي في الاسطرلاب . عندي مخطوطة منه . ومنه في أياصوفيا وخزائن كتب عديدة . ومن شروحه :

١) شرح البرجندي . ومنه نسخة في خزانة المجلس .

٢) لخصه البهاء العاملي ولم يشر الى ذلك . ونقل الداغستاني الى العربية رسالة البهاء ولم يصرح باسمه .

وفي المجمع العلمي في بطرسبورج آلة اسطرلاب تعزى الى الخواجة الطوسي

وأنه كان يعمل بها . واذا صح فهي من غنائم الموت من الاسماعيلية هناك كانت مما غنمه منها عطا ملك الجويني حين فتح هولاكو بلادهم سنة ٦٥٤ هـ .

٨ – الرسالة المعينية في الهيئة . وتسمى بـ (المفيد) ونسخة في المجلس الايراني وغيره . وطبعت في ايران .

٩ – رسالة حلّ ما لا ينحل . في توضيح الرسالة المعينية . طبعت أيضاً .

١٠ – كتاب الثمرة . ترجمه الى الفارسية باشارة من الصاحب بهاء الدين محمد الجويني . وان احمد بن يوسف الطولوني المهندس شرحه باللغة العربية .

١١ – سي فصل . فارسي في الهيئة والتقويم . وشرحه :

١) بدر الدين الطبري سنة ٨٢٤ هـ .

٢) ميرزا محمد رضا المستوفي المعاصر للشاه عباس الأول . الفه سنة ١٠٦٩ هـ منه نسخة في خزانة المجلس .

٣) كتاب ربيع المنجمين . فارسي منه نسخة في المجلس الايراني .

١٢ – المختصر في علم التنجيم ومعرفة التقويم . منه نسخة خطية باللغة العربية لم يعرف شارحها في خزانة برلين .

١٣ – رسالة مختصرة في الاسطرلاب . فارسية تحتوي على ١٥ فصلاً . عندي مخطوطة منها ضمن مجموعة .

هذه أشهر مؤلفات الخواجة الطوسي . ويعدّ من أكابر المشتغلين بالفلك والرياضيات من فروع الفلسفة الأفلاطونية . قطع الاسماعيلية بصحة هذه العلوم واعتبروها عقيدة فلم ينفك منها الطوسي . والغرض المعرفة العلمية . وهي حاصلة . وكان هولاكو يعتقد بصحة التنجيم مثلهم . ولذا قربه هولاكو خان . وتظهر قيمة مؤلفاته من عناية كثير من العلماء بها . واذا كانت فقدت هذه العلوم مكانتها العلمية بعض الشيء فانها لم تفقد مكانتها التاريخية . ولا صلتها بالعقائد العقلية . وعلاقة الخواجة الطوسي بالعراق تبدأ من أيام اكتساح هولاكو

العراق ودامت متصلة ، فنال منصب صدر الوقوف بعد الأستاذ صفي الدين الأرموي . ورد العراق مراراً وأخذ كتبها لخزانة رصد مراغة .

٢ — رضي الدين بن طاووس :

لم تكن الرغبة في التنجيم بسبب المغول . وكذلك الأمر في علم الفلك . وانما تمكنت من أوائل الدولة العباسية أيام الخليفة ابي جعفر المنصور . ولم تكن عقيدة بل ساق الى قبولها الدافع العلمي . وصارت تعتبر عقيدة عند الباطنية أمثال الاسماعيلية في ألموت وفي رجالهم الآخرين . وهكذا كان شأنها في أيام المغول ، فلم يخرجوا عن أحكام النجوم وما يوحيه التنجيم .

ومهما كان الاتجاه علمياً أو مذهبياً فلم ينقطع هذا الاتجاه بالتنجيم حتى أواخر الدولة العباسية وجاء المغول فزادوا العناية به . والعراق لم يخل من أمثال هؤلاء ممن اشتركوا في بناء الرصد . وممن ذكرت له المعرفة بالتنجيم الموفق ابن الفوطي . ومال الى ذلك كثير من العلماء . ولعله مقرون بالفلك ملازم له . ومن هؤلاء (رضي الدين علي بن طاووس) .

كان من العلماء المعروفين . وله اشتغال بالتنجيم وتاريخه . ذكرته في تاريخ العراق بين احتلالين . ومن مؤلفاته :

١ — فرج المهموم في أحكام النجوم . فيه فوائد تاريخية ، وطبع في النجف إلا ان طبعته مغلوطة .

٢ — الملاحم والفتن .

وفي الذريعة جاء ذكر مؤلفاته في مختلف مجلداتها . توفي سنة ٦٦٤ هـ عن نحو ٧٣ عاماً [١] .

٣ — أبو الحسن اليشكري .

هو علاء الدين أبو الحسن علي بن محمود بن حسن بن نبهان بن سند اليشكري

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٢٦١ .

الربعي البغدادي الأصل البصري المولد . كان منجماً وشاعراً . ولد سنة ٥٧٥ هـ . وكانت له اليد الطولى في الفلك وحلّ التقاويم مع النظم وحسن الخط . توفي سنة ٦٨٠ هـ بدمشق [١] .

٤ — ابراهيم بن ممدود الجلاد الموصلي :

أستاذ في الفلك . عثرنا على تقريظ له لكتاب (منهج الطلاب في العمل بالاسطرلاب) . وهذا الكتاب للملك الأشرف عمر بن الملك المظفر يوسف من سلاطين الدولة الرسولية . قرظه المترجم سنة ٦٩٢ هـ وقبلها ، فقال :

« شهدت له بالجودة في الصناعة ووضعت له خطي هذا شاهداً على صحة ذلك . وأجزت له أن يعمل ما شاء من الاسطرلابات . فهو عندي صحيح العمل لما وثقت من جودة معرفته وذكائه وفطنته واختباري له من ذلك . » اهـ [٢] .

ومنه نسخة في خزانة المجلس الايراني ، وأخرى في خزانة الأستاذ احمد تيمور باشا رحمه الله . وممن قرظه حسن بن علي الفهري المظفري نسبة الى الملك المظفر والد المؤلف [٣] .

٥ — نور الدين الساعاتي :

هو علي بن تغلب الساعاتي . والد صاحب مجمع البحرين في الفقه الحنفي (أحمد ابن الساعاتي) . كان يتولى تدبير الساعات في المستنصرية . ولد سنة ٦٠١ هـ . وعمل الساعات المشهورة على باب المستنصرية ببغداد . وكان مشتهراً في الهيئة والنجوم وعمل الساعات .

وجاء وصف هذه الساعات في الكتاب المنسوب الى ابن الفوطي بما نصه : « وصوّر فيها ـ في المستنصرية ـ صورة الفلك ، وجعل فيها طاقات لطافاً ،

(١) فوات الوفيات ج ٢ ص ١٠٧ والسلوك للمقريزي ج ١ ص ٧٠٥ وتاريخ العراق ج ١ ص ٣٠٢ .
(٢) خزانة المجلس الايراني ج ٢ ص ٨١ .
(٣) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٢٧ ص ٥٢ وهناك تفصيل .

لها أبواب لطيفة . وفي الدائرة بازان من ذهب في طاستين من ذهب ، ووراءهما بندقتان ، وكل ما سقطت بندقة انفتح باب من أبواب تلك الطاقات . والباب من ذهب ، فيصير حينئذ مفضضاً . واذا وقعت البندقتان في الطاستين تذهبان الى مواضعها ، ثم تطلع أقمار من ذهب في سماء ازوردية في ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقية وتدور مع دورانها ، وتغيب مع غيبوبتها . فاذا جاء الليل فهناك أقمار طالعة من ضوء خلفها . كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر . ثم يبتدئ في الدائرة الأخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس ، فيعلم بذلك أوقات الصلاة . ونظم الشعراء بذلك أشعاراً ...» اه[1] .

٦ — ظهير الدين الكازروني :

عالم بغدادي مؤرخ كاتب له عناية كبيرة بالعلوم الرياضية لا سيما الحساب . وهو الشيخ ظهير الدين علي بن محمد الكازروني . كان حيسوباً . وعرفت له مزايا علمية وأدبية وتاريخية ومن مؤلفاته في الرياضيات :

١ — كنز الحساب . في مجلد واحد . جاء ذكره في كشف الظنون باسم (وكر الحساب في الحساب) . والأصل هو المعروف . وأعتقد أن الثاني تصحيفه . توفي سنة ٦٩٧ هـ — ١٢٦٧ م[2] .

٧ — أصيل الدين بن الخواجة الطوسي :

من الأفاضل . كان له اطلاع كبير في (الاختيارات) أو (الأحكام) . فهو من أهل التنجيم البارزين . تلقى من والده ، وسكن العراق أمداً طويلاً . وتوفي سنة ٧١٥ هـ[3] .

---

(١) التاريخ المنسوب للفوطي ص ٨٣ وفي رحلة ابن جبير وصف مثل هذه الساعة .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٣٨٠ وطبقات السبكي ج ٦ ص ٢٤٢ والدرر الكامنة ج ٢ ص ١١٩ .

(٣) عقد الجمان والشذرات ج ٦ ص ٣٥ وتاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٤٣٧ .

٨ — ركن الدين الاستراباذي :

تلميذ الطوسي . أبو الفضائل . كان يعيد دروس النصير في الحكمة . واشترك في الرصد . ويعدّ من أكابر رجال الفلك المعدودين . وفي الشذرات ان الطوسي جعله رئيس أصحابه بمراغة . ويعيد دروس الحكمة . ثم انتقل الى الموصل ، ودرّس بالنورية . وذكر وفاته في سنة ٧١٥ هـ وفي حوادث سنة ٧١٨ هـ . وفي (الفلاكة والمفلوكون) بيّن هذا التاريخ[١] .

٩ — الخطائي البغدادي :

العلامة الحكيم علاء الدين علي بن تبان بن مختار البغدادي . ويعرف بالخطائي . كان فاضلاً في العلوم الرياضية والطبّ . سكن حماة وقرأ عليه ملكها المؤيد اسماعيل بن علي كتاب (التذكرة) في الهيئة للخواجة الطوسي[٢] . وله :

١ — تقويم الكواكب السيارة . ورد في خزانة جامع الأزهر (الخطابي) وصوابه الخطائي . أوله : الحمد لله تعالى . اعلم ان طريق التقويم من هذه الجداول ... والمعتقد ان مما يتمه (جداول اتصالات الكواكب السيارة) . ومنه نسخة في الجامع الأزهر أيضاً .

١٠ — ابن الخوام البغدادي :

طبيب ورياضي فلكي . وهو من أكابر العلماء في الرياضيات . ولم يذكر في التراث العلمي . وانما نعته بالبغدادي ولم يكن من عصر الخواجة الطوسي . ومن مؤلفاته :

١ — كتاب الفوائد البهائية في القواعد الحسابية . وشرحه :

١) كمال الدين حسين الفارسي وسماه (أساس القواعد في أصول الفوائد) .

---

(١) الشذرات ج ٦ وتاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٤٣٦ والفلاكة والمفلوكون ص ١١١ وتاريخ العبر للذهبي .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٤٥٩ عن عقد الجمان ج ٢٢ .

٢) عبد العلي البرجندي ، فرغ منه سنة ٨٩١ هـ .

٣) يحيى بن احمد الكاشي وسماه (ايضاح المقاصد في الفرائد الفوائد) [١] .

١١ — ابن الفوطي :

من أكابر المؤرخين ، اشتغل مع الطوسي ، وتولى ادارة خزانة مراغة ، وبخطه كتب زيجاً عربياً ، ونسخته في الخزانة الوطنية بباريس الا أنه لم يعرف واضعه أو مؤلفه ، ولم نقف على اشتغاله في الفلك ، وجاء في الشذرات أنه أسر في واقعة بغداد ، وخلصه الخواجة الطوسي وأخذ عنه علوم الأوائل ، برع في الفلسفة وغيرها وأمده بكتابة الزيج وغيره من علوم النجوم [٢] .

وهكذا لم ينقطع الاتصال بالفلك أيام المغول حتى انقراضهم ، ومن ظواهر هذا العهد:

١ — رغبت الدولة في الميل الى التنجيم مع أنه مما ينكره غالب العلماء ، فتوسع الاتصال به .

٢ — بني الرصد في مراغة ، فصار يبذل في سبيل اكماله مبالغ طائلة وخصص له من غلة الأوقاف العشر .

٣ — وضع الزيج الايلخاني ، وكان من نتائج عمل الرصد ، ونال عناية من بعض العلماء .

٤ — ظهرت مؤلفات عديدة في الفلك وتجلت مواهب لا تحصى من جراء الجهود المتعاضدة المجتمعة .

٥ — وضع (التاريخ الايلخاني) أيام السلطان محمود غازان ، وهذا التاريخ ابتدأ السنة الأولى من ١٣ رجب سنة ٧٠١ هـ — ١٣٠٠ م ، وصار يعتبر السنة الأولى ، وجرى العمل به في الأمور المالية ، وكانت حاولت الدولة العباسية جعل ما سمته بـ (السنة الخراجية) متصلة بالهجرية بطريق الازدلاق أو الازدلاف في كل ٣٣ سنة واخرى مثلها ، ثم في ٣٤ سنة أي كل مائة سنة ثلاث سنوات .

---

(١) تراث العرب العلمي وكشف الظنون .

(٢) التعريف بالمؤرخين ، لكاتب المقال لا يزال مخطوطاً وشذرات الذهب ج ٦ ص ٦٠

وهكذا الأمر في (الأيام المسترقة) بسبب بعض الأيام الكبيسة وغيرها . وهو من نوع (الزحف) للموظفين باصطلاح هذه العهود الا أن هذا لم ينجح في معاملات الناس . وكانت التواريخ قبله بالسنة اليزدجردية ، وبالسنة الجلالية أو الملك شاهية نسبة الى جلال الدين ملكشاه السلجوقي . وجرى العمل على التوفيق بين السنين الهجرية والشمسية في العهد العثماني . ولم يعترف بالسنة الايلخانية وكانت تسمى بالسنة المالية . ويقال للازدلاق عندهم (صيويش) فلم تنجح في الاتصال بهذه السنين فحصل التفاوت بينها وبين السنين الهجرية بسبب اهمال هذا الازدلاق حتى قررت قبول (السنة الافرنجية) او (السنة الميلادية) مع السنة الهجرية للأعياد والمواسم الدينية .

ومثلها ايران قبلت السنة (الهجرية الشمسية) . وفي الأقطار العربية جرى الأمر على التاريخ الميلادي والهجري معاً . ويطول البحث في تاريخ السنين الشمسية والتوفيق بينها وبين السنين الهجرية . وللايرانيين كما لليهود والقبط والغربيين أيضاً طرق خاصة في هذا الباب والفصل بين التاريخين أسهل وأبسط الا ان استعمال السنة الميلادية فيه نظر . وكان الأولى أن يستعمل التاريخ الهجري القمري على حدة والشمسي الهجري على حدة .

٦ — ضربت النقود في أيام السلطان أبي سعيد من سلاطين المغول على السنين الايلخانية من السنة الثالثة والثلاثين منها . وفي السنة الرابعة والثلاثين . وهذه الأخيرة قوبلت بالهجرية . ولم نجد من ضرب بعدها مراعياً التاريخ الايلخاني . وهو على السنين الشمسية . فلم ينجح .

٧ — ظهرت مؤلفات عديدة في الفلك باللغة الفارسية . وكان الغالب اللغة العربية وهي لسان العلم الا أنه لم ينقطع الاشتغال باللغة العربية والاتصال بمؤلفاتها . ثم تلتها المدونات باللغة التركية بعد هذا العهد . وفي هذا لم يتبدل المصطلح باللغة العربية . (يتبع) عباس العزاوي

أقدم تأليف في الحديث النبوي

صحيفة همّام بن مُنبِّه ومكانتها في تأريخ علم الحديث

تمهيد

لا يعرف قدر الشيء إلا مالكه . وغير المسلمين لا يقدرون الحديث النبوي وما يتعلق به من أصول الرواية والدراية حق قدره . لأنهم لم يعنوا بأحاديث أنبيائهم كما عني المسلمون بحديث نبيهم لذلك كان أكبر همهم عدم العناية بالحديث الاسلامي والطعن في صحته جهلاً وحسداً .

وليس عجباً أن العرب لم يعتنوا في جاهليتهم بالتدوين والكتابة بخلاف عنايتهم بها بعد أن أسلموا وآمنوا بالله وحده ؛ ولكن الذي يدعو الى العجب أن الأمد الذي انقضى بين جاهليتهم وبين اعتنائهم بأصناف العلوم كان من أقصر ما عرفه التأريخ الإنساني لمثل هذا التطوّر السريع حتى إن ذلك ليدهش المؤرخ . فلم يكن في مكة ، لما بعث النبي ﷺ إلا بضعة عشر رجلاً يقرأون ويكتبون . وعددهم في المدينة المنورة أقل من ذلك . وصارت العربية من أغزر لغات العالم علماً وأدباً منذ القرن الثاني للهجرة . فكيف كان هذا ؟

بدأت الحكومة الإسلامية في السنة الأولى للهجرة ولم تشمل حينئذ إلا جزءاً من المدينة المنورة ؛ أما سائرها فكان في أيدي اليهود أو العرب المشركين وكان في جزيرة العرب مئات من القبائل ، أي مئات من « الدول المستقلة » لا تخضع واحدة لأخرى . ولم تشتمل الحكومة الاسلامية قبل هدنة الحديبية في أواخر السنة السادسة للهجرة إلا على بضع مئات من الأميال المربعة من الأرض .

ولكن هذه الدولة الاسلامية كانت قد امتدت عند وفاة النبي ﷺ، بعد خمس سنوات، الى مساحة تنيف على مليون من الأميال. وما انقضت بعد ذلك خمس عشرة سنة حتى دخل الجند الاسلامي في خلافة سيدنا عثمان (سنة ٢٦ هـ) الأندلسَ من جهة على ما روى الطبري [١]، بعد أن اخضعوا جميع شمالي إفريقية وتجاوز جيحون الى ما وراء النهر من جهة ثانية [٢]؛ أما في الجنوب فقد بلغت هذه الجنود، منذ خلافة سيدنا عمر الفاروق على ما روى البلاذري [٣]، موانئ تانه (بمباي) ودَيبل (كراتشي)، وفي الشمال أرمينية وما وراءها [٤].

ولم يكن عند العرب حينئذ عدد ولا عدّة كما كان عند من ناوشوهم من الروم والفرس وسائر العجم. وكذلك لم يعرفوا فنون الحرب والقتال المعروفة عند أعدائهم. وفوق هذا كله، لم يخرجوا من بيوتهم وأخبيتهم لمجرد النهب والغارات الجاهلية، بل لتكون كلمة الله هي العليا. فعاداتهم الطبيعية وتربيتهم الإسلامية هي التي ساعدتهم على الوصول الى غايتهم. ففتوحات السيف وفتوحات القلم ليست لديهم إلا مظهر أمر واحد وداعٍ واحد.

ولسنا بصدد الكلام على سياسة السيف وكيفية نشأتها وارتقائها؛ فلنقصر الكلام على سياسة القلم والعلم في فجر الاسلام.

اهتمام النبي بنشر التعليم:

من المعروف أن نبي الإسلام كان أمياً، وقد شهد بذلك القرآن فقال: «ما كنت تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون». وأول وحي أوحي اليه اشتمل على أمر الله أن: «اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من عَلَق. اقرأ

(١) تاريخ الطبري، ص ٢٨١٧ وما بعد (طبع اوربا).
(٢) فتوح البلدان للبلاذري (طبع اوربا) ص ٤٠٨، ووافقه تواريخ أهل الصين.
(٣) فتوح البلدان ص ٣٤٨.
(٤) تاريخ الطبري، ص ٢٨٢٧ (في السنة ١٩).

وربك الأكرم الذي علّم بالقلم . علّم الانسان ما لم يعلم» . فالأمر بالقراءة وتمجيد أوصاف القلم والكتابة ، هذا ما شرع به الاسلام لمتبعيه . فكان سيدنا محمد «في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم» ، فينوّر أذهانهم كما يصفي أخلاقهم في الوقت نفسه . وكذلك كان يأمر بكتابة آيات القرآن وسوره المنزلة الى ذلك الزمان .

فلم يسمعه إلا قليل من أهل بلده ، وبدأوا يؤذونه ومن تبعه في الله . فلما بلغ سيل المحن الزُّبى ، هاجر من استطاع الى المدينة ووضع هناك أساس دولة ، فنزلت سورة البقرة في أول ما نزل بعد الهجرة ، ونزل فيها آية المداينة المعروفة :

«يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدَين الى أجل مسمى فاكتبوه ... واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ... ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألاّ ترتابوا» الآية .

فلم يزد إلا اعتناء بالكتابه والعلم .

وأول ما بدأ به الرسول من العمل كان بناء المسجد النبوي وجعل في هذا المسجد صُفّة ليقيم فيها طلاب العلم . وعين أساتذة يعلمون فيها الكتابة والقراءة ومسائل الدين الى غير ذلك فكان عبد الله بن سعيد بن العاص يعلمهم الخط[1] . وكذلك روي عن سيدنا عبادة بن الصامت أنه أمره النبي ﷺ أن يعلم الناس الكتابة ويقرئهم القرآن في الصفة[2] .

ولم يمض على ذلك سنة حتى كانت وقعة بدر : زاد عدد المسلمين فيها ثلاثة أضعاف عدد العدو ، وأسروا عدداً كثيراً منهم . ومن غريب ما عومل به

(١) استيعاب ابن عبد البر ٣٩٣٢ ، التراتيب الادارية للكتاني ٤٨/١ . وقال : «وكان كاتباً محسناً» . وراجع أيضاً الاصابة ترجمة الحكم بن سعيد بن العاص .
(٢) الكتاني ٤٨/١ عن سنن أبي داود .

الأسرى أنه أذن لمن كان منهم كاتباً ان يعلم كل واحد منهم عشرةً من ضبيان المسلمين الكتابة والقراءة ، فداء لنفسه [١] وقد بوّب بعض قدماء المحدّثين هذه الواقعة فعنونها «جواز المعلم المشرك» وحقّ له . ولم يكن هذا حادثَ حدث ، بل كان مطابقاً لسياسة مستمرة في نشر التعليم . وكثيراً ما كان يقول النبي «بعثت معلماً» [٢] . وكان يأمر الصبيان أن يتعلموا من جيرانهم [٣] وأن يتدارسوا في مسجد حارتهم [٤] . وذكر البلاذري [٥] «أنه كان بالمدينة تسعة مساجد فكانوا يصلون فيها ويجتمعون مع رسول الله» . ويروى أن أهل جُواثا (في منطقة عُمان والبحرين) بنوا مسجداً فكان أول مسجد بعد ما كان في المدينة . وكان قد كتب اليهم أن «خطوا المساجد كذا وكذا وإلا غزوتكم» [٦] . وكذلك لما بعث عمرو بن حزم رضي الله عنه عاملاً الى اليمن ، كتب له أوامره وفيها أوامر لنشر التعليم [٧] . وذكر الطبري [٨] في أحوال سنة ١١ أن النبي ﷺ كان قد بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه الى اليمن ناظراً للتعليم فكان ينتقل من عمالة الى عمالة ويراقب المدارس .

ولم يكتف بتعليم الرجال ، بل اعتنى بالنساء كما اعتنى بالرجال . فأمّ المؤمنين حفصة بنت عمر كانت كاتبة في حياة النبي على ما رواه أبو داود . ولا نحتاج الى تفصيل طويل لهذه الناحية سوى أنه كان من نتائج هذه السياسة في شأن تعليم

(١) طبقات ابن سعد ٢/١ ، ص ٤ ، روض الانف للسهيلي ٢/٩٢ ، مسند ابن حنبل ١/٢٤٧ .
(٢) ابن ماجة ، باب فضل العلماء : مختصر بيان العلم لابن عبد البر ، ص ٢٥ .
(٣) الكتاني ١/٤١ عن الاصابة ومجمع الزوائد .
(٤) ابن عبد البر ، ص ١٤ .
(٥) أنساب الاشراف (مخطوطة القاهرة) ١/٤٢٠ .
(٦) راجع كتابي الوثائق السياسية رقم ٧٧ .
(٧) الوثائق السياسية ، رقم ١٠٥ ، عن ابن هشام والطبري .
(٨) تاريخ الطبري (طبع اوروبا) ص ١٨٥٢ — ١٨٥٣ ، ١٩٨٣ .

النساء أن المسلمات أصبحن فيما بعد يبارين الرجال في ميادين شتى من العلم .
ويرى القارئ أن بين السماعات التي توجد على المخطوطة الدمشقية من صحيفة همام ابن منبه ، التي نحن بصددها ، سماعاً على معلمة وهي أم الفضل كريمة بنت ابي الفراس نجم الدين القرشية الزبيرية بمنزلها . وكذلك كتاب الأموال لأبي عبيد ، الذي هو في الأمور المالية الدقيقة من موارد الدولة ومصارفها ، يبتدئ بعد البسملة ، بهذه الكلمات : « قرئ على الشيخة الصالحة الكاتبة فخر النساء شهدة بنت أبي نصر احمد بن الفرج بن عمر الإبري الدينوري بمنزلها ببغداد » . ولا نحتاج للقرون الابتدائيه إلا أن نرجع الى أسانيد الرواة من كتب الحديث للصحابيات والتابعيات ومن تبعهن .

تدوين الحديث :

فهذه نماذج من أثر السياسة النبوية في أمر العلم عامة . أما الحديث فهو ما يهمنا خاصة . ومرادي بالحديث حديث الرسول ، وهو يحتوي على أقواله كما يحتوي على ذكر ما فعله بنفسه او قرر ما فعله غيره من أصحابه فلم يغيره ، فهذا التقرير والتصديق ، له مكانة قانونية ، كأنه فعله الذي قرّره .

والأمر الوحيد الذي يشغلنا هينا هو مسألة الثقة بكتب الحديث ، لا غير . فان الكتاب الذي ننشره اليوم ، أعني صحيفة همام بن منبه ، هو أيضاً تأليف جمع فيه أحاديث النبي ﷺ .

من المستحيل البديهي أن يكتب ويدوّن جميع ما قال النبي أو فعله أو قرره ، فهذا من وظائف الملائك « كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون » . وكذلك لن يصح القول أنهم لم يكتبوا شيئاً ، فان الحقائق على خلافه . وعلى كل ما دونته هذه الأمة الأمية وما كتبته من أحاديث نبيها يفوق بكثير ما كتبت أمم أخرى عن أنبيائهم ، كما فاقت عليها ، في إبان أمرها ، في أمر فتوح البلدان ونشر الدين في القارات .

ولا بأس أن نشكك تشكيك سائل ونرتاب في هذا الأمر فلا نقرر إلا ما لا مجال لنا لإنكاره . فماذا كتبوا من الأحاديث في أول أمرهم ؟

الحديث المكتوب في العهد النبوي : .

(أ) لما هاجر المسلمون من أهل مكة إلى المدينة ، أقاموا هناك أساس مملكة ودولة مدينة (Cité - Etat) وكان يشاور النبي ﷺ أهاليها وسكانها من المهاجرين والأنصار واليهود وسائر من لم يسلم حينئذ من عرب المدينة ، فسجل دستور دولة ـ وهو أول دستور مملكة كتب ودون في العالم بأجمعه[١] ـ وذكر فيه حقوق الحاكم والمحكوم عليه وواجباتهما . فبدأ :

« هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم . إنهم امة واحدة من دون الناس . . . » الخ[٢] .

فيقول « هذا الكتاب » ، ولا بد أن يكون مكتوباً محرراً . وكرر خمس مرات في نفس الدستور كلمة « أهل هذه الصحيفة » . وقال كذلك « لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم » . وقال « إن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة » ؛ ولكن يفصل حدود الحرم اليثربي . قال ابن حنبل في مسنده[٣] : « عن رافع بن خديج . ان المدينة حرمٌ حرّمها رسول الله ﷺ وهو مكتوب عندنا في أديم خولانيّ » . وكان من واجب السياسة أن يحدد حدود المملكة وأرض دولتها فأرسل من يبني أعلام الحدود كما روى المطرزي في « ما أنست الهُجرة من معالم دار الهِجرة »[٤] فقال : « عن كعب

(١) الوثائق السياسية ، رقم ١ ، عن ابن هشام وابي عبيد وغيرهما . راجع مقالتي « أول دستور مسجل في العالم » في تقريرات مؤتمر دائرة المعارف بحيدر آباد .

(٢) الوثائق السياسية رقم ١ .

(٣) ج ٤ ، ص ١٤١ ، رقم الحديث ١٠ .

(٤) مخطوطة مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت .

ابن مالك قال : بعثني رسول الله ﷺ أعلم على أشراف مخيض وعلى الحفيا وعلى ذي العشيرة وعلى تيم » الخ .

(ب) وكذلك أمر النبي ﷺ في أوائل الهجرة باحصاء المسلمين . فقد روى البخاري في صحيحه [١] أن النبي عليه السلام قال : « اكتبوا لي من تلفظ بالاسلام من الناس فكتبنا له ألفاً وخمس مائة رجل » ذكرانهم وإناثهم وصغارهم وكبارهم . فكان إحصاء النفوس هذا أيضاً مكتوباً . والعدد الذي بلغ يدل أنه كان من السنة الاولى للهجرة .

(ج) بدأت الوثائق السياسية والمعاهدات الرسمية من قبل الهجرة ولا يهمنا ههنا اعطاء حبرون لتميم الداري قبل الهجرة ولا كتاب أمان اسراقة بن مالك المولجي اثناء سفر الهجرة . ويظهر [٢] أنه كان قد عاهد قبيلة جهينة في السنة الأولى للهجرة ولكن لم يصل إلينا نصه . أما معاهدة بني ضَمرة ، فقد عقدت في صفر سنة ٢ فيما رواه السهيلي [٣] ، ونصها : « هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة » الخ . ومثلها تسلسلت ودامت باقي حياته ﷺ . ومن المعروف كتاب المراوضة [٤] زمن الخندق (سنة ٥) مع بني فزارة وغطفان ، والتحاجج والخلاف على كتابة بعض الكلمات والشرائط في هدنة الحديبية [٥] وكيف أمر النبي عليه السلام الكاتب ، وهو علي بن أبي طالب ، أن يمحو بعض ما كتب . وذكر المؤرخون [٦] في غزوة تبوك أن اكيدر الحيري ،

(١) باب كتابة الامام الناس .

(٢) سرية حمزة الى سيف البحر عند ابن هشام وغيره : « لحجز بينهم مجدي بن عمر الجهني وكان موادعا للفريقين » .

(٣) الوثائق السياسية ، رقم ١٥٩ .

(٤) الوثائق السياسية رقم ٨ .

(٥) انظر للمراجع ، الوثائق السياسية رقم ١١ .

(٦) الوثائق السياسية ، رقم ١٩٠ .

صاحب دومة الجندل ، تعاهد مع المسلمين وكان النبي عليه السلام ، لما كتب عهده «ختمه بظفره»[١] . وكان من تقاليد أهل الحيرة ، واكيدر منهم ، أن يمضوا معاهداتهم بظفرهم ـ لا بإبهامهم ـ فكانوا يختمون بظفرهم فيظهر خط مثل شكل هلال صغير . ونجد هذه العادة هناك من قديم الزمان فبقي أثرها وذكرها في معاهداتهم التي كتبت زمن الجاهلية ، على لبنات الطين وعثرت عليها في الأزمنة الحديثة[٢] .

(د) وكذلك كتبه التبليغية الى قيصر وكسرى والمقوقس والنجاشي وغيرهم لا يعقل الا أن تكون محرّرة مكتوبة . وقد بقي بعضها الى هذا الزمان مثل كتابه الى المقوقس والنجاشي والمنذر بن ساوى (بحثت في مقالات خاصة[٣]) . وذكر ابن عساكر في تأريخ دمشق[٤] أن أبا العباس عبد الله بن محمد كان قد اشترى معاهدة أيلة من أهلها بثلاث مائة دينار كأثر مبارك من الآثار النبوية .

(ه) وكثيراً ما احتاج النبي عليه السلام أن يكاتب عماله في أنحاء جزيرة العرب ، يبلغهم أوامره . وكذلك كتبوا اليه وسألوه أشياء في معضلات الحوادث فأجابهم بالكتابة . وقد تواتر الذكر في كتب الحديث أن النبي عليه السلام كتب[٥] مسائل الزكاة الى عماله ، وتوفي قبل أن تنفذ اليهم ، فعمل بها الخلفاء بعده .

---

(١) طبقات ابن سعد ١/٢ ، ص ١٢٠ . ونقله الكتاني (١/١٧٩) . أيضاً عن الاصابة في ترجمتي وهب بن اكيدر ، واكيدر بن عبد الملك :

(٢) Meissner, Babylonien u. Assyrien, I,179; O. Krückmann, Neue Babylonische Recht - u. Verwaltungstexte, 27/28; Ch. Edwards, The Hammurabi Code, p. II.

(٣) بالهندية في تأليفي (رسول أكرم كى سياسى زندكى) ، الباب «مكتوبات نبوى كى دو اصول» والباب «مكتوب نبوى نيام نجاشى» .

(٤) الطبعة الجديدة ٤٢٢/١٢ (تحقيق المنجد) .

(٥) سنن الدارقطني وأبي داود والطبراني والدارمي وكنز العمال وغير ذلك .

والغرض من هذه الأمثلة أنه لا بد أن يكون قد كتب مثل هذه الأحاديث (أو الوثائق الرسمية) في حياته ﷺ فان المطلوب منه لا يحصل الا بالكتابة. وقد جمعت ما وجدته في الكتب، في تأليفي (الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة) وفيه أكثر من مائتين وخمسين للعهد النبوي خاصة. وقد أضفت اليها أربعين أخرى تقريباً للنشرة الثانية التي تحت الطبع. وهناك أمثلة أخرى من كتابة الحديث.

الكتابة الاتفاقية :

روى البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ خطب خطبة في مكة عام الفتح في حقوق الانسان: «فجاء رجل من أهل اليمن ـ وهو ابو شاه ـ فقال: اكتب لي يا رسول الله. فقال: اكتبوا لأبي فلان ... قال: كتب له هذه الخطبة». (باب كتابة العلم).

وروي عن عِتبان بن مالك الأنصاري أنه سمع يوماً كلاماً للنبي عليه السلام فأعجبه. فكتبه ليحفظه [1].

نعم هذه حوادث اتفاقية وليس بجميع ما روي مثلها في التأريخ للعهد النبوي.

الكتابة بالجد والاهتمام :

(أ) روى الترمذي [2] أن صحابياً من الأنصار حضر الى النبي عليه السلام وشكا سوء حفظه، وتأسف وتحير كيف يعمل في المواعظ والحكم التي يسمعها كل يوم منه. فقال له: «استعن بيمينك»، أي اكتب. فلا بد أن يكون قد كتب بعد ذلك. ولكن لا نعرف تفاصيل أخرى لهذا.

(١) نقله الاستاذ محمد زبير الصديقي، كأنه عن الاصابة.
(٢) في كتاب العلم كما ذكره زبير الصديقي.

(ب) روي [١] مثله عن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي . فلما أمره النبي ﷺ أن يكتب ما يشاء ، تعجب وقال : «أكتب كل ما أسمع منك ؟ قال : نعم . قلت : في الرضا والغضب ؟ قال : نعم فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقاً . وفي البخاري [٢] عن وهب بن منبه عن أخيه - وهو همام ، صاحبنا - قال : «سمعت أبا هريرة يقول : ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب . تابعه معمر عن همام عن ابي هريرة» . وكان عبد الله بن عمرو سمى مجموعته هذه «الصحيفة الصادقة» . ويقال إن فيها ألفاً من الأحاديث [٣] . وبقيت في عائلته فكان حفيده عمرو بن شعيب يحدّث على أساسها ويروي أحاديثها [٤] . ورحم الله ابن حنبل فانا نجد هذه الصحيفة محفوظة في ضمن مسنده الجليل ، فصانها من إتلاف الحدثان .

(ج) وكان أبو رافع ، مولى رسول الله وخادمه ، استأذنه أن يكتب أحاديثه فأذن له [٥] .

(د) وأهم من هذا كله أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه . وكان أبواه قد أمراه حين الهجرة ، أن يخدم النبي ﷺ في بيته فبقي لم يفارقه ليلاً ولا نهاراً الى أن توفاه الله بعد عشر سنوات ، وعاش أنس بعده طويلاً . وكان رأى وسمع ما لا يتيسر لغيره . وروى الدارمي أن أنساً كان دائماً يعظ بنيه : «يا بَنِيَّ قيدوا هذا العلم» . وروى الدارمي أيضاً : «رأيت أبان يكتب عند أنس» .

(١) ابن سعد ، ابن حنبل ، ترمذي وآخرون .
(٢) باب كتابة العلم .
(٣) زبير الصديقي عن اسد الغابة .
(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر ٨/٤٨ - ٥٥ ، رقم ٨٠ .
(٥) زبير الصديقي عن تهذيب التهذيب ٣/٤٤٠ ابورافع او رافع .

كيف لا وقد عُني هو بنفسه ان يكتب الحديث أكثر من غيره • فقد روى جماعة مثل الحاكم في المستدرك وغيره ، عن سعيد بن هلال :

« قال : اذا أكثرنا على أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه فأخرج الينا محالاً عنده ، فقال : هذه سمعتها من النبي ﷺ فكتبتها وعرضتها عليه » •

فكان لا يكتفي أن يكتب ما سمع أو رأى ، بل كان أيضاً يعرضه على صاحبه ويصحح اذا مست الحاجة •

فهذه من الحوادث التي نقلت عن الصحابة وهي تدل على أنهم كانوا يكتبون لأنفسهم الحديث النبوي في عهد نبيهم •

تأليف كتاب على يد صحابي :

من المعلوم أن عمرو بن حزم رضي الله عنه أرسله النبي عليه السلام عاملاً الى اليمن وكتب له وثيقة عهد فيها عهده وأمره فيها أمره • فحفظ عمرو بن حزم هذه الوثيقة فلم يتلفها ثم جمع واحداً وعشرين كتاباً آخر كتبهـا النبي ﷺ ليهود بني عاديا وبني عريض ، لتميم الداري ، لجهينة وجذام وطيء وثقيف وغيرهم • فضمها في تأليف فكان أول مجموعة للوثائق السياسية الاسلامية للعهد النبوي • وقد رواها عنه ابو جعفر الديبلي (الباكستاني) من محدّثي القرن الثالث للهجرة • ونقله ابن طولون ذيلاً لتأليفه « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » (مخطوطة من يد المؤلف في خزانة المجمع العلمي بدمشق ، وقد طبع بعدُ) •

تدوين الحديث في عهد الصحابة :

وفي المصادر روايات كثيرة عن الصحابة تدلّ على أنهم كتبوا الأحاديث بأيديهم أو أملوها على تلامذتهم • ولو أن هذا حدث بعد وفاة النبي فان شاهدي الوقائع أنفسهم لا يحول حيل بينهم وبين تدوين ما وعوا وما حفظوا •

(أ) فروى الامام مسلم[١] في صحيحه أن جابراً رضي الله عنه ألّف كتاباً في الحج ـ لعله اشتمل على ذكر حجة الوداع وأحاديث أخرى وردت في مسائل الحج ـ وكانت له حلقة درس في المسجد النبوي ، فكتب وهب بن منبه ، صاحب التصانيف التأريخية ، أحاديثه من املائه[٢] . وروى البخاري[٣] عن قتادة، التابعي الشهير أنه قال : « لأنا بصحيفة جابر أحفظ مني من سورة البقرة » . وكذلك يروى عن تلميذ آخر له ، وهو سليمان بن قيس البشكري ، أنه كتب ما روى جابر من الأحاديث[٤] . وقد درس على جابر آخرون وكتبوا عنه صحيفته ورووا عنه[٥] .

(ب) كانت أم المؤمنين عائشة تقرأ ولا تكتب . وروي أن ابن اختها (عروة بن الزبير) صنّف ما قد حوى روايات عائشة وغيرها وقد ضاع كتابه زمن فتنة الحرة فكان يقول فيما بعد : « لوددت أن كنت فديتها بأهلي ومالي »[٦] . ولعائشة الصديقة تلامذة آخرون . منهم عمرة بنت عبد الرحمن ، كانت قد ربتها من طفولتها نحن لا نعرف هل كتبت عمرة شيئاً بيدها أم لا ، ولكن كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز الى عامله في المدينة ابي بكر بن محمد بن عمر بن حزم ـ وكان ابن اخت عمرة ـ « أن يكتب له من العلم ما عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد »[٧] . وكان القاسم هذا ، ابن أخي عائشة الصديقة ؛ وكان يتيماً فحضنته وربته وكان من كبار العلماء . « وعن أبي عيينة : كان أعلم الناس بحديث عائشة : عروة وعمرة والقاسم »[٨] .

(١) نقله الاستاذ مناظر أحسن كيلاني « تدوين حديث » ١/١٠١ .
(٢) تهذيب التهذيب ، ترجمة وهب .
(٣) التاريخ الكبير للبخاري ١٨٢/٤ .
(٤) تهذيب التهذيب ٢١٥/٤ ، رقم ٣٦٩ .
(٥) المصدر السابق ، وايضاً مناظر احسن ١/١٠١ .
(٦) تهذيب التهذيب ١٨٣/٧ ، رقم ٣٠١ .
(٧) نقله مناظر احسن عن ابن حجر والبخاري .
(٨) تهذيب التهذيب ١٨٢/٧ .

(ج) ويروى أن ابا بكر الصديق رضي الله عنه جمع أحاديث النبي عليه السلام في كتاب وقد بلغ عددها خمسمائة حديث . ثم أتلفه خشية أن يكون كتب شيئاً لم يكن حفظه تماماً[1] .

(د) سأل ابو جهينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : « قلت لعلي : هل عندكم كتاب ؟ قال : لا إلا كتاب الله أو فَهْمٌ أعطيه رجل مسلم وما في هذه الصحيفة . قال ، قلت : فما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل ، وفكاك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر »[2] . يريد بالعقل ، المعاقل والديات . ولعله أراد دستور المدينة الذي كتبه النبي عليه السلام في السنة الأولى للهجرة[3] ، وأكثره يتعلق بالمعاقل . والله أعلم .

(ه) أما عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه فكان أيضاً يكتب الأحاديث . ويظهر أنه كان يدرّس بالمكاتبة كما نرى في عدة أبواب من صحيح البخاري : فقد روي عن موسى بن عقبة ، صاحب المغازي الشهيرة ، « عن سالم ابي النضر مولى عمر بن عبيد الله ، وكان كاتباً له ، أن عبد الله بن أبي أوفى كتب فقرأته ـ وفي رواية : كتب اليه عبد الله بن ابي أوفى حين خرج الى الحرورية فقرأته فاذا فيه ـ أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ، انتظر حتى مالت الشمس . ثم قام في الناس فقال : أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية . فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف . ثم قال : اللهم مُنزل الكتاب ، ومُجري السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم »[4] .

(و) وكان سَمُرة بن جندب رضي الله عنه جمع أحاديث فورثه ابنه

(١) نقله زبير الصديقي عن طبقات الحفاظ ، ٢/٥ .
(٢) صحيح البخاري باب كتابة العلم . وباب فكاك الاسير .
(٣) الوثائق السياسية رقم ١ .
(٤) صحيح البخاري باب لا تمنوا لقاء العدو ، وباب اذا لم يقاتل اول النهار ، وباب الصبر عند القتال ؛

سليمان بن سمرة . وفي لفظ ابن حجر : «روى عن أبيه نسخة كبيرة» [١] .
«وقال ابن سيرين : في رسالة سمرة إلى بنيه علم كثير» [٢] .

(ز) أما سعد بن عبادة الأنصاري ، فكان «كاملاً» من كتاب أهل الجاهلية [٣] . وكان عنده صحيفة جمع فيها الأحاديث النبوية . وكان ابنه يروي منها [٤] .

(ح) لا ندري اذا كان ابن عمر رضي الله عنهما كتب الأحاديث بنفسه ولكن نجد رواية سلمان بن موسى في طبقات ابن سعد «أنه رأى نافعاً مولى ابن عمر يملي عليه ويكتب بين يديه» . إن نافعاً كان من كبار العلماء وأرشد تلامذة ابن عمر ، الذي صحبه ثلاثين سنة . ولا بد أن يكون قد حوى جميع علم استاذه الجليل فقد كان ابن عمر يقول : «لقد منّ الله علينا بنافع» [٥] .

(ط) أما ابن عباس رضي الله عنه ، فهو اشهر من ان نحتاج الى تفصيل حياته العلمية . فقد تواتر عنه أنه لما توفي ، ترك حمل بعير من تصانيفه . وروى الترمذي [٦] عنه عن مولاه وتلميذه عكرمة «أن نفراً قدموا على ابن عباس من أهل الطائف بكتب من كتبه فجعل يقرأ عليهم» . وروى الدارمي وابن سعد وغيرهما عن تلميذ آخر له ـ وهو سعيد بن جبير ـ أنه كان يكتب ما يملي عليه ابن عباس رضي الله عنهما من الأحاديث . فاذا نفد القرطاس أحياناً أثناء كتابته ، كتب على لباسه ونعله حتى على كفه ، ثم نقله في الصحف اذا رجع الى بيته . فلما توفي سيدنا ابن عباس ، ورث كتبه ابنه عليّ ، فبقي علمه بعده وتسلسل .

---

(١) تهذيب التهذيب ١٩٨/٤ .
(٢) تهذيب التهذيب ٤/٢٣٦ ، رقم ٤٠١ .
(٣) تهذيب التهذيب ٣/٤٧٥ ، رقم ٨٨٣ .
(٤) الترمذي في كتاب الاحكام ، ذكره مناظر أحسن .
(٥) تهذيب التهذيب ١٠/٤١٣ ، رقم ٧٤٢ .
(٦) في كتاب العلل ، ذكره مناظر أحسن .

صحابة آخرون :

(ي) كتب الاستاذ عبد الصمد صارم في تأليفه بالهندية «عرض الأنوار المعروف بتأريخ القرآن» (طبع دهلي ١٣٥٩ هـ) بعض ما يتعلق ببحثنا[١] . فنقل عن الجامع الصغير أن الأحاديث التي كان جمعها عبد الله بن مسعود كانت عند ابنه ، ورأى ذكر كتاب سعد بن عبادة في مسند ابن حنبل ؛ ونقل عن أسد الغابة أن سعد بن الربيع بن عمرو بن ابي زهير الأنصاري جمع بعض الأحاديث ؛ وعن تهذيب التهذيب لعبد الله بن ربيعة بن مرثد ؛ وعن البيهقي أن النبي ﷺ كتب لسيدنا ابي بكر الصديق احكام الحج (كأنه في السنة التاسعة للهجرة) ؛ الى غير ذلك .

أبو هريرة :

(ك) أما ابو هريرة الدوسي اليمني رضي الله عنه ، «فقال البخاري : روى عنه نحو ثمانمائة رجل او أكثر من اهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم»[٢] ويقال إنه سمي أبا هريرة لجودة حفظه كما أن الهرة لا تنسى ما عرفت من الأمكنة . وروى البخاري في صحيحه[٣] : «عن ابي هريرة ، قال : إن الناس يقولون : أكثر أبوهريرة ، ولولا آيتان في كتاب الله ، ما حدثت حديثاً . ثم يتلو : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات) إلى قوله (الرحيم) . إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ؛ وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ؛ وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه يحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون» .

---

(١) راجع ص ١٧٣ وما بعده . مع الاسف لم أجد فرصة كي أرجع إلى الاصول التي ذكرها واحقق رقم الجلد والصفحات .

(٢) تهذيب التهذيب ٢٦٥/١٢ ، رقم ١٢١٦ .

(٣) باب حفظ العلم .

فما روي من جودة حفظه أن مروان بن الحكم امتحنه مرة فطلبه فجاء . وكان مروان امر كاتباً له أن يجلس وراء الستر . فطفق مروان يسأل أباهريرة ، فيحدث عما علم . ويقول الكاتب : « فجعل يسأل وانا اكتب حديثاً كثيراً . ولم يشعر ابوهريرة رضي الله عنه ما وقع وراء الستر ؛ فراح . ثم طلبه مروان مرة اخرى . ويقول الكاتب : « فتركه سنة ثم أرسل في طلبه وأجلسني وراء الستر فجعل يسأل وأنا انظر في الكتاب . فما زاد ولا نقص »[1] . فيدل هذا لا على جودة حفظ ابي هريرة ، بل على أن عدداً من رواياته كانت قد كتبت وقوبلت عليها بأمر مروان .

وروي أن اباهريرة اري ابن وهب مرة كتبه[2] . وروى الدارمي تدويناً آخر لروايات ابي هريرة فقال : « عن بشير بن نهيك ، قال : كنت اكتب ما اسمع من ابي هريرة . فلما اردت ان أفارقه ، اتيته بكتابه ، فقرأته عليه وقلت له : هذا ما سمعت منك . قال : نعم » .

وروى ابن عبد البر ما يكاد يتعلق بأواخر ابي هريرة ، فروى عن ابن لعمرو بن أمية الضمري ، قال :

« تحدثت عند ابي هريرة بحديث فأنكر . فقلت : إني قد سمعته منك . فقال : إن كنتَ سمعته مني فهو مكتوب عندي . فأخذ بيدي الى بيته فأرانا كتباً كثيرة من حديث رسول الله ﷺ فوجد ذلك الحديث . فقال : قد أخبرتك : إن كنتُ حدثتك به فهو مكتوب عندي » . (جامع بيان العلم ١/٧٤) .

ولأبي هريرة رضي الله عنه تلامذة آخرون . منهم همام بن منبه صاحب الصحيفة التي نحن بصددها . وهي من أقدم ما دوّن في الحديث ، وحفظته لنا خزائن الكتب .

---

(١) كتاب الكنى للبخاري ص ٣٣ ، ذكره مناظر احسن .
(٢) فتح الباري ١/١٨٤ ، ذكره زبير الصديقي .

همّام بن منبّه :

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب [١] ما نصه : همّام بن مُنبّه بن كامل بن شيخ اليماني ابو عقبة الصنعاني الأبناوي - والأبناء هم أهل فارس توطنوا قبل الاسلام في بلاد اليمن بعدما فتحها كسرى - روى عن أبي هريرة ، ومعاوية ، وابن عباس ، وابن عمر ، والزبير ، وعنه اخوه وهب بن منبه ، وابن اخيه عقيل ابن معقل بن منبه ، وعلي بن الحسن بن آتش ، ومعمر بن راشد . قال اسحاق ابن منصور عن ابن معين : ثقة . وذكره ابن حِبّان في الثقات . وقال الميموني عن احمد : كان يغزو ، وكان يشتري الكتب لأخيه وهب . فجالس ابا هريرة فسمع منه أحاديث وهي نحو من اربعين ومائة حديث بإسناد واحد . وأدركه معمر ، وقد كبر وسقط حاجباه على عينيه ، فقرأ عليه همام ، حتى اذا ملّ ، أخذ معمر فقرأ الباقي . وكان عبد الرزاق لا يعرف ما قُرِئ عليه مما قرأ هو . قال ابن سعد : مات احدى وثلاثين - (أي بعد المائة) - وقال البخاري : قال علي : سألت رجلاً قد لقي همام بن منبه : متى مات همام؟ فقال : مات سنة اثنتين . قال ، وقال ابن عيينة : كنت أتوقع قدوم همام عشر سنين . قلت : وقال ابن سعد [٢] ، والخليفة وابن حبان : مات سنة إحدى او اثنتين وثلاثين . وقال العجلي : يمانيّ تابعي ، ثقة » . انتهى ما قال ابن حجر العسقلاني .

وقال صاحب كشف الظنون : « الصحيفة الصحيحة للشيخ همام بن منبه الصنعاني المتوفى سنة ١٣١ . وهي التي كتبها عن ابي هريرة » .

فكان همام قد جالس ابا هريرة مدة ، وسمع منه أحاديث وكتبها في مجموعة سماها « الصحيفة الصحيحة » ، على ما روى في كشف الظنون ، كأن هذا على

(١) ١١/٦٧ ، رقم ١٠٦ (راجع ايضاً ١/٥٧٤) .
(٢) راجع طبقات ابن سعد ٥/٣٩٦ .

مثال « الصحيفة الصادقة » لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . فصحيفة همام ، رواها تلميذه معمر عنه . ثم عبد الرزاق عن معمر . ثم هلم جرا . وعلى هذا تكون هذه الصحيفة قد دونت في اواسط القرن الأول للهجرة ، لأن ابا هريرة توفي سنة ٥٨ هـ .

وقد نقلها ابن حنبل في مسنده (ج ٢ ص ٣١٢ — ٣١٩) بتمامها . ونقل البخاري عدداً كثيراً من احاديثها في صحيحه ، في أبواب شتى [1] . سوى ما تواتر رواية هذه الصحيفة على حدة نسلاً بعد نسل . وقد عثرنا على مخطوطتين منها ، تحتويان على إسنادين مختلفين . سنفصل ذكرهما فيما سيأتي :

لا يمكن مقابلة الصحيفة بما نقل منها البخاري في صحيحه فانه فرّق أحاديثها في أبواب متفرقة . أما ابن حنبل فنقلها برمتها كما هي . فاذا قابلنا الباب المتعلق من مسند ابن حنبل مع المخطوطتين لدينا ، وجدنا الفروق الآتية :

١) يتفق المسند مع المخطوطتين ولا يختلف في ترتيب الأحاديث إلا مرتين أو ثلاث . وهذا بلا زيادة كلمات ولا نقصانها . (راجع الصحيفة في الأحاديث رقم ١٣ ، ٩٣ ، ١٢٦ ، ١٣٨) .

٢) نجد في مسند ابن حنبل حديثاً واحداً لا نجده في المخطوطتين لدينا (راجع رقم ١٤/ب) . ومن المعروف أن في النسخة المطبوعة من المسند أغلاط طبع كثيرة . ولا يذكر ابن حنبل حديثاً (رقمه ٥) نجده في كلتا المخطوطتين .

٣) تكرر كلمة « وسمي الحرب خدعة » في حديثين في مخطوطتي الصحيفة (رقم ٣٩ ، ٤٠) أما ابن حنبل فلا يذكره إلا مرة واحدة (٤٠) .

٤) تغير بين المصدرين بعض عوارض الرواية مثل « عزّ وجل » بدل « تعالى » بعد ذكر اسم الله ؛ او « النبي » و « أبو القاسم » بدل « رسول الله » ؛ أو أشياء

---

(١) جلد اول ، ص ٣٤ ، ٣٩ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٩١ ، جلد رابع ٥٦ ، ٦٣ ، ٨٦ إلى غير ذلك (من طبع مصر ١٣١٣ هـ) .

ما يوجد مثلها عادة بين مخطوطتين من كتاب واحد . وقد أثبتناها في الحواشي . وليس فيها ما يبدّل المفهوم أو يغير المراد .

فاذا لم يتغير تأليف همام بن منبه المتوفى سنة ١٣١ الى زماننا هذا (سنة ١٣٧١) بعد كثرة ما تناولته الأيدي ونقله الناقلون والرواة والمؤلفون ، فلا مجال لانكار صحة ما مضى قبل همام من لدن النبي ﷺ الى أن رواه ابو هريرة . وليذكر أن الأحاديث المذكورة في صحيفة همام ، قد رواها غيره أيضاً كما وجدناها في مسند ابن حنبل والبخاري وسائر كتب الحديث المتداولة ، بعضها عن ابي هريرة وبعضها عن غيره من الصحابة .

وصف المخطوطتين :

إن مخطوطة برلين ، رقمها (1384 We 1797) وكانت في مكتبة الدولة Staatsbibliothek في عاصمة المانيا . (وهذه المخطوطات محفوظة في هذا الزمان في مدينة تيوبنغن Tübingen) . فهذه المخطوطة في مجموعة رسائل ، تبتدئ صحيفة همام بن منبه فيها من الورقة (٥٤) وتنتهي بالورقة (٦١) وتنقص في اثنائها ورقتان . حجمها ٥و١٧ × ٥و١٢ سنتمتراً . وفي كل صفحة (١٩) سطراً ويبدأ كل حديث فيها بكلمة « وقال » بالمداد الأحمر . أنا كنت نقلتها بخطي ، وهذا ما أثبتُّ في آخر نقلي : « نقله لفظاً لفظاً من الأصل المحفوظ في خزانة الحكومة البروساوية في برلين يوم عرفة ويوماً قبله سنة ١٣٧١ من الهجرة وقابله من الأصل المنقول عنه بحسب الاستطاعة ، محمد حميد الله » . وهذه النسخة من أوائل القرن الثاني عشر للهجرة .

فلما رجعنا الى بروكلمان ، أسفنا لما وجدنا فيها من الأغلاط الفاحشة . فلا يذكر بروكلمان هذه الصحيفة تحت اسم همام بن منبه . فلما أطلنا البحث ، عثرنا عليها بالمصادفة ، فانه ينسبها الى «عبد الوهاب بن محمد بن اسحاق بن منده المتوفى

٤٧٣/١٠٨٢» . ثم يقول : «من تأليفه صحيفة همام بن منده (كذا) المتوفى ١٥١/٧٤٨ (كذا) عن أبي هريرة المتوفى ٥٨/٦٧٨» . وليس هذا في الطبعة الأولى ، بل في ضميمة الكتاب وفي ضميمة الضميمة للمجلد الأول . فقال «همام بن منده» ، ولم يرد إلا «همام بن منبه» . وكذا سها في تأريخ وفاته (الصحيح أنه ١٣١ ، لا ١٥١) ، كما سها سهواً فاحشاً في عزوه الى عبد الوهاب ابن منده ، وليس هناك إلا راو في عصر من العصور .

مخطوطة دمشق :

أما مخطوطة دمشق فهي تفوق اختها تفوّق نور الشمس على ضوء القمر المستمار . وهي محفوظة في خزانة الكتب الظاهرية . ودلني عليها الأستاذ محمد زبير الصديقي (من جامعة كلكته) . وأما صورتها الشمسية فقد حصلت عليها من الأستاذ صلاح الدين المنجد . وكلاهما يستحقان شكري وشكر من سيستفيد من قراءة هذه الصحيفة .

وهي أيضاً ضمن مجموعة رسائل . تمتاز بأنها كاملة وأقدم المخطوطتين كتابة . فهي من القرن السادس من الهجرة . وكذلك هي أصل النسخة التي استعملت للدرس والسماع وثبت الاجازات مراراً عديدة . وقد درس فيها ابن عساكر ، صاحب تأريخ دمشق فيمن درس . وخطها جميل ، غير أن الناسخ أهمل نقط الحروف في أكثر الأحيان . وسطورها في كل صفحة إما ٢١ أو ٢٢ أو ٢٣ . وحجم صورتها الشمسية كحجم النسخة الألمانية . وهذه النسخة المكتوبة بدمشق ، من زمن حروب الصليبيين . ونرى في سماعاتها ما كانت من عادات الدرس الاسلامي وآدابه عند المحدثين في تلك الأزمنة من الحروب والفتن . ولسنا بصددها الآن .

وفي كلتا المخطوطتين كتب الناسخ بعض اختلافات الرواية على الهامش فقال إما «أوْخر» أو «أدخر» ؛ وكذلك «تَركتكم : تُركتم» ، «يحيّونك :

يجيبونك » ، « فزادوا : فزادوه » ، « بطعامكم : بطعامه » ، « حين : حينئذ » .
ونرى بعض هذه الاختلافات ، التي لا تغير مفهوم الحديث البتة ، في مسند ابن حنبل أيضاً . ولعلها من زمن معمر ، وهو لم يسمعها تماماً من همام ، كما نقلنا فيما مضى عن ابن حجر ، بل قرأها هو عليه حين كان همام قد ملّ وتعب . والدرس الشفاهي كان أعظم وسيلة لصحة ما كتب .

فالحديث النبوي مبني على عمودين : الكتابة والسماع ، كل واحد منهما يعاضد الآخر . فلو قابل احد هذا الحزم والاحتياط في حفظ الحديث المحمدي وصحته مع ما وقع لحديث أنبياء آخرين قبل الاسلام ، وكذلك مع ماهو حال « التأريخ » في عصرنا الحاضر من أكاذيب الصحف وتدليسات الوثائق الرسمية ، وفكر تفكيراً سلبياً ، لوضح له فضل الحديث ، وما فاق به المحدثون من لدن عصر الصحابة الى العصور المتأخرة التي أبقى الدهر من آثارها الأصلية . والفرق بين حديث المسلمين وحديث غيرهم مثل ما بين السماء والأرض ، وشتان ما بينهما ، لا يشوبه أكاذيب الأعداء ولا جهل الأصدقاء .

وها كم فيما يلي « الصحيفة الصحيحة » لهمام بن منبه رحمه الله تعالى . وقد أضفنا اليها الأرقام على الأحاديث لتسهيل المراجعة :

(يتبع) محمد حميد الله

شيخ الإسلام ابن تيمية

— ٤ —

علاوة ثالثة

ترجيحه لمذهب السلف في أمر المعتقد

تمهيد

يظن بعض الناس أن دعاة الاصلاح والتجديد ، لأمر الدين والتوحيد ، على أساس الكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف هذه الأمة ، إنما يحاولون إحياء الدين وإماتة ما عداه من علوم السلف وحضارتهم ، أو عدم الانتفاع بما تدعو اليه الحاجة من مخترعات الغربيين ومدنيتهم ، إن تعجب فعجب هذا الزعم الباطل ! إن سلفنا الصالح الذين نهتدي بهديهم ، ونقفو أثرهم ، قد جعلهم الله هداة للناس في الدين والدنيا ، وأورثهم أرض كثير من الأمم القديمة وما عليها من علوم وآداب وصناعة وعمران ، ونحن نتلو أخبارهم ، ونقفو آثارهم ، وان لم نبلغ شأوهم ، ونستفيد من مستحدثات الأمم المعاصرة ، كما استفاد سلفنا من مزايا الشعوب والأمم الغابرة .

انا نحاول أن نكون أمةً ذات مدنية عربية اسلامية ، لا شرقية ولا غربية ، أساسها الأخلاق والفضائل ، وميزانها إقامة العدل بين الخلائق ، وهذا الطراز الممتاز من المدنية نقتبسه من نور العصور الذهبية للإسلام . ولقد ذاق الناس من ظلم المدنية الحديثة ما جعل أشد الناس ايماناً بها من قبل ، أشدهم بغضاً لها ، وكراهية للمستبدين الظالمين من أهلها .

ولقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية ينصر مذهب السلف الصالح بأدلة عقلية ونقلية ، ويحاول إرجاع الناس اليه بكل الوسائل ، ويرى رأي إمام دار الهجرة مالك بن أنس من أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، وهو رأي كل حكيم عليم بداء الأمة ودوائها قديماً وحديثاً ، وقد ألف كتباً كثيرة كان معظمها يحوم حول هذه القضية ، وعقدت له عدة مناظرات في مصر والشام من أجلها ، وقد أثرنا بعضها من قبل . وله رحمه الله في باب التوحيد الخالص المجرد عن شوائب الوثنية والبدع والزوائد ، كتب ورسائل ، بعضها طبع وبعضها لما يطبع ، ونقتصر الآن على ذكر ثلاثة منها مطبوعة : (١) كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري ، وهو علي بن يعقوب بن جبريل البكري الشافعي المصري (٦٧٣ — ٧٢٤) وترجمته في الشذرات (ج ٦ ص ٦٤) وهو ردّ على مسألة الاستغاثة بالمخلوقين ، وقد لخصه ابن كثير في تاريخه . (٢) كتاب الرد على الاخنائي المسمى بقاضي القضاة علم الدين بن شمس الدين (٦٦٤ — ٧٣٢) وترجمته في الشذرات أيضاً (ج ٦ ص ١٠٣) واسمه « الرد على الاخنائي واستحباب زيارة خير البرية ، الزيارة الشرعية » وهما مطبوعان معاً بمصر سنة ١٣٤٦ . (٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، وهو مطبوع بمصر أيضاً سنة ١٣٢٧ هـ .

وفي طلائع الكتاب الأول مباحث جليلة في مدوني التفسير والحديث والسير والتاريخ ، والجرح والتعديل ، وذكر طائفة من الكتب المعتمدة ، وبيان ما اتسع فيه الكذب من فضائل الأعمال والأشخاص والأماكن والزمان ، وما سمعه شيخ الاسلام من جهالات بعض القضاة والمفتين والمدرسين وما رآه منهم . وقد حقق فيه أن لفظ الاستغاثة في الكتاب والسنة وكلام العرب ، انما هو مستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به ، وأكثر ما يقال : ياغياث المستغيثين ، ومعناه المدرك عباده في الشدائد اذا دعوه ، ومريحهم ومخلصهم ، فلا يجوز للإنسان الاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله . (قال) ولو كانت الاستغاثة

بعد الموت ثابتة ثبوتها في الحياة لطلب من النبي (ﷺ) أن يقوم بالإمامة في الصلاة ، والإمارة في الغزو ، وإرسال البعوث ، وعقد الألوية ، والشعائر في الحرب ، وإقامة الحدود ، وإيصال الحقوق ، وقسم المواريث والغنائم ، والفيء والصدقات ، وتعليمهم ما يؤمرون به مما في القلوب من المعارف والأحوال ، أو ما يقوم بالأبدان من الأقوال والأعمال ، وإفتائهم فيما ينوبهم من المسائل ، والحكم بينهم فيما يتنازعون فيه من القضايا ... فهذه الأمور التي كان مأموراً بها أمر إيجاب أو استحباب ، وكان حقاً عليه للخالق انتهت بموته فلم يبق عليه منها شيء ، كما انتهى حق الله الذي أمر به[1] .

وأقول تأييداً لما ذكره شيخ الإسلام : ان الصحابة الكرام ، قد تناظروا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ، في أمر الخلافة ، وفي جمع القرآن ، وفي المعارك الدامية كوقعة الجمل وصفين والنهروان ؛ وتناظر الشيخان في قتال مانعي الزكاة ، وفي إرسال جيش أسامة ، ولم يستغيثوا به في هذه الشدائد ، ولا استفتوه في شيء منها ، وكل هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العقل والحس والوجدان بالبداهة ، فيجب ردّ ما يتجدد من الوقائع والحوادث الى الوحي المنزل ، وما عرف من سنن الصدر الأول للإسلام . ولو كان ترك وسائل النصر والظفر ، والاستنصار بغيره تعالى مفيداً لنا في شيء ، لكنا اليوم أسعد الأمم حالاً ، وأنعمها بالاً ، وأوفرها عزة وثروة وقوة ، ولكن تلك الخطة المعارضة للشرع والطبع والحس التي سلكها أولئك الناس لم تزد الأمة إلا نكالاً ووبالاً ، «قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ، فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخشون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا»[2] .

(١) ملخصه من ص ٨٣ و ٩١ و ١١٠ منه .
(٢) الاسراء : (٥٦ و ٥٧) .

ثم إن هذا المؤلف (البكري) قد جرى على عرف بعض العلماء المتأخرين الذين جعلوا الاستغاثة به (ﷺ) وبغيره في معنى التوسل الى الله تعالى بجاهه وبحقه ، كالسبكي في شفاء السقام ، والقسطلاني في المواهب ، والسمهودي في خلاصة الوفا ، وابن حجر المكي في الجوهر المنظوم وغيرهم . والمراد أنهم يسألون الله تعالى بحقه وجاهه أن تقضى حوائجهم ، وسيأتي بحث ذلك . أما الاستغاثة بأهل القبور أنفسهم بمعنى طلب الغوث منهم - أي زوال الشدة ، وتفريج الهم والكرب ، وقضاء سائر الحوائج ، فهذه استغاثة شركية ، لا تدخل في دائرة الأسباب والمسببات بحال ، بل هي توسل الغلاة والجهال في الحضر والسفر ، والبر والبحر ، والعسر واليسر ، والفرج والشدة ، ونحن نجل أهل العلم والعقل والإيمان ، عن الوقوع في مثل هذا الطغيان والهذيان .

وفي الكتاب الثاني لشيخ الإسلام (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة) ما ملخصه : لفظ التوسل يراد به ثلاثة معان (أحدها) التوسل بطاعته (ﷺ) فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به . (والثاني) التوسل بدعائه وشفاعته ، وهذا كان في حياته ، ويكون يوم القيامة . (والثالث) التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته ، والسؤال بذاته ، فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه ، لا في حياته ولا بعد مماته ، لا عند قبره ولا غير قبره ، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم ، وهذا هو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه انه لا يجوز ، ونهوا عنه حيث قالوا : لا يسأل بمخلوق[1] اهـ .

أقول إن التوسل في لغة الصحابة هو عبارة عن أقوال وأفعال وأحوال لم تجر سنة الله في صدورها عن غير الأحياء بين أظهر الناس ؛ كتوسل عمر بالعباس في الاستسقاء ، فهو طلب للسقيا والدعاء والصلاة على طريقة معهودة في الشرع ؛ معروفة في كتب الحديث والفقه ، ومنها أن يخرج المتوسل به الى المصلى

(١) ص ١٢ و ٥٣ و ٥٥ و ٥٧ و ١٧٦ منه .

ويخرج الناس معه ، فيستسقي ويدعو مستقبلاً القبلة ، ويحوّل رداءه ويصلي ركعتين ، ويخطب خطبتين ، أو نحوها من الهيئات الثابتة ، كما يعلم ذلك من سَبْر الأحاديث الصحيحة الواردة في الاستسقاء ، والمتوسل به للسقيا على تلك الهيئة أو نحوها لا يمكن أن يكون من غير الأحياء .

ثم ههنا مسألة مهمة وهي أن حقوق الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وصلاح الصالحين ، ليست من أعمال السائل التي يستحق عليها الجزاء ، ولا رابطة بينها وبين إجابة سؤله ، فاذا قال الداعي : أسألك بحق فلان الصالح أن تقضي حاجتي فمعنى ذلك : اقض حاجتي لكون فلان صالحاً ، فأي مناسبة بين قضاء حاجتك وصلاحه ؟ واذا قلت بجاه فلان اغفر لي ، كان المعنى : طلب المغفرة لكون فلان ذا جاه ، وأي مناسبة بين جاهه ومغفرة ذنبك ؟ فصلاحه أو جاهه ليس منفياً عنه لا في حياته ولا عند ربه ، ولا هو محل نزاع ، ولكن ليس من عملك الذي تستفيد أنت منه ، وتستحق الجزاء عليه ، وانما العامل هو الذي يجني ثمرة عمله في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : « مَن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

ولو كان التوسل بعمل الصالحين يفيد المتقاعسين عن العمل لهان الأمر علينا معشر المسلمين ، إذ كان يمكننا أن نقول مثلاً : اللهم أزل ضعفنا ، وأمّن خوفنا ، وانصرنا على عدونا بجاه سلفنا الصالح الذين جاهدوا في سبيلك لإعلاء كلمتك ، ففتحت لهم فتحاً مبيناً ، ونصرتهم نصراً عزيزاً ، ربنا هب لنا من الملك والسلطان ، والعلم والعرفان ، والحضارة والعمران مثل ما وهبت لهم ، أفترى أنه تفيدنا هذه التوسلات بجاه أسلافنا وقوتهم ، وسعة سلطانهم ، واستبحار عمرانهم ، ونحن قد تداعت علينا الأمم فجعلتنا مغنماً ، ونهباً مقسماً ! لا لا ، وانما ننهض ونجدد اذا اهتدينا بهديهم وكان لنا مثل عملهم .

قال الامام ابن القيم رحمه الله : « وقد رتب الله سبحانه حصول الخيرات في

الدنيا والآخرة ، وحصول الشر في الدنيا والآخرة في كتابه على الأعمال ترتيب الجزاء على الشرط ، والمعلول على العلة ، والمسبب على السبب ، وهذا في القرآن يزيد على ألف موضع » . وقال أيضاً : وهكذا شأن التوسل الديني الأخروي . وهكذا من وفقه الله وألهمه رشده بدفع قدَر العقوبه الاخروية بقدَر التوبة والإيمان والأعمال الصالحة ، فرب الدارين واحد ، وحكمته واحدة ، لا يناقض بعضها بعضاً ، ولا يبطل بعضها بعضاً اهـ .

قلت : ويشهد له قوله تعالى : « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » فهو توسل الى الله تعالى بالإيمان والاتباع . ومن أفضل أنواع التوسل ما جعله الله تعالى دعاء للمؤمنين ، ورتب عليه غفران الذنوب ، وتكفير السيئات ، والوفاة مع الأبرار ، فقال عز من قائل : « ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار » وقال جلت حكمته : « الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار » فهذه الآيات الكريمة قد أرشدتنا الى التوسل اليه تعالى بما شرعه من الإخلاص في الدعاء له وحده ، والإيمان بما أنزله من عنده ، واتباع الرسول على الوجه الذي جاء به من عند ربه ، فتأمل كيف جعل ذلك سبباً لمغفرة الذنوب ، والوقاية من النار ، والنظم في سلك الأبرار ، وأين هذا التعليم الإلهي ، والتوسل الشرعي ، من المعامل التوسلية التي أنشأها المبتدعة لأنفسهم ولغيرهم ، وهم يصدرون منها كل حين من التوسلات المبتدعة أنواعاً منوعة ما أنزل الله بها من سلطان « قل أأنتم أعلم أم الله » ؟

وأما الكتاب الثالث — وهو الرد على الإخنائي — المسمى بقاضي القضاة ، فسببه أن الإمام ابن تيمية قد أرسل اليه بعض أصحابه جزءاً أخبر أنه صنفه بعض القضاة ، قد تكلم في المسألة التي انتشر الكلام فيها وهي السفر الى غير المساجد الثلاثة كالسفر الى (مجرّد) زيارة القبور هل هو حرام أو مباح أو مستحب ،

«وهي المسألة التي أجبت فيها من مدة بضع عشرة سنة بالقاهرة ، فأظهرها بعض الناس في هذا الوقت ظناً أن الذي فيها خلاف الاجماع ، وأن السفر لمجرد قبور الأنبياء والصالحين هو مثل السفر المستحب بلا نزاع ، وهو السفر الى مسجد نبينا محمد (ﷺ) المتضمن لما شرعه الله من السفر الى مسجده والصلاة فيه ، والسلام عليه ومحبته وتعظيمه ، وغير ذلك من حقوقه (ﷺ) في مسجده المؤسس على التقوى» اهـ .

أرسل اليه بعض أصحابه هذا الجزء وأقسم عليه ليكتبن شيئاً يظهر فيه جهل مثل هؤلاء الذين يتكلمون في الدين بغير علم ، وليس في الفتوى القديمة التي اطلع عليها القاضي (وهي منشورة في هذا الرد) تحريم زيارة قبور الأنبياء ولا غيرهم ، ولا كان السؤال عن هذا ، وانما فيه الجواب عن السفر الى القبور ، وكتب الشيخ وفتاويه مشحونة باستحباب الزيارة ، وفي جميع مناسكه يذكر استحباب الزيارة . قال ابن تيمية : وأما من كان قصده السفر الى مسجده وقبره معاً فهذا قد قصد مستحباً مشروعاً بالاجماع» ... والجواب في السؤال كان عمن سافر لا يقصد الا زيارة القبور ، لا يقصد سفراً شرعياً كالسفر الى مكة (أي المسجد الحرام) والى مسجد النبي (ﷺ) والمسجد الأقصى .

أقول : إن هذا الموضوع بأقسامه الثلاثة : الزيارة ، وشد الرحال ، والتوسل ، قد شغل الناس قروناً طويلة ، وملأ مئات المصنفات وألوف الصفحات ، وكنت قدمت اقتراحاً الى مؤتمر العالم الاسلامي الذي انعقد بمكة (١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦ م) قربت فيه بين المذاهب المختلفة في المسائل الثلاث ، ووافق عليه الأعضاء المؤتمرون جميعاً ، وخلاصته :

١ — ان الزيارة الشرعية للأموات من دون شد الرحال ، ليس فيها مطعن ولا مقال ، وقد كان النبي يزور سكان البقيع ، وشهداء أحد ، ثم قلت : إن هذا العصر عصر تآمر ملل ، واتفاق دول ، تخالف مصلحتنا معشر العرب

والمسلمين ، وإن كثيراً من العوام والغلاة ، كلما أعوزهم كشف البلاء ، أو تحقيق الرجاء ، تركوا ما أمر الله به من إعداد القوة ، والأخذ بوسائل الدفاع ، ولجؤوا الى قبور بعض الصالحين ، يستنجدون بهم للدفاع عنهم ، وبذلك قضي على كثير من بلاد المسلمين ، فدرءاً لهذه المفاسد الدينية والدنيوية ، نوضح للناس أن دعاء غير الله بكشف الضر ، يعدُّ عبادة لذلك الغير «فلا تدعوا مع الله أحداً» وفي الحديث (إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله) فيستفاد من ذلك أن ليس في الإسلام إلا الأخذ بالأسباب المشروعة في جميع المهمات ، والاستعداد لجميع الطوارئ والحادثات بقدر الاستطاعة .

٢ — إن مسألة شد الرحال إلى المساجد الثلاثة مفروغ منها ، وإن السفر الى ما عداها من المساجد ، أو لمجرد زيارة القبور ، لم يعهد في الصدر الأول ، ولم يقع من الأئمة الهداة ، وهل زيارة قبر النبي مشروعة وحدها فتشدّ الرحال اليها كأداء العبادة في مسجده ؟ أم هي مشروعة تبعاً لأداء العبادة في المسجد ؟ في المسألة قولان ، ويوفق بينهما بأن الصلاة في مسجد النبي وزيارته متلازمان ، بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر ، كمسألة الفقير والمسكين والإيمان والإسلام عند الفقهاء فلا يذكر أحدهما إلا ويراد معه الآخر ، وأن تكون النية موجهة عند شد الرحال إلى أداء العبادة في المسجد ، ومعها زيارته ﷺ .

٣ — إن من استقرأ النصوص ، وسبر غورها ، ظهر له منها أن التوسل اليه تعالى بالكلم الطيب ، والعمل الصالح هو المشروع ، وأنه هو الذي تنال به خيرات الدنيا والآخرة ، فرب الدارين واحد ، وحكمته فيهما واحدة كما قال ابن القيم ، وفي طليعة كتابه : (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي) تحقيق بديع لهذا المبحث ، وقد أورد له القواعد والشواهد الشرعيه من القرآن العظيم الذي أيد العقل والحس والفطرة وطبيعة البشر في ذلك ، ولما كان بعض ظواهر النصوص يوهم شمول التوسل بالذات والجاه أيضاً ، كانت المسألة خلافية ،

وكان فيها قولان لمثل الإمام أحمد بن حنبل ، وقد ورد : « اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا » رواه احمد وابن ماجه ، وفي سنده عطية العوفي ، وهو ضعيف كما قالوا ، ولكن معناه صحيح ، فحق السائلين عليه الإجابة ، وحق الماشين الى المساجد الإثابة ، « وقال ربكم : ادعوني استجب لكم » فالسائلون يسألونه تعالى تحقيق ما وعدهم به ، وقد تفضل فجعله حقاً لهم عليه ، وتحقيق وعده هو من صفاته تعالى الفعلية ، وليس ذلك من محل النزاع في شيء .

ومن المؤسف جداً عدم الاهتداء بهدي الأنبياء والصالحين ، والاكتفاء بتشييد القبور ، وجعلها كالقصور والقلاع ، والصلاة عندها ، والطواف حولها ، ونذر النذور لسدنتها ، ويرحم الله حافظاً القائل :

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم وبألف ألف ترزق الأموات

من لي بحظ النائمين بحفرة قامت على أحجارها الصلوات

والواجب يتقاضى علماء الدين الخالص ، والعاملين للمدنية الصحيحة ، أن يتعاونوا على إنشاء معاهد علمية ، في الأقطار الشرقية والغربية تدعو الى الله على بصيرة ، وتصحح العقائد والعوائد ، وتزيل المهالك والمفاسد ، وتعيد عهد الأئمة ، وتجدد معالم الأمة .

وسنصل البحث بما حققه شيخ الإسلام : من وحدة الأديان ، وأخوة الرسل الكرام ، إن شاء الله .

(يتبع) محمد بهجة البيطار

التعريف والنقد

حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول

شكري فيصل : دكتور في الآداب

مطابع دار الكتاب العربي بمصر ١٣٧١ = ١٩٥٢

يرى الدكتور شكري فيصل ان كل دراسة للمجتمع الإسلامي في نشأته ونموه يجب أن تقوم قبل كل شيء على دراسة الفتوحات ورصد معالمها الظاهرة والباطنة .

من هذه الزاوية نظر في حركة الفتح الإسلامي وعلى هدى منها عمل كتابه الذي عُني فيه بالفتوح من الوجه الآتي : من حيث أنها سبب في نشأة المجتمعات الجديدة وطريق للتعرف الى معالم هذه المجتمعات وسبيل بعد ذلك الى دراسة اللغة والأدب دراسةً لا تحيا جذورها على السطح الأعلى من الأرض ولكنها تنفذ ما استطاعت البعيدَ العميق .

أجتزئ في هذه السطور بالدلالة على روح الكتاب أما خصائصه فلا يتيسر الوقوف عليها إلا بعد مطالعته .

لقد مشى بنا الدكتور شكري فيصل في الفتح الإسلامي مشياً وئيداً فجعل فتوح الشام والعراق ومصر قسماً وجعل ما وراء مصر قسماً وما وراء العراق قسماً فكان لنا بعد الانتهاء من كل فصل من هذه الفصول صورة واضحة لحركة الجيوش وتعاقبها وأمدادها ولما تمكنت منه وما ارتدّت عنه ولغلبتها واستقرارها في خاتمة الأمر .

ليس من الضروري بعد هذا كله أن نقف على فتح كل قطر على حدة لأن غايتنا التعريف بالكتاب لا التحليل ولا التركيب ، ولكن لا نجد لنا مندوحةً

عن الإشادة بالنهج العلمي الذي نهجه المؤلف فيه ، انا نرى الفكر الرياضي مفقوداً في أكثر كتبنا وأعني بهذا الفكر الرياضي تسلسل المباحث وربط بعضها ببعض ربطاً منطقياً حتى لا يركب بعضها بعضاً واذا كان الفكر الرياضي مفقوداً في أكثر كتبنا فان كتاب الدكتور شكري فيصل ينعم به نعمة كبيرة وحسب صاحبه هذا الفضل .

لقد حاول أكثر المؤرخين في مؤلفاتهم أن يأخذوا بأيدينا في مسالك الجيوش فوقفنا على حركات الجيوش وسكناتها واطلعنا على عَددها وعُددها ورأينا بأعيننا هزمها وانهزامها وشهدنا أكثر من ذلك الروح الخفية التي تدفعها الى الفتح والتوسع في الآفاق والخلاصة رأينا المثل الأعلى الذي يمشي بها وقد دلنا على هذا المثل الأعلى عبد الله بن الزبير في خطبة من خطبه في فتح افريقية اذ قال : فبتنا وباتوا ، وللمسلمين دويّ بالقرآن كدويّ النحل ، وبات المشركون في خمورهم وملاعبهم ، فهذا الدويّ بالقرآن هو الذي دفع المسلمين الى فتوحاتهم فكان لهم أملان : أمل في الدنيا وأمل في الآخرة .

هذا كله اهتدى اليه المؤرخون ولكن الشيء الذي لا نزال نجهل أكثره أو أقله انما هو حالة بلاد العدو النفسية في تلك الفتوح ، فنحن نعلم في هذا العصر ان للحالات النفسية أثراً كبيراً في الحروب ، في الهزم والانهزام فالعُدد وحدها لا تفسر لنا هذا الهزم وهذا الانهزام فلا بدّ من الوصول الى أعماق النفوس حتى نعلم حالاتها في مثل هذه الحروب فكيف كانت حالات بلاد العدد النفسية في فتوح المسلمين ، لا شك في أن جيوش المسلمين انتفعت بضعف هذه الحالات بقدر انتفاعها بقوة رجالها وشدة ايمانهم فالتاريخ لا يزال غامضاً في هذا المعنى فهو لم يفسر لنا الحالات النفسية في الجيوش المنهزمة وفي بلادها وهذا عنصر ذو شأن في عصرنا هذا في تحليلات الحروب .

واذا كان يجدر بنا الإشادة بكتاب الدكتور شكري فيصل : حركة الفتح الإسلامي فانا نشيد به لأنه لم يهمل في بعضه هذا العنصر العظيم .

المجتمعات الإسلامية في القرن الأول
شكري فيصل
مطابع دار الكتاب العربي بمصر ١٣٧١ = ١٩٥٢

خرج التأريخ على مختلف أشكاله عن أن يكون مجرّد حكايات وروايات وانما هو إحياء لصور ماضية ، صور حروب ، صور جماعات ، صور مجتمعات وما شابه ذلك ، واذا لم يشتمل التأريخ على مثل هذا الإحياء كان جامداً ، فاذا روى لنا الفتوحات فانا لا نكتفي برؤية جيش يزحف الى جيش أو جند يغلبون جنداً وانما نريد أن نرى العوامل النفسية في الغلبة والانكسار حتى نرى بأعيننا صوراً ناطقة بلحمها ودمها وروحها ، فالشيء الذي تشتد الحاجة الى معرفته في عصرنا هذا ، عصر التحليل والتركيب ، انما هو صورة المجتمعات الاسلامية بعد فتوحات الإسلام ، كيف كانت الطبقات في البلاد التي استولى عليها المسلمون ، كيف كانت لغاتهم ، كيف امتزج المسلمون بهذه الطبقات أو كيف امتزجت الطبقات بالمسلمين ، وما هو أثر التفاعل في هذا الامتزاج ، كيف خالطت لغة العرب اللغات الجديدة في البلاد التي غلب عليها العرب ، ما الذي استفادت من هذه اللغات أو ما الذي استفادت اللغات منها ، هذا ونظيره هو الذي يعنينا أمره في عصرنا هذا ، انا نريد أن نرى جماعات ناطقة نشهد حياتها ونسمع كلامها ، نريد أن ينفض المؤلف التأريخ من مدافنه حتى نعيش مع أهله في مجتمعاتهم ونسمع كلامهم .

هذا ما بذل مجهوده فيه الدكتور شكري فيصل في كتابه : المجتمعات الاسلامية في القرن الأول .

في كتابه : حركة الفتح الإسلامي درس هذه الحركة حتى يصل الى معرفة نتائجها في المجتمعات الاسلامية وفي اللغة والأدب .

وفي كتاب : المجتمعات الاسلامية أحيا لنا هذه النتائج فبيّن كيف أدّت فتوحات المسلمين الى انشاء مجتمعات جديدة وما هي الأطوار الجديدة التي دخلت فيها لغة العرب وأدبهم بعد الفتح .

واذا شئنا أن نعرف شيئاً من مظاهر هذا الكتاب فانا نكتفي بأن نقول ان المتعارف ان مجتمعات الجاهلية كانت عبارة عن عصبيات متناحرة تقوم على خلاف القبائل وانقسامها وان هذه القبائل كانت وكأنما كل واحدة منها أمة مستقلة الا أن الدكتور شكري فيصل لم يذهب هذا المذهب فقد قرّر ان مجتمعات الجاهلية لم تكن على هذه الصورة من الجمود والتشتت ولم تكن القبائل تعيش في هذا التباعد وانما كانت هناك حركة تسوق القبائل وتقرّب بينها .

من الصعب أن نحيط في هذه الكلمة المختصرة بروح كتاب الدكتور فيصل من مجامع نواحيه ، من الصعب أن نحيط بآثار الفتوح الإسلامية في المجتمعات واللغة والأدب ، انا نعرف أن اللغة العربية بعد أن خرجت من بيئتها لم تكن ملك العرب وحدهم كما يقول « دوزي » في معجمه وانما أصبحت ملك الولايات التي استولى عليها العرب فامتزج العرب بأهل تلك الولايات فكان لهذا الامتزاج أثر في العرب أنفسهم وفي لغتهم فاقتبس العرب عن المغلوبين من أهل الشام وفارس والقبط والبربر والاسبانيين والترك طائفة عظيمة من المفردات ، انتقل العرب من البدو الى عالم كانت آفاقه جديدة فاتصلوا بمدن ورثت أشياء كثيرة من الحضارات القديمة كحضارة الرومانيين وحضارة الفرس فأثر هذا الانتقال في ثقافتهم فدرسوا فنون المغلوبين وعلومهم وأدّت هذه الدراسة الى انقلاب في أفكارهم وأخلاقهم ولغتهم ذاتها .

وضّح الدكتور فيصل في كتابه آثار هذا الانقلاب في مجتمعات المسلمين ولغتهم وأدبهم ففي كل عصر كان ناس يحرصون على مجتمعاتهم القديمة ولغتهم القديمة وناس يذهبون مذاهب جديدة ، ففي القرن الأوّل من الاسلام حاول

بعض الشعراء أن يحرصوا على الروح الجاهلية في شعرهم كما حاول بعد ذلك علماء اللغة أن يحرصوا على وحدة لغتهم الا ان الفتوحات أثرت في الأدب وفي اللغة وليس بقليل أن نشهد عواقب هذه الآثار فنرى كيف استفاض اللحن في كلام الناس ٠

لقد استطاع الدكتور أن يصور لنا في مؤلفه العظيم هذا العالم الجديد الذي تصارعت فيه بعد الفتوحات الإسلامية لغة العرب ولغات ثانية ومجتمع العرب ومجتمعات ثانية حتى كدنا نرى آثار هذا التنازع بأعيننا فكأننا عشنا بين ظهراني الإماء والعبيد والزنوج والأنباط الذين خالطوا العرب فتعلموا لغتهم وجمعوا بينها وبين عجمتهم ، ولكن لغة العرب بعد الفتوح غلبت على كل اللغات التي مرّت بها فلم تستطع لغة واحدة منها أن تستأصل العربية ٠

أفلا يحق لنا بعد هذه الصورة الناطقة التي ازدحمت في كتاب : المجتمعات الاسلامية في القرن الأول أن نثني على صاحبه أجمل الثناء وأن نشيد بفضله ومجهوده ٠

شفيق جبري

مخطوطات يمانية

في خزانة كتب الإمام يحيى

أهدى الى خزانة المجمع العلمي العربي حضرة الأمير سيف الإسلام عبد الله (مجلداً من فهرس كتب المكتبة العامة بجامع صنعاء) وقد رأينا أن ننشر هنا طائفة من أسماء مخطوطات نراها قمينة بالذكر ٠ جديرة بالنشر ٠ ونعتمد في أكثر ما نذكره من المخطوطات على ما عثرنا عليه في مجاميع الفهرس ٠

مجموع (رقم ٩) فيه رسائل مخطوطة للعلامة الأمير محمد بن اسماعيل (المتوفى سنة ١١٨٢ هـ) كتبت في حياته منها :

رسالة في تحقيق مدة الحمل وأقوال العلماء في ذلك ٠

بحث في جواز الضرب على التهمة ٠

بعض الشعراء أن يحرصوا على الروح الجاهلية في شعرهم كما حاول بعد ذلك علماء اللغة أن يحرصوا على وحدة لغتهم الا ان الفتوحات أثرت في الأدب وفي اللغة وليس بقليل أن نشهد عواقب هذه الآثار فنرى كيف استفاض اللحن في كلام الناس ٠

لقد استطاع الدكتور أن يصور لنا في مؤلفه العظيم هذا العالم الجديد الذي تصارعت فيه بعد الفتوحات الإسلامية لغة العرب ولغات ثانية ومجتمع العرب ومجتمعات ثانية حتى كدنا نرى آثار هذا التنازع بأعيننا فكأننا عشنا بين ظهراني الإماء والعبيد والزنوج والأنباط الذين خالطوا العرب فتعلموا لغتهم وجمعوا بينها وبين عجمتهم ، ولكن لغة العرب بعد الفتوح غلبت على كل اللغات التي مرّت بها فلم تستطع لغة واحدة منها أن تستأصل العربية ٠

أفلا يحق لنا بعد هذه الصورة الناطقة التي ازدحمت في كتاب : المجتمعات الاسلامية في القرن الأول أن نثني على صاحبه أجمل الثناء وأن نشيد بفضله ومجهوده ٠

شفيق جبري

مخطوطات يمانية
في خزانة كتب الإمام يحيى

أهدى الى خزانة المجمع العلمي العربي حضرة الأمير سيف الإسلام عبد الله (مجلداً من فهرس كتب المكتبة العامة بجامع صنعاء) وقد رأينا أن ننشر هنا طائفة من أسماء مخطوطات نراها قمينة بالذكر ٠ جديرة بالنشر ٠ ونعتمد في أكثر ما نذكره من المخطوطات على ما عثرنا عليه في مجاميع الفهرس ٠

مجموع (رقم ٩) فيه رسائل مخطوطة للعلامة الأمير محمد بن اسماعيل (المتوفى سنة ١١٨٢ هـ) كتبت في حياته منها :

رسالة في تحقيق مدة الحمل وأقوال العلماء في ذلك ٠

بحث في جواز الضرب على التهمة ٠

مجموع (رقم ١١) فيه رسائل مخطوطة للسيوطي منها :

طي اللسان عن ذم الطيلسان .

إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب .

رسالة التبري من معرة المعري .

رسالة الطرطوث في البرغوث [1] .

اتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء .

الباحة في السباحة .

نزهة العمر في التفضيل بين البيض والسُمر .

الأوج في خبر عوج .

مجموع (رقم ١٢) فيه رسائل مخطوطة لمحمد بن عبد القادر الأهدل منها ثلاث رسائل في موضوع الصندوق الناطق . اثنتان منها للأهدل والأخيرة للهذلي الشافعي:

(١) غاية الانتصار لكون الصندوق الناطق ليس من الأسحار .

(٢) أنوار الهدى في حكم صندوق الصدا .

(٣) فتاوى الفلاح على ما في فتوى حِلّ الصندوق والاسترواح .

(٤) رسالة للأهدل تتضمن جواب سؤال في مسألة الحوايل [2] التجارية .

مجموع مخطوط (رقم ١٧) فيه مقصورة ابن دريد الصغرى ؟

مجموع مخطوط (رقم ٢٨) فيه غاية النفع في نشر فضائل الزرع لشهاب الدين الرميلي .

مجموع مخطوط (رقم ٣٢) فيه كتاب التعاليق في علم النجوم .

---

(١) الطرطوث اهملته المعاجم فلعل صوابه الطرثوث بالثاء وهو نبت يؤكل كذا في اللسان . (المغربي)

(٢) المراد بالحوايل التحاويل وهي الحوالات التجارية المعروفة بين التجار أما الصندوق الذي ألفت فيه الرسائل الثلاث فالمراد به مايسميه العامة (صندوق العجايب) وهو معروف وكاد ينسخ استعماله أو المراد به صندوق الاذاعة (الراديو) المعروف في عصرنا هذا . والمخطوط الذي فيه هذه الرسائل قديم فيكون (الأهدل والهذلي) قديمين . واسرة الأهدل مشهورة بالشرف في بلاد اليمن وقد ترجم صاحب خلاصة الأثر لعدة رجال منها منهم (محمد بن عمر بن عبد القادر الأهدل) توفي سنة ١٠٣٢ ﻫ فلعله مؤلف الرسالتين . (المغربي)

مجموع مخطوط رقم (٣٥) فيه نبذة في علم الصياغة رواها احمد بن يوسف الأموي عن بني أعماس ·

مجموع مخطوط فيه (فلك القاموس في اللغة) وهو شبه مقدمة للقاموس المحيط تأليف السيد عبد القادر بن احمد ·

مجموع مخطوط (رقم ٥٠) فيه : بحث في الرعد والسحاب للسيد محمد الأمير · وجواب سؤال في بيع النساء له وسؤال في ملك الكفار على المسلمين له ·

مجموع مخطوط (رقم ٦١) فيه : قصيدة خالد بن صفوان التي سمتها العرب العروس مع شرحها الرسالة الحاتمية في ما أخذه المتنبي من كلام الحكماء وأدخله في شعره ·

مجموع مخطوط رقم (٨٤) فيه : كتاب الإعلام بوفيات الأعلام للذهبي ·

مجموع مخطوط (رقم ٨٨) فيه : رسالة صفة حل الزئبق ونحوه ·

قراضة الذهب في الأدب المنتخب ·

المستقصى من الأمثال للزمخشري تاريخ نقله سنة ٩٦٧ ·

أنوار المباني المنتظمة ببدائع المعاني · الملتقطة من شرح ابن جني لديوان المتنبي ·

مجموع مخطوط (رقم ٩١) وفيه : عجالة الجواب في الرد على شيعة معاوية الكلاب للسيد صلاح الأخفش ·

شرح قصيدة الصاحب ابن عباد التي مستهلها :

« قلت أبا القاسم استخففت بالغزل » الخ · للقاضي جعفر بن احمد بن عبد السلام ·

مناظرة المأمون في أمير المؤمنين علي عليه السلام منقولة (من الصوارم المنتضاة في المناقب المرتضاة) ·

هذا ما استحسنا ذكره من رسائل المجاميع المخطوطة وباقي الرسائل بل سائر ما في مجلدة الفهرس كلها كتب دينية في الحديث والفقه والعقائد والمناظرات التي يظهر من اسمها أنها مهاترات لا فائدة ترجى من وراء نشرها سوى تكرار القول وترديد الجدل · هذا في مخطوطات الفهرس أما مطبوعاته ففيها النفائس ولكن لا حاجة لنا في ذكرها كما لا يخفى ·

المغربي

التعريف بابن خلدون
ورحلته غرباً وشرقاً

تأليف عبد الرحمن بن خلدون عارضه بأصوله وعلق حواشيه السيد محمد بن تاويت الطنجي وهو بنحو (٤٥٩) صفحة من قطع الوسط ، نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة سنة ١٩٥١ .

أجمع العلماء على إجلال ابن خلدون وانه أحد أفراد قلائل من بين علماء الأمة ولذا عني العلماء بسيرته كما عنوا بأبحاثه وآرائه ليصوروا للناس شخصيته . وهذا ما زين للسيد الطنجي العناية بهذا الفصل من تاريخ ابن خلدون ونشره في كتاب مستقل بعد أن عارضه بأصوله وعلق حواشية . وهذا الفصل من كتاب العبر هو أبعد من أن يعرفنا بابن خلدون لأن التعريف يشمل سيرته الفذة وتحليل شخصيته بصفته عالماً ولا نجد هنا إلا نبذاً من حياته ورحلاته .

كان لابن خلدون قدرة فائقة بالحكم على الأشياء فلم يكتف كغيره بالنقل عن المتقدمين بل جمع ما أخذ منهم وكون من ذلك كله رأيه ، وأراد ابن خلدون أن يقدم للناس سيرته مجردة من كل تعليق ليترك لغيره حسب مذهبه رأيه عن اخلاقه وشخصيته ، والناس قلما يركنون للتراجم التي يصنفها أصحابها لأنفسهم ، وهم أحد رجلين اما معجب بنفسه فيبالغ بقدره أو متواضع فينقص من شأنه . وأما ابن خلدون فقد اعتمد الصدق والبساطة فيما كتبه من سيرته وسجل بها على نفسه بعض هنات خلقية قد يعاب بها ويؤاخذ عليها ولولا اعترافه لما اكتشفت للناس وسلم من لسانهم .

ونشكر ناشر هذا التعريف على عنايته بتحقيقه ووضعه حواشيه ونشره على الصورة التي يريد مؤلفه أن يكون .

دولة بني قلاوون في مصر

الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص ، تأليف الدكتور محمد جمال الدين سرور مدرس التاريخ الاسلامي بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، جاء في نحو (٤٠٠) صفحة من القطع الوسط ، نشرته دار الفكر العربي في عام ١٩٤٧

عرفنا شغف مؤلف هذا الكتاب باستقصاء تاريخ مصر الاسلامية من بحثه السابق عن عصر الظاهر بيبرس الذي كشف به عن صفحة لا تخلو من أسباب العظمة والمجد ، وعزز ولعه بدراسة ثانية عن مصر في عهد أسرة قلاوون ولا تقل هذه الدراسة عن الأولى شأناً ، فقد استعرض المؤلف في كتابه شؤون مصر الداخلية والخارجية والاقتصادية في عهد هذه الاسرة وأشاد في مناقبها دون أن يبدي رأيه في مساوئ حكمها . ولو أراد منصف أن يحاسب هذه الأسرة بحسب الوقائع التي بسطها المؤلف والحوادث التي سردها في كتابه لخفت موازينها وتضاءلت معها جميع حسناتها . ولا يجد القارئ في سيرتها الا سلسلة من الغدر والمؤامرات والاغتيالات والتنافس على الحكم واستباحة الأموال وهتك الأعراض واهمال شؤون الدفاع عن البلاد حتى طمعت بها أضعف الدويلات والامارات ، ولولا انشغال أوربا وقتئذ بحروب المئة سنة لكانت مصر وبلاد الشام لقمة سائغة للأعداء .

وقد عثرت على بعض أخطاء مطبعية لم يشر اليها المؤلف في جدول التصحيحات رأيت التنبيه اليها ومنها :

صفحة	خطأ	صواب
١٠٥	مثالث المشركين	مثالب المشركين
١٣٣	الى الجيل الأحمر	الى الجبل الأحمر
١٣٥	بعدبتين	بعذبتين

صفحة	خطأ	صواب
١٣٩	الجنخان	الوق خان او الوغ خان
١٨٣	وليكف الكف العادية	وليكف أكف العادية
١٨٥	قدمنه في عنقه	قدمه في عنقه
٢٠٣	سنة ١٣٠٥	سنة ١٣٠٣
٢٢١	صراي	سراي وتسمى أيضاً بقجه سراي (راجع حوادث سنة ٧٣٠ من تاريخ ابن كثير) .
٢٢٩	اطنه	اذنة أو ادنة
٣١٦	ويغتسلون منه أمراساً	ويفتلون منه أمراساً

وكان على المؤلف أن يذكر أسماء الأعلام الافرنجية بالحروف العربية أيضاً وأن يعرب أسماء الكتب التي نقل عنها لأن أكثر القراء لا يعرفون اللغات الغربية ولا الحروف اللاتينية .

وحبذا لو اقتدى مؤرخو بقية الأقطار العربية بمؤلف هذا الكتاب وأفردوا لكل عهد دراسةً مستقلة لأنه يتعذر على الفرد أن يحيط بدقائق تاريخ أمة في جميع عهودها ويعالجها معالجةً عصرية .

جعفر الحسني

تاريخ السلالة الحمدانية في سورية والجزيرة

تأليف ماريوس كانار (الجزء الأول)

منشورات كلية الآداب بالجزائر سنة ١٩٥١ ، في ٨٦٢ صفحة

Histoire de la Dynastie des H'amdanides de Jazîra et de Syrie-tome Premier Publications de la Faculté des Lettres d'Alger, Alger 1951,862 Pages.

نشر الأستاذ ماريوس كانار هذا الكتاب إثر جهود طويلة آتت أكلها اليوم بعد دراسة عشرين عاماً في الموضوع ؛ سافر لأجلها المستشرق فتعرف الى الأرض والتربة والكتب والمخطوطات والخزائن ، وأكب فيها على تفهم العصر الحمداني من نواحيه المختلفة ، فجمع له ما يستطيع الدارس جمعه من مصادر ومراجع ووثائق .

وقد بدأ بجمع المصادر العربية المتعلقة بالعصر الحمداني فوفق إلى اصطياد مخطوطاته ومطبوعاته ونشرها على الناس سنة ١٩٣٤ في كتاب قيم عنوانه : « نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني » . وهو ما يزال مرجعاً لكل باحث عن حياة الأمير وعصره في مختلف نواحيه السياسية والتاريخية والأدبية .

ثم عكف بعد ذلك على دراسة النصوص اليونانية والأجنبية الأخرى التي عاصرت الأمير أو جاءت بعده فتحدثت عن حروب العرب ضد الروم والبلغار والروس والأرمن ، ووصفت المعارك ورسمت حياة العرب وأسهبت في ذكر المواقع والأماكن والقصور والآثار . وهذا ثمين كذلك لا يقل فائدة عن المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة ؛ وقد صدر في أجزاء ثلاثة في اللغة الفرنسية بالاشتراك مع غيره من الباحثين والمؤرخين بعنوان « العرب والروم » . وهذا الكتاب

يعرض علينا آراء الطرفين المحاربين والأمتين المتغالبتين ، وبمناقشة هذه الآراء تنجلي الحقيقة التاريخية .

ولما تقدَّم الى الجامعة برسالة الدكتوراه منذ عامين جعل من النصوص الأولى والنصوص الأخرى ميداناً لبحثه ودرسه فكانت الرسالة في جزءين ، صدر منها الجزء الأول وهو في قرابة تسعمائة صفحة ، خصه بدراسة الناحية الجغرافيـة والتاريخية للأقاليم التي كانت مسرحاً لحوادث الحمدانيين ، وجعل الثاني لرسم الحياة السياسية والادارية والاقتصادية والأدبية في المملكة الحمدانية ، وهذا لم يصدر بعدُ .

أما الأول فقد بدأه بتعريف المصادر العربية التي تحدثت عن العصر والحمدانيين تعريفاً دقيقاً جامعاً لم تندَّ عنه مخطوطة أو صحيفة أو نقش على حجر ، حتى لم يترك فيه قولاً لقائل ، وتعريفه أقرب الى تحليل الكتاب كله وبيان فائدته وأسلوبه وطريقة بحثه . ثم عقب على ذلك بتحليل المصادر الأجنبية التاريخية والأدبيـة فقربها من القارئ وعرّفه بقيمتها ونفعها .

وبعد تحليل المصادر شرع في رسم الأقاليم فوصف الجزيرة وأقسامها وقراها ومدنها وأنهارها في تفصيل وايضاح ، ثم تطرق الى العراق وانتقل الى الثغور والعواصم كما تحدَّث عنها العرب لعهدهم والروم لزمانهم ، وذلك كله في قرابة ثلاثمائة صفحة . ووقف بعد ذلك عند الحمدانيين يبيّن تاريخ أسرتهم ونشأتهم وما كان لهم من ثورة وأمجاد في بغداد والموصل وما وقع لهم من طموح في الاستيلاء على ارمينية وبلاد الروم ، الى أن بلغ بهم حلب فتصدى لحكمهم فيها وحروبهم ضد المصريين أو ضد القبائل المغيرة ، ولم يقف عند سيف الدولة بل جعل كتابه في الحديث عن الأسرة الحمدانية كلها ، فبحث في سعد الدولة ثم في ابنه سعيد الدولة ، فنقل لنا حوادث مئة وخمسين عاماً من تاريخ هذه السلالة إلى ان انقضى حكمهم . وذلك في قرابة أربعمائة صفحة .

وختم كتابه في تفصيل الحروب التي دارت بين الحمدانيين والروم فنظر فيها من جانبين وعرض لها من ناحيتين ووقف بينهما وقفة المؤرخ العالم فاستغرق قرابة مئتي صفحة ختم بها الجزء الأول .

ولعلنا بهذا التحليل السريع رسمنا هيكل الكتاب ولم نعرض للتفصيل والمناقشة فذلك لا تكفيه صفحات النقد والتقريظ وإنما يحوجنا الى كتاب في الموضوع ، فصدور هذا البحث يعدُّ عند المؤرخين من علماء المشرقيات حدثاً في الكشف عن عصر تلاحم فيه الشرق والغرب قبل الحروب الصليبية فكان تمهيداً لها وتجربة في جسّ النبض - كما يقولون - :

ونحب أن نشهد بفضل الأستاذ ماريوس كانار على الحمدانيين فقد بسط السبيل للباحثين ليعتمدوا على المصوّرات والوثائق والمخطوطات التي جعلها بين أيديهم عربية كانت أو أجنبية يفيدون منها حين يبسطون القلم في الحديث عن عصر الحمدانيين سواء فيهم الأدباء والمؤرخون ، فقد عرض المؤلف للدواوين والكتب والأخبار فناقش ما تقدمه من عون وما تسديه من يد في ايضاح العصر والتعريف به .

فالكتاب جدير بالدرس والتقدير ، جدير بالترجمة والنقل ، وهو من دعائم الكتب التي صدرت في السنوات الأخيرة عن تاريخ بلادنا وجغرافية أرضنا وفائدة دواويننا وأدبنا ؛ وهو يضيف يداً الى أيادي المخلصين من المستعربين الذين يريدون من بحوثهم وجه الله والحقيقة في حياد علميّ وتثبيت مدرسي . فللأستاذ ماريوس كانار أوفر الشكر على ما قدم ويقدّم في سبيل الفكر والتاريخ .

دمشق : الدكتور سامي الدهان

اكسير المحققين في القرن العشرين

تأليف : المحامي موسى نجيب برنس — بيروت

الكتاب : يقع هذا الكتاب في سبعين ومئتي صفحة من القطع المتوسط يضاف اليها ما يقرب من مئة صفحة استغرقها اهداء الكتاب ثم التعريف به مع عدة مقدمات كتبها بعض رجال القانون والطب الشرعي في بيروت الى جانب ترجمات لها باللغة الايطالية أو بها وبالفرنسية ·

والنسخة التي نكتب عنها تحمل تاريخ ٢٧ ايلول ١٩٥١ تحت جملة « طبعة استثنائية » صادرة عن مطابع الدنيا في بيروت بحرف صغير وعلى ورق جيد ·

المؤلف : كاتب أديب واسع الاطلاع ، ولا شك أنه خطيب ، أو يجيد المرافعة أمام القضاة · وهو يقدم اليوم كتابه الأول الى الخزانة الحقوقية بعد أن قدم الى الخزانة الأدبية عام ١٩٤٨ كتيباً باسم « جولة في ربوع أدونيس » قدم له ميخائيل نعيمة ·

الموضوع : موضوع الكتاب جزء من بحث عظيم الشأن جديد في اللغة العربية ، رغم أن الفكرة فيه تطرق اليها فقهاء المسلمين وأولوها عنايتهم وبحثوها بحثاً مستفيضاً أخذوه من العقل والشرع ، وهذه الفكرة هي « صحة الاقرار » ، أما هذا الكتاب فيدور على « انتزاع الاقرار » وقد قسمه المؤلف الى ثلاثة أبواب : بحث في الأول منها عن « مدى سلطة المحقق في الحصول على اقرار الظنين » وعن « قيمة الاقرار في الدعاوى الجزائية » وفي الباب الثاني بحث عن « التحقيق الجزائي من الناحية العلمية » وفي الباب الثالث بحث عن المخدر المسمى « مصل الحقيقة » فأطلق عليه بالنسبة لرجال التحقيق الجنائي اسم « الاكسير » هذه اللفظة

التي تدل على «ماء الحياة» او على تلك المادة السحرية التي حلم بالحصول عليها قدماء الفلاسفة ورجال الكيمياء .

يعرض المؤلف لعصور الإرهاب والتعذيب التي مر بها العالم ويقول : (وظل التعذيب في الغرب احدى الوسائل التي كانوا يلجأون اليها في حمل المتهم على الاقرار ، ومنذ عهد الثورة أخذ تنظيم التحقيق يتطور بفضل الوعي العام وانتشار الثقافة ، فوجد في العالم من أهل الفقه والمعرفة من جعلو المتهم أمانة في عنق المحقق وأوصوا به خيراً كما كان هناك من حاول فتح الباب في وجهه ، فاستعان بالمحامي لدى الشدة) .

ثم يستمر المؤلف في حديثه عن الإرهاب والتعذيب وكيف تطور مع المدنية الحديثة فأخذت صور العنف والاكراه المادي تختفي وراء الأساليب العصرية التي هي - على حد تعبيره - ذات صبغة شيطانية توصلت البشرية معها الى مشاهدة ما هنالك من المآسي المروّعة التي ارتكبت في أحضان ما يعرف اليوم باسم «جنون الاتهام الذاتي» حتى لكأن الانسان قد أمسى وهو أشد ما يكون فرحا وسروراً لرؤيته نفسه يحفر قبره بظلفه .

ويحدثنا المؤلف مطولاً عن تلك الأساليب قائلاً : (لقد راحت الكيمياء والكهرباء وعلم الجراحة تقوم مقام رجل التحري صاحب الزنود المفتولة والسياط المجدولة) الى أن يقول : (وهكذا انتقلنا من الضرب بالسياط الى الصدمة الكهربائية ، من عذاب الوقوف أياماً والأيادي مكبلة بالأصفاد الى الاغراق في المغاطس المثلجة) الى أن يحدثنا عن الدكتور جاك ابي الطبيب الذي اعترف بأنه قد وفق بفضل المبضع الى استئصال فكرة الاجرام من المجرمين ، فيهاجمه بعنف وجميع القائلين بنظرية مكافحة الاجرام بالعمليات الجراحية مستشهداً بقول أحد القضاة البلجيكيين : (اننا اذا لم نرد المبضع إلى مكانه فنحن سائرون على شفا الهاوية) .

ثم يحدثنا المؤلف عن المستحضرات الكيماوية الحديثة «التي تذل العنفوان البشري» و «تغمز من قناه الحرية الفكرية» و «تفقد الانسان سيادته حتى على ضميره» فيحدثنا مثلاً عن «الاكتودرون» و «المورفين» و «المسكالين» و «السكوبولامين» و «البانتوتال» وكلها من أنواع المخدرات التي استعملت في الغرب في سبيل أخذ اقرار المتهمين وهم فاقدو الارادة بتأثيرها .

والمؤلف وهو يذكر آخر المستحضرات المعروف باسم ـ مصل الحقيقة ـ يسميه باكسير المحققين ـ الاسم الذي توج به كتابه ـ وهو ينادي بوجوب تحريم استعمال هذا المخدر ، لا لأنه من الوجهة الانسانية أشد وقعاً على الكرامة الذاتية من التعذيب المادي ، بل لأنه من الوجهة العلمية لا يمكن الركون الى نتائجه ، لأن الباطن الانساني ـ كما يقول ـ عبارة عن بيئة يرتع فيها جنباً الى جنب كثير من الحقائق والخيالات فلا يمكن الوثوق عند فقدان الارادة من كون الحقائق وحدها هي التي تجري على لسانهم .

ويتهكم المؤلف بنفر من العلماء يدعون بأن «التحليل بالمخدر» انما هو أسلوب لمعرفة الحقائق بدون تعذيب يتم به أسلوب «التحليل النفسي» الذي تمت له السيادة في علم الاجرام الحديث ، ويرد عليهم قائلاً بأن التحليل النفسي يرمي الى معرفة المركبات العاطفية المكبوتة منذ عهد الطفولة ، بينما التحليل بالمخدر هو انتهاك لحرمة الضمير الانساني ، ويؤيد المؤلف رأيه بآراء كثير من العلماء والفلاسفة ويستشهد بالاستاذ كولينيون البلجيكي اذ خطب في مؤتمر لييج فقال : (كفى ! كفى ! ان لي تصرف المحققين انتهاكاً فاضحاً لحرمة الباطن المقدس ! قفوا أيها المحققون عند العتبة من هيكل الأقداس ، ولا تدنوا من كعبة الانسانية الحرام . . ! ان اقتحامكم باطن هذا المقدس الرهيب ، اعني به هذا الكائن المعبر عنه بلفظ «انا» لهو جريمة أشد هواناً مما تدعون التفتيش عنه) .

ثم يختم المؤلف كتابه بفذلكة يعرض فيها رأيه صريحاً واضحاً ويقول في الرد على بعض المجددين الذين يرون في استخدام « التخدير » لكشف الجرائم خدمة للمجتمع : (كلا ! بل الف كلا ! ان واجب كل منا ان يحول دون تطبيق مثل هذه الأساليب الجائرة حتى ولو اتهمنا بالرجعية والتأخر ، لأن هناك معارضة مقدسة تقاوم كل تقدم جائر ورقي مزيف) .

نقد الكتاب : لا يمكن تصنيف هذا الكتاب ـ على جلال موضوعه ـ بين الكتب العلمية ، ولا هو من كتب القانون ، وأقرب الأوصاف له ـ على ما نرى ـ انه من كتب الأدب القانوني ، كمذكرات رجال القانون و كتب المرافعات والقضايا الشهيرة والصور القضائية ، والذي نظنه ان المؤلف استوحى كتابه من مرافعة عدها للدفاع عن متهم سبق اقراره بالجريمة فاستطاع بما أوتيه من حجة وسعة اطلاع الى انقاذ موكله ، مما جعله يفكر في الدفاع عن كل المتهمين الذين ينتزع الاقرار منهم انتزاعاً ، فعمد الى تأليف هذا الكتاب يهاجم فيه الأساليب المختلفة لانتزاع الاقرار ، وفي مقدمتها أساليب التخدير الحديثة ، فكان كتابه ـ رغم التقسيم الذي فرضه في نفسه ـ مجموعة مرافعات منسجمة في أسلوبها متحدة في هدفها وقد صيغت كلها صياغة أدبية تعتمد على أسلوب الخطابة في التكرار والاعادة حيناً وفي التهويل والتحذير أحياناً كثيرة .

ان أسلوب الكتاب في جملته حسن رغم ما فيه من تكرار واسهاب في كثير من مقاطعه ، ورغم بعض التعابير الضعيفة ، او التشابيه غير الدقيقة التي يحويها مثل : « كأنما يغرف من بحر الدعاية غرف المعدم الجائع » أو « نوع من البراز » .

ولغة الكتاب تكاد تكون عالية لولا ما يشوبها من أغلاط شائعة كقول المؤلف : « الغير مشروع » و « تبرئة الغير مسؤولين » .

ومما لا نقر المؤلف عليه اتباعه نسقاً قديماً في تصوير الأسماء الأعجمية يبعدها عن لفظها الأصلي وعما الف الناس كتابته في العصر الحديث كقوله : « جونيف »

و « لياج » و « غرينبارغ » و « امبريار » و « فيبار » و « البنسالين » .

ومما أخذناه على المؤلف أنه في الفصل الذي عرض فيه آراء بعض علماء الغرب في ضرورة قبول مبدأ شرعية استعمال المخدر ضمن قيود وشروط تمنع الافتئات على كرامة الانسان ، كاد يضعف ايمانه بوجوب تحريم جميع الأساليب التي تمكن الانسان من السيطرة على ضمير أخيه الانسان رغم ارادته ، اذ رأيناه وكأنه انساق مع أولئك العلماء في امكان التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع ، ولكن المؤلف يعود الى حماسه وايمانه في نهاية كتابه ليعلن ضرورة تحريم استعمال المخدر في جميع الحالات وهو يهيب بالشرق ورجاله الى التساند في الدفاع عن كرامة الانسان والوقوف في وجه الأساليب التي أخذ رجال الغرب ومفكروه في الشكوى منها وذلك قبل أن يتشوه وجه الشرق اذا أخذ بها .

عرفان الخطيب

تاريخ مدينة دمشق

تصنيف الحافظ علي بن الحسن المعروف بابن عساكر المتوفى سنة (٥٧١)

مطبوعات المجمع العلمي العربي (المجلدة الأولى) بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد

في نحو ٩٠٠ صفحة

يعد تاريخ ابن عساكر أكبر تاريخ في العربية . وموضوعه تاريخ مدينة دمشق وتراجم من دخلها أو سكنها أو اجتاز بها أو باحدى ضواحيها .

ودمشق أول عاصمة للدولة العربية متوسطة بين بلاد المغرب : أندلس وتونس ومراكش ومصر ، وبين بلاد المشرق : العراق وايران وما الى ذلك من أقطار الإسلام . كما يعد مسجدها (الجامع الأموي) أحد عجائب الدنيا . لذلك كانت مركزاً مهماً يمر بها أو يقصد زيارتها أكبر عدد من أعلام العرب والمسلمين .

ترجم ابن عساكر لهؤلاء وجمع فيهم أكبر نصوص موثوق بها فكان تاريخه أعظم مجموعة تاريخية أثارت اعجاب العالم واكبارهم .

و « لباج » و « غربنبارغ » و « امبريار » و « فيبار » و « البنسالين » .

ومما أخذناه على المؤلف أنه في الفصل الذي عرض فيه آراء بعض علماء الغرب في ضرورة قبول مبدأ شرعية استعمال المخدر ضمن قيود وشروط تمنع الافتئات على كرامة الانسان ، كاد يضعف ايمانه بوجوب تحريم جميع الأساليب التي تمكن الانسان من السيطرة على ضمير أخيه الانسان رغم ارادته ، اذ رأيناه وكأنه انساق مع أولئك العلماء في امكان التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع ، ولكن المؤلف يعود الى حماسه وايمانه في نهاية كتابه ليعلن ضرورة تحريم استعمال المخدر في جميع الحالات وهو يهيب بالشرق ورجاله الى التساند في الدفاع عن كرامة الانسان والوقوف في وجه الأساليب التي أخذ رجال الغرب ومفكروه في الشكوى منها وذلك قبل أن يتشوه وجه الشرق اذا أخذ بها .

عرفان الخطيب

تاريخ مدينة دمشق

تصنيف الحافظ علي بن الحسن المعروف بابن عساكر المتوفى سنة (٥٧١)

مطبوعات المجمع العلمي العربي (المجلدة الأولى) بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد

في نحو ٩٠٠ صفحة

يعد تاريخ ابن عساكر أكبر تاريخ في العربية . وموضوعه تاريخ مدينة دمشق وتراجم من دخلها أو سكنها أو اجتاز بها أو باحدى ضواحيها .

ودمشق أول عاصمة للدولة العربية متوسطة بين بلاد المغرب : أندلس وتونس ومراكش ومصر ، وبين بلاد المشرق : العراق وايران وما الى ذلك من أقطار الإسلام . كما يعد مسجدها (الجامع الأموي) أحد عجائب الدنيا . لذلك كانت مركزاً مهماً يمر بها أو يقصد زيارتها أكبر عدد من أعلام العرب والمسلمين .

ترجم ابن عساكر لهؤلاء وجمع فيهم أكبر نصوص موثوق بها فكان تاريخه أعظم مجموعة تاريخية أثارت اعجاب العالم واكبارهم .

وحينما جرى الحديث في هذا التاريخ واستعظامه بحضور علامة مصر ومحدثها «الحافظ المنذري» أخرج مجلداً وأراه للحاضرين وقال في مؤلفه : ما أظن هذا الرجل الا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع في الجمع من ذلك الوقت ، والا فالعمر يقصر عن أن يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبه .

وعلق القاضي ابن خلكان على كلام أستاذه المنذري بقوله : ولقد قال الحق . ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول . ومتى يتسع للانسان الوقت حتى يصنع مثله . وهذا الذي ظهر هو الذي اختاره وما صح له هذا الا بعد مسودات ما كاد يحصرها العدّ .

يحمل هذا التاريخ نحو عشرة آلاف ترجمة لمشاهير الاسلام وفيـه السيرة النبوية مفصلة وسيرة الخلفاء الراشدين ممن دخلوا دمشق أو بعض أعمالها في الجاهلية أو الاسلام وفيه تراجم الخلفاء الأمويين وقوادهم وعلمائهم وتراجم غيرهم من العراقيين والحجازيين واليمنيين ممن ضمتهم صفين وفيه نصوص مشبعة عن العهد الأموي والبلاد الأندلسية وفتوحها وادارتها وقوادها مما يندر وجود مثله في غيره .

وقد ترجم لأشهر خلفاء بني العباس كهارون الرشيد والمأمون والمعتصم والمتوكل وأشهر علماء ذلك العصر كالأوزاعي والشافعي وابن حنبل واصحاب الكتب الستة وترجم للجاحظ وأمثاله ، وأشهر قواد ذلك العصر كأبي مسلم الخراساني وطاهر ابن الحسين واحمد بن طولون وولده خمارويه وكبار الشعراء كأبي نواس والبحتري وابي تمام وغيرهم .

ويأتي في تراجم هؤلاء وأمثالهم بنصوص تتعلق بهم وذلك عن مصادر أصبحت مفقودة يصلح كثير منها أن يكون كتاباً مستقلاً لغزارتها وكثرة مادتها .

وفي سنة (١٣٢٩ ﻫ) قصد أستاذنا المرحوم الشيخ عبد القادر بدران طبع هذا التاريخ فاصطدم بعقبات جمة أعظمها كثرة الخطأ في النسختين المخطوطتين بالمكتبة الظاهرية بدمشق فعمد الى اختصاره وتهذيبه ليبتعد عن الخطأ الذي

فيها وليحذف ما لم يظهر له معناه ولم يهتد الى صوابه • ومع ذلك فلم يسلم ما طبعه منه من الخطأ الكثير والتحريف • وقد طبع من هذا المختصر سبعة أجزاء كانت سبباً لتعريف العلماء والباحثين قيمة هذا التاريخ •

وظل العلماء ينتظرون طبعه طبعة علمية تجعلهم يثقون بما فيه من نصوص • وكانوا ينتظرون أن يقوم بهذا العمل المجمع العلمي العربي لأن اسم الكتاب: «تاريخ مدينة دمشق» وقد حقق المجمع العلمي حسن ظن العلماء به فألف لجنة من علماء دمشق وأدبائها لتحقيقه وأتى بأجزاء كثيرة مصورة من هـذا الكتاب من خارج دمشق وعهد بتحقيق الجزء الأول منه الى الأستاذ صلاح الدين المنجد فقام بتحقيق ما أسند اليه خير قيام ، وبذل جهداً كبيراً في معرفة اصطلاحات المؤلف وشيوخه ورجال أسانيده التي يسوقها في أول الخبر أو الحديث • وذلل صعاباً جمة يفيد منها كل من سيحقق بعده في هذا التاريخ • وقد وضع في أوله مقدمةً تبلغ ستين صفحة ضرب بها مثلاً حياً للمحققين والناشرين وضع فيها ترجمةً حافلةً للمؤلف على الطرق الحديثة. ضمنها كل ما يتعلق بالمؤلف كما ضمنها شجرة نسب بني عساكر ومخططاً للعالم الاسلامي أشار الى المدن التي رحل اليها المؤلف لطلب العلم وسماع الحديث ثم ترجم للتاريخ نفسه فحلله تحليلاً دقيقاً وقارن بينه وبين تاريخ بغداد للخطيب • وبين مواطن النقد في كلا التاريخين ثم ذكر مختصرات تاريخ ابن عساكر والذيول التي وضعت عليه وأماكن النسخ المعروفة منها في خزائن العالم ثم وضع فهارس في آخر الكتاب •

وبعد هذا كله فقد توج هذا الجزء في أوله بكلمة ومقدمة للأستاذ الجليل رئيس المجمع العلمي العربي فزادته رونقاً وكمالاً •

فالى المجمع العلمي العربي ، والى الأستاذ المنجد نزف تهانينا على النجاح الذي أصابه هذا العمل العلمي الكبير وقد ظهر ذلك في أول جزء منه • والرجاء أن يطرد العمل في اخراج بقية الأجزاء •

محمد أحمد دهمان

آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م

١	الأستاذ محمد كرد علي (رئيس المجمع)	دمشق
٢	الدكتور اسعد الحكيم	〃
٣	الأمير جعفر الحسني	〃
٤	الدكتور جميل صليبا	〃
٥	〃 حسني سبح	〃
٦	الاستاذ خليل مردم بك	〃
٧	〃 سليم الجندي	〃
٨	〃 شفيق جبري	〃
٩	〃 عارف النكدي	〃
١٠	الشيخ عبدالقادر المغربي (نائب الرئيس)	«
١١	الاستاذ عز الدين التنوخي	〃
١٢	〃 فارس الخوري	〃
١٣	〃 محمد البزم	〃
١٤	الشيخ محمد بهجة البيطار	〃
١٥	الدكتور مرشد خاطر	〃
١٦	الأمير مصطفى الشهابي	〃
١٧	الدكتور منير العجلاني	〃
١٨	الاستاذ هنري لاوست	〃
١٩	الشيخ عبد الحميد الكيالي	حلب
٢٠	الدكتور عبد الرحمن الكيالي	〃
٢١	الاستاذ عمر ابوريشة	حلب
٢٢	الشيخ محمد زين العابدين	〃
٢٣	البطريرك مار اغناطيوس افرام	حمص
٢٤	الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)	اللاذقية
٢٥	الشيخ سعيد العرفي	دير الزور
٢٦	الاستاذ أنيس المقدسي	بيروت
٢٧	〃 بشارة الخوري	〃
٢٨	الدكتور صبحي المحمصاني	〃
٢٩	〃 عمر فروخ	〃
٣٠	الشيخ فؤاد الخطيب	〃
٣١	الفيكونت فيليب دي طرازي	〃
٣٢	الدكتور نقولا فياض	〃
٣٣	الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
٣٤	الشيخ احمد رضا	جبل عاملة
٣٥	الشيخ سليمان ظاهر	〃 〃
٣٦	الأب ا.س. مرمرجي الدومنكي	القدس
٣٧	الاستاذ محمد الشريقي	عمان
٣٨	الشيخ رضا الشبيبي	بغداد
٣٩	الاستاذ طه الهاشمي	〃
٤٠	〃 عباس العزاوي	〃

٤١ الشيخ كاظم الدجيلي بغداد
٤٢ « محمد بهجة الاثري «
٤٣ الدكتور مصطفى جواد «
٤٤ الاستاذ احمد حامد الصراف «
٤٥ « كوركيس عواد «
٤٦ الدكتور داود الجلبي الموصل
٤٧ الاستاذ احمد امين القاهرة
٤٨ « احمد حسن الزيات «
٤٩ الدكتور احمد زكي «
٥٠ الاستاذ احمد لطفي السيد «
٥١ « خليل ثابت «
٥٢ « خير الدين الزركلي «
٥٣ الدكتور طه حسين «
٥٤ الاستاذ عباس محمود العقاد «
٥٥ الدكتور عبد الوهاب عزام «
٥٦ الشيخ محمد الخضر حسين «
٥٧ الاستاذ محمد لطفي جمعة «
٥٨ الأمير يوسف كمال «
٥٩ الأستاذ عبد الحميد العبادي الاسكندرية
٦٠ « حمد الجاسر الرياض
٦١ « حسن حسني عبد الوهاب تونس
٦٢ « مارسه «
٦٣ « عبد الحي الكتاني فاس
٦٤ « محمد الحجوي مراكش
٦٥ الاستاذ عباس إقبال طهران
٦٦ « عبدالعزيز الميمني الراجكوتي عليكر
٦٧ « أ. كي فرنسا
٦٨ « ماسه باريس
٦٩ « دوسو «
٧٠ « كولان «
٧١ « ماسينيون «
٧٢ « هيس سويسرا ـ زوريخ
٧٣ « كرينكو كمبردج
٧٤ « ا. ج. اربري «
٧٥ « هـ. ا. ر. جيب (اوكسفورد)
٧٦ « الفرد غليوم لندن
٧٧ « اميليو غارسياغومز مدريد
٧٨ « فرنسيسكو جبرآلي روما
٧٩ « بروكلمن المانية
٨٠ « هارتمان (ريشار) برلين
٨١ « هـ. ريتر فرنكفورت
٨٢ « سترستين السويد ـ اوبسالا
٨٣ « استروب كوبنهاغ ـ الدانيمارك
٨٤ « بدرسن « «
٨٥ « موجيك فينا
٨٦ « ماهلر بودابست
٨٧ « كرسيكو كانغازولو ـ فنلاندة
٨٨ « فليب حتي اميركة ـ برنستون
٨٩ « سعيد ابو جمرة سانباولو ـ البرازيل

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق
٢	〃 سليم البخاري	〃
٣	الاستاذ مسعود الكواكبي	〃
٤	〃 الياس قدسي	〃
٥	〃 أنيس سلوم	〃
٦	〃 جميل العظم	〃
٧	〃 ما لنجو	〃
٨	〃 سليم عنحوري	〃
٩	〃 عبد الله رعد	〃
١٠	〃 رشيد بقدونس	〃
١١	〃 اديب التقي	〃
١٢	الشيخ عبد القادر المبارك	〃
١٣	السيد محسن الأمين	〃
١٤	الاستاذ معروف الارناؤط	〃
١٥	الأب جرجس شلحت	حلب
١٦	〃 جرجس منش	〃
١٧	الاستاذ قسطاكي الحمصي	〃
١٨	الشيخ كامل الغزي	〃
١٩	الاستاذ ميخائيل الصقال	〃
٢٠	الشيخ بدر الدين النعساني	〃
٢١	〃 راغب الطباخ	〃
٢٢	〃 عبد الحميد الجابري	〃
٢٣	الدكتور صالح قنباز	حماة
٢٤	الشيخ سليمان احمد	اللاذقية
٢٥	الاستاذ ادوار مرقص	〃
٢٦	الاستاذ حسن بيهم	بيروت
٢٧	الأب لويس شيخو	〃
٢٨	الشيخ عبد الله البستاني	〃
٢٩	الاستاذ جبر ضومط	〃
٣٠	〃 عبد الباسط فتح الله	〃
٣١	الشيخ عبد الرحمن سلام	〃
٣٢	〃 مصطفى الغلاييني	〃
٣٣	الاستاذ عمر الفاخوري	〃
٣٤	〃 بولص الخولي	〃
٣٥	〃 امين الريحاني	لبنان
٣٦	الامير شكيب ارسلان	〃
٣٧	الشيخ ابراهيم منذر	〃
٣٨	الاستاذ جرجي يني	طرابلس الشام
٣٩	〃 نخلة زريق	القدس
٤٠	الشيخ خليل الخالدي	〃
٤١	الاستاذ عبد الله مخلص	〃
٤٢	〃 محمد اسعاف النشاشيبي	〃
٤٣	الشيخ سعيد الكرمي	طول كرم
٤٤	الاستاذ محمود شكري الآلوسي	بغداد
٤٥	〃 جميل صدقي الزهاوي	〃
٤٦	〃 معروف الرصافي	〃
٤٧	〃 طه الراوي	〃
٤٨	الاب انستاس ماري الكرملي	〃
٤٩	الشيخ احمد الاسكندري	القاهرة

٥٠	الاستاذ احمد زكي	القاهرة
٥١	〃 احمد شوقي	〃
٥٢	〃 حافظ ابراهيم	〃
٥٣	〃 اسعد خليل داغر	〃
٥٤	السيد محمد رشيد رضا	〃
٥٥	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	〃
٥٦	〃 احمد كمال	〃
٥٧	〃 احمد تيمور	〃
٥٨	〃 مصطفى لطفي المنفلوطي	〃
٥٩	الدكتور يعقوب صروف	〃
٦٠	الاستاذ اوجينيو غريفيني	〃
٦١	〃 رفيق العظم	〃
٦٢	〃 داود بركات	〃
٦٣	الدكتور امين المعلوف	〃
٦٤	الشيخ عبد العزيز البشري	〃
٦٥	الدكتور احمد عيسى	〃
٦٦	الشيخ مصطفى عبد الرازق	〃
٦٧	الاستاذ انطون الجميل	〃
٦٨	〃 خليل مطران	〃
٦٩	» ابراهيم عبدالقادر المازني	»
٧٠	الأمير عمر طوسون	الاسكندرية
٧١	الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٧٢	الاستاذ رينه باسه	〃
٧٣	〃 ميشو بلير	طنجة
٧٤	〃 زكي مغامز	الاستانة
٧٥	الحكيم محمد أجمل خان	الهند

٧٦	الاستاذ فران	باريس
٧٧	〃 كليمان هوار	〃
٧٨	〃 بوفا	〃
٧٩	〃 جويدي	ايطاليا
٨٠	〃 نللينو	〃
٨١	〃 هومل	المانيا
٨٢	〃 ساخاو	〃
٨٣	〃 هوروفيتز	〃
٨٤	〃 مارتين هارتمان	〃
٨٥	〃 ميتفوخ	〃
٨٦	〃 مونته	سويسرا
٨٧	〃 سنوك هرغرنيه	هولاندة
٨٨	〃 اراندونك	〃
٨٩	〃 هوتسما	〃
٩٠	〃 مرجليوث	انكلترا
٩١	〃 بفن	〃
٩٢	〃 براون	〃
٩٣	〃 بوهل	كوبنهاغ-الدانيمارك
٩٤	» اغناطيوس غولدصيهر	بودابست
٩٥	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	زنجان
٩٦	الاستاذ ماكدونالد	اميركا
٩٧	〃 هرزفلد	〃
٩٨	» آسين بلاسيوس	(مجريط) اسبانيا
٩٩	〃 لويس	(اشبونة) البرتغال
١٠٠	〃 موزل	تشكوسلوفاكية
١٠١	〃 كوفالسكي	بولونية
١٠٢	〃 كراتشكوفسكي	لينغراد

تراكيب ومفردات غير فصيحة

من يستمع الى اذاعات المذياع ويتلو صحف الأخبار يسقط كل يوم على ألفاظ وتراكيب تكاد تكون جديدة لم يسبق للقدماء استعمالها ولا عرفتها العربية فيما وصل الينا من دواوينها ومعجماتها وشعرها ونثرها . كلمات وتراكيب يستعملها بعض الكتاب وهي مرتجلة أو معربة عن اللغات الافرنجية تعريباً سقيماً فلا تلبث الصحف أن تتناقلها ، وربما سرت الى أقلام من كانوا على شيء من الفصاحة من دون أن ينتبهوا من أين أتتهم ، يستعملونها وهم لا يعرفون الا أن فلاناً من الصحافيين استعملها وهم لا يلزمون أن يبحثوا في أصلها لأن ذلك ليس من شأنهم .

ومما كثر استعماله : «وجهة نظر» تركيب افرنجي محض ترجمة : Son point de vue و «نظروا المسألة على ضوء ما لديهم من المعلومات» وهذا الضوء أيضاً مما سرى من لغة الافرنج ، وكذلك «مشبع بالاتفاق» . ومما كثر ترداده بأخرة «الامكانيات» ولعلها ترجمة Les possibilités الفرنسية كثرت كثرة زائدة كما كثرت منذ مدة لفظة «الهيل والهيلمان» وهذه وان كانت عربية لكن الأذواق مجتها لكثرة ما استعملت في السياسة وفي غيرها من الموضوعات . وكلمة الامكانيات القبيحة كان الأولى اختيار صيغة أخرى للتعبير عن هذا المعنى فيقال : الامكان ، واللغة متسعة بفضل الله بألفاظها وتراكيبها على ما لا يكتب فيما نحسب للغة من لغات العالم .

وقد وقع كثير من مثل هذا التركيب لا يحضرني منه الا «تربيوية» نسبة الى التربية ، نسبة تنافي القواعد وعلى سقمها سرت الى كتب التعليم المعتمدة في مدارس مصر والشام والعراق والسبب في سرايتها على ما أقدر ان أول من استعملها اعجمي عن اللغة حاول أن يتعرب ويعرب وكان على رأس بعض وزارات المعارف فحمى بمنصبه هذه اللفظة السمجة وما استطاع العارفون انكارها عليه

مخافة أن ينقم منهم . وهذا الرجل هو الذي اخترع — جزاه الله خيراً — لفظة القبتاريخية للتعبير عما قبل التاريخ .

ومن الجديد « لم يطلب أي شيء منه » ، « لم تكن له أية فرصة للعمل » ، وكلمة أي في هذا الموضع لم تعرف في كلام فصيح ويمكن اسقاطها ويصح المعنى بدونها ، « حول وضع فلان » ، « تحوم حوله الشبهات » ، و « يبحث حول المسألة » ، والأولى « في وضع فلان » ، و « يبحث في المسألة » وهي تغني عن هذا التركيب العجيب ونظنه من استعمالات الفرنج تعريب Autour de وليس من تراكيب الفصحاء في شيء . ومنها قولهم « هذا لا يصح اطلاقاً » لعلهم يقصدون مطلقاً وهذه كثرت في كلام المصريين . ومن جديدهم « يهدف الى » يقصدون يرمي الى أو يقصد الى ومعنى يهدف الى باللغة العربية يقرب ، وفي الأساس : يهدف الى الخمسين أي يقترب منها ، ومنه « التضحية » « ضحى بنفسه » تعريب Sacrifice و Se sacrifier وهما من تعابير الافرنج ، ومنها « كوسيلة لتحقيق المطالب » « كخبير مالي » ، « الاعتراض على اسمه كرجل » ، « لا أستطيع كرجل قانون » ، وكل هذه الكافات من مواضعات الفرنج يمكن الاستغناء عنها أو استعمال صيغ أخرى لا تخل بالمعنى المراد ، ولا يعمد الى هذه الصيغ التي ما شمت روح العربية . « المعروفين في حقول الأدب والمال » وهذه الحقول ما عهد استعمالها عند الفصحاء . « اشتعلت بلدة كذا ابتهاجاً بالحدث الجديد » من أسمج الاستعارات . « هائجة ضد شركة كذا » ، « الدعوى المرفوعة ضد النائب » والأولى هاج على ومرفوعة على . « قرار هام » و « حدث هام » وليس لهذا اللفظ أثر في اللغة على ما عرفنا والأولى أن يقال مهم . « الأمر الذي لا يتفق » والأولى : مما لا يتفق . « مدير عام مصلحة الحجر الصحي » الأولى مدير الحجر الصحي العام وهذه تكثر في عبارات المصريين ولفظة « مصلحة » لا أثر لها في اللغة بهذا المعنى والأولى أن يقال دائرة أو ديوان . « اتخذت الأمم المتحدة قرارات في صالح البلاد المستعمرة » وهذا الصالح غير صالحة في الاستعمال ، والأولى الاستعاضة عنها بمصلحة .

وشاع كثيراً هذا التركيب الجديد «وضع النقط على الحروف» والأصل فيه على حرف I وفي اللغة الافرنجية: Mettre les points sur les I أي وضع النقاط على حرف (I) أي أفصح بصورة صريحة ودقيقة معاً بحيث لم يترك سبيلاً الى الشك .

من العسلطات المحدثة «بسبب ارتقاء رصيده من حوادث السرقة» استعارات بعيدة عن مناحي البلغاء . «يدر عليه أرباحاً خيالية» ترجمة Fabuleux أي فاحشة لا تصدق ولفظة فاحشة أو مفرطة تقوم مقامها . «يكون المجلس مشكلاً» الأولى مؤلفاً والتشكيل بهذا المعنى لم ترد في المعاجم . «القضاء على أي حركة تهدف الى تقدم الافريقيين» الأولى اصلاح هذه الجملة هكذا : القضاء على كل حركة يقصد بها تقدم الافريقيين ، أو ما هذا معناه . «يأمل بدوره تلبية هذه الدعوة» تركيب ما شم رائحة العربية ، «كان الجو مفعماً بروح الوطنية الديمقراطية الحقة التي أضفاها الرئيس بوداعته وبشاشته» وإذا أريد إصلاح الجملة على المناحي العربية فيقال : تجلي ، بدون جو مفعم ، وبدل أضفاها أفاضها . «ذلك العاقل دوماً» انها ترجمة حرفية Il est toujours sage وهي ترجمة رديئة ويستعاض عن «دوماً» بدائماً أو أبداً أو نحو ذلك . «طريقة التقدمية» و «التقدمية» بشعة وان كان لفظ التقدم عربياً . «نوعاً ما» ، «قريته الجديدة النموذجية» ، «ازدهرت البلاد صناعياً وتجارياً وزراعياً» ، «تؤمن ربحاً» أي تضمنه . «كانت مرغوبة» أي مرغوباً فيها ، «تفكيراً جدياً» ، «نعمل جدياً» أي بجد ، «أخذ من الباقي وسطياً» ، «استدامة هذه النفقات» يريد دوامها ومعنى استدام حلق الطائر في الجو وهو غير المراد هنا . «دوائر متضخمة بالموظفين» الأولى غاصة «كان مصيباً اجتماعياً واقتصادياً» ، «حاز على» ، «الحائز على شهادة كذا» ، وحاز لا يتعدى بعلى فيقال حائز الشهادة . الى غير ذلك .

هذا بعض ما يرتكبه كتاب لا يطلب منهم أن تخلو كتابتهم من كل عيب

وخصوصاً من يطلب منهم الاسراع في نقل أفكارهم وأفكار غيرهم من رجال الصحافة . ولكن مثل هذه الألفاظ سرت الى أقلام من وقع الاجماع على أنهم سادة رجال الأدب وسدنة هياكل البيان . أخذوها في الحداثة ولم يحسنوا التفلت من سلطانها بعد تمكنهم من الآداب . فتراهم يقولون « يلعب الشعر دوره » ، « يلعب موضوع الفكاهة دوره » ، « لعب دوراً كبيراً » ، « لعب البيان دوراً كبير الخطر » ، « هيأته للدور الذي لعبه » كأن اللغة ضاقت حتى يلجأ مثل هذا العالم الى لفظة الدور أو هذا التعبير الافرنجي المحض وعندنا عشرات من تعابيرنا ما تقابله به ويغنينا عن هذا التركيب الافرنجي .

وجاءنا السيد الكاتب بألفاظ افرنجية لها أيضاً ما يقابلها كقوله اللغات « الكلاسيكية » أي الأمهات او الراقية ، وقوله « السيكولوجي » و « البيداجوجي » الخ وكله مما لا يصعب عليه أن يورد ما يقابله من الفصحى .

أما بعد فقد كان العلامة الشيخ ابرهيم اليازجي عليه الرحمة من أول من انتبه من علماء اللغة المعاصرين الى ما يقع للصحف من هفوات لغوية في الألفاظ والتراكيب فكتب مقالات سماها « لغة الجرائد » ثم جعلها في كتاب برأسه فتداولته الأيدي وانتفع به الكتاب والمؤلفون . وتعاور هذا الموضوع علماء اللغة فمنهم من أقرّ الشيخ اليازجي على رأيه في سقم بعض الألفاظ والتراكيب بجملتها ومنهم من نقد بعضها وخرّج لها التخاريج كما فعل صديقنا العلامة سليم الجندي . ولا أعرف اليوم غير مجلة واحدة تعاني هذا الموضوع اللغوي الجليل .

ويا حبذا لو تفضل بعض اخواننا من المعنيين بالبحث في اللغة وتمييز بهرجها من صحيحها وكتبوا لنا رسالة ثانية في لغة الجرائد لهذا العهد وما جد فيها من تراكيب وألفاظ . فاللغة عرضة أبداً لدخول الجديد عليها مما لم يعهد استعماله وسيطرد ذلك ما دام العلم يسير سيراً سريعاً والأفكار تتسع فتمس الحاجة الى التعبير عنها وتصويرها حتى تؤدي المراد منها . واللغات كسائر ما في الكائنات تنمو وتذبل وتحتاج في نموها الى جديد وفي ذبولها الى ما يستعاض عنه ويكون على نضرة وجميل أرج

محمد كرد علي

بين الفصحى والعامية

كتب الاستاذ محمد زكي عبد القادر في جريدة « الأخبار » المصرية تحت عنوان « نحو النور » ما يأتي :

كم أشفق على هؤلاء التلاميذ ، وهم في مطلع مرحلة التعليم الابتدائي ، حين نفرض عليهم حفظ كلمات عربية صميمة ، يصعب علينا نحن الكبار حفظها ، واليك بعض الكلمات المقررة على تلاميذ السنة الثانية الابتدائية في مادة المحادثة العربية أنقلها من الكتاب المقرر لهم :

الكنة = البلكونة . الدريئة = البرافان . الكلة = الناموسية .
المشوش = الفوطة . السكردان = البوفيه . الثجاج = السيفون .
الصيهور = المطبقية . الناجود = البرميل . الانبج = المانجو .

وأنا حين أنقل اليك هذه الأسماء ، أريد أن أصور لك ما يعانيه هؤلاء الصغار .

عيسى متولي

وأنا أقول لك ولوزارة المعارف وللمجمع اللغوي انها جريمة في حق اللغة العربية وفي حق الأولاد وفي حق الأجيال القادمة أن نتمسك بهذا السخف ، ونصر على أن نجد لكل كلمة أوربية أو امريكية اسماً عربياً صحيحاً لا يأتيه الباطل من أمام ولا من خلف ...

ولست أعرف بأي عقلية نفكر ؟ .. ان كل اللغات دخلت عليها كلمات وعبارات من اللغات الأخرى . واللغة العربية نفسها ليست خالصة ، فان فيها عدداً كبيراً من الكلمات الفارسية والهندية وليس في هذا ما يشينها ، فانها سنة التطور ، وحاجة الارتباط والتبادل بين الشعوب .

واللغات كالحضارات والعادات والتقاليد وككل مظهر من مظاهر النشاط الانساني لا يمكن أن تقف بمعزل عن التيارات العالمية ، لا بد أن تعطي وتأخذ ، وتندمج في غيرها ويندمج غيرها فيها .

وقد أخذت اللغات الأوربية كثيراً من الألفاظ اللاتينية ، وتكاد ترتد جذور التعبير الانساني بالكلام الى أصول واحدة . واللغة وسيلة للتفاهم وليست حلية للتفاخر . وعلى قدر سهولتها ووضوحها وليونتها يكون ذيوعها وانتشارها ، فلماذا نحاول أن نعقد لغتنا ونجعلها أضحوكة بينا نحن الذين نتحدث بها ؟ لماذا نحاول أن نجعل كلمة « الكنة » بدلاً من البلكونة ، وكلمة « السكردان » بدل البوفيه ، وكلمة « الشجاج » بدل السيفون ... أيها أبسط وأسهل وأقرب تعبيراً عن المقصود المفهوم ؟ أم نريد أن نتحدث بالألغاز .

ثم هل يحسب المجمع اللغوي المحترم بأعضائه الأعلام أن استعمال الكلمات وذيوعها وانتشارها يمكن أن يتم بقرارات ؟ لم يبق الا أن يصدروا مراسيم ويفرضوا عقوبات .

اني أحرض علناً أولادنا تلاميذ المدارس الابتدائية على الكف عن هذا الهذر السخيف ، وأحرض علناً المدرسين الأفاضل أن يكفوا عن ازعاج التلاميذ وافساد ذوقهم بهذه الكلمات الثقيلة السمجة .

أحرض هؤلاء وهؤلاء لا كرهاً في اللغة العربية ، ولكن حباً لها واشفاقاً عليها ، أن تنمو كراهتها في نفوس الصبيان وهم يرونها تصر أن تسمي « السيفون » وهو لفظ رقيق باسم « الشجاج » وهو لفظ ثقيل ... سامح الله المجمع اللغوي ، ولكن لا سامح وزارة المعارف التي أقرت هذا السخف .

محمد زكي عبد القادر

وجاء في الجريدة نفسها بتعليق المعلق الأول ما يلي :

« اطلعت على كلمتكم الخاصة بتعريب الكلمات الأجنبية الى عبارات عربية يصعب على الصغار كما يصعب على الكبار استيعابها . وهذا الوضع خطأ كبير يرجع باللغة العربية الى الوراء . وأرى أن يتبع أولو الأمر في تعريب الكلمات الأجنبية ما يتفق مع ألفاظها الافرنجية . فهذا يرقى باللغة العربية الى مستوى اللغات الأخرى . وليس في ذلك بدعة فالقرآن الكريم نفسه يحوي عشرات

الكلمات الأعجمية عربها التنزيل ، كما أخذ الافرنج عن العرب كثيراً من ألفاظهم العربية الخاصة بالتشريع البحري وقت الحروب الصليبية . ويشهد بذلك علماء القانون البحري في أوربا ونذكر من ذلك على سبيل المثال كلمة Avarie ومعناها « عوار » و Amiral « أمير البحر » و Arsenal « دار صناعة » و Calphater « قلفطة » و Cable « حبل » و Corsaire « قراصنة » و Ancre « أنجر أي المرساة » . الى غير ذلك من الكلمات .

محمد كامل ملش

ترى هل يقتنع المجمع العلمي بهذا ويريح نفسه ويريحنا من هذا العبث الذي ينفق فيه الكثير من الوقت والجهد . ولست أعرف الاسبانية ، ولكنني حينما زرت مدريد في الشتاء الماضي وأنصتُ الى أحاديث الاسبانيين ، لاحظت أن لغتهم أخذت الكثير من الكلمات العربية . ولم تأخذ الكلمات فحسب ، بل أخذت أيضاً الكثير من التقاليد والعادات .

ان محاولتنا أن نعزل أنفسنا عن العالم محاولة تدل على ضيق الأُفق ، وسوء التفكير .. ألا ينادي البعض اليوم بالعودة الى النظم التي كانت سائدة في عصور الاسلام الأُولى ؟ أليست هذه ردة عجيبة في وقت يدعو فيه كل شيء للتحرر والتقدم ... وهؤلاء القائلون أنفسهم قد قدموا الدليل على أنهم لا يفهمون روح الاسلام ولا حكمة التشريع ، ولو رجعوا الى ما كان يجري في صدر الاسلام من قياس الأشياء بضروراتها ، ونسخ الأحكام ، وتيسير الأمر على الناس ، ولو وعوا أن الاسلام لم يقصد قط خلود حكم من الأحكام فيما عدا العبادات ، لأدركوا أي دين عظيم هذا الدين ، وأية شريعة سمحة هذه الشريعة .. ولكنهم بضيق التفكير وضآلة الفهم يجنون على الاسلام أعظم جناية ..

ليست اللغة اذن هي التي يصيبها شر الجامدين ، ولكنها أقدار البلاد ومصائرها أيضاً .. وقاها الله الشرين .

محمد زكي عبد القادر

هذا ما نشرته « الأخبار » وما نخال أن شفقة الناقد على صغار التلاميذ بفساد أذواقهم اذا استظهروا مثل هذه الكلمات الا شفقة في غير محلها ، ولم ندرك وجه الثقل في الألفاظ العربية وما كان ظاهر الخفة في المفردات الافرنجيـة ولا السر في تحسين هذه في ذوقه وتقبيح مرادفها من العربية .

وعندنا أن ذوق الطالب يستقيم اذا أكثر من تلقف ألفاظ عربية في دراسته الأولى فيألفها ذوقه وان رأى فيها شيئاً غريباً عنه ، يألفها أكثر من ألفاظ ما حببت الى من حببت اليه الا لاستحكام العامية فينا في معظم مظاهر الحياة ، على حين نزعم أننا دعاة تجدد وأباة جمود . وأغرب ما في الباب أن تصدر هذه النقدات من صاحب قلم ما زال مشرعاً في خدمة العروبة والمدنية .

وانا اذا اكتفينا بما ورثناه من عصر الانحطاط اللغوي من الألفاظ الفرنجية التي تسربت الى لغتنا على حين غفلة منا وتجافينا عن الأخذ باستعمال ما يضعه لنا مجمع اللغة العربية من الألفاظ فمعنى ذلك أننا ندعو جهرة الى زيادة نصيب العامية في كلامنا زيادة تخرجها مع الزمن عن جمالها واستقلالها فتصبح كلغة مالطة كل لفظة من لغة تخالف الأخرى . وعندها نندم لفتح الباب أكثر مما فتح للدخيل وتكثر الألفاظ الغريبة في لغتنا حتى تكاد لا تضبط ولا يوجب دخول ألفاظ من الفارسية والهندية في لغتنا قديماً ان نوجب اليوم بكل دخيل وهو يسري الينا بالألوف ، وهل من الحكمة أن نقرها كلها ولا نترك لأهل الرأي في اللغة أن يقروا الأصلح لسلامتها ودفع عادية الغريب عنها .

لا جرم أن الناقد الحصيف اذا أعاد نظره فيما كتب وتروى قليلاً في الرأي الذي سارع الى اصداره يشاطرنا رأينا في الاستعاضة عن الدخيل بما يسد مسده من لغتنا . وكنا نتوقع منه أن يثني على جهود مجمع اللغة العربية المصري في العناية بما أنشئ لأجله لسلامة اللغة ، لا أن يحمل عليه كما اعتادت بعض الصحف أن تضربه وتدميه منذ السنة الأولى لتأليفه مدفوعة بشهوة النقد أو من باب : خالف تعرف .

م . ك

فهرس الجزء الأول من المجلد الثامن والعشرين

التعريف والنقد

آراء وأنباء

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسِّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٣ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسِّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٤ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٥ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٦ — تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كردعلي
٧ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسِّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كردعلي
٨ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كردعلي
٩ — غوطة دمشق (الطبعة الأولى والثانية) : تأليف الأستاذ محمد كردعلي
١٠ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كردعلي
١١ — ديوان الوليد بن يزيد: جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي. قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
١٢ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٣ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٤ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٥ — 〃 〃 〃 (الجزء الثاني) 〃 〃 〃 〃
١٦ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
١٧ — تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (المجلدة الأولى) بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد
١٨ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢٢ — 〃 〃 〃 〃 (الجزء الثاني) : 〃 〃 〃 〃
٢٣ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرح وتعليق الأستاذ محمد بهجة البيطار
٢٤ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك٠و٠سترستين
٢٥ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد
٢٦ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
٢٧ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
٢٨ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الدكتور يوسف العش
٢٩ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٣٠ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٣١ — بحر العوام فيما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
(٢٩–٣١) بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي
٣٢ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي
٣٣ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : الدكتور أسعد الحكيم
٣٤ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحه الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٣ ١٧ شهر رجب سنة ١٣٧٢

محمد عبده

(١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥ م)

ولد محمد عبده سنة ١٢٦٦ هـ وأبوه عبده خير الله من سكان قرية «محلة نصر» بمركز شبراخيت من عمل البحيرة في مصر، وأمه السيدة جنينة. كان والده من صغار الفلاحين وبذكائه وحسن تدبيره ملك بأخرة اربعين فداناً. وكان كريماً يقري الضيوف ويؤوي الغرباء، وكانت منزلة أمه بين نساء القرية لاتقل عن منزلة زوجها، عرفت بذكاء الفؤاد، ورقة القلب، وبر المعوزين والبائسين.

تعلم محمد القراءة والكتابة في منزل والده وأتمّ حفظ القرآن على حافظ خاص في عامين ولما يتجاوز العاشرة - وأراد ابوه أن يتعلم ولده تجويد القرآن فأرسله الى الجامع الأحمدي بطنطا فقضى في تجويده سنتين، ثم بدأ في هذا المسجد يتلقى النحو فصرف في تعلمه سنة ونصف سنة فما أفلح، وعزم أن يترك طلب العلم ويرجع الى بلده يعمل في الزراعة لكن والده أدرك ما عليه ابنه من

الذكاء فلم يرض الا أن يعود الى الأخذ عن مشايخ طنطا ، فأطاع والده وأضمر الهرب وذهب يختفي عند خؤولة أبيه في « كنيّسة اورين » من قرى شبراخيت . ومن الغد [illegible] أحد اخوال ابيه الشيخ درويش وكان على شيء من العلم [illegible] فهمه ويحفظ الموطأ وبعض كتب الحديث وينتحل التصوف ، فما زال بالفتى أياماً يقرأ له في كتاب تصوف ويشرح له حتى تألفه وردّه الى حظيرة العلم « ولم يأت على الفتى اليوم الخامس من صحبة الشيخ الصوفي الا وقد انشرح صدره وأنست نفسه ، وانقلبت في عشرته قيم الأشياء ، فأصبح اللهو باللهو أبغض شيء اليه ، وأضحت المطالعة والمدارسة أحب شيء اليه » . وتزوج الشيخ وهو في السادسة عشرة وبعد أربعين يوماً أتت على زواجه أرسله أبوه الى القاهرة ليأخذ العلم في الأزهر . وكان من علمائه الجامدون ومنهم المتنورون في الجملة فآلى التلميذ على نفسه ألا يحضر درس من لا يفهم شرحه وتقريره . ولعل هذا التلميذ كان أول شيخ اعترض على طريقة مشايخ الأزهر في التدريس وظل على رأيه حتى أصلحها عندما بلغ أشده وأصبحت كلمته مسموعة .

كان الشيخ في المسامحة الصيفية يعود الى محلة نصر فيجد الشيخ درويشاً قد سبقه اليها فيأخذ في مدارسة الشاب ومحاسبته على ما حصل من العلوم ، ويحثه على النظر في المنطق والحساب . فاذا قال له الطالب هذه علوم لا تقرأ في الأزهر . قال له الشيخ : طالب العلم لا يعجز عن تحصيله في كل مكان . فيؤثر فيه بآرائه وارشاده .

قرأ الشيخ في الأزهر جميع الكتب المقررة في ثلاث سنين . ومضت سبع سنين رأى بعدها الشيخ الصوفي ان مريده كملت نفسه فأخذ يحثه على لقاء الناس ووعظهم ، وكان من قبل يشير اليه بالابتعاد عنهم ، فقال له بعد ذلك : الى متى هذه العزلة ؟ وما الفائدة من العلم ومن تحصيله اذا لم يكن لك نوراً تهتدي به ويهتدي به الناس ، ان من المكروه أن تستأثر بالفائدة دون أهل ملتك ،

وان من لم ينفع بما تعلم فقد أضاع أهم ثمرة تقصد من غراس النعمة ، فعليك أن تخالط الناس وتعظهم وترشدهم الى الطريق القويمة والسنة الصالحة » .

ودع المجاور الأزهري شيخه ومرشده في بعض السنين وبكى هذا بكاء شديداً ومات في السنة الثانية . وعاد محمد عبده الى القاهرة وفي نفسه أشياء من طريقة شيوخ الأزهر وشروحهم ومتونهم وحواشيهم وتقاريرهم على الشروح ، رآها مما تضيع فيه الأعمار ولا ينتج عن تعليمها فائدة حتى قال : « كنت أسمع الشيخ وهو يدرّس فأحسبه يتكلم بلغة أجنبية » والطلاب يحفظون ما لا يفهمون وربما كان الأساتذة يلقون ما لا يصححون ولا يعلمون » .

وصف تلميذه الشيخ المراغي عصر محمد عبده وما فيه من انحطاط في السياسة والعلم والأخلاق فقال : « نشأ الشيخ في عصر من العصور القاتمة ، كل شيء فيه ممضّ مؤلم للنفوس الحرة والفطر الصادقة : الأمم الاسلامية تنحدر علمياً وسياسياً واجتماعياً الى أحط الدركات ، وليس لطالب الحرية العقلية بينها متنفّس ، والدين يفهمه الناس على غير وجهه ، واللغة العربية اختلطت بغيرها من لغات العجم ، والزلفى الى الله لها طرق لم يشرعها الله ، والزلفى الى الحكام لها طرق لا يرضاها ذو مروءة . ذهبت ريح المسلمين ، وتفلّت من أيديهم زمام الحياة العامة ، وتداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على القصاع ، وليسوا قلة بين الأمم ، ولكنهم كغثاء السيل .

« ذهب يتعلم فتعلم كما يتعلم غيره قواعد جافة ليس لها حياة تصلها بمنابعها من الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، ولا بأصولها من لغة العرب وأساليبهم وأدبهم ، وتعلم القواعد في مختصرات رضيها ذلك العصر المظلم ، لا تفهم الا بشروح وحواشي وصناعة خاصة ، فلا اللغة العربية بمسعدته على اجادة النظم والنثر والكتابة والخطابة ، وحاجة الحكومات والدول في التشريع والتنظيم ، ولا دراسة الكلام والمنطق بموصلة الى الاستدلال الصحيح الذي يطمئن اليه العاقل ، ويقنع الخصم

المحدث في الاجتهاد وتخير الأحكام لتطابق الأحكام حاجة العصر ، ولتلائم أصول الأمم وأحوال الأزمنة ، مبتدع مخالف لما أجمع عليه المحققون ، والداعي الى سيرة السلف الصالح داعٍ الى مخالفة سيرة العلماء المبرزين ، والداعي الى كتب الأولين مقصر عن فهم كتب المحققين المتأخرين ، والمنادي بأن كتب الفقه وكتب التفسير وكتب الحديث ملئت بمعلومات خاطئة ، وبأوهام وقصص لفقها من قبل علماء الاسرائيليات ، مخالف لما درج عليه صالحو هذه الأمة وجهابذتها .

« عاش الشيخ في هذه البيئة العلمية ضيق الصدر مرير العيش ، فمن من أصحاب الفطر الصادقة ، والنظر السليم ، يؤمن بالقرآن ويعتقد أن فيه هدياً وفيه شفاء ، وان شريعة محمد ﷺ عامة للأمم كلها وللعصور كلها ، يؤمن بأن هذه الدراسة الدينية والعربية تخرج للناس اماماً يهتدون بهديه ، ويشفي أمراض المجتمع في علمه وخلقه ونظامه ، ويضع له القوانين الصالحة والنظم اللائقة ؟ » .

ثم قال : « عاملان من أقوى العوامل وقفا في طريق الشيخ ، عامل الحسد وعامل البيئة ، ومن المحال أن يوجد رجل كالشيخ في صفاته وعلمه لا يُحسد ، ولو أنه لم يُحسد ولو أنه لم يُرمَ بالكفر والضلال ، ولو أنه لم يشتد حساده ، ولم يُقاوم أشد المقاومة بسبب الحسد ، لما كان شيئاً يتحدث عنه ، ولما كان رجلاً من رجال التاريخ » .

قال وسبب ثالث له خطره « وهو بأن جهة من جهة ذات نفوذ (الخديوي) أظهرت عدم الرضا عن الشيخ وساعدت خصومه ، وأن جهة ذات نفوذ آخر (المحتلون) ساعدته وشدت أزره ، فظن القوم أنه رجل يريد افساد الدين وافساد العلم » ومن أشد مظاهر الحسد اذ ذاك ان عالماً من كبار العلماء كتب سلسلة مقالات في جريدة المؤيد يحرم فيها الحساب والجبر والهندسة والتاريخ في الأزهر ، لأن الشيخ كان أول المبشرين بتعليم هذه العلوم في الأزهر ، « وكاد العناد يكون كفراً » .

قال المراغي : ترك الشيخ بذور اصلاح التعليم الديني ، وتعليم علوم العربية ، وبذور اصلاح القضاء الشرعي ، وبذور اصلاح المجتمع الاسلامي والأمم الاسلامية، وليس في رجال تفسير كتاب الله من يضارع الشيخ أو يقاربه في تطبيق آي القرآن على سنن الاجتماع ، وفي تصوير هدي القرآن ، وفي فهم أغراض الدين عامة . قال ودعته ليلة سفري الى السودان لتولي قضاء مديرية دنقلة (نوفمبر ١٩٠٤) فما قال لي : أنصحك أن تكون للناس مرشداً أكثر من أن تكون قاضياً ، واذا استطعت أن تحسم النزاع بين الناس بصلح فلا تعدل عنه الى الحكم ، فان الأحكام سلاح بقطع العلاقات بين الأسر ، والصلح دواء تلتئم به النفوس وتداوى به الجراح . قال وداعبني مرةً اثر خروجي من امتحان شهادة العالمية قائلاً : هل تعرف تعريف العلم ؟ فقلت له : نعم ، وكنت أحفظ اذ ذاك أكثر تعاريف العلم ، فسردت بعضها ، فقال : اسمع مني تعريفاً مفيداً ، العلم هو ما ينفعك وينفع الناس . ثم سأل : هل انتفع الناس بعلمك ؟ قلت له : لا ، قال : اذاً أنت لست بعالم ، فانفع الناس بعلمك لتكون عالماً .

بقي محمد عبده في هذه البيئة العلمية المنحطة مضطرب البال حتى وافى مصر الامام جمال الدين الافغاني سنة ١٨٦٩ ثم ذهب الى الاستانة وعاد الى القاهرة سنة ١٨٧١ فلازمه وتتلمذ له وقرأ الأفغاني لتلاميذه بعض الكتب العربية القديمة والكتب الاورية المعربة في مختلف فروع الفلسفة والتصوف والتاريخ والسياسة والاجتماع فتفتحت عقولهم ومزقت حجب الأوهام عن عيونهم وأخذ يحثهم على الكتابة والخطابة . ولما قرأ محمد عبده «الحاشية على شرح العقائد العضدية» مال الى رأي المعتزلة دون رأي الأشاعرة فشاع ذلك في شيوخ الأزهر ، وفي يوم الامتحان لأخذ شهادة العالمية قاوموه مقاومة ظالمة ، ومنهم الشيخ عليش والشيخ الجيزاوي ، ومع أن رئيس لجنة الامتحان شيخ الأزهر يومئذ الشيخ العباسي ، وكان على جانب كبير من العلم وحب التجدد ، قال لأعضاء اللجنة

أثناء المداولة انه لم ير في حياته أحداً في ذكائه وتثبته من علمه ، وانه يستحق الدرجة الأولى ، بل لو كان فوقها درجة أعلى لاستحقها ، ومع ذلك لم تسمح اللجنة له الا بالدرجة الثانية وبعد ست وعشرين سنة من نيله شهادة العالمية ، عادت مشيخة الأزهر فصححت خطأها ونقلته الى الدرجة الأولى (١٩٠٤) .

ولم تحل درجات العالمية دون تدريس الشيخ في الأزهر وأكثر ما كان يدرس كتباً في المنطق والتوحيد والأخلاق . وفي أواخر سنة ١٨٧٨ عين مدرساً للتاريخ في « دار العلوم » ومدرساً للغة العربية في « مدرسة الألسن » وبعد قليل عزل عن التدريس في هاتين المدرستين على أن يقيم في قريته لا يبرحها الى الحواضر المصرية وذلك لتغيير خاطر أمير البلاد عليه ثم عفا عنه (١٨٨٠) وعين محرراً في جريدة « الوقائع المصرية » الرسمية ثم رئيس تحرير فيها فاستعان بقوة الحكومة على تحسين لغة الكتابة ولغة الجرائد ، وأخذت الجريدة الرسمية تخوض في موضوعات تثقف وتعلم فكان في هذه الصحيفة معلماً ومصلحاً ، قضى على الطريقة القديمة العقيمة في الانشاء وأبطل السجع والازدواج ، وعلَّم الكتاب السلاسة في التعبير وعدم التكلف .

كان الشيخ يرى في شخص رياض باشا رئيس الوزارة صورة حسنة للمستبد العادل « مستبد يكره المتناكرين على التعارف ، ويلجئ الأهل الى التراحم ، ويقهر الجيران على التناصف ، يحمل الناس على رأيه في منافعهم بالرهبة ، ان لم يحملوا أنفسهم على ما فيه سعادتهم بالرغبة » .

وكان رياض يعاون الشيخ على مقاصده في الاصلاح ويستعين برأيه في بعض الشؤون . وسقطت وزارته بقيام الثورة العرابية ، وكان الشيخ يومئذ لا يقول بالثورة ويصرح ان الأمة غير مستعدة للحكم الدستوري وأن الواجب تعليمها وتهذيبها أولاً ويرى استشارة الأمة في بعض مجالس خاصة بالمديريات والمحافظات فقط تمهيداً لما يراد من تقييد الحكومة قال : « وليس من اللائق أن تُفاجأ

البلاد بأمر قبل أن تستعد له فيكون من قبيل تسليم المال للناشئ قبل بلوغ سن الرشد يفسد المال ويفضي الى الهلكة » . وقال : « أخشى أن يجر هذا الشغب على البلاد احتلالاً أجنبياً يستدعي تسجيل اللعنة على مسببيه الى يوم القيامة » .

واحتل الانكليز مصر وأرادوا القضاء على الحركة الوطنية وشلوا سلطة دار الندوة وعملوا على التفريق بين الخديوي والأمة فتحول حينئذ مقام عرابي من قائد جيش الى قائد مصر ، وحينئذ أصبح محمد عبده والبلاد المصرية قاطبة من أتباع احمد عرابي . ورأى الشيخ ما كان يراه كل وطني صادق ان واجبه يقتضيه أن يكون مع الأمة على الانكليز وعلى الخديوي الذي أصبح آلة في أيديهم ينفذون به أغراضهم . وأصبح الشيخ كما قال عميد الاحتلال روحاً مدبراً للحركة وأصبح العرابيون يلجأون اليه في كثير من أمورهم ، لا يبرمون أمراً دون استشارته . فكان موقفه من الثورة العرابية كما قال الرافعي المؤرخ : « موقف الوطني الذي يثور لكرامة البلاد واستقلالها فدافع عنها بكل ما لديه من حول وقوة واخلاص » .

اضطر الشيخ الى ركوب مراكب السياسة وما كان يود أن يدخل فيها ، زج فيها رغم ارادته ولذلك رأيناه يتخلى عن السياسة بعد أن صفا له الجو ولم يرض الدخول في غمارها بالفعل وانقلب معلماً ومرشداً ، أي انه شارك في السياسة بالقدر الذي أراده ثم نفض يده منها الا قليلاً .

ولما قبض على من عرف لهم أثر في الثورة كان الشيخ في جملتهم اتهموه بأنه أفتى بوجوب قتل الخديوي لخروجه على اجماع الأمة ، فغرّب من القطر المصري الى الشام ثلاث سنين ، ثم غادرها الى باريز لنشر مجلة « العروة الوثقى » مع صديقه وأستاذه السيد جمال الدين الأفغاني . وكانت العروة الوثقى جمعية سرية يقصد بها محاربة الاستعمار والمستعمرين وفي مقدمتهم الانكليز ، والغرض البعيد من الجمعية « اعادة الحكم الاسلامي وهداية الدين الى ما كان عليه من الطهارة والعدل

والكمال في العصر الأول ، بتأسيس حكومة اسلامية على قاعدة الخلافة الراشدة في الدين وما تقتضيه حالة العصر لمجد الاسلام في أمور الدنيا ، ويتبع هذا انقاذ المسلمين وغيرهم من الشرقيين من الاستعمار المذل لهم . وأما الغرض القريب فهو انقاذ مصر والسودان من الاحتلال » .

وضاق صدر المستعمرين من مقالات مجلة العروة الوثقى فمنع الانكليز دخولها الهند ومصر والسودان فلم تعش أكثر من ثمانية أشهر كانت مقالاتها ، ويكتبها محمد عبده بقلمه الساحر وعلى بعض آرائها السيد جمال الدين الأفغاني ، أشبه بدساتير للأمة اذا جرت على بعضها نجت مما هي فيه من الانحطاط ومن الذل الذي صارت اليه بفعل ملوكها وأمرائها وزعمائها . وذهب متنكراً من باريز الى تونس فمصر ثم عاد الى بيروت (١٨٨٥) واستدعي للتدريس في المدرسة السلطانية فوضع لها برنامجاً جديداً أخذ على عاتقه منه علوم التوحيد والمنطق والمعاني والانشاء والتاريخ الاسلامي والمعاملات من الفقه الحنفي وظهرت آثار تعاليمه في التلاميذ آخر السنة ، وأرشد المعلمين الى الطريق القويم في التدريس وتهذيب ملكات الطلاب وتثقيف أخلاقهم . وزار خلال ذلك بعض مدن الشام وأفاض على كل من لقيه غرفة من علمه وبيانه . وبورك له بوقته فعلق على كتاب « نهج البلاغة » وعلى « المقامات » للهمذاني وغير ذلك .

وعفي عن الشيخ فعاد الى وطنه فعين قاضياً في المحاكم الأهلية الابتدائية فقال حين سمع خبر تعيينه : ما خلقت لأكون قاضياً بل لأكون معلماً ، وقد جربت نفسي في التعليم فنجحت . وقيل ان عميد الاحتلال بعد مدة أراده على أن ينزع العمامة فيكون رئيس وزراء مصر فقال له : خلقت معلماً وأريد أن أموت معلماً . وترقى في القضاء حتى صار مستشاراً في محكمة الاستئناف ، وكان يود ألا يدخل فيه وينقطع الى التدريس مع انه كان يعلم أنه يرتقي في هذا السلك الى أعلى الدرجات وان مجال التدريس ضيق محدود وطلب ان يعود

الى مدرسة دار العلوم فأبى الخديوي أن يجيبه الى طلبه مخافة أن يلقن تلاميذه من أفكاره السياسية . ولما نصب الخديوي عباس على امارة مصر داخله الشيخ وأقنعه بضرورة اصلاح الأزهر ولكن دسائس شيوخه وغيرهم حالت دون انفاذ هذه الأمنية

وفي سنة ١٨٩٩ عين الشيخ مفتياً للديار المصرية فأصبح بحكم منصبه الجديد عضواً في مجلس ديوان الأوقاف الأعلى الذي أنشأه عميد الاحتلال للحد من تصرفات الخديوي في أموال الأوقاف ، وعين في الشهر الذي تولى فيه الافتاء عضواً في مجلس الشورى . ولم يلبث أن ظهرت المشادة بين الشيخ والخديوي فان هذا أراد أن يبدل مزرعة له بأراض للبناء في ضواحي الجيزة ووضع الثمن الذي راقه فأبى الديوان باشارة الشيخ الا أن تثمّن أرض الخديوي وأرض الوقف ، فكان من ذلك أن خسر الخديوي خمسين الف جنيه ، وبذلك انتقلت العداوة التي نشأت بين مترجمنا والخديوي توفيق من أجل تقلبه في سياسته يوم الاحتلال الى ابنه عباس ، وظل هذا يحرض سفهاء الأفاقين على الشيخ ويحمل زبانيته من الجواسيس والكتاب على تسويد صحيفته في نظر الأمة ، ولكن الشيخ وجد له معتصماً من عميد الاحتلال فكان هذا يبعد نظره يدفع العوادي عنه ويوقيه غضب الأمير .

وكان أول ما نام في ذهنه تفتيش المحاكم الشرعية ففتش كل أرجاء القطر ولم يدع محكمة مديرية او مركز الا شاهدها بنفسه وبحث أعمالها بحثاً دقيقاً ، وتعرف حال قاضيها من قوة أو ضعف ، وضبط العمل والاهمال فيه ، فوضع تقريره وصادف من وزارة العدل معاضدة على انفاذ أكثره ، فأخرج القضاء من دركات التدني التي كان غائصاً فيها . ثم استقال من ادارة الأزهر وظل على العناية بما يصلحه . ورضيت الحكومة أن تفتح مدرسة يتخرج فيها القضاة والكتاب والمحامون الشرعيون وبذلك أبقى للشريعة بعض بهائها الذي كان المشايخ الفقهاء السبب في ذهابه ، واضطرار الخديوي اسماعيل الى العمل بقوانين فرنسا

بعد أن اقترح على أهل الأزهر أن يؤلفوا كتاباً في الحقوق والعقوبات موافقاً لحال العصر فرفضوا لا تديناً بل عجزاً . ووضع لائحة لاصلاح المساجد ليكون أئمتها وخطباؤها من أهل العلم بالدين فعارضه الخديوي أيضاً لحنقه على الشيخ يوم عرض على الأوقاف استبدال أراضي البناء التابعة للأوقاف في الجيزة بمزرعة الخديوي المعروفة باسم مشتهر . قاوم الخديوي الشيخ في هذا المشروع أيضاً وغفل عن مصلحة المسلمين في تقريره وانفاذه وبذلك صح ما قاله ان مصيبة هذه الأمة بفساد أخلاقها أكبر من جميع مصائبها ، وقوله انه لم يعمل عملاً لمصلحة المسلمين ووجد له من يعارضه فيه من غير المسلمين ، لا من الافرنج ولا من القبط ، ولا من السوريين .

كانت طريقة الشيخ السير الى جانب الدين مع مراعاة أحوال الدنيا او تطبيق أمور العالم على الشريعة ولذلك كان في فتاويه يفتي على وجهين ، الوجه الأول : الفتوى الرسمية يتقيد فيها بمذهب الحنفي وغير الرسمية تختلف باختلاف طلب المستفتي فمن المستفتين من يسأل عن حكم الله تعالى «وعلى المفتي أن يجيبه بما يعلم من حكم الله تعالى في كتابه وما ثبت عنده من سنة رسوله ﷺ نصاً او اقتضاءً» . وكانت عادة المفتين في مصر الوقوف عند حد فتاوى الحنفية ومذهب ابي حنيفة مذهب السلطان الذي كان يخفق علمه على القطر .

وكان للشيخ بحكم منصبه ما جعل منه أحسن أداة يستخدم في النهوض بالأمة شأن كل كفؤ من الرجال لا يفلت من يده فرصة لنفع غيره . ومن ذلك انه لم يكتف باصلاح الأزهر واصلاح المحاكم الشرعية بل توفر مع أصحابه على انشاء جمعية سموها الجمعية الخيرية الاسلامية غرضها التعاون على تربية أولاد الفقراء والمساكين من المسلمين واعانة العاجزين منهم على الكسب . قال في احتفالها السنوي مرة : لم تنشأ الجمعية لأخذ الشهادات والاستعداد للوظائف بل من أهم مقاصدها أن تنزع من النفوس اعتقاد أن التعليم لا فائدة فيه الا

الاستخدام في الحكومة ، والجمعية توطن نفوس التلاميذ في مدارسها على أن يعمل الواحد منهم عمل أبيه باتقان ويعيش مع الناس بالأمانة والاستقامة ، فولد النجار يكون نجاراً ، وولد الحداد يكون حداداً ، وولد الفراش يكون فراشاً ، والتربية والتعليم يساعدان كلاً على اتقان عمله وصناعته فيكون اكثر كسباً لأنه أكثر اتقاناً للعمل مع الأمانة والاستقامة . وأصبح الشيخ في سنة ١٩٠٠ رئيساً للجمعية الى يوم وفاته ، فجمع لها من كرام المصريين أموالاً عظيمة ووقف عليها مزارع واراضي وأنتجت ما كان يعقد عليها أمله من الخير في تربية أبناء الفقراء تربيةً حرةً طاهرة .

وهو الذي ألف شركة طبع الكتب فطبعت أسفاراً مفيدة واشترك في تصحيح عدة كتب قديمة ومنها المخصص لابن سيدة .

فطر الشيخ على بثّ العلم ، وكان معلماً في كل مكان دخله ، معلماً في الجريدة الرسمية ، ومعلماً في دار العلوم وفي مدرسة الألسنة ، ومعلماً كل يوم في دروسه في الأزهر منذ حداثته الى آخر أيامه ، ومعلماً في القضاء على اختلاف الدرجات التي تولاها ، ومعلماً في الافتاء وفي مجلس الأوقاف الأعلى وفي مجلس شورى القوانين وفي الجمعية الخيرية الاسلامية وفي غير ذلك من الاعمال بهمة تعلو على الهمم العالية . انتبه من نفسه الى فساد طريقة التعليم الأزهري وهو في العقد الثاني من عمره وظل طول حياته يحارب تدريس الحواشي والشروح والهوامش والتقارير ويقول ان أهل الأزهر يتعلمون كتباً لا علماً ، وغرامهم في حل عبارات المؤلفين والمهمشين والمحشين .

قاوم الجامدون من مشايخ الأزهر الشيخ وما كفوا عن مقاومتهم حتى أصبح غرة شاذخة في الاسلام وعندها خافوا على مناصبهم منه فصانعوه وتألفوه .

قال له الشيخ البحيري مرة في مجلس ادارة الأزهر مدافعاً عن نفسه : « اننا نعلم الطلاب كما تعلمنا » . فقال الأستاذ : « وهذا الذي أخاف منه » .

قال البحيري مستنكراً : «ألم تتعلم انت في الأزهر وقد بلغتَ ما بلغت من مراقي العلم ، وصرت فيه العلم المفرد » . فأجاب الامام : «ان كان لي حظ من العلم الصحيح الذي تذكره ، فانني لم أحصله الا بعد أن مكثت عشر سنين أكنس من دماغي ما علق به من وساخة الأزهر ، وهو الى الآن لم يبلغ ما أريد له من النظافة» .

وشرح مرة طريقته في التدريس فقال ان الكتب لا تفيد القلوب العمي الا اذا صادفت قلوباً متيقظة عالمة بوجه الحاجة اليها واذا وصل الى ايدي هؤلاء العلماء كتاب فيه غير ما يعلمون لا يعقلون المراد منه واذا عقلوا منه شيئاً يردونه ولا يقبلونه ، واذا قبلوه حرفوه الى ما يوافق علمهم ومشربهم .

قال ان الكلام المسموع يُؤثر في النفس اكثر مما يؤثر الكلام المقروء لأن نظر المتكلم وحركاته واشاراته ولهجته في الكلام ، كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه ، وأيضاً يمكن السامع أن يسأل المتكلم عما يخفى عليه من كلامه ، فاذا كان مكتوباً فمن يسأل ؟ ان السامع يفهم ٨٠ في المائة من مراد المتكلم ، والقارئ لكلامه يفهم منه ٢٠ في المائة على ما اراد الكاتب . وعلى ذلك كنت أقرأ التفسير وكان يحضره بعض طلبة الأزهر وبعض طلبة المدارس الأميرية ، وكنت أذكر كثيراً من الفوائد التي تحتاج اليها حالة العصر فما اهتم لها أحد فيما أعلم ، مع أنها كان من حقها ان تكتب ، وما علمت أحداً كتب منها شيئاً خلا تلميذين قبطيين من مدرسة الحقوق ، وكانا يراجعاني في بعض ما يكتبان وأما المسلمون فلا» .

وقال الأستاذ المراغي : كانت دروس الأستاذ كالغيث وكانت مثلاً عالياً في طريقة الالقاء والتفهيم وفي العبارات الفصيحة المتخيرة النافذة الى القلوب وكانت دائرة معارف يجد اللغوي فيها حاجته ، والفقيه رغبته ، والمتكلم بغيته ، ويجد علماء الاجتماع فيها تطبيق آي القرآن على معارفهم .

لم تترك واجبات المناصب وقتاً كافياً للأستاذ ينقطع فيه الى التعليم والتأليف واضطرته حالة الأمة الى الدخول في غمار الثورة العرابية وكذلك كان حاله بعد أن عاد الى مصر يتولى أعمال القضاء والافتاء . كان يكره السياسة ويقول انها ما دخلت في شيء الا أفسدته ، وفي كتابه الاسلام والنصرانية : « فان شئت أن تقول ان السياسة تضطهد الفكر أو العلم أو الدين فأنا معك من الشاهدين ، أعوذ بالله من السياسة ، ومن لفظ السياسة ومن معنى السياسة ، ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة ، ومن كل خيال يخطر ببالي من السياسة ، ومن كل أرض تذكر فيها السياسة ، ومن كل شخص يتكلم او يتعلم أو يجن أو يعقل في السياسة ، ومن ساس ويسوس وسائس ومسوس » .

وبعد فان تآليف الشيخ صغيرة الحجم جمة الفوائد وله تقارير في الاصلاح كان يقدمها الى الحكومة فتنفذها أو اكثرها ، وكتب أكثر ما كتب لدواع وبواعث دعته الى وضعها وما كان ينشرها الا بعد درس وتحقيق وبتمثلها في صدره أولاً شأنه في دروسه . نشأ نشأة صوفية على يد شيخه ونسيبه الشيخ درويش في قريته فكان من الطبيعي أن يكون اول تآليفه « الواردات » رجع عن بعض ما كان قرره فيها ، ورسالة في « وحدة الوجود » بين فيها مراتب الوجود وتعددها من وجوه نظامها العام ووحدتها من وجه آخر ، و « تاريخ اسماعيل » لم يطبع ، و « فلسفة الاجتماع والتاريخ » ، و « حاشية على عقائد الجلال الدواني » ، و « شرح نهج البلاغة » ، و « شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني » ، و « شرح البصائر النصيرية » ، و « نظام التربية والتعليم » ، و « رسالة التوحيد » ، و « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » ، و « تفسير سورة العصر » ، و « تفسير جزء عم » ، وأمتع تآليفه التي تجلى فيها علمه وبيانه « رسالة التوحيد » . هذا الى تقريره في اصلاح الأزهر وفي اصلاح المحاكم الشرعية ودفاعه عن الاسلام اذا طعن طاعن عليه ومنها ما كان ينشره في الصحف في آخر أيامه خلواً

من توقيعه أو يوعز الى خاصته ليكتبوا فكره ويقرهم عليه فينشرونه بأسمائهم ·

حفلت حياة الشيخ بأمور كلها تدور على النهوض بالمسلمين وتثقيفهم ثقافة تجعل منهم أمة متحضرة ، ولذلك كان في بعض فتاويه يسير مع العقل ولا يحيد عن طريق السلف ، بدأ صوفياً وانتهى مجتهداً لا يقول الا بما يقول به علماء الظاهر أمثال الامامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية · ولكم بورك له بساعات عمره ويحق ما وصفه قاسم أمين عندما قال : « يطالع ويتعلَّم ويعلِّم ويفتي ويجلس في جلسات مجلس شورى القوانين ومجلس الأوقاف الأعلى ويترأس على الجمعية الخيرية الاسلامية ويضع التشريعات للأزهر وللمحاكم الشرعية ، ويمتحن طلبة العلم وتلامذة المدارس ويؤلف الرسائل الدينية وينشر المقالات الفلسفية ويدافع عن الدين اذا طعن عدو عليه ، ويراسل علماء المسلمين في جميع الأقطار التي يسكنونها ، ويفاوض رجال الحكومة لتنفيذ مقاصده · وكان مع كل ذلك يجد وقتاً ليزور أصحابه ويشاركهم في جميع أفراحهم وأتراحهم » ، قال انه وصل الى مقام الامامة بأوسع معانيها · وقالوا انه كان اذا دُعي الى حفلة عامة أو مأدبة خاصة وحالت صحته او قلة وقته دون الاجابة اليها يبعث بكتاب بقلمه فكان صاحب الدعوة بين عاملين في قبول دعوته او الظفر منه بكتاب اعتذار يقرؤه على أصدقائه وأهله ، وان فاته الاستمتاع بحديثه اذا حضر · وكان ما يكتبه في شكر المؤلفين الذين يهادونه بكتبهم سبباً في رواجها ، لأن الشيخ لا يقول جزافاً ، وكتبه من هذا القبيل كثيرة يتألف منها جزء لطيف ·

حضرت دروسه في الرواق العباسي في الأزهر ، ومجالسه الخاصة في داره في عين شمس أو في دور بعض مريديه ، وسمعت بعض خطبه في الجمعية الخيرية الاسلامية فكنت أقول : سبحان من خصه من بين معاصريه ببلاغة اللسان وبلاغة القلم ·

وصفه العلامة الشيخ ابرهيم اليازجي في مجلة «الضياء» بقوله : كان متوقد الفؤاد ، ثاقب البصيرة ، قوي الحجة ، ذرب اللسان ، بليغ العبارة ، اذا وقف للخطابة كان كأنما يتلو عن ظهر قلبه فلا يتوقف ولا يتلكأ ، ولا تجد في كلامه لفظة ركيكة ولا تركيباً سخيفاً ، حتى لو كتبت لفظه الذي يقوله على البداهة وجدته كأحسن ما ينشئ المترسلون من الفصحاء . وكان آية من آيات الله في قوة الحفظ وسرعة التناول حتى انه تعلم اللغة الفرنسوية وهو فوق الأربعين فلم يأت عليه الا أشهر حتى كان يجيد فهمها ، ثم كان يتكلم فيها كأحد أهلها ، ولم يرو مثل ذلك الا عن أستاذه السيد جمال الدين . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

كان الامام يتوخى في دروسه ألا تكون جافة اذا طال بحثه وتقريره فيشفعها في الحال بشيء من دعابته الحلوة يفرغ عليها من روحه الصافي ما يحبب الى النفوس الرجوع الى سماع ما يحاول القاءه عليهم من المسائل والمشاكل . وما حضرت له درساً ولا مجلساً ولا خطبة الا تمنيت لو يطول القاؤه أكثر مما طال ووددت ان أكون كلي آذاناً تسمع وقلوباً تعي وتفهم . وما شككت قط ان كل ساعة من ساعات حياته كانت نفعاً وخيراً ، وان كل من كتب له الاتصال به أفاد من علمه وتجاربه ونصائحه وهديه وتأثر به عقله وروحه .

عطف عليَّ منذ تشرفت بالاجتماع اليه في القاهرة فقال في الملاء من أصحابه انه قرأ ما كتبته الصحف في مشروع السكة الحجازية فما قدر جلالة الموضوع حتى نشرت في مجلة المقتطف مقالة فيه فاطلع فيها على ما لم يطلع عليه من قبل . فهيأ لي بهذه الشهادة سبيل التعرف الى طائفة من رجال مصر في العلم والقضاء والادارة والسياسة والأدب ، وهذا جل ما يتطلبه ناشئ مبتدئ من العون والتنويه .

قالوا ان الأستاذ تعلم اللغة الفرنسية وهو في الرابعة والأربعين لما اشتدت حاجته اليها أيام تقلد القضاء وشاهد رفاقه يستعينون في أحكامهم بالقانون الفرنسي

فما وسعه الا تعلم اللغة الفرنسية وأتقنها من دون كبير عناء في وقت قصير ، فكان يحضر في الصيف دروساً في هذه اللغة في كلية جنيف ويتمرن على الكلام فيها والفهم في السياحات وقد ساح في اوربا وافريقية وآسيا كثيراً . وأذكر أني صحبت أحد علماء المشرقيات من الألمان لزيارته في داره وكان الحديث بالفرنسية في موضوع التربية والتعليم فما غلط الأستاذ غلطة واحدة في الساعة التي قضيناها في حديثه وأبان عن بديهة مؤاتية دهش لها صاحبي الألماني وبقي أياماً يحدثني بأثر تلك الزيارة في نفسه .

ذكر السبب الذي دعاه الى تعلم الفرنسية قال : ثم ان الذي زادني تعلقاً بتعلم لغة اوربية هو اني وجدت انه لا يمكن لأحد أن يدعي انه على شيء من العلم يتمكن منه من خدمة امته ويقتدر به على الدفاع عن مصالحها كما ينبغي الا اذا كان يعرف لغة اوربية كيف لا وقد اصبحت مصالح المسلمين مشتبكة مع مصالح الأوربيين في جميع اقطار الأرض وهل يمكن مع ذلك لمن لا يعرف لغتهم أن يشتغل للاستفادة من خيرهم او للخلاص من شر الأشرار منهم . واخترع الأستاذ لنفسه طريقة تلقف اللغة الفرنسية فكان يتلو أمام استاذه قصة لاسكندر دوماس والمعلم يصلح له النطق ويفسر له الكلم ثم تعلم نحوها بالتدريج .

وكان الشيخ عملياً في تلقن العلم وتلقينه منذ حضر درس النحو في الجامع الأحمدي في طنطا وتأفف من طريقة تعليمه . كان في القضاء قاضي العدل والانصاف لا قاضي القانون والرسوم ، قال عن نفسه : «انني كثيراً ما أنظر في قضية فأستخرج من التحقيق الطويل وجوهاً كثيرة للحكم بالادانة مثلاً ، حتى اذا ما تمت المحاكمة وأردت النطق بالحكم تقوّض كل ذلك البناء الذي كنت بنيته في ذهني من وجوه ترجيح الادانة وظهر لي بغتة أن المتهم بريء حتماً فأحكم بالبراءة» وكان يفضل أبداً ان يجري الصلح بين المتخاصمين حتى لا تتأصل العداوات بين الناس اذا فضت المحاكم الشجار بينهم .

كان الشيخ رأساً في كل ما عاني من أعمال المجتمع لا يلبث ان يظهر فضله الباهر في الأيام الأولى من توليه عملاً من الأعمال وتخاذل قوة الأمراء والطغاة أمام عقله ، كان الخديوي عباس يبغضه لأنه لم يوافقه على مد يده الى الأوقاف ، ويشتد في مقاومته بكل ما تصل اليه قوته من ضروب المقاومة فاذا ما وقع في مأزق لا يتأخر عن دعوته لارشاده الى الطريق الواجب سلوكها علماً منه بسعة عقله وسعة علمه ، كان يهيج عليه العلماء والأدباء كل حين ويوم الجد لا يعتمد على غير رأيه وحكمه ، والشيخ بما عرف من كرم أخلاقه يتجاهل كل ما يصيبه من أذى مبغضه ·

كان الشيخ كريماً يتصدق في السر وقد خص بعض المحاويج المستورين برواتب يقبضونها من راتبه الكبير من الأوقاف وكان ينفقه كله في هذه الوجوه من البر · كان نصير المظلومين والضعفاء ولطالما سعى لجلب الخير الى من كان يقذف فيه ويعاديه من دون سبب ، يقصد بذلك ان يعلمه ويعلم غيره كيف تكون الأخلاق الطاهرة وان هذا هدي الاسلام وطريقة صاحبه ·

قيل انه نظم أبياتاً في مرضه الأخير أبان فيها عن غرضه من الحياة وهي :

ولست أبالي أن يقال محمد أبلّ او اكتظت عليه المآتم
ولكن ديناً قد أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العمائم
وللناس آمال يرجون نيلها اذا مت ماتت واضمحلت عزائم
فيا ربّ ان قدرت رُجعى قريبة الى عالم الأرواح وانفضّ خاتم
فبارك على الاسلام وارزقه مرشداً رشيداً يضيء النهج والليل قاتم

قالوا ان لسانه لم ينطلق بقول الشعر الا في آخر أيامه وفى الحبس لما سجن مع العرابيين ·

أجاب الشيخ رجلاً من الشاميين هنأه بمنصب الافتاء ومما جاء في جوابه

يصف موقفه من الأمة المصرية : «أما قومي فأبعدهم مني أشدهم قرباً مني وما أبعد الانصاف منهم ، يظنون الظنون ، بل يتربصون بي ريب المنون ، تسرعاً منهم في الأحكام وذهاباً مع الأوهام ، وولعاً بكثرة الكلام ، وتلذذاً بلوك الملام ، أقول فلا يسمعون ، وأدعو فلا يستجيبون ، وأعمل فلا يهتدون ، وأريهم مصالحهم فلا يبصرون ، وأضع أيديهم عليها فلا يحسون ، بل يفرون الى حيث يهلكون ، شأنهم الصياح والعويل ، والصخب والتهويل حتى اذا جاء حين العمل صدق فيهم قول القائل في مثلهم :

لكن قومي وان كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وان هانا

وأقول ولا من الخير .

« وانما مثلي فيهم مثل أخٍ جهله اخوته ، أو أبٍ عقته ذريته ، او ابن لم يحن عليه أبواه وعمومته ، مع حاجة الجميع اليه ، وقيام عَمَدهم عليه ، يهدمون منافعهم بايذائه ، ولو شاءوا لاستبقوا باستبقائه ، وهو يسعى ويدأب ، ليطعم من يلهو ويلعب . على اني أحمد الله على الصبر وسعة الصدر اذا ضاق الأمر ، وقوة العزم وثبات الحلم ، وان كنت في خوف من حلول الأجل قبل بلوغ الأمل ، خصوصاً عندما أرى العمل في أرض ميتة لو ذابت عليها السماء مطراً ، لما أنبتت زرعاً ، ولا أطلعت شجراً ، أفزع لذكرى ذلك وأجزع ، ويكاد قلبي يتقطع ، ثم أرجع الى الله فأعلم انه مع الصابرين . وانه لا يضيع أجر العاملين ، فيثلج صدري وأمضي في جهادي الدائم ، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ...

« ليتني كنت أشكو الى الله جهل العالمين وحمق المعلمين في مثل هذه الجاهلية التي بعث النبي لمحو أحكامها وازالة ايامها . تلك جاهلية كان الضلال فيها بعيداً ولكن كان فهم القوم جديداً لذلك عندما لاح لهم ضوء الهدى أبصروه ، وعندما قرع أسماعهم صوت الداعي أجابوه ، كان القرآن يصدع أفئدتهم فيلين من

شدتهم ، ويفلّ من شِرّتهم ، ويفجر من صخر القسوة ينابيع الحنان والرحمة ، وما كان أهل العناد فيهم الا قليلاً عرفوا الحق فأنكروه ، وطائفة كانوا يفرون منه خوف ان يعرفوه ، ولو سمعوا لفهموا ثم لم يجدوا بداً من أن ينصروه . وان الجحود مع الفهم كاليقين مع العلم ، كلاهما قليل في بني آدم . أما اليوم فانما أشكو من قلة الفهم وضعف العقل ، واختلال نظام الادراك ، وفساد الشعور عند الخاصة ، فلا تجذبهم فصاحة ولا تبلغ منهم بلاغة ، وغاية ما يطلبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ، وان يوصفوا بالعلم وان لم يعقلوا ، وان تقضى حاجاتهم اذا سألوا ، وان ترفع مكاناتهم وان تنزلوا ... »

وهذه من أجمل الصفحات التي كتبها الأستاذ الامام في النعي على قومه فساد الخلق والعناد على سماع الحق ولو كتب له أن يكتب كتاباً في حاضر المصريين لكان أجمل كتاب يصدر عن مثله .

رسم الأستاذ الامام ، وهو اللقب الذي أطلق عليه في أواخر أمره ، خطة لنفسه في الحياة منذ كان في العشر الثاني من عمره وبقي على تحقيقها لا يثنيه شيء عنها وما حاد عما رسم في الدرس والتدريس ولم يبرد غرامه بحمل النور الى العقول الى آخر ساعة ، وهذا قلما عهد في الشرق الاسلامي . ولا غرو ان اضطلع وحده بعمل مئات من أمثاله من المشايخ مجتمعين ذلك لأن أكثرهم يحصلون العلم ليعيشوا في الدنيا ويتولوا المناصب في الدول ، أما هو فتعلم العلم ومارسه لينفع به الناس في دينهم ودنياهم ، ويخرج من هذا الجسم المنحط ناشئة قوية تفيد الاسلام والمسلمين . كان مفرداً في أمته لم ينبغ فيها مثله منذ قرون ولعل القرون تتوالى حتى ينشأ رجل فذ من عياره يستوفي شروط الامامة وتعزف نفسه عن المطامع والمظاهر .

والسر في تفوقه على غيره انه كان من أول نشأته يستعمل عقله ويكره الجمود والعنجهية ، ويعرف وقته معرفة ثاقبة ويسير بما يلائمه وييسر على أمته . عرف ان الشريعة مرنة تصلح لكل زمان ومكان فانتفع ونفع بهذا الرأي ، وكان اذا جاءته المعضلات جرد لها من عقله مخارج لحلها بقانون الشريعة وقانون العقل معاً ، فقد سئل في ذبيحة النصارى فأحلها ، واستفتي في جواز لبس القبعة فأجازها ، وسئل في ايداع المال في صناديق التوفير فأفتى به . وفي تفسيره القرآن فسر أموراً غامضة لا يفهمها كل الناس وقربها من الأذهان فأقنع غير المتعنتين كمسألة الجن والملائكة فسرها بما لم يسبق لمفسر على ما نظن . ومن قرأ دروس تفسيره يدرك انه عالم لا كالعلماء يقول أبداً : « لا امام سوى العقل » .

لم يخلف الامام مالاً تعيش به أسرته من بعده ، « عاش عظيماً فقيراً ومات فقيراً عظيماً » خلد اسماً يذكر بالاعجاب والتقديس كلما ذكره الذاكرون .

محمد كرد علي

جزيرة العرب

قال صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي في الجزء الثامن والثلاثين من التذكرة قلت وقد أمرني المخدوم الناصري بنظم حد جزيرة العرب في شهر ربيع الآخر من شهور سنة خمسين وسبعمائة :

جزيرة هذه الأعراب حدت بحد علمه للحشر باق
فأما الطول عند محققيه فمن عدن الى ريف العراق
وساحل جدة ان سرت عرضاً لأطراف الشآم على اتفاق

بعض اسرار اللغة العربية

أو

تصويب لهجة من اللهجات العامية

للغة العامية جوانب مختلفة من البحوث . ومن طريفها أن العرب لم يورثونا ألفاظ لغتهم التي دوناها في معاجمنا فقط . بل ورثونا أيضاً بعضاً من غرائزهم في تفريع الألفاظ . وتشقيق بعضها من بعض . فقلدناهم في طريقتهم هذه من دون شعور منا .

فالعرب بنابل من سلائقهم والأوضح أن نقول بسائق من غرائزهم يضعون أو يرتجلون فعلاً ثلاثياً سالماً كفعل (قطع) مثلاً ثم نجدهم يضعون أو يرتجلون بواسطة تلك الغريزة فعلاً ثلاثياً غير سالم بل هو مضاعف مشابه للأول (أي فعل قطع) في اللفظ والمعنى . مشابهةً تامةً حيناً أو مقاربةً حيناً آخر . فيقولون (قَطَّ) كما قالوا قطع . ومعنى (قط) هو معنى (قطع) . حذفوا لام الفعل وشدّدوا عينه . فلم يسر فعلا (قطع وقط) في طريق الاستعمال متدابرين كفعلي (ضرب ونصر) مثلاً . بل متآخيين متعانقين .

وأي الفعلين المذكورين (قطع وقطّ) نطق به العرب أولاً؟ أو هُدوا اليه أولاً؟.

لا بد أن يكون وقع بين فقهاء اللغة خلاف في ذلك شأنهم في معظم المسائل اللغوية . غير أن الأظهر ان يكون (قطع) هو الأصل لاعتبارات لا يسع المقام بسطها : أبينها أن تكون (قط) هي المختزلة من (قطع) تخفيفاً أو تسهيلاً أو تفادياً من طول الصيغة وامتداد الصوت بها .

وعلى نمط (قطع وقط) جاءت أفعال كثيرة مدونة في معاجم اللغة أسرد منها ما مر ببالي عفواً :

١ — (قطع) : استطالوها فاختزلوها وقالوا (قط) .

٢ — (زلق) : 〃 〃 〃 (زل) .

٣ — (كدح) : 〃 〃 〃 (كد) .

٤ — (بتر) : 〃 〃 〃 (بت) .

٥ — (زحل) : 〃 〃 〃 (زح) .

(في كتب اللغة : زحل الرجل عن مكانه تنحى وزحه عن مكانه اذا نحاه عنه) .

٦ — (شخب) : استطالوها فاختزلوها وقالوا (شخ) .

(في كتب اللغة هما (أي الشخب والشخ) بمعنى واحد . ففي اللسان الشخ صوت اللبن اذا خرج من الضرع . وشخ ببوله مدّ به وصوّت . وشخب اللبنُ وكل مائع سال وجَرَى عند الحلب) .

٧ — (مرق) استطالوها فاختزلوها وقالوا (مرّ) .

٨ — (قَمَشَ) 〃 〃 〃 (قمْ) .

(في كتب اللغة (قمش) جمع القماش من هنا وهناك . والقماش فتات الأشياء المنثورة على وجه الأرض . و (قم) جمع القمامة بالمِقمة أي المكنسة . قال الزمخشري : (وينادى بمكة على المكانس : المقامّ المقامّ : بتشديد الميم) .

٩ — (ألحَفَ) : استطالوها فاختزلوها وقالوا (أَلحْ) .

١٠ — (حَدَجَ) : 〃 〃 〃 (أحَدْ) .

(قال علماء اللغة (حدجه) ببصره اذا حدّق فيه النظر . ومنه قول بعض العقلاء (حدّث الناس ما حدجوك بأبصارهم) و (أحد) اليه النظر اذا بالغ في النظر اليه) .

١١ — (رَصَفَ) : استطالوها فاختزلوها وقالوا (رصّ) .

(في كتب اللغة رصه اذا ألصق بعضه ببعض . قال تعالى : (كأنهم بنيان مرصوص) ورصَفَ الحجارة في المسيل ضمّ بعضها الى بعض) ومنه الرصيف .

ما مر كله في الأفعال ومثال الأسماء (الصَرْد : البرد) . أرض صَرْد . يوم صَرْد . (الصِرّ) البرد . ريح صِرّ أي باردة . وكذا الشطء للنهر كالشاطئ . وقالوا الشطّ وجمعها شطوط . و (الحِرْح) . قالوا فيه (الحِرّ) بتعويض راء من الحاء وهو الأصل كما يفهم من المصباح . قال وقد يستعمل استعمال يد ودم من غير تعويض . أي من غير حاء ولا تشديد .

هذا ما وسعني التمثل به من تحويل العرب للفعل السالم الى فعل مضاعف اختزالاً أو تخفيفاً . ولا بد أن يصحب هذا التحويل أحياناً شيء من تغيير وتبديل : كأن يكون الفعل لازماً فيصبح متعدياً (كزَحَلَ) وزحّ . أو ثلاثياً فيصبح رباعياً (كحَدَجَ) وأحدّ . أو يكون معنى الفعل عاماً فيصبح خاصاً كقطع وقطّ الذي خصّوه بالقطع العَرْضي أو بقطع الشيء الصُلب . وكمَرَق ومرّ فقد خصوا المروق بما كان مروره كالسهم في السرعة . وقَمَش وقمّ . خصوا الأول بما جلّ من الفتات ولم يكن مستقذراً بينما هم يستعملون فعل (قَمّ) فيما دقّ من الفتات واستُقذر غالباً . كفعل (كَنَسَ) .

أتيت بهذا التفريق بين فعلي (قَمَشَ وقَمّ) من عند نفسي . لما لاحظته في قولهم قماش البيت أي أمتعته المتفرقة فيه هنا وهناك ، وهي غير مستقذرة . ومنه جاء استعمالنا لكلمة القماش بمعنى الأثواب المنسوجة . لما أنها ستصبح قماشاً مبعثراً في جَنَبات البيت . وهكذا نرى العرب يحدثون بعض التغيير في بعض هذه الأفعال المضاعفة التي حولوها عن الفعل الثلاثي السالم .

***

وننتقل الآن الى اللغة العامية او اللهجة العامية . ونذكر طريقتها في بعض الأفعال السالمة والمضاعفة .

قلنا آنفاً إننا ورثنا من أسلافنا العرب الأفعال المذكورة الأصلية السالمة والفرعية المضاعفة وهي قَطَعَ وقَطَّ وبَتَرَ وبَتَّ وكَدَحَ وكَدَّ . وقد تكرر نطقنا بها واستعمالنا لها فأوحى لنا هذا التكرر والاستعمال الطويل طريقة أسلافنا أو غريزتهم فيما كان على مثالها من الأفعال حتى احداث التغيير والتبديل فيها .

هم قالوا زالق وكدح وقطع ثم ساقتهم غريزتهم الى استطالتها . فعدلوا عنها الى زلّ وكدّ وقطّ .

هذه الغريزة نفسها انتقلت الينا من حيث لا نشعر وجعلتنا نحن العامة نستطيل صيغ بعض الأفعال السالمة الفصيحة فنحولها الى أفعال مضاعفة مولّدة أي غير موروثة عن العرب ولا يعرفونها . طبقَ ما فعلوا هم حتى احداث التغيير والتبديل فيها .

استطلنا فعل (تفل) فاختزلناه وقلنا (تَفَّ) . كما قالوا هم في بتر ، بتّ .

فعل (تفل) هو الفصيح المدون . أما فعل تفّ الذي هو بمعنى (تفل) تماماً أي البصق الخفيف فدخيل مولد . ولدته الغريزة الموروثة المستقرة في طيات نفوسنا معشر العرب الخالفين . ولا يمكننا أن نعرف أول من هدته سليقته الى فعل (تفّ) . وانما نعرف أن شخصية الأمة المعنوية الخالفة نطقت به واهتدت اليه بغريزتها الموروثة عن أمة العرب السالفة .

وقد وقع لنا أربعة أفعال دخيلة من قبيل ما ذكرنا :

١ — (تفـل) : استطالها العامة فاختزلوا منها (تفّ) .

٢ — (بَصِرَ به) : 〃 〃 〃 〃 (بصّ) .

(تستعمل العامة بصّ بمعنى نظر الى الشيء ولا يوجد هذا المعنى لبصّ في اللغة الفصحى وانما معناه فيها برق ولمع . تقول نظرت في الظلمة عيناً تبص أي تلمع . ولها بصيص أي لمعان .

٣ — (قحب) : استطالها العامة فاختزلوا منها (قحّ) .

وفعل (قحّ) قد نكون ولدناه وحاكينا به صوت السعال . على أن فعل (قَحَّب) نفسه قد يكون من محولات الصوت . أي من الأفعال التي حوكي فيها الصوت واستوحي لفظها منه . وهي كثيرة في اللغة كفعل (رَنَّ) مثلاً الذي قالوا انه محول من صوته أي صوت الرنين .

(طَمَرَ) : استطالها العامة فاختزلوا منها (طَمّ) .

وفي كتب اللغة (طمرَ الشيءَ) دفنه وخبأه تحت التراب . والمطامير حفر تحفر في الأرض تخبأ فيها الحبوب . وعامتنا تقول (طمّ) الشيء بالمعنى نفسه . وليست (طمّ) في اللغة الفصحى بهذا المعنى أي معنى الطمر . وانما تجيء بمعنى غمر الشيء بالماء وبمعنى ملأ الحفرة بالتراب ثم دكها وسواها . وطمت الجارية شعرها جزّته . ومنه المطمومات . فطم الشيء بمعنى دفنه تحت التراب من لغة العامة وهو محول من فعل طمر الفصيح .

هذه الأمثلة من الأفعال ومصادرها أما مثال الاسم فنه قول العامة (نُصّ) في (نِصْف) . فالأفعال الأربعة : (تفّ ، وبصّ ، وقحّ ، وطمّ) والاسم الأخير أعني (نصف ونص) من أعدل الشهود على أن العرب الخالفين الذين نسميهم عامة وعواماً ورثوا غريزة أسلافهم العرب فنطقوا بتلك الأفعال الأربعة وبالاسم (نصف) بعد أن حولوها عن أصولها تخفيفاً . واستعملوها مطمئنين الى حسن صنيعهم واثقين من أنهم فيه انما يجرون على مقياس قاس به أسلافهم .

ويحسن أن نعترف بأن لهذه الأفعال الأربعة المولدة ومثلها الاسم وهو (نص) المختزلة من نصف مزيةً على سائر الألفاظ العامية الأخرى لما أن تولدها أشبه بتولد كلمات اللغة الفصحى .

فلا غرو اذا عددناها وأمثالها من الفصيح وأثبتنا لها حقاً في الحياة وتدويناً في المعاجم اللغوية الجديدة عملاً بالقاعدة المأثورة : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب .

ومما قاسته العامة على كلام العرب وتصرفت فيه تصرفهم في تحويل الفعل الصحيح الى مضاعف قولهم في جحمت النار أي اضطرمت جحّت النار لكن لا بمعنى اضطرمت واشتعلت بل بضدّ هذا المعنى فهم يريدون من جحّت خمدت وتحول جمرها الى فحم[1] .

ويشبه الإرث المذكور في مضاعف الفعل الثلاثي السالم ارث آخر ورثنا طريقته من العرب ولهذا الإرث علاقة (بالثنائية) التي يدعو اليه العلامة الأب مرمرجي : ذلك أن العرب يختزلون من الاسم الثلاثي اسماً ثنائياً بمعنى الأول بحذف حرف منه فيقولون في (يدي) يد وفي (دمو) دم وفي (ابو) أب . ثم هم أي العرب في لغاتهم أو قبائلهم يعودون (وكأنهم ندموا على ثلاثيتهم المطبوعة عليها لغتهم) فيعمدون الى هذه الثنائيات : (يد) (دم) (أب) فيشددون أواخرها فتصبح ثلاثية كما كانت في أصل وضعها . ويقولون يدّ (لغة في اليد كما في التاج ومثل له بقول الشاعر :

(فجازوهم بما فعلوا اليكم مجازاة القروم يداً بيدِّ)

ويقولون دمّ بالتشديد (وهي لغة كما في مستدرك التاج) ويقولون أبّ بالتشديد (قال في المصباح وفي لغة قليلة تشدد الباء عوضاً عن المحذوف) .

هكذا كان يفعل العرب . وقد أخذنا نحن العرب المتأخرين نحذو حذو أسلافنا ونقلدهم في طريقتهم المذكورة من حيث لا نشعر . فقلنا في (قِحَة) من الوقاحة (قِحّة) بتشديد الحاء . وفي (جِعَة) التي أصلها (جعو) جِعّة بالتشديد أيضاً كأن سليقتنا تأبى الا الثلاثية كما كانت تأبى ذلك سليقة أسلافنا في بعض ألفاظ لغتهم .

وفي اللهجات العامية أسرار أخر ينبغي تتبعها ولا يحسن إغفالها .

المغربي

(١) جحت لهجة سورية ساحلية أما في دمشق فيقولون جحرت النار بزيادة راء .

الخزائن العامة في استانبول
وأشهر مخطوطاتها

العناية بالخزائن :

عُني العرب عناية كبيرة بالتأليف والتدوين والنقل والترجمة منذ فجر حضارتهم، وأخذوا لذلك بجمع الكتب والأسفار، وسهلت في أعينهم الرحلات الطويلة للحصول عليها، حتى اجتمعت لديهم خزائن كثيرة كانت تغصّ بها الغرف والمقاصير حتى كانت تملؤها إلى السقوف.

وكان الخلفاء والأمراء والوزراء يشاركون العلماء هذا الاحساس فأسسوا دور الكتب العامة يختلف اليها المطالعون منذ القرن الثاني للهجرة. وقد وصف ابن النديم ما كانت تحويه هذه الدور، وفهرس لبعضها، ووصل الينا كتابه فعرفنا عناية القوم بالجمع والحفظ، وعرفنا غرامهم بالخزائن وعشقهم الكتب.

ولم يكن العرب المغاربة في الأندلس أقل عناية من المشارقة بالكتب وارتياد الخزائن، فكانت قرطبة تنافس بغداد، وغرناطة تزهى بكثرة ما تملك منها في خزائنها العامة. وسرت عدوى الكتب في الأفراد فتسابقوا إلى اقتنائها. واستوى في ذلك العالم الفقير والجاهل الغني. فقد كان الأغنياء والموسرون يجدون من أسباب الفخر أن يقتنوا نسخة فريدة أو كتاباً نادراً ولو أن كثيراً منهم لم يكن يفقه شيئاً من أمر الكتب والنسخ.

واقتدت القاهرة بأختها بغداد وقرطبة فخصت جانباً كبيراً من نشاطها العلمي بجمع الكتب وعمارة الخزائن، حتى لقد قدّر المقريزي وابن خلكان عددها

في بعض الخزائن بعشرات الآلاف . ولم يكن الشام متخلفاً في هذا الميدان وانما أنشأ المدارس ، وجعل فيها الخزائن ، وأغناها بنوادر الكتب .

ولكن هذه الخزائن جميعاً أصابها ما أصاب أصحابها من نكبات وخسائر على مدى الزمن ، فقد توالت الغارات وتتابعت الحروب ، واختلفت الدول ، فهدّ ذلك من جوانب النشاط الثقافي ، وفترت همم القوم ، وتهدّم من بنيانهم ما كان عامراً ، وتفرّق من ثروتهم ما كان مخزوناً ، فتلفتوا إلى معايشهم ، واقتصروا على تدبير حياتهم ، وانصرفوا عن لذة العلم الى النضال والكفاح ، لذلك أقوت المدارس وأقفرت الخزائن ، فسطت عليها التراب والأرضة ، وعبثت بها الأيدي وتقاذفها حب التجارة ، وأصبح أمر الكتب إلى قوامين لا يفقهون غناها ومدبرين لا يعرفون عظمة مقتناها ، فتفرقت شذر مذر ، وسافر بعضها بعد فتح السلطان سليم الى الأستانة ، وحُمل بعضها الآخر بعد حملة نابوليون الى باريز وبرلين ولندن وروما وڤينا واكسفورد ولننغراد وليدن وتوبينگن وكوبنهاغ وابسالا .

وربما بيعت هذه المخطوطات النفيسة بدراهم معدودات ، أو أهديت كما تهدى الأثواب المزركشة والثياب المزخرفة ، فقد مات عنها جامعوها ، وقضى عنها واقفوها ، وليس للورثة علم بأمرها أو تقدير لثمنها . أما المخطوطات التي سافرت الى أوربا ، فقد اتخذت مكانها الجيل في عواصمها ، وخصّت بها الأيدي الرحيمة الشفيقة ، فعطفت عليها وأحبتها ووقفت منها موقف الميراث القومي ، فوضعتها للعلماء وأعلنت لهم أرقامها وأسماءها وأوصافها . وجعلتها في قصور عامرة ، ومتاحف فاخرة ، أو في قلب الجامعات ؛ فأصبحت تزهى كل حاضرة منها بما اقتنته من نوادر الجواهر ونفائس الذخائر من كتبنا العربية .

خزائن استانبول :

أما خزائن استانبول فقد تولتها السعادة واحتضنها الغنى منذ فتوحات السلطان سليم الأول (١٥١٢ — ١٥١٩ م) ، واستيلاء جيوشه على الممالك المغلوبة

فجمعت خير ما فيها ، وساقت أسلابها الى عاصمة الملك . وقام العلماء بجمع المخطوطات العربية النادرة من عواصم العرب وحواضرهم وساقوها كذلك الى متاحف القسطنطينية وقصورها وجوامعها ومدارسها ارادة أن تصبح الأستانة قبلة العالم الاسلامي كله .

وتنافس السلاطين في اقتناء هذه النفائس وانشاء الخزائن فقام السلطان سليم والسلطان سليمان والفاتح بجمعها والعناية بها ، واقتدى بهم شيوخ الاسلام كفيض الله وولي الدين وعاشر وعارف حكمت ، وسار على خطتهم وزراؤهم مثل محمود باشا ، وأمرة كوپريلي ، وراغب باشا وعمومه حسين باشا ، وشهيد علي باشا ، وحذت حذوهم زوجات السلاطين والعلماء حتى كثرت أسماء دور الكتب ؛ وضلّ المراجع في التمييز بينها ومعرفة مكانها ، واختلفت عناوينها ، وتبدلت مساكنها ، فقلت الاستفادة مما فيها ووقف كثير دون الحصول على معلومات عنها .

والحق ان في هذا الخزائن أصول مخطوطات العالم العربي والغربي . ويندر أن يقع في العالم مخطوط لا أثر في خزانة من خزائن استانبول لأمه أو أصله أو مصدره أو نسخة جميلة صحيحة قديمة منه . فاذا حدث ذلك فمردّه الى ضياع كثير من هذه المخطوطات ، فقد اختلفت عليها أسباب السرقة والتلف ، وتناقلتها الأيدي المجرمة ، وأصابتها العوادي والحدثان من حريق وزلازل .

ولم تقع في اللغة العربية على كتاب يهدينا الى أماكن هذه الدور وما تحويه من أسماء الخزائن المختلفة (١) نرجع اليه فيسهّل علينا معرفة ما نريد في سرعة

(١) جاء في مجلة المقتبس ج ٥ ص ١٥٦ ان العالم أحمد زكي باشا قد كتب تقريرا بالعربية والتركية لتنظيم خزائن الكتب العامة في استانبول . ولو وصل الينا هذا التقرير لكان من ورائه خير لنا واصلاح لما قد نخطيء فيه من اسماء الخزائن وجامعيها . وقد وقفنا على وصف دخوله الى طوبقبوسراي في كتاب الاستاذ فيليب طرازي « خزائن الكتب العربية في الخافقين » وفيه خص خزائن استانبول بست صفحات ٢٠١ - ٢٥٧ .

ويسر ، ويبين لنا ما آلت اليه حال هذه الخزائن ، ويصف ما استقرت عليه هذه الدور ، وإدارتها وطريقة الاستفادة منها .

ولقد خيل لكثير من العلماء أن دون الوصول الى هذه المخطوطات مصاعب ومشقات ؛ مع أنها في تنظيم جميل ، ويسر كبير ، وهي مفتحة الأبواب ، انتقلت خلال الحرب الأخيرة الى مخابئ أمينة في الأناضول ، كما انتقلت زميلاتها من برلين الى بيرون ، ومن لندن الى الضواحي ، ومن دار الكتب المصرية الى جبل المقطم ، ولكنها عادت كلها إلى قواعدها مع سكون العاصفة وهدوء المدافع .

وكانت هذه الخزائن موزعة قديماً في نيف وأربعين داراً ترتبط بوزارة الأوقاف كما هي الحال في الشام كلها . ثم ألحقت بوزارة المعارف ، وهذه وحدتها ، وجعلتها في خمسة عشر داراً ، ومنها ما جعل في قصور السلاطين والجوامع والمدارس والجامعة .

وقد زارها الأب شيخو سنة ١٩٠٤[1] فقدر عددها بثلاثين ألفاً من المخطوطات ، وأنى له أن يقف على حقيقة احصائها ، ولم تكن في ذلك الحين سهلة الأكناف ، فقد وقف أحمد زكي باشا بعد خمسة وعشرين عاماً دون أن يستطيع الدخول الى بعضها إلا « بفرمان شاهاني » فكتب يصف طوبقبو يومئذ[2] :

« فيها خزانتان لا تزالان الى الآن : احداهما مشحونة بنفائس الكتب والدفاتر . والثانية مرصودة لغوالي الذخائر ونوادر الجواهر . فأما الأولى فكان محظوراً على الناس كلهم أن يدخلوها سوى أمير المؤمنين بحاشيته ورجال دولته في موسمين اثنين لا ثالث لهما : يوم الجلوس على العرش وليلة القدر .

أما الثانية فكان فيها ولا يزال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . ولكن الدخول لم يكن مباحاً إلا بارادة سنية » .

(١) انظر مجلة المشرق ٧/١٠٦٤ ، سنة ١٩٠٤ م .
(٢) مجلة الآثار الشرقية ٧١/٤ ، سنة ١٩٢٩ م .

ذلك ما حال دون معرفة هذه الخزائن وما ضمت وعدد ما فيها من الأسفار .
وقد دلّ إحصاء أخير لهذه المخطوطات الشرقية سنة ١٩٥١ انها تقرب من مئة وعشرين الف مخطوطة .

وهذه المخطوطات لايتسع لها مبنى واحد ، ويتعذر حشرها جميعها في مكان بعينه مخافة عوادي الدهر ومصائب الحروب . ولولا ذلك لكان من الخير أن تجمع المخطوطات العربية كلها في بناية واحدة وتوزّع على أنواع العلوم فتجمع كتب التاريخ من الخزائن كلها في جناح واحد ، وترتب دواوين الشعر وكتب الأدب في جناح آخر ، وتجعل مراجع الفقه والسنن في جناح ثالث وهكذا . ولكن فقر الأتراك بالرجال المعنيين بالعربية وقلة من يهتمون بالوقوف على مخطوطاتها دعا المفهرسين الى أن يعملوا في حذر وبطء . ولا تظهر نتائج جهودهم الا في سنوات بعيدة إذا لم يعمل علماء العرب جنباً الى جنب في الافصاح عن هذه الكنوز والكشف عن مزايا هذه الخرائد .

فهارس الخزائن :

وما يزال الباحثون يعتمدون على الفهارس القديمة التي طبعتها نظارة المعارف بين سنة ١٣٠٠ — ١٣١٢ ه في أربعين جزءاً ونيفّاً ، بعناوين تركية وتعليقات بالتركية ومقدمات موجزة جداً . فجاءت في هذه الدفاتر عناوين الكتب مشفوعة بذكر الأجزاء وأسماء المؤلفين على شكل قوائم . وذكر في الملاحظات ما للغلاف من زخرفة وما في الصحف من مداد . فهي جرائد لاحصاء ما في هذه الخزائن . وقد تجاوز في السطور والصفحات ذكر الكتب المخطوطة والمطبوعة ، واختلطت اللغات التركية والفارسية والعربية فلم تفرد فيها لغة عن لغة ومخطوط عن مطبوع مما يجعل الرجوع اليها عقيماً . وليس هذا فقط فقد أصابها تصحيف وتحريف يعمّي على الباحث سبيل الاهتداء الى الصحيح . ويبدو أن من صنع

هذه الدفاتر ممن لم يقفوا على أسرار هذه الصناعة ولم يتقنوا العربية ومصادرها اتقاناً يقربهم من الصواب . وقد سجل المفهرسون في سجلاتهم ما شاهدوه على ظهر المخطوطات من عناوين وأسماء ، بل نقلوا غالباً عن الورقة الأولى ما يحويه الكتاب من عنوان كتب بيد متأخرة أو جاهلة فارتكبوا بذلك خطأً فادحاً . وقد يكون على الورقة ما ليس في الكتاب ، فيقع في الشعر ما محله التاريخ ، ويقع في الفقه ما مكانه الأدب ، ناهيك بما أصاب الأسماء من أخطاء مطبعية فاحشة .

وهذه الفهارس على ضعفها وخطئها نافعة أشد النفع فهي وحدها عمادنا في معرفة محتويات الخزائن ، وهي وحدها كانت عوناً للعالم الكبير كارل بروكلمن في تاريخه عن الأدب العربي ؛ ففيها صواب كثير وخطأ لا بدّ منه ؛ ويحسن بنا أن نحتاط في قراءتها حتى تتم فهارسها العلمية .

قام عدد من علماء المشرقيات بزيارة هـذه الخزائن فهالتهم كثرة الأخطاء وشدة التصحيف في الفهارس ونزلوا استانبول ، وعاشوا على مقربة من هذه الكتب ، ووقفوا أجمل أيامهم على تصفحها وقراءتها ووصفها . فأرادوا أن يعملوا لها ما عمل زملاؤهم لخزائن اوربا وحواضرها كبرلين ولندن وباريز ومدريد وتوبينگن وليدن وروما وكوبنهاغ ، يذكرون عدد الأوراق والسطور ، ويرسمون الأبعاد والحجوم ، ويسجلون فواتح النسخ وخواتيمها ثم يصفون النسخة وما تقلب عليها ؛ ويقرّبون أحياناً بينها وبين أخواتها من خزائن العالم .

وأكثر هؤلاء الباحثين فيما نعلم جاءوا من ألمانيا مدرسين ومعلمين فاهتموا بهذه النوادر والفرائد ، وكتبوا نتاج دراساتهم وبحوثهم في مجلات أوربا وصحفها بلغتهم ، ونشروها منذ خمسين عاماً وما يزالوان ينشرون إلى اليوم في هذه المجلات ملاحظاتهم ودراساتهم لهذه المخطوطات .

ويصح أن تعتبر محاولاتهم نواة لفهرس عام علميّ منظم ، واذا ما جمع بعضها الى بعض كوّنت جزءاً مهماً من فهرس المخطوطات التي لم توصف الى اليوم . وهذا ما صنعناه ، فقد جمعنا مقالات هؤلاء العلماء من صحف مختلفة ، بعضها قديم نادر ، ومنها ماطبع خلال الحرب فأصبح نادراً . واستقصينا ما ظهر في هذه الخزائن فجاءت في سفر غير صغير ، حاولنا أن نظهر عليه قراء العربية ، وأن نشرك العلماء في السرور بهذه المعرفة ، وبخاصة من لا تصل يده الى هذه الصحف ، أو من يقف دون جمعها وفهمها وتفتر همته دون ترجمتها .

وأرى من الواجب هنا تزجية الثناء الكريم على المستشرق الأستاذ رشر O. Rescher فقد تفضل ودفع الينا نسخه الخاصة التي اقتطعها من الصحف القديمة ورجانا في تواضع علمي أن لا يُذكر على منحته هذه ، ولكننا نأبى إلاّ أن نعلن فضل العالم على المتعلم والمحسن الى السائل .

وسنضم بحوث الأستاذ رشر الى مقالات غيره من المشتغلين بالمشرقيات في وصف المخطوطات العربية ، ثم نذيّل ذلك بما وقفنا عليه من مخطوطات استانبول نصفها كما وصف المستشرقون أخواتها . وقبل أن نشرع في الترجمة نحب أن نصف حال هذه الدور ومواقعها من استانبول كما رأيناها منذ شهور ، ونذكر عدد مخطوطاتها وما تحويه من خزائن اجتمعت فيهـا ، معتمدين في ذلك على ما نشره الأستاذ يوسف شاخت Joseph Schacht في سنتي ١٩٢٧ و ١٩٣٢ [١] من قوائم الخزائن كما رآها لذلك الزمن ؛ ناقلين عن الأستاذ مظفر گوكمن M. Gökman [٢] مدير خزانة بيازيد العموميـة جداول الخزانات واحصاء

(1) Zeitschrift für Semitistik und vermandte Gebiete, Leipzig. 1927 Bd V, 288—293 ;Bd. VIII, 120—121.

(2) Istanbul Kütübhaneleri Rehberi, M. Gökman, Bayazit Umumî Kütüphane Müdürü, Istanbul 1951. 28 pages

المخطوطات في كل منها . فهو خبير في الموضوع . وعارف بجيرانه مديري الخزائن وما عندهم من كنوز .

مواقع الخزائن في استانبول

تقع جلّ الخزائن في القسم الغربي من استانبول أي في القسم الأوربي من القارة ، وتحتل الأماكن القديمة التاريخية كقصور السلاطين والجوامع الأثرية والمدارس . وكأنها تمتد من طرف البحر شرقاً إلى داخل المدينة غرباً ؛ لذلك سنعمد إلى وصفها متابعين سيرنا من الشرق الى الغرب ؛ في إيجاز يضطرنا اليه ضيق المجال . ولكننا لن نغفل عن الاشارة إلى محتوياتها وغناها حين نصف المخطوطات .

١ — طوپقپو سراي : تحتل هذه الخزانة أحد الأبنية الفخمة من سراي طوپقپو الشهير ، وقد حوّلته الدولة الى متحف أثري ؛ فخصت بمخلفات السلطان احمد الثالث وبغداد كوشكي وأمانت وغيرها ؛ وعدد المخطوطات الشرقية فيها يزيد على سبعة عشر الف مخطوطة وهي لم تفهرس الى اليوم في « دفاتر » مطبوعة شأن غيرها لأنها كانت محرّمة على الجمهور . ولكن السجلات الخطية معروضة يرجع اليها الباحث اليوم في معرفة الأرقام والأجزاء ؛ وهي تابعة لمدير المتحف ؛ وفيها خزنة ومناولون ، وتقع في مكان جميل في قلب الحدائق يجتاز اليها المطالع مسافةً غير قليلة تحت الأشجار في ممشى حجري طرقته سنابك الخيول وعربات السلاطين وشهد المجد والحكم .

٢ — أياصوفيا : وهي تقع على مسافة قريبة من الأولى ، في جامع أياصوفيا وهو اليوم متحف أيضاً شهد القدم والعظمة . والخزانة في قلب الجامع الى أقصى اليمين في غرف محاطة بسياج وأبواب من حديد . وهي تحوي ما يقرب من خمسة آلاف مخطوط ؛ لها فهرس مطبوع ومدير وخازنان يقومون بخدمة المطالع

وفيها مجموعة غنية من الكتب القديمة رائعة التجليد مزخرفة موشاة ، كتبت أكثرها بأقلام مؤلفيها ، وهي من مخلفات السلطان محمود الثاني والسلطان الفاتح وغيرهما .

٣ — كوپريلي : وتقع على مسافة غير بعيدة ، قد جعلت في مدرسة صغيرة تشرف على الشارع العام ، خلفتها أسرة كوپريلي ومحمد عاصم بك والسلطان احمد . وتبلغ عدد نسخها قرابة (٢٥٠٠) مخطوطة . ولها فهرس مطبوع ، وقاعة للمراجعة يحجب بينها وبين جدران الخزانة فاصل خشبي ، ولها خازن ومناول ، وفيها كتب قديمة نادرة

٤ — نور عثمانية : وتقع في الطرف الأيمن المقابل يصل بينهما شارع غير طويل . وهي في احدى غرف جامع نور عثمانية أنشأها السلطان عثمان الثالث سنة ١٧٥٥ م ، وفيها مخطوطات السلطان محمود الأول ، ويبلغ عدد ما فيها قرابة خمسة آلاف مخطوطة ولها خازن يقوم برعايتها وفهرس مطبوع قديم .

٥ — بيازيد : وهي الى الطرف الأيمن من ساحة بيازيد قبالة باب جامعة استانبول ؛ وتسمى المكتبة العمومية ، وفيها قرابة ثمانية آلاف مخطوط ، يرتادها المطالعون والطلبة لقربها من الجامعة ، يقرءون فيها كتبهم ويراجعون دروسهم ، وهي منظمة على طراز حديث ، تحجز فيها الأماكن ، وتتوفر فيها الفهارس على جزازات علمية وهي في ذلك شبيهة بجامعات الغرب . ويقوم على إدارتها عالم متخصص هو الأستاذ مظفر گوكمن M. gökman ، ويعاونه في مهمته عدد غير قليل من خزنة وموظفين .

٦ — وليّ الدين : الى الطرف الأيمن من جامع بيازيد بجوار المكتبة العمومية السابقة . وهي في غرفة متواضعة يزيد ما فيها على ثلاثة آلاف مخطوطة أكثرها

قديم ونفيس ولها خازن يقوم عليها ، وفيهـا خزانة شيخ الاسلام ولي الدين وجودة باشا وغيرهما .

٧ — جامعة استانبول : وهي خزانة حديثة في بناء مستقل يفصله عن الجامعة وقاعاتها شارع ضيق . وفي هذه الخزانة سبعة عشر الف مخطوطة كلها مفهرسة على جزازات لم يطبع منها إلا الجزء الأول فقط في المصاحف والقراءات [1] نشره مدير الخزانة العام الأستاذ فهمي أدهم قرهطاي ؛ وتحوي نفائس من مخطوطاتنا وفرائد من كتبنا بعضها حديث وأكثرها قديم نادر . ويقوم في البناء نفسه المعهد الشرقي لكلية الآداب بجامعة استانبولـ ويرأسه الأستاذ احمد آتش Ahmed Ates ، وهو يعنى بنشر الكتب القديمة والمخطوطات النافعة .

٨ — سليمانية : الى مقربة من خزانة الجامعة ، يفصل بينها وبين جامع السليمانية الشهير شارع عريض . وهي في مدرسة جميلة تجمعت فيها خزائن غنية تعدّ من أغنى خزائن استانبول وأعظمها ، وفيها أربع وعشرون خزانة قديمة ، يزيد عدد ما فيها على إحدى وثلاثين ألف مخطوطة فهي أهم خزائن تركيا . ولأكثر خزائنها فهارس مطبوعة ، وفيها قاعة صغيرة للمطالعة وموظفون يعملون ليل نهار في فهرسة المخطوطات على أسلوب علميّ حديث يعاونهم في ذلك الأستاذ O. Rescher . ويرأسها الدكتور مصطفى كويمن Dr. Mustafa Köymen وفي هذه الخزانة أكبر آلة لتصوير المخطوطات .

٩ — عاطف افندي : وتقع خلف السليمانية ينحدر اليها الزائر في أزقة ضيقة ، وهي في مدرسة صغيرة لطيفة تحوي ما يقرب من ثلاثة آلاف مخطوط يديرها خازن ومناول ؛ وكتبها من مخلفات الدفتردار عاطف افندي ، وفيها نفائس وفرائد .

---

(1) Istanbul üniversitesi Kütüphanesi, Arapça Yazmalar Katalogu, Fehmi Edhem Karatay, Istanbul 1951, 136 pages.

١٠ – فاتح : تقع في الشمال الغربيّ من المدينة تجاور جامع الفاتح المشهور . وفيها ما يقرب من ستة آلاف مخطوط ، من مخلفات السلطان الفاتح ومحمود الثاني ، وفيها مدير وخازنان وغرفة ضيقة للمطالعة .

١١ – ملّت : تقع غير بعيد عن الفاتح وفيها ما يزيد على عشرة آلاف مخطوط ، تحوي أشهر الخزائن كفيض الله افندي وولي الدين جار الله ويرتو باشا وعلي أميرى افندي وحكيم أوغلي علي باشا ، وأكثرها لم ينشر في فهارس مطبوعة ، وانما وضع على جزازات واضحة حسنة . ولها قاعة للمطالعة ومدير وخازن .

١٢ – مراد ملاّ : جعلت على مقربة من ملّت ، وفيها من مخلفات السلطان عبد الحميد الأول وبعض شيوخ الاسلام نفائس الكتب ونوادرها ما يقرب عدده من خمسة آلاف مخطوطة . وفيها من يقوم بالفهرسة وخدمة الباحثين .

١٣ – راغب باشا : غربي بيازيد على الشارع العام في بناية لالهلي أسسها الوزير راغب باشا سنة ١٧٦١ م . وهي تحوي ما يقرب من ألفي مخطوطة أكثرها مفهرس معلوم .

***

ويسود في هذه الخزائن الهدوء والنظام وتبدو فيها النظافة والعناية ، ويرتادها الطلبة الدارسون لا يجدون غيرها لمراجعة بحوثهم . وقلما تقع فيها على باحث عن المخطوطات العربية لبعد القوم عن هذه اللغة ، وعزوفهم عن مباحثها ، وقلة تعلقهم بماضيها . فالمستعربون قلة في هذه الربوع ما نكاد نعرف من أساتيذهم فيها إلا الأستاذ مكرمين خليل والأستاذ فؤاد سوزكين والأستاذ أحمد آتش ، وقد تفضل هذا الأخير فرافقنا في أكثر هذه الرحلة فله علينا اليد البيضاء الواسعة .

بقي من هذه الخزائن العامة اثنتان هما خزانة سليم آغا بأيوب ، وخسرو باشا بأسكدار ، لم نستطع لضيق الوقت قراءة مافيها ومطالعة نفائسها . وعذرنا في هذا التقصير أن الطريق – كما ذكرنا – لم تعبد قبلنا في وصف هذه الخزائن بأسباب .

وكل ما نعرف عن هذه الخزائن مختارات و قوائم قام بنشرها واعلانها في الجمهور العربي أستاذنا الرئيس محمد كردعلي وشيوخنا في هذا الباب احمد تيمور باشا والشيخ طاهر الجزائري واحمد زكي باشا ؛ قرأناها في مجلات الهلال والمقتبس ومجلة المجمع العلمي العربي . وهي نوادر وفرائد حبذا لو قام المخلصون من شبابنا في العمل لها والسعي لنشرها نشراً علمياً صحيحاً في مقدمات نافعة وفهارس واسعة وتعليقات وافية تعيد الى الأحفاد كنوز الأجداد ويكون من آثار الخلف ما يقف لآثار السلف ، ويعود للغة العربية سالف مجدها وقديم عزّها فتستعيد مكانتها ويكتب لها البقاء والخلود .

وسنبسط في الجداول الآتية تفصيلاً لما أجملنا ، وتوضيحاً لما أوجزنا فنجعل في الجدول الأول قائمة بالدور الموجودة والى جانبها ما تحويه من خزائن ، مع ذكر عدد المخطوطات التي تحويها كل منها .

وفي الجدول الثاني رتبنا الخزائن الصغيرة على حروف الألفباء يرجع اليها المطالع ليعرف مكان وجودها من الدُور العامة اليوم .

وجعلنا في الجدول الثالث قائمة الفهارس المنشورة حتى الآن ، لعل القارئ يعود اليها في معرفة ما يطلبه من مخطوطات ، ليقف على ما بقي منها طيّ الجزازات من غير فهرس منشور أو دفتر مطبوع .

وقد أغفلنا ذكر الخزائن التي تحوي مخطوطات شرقية وتندر فيها المخطوطات العربية الهامة وهي خزانة البلدية وخزانة التركيات وخزانة المتحف ؛ كما ضربنا صفحاً عن الخزائن التي تحوي المطبوعات فقط .

وبعد انتهاء هذه الجداول نشرع في التعريف بالمخطوطات كما وصفها المستعربون من علماء المشرقيات خدمة للدارس الباحث . والله من وراء القصد .

* * *

الجدول الأول :

خزائن استانبول وعدد مخطوطاتها

(مرتبة على حروف الألفباء)

	عدد المخطوطات
ا — أياصوفيا [1] :	
(١) خزانة السلطان محمود	٤٨٦٣
(٢) سعد الدين المبتقى	١١٣
(٣) لواقف مجهول	٢٢
ب — بيازيد (عمومية) [2] :	
(٤) من واقفين مختلفين	٦٧٨٧
(٥) حكيم اوغلى وادريس باشا	
(٦) عمر افندي (رئيس الأطباء)	
(٧) الطرابزوني (حسين افندي)	
(٨) مناسترلي (اسماعيل حقي)	
(٩) نامق بك وبزمي عالم سلطان	
(١٠) ثابت بك	
(١١) وزارة المعارف	
(١٢) محمد أشرف	
(١٣) حسن فهمي باشا	٦٠
(١٤) لطفي بك	١٧
(١٥) محمد ذهني أفندي	٥٠
(١٦) توفيق باشا	٥٣

(١) عنوانها : Sultanahmed, Ayasofya Müzesi

(٢) عنوانها : Beyazit Imaret çad. No 21

	عدد المخطوطات
(١٧) عارف بك المتزوي	١٣٠
(١٨) حافظ داود باشا	٣١
(١٩) علي حيدر أفندي	١٦
(٢٠) سليمان توفيق	١٧
(٢١) خليل شريف باشا	٩١
(٢٢) چركس (شيخ توفيق)	٢٩
(٢٣) ترناوه‌لي (محمد)	١٣
(٢٤) عبد النافع أفندي	١٩
(٢٥) قره مصطفى باشا	٤٨٣
(٢٦) ذهني باشا	٤
(٢٧) اسماعيل فني ارطغرل	١٠
جـ — جامعة استانبول [1] :	
(٢٨) مختلفة (يلديز ، خالص ، صاحب ملاّ)	١٧٧٤٨
د — خسرو باشا [2] :	
(٢٩) خسرو باشا	٤٩٨
(٣٠) بشير آغا	٢٠٠
(٣١) جامع أيوب	١٩٢
(٣٢) مهرشاه سلطان	٤٤٣
(٣٣) اسميخان سلطان	٤٣٨
(٣٤) حسن حسني باشا	٦٠

(١) عنوانها : Bayazit Süleymanie cad.

(٢) عنوانها : Eyüp Bostan Iskelesi No 7

	عدد المخطوطات
هـ — راغب باشا [1] :	
(٣٥) راغب باشا	١٥٠٣
(٣٦) توفيق يحيى (مدرسة)	٣٥٥
(٣٧) مصلّى (مدرسة)	٧٠
(٣٨) يكى مدرسة	٥٩
و — سليم آغا [2] :	
(٣٩) حاج سليم آغا	١٢٣٩
(٤٠) هدائي افندي	٧٥٠
(٤١) هاشم باشا	١٠١
(٤٢) كانكش أمير خوجه	٦٩٥
(٤٣) يعقوب آغا	٣٠
(٤٤) حسين كاظم	٩
(٤٥) نورنبي سلطان	١٥٧
(٤٦) گولنش والدة سلطان	١٠١
ز — سليمانية [3] :	
(٤٧) سليمانية	١٠٣٩
(٤٨) عموجه حسين باشا	٤٥٦
(٤٩) نظيف افندي	٤٧
(٥٠) عاشر افندي (شيخ الاسلام)	٤٧١

(١) عنوانها : Laleli Ordu Cad. No 225

(٢) عنوانها : üsküdar atlamatasi Cad. No 21

(٣) عنوانها : Elmaruf Mah Ayse Kadin Sok. No 35

	عدد المخطوطات
(٥١) مصطفى افندي	١٢٣٩
(٥٢) حفيد افندي	٤٧٥
(٥٣) بغدادلي وهبي	١٥٥٧
(٥٤) بشير آغا	٥٩٤
(٥٥) عبد الله چلبي	٣٨٣
(٥٦) چورليلى علي باشا	١٤٢٦
(٥٧) داماد ابراهيم باشا	١١٥٢
(٥٨) دوكلي بابا	٢٦٧
(٥٩) اسعد افندي	٣٧٣٥
(٦٠) گوانش سلطان	٦٩
(٦١) حافظ احمد باشا	٣٦
(٦٢) حالت افندي	٨٢٤
(٦٣) قره چلبي حسام الدين	٣٦٣
(٦٤) أزميرلي اسماعيل حقي	١٨٠
(٦٥) قليچ علي باشا	١٠٣٠
(٦٦) لالهلي	٣٨١٠
(٦٧) محمود افندي	٢٦٠٠
(٦٨) محمود باشا	٣٧٧
(٦٩) أزميرلي مصطفى افندي	٦٠
(٧٠) رستم باشا	١٦٣
(٧١) يوسف آغا	٣٧٢
(٧٢) جامع محمد آغا	١٦٦

	عدد المخطوطات
(٧٣) قاضي زاده محمد أفندي	٥٦٩
(٧٤) مسيح باشا	١١٣
(٧٥) نافذ باشا	١٥١٨
(٧٦) پرتو نيال	٣٣٥
(٧٧) صالحة خانم	١٠١
(٧٨) خوجه سيّد	١٧
(٧٩) صراز	١٠٠٨
(٨٠) صروبلي	٢٥٠
(٨١) شهيد علي باشا	٢٨٧٠
(٨٢) شاه زاده	١٢٠
(٨٣) والدة سلطان	٧٠
(٨٤) يكى جامع	١١٩٧
(٨٥) ترخان سلطان	٣٣٦
(٨٦) زهدي بك	١٤٣
ح — طوپقپو سراي [1] :	
(٨٧) روان كوشكي	٢٠١٨
(٨٨) خزينة	٢٠٢٢
(٨٩) بغداد كوشكي	٤٦٩
(٩٠) مدينة	٥٦٦
(٩١) أمانت	٣١٦٠

(١) عنوانها : Topkapi Saray.

	عدد المخطوطات
(٩٢) قوغوشلو	٢٠٧٠
(٩٣) احمد الثالث	٤٧٦٢
(٩٤) من خزائن مختلفة	٢٥٠٩
ط – عاطف افندي [1] :	
(٩٥) الدفتردار عاطف افندي	٢٦٨١
ي – فاتح [2] :	
(٩٦) فاتح (جامع)	٥١٥٢
(٩٧) حافظ كتب ابرهيم	٤٠٢
(٩٨) ترناوِلي محمد	٢٨٩
ك – كوپريلي [3] :	
(٩٩) كوپريلي محمد باشا	١٦٠٨
(١٠٠) فاضل احمد باشا	٣٨١
(١٠١) محمد عاصم بك	٥٥٦
(١٠٢) جامع سلطان أحمد	١٠٧
ل – مراد ملاّ [4] :	
(١٠٣) مراد ملاّ	١٨٤٥
(١٠٤) محمد عارف	٩٤

(١) عنوانها : Sehzadebasi, Vefa Cad. No 44

(٢) عنوانها : Fatih Kirmasti Mh. Cami

(٣) عنوانها : Divanyolu Cad.

(٤) عنوانها : Fatih, çarsamba. Murat molla Cad. 14

	عدد المخطوطات
(١٠٥) حميدية	١٥٠٢
(١٠٦) لالا اسماعيل افندي	٧٥٦
(١٠٧) حافظ مراد	١٠٥
(١٠٨) غاليبوليلى طاهر	٣٩
(١٠٩) دار المثنوى مراد	٤٩٣
م — ملت [1] :	
(١١٠) فيض الله أفندي	٢١٩٨
(١١١) رشيد افندي	١١٧٨
(١١٢) ولي الدين جار الله	٢١٢٩
(١١٣) پرتو باشا	٦٨٧
(١١٤) علي أميري افندي	٣٣٧١
(١١٥) حكيم أوغلى علي باشا	٩٤٧
ن — نور عثمانية [2] :	
(١١٦) نور عثمانية (محمود وبيرام باشا)	٤٩٤٨
س — ولي الدين [3] :	
(١١٧) ولي الدين افندي	٣٢٣١
(١١٨) جودة باشا	٨٤
(١١٩) خالد بك	٦٦
(١٢٠) علي رضا أفندي	٢٥

* * *

(١) عنوانها : Fatih Macar Kardasler No 85

(٢) عنوانها : Nuruosmaniye Camii avlusu

(٣) عنوانها : Bayazid Camii

الجدول الثاني :

الخزائن الخطية وأماكن وجودها اليوم

(مرتبة على حروف الألفباء)

اسم الخزانة قديماً		موقع الخزانة الآن
	(ا)	
ابرهيم حافظ كتب	—	فاتح
ابرهيم حقي باشا	—	جامعة استانبول
احسان افندي	—	سليم آغا
احمد الثالث	—	طوبقبو
أدريس باشا	—	بيازيد (عمومية)
ازميرلي اسماعيل حقي	—	سليمانية
ازميرلي مصطفى افندي	—	〃
اسعد افندي	—	〃
اسعد بك (دكتور)	—	〃
اسماعيل آغا	—	〃
اسماعيل حقي بك	—	بيازيد (عمومية)
اسماعيل فني أرطغرل	—	〃 〃
اسميخان سلطان	—	خسرو باشا
أمانت (خزينة)	—	طوبقبو
أمير خوجه كانكش	—	سليم آغا
أياصوفيا	—	أياصوفيا
أيوب (جامع)	—	خسرو باشا
أيوب (سلطان)	—	〃 〃

اسم الخزانة قديماً		موقع الخزانة الآن
(ب)		
پرتو باشا	—	ملّت
پرتو نيال	—	سليمانية
بزمي عالم سلطان	—	بيازيد (عمومية)
بشير آغا	—	خسرو باشا
بشير آغا	—	سليمانية
بغداد كوشكى	—	طوپقپو سراي
بيرام باشا	—	نور عثمانية
(ت)		
ترخان سلطان	—	سليمانية
ترناوهلي (محمد افندي)	—	فاتح
توفيق باشا	—	بيازيد (عمومية)
توفيق بك	—	〃 〃
توفيق يحيى (مدرسة)	—	راغب باشا
(ث)		
ثابت بك	—	بيازيد (عمومية)
(ج)		
چلبي عبد الله	—	سليمانية
جودة باشا	—	ولي الدين
چورليلى علي باشا	—	سليمانية

اسم الخزانة قديماً		موقع الخزانة الآن
	(ح)	
حافظ أحمد باشا	—	سليمانية
حافظ داود باشا	—	بيازيد (عمومية)
حالت افندي	—	سليمانية
حسام الدين قره چلبي	—	〃
حسن حسني باشا	—	خسرو باشا
حسن فهمي باشا	—	بيازيد (عمومية)
حسين الطرابزوني	—	〃 〃
حسين كاظم بك	—	سليم آغا
حفيد افندي	—	سليمانية
حكيم أوغلى	—	بيازيد (عمومية)
حكيم أوغلى علي باشا	—	ملّت
حميدية	—	مراد ملاّ
حيدر	—	سليم آغا
	(خ)	
خالد بك	—	ولي الدين
خالص افندي	—	جامعة استانبول
خسرو باشا	—	خسرو باشا
خليل شريف باشا	—	بيازيد (عمومية)
خوجه سيّد	—	مراد ملاّ
	(د)	
دار المثنوي شيخ مراد	—	مراد ملاّ

اسم الخزانة قديماً		موقع الخزانة الآن
داماد ابراهيم باشا	—	سليمانية
ديوركلي سليم	—	〃
دوكلي بابا	—	〃
	(ذ)	
ذهني باشا	—	بيازيد (عمومية)
	(ر)	
راغب باشا	—	راغب باشا
رستم باشا	—	سليمانية
رشيد أفندي	—	ملت
رضا باشا	—	جامعة استانبول
روان كوشكي	—	طوبقبو سراي
	(ز)	
زهدي بك	—	سليمانية
	(س)	
سراز	—	سليمانية
سروبلي	—	〃
سعد الدين مبتقى	—	أياصوفيا
سلطان أحمد (جامع)	—	كوبريلي
سليم آغا (حاج)	—	سليم آغا
سليمان توفيق بك	—	بيازيد (عمومية)

اسم الخزانة قديماً		موقع الخزانة الآن
سليمان سرّي أفندي	—	سليمانية
سليمانية	—	〃

(ش)

شاه زاده	—	سليمانية
شهيد علي باشا	—	〃
شيخ مراد	—	مراد ملاّ

(ص)

صاحب ملاّ	—	جامعة استانبول
صالحة خاتون	—	سليمانية

(ط)

طاهر افندى (غاليبوليلي)	—	مراد ملاّ
طيفور آغا	—	فاتح جامعي

(ع)

عارف بك	—	بيازيد (عمومية)
عارف بك المنزوي	—	〃 〃
عاشر افندي (شيخ الاسلام)	—	سليمانية
عاطف افندي (الدفتردار)	—	عاطف افندي
عبد النافع أفندي	—	بيازيد (عمومية)
عثمان آغا	—	سليمانية
علي اميري افندي	—	ملّت
علي باشا شهيد	—	سليمانية

اسم الخزانة قديماً		موقع الخزانة الآن
علي حيدر أفندي	—	بيازيد (عمومية)
علي رضا افندي	—	ولي الدين
عمر أفندي (رئيس الأطباء)	—	بيازيد (عمومية)
عموجه حسين باشا	—	سليمانية
(ف)		
فاتح	—	فاتح (جامع)
فاضل أحمد باشا	—	كوپريلي
فوزي باشا	—	سليمانية
فيض الله أفندي	—	ملت
فيض الله أفندي	—	مراد ملا
(ق)		
قاضي زاده محمد	—	سليمانية
قره مصطفى باشا	—	بيازيد (عمومية)
قليچ علي باشا	—	سليمانية
قوغوشلر	—	طوپقپوسراي
قيوجي مراد باشا	—	سليمانية
(ك)		
كمانكش أمير خوجه	—	سليم آغا
كوپريلي محمد باشا	—	كوپريلي
گولنش سلطان	—	سليمانية
گولنش والدة سلطان	—	سليم آغا

اسم الخزانة قديماً		موقع الخزانة الآن
(ل)		
لالا اسماعيل أفندي	—	مراد ملاّ
لاله لي	—	سليمانية
لطفي بك	—	بيازيد (عمومية)
(م)		
محمد أشرف بك	—	بيازيد (عمومية)
محمد آغا (جامع)	—	سليمانية
محمد ترناوه لي	—	بيازيد (عمومية)
محمد خميس	—	طوبقبو سراي
محمد ذهني بك	—	بيازيد (عمومية)
محمد عارف افندي	—	مراد ملاّ
محمد عاصم بك	—	كوپريلي
محمد قاضي زاده	—	سليمانية
محمد وجيه باشا	—	مراد ملاّ
محمود أفندي	—	سليمانية
محمود باشا (مدرسة)	—	〃
مدينة	—	طوبقبو سراي
مراد حافظ	—	مراد ملاّ
مراد ملاّ (قاضيعسكر)	—	〃 〃
مسيح باشا	—	سليمانية
مصطفى افندي (رئيس الكتاب)	—	〃
مصلى (مدرسة)	—	راغب باشا
معارف (وزارة)	—	بيازيد (عمومية)

اسم الخزانة قديماً		موقع الخزانة الآن
مهرشاه سلطان	—	خسرو باشا
(ن)		
نافذ باشا	—	سليمانية
نامق بك	—	بيازيد (عمومية)
نظيف أفندي	—	سليمانية
نور بني سلطان	—	سليم آغا
نور عثمانية	—	نور عثمانية
(هـ)		
هاشم باشا	—	سليم آغا
هدائي افندي	—	〃 〃
(و)		
والدة سلطان	—	سليمانية
ولي الدين أفندي	—	ولي الدين
ولي الدين جار الله	—	ملّت
وهبي أفندي بغدادلي	—	سليمانية
(ي)		
يحيى افندي	—	سليمانية
يعقوب آغا	—	سليم آغا
يكي جامع	—	سليمانية
يكي كتبخانة	—	طوبقبوسراي
يكي مدرسة	—	راغب باشا
يوسف آغا	—	سليمانية
يلديز	—	جامعة استانبول

الجدول الثالث :

الفهارس المطبوعة لخزائن استانبول العامة

(مرتبة على حروف الهجاء)

اسم الخزانة [١]	تاريخ تأسيس الخزانة	سنة الطبع
١ — اسعد أفندي	١٢٦٢	—
٢ — أسميخان	٩٠٩	١٣١٠
٣ — أمير خوجه كمانكش	١١٣٥	١٣٠٠
٤ — أياصوفيا	١٢٥٠	١٣٠٤
٥ — أيوب (جامع)	—	١٣١١
٦ — بشير آغا (باب عالي)	١١٥٥	١٣٠٣
٧ — بشير آغا (أيوب)	—	١٣١٠
٨ — بيازيد	—	١٣٠٤
٩ — چلبي عبد الله أفندي	—	١٣١١
١٠ — چورليلي علي باشا	١١٢٠	١٣٠٣
١١ — حالت افندي	١٢٤٤	١٣١٢
١٢ — حكيم أوغلي علي باشا	١١٤٥	١٣١١
١٣ — حميدية	—	١٣٠٠
١٤ — خالد أفندي	—	١٣١٢
١٥ — خسرو باشا	١٢٥٥	—
١٦ — داماد ابرهيم باشا	—	١٣١٢
١٧ — داماد زاده قاضيعسكر مراد	١١٨٩	١٣١١

(١) نشرت هذه الفهارس بعنوان تركي وتعليقات تركية كما قلنا ، واكتفينا هنا بذكر اسم الخزانة قديماً كما على الغلاف مع ترك الاضافات التركية ، تقريباً لأذهان قراء العربية ، والتواريخ المذكورة هي بالهجرية .

اسم الخزانة	تاريخ تأسيس الخزانة	سنة الطبع
١٨ – دوكلي بابا	—	١٣١٠
١٩ – راغب باشا	١١٥٥	١٣١٠
٢٠ – سرويلي	—	١٣١١
٢١ – سليم آغا	١١٩٧	١٣١٠
٢٢ – سليمانية	١٢٨٠	١٣١٠
٢٣ – سليمية	١٢٢١	١٣١١
٢٤ – عاشر أفندي	١١٥٤	١٣٠٦
٢٥ – عاطف أفندي	١١٥٤	١٣١٠
٢٦ – عموجه حسين باشا	١١٦٨	١٣١٠
٢٧ – عمومية	—	—
٢٨ – فاتح	١١٥٥	—
٢٩ – فيض الله افندي وشيخ مراد	—	١٣١٠
٣٠ – قره چلبي زاده حسام الدين	—	١٣٠٠
٣١ – قره مصطفى ومصلى وحكيم أوغلي وقيوجي	—	١٣١٠
٣٢ – قليج علي باشا	—	١٣١١
٣٣ – كوپريلي زاده محمد باشا	—	—
٣٤ – لالهلي	١٢١٧	١٣١١
٣٥ – محمد آغا وأسعد افندي وبني مدرسة	—	١٣١٠
٣٦ – محمود باشا ورستم باشا	—	١٣١١
٣٧ – مهرشاه سلطان	١٢١٠	١٣١٠
٣٨ – نور عثمانية	١٢١١	—
٣٩ – والدة سلطان	١٢١١	—
٤٠ – ولي الدين	١١٧٥	١٣٠٤
٤١ – يكي جامع	—	—
٤٢ – يحيى أفندي	—	١٣١٠

دمشق : **الدكتور سامي الدهان**

من كتاب

الأشباه والنظائر للخالديّين (*)

[ص ١١٧ : تناحر الشعراء في شعر العوام بن عقبة]

قال العوّام بن عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سُلمى [١] :

(١) وخُبِّرْتُ ليلى بالعراق مريضةً ... فأقبلتُ من مصرٍ اليها أعودُها

هذا البيت تناحر [٢] الشعراء فيه ،

(*) تابع لما نشر في الجزء الرابع من المجلد ٢٦ والجزء الأول من المجلد ٢٧ من هذه المجلة .

(١) القائل هو العوّام ، انظر المرزباني ٣٠١ واللا لي ٣٧٣ ، لا ابو العوّام كما ورد في البصرية ١٨٤ والعيني ٤٥٧/٤ ولعل منشأ هذا الوهم ان عقبة والعوام كليهما علقا بامرأة واحدة على التوالي (انظر شرح الحماسة ٦٢٠) وقد خلط القالي ٤٣/١ وغيره بين أبيات من شعر ابن الدمينة وابيات من شعر للحسين بن مطير وابيات مجهولة كما نبه على ذلك البكري في اللآلي ١٧٨ — ١٧٩ والتنبيه ٣١ .وقد روى بعض الأبيات لكثيّر أيضاً كما نبه عليه صاحب البصريّة ، ولعل في اشارة الخالديين الى « تناحر الشعراء » دليلاً على ان الأبيات التالية ليست للعوّام وحده ، ومما لاشك فيه ان الأبيات ١ - ٤ و ١٦ للعوام [الحماسة ٦٢٠ واللآلي ٣٧٤ والمرزباني ٣٠١ وشذ وروده بالاولين في د المجنون ٢٧] والأبيات ٧ و ١٠ و ١٧ و ١٨ للحسين بن مطير [الحماسة ٥٤٣ و ٥٩٧ والقالي ١٦٥/١ - انظر اللآلي ٤٣٥ - والطبقات لابن المعتز ص ٤٨ والمرتضى ٩٠/٢ والحصري ١١٧/٤ ومجموعة المعاني ١٤٦ والزجاجي ١٢٤] والبيتان ١١ و ١٢ لكثير [غ ٨٦/٧ - ٨٧ و ٣٩/٩ والكامل ٣٨٥ والعقد ١٢١/٤ و د كثير ٧١/١] . اما الأبيات ٥ و١٣ و ١٤ فقد ثبتت في د ابن الدمينة ٤٣ والبيت ٦ مضافاً الى البيتين ١٣ و ١٤ له عند الخالديين ايضاً فيما بعد ص ١٧٦ .

(٢) ا « سادر » ؛ ب « تناظر » . والتناحر التتابع على الطريق وغيره وهو مجاز ، كذا في التاج .

(٢) فو الله ما أدري اذا أنا جئتُها ... أأبْرِئُها من دائها أم [١] أزيدُها
(٣) الا ليت شعري هل تغيَّر بعدَنا ... ملاحةُ عينَيْ أمِّ يحيى وجيدُها
(٤) وهل أخلقتْ أثوابُها بعد جِدَّةٍ ... الا حبذا خُلقانُها وجديدُها
(٥) خليليَّ قوما بالعمامة واعصبا ... على كبِدٍ لم يبقَ الا عميدها [٢]
(٦) ولن يلبث الواشون ان يصدعوا العصا ... اذا لم يكن صلباً على البَرْيِ [٣] عودُها
(٧) لقد كنتُ جلْداً قبل أن توقِدَ النوى ... على كبِدي ناراً بطيئاً خمودُها
(٨) ولو تُرِكتْ نارُ الهوى لتضرَّمتْ [٤] ... ولكنْ شوقاً كلَّ يوم يزيدُها
(٩) وقد كنتُ أرجو أن تموتَ صبابتي ... اذا قدُمَتْ آياتُها [٥] وعهودُها
(١٠) فقد جعلت في حبة القلب والحشا ... عِهادُ الهوى تُولى بشوق يزيدُها
(١١) وكنت اذا ما جئت ليلى أزورُها ... أرى الأرض تُطوى لي ويدنو بعيدُها
(١٢) من الخفِرات البيض ودّ جليسُها ... اذا ما قضتْ أحدوثة ، لو تعيدُها
(١٣) خليليَّ اني اليوم شاكٍ اليكما ... وهل تنفع الشكوى الى من يزيدُها
(١٤) حَزازاتِ شوق في الفؤاد وعَبرةً ... أظلُّ بأطراف البنان أذودُها
(١٥) وتحت مجال الدمع حرٌّ [٦] بلابل ... من الشوق لا يُدعَى لخطب وليدُها [٧]
(١٦) نظرتُ اليها نظرةً ما يسرُّني ... بها حُمرُ أنعام البلاد وسودُها
(١٧) اذا جئتُها وسط النساء منحتُها ... صدوداً كأنَّ النفس ليس [٨] تريدُها

---

(١) م « أو » .
(٢) روي المجنون — د ٣٩ — :
خليليّ قوما بالعصابة فاعصبا ... على كبد لم يبق الا رميمها
(٣) ب « الرأي » .
(٤) ب « لتصرمت » ومذهبان الشعراء انظر اللآلي ٤٣٥ .
(٥) الرواية « أيامها » .
(٦) ا « جر » .
(٧) يقال : هذا امر لا ينادى وليده ، يضرب في الخير والشر .
(٨) كذا والرواية « ليست » وفي البصرية « كأن القلب ليس يريدها » .

(١٨) ولي نظرة بعدَ الصدود من الجوى كنظرة ثكلى قد أُصيبَ وحيدُها

(١٩) رفعتُ [(١)] عن الدنيا المنى غيرَ وجهها فلا أسأل الدنيا ولا أستزيدها

هذه الأبيات من جيد غزل الأعراب ونادره ، وفيها أشياء لها نظائر نحن نذكر بعضها ، فمن ذلك قوله : «وقد كنت أرجو أن تموت صبابتي» البيت وقوله : «فقد جعلت في حبة القلب والحشا» البيت وهذا المعنى جيد ، يقول : كنت أرجو أن تذهب صبابتي اذا تطاولت الأيام ، فلما اشتدت وتطاولت زادت صبابتي ، وشبيه بهذا قول الشاعر وهو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر [(٢)] :

(١) م «دنمت» .

(٢) سهو من الخالديين فان البيتين ليسا له بل هما لبعض الأعراب ، انما ضمنهما احمد بن سليمان بن وهب كتاباً كتبه الى ابي احمد عبيد الله بن [عبد الله بن] طاهر ، كذا في الموشح ٣٠٢ وجاء فيه ايضاً ان ابا احمد اجابه جواباً يقول فيه : اما البيتان اللذان ذكرتهما وحثثت بهما على الوفاء فقد استحسنتهما واحتجت الى الاستثبات في قوله «تُرد علينا بالعشيّ المراميا» وأي شيء أراد بالمرامي ؟ فان الذي يعرف ان المرامي جمع مرمى والمرمى المقذف وهو مصدر رمى رمياً كما ترى ، فان كان اراد بالمرامي النبل فهو موجود في كلام العرب وله شاهد . وكان قوله «شبّ بنو ليلى وشبّ بنو ابنها» يقتضي ان يكون قال شب بنو ابنها منه أو من غيره فانه لم يقدّم ذكراً للملكه اياها وانها أم ولده ، وان كانوا يتكلمون على علم المخاطب ويروى ان البلاغة لمحة دالة ، وكان من همم البيتين مع استحساننا جيماً اياهما وقف على قوله «بقايا حب ليلى» وأراد منه ألا يكون ذكرَ البقايا وان يكون احتال حتى جعل مكانها أول الافتتاح وان كان لم يكذب في هذا خاصة فرّ بي عند هذا ما لم يتبين لي فيه مطمن وهو قول بعضهم :

وعهدي بنُعم أول العهد انها كعابٌ فزادتني صِبا وتصابيا
فقد شاب منها نسلنا وتناسلوا وعادت بقايا حبّ نعم بواديا

انتهى قول ابي احمد والبيتان من غير عزو في الراغب ٢/٢٢ وقد ورد للمجنون (د ٨) :

وعهدي بليلى وهي ذات مؤصد ترد علينا بالعشيّ المواشيا

امل المراد بـ «المراميا» هو «المواشيا» (التي تمن وتذهب بعيداً في السروح) لا غير وذلك يوافق حياة البدو تماماً .

فشاب بنو ليلى وشاب ابن بنتها وحرقة ليلى في الفؤاد كما هيا

(١) وعُلّقتُ ليلى وهي ذات ذُؤابة ترد علينا بالعشيّ المراميا
(٢) فشاب بنو ليلي وشاب بنو ابْنِها[١] وهذي بقايا حبّ ليلى كما هيا

وقال آخر مثله :

فشاب بنو ليلى لِصُلبي[٢] وأدركوا وشاب بنوهم[٣] وهي مالكة قلبي

فأما قوله : «وكنت اذا ما جئت ليلى أزورها» البيت فقد أخذه أبو نواس فقال[٤] :

قالت:لقد أبْعَدَ[٥] المسرَى،فقلتُ لها: من عالج الشوق لم يستبعدِ الدّارا

ومثله قول الآخر[٦] :

واذا أتيتك زائراً متشوقاً قصر الطريق وطال عند رجوعي

وقل اسحق بن ابراهيم الموصلي : قلت لزهراء الأعرابية : كم بيننا وبين منزلك ؟ فقالت[٧] :

أما على كسلانَ وانٍ فنازحٌ وأما على ذي حاجة فقريبُ

وأما قوله : «من الخفرات البيض» البيت فأحسن ما قيل في معناه ، وقد

---

(١) في الموشح «شبّ» بدل «شاب» في الموضعين واستحسنُ «فشاب بنو ليلى وشبّ بنو ابنها» .
(٢) قوله «لصلبي» يدفع اعتراض اي احد على القول السابق .
(٣) ب و م «بنوها» .
(٤) د ٢٨٣ وقال العباس بن الأحنف :
ستقرب الدارَ شوقاً وهي نازحة من عالج الشوق لم يستبعد الدارا
انظر د ٧٣ والوساطة ٢٨٣ والراغب ١٥/٢ .
(٥) صححت في ب «بعد» من المجرد كما في د .
(٦) مثله للعباس بن الأحنف :
أرى الطريق قريباً حين اسلكه الى الحبيب بعيداً حين أنصرفُ
انظر النويري ٨٤/٣ .
(٧) البيت لأعرابي في الوساطة ٢٣٨ .

تركنا نظائر كثيرة له [في صدر هذا الكتاب] [١] ونحن نذكر ههنا شيئاً مما لم نذكره هناك ، فمن ذلك قول الشاعر [٢] :

كأنما عسل رجعانُ منطقها   لو ان رجع كلامٍ [٣] يشبه العسلا

آخر [٤] :

(١) وانا ليجري بيننا حين نلتقي   حديثٌ له وشيٌ كوشي المطارفِ
(٢) حديث كوقع القطر في المحل يُشتفى   به [من] [٥] جوىً في داخل القلب شاغفِ

لبشار [٦] :

(١) ولها مضحكٌ كغر [٧] الأقاحي   وحديث كالوشي وشي البرودِ
(٢) نزلت في السواد من حبّة القلـ   ـبِ ونالتْ زيادةَ المستزيدِ

ذو الرمة [٨] :

ونلنا سِقاطاً من حديث كأنه   جنى النحلِ ممزوجاً بماء الوقائع

آخر [٩] :

---

(١) بدله في ا « وذكرنا في صدر الكتاب شيئاً منها » .
(٢) للحكم بن ريحان من بني عمرو بن كلاب في البيان ٢٧٩/١ ومن غير عزو في العقد ٢٩/٤ .
(٣) هذه هي الرواية وفي ا يمكن أن تقرأ الكلمة « مَلام » وهو عندي معنى لطيف .
(٤) نسبا الى ابن ابي ربيعة في التشبيهات لابن ابي عون ١١٠ وهما من غير عزو في مجموعة المعاني ١٧٩ وزاد في البصرية ١٤٦ « وتروى لذي الرمة » ونسب البيت الأول الى بشار في العقد ٢٩/٤ وزاد في البصرية ١٤٦ « وتروى لذي الرمة » ونسب البيت الأول الى بشار في العقد ٢٩/٤ .
(٥) سقط من ا و م وبدله في ب « ذو » .
(٦) هما مع ثالث له في المرتضى ٩٨/١ .
(٧) كذا في المرتضى وفي الأصول « كشفر » وسيأتي « كنور » .
(٨) د ٣٥٨ وانظر المرتضى /١٨٧ والعيون ٨٣/٤ وابن ابي عون ١١٠ .
(٩) هذا البيت ايضاً لذي الرمة ، انظر د ٢١٢ واللآلي ٢٥٥ و ٤٠٨ والمرتضى ١٠/١ و ١٥٩/٢ .

لها بَشَرٌ مثل الحرير ومنطقٌ رقيقُ الحواشي لا هُراءٌ ولا نَزْرُ

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي [١] :

وحديثٍ بمثله تنزل العُصْـمُ رخيمٍ يشوب ذلك حِلْمُ

النابغة [٢] :

(١) لو أنها عرَضتْ لأشمطَ راهبٍ عَبَدَ الإلهَ صرورةٍ متعبِّدِ

(٢) لرَنا لبهجتها وحسنِ حديثها ولخاله رُشداً وان لم يَرْشُدِ

كثيّر عزة [٣] :

(١) وأدنيتني حتى اذا ما استَبيتَني [٤] بقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ سهلَ الأباطحِ

(٢) تباعدتِ عني حينَ لا لي ملجأٌ [٥] وخلّيتِ ماخلّيتِ بين الجوانحِ

آخر [٦] :

(١) ظللنا بيوم عنـد أمّ محلّم نشاوى ولم نشرب طلاءً ولا خمْرا

---

(١) د ق ٩٧/٤ .

(٢) العقد الثمين من ١١ والحصري ١٦/١ وجاء في الشعراء ٧٣ — ٧٤ والوساطة ١٠٣ ان ربيعة بن مقروم اخذ قول النابغة برمته ما عدا القافية « متبتل » بدل « متعبد » .

(٣) انشد القالي ٢٢٨/٢ الشعر لكثير (د ١٠٨/١) وهو له في الحماسة ٣٣/٢ وقال البكري « هذا الشعر لمجنون بني عامر لا لكثير ، ولا أعلم أحداً رواه ولا وقع له في ديوانه » ت القالي ١١٨ ، انظر أيضاً اللآلي ٨٥٠ والشعر للمجنون في د ٦٧ و غ ٩٠/٢ والحصري ٢٤٩/٢ والشعراء ٣٦٣ وللمرزباني ٣٥٠ والمختار من بشار ٣٤ وبخاص الخاص ٨٤ والعمدة ٩٤/٢ والراغب والعيون ٧٨/٣ و ١٣٩/٤ والعقد ٤/٤ .

(٤) ا « سبيتني » .

(٥) ا « حيث لالي حيلة » وثبت بالهامش « حين لا لي ملجأ » .

(٦) لسلم [« سالم » خطأ] الخاسر في الابشيهي ٢٣/٢ :

ظللنا فعتنا عند امّ محمد بيوم ولم نشرب . . . .

البيت والذي بعده .

(٢) اذا صمتت عنا اذنتا [١] بصمتها وان نطقت هاجت لألبابنا سُكرا [٢]

آخر [٣] :

(١) وترى لهـا دَلاًّ اذا نطقتْ تركتْ بناتِ [٤] فؤادِه صُعْرا

(٢) كتساقط الرُّطَبِ الجَنيِّ من الـ(م) أفناء لا نثراً (*) ولا نَزرا

ولأعرابيّ :

(١) يا رُبَّ عيش بالشباك رَغْدِ من تمرِ بَرْنيٍّ وزُبدِ جَعْدِ

(٢) وفتياتٍ صادقاتِ الوعـد حديثهنَّ مثل طعم الشُّهدِ

أبو حيّة النميري [٥] :

(١) حديث [٦] اذ لم نخش عيناً [٧] كأنه اذا ساقطَتْه الشهدُ بل هو أطيبُ

(٢) لو انك تستشفي به بعد سكرةٍ من الموتِ كادت سكرةُ الموت تذهبُ

وقال الأخطل [٨] :

وقد تكون بها سلمى تُحدّثني تساقُطَ الحَلْيِ حاجاتي وأسراري

جران العَود [٩] :

حديثاً لو انَّ اللحمَ يولى ببعضه غريضاً أتى أصحابَه وهو منضجُ

---

(١) كذا في الأصول « اذنتا » ويمكن « اذِنا » فان في الابشيهي «ضجرنا» .

(٢) ا « ذكرا » بدل « سكرا » .

(٣) هو ابو دهبل الجمحي كذا في غ ١١٩/٧ ومجالس ثعلب ٤٧٦/٢ وابن ابي عون ١٠٩ واللسان (صعر) وفي المرتضى ١٥٦/٢ « ابو هذيل ؟ » .

(٤) ا و م « بنان » . ب « بيات »

(*) في غ « نَثراً » وهو الكثير .

(٥) هما له في الحصري ١٥/١ والمختار من بشار ٣٩ ومعها أبيات أخرى في المرتضى ١٠٤/٢ .

(٦) في المختار من بشار والمرتضى « حديثاً » .

(٧) كذا في ب وفي ا « عيباً » كما في المرتضى .

(٨) د ١١٢ والعيون ٨٢/٤ ومجموعة المعاني ١٨٩ وابن ابي عون ١٠٩ .

(٩) سيجيء الكلام على البيت فيما بعد .

أبوحية النميري (١) :

اذا هنّ ساقطنَ الحديث كأنه سقاط حصى المرجان من كفّ ناظِمِ

وشبيه بقول الأعرابي (٢) :

نظرتُ اليها نظرةً ما يسرُّني ، وان كنتُ مسكيناً بهاألفُ درهمِ (٣)

وهذا الأعرابي على ضعفه ومسكنته كانت نظرته الى من يحبُّ أكثر عنده من الف درهم .

[ص ٣١ : في ذكر الحديث وحسنه]

أما قول جران العود في ذكر الحديث وحسنه :

(١) يُنازِعْنَنا لذًّا رخيماً كأنّما عوائِرُ(٤)من قَطْرٍ حداهنّ صيّفُ

(٢) رقيقُ الحواشي لم تسمّع راهبٌ ببُطنانَ قولاً مثله ظلّ يرجفُ

فهو حسن نادر الا ان الشعراء في الحديث أكثروا من جيده ومن حسنه (٥) قول القطامي (٦) :

(١) فهنّ يَنبِذنَ من قول يُصِبْنَ به مواقعَ الماء من ذي الغُلّةِ الصادي

(٢) يَقتُلْنَنا بحديث ليس يفهمه مَن يتّقين ولا مكنونه بادي

(١) من كلمة له في المرتضى ٩٨/٢ والحصري ١٠/١ وفي ديوان المعاني للعسكري ٢٣٨/١ « للبحتري ? » (في الصناعتين ١٥٦ لأبي حية) وبعده :

رَمين فانفذن القلوبَ ولا ترى دماً مائراً الا جوى في الحيازمِ

(٢) كذا والظاهر ان هناك سقطاً لأن الكلام انتقل الى نظائر البيت ١٦ .

(٣) البيت مع آخر في البيان ٦٢/٤ .

(٤) ب و م « عوابر » والعوائر ما تفرق من القطر .

(٥) ب و م « الشعر في الحديث كثر (كثير) في (ب « ظ فزن ») جيده وحسنه » .

(٦) د ق ١٣/٢ و ١٤ واللآلي ١٨ والشعراء ٤٠٣ والمختار من بشار ٤١ والحصري ١٤/١ .

ومن مليح هذا المعنى قولُ بشار[١] :

وحديثٍ كأنه قِطع الرَّو(م) ض زهته الصفراء والحمراء[٢]

ذكر ان حديثها مثل الرياض في ملاحتها وانه يجمع جِدًّا وهزلاً .

وقال بشار أيضاً[٣] :

ولها مضحكٌ كغُرّ الأقاحي وحديث كالوشي وشي البُرودِ

وله أيضاً :

(١) دعتني حين شبتُ الى المعاصي محاسنُ زائرٍ كالرئمِ غضِّ
(٢) كأنّ كلامه يوم التقينا رَميٌّ خَدّ[٤] في طولي وعرضي

وله أيضاً[٥] :

(١) حوراء ان نظرت اليك سقتك بالعينين خمرا
(٢) وكأنّ رجعَ حديثها قطع الرياض كُسين زَهرا

وقال بعض ولد أسماء بن خارجة الفزاري[٦] :

(١) وحديث ألذُّهُ وهو مما يونق السامعين[٧] يوزَنُ وزنا
(٢) منطق صائب وتلحَن أحياناً وأحلى الحديث ما كان لحْنا

ذكر انها تحدّث بحديث يُفهم ثم تخشى [نمّ من يحضر][٨] من الوشاة

(١) د ١١٩/١ والمختار من بشار ٣٢ والعيون ٨١/٤ والحيوان ١٢٢/٣ .
(٢) في م « البيضاء » بدل « الحمراء » .
(٣) المرتضى ٩٨/١ والمصري ١١٧/٢ والرواية « مبسم كغر الأقاحي » .
(٤) في الاصول « رمى » [ا « دمى] يأخذن » بدل « رميّ خدّ » والتصحيح منا / والرَّمِيّ : قطع صغار من السحاب وقيل هي سحابة عظيمة القطر شديدة الوقع ، كذا في اللسان .
(٥) المختار من بشار ٣٣ والمصري ١٧/١ واللآلي ٢٧٦ وابن ابي عون ١١١ .
(٦) هو مالك بن اسماء ، الشعراء ٤٩٢ ومجالس ثعلب ٥٩٩/٢ .
(٧) بدله بهامش ب « ينعت الناعتون » .
(٨) ب « فتحصر » بدل ما بين المعقفين والأصل في ا و م « ثم » بدل « نم » .

فتلحَنُ لم بمعنى يعرفه وإشارة يقف[1] عليها ، لا يعرفها غيرها وغيره[2] .
قال الله تعالى : ولتعرفنّهم في لَحن القول ، أي في معنى القول ، ويقال هذا لحن بني فلان أي لغة بني فلان .

ومن أجود ما قيل في هذا الحديث قديماً وحديثاً قولُ ابن الرومي[3] :

(١) وحديثُها السحر الحلال لو انه لم يجنِ قتلَ المسلم المتحرّزِ[4]

(٢) إن طال لم يُملَلْ وانْ هي أوجزَت ودّ المحدّثُ أنها لم توجزِ

---

(١) ا « تعرفه ... تقف » .

(٢) هذا هو التفسير الصحيح لـ « اللحن » الذي كان موضع اختلاف بين كبار اللغويين . يؤيده ما جاء في المرزباني ٢٦٥ « أراد ما تلحن به اليه اي ما اومأت به وردت عن الافصاح به لئلا يعلمه غيرها » وكذلك ما جاء في المرتضى ١١/١ ان المراد باللحن « الكناية عن الشيء والتعريض بذكره والعدول عن الافصاح عنه » – وذهب ابن الاعرابي الى ان اللحن (لَحِن يلحَن) هو الاصابة والفطنة (القالي ٥/١) وعلى ذلك يفسر بيت مالك بن اسماء بـ « منطق قاصد الصواب وان لم يصب ، وتصيب وتفطن أحياناً وخير الحديث ما كان اصابة وفطنة » (القالي ٧/١) – وظن الجاحظ على عكس ذلك ان المراد باللحن هو ما يخالف الصواب (البيان ١٤٧/١) وتبعه على هذا الغلط ابن قتيبة (العيون ، المقدمة ن) وابن دريد فيما نقله عن ابن قتيبة (العيون ١٦٢/٢) الا ان ذلك خطأ فقد جاء في القالي ٦/١ ان مذهب بن دريد في تفسير البيت هو : انها تموص في حديثها فتزيله عن جهته لئلا يفهمه الحاضرون وان خير الحديث ما فهمه صاحبك الذي تحب افهامه وحده وخفي على غيره ، كذلك جاء في الميداني ١٧٤/٢ ان ابن دريد استدرك على الجاحظ « هذه العثرة التي لا تقال » – هذا وقد قام ابن الأنباري بالرد على ابن قتيبة في الأضداد (ليدن ، ص ١٠٦ وما بعد) وقد تنبه الجاحظ الى الخطأ بعدما سار الكتاب في الآفاق (اللآلي ١٧) . راجع أيضاً بحثاً طريفاً عن مادة ل ح ن للمستشرق يوهان فك في كتابه « العربية » ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، (القاهرة ١٩٥١) ص ٢٣٥ – ٢٤٦ .

(٣) في الحصري ٩/١ ومعاني العسكري ٢٤٢/١ والمختار من بشار ٤١ واللآلي ٢٧٥ ونسبت في حم ابن الشجري ١٩٥ الى البحتري .

(٤) م « المتجوز » .

(٣) شركُ القلوب ونزهة [1] مامثلها للمطمئنّ وعُقـلة المستوفزِ

هذا نهاية ما قيل في هذا الباب ، وقد تناول ابن الرومي قوله « ودّ المحدث انها لم توجز » من بعض المتقدمين [2] ، وهو قوله :

من الخفِرات البيض ودّ جليسُها إذا ما قضتْ أحدوثةً ان تعيدَها [3]

ومن مليح ما قيل في الحديث أيضاً قول بعض الأعراب [4] :

(١) وحديثها كالغيث [5] يسمعه راعي سنينَ تتابعت [6] جَدْبا

(٢) فأصاخَ يرجو أن يكون حَيّاً ويقول من فرحٍ هَيارَبّا

وقال آخر [7] :

(١) وانا ليجري بيننــا حين نلتقي حديث كتسبيح المريضَيْنِ [8] مزعجُ

(١) روى « نهزة » انظر اللآلي .

(٢) مضى البيت .

(٣) ب « لو تعيدها » كما هي الرواية .

(٤) القالي ٨٤/١ واللآلي ٢٧٥ والبيان ٢٨٣/١ والعيون ٨٢/٤ وابن ابي عون ١١١ .

(٥) بدله بهامش ب « كالقطر » كما هي الرواية .

(٦) ب و م « تواصلت وروي ايضاً « تتايعت » .

(٧) البيتان لأمّ الضحاك المحاربية في الوحشيات (نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٢٩٧ أدب) ص ١٦١ وهكذا روي عن ثعلب في الحصري ٨١/٤ وابن دريد في القالي ٨٦/٢ ومع البيتين ثالث تذكر فيه الضبابي الذي كانت تحبه . وهما للشماخ في ابن ابي عون ١١٠ والثاني فقط له في مجموعة المعاني ١٧٩ وقد ذكره الخالديان في موضع آخر منسوباً الى جران العود كما في العيون ٨٢/٤ ويلاحظ ان لجران العود بيتاً يشبهه في بعض اللفظ مع التباين في المعنى :

حديثاً لو ان البقل يولى بمثله زها البقلُ واخضرّ العضاه المصنّفُ

انظر د ٢١ والبيان ٢٨١/١ .

(٨) م « كسيح للرتضين » ب « كسيح المريضين » وروي أيضاً « كتنشيج (كتنشاج) كتنفيس المريضين » .

(٢) حديثٌ لو انَّ اللحمَ يولى [1] بيعضه   غريضاً أتى أصحابَهُ وهو مُنْضَجُ

هذا ذكر انه اذا خلى بمن يحب يجري بينهما من التشاكي أحرُّ من النار ٠

ومثله قول الراجز [2] :

تقول لي وهيَ تخفُّ المودَجا   قولاً جميلاً حسَناً تملّجا
لو طُبخ اللحم به لأنضَجا

والقول في الحديث كثير ، ولو استقصينا جميع مافيه لخرج كتابنا عن الغرض الذي قصدنا اليه ٠

(القاهرة)   الدكتور السيد محمد يوسف

---

(١) يولىَ اي يدنىَ وفي ا « مولا » ب « تولا » والرواية « يصلى » ٠

(٢) انظر ابن ابي عون ١١٠ واللسان « ملج » ٠

سفر خالد بن الوليد

من العراق الى الشام

- ٤ -

المفازة :

ومن الطبيعي ألا تشير الروايات الى المراحل بين قراقر وسوى لأن الأرض بينهما مفازة ، لا ماء فيها ولا سكن ، وهي غير مستطرقة . وفي رواية السمرقندي نقلها ابن عساكر ، اسماء بعض المراحل بين قراقر وسوى . ذكرها موسل في كتابه[1] . وجاءت هذه الرواية مضطربة ترجمتها كما يلي :

« سار خالد من قراقر الى (سوطه) فجعل المشرق عن يمينه ومر بـ (ألـذن) ونزل في (فرقين) . ثم في (الحصد) ، ثم في (العيرد) ، ثم في (سوعبّل) . قال : ونزل سيف بن عبد الله بن محضّر عمن حدثه » . هـذا نص رواية عبد الله بن محضر وهي مرتبكة ، لم نعثر على هذه الرواية في أجزاء ابن عساكر المطبوعة . لهذا كتبنا الى الأستاذ شكري فيصل نرجوه نقل الرواية المذكورة من النسخ الخطية المحفوظة في خزائن القاهرة فتفضل وأرسل الينا الرواية المذكورة أخذاً من نسخة خزانة طوبقبو في استانبول ، وهذا نصها :

« فأخذ (خالد) من قراقر الى (شرطه) فجعل المشرق عن يمينه واستقبل الصبا فنزل (قريتين) ثم نزل (الحفار) ، ثم نزل (العرير) ثم نزل سُوا سلمل .. » .

---

(١) بادية العرب ، (ص ٥٥٩) .

ولما وصلتنا المجلدة الأولى من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد وجدنا الرواية المذكورة في الصفحة (٤٦٥) كما يلي :

«أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي . . . . عن ظفر بن دهي بمثله . وقال فأخذ من قراقر الى سوكه فجعل المشرق عن يمينه واستقبل الصبا فنزل قريتين ثم نزل الحقار ثم نزل العرير ثم نزل سوى بليل . قال : ونا سيف عن عبد الله بن مُحَضَّر بن ثعلبة عمن حدثه» .

فالفرق بين الرواية التي نقلها موسل والرواية الآنفة الذكر كما يلي : أما (شرطه) او (سوكه) فينبغي أن تكون (سوى) حرفها النساخ خطأ . والمنزل الأول في رواية موسل (ألـذن) ولم يرد ذكر هذا المنزل في الرواية المذكورة في المجلدة الأولى ، والمنزل الثاني في رواية موسل (فرقين) ، بينما ورد في رواية المجلدة الأولى (قريتين) . والمنزل الثالث في رواية موسل (حصد) ، بينما ورد في رواية المجلدة الأولى (الحقار) . والمنزل الرابع في رواية موسل (العرير) وفي رواية المجلدة الأولى (العرير) . انتقد موسل تلك الرواية وأشار الى أن فيها تقديماً وتأخيراً ، والأعلام الواردة فيها أماكن مرّ بها خالد قبلاً وقال ان فرقين ينبغي أن تكون محرفة من قرقيسيا والحصد محرفة من الحصيد ، أما سوعبل وفي رواية المجلدة الأولى (سوى بليل) فهي مزج آخر جملة بأول جملة ، لأن الخبر أتى كما يلي : ثم سوعبل قال ونزل ، لهذا ينبغي أن يكون الخبر قال ونزل بسوى ، فتصبح الرواية كما يلي :

«قال عبد الله بن محضر عمن حدثه أخذ خالد من قراقر الى سوى ، فجعل المشرق عن يمينه ومر بألـذن ونزل في فرقين ، ثم في الحصيد ، قال ونزل بسوى» .

ولعل (فرقين) هي القريتين كما جاء في رواية المجلدة الأولى ، ولعل (الحقار) تحريف النساخ لكلمة الحصيد . أما العرير فلم نتثبت من محلها ولعل النساخ حرّفوها .

وقد ذكرت الروايات ان خالداً اجتاز المفازة في خمس ليال وذكر اليعقوبي في ثمانية أيام ؛ والقصد من خمس ليال ست مراحل لا كما قال بعض المؤرخين بأنها خمس مراحل . قضى خالد في المفازة خمس ليال ووصل في اليوم السادس الى سوى . أما الثمانية أيام التي ذكرها اليعقوبي فستة أيام منها في قطع المفازة واليومان الأخيران بين سوى ومرج راهط ؛ والمسافة بينهما مائة وخمسة وعشرون كيلومتراً أي مرحلتان . وبما أن المسافة بين قراقر وسوى نحو من ثلثمائة كيلومتر، فانها تقطع في ستة أيام خفاف .

ذكر الشيخ عبد العزيز العقيلي الذي اجتاز مفازة قراقر وسوى مرات ان المسافر يقطعها في ست مراحل خفاف . المنزل الأول (أذنه) ، ورد اسمها في خريطة موسل (ام اذن) الى شمالي شرقي قراقر على بعد ثلاثين كيلومتراً ولعلها (أل ذن) الذي ورد ذكرها في رواية السمرقندي الآنفة الذكر . وصفها الشيخ عبد العزيز انها حجارة سوداء تؤلف تلاً في سهل ، أي الحمم التي أشار اليها موسل . والمنزل الثاني في أرض دُقرة بين تلي (أبي راسين) و (الأقرن) وبين (كثب الشامة) وهي كثبان رمال وقد جاء اسم (كثب الشامة) هذه في خريطة موسل ؛ والمسافة بينها وبين أم اذن ثلاثون كيلومتراً والأرض الدقرة التي أشار اليها عبد العزيز هي الأرض البركانية ؛ ذكرها موسل قائلاً : «يجب على المسافر أن يتوجه من قراقر في أول مرحلة الى الشمالي الغربي ويقطع أرضاً بركانية طولها خمسون كيلومتراً لهذا ينبغي أن تكون (كثب الشامة) المنزل الأول . والمنزل الثالث كما ذكره هو (تل الهبر) ووصفه بأنه تل أسود على الحدود الأردنية — السعودية من غربه . وقد جاء اسمه في خريطة موسل والمسافة بينه وبين كثب الشامة خمسة وعشرون كيلومتراً . والمنزل الرابع حسبما ذكره العقيلي قاع (ابو الحصين) في غربه الحرّة وفي شرقه (وديان الرويشدات) . سجل موسل في خريطته على غربي الطريق شعيب

(رُوَيْشد ابو حفنة) وهو على بعد خمسة وسبعين كيلومتراً وفي جوارها مقور مياه تسمى (الخويمات) تكون في أرض بيضاء . والخويمات هذه واقعة الى جنوبي (شعيب حفنة) على عشرين كيلومتراً . والمنزل الخامس (الحدالي) وهي عبارة عن قارتين صحراويين ويرى جبل الغراب في الغرب من بعيد ، وجاء اسمه في خريطة موسل (غراب الحدالي) وهو جبل أسود الى غربي الطريق بعد عطفته الى الشمال الغربي . أما المنزل السادس فهو سبع أبيار . وطولها من الحدالي سبعون كيلومتراً . وفي خريطة موسل محل على الطريق في المكان الذي ينعطف فيه الطريق الى الشمال الشرقي نحو سبع أبيار يسمى (الجويف) ومنه يتشعب طريق إلى (خان عنيب) الواقع على طريق (تدمر — دمشق) .

متى سافر خالد من العراق ؟

ثبتنا الطريق التي سار فيها خالد برجاله ، نعود فنبحث عن الوقت الذي سافر فيه :

ذكرنا فيما سلف أن خالداً تسلم أمر ابي بكر في أواخر المحرم سنة ثلاث عشرة وأشرنا الى أن أوثق الروايات تؤكد بأنه أغار على الغسانيين في مرج راهط في عيد فصحهم أي في ٢٤ ـ نيسان ـ سنة ٦٢٤ . ولا بد أن خالداً قضى بضعة أيام في انتقاء رجاله وارساله النساء والضعفاء الى المدينة والاستعداد للسفر ؛ لهذا يصادف مغادرته للحيرة في أوائل شهر صفر أي في منتصف شهر آذار . فقد روى المدائني انه غادر العراق في ربيع الثاني سنة ثلاث عشرة ، ويصادف يوم ٢٤ ـ نيسان ـ ٦٢٤ = ١٩ شهر ربيع الأول سنة ١٣ . وهذا التاريخ ثبت . اذن ما معنى ربيع الثاني الذي ذكره المدائني وأيده البلاذري ؟ لأن تاريخ وقوع معركة أجنادين الذي أيده أكثر ثقاة الرواة والاخباريين يعارض التاريخ الذي ذكره المدائني . وقعت معركة اجنادين في ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ هـ .

والطريق الذي سلكه خالد لا يمكن أن يقطعه في أقل من خمسة وعشرين يوماً . وقد قضى عدة أيام للوصول الى بصرى بعد ضربة الغسانيين في مرج راهط وفتحه مدينة بصرى ، ثم توجه الى الجنوب للانضمام الى جند عمرو بن العاص . والمسافة من بصرى الى الغمر الذى قيل ان عمرو بن العاص كان يرابط فيه لا تقل عن ثلثمائة وخمسين كيلومتراً ، ومن الغمر الى أجنادين نحو من مائة كيلومتر . ولا شك أنه صادف في طريقه عقبات أخرته عن المسير ، والمعقول أن لا يتم كل ذلك في شهر واحد .. ومن أجل ذلك ليس لنا الآن أن نؤيد ما أورده موسل من أن الربيع الآخر الذي أشار اليه المدائني هو موسم الربيع لا الشهر القمري . وذكر موسل ان كيتاني أخطأ حين اعتبر تاريخ المدائني أساساً للبحث ، ويذهب موسل الى أن موسم الربيع عند البدو يقسم الى شطرين ، والمدائني أراد بربيعه الثاني أن يشير الى الشطر الثاني من موسم الربيع ، أي أن سفر خالد من الحيرة حتى وصوله مرج راهط وقع على ما يظهر في الشطر الأول وقسم من الشطر الثاني لموسم الربيع . وما برح البدو يسمون الخريف بصفر الأصفار . وذكر موسل أنه يمتد ثلاثة أشهر أي ايلول وتشرين الأول وتشرين الثاني . ولعل شهر صفر الذي ذكره سيف بن عمر في رواياته عن فتوح خالد في العراق هو صفر الأصفار لأنه حشد في شهر صفر هذا كثيراً من الحوادث التي لا يمكن أن تجري في شهر واحد .

اذن فلنا أن نعتبر سفر خالد من الشام قد جرى في النصف الأخير من شهر آذار سنة ٦٢٤ وانه قضى في الطريق أكثر من شهر ، لأنه لم يجهد خيله ورجاله في الطريق صيانة لهم واستعداداً للقتال في الشام ، فرتب مسيره بأن قطع في اليوم خمسين كيلومتراً ، وقضى عشرين يوماً بين الحيرة ودومة الجندل وخمسة أيام بين دومة الجندل وقراقر ، وستة أيام بين قراقر وسوى ، ويومين بين سوى ومرج راهط ، يضاف الى ذلك يوم أو يومان قضاهما في سوى

وأطرافه ، وبذلك يكون قد قضى نحواً من خمسة وثلاثين يوماً في سفره ، ترك الحيرة حوالي ٢٠ آذار ووصل مرج راهط في ٢٤ نيسان .

خالد في سوى :

لم يعثر خالد على الماء في سوى بسهولة . والروايات جميعها تشير الى أن موقف خالد في سوى كان حرجاً . لقد نفد الماء بنحر الجزور ، وليس هناك ما يدل على أن الماء موجود في سوى . ومما زاد في حراجة الموقف رمد الدليل رافع الطائي وهو على ما ذكرته الرواية كان ورد ماء سوى قبل ثلاثين سنة وهو غلام وبعد أن ضرب الناس يمنةً ويسرة عملاً باشارة رافع عثروا على جذع العوسجة . فاحتفروا الأرض بجوارها ووجدوا الماء وارتووا . قال موسل : «إن آبار سبع أبيار (وهي سوى) في منتهى شعيب ضحل . تحتفظ بالماء ثلاث أو أربع سنوات عقبي أمطار غزيرة في الشتاء ، وأرباب الرحلات لا يعتمدون عليها الا فيما ندر ، ولا يمرون بها الا قليلاً ويتركونها ، وتكاد الرمال تطمرها»[1] . ثم أضاف قائلاً ان رافعاً من قبيلة طي وبلاد طي واقعة الى جنوبي سوى على مئات من الكيلومترات ولعلهم كانوا وما يزالون يطلبون سوى في غزواتهم ، لذلك ان خبر جذع العوسجة خبر صحيح . ومن الروايات ما أشارت الى ان خالداً باغت جمعاً من بهراء في سوى ، كانوا يشربون ومغنيهم ينشد الأبيات التالية :

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر لعل منايانا قريب ولا ندري

فقتلهم وسبى . وفي روايات أخرى أن الحادث المذكور وقع في المُصيخ قبل سفر خالد من العراق . وفي رواية الهيثم بن عدي أن الحادثة وقعت في البشر . ومن الروايات ما تجعل الوقعة في مصيخ بهراء في أطراف سوى . والبيت يدل على ان الحادثة وقعت في المصيخ شمالي عين التمر ، قبل سفر خالد لأن المغني

(١) البادية العربية : (ص ٥٥٨) .

كان يجهل قدوم جيش خالد من قراقر ، وقد احتاط خالد في اجتيازه المفازة لمباغت الشام ؛ فضلاً عن أنه يصعب تصديق رواية وجود جمع بهراء في سوى . وقد اتضح أن المسلمين حفروا الأرض واستخرجوا الماء منها . ولا يستبعد ان خالداً بعد وصوله الى سوى وأثناء اقامته فيها أرسل رجالاً من أصحابه ليغيروا على الأطراف ويحصلوا على الطعام . فأغار هؤلاء على جمع من بهراء في أطراف سوى .

واذا كان خالد عازماً على مباغتة الروم في دخوله ارض الشام وجب عليه ألا يطيل المقام في سوى ولا يضيع وقته في شن الغارات ، كما أشارت اليه بعض الروايات ، لأن في ذلك مضيعة للوقت ، واطلاع العدو على محله . لهذا من المحتمل جداً أنه قضى مدة قصيرة في سوى للراحة ، ولم يكشف عن محله ، فتوجه الى الشام من الطريق الأقصر وهو الذي يمر بضمير وينتهي بعذراء . ولا سبيل له أن ينفذ الى الشام من محل آخر . وسبب ذلك ان سلسلة رواق تسد الطريق من الشمال وحرة تلول الاعطيات من الجنوب وبحيرة عتبة وبحيرة الهيجانة من الغرب والأرض بين البحيرتين المذكورتين في الربيع كثيرة المستنقعات يصعب اجتيازها . ويبدو من ذلك أنه ليس لخالد الا أن يتوجه من سوى رأساً الى عذراء ويباغت من فيها والمسافة بينهما مائة وعشرون كيلومتراً ، أي مرحلتان . ويظهر من الروايات أن المياه كانت متوفرة في الطريق المذكور . وقد ذكر ابن اسحق في روايته أن الطريق استقامت بخالد بعد سوى وتواصلت المياه حتى مرج راهط .

وجاء في رواية لسيف بن عمر ما يلي :

« ولما بلغ غسان خروج خالد على سوى وانتسافها وغارته على مصيخ بهراء وانتسافها ، فاجتمعوا بمرج راهط . وبلغ ذلك خالداً وقد خلف ثغور الروم وجنودها مما يلي العراق فصار بينهم وبين اليرموك صمد اليهم . فخرج من سوى بعدما رجع اليها بسبي بهراء فنزل الرمانتين علمين على الطريق ، ثم نزل بالكثب حتى صار

الى دمشق ، ثم مرج الصفر ، فلقي عليه غسان وعليهم الحارث بن الأيهم ، فانتسف عسكرهم وعيالاتهم ونزل بالمرج أياماً ، ثم خرج منه حتى ينزل بقناة بصرى ، فكانت أول مدينة افتتحت بالشام على يدي خالد فيمن معه من جنود العراق . وخرج منها فوافى المسلمين بالواقوصة فنازلهم بها في تسعة آلاف ..»[1] .

ورواية سيف هذه هي الرواية الوحيدة التي تشرح قصة سير خالد من سوى الى مرج راهط ، وتشير الى ان الغسانيين استخبروا وصول خالد الى سوى . أما ما جاء فيها من اغارة خالد على مضيخ بهراء ـ والصحيح (المصيخ) ـ فخبر يشير الى اغارة خالد على بني تغلب في المصيخ حينما قدم اليها من عين التمر وذلك قبل سيره الى الفراض ، أي قبل استلامه كتاب ابي بكر . والمصيخ هذا كما بينا يقع الى جنوبي وادى حوران وقد ثبته موسل في عين الأرنب . لهذا لا يعقل أن خالداً بعد وصوله الى سوى وقد وصل حدود الشام يشرق ويجتاز البادية مرةً أخرى ويذهب الى المصيخ للاغارة على أهله . والمسافة بين سوى والمصيخ نحو من أربعمائة وخمسين كيلومتراً والماء مفقود في الطريق وقد يقضي في الذهاب والاياب أكثر من عشرة أيام .. الا اذا كان هناك مصيخ آخر في جوار سوى ، يرجع لبهراء . وقد يكون المصيخ وصفاً لبعض أشكال الأرض كالكثيب والقلت والثنى أو الثنية وغير ذلك[2] .

وقد أشرنا قبلاً أن مبدأ المباغتة يتطلب من خالد ألاّ يقدم على حركات عسكرية بعد وصوله سوى ، وليس من شك في أنه قضى بعض الوقت للاستراحة بعد السفر الشاق في المفازة ولا يستبعد أن بعض رجاله قاموا بغزوات قصيرة المدى في الأطراف لاغتنام بعض المواشي ، لأن الموسم في أطراف الشام موسم المرعى .

(١) الطبري ، الجزء الثاني ص (٦٠٤) .
(٢) وجاء في القاموس (الصخ) الضرب بالحديد على الحديد . وصوت الحجر اذا قُرع وقد يكون المصيخ الأرض الحجرية التي تقرع .

ليس في الروايات ما يشير الى أعمال خالد بين سوى ومرج راهط . ورواية سيف على طولها لم تشر الى عمل له سوى نزوله بالرمانتين والكثيب . والرمانتان اشارة الى تلين منفردين ، ارتفعا في ارضٍ سهلة وأصبحا علماً لمكان وقد ذكرهما الشيخ عبد العزيز العقيلي . والكثب والكثيب تل من الرمل . ولعل خالداً كان يعلم أن الطريق بين تدمر ودمشق غاصة بالحصون ومعاقل الروم ؛ لهذا لم يخاطر في مهاجمتها ، ولعله سعى كثيراً لأن يسلك طريقاً بعيدة عنها ليخفي حركته وبالحقيقة ان المنفذ الشمالي لبلاد الشام يسهل كثيراً سده بوجه القوات القادمة من البادية ، وهو محصور بين سلسلة الرواق والحرّة الواقعة الى شرقي دمشق وبحيرتي العتيبة والهيجانة وما يتخللها من المناقع ومن أجل هـذا يذهب الظن الى أن خالداً ، في زحفه من سوى الى مرج راهط اتخذ كل الحيطة لاخفاء مسيره محاولاً مباغتة الغسانيين ؛ واذا صحت رواية سيف فانه علم باجتماع الغسانيين في مرج راهط ، لأنه كان قد اعتزم الوصول الى المسلمين من دون ان يحبسه الروم عن نجدتهم .

وفي الخريطة التي أرفقها (بواديرارد) بكتابه (المواقع الرومانية في بادية الشام) حصون ومعاقل على طريق (تدمر — دمشق) من سبع ابيار الى ضمير وذكر المؤلف[1] أنه أقيم خط أمامي ليستر طريق الخانات (الطريق الشمالي التي تمر بسفح سلسلة الرواق بين دمشق وتدمر) جنوبي جبل الرواق على ثلاثين كيلومتراً ، ليسد الجادة الممتدة من الحماد بالاتجاه الشمالي الغربي . ويتألف هذا الخط الأمامي من الطريق المستحكمة لجادة ديوقلتيان في قاطعيه جبل سَيْس ـ سبع أبيار ـ تدمر . وفي هذا الخط حصن (تل التساعي) الواقع الى جنوبي غربي سبع أبيار على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً . ويمكن الوصول الى سبع أبيار مباشرةً من ضمير وخان الشامات من دون المرور بسَيْس . ويتبين مما كتبه المؤلف

(١) المواقع الرومانية في بادية الشام (ص ٤٢) .

أن جبل سَيْس يقع على الطريق الروماني الأقصر بين بصرى وتدمر وقد استعمله أرباب الرحلات من التجار يوم كانت بصرى وتدمر مدينتين تجاريتين خطيرتين . وفي نقطة جبل سيس بئر وحصن لحراسة البئر . وبين هذا الموقع وموقع سبع أبيار مواقع أخرى فيها تل صناعي وبرج روماني وبركة من العهد الروماني واسم الموقع تل (سَدْشِيه) ، ويمر الطريق بعدها بتل التساعي الخ سبع أبيار ومنه الى حصن العليانية وحصن الملكية ، ثم يضرب شمالاً الى تدمر .

أما الطريق الأقصر من سبع أبيار الى ضمير فيمر بسفح جبل رواق الجنوبي وفيه أيضاً معاقل وحصون كحصن صَيْجل وحصن خان الشامات وحصن ضمير . وفي أطراف ضمير أقيم سور لحماية أرض المرعى . لقد درس المؤلف هذه المواقع وثبت صورها ورسومها في ملحق كتابه وأثبتها في خريطة المواقع الرومانية في بادية الشام .

ذكر موسل في كتابه « البادية العربية » أن في شرقي مرج راهط (في جوار عذراء) معسكر الرومانيين المستحكم ، الواسع (ضمير العتيقة) .. لم تشر الروايات العربية اليها ولعلها كانت وقتئذ خالية أو لعل حاميتها انضمت الى جيش الروم للدفاع عن الباب الأول في بصرى أو فلسطين . وهذا محتمل جداً لأن الفرس كانوا دُحروا في حروب هرقل .. فلم يبق من خطر يهدد بلاد الشام بالهجوم عليها من الشمال الشرقي ، ويلاحظ من جهة أخرى فقدان جنود الروم في الباب الثاني ، وفي مرج راهط اجتمع مرتزقة الغسانيين فقط .

ويتراءى لنا أن خالداً في زحفه من سوى الى مرج راهط تعمد بألا يظهر أمام ضمير العتيقة وسار بعيداً عنها . ويتضح من كل ما ذكرناه انه لا بد لخالد أن يسير بعيداً عن المواقع الرومانية المذكورة خشية الاصطدام بها .

واذا بلغ خالد خبر اجتماع الغسانيين في مرج راهط قبل مسيره من سوى أو في طريقه اليها كان يقتضي أن يتغلب عليهم ليستطيع النفوذ الى الشام لأنه

لا يوجد أمامه طريق آخر دون لقائهم . ذكر ياقوت مرج راهط وقال انه موضع في الغوطة من دمشق في شرقيه بعد مرج عذراء اذا كنت في القصير طالباً لثنية العقاب تلقاء حمص فهو عن يمينك وقال عن مرجه هو أشهر المروج في الشعر . أما عذراء فموقعها ثابت في الخريطة وهي واقعة على طريق دمشق ـ ضمير ـ شمالي شرقي دمشق على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً ، غربي مفترق الطريق الممتد الى ضمير وخان ابي الشامات وطريق نبك ـ حمص .

ويبدو مما كتبه ابن عساكر ان مرج راهط هو مرج عذراء ، ويتبين مما كتبه ياقوت انه في شرقي عذراء . والمسافر من دمشق الى بغداد بالسيارات يرى هذا المرج الواسع على يمينه بعد عذراء . وكانت المروج والمراعي في شرقي دمشق خاصة بالغساسنة وفيها منازلهم وقراهم .

ولعل الروم حين حشدهم الجيوش لمقاتلة المسلمين في فلسطين لم يهتموا كثيراً بالناحية الشمالية والناحية الشرقية لدمشق . لأن الطريق التي تربط العراق بالشام والتي تمر بوادي الفرات وتجتاز بادية تدمر تلقى في وجهها معاقل وحصوناً ومرابط كما قلنا .. لهذا لم يتوقعوا هجوماً من هذه الناحية . واذا سارت قوات المسلمين عليها تصل أخبارهم الى حكام الروم في الشام فيتخذوا الحيطة لسد الطريق بوجه المسلمين . أما طريق البادية من الشرق فلا يمكن أن تسلكها قوة ذات شأن . ويتبين من رواية سيف بن عمر أن خالداً أغار على الغسانيين في مرج الصفر بينما الروايات الأخرى جميعها تشير الى قتال خالد للغسانيين في مرج راهط . أما موقع مرج الصفر فلم نتثبت منه بالضبط ، ذكره ياقوت وقال انه بين دمشق والجولان صحراء كبير . ويلوح لنا انه واقع الى جنوبي دمشق الى الغرب أو الى الشرق منها . لقد انتصر فيه العرب على الروم بعد معركة أجنادين في مسيرهم نحو دمشق وهو بلا شك مرعى للغسانيين ، وعلى ما يظهر انه مرعى كبير . ويبدو أن الغساسنة كانوا نازلين فيه مع عيالاتهم للرعي به

ولعل بعضهم كان في مرج راهط يرعى ماشيته ويراقب طريق الصحراء . فلما بلغهم خروج خالد الى سوى أخبروا الروم بذلك وطلب هؤلاء اليهم أن يمنعوا القادمين من الدخول الى أرض الشام . فأسرع من كان في مرج الصفر الى مرج راهط واجتمعوا فيه لحماية مواشيهم وصد المسلمين . يستنتج ذلك من انسحابهم الى مرج الصفر بعد هزيمتهم في مرج راهط .

وبعد فليس في الأخبار ما يشير الى وقت اغارة خالد على الغسانيين والى صورتها. وبما ان أسلوب خالد في أكثر حروبه المباغتة ، يتراءى لنا أنه باغت الغسانيين في مرعاهم وقت الصبح والاشارة الى ثنية العقاب في رواية الواقدي وروايات أخرى تخالف ما ذكرنا . ويؤخذ من رواية الواقدي أن خالداً وصل الى ثنية العقاب بعد اغارته على بني غسان . وهذا لا يتأتى لأن غوطة دمشق تبدأ بعد عذراء وليس فيها ثنية ، والثنية في اللغة طريق العقبة . والثنية التي صار اليها خالد وركز فيها رايته ينبغي أن تكون في نهاية الجبل الذي يمتد من الشرق الى الغرب في شمال ضمير ويطل منتهى الجبل المذكور على مرج عذراء وغوطة دمشق . وتمر بقربه الطريق بين دمشق وحمص ، بعد أن يتسلق الجبل ويتضح مما أورده ابن الأثير ان خالداً وصل ثنية العقاب بعد مصالحته لبني مشجعة في قصم ، ثم سار الى مرج راهط . ويستدل من ذلك انه بطريقه من حوارين الى دمشق مر بقصم . والطريق من النبك الى دمشق تمر بأراض جبلية وقبل أن تصل الى السهل الذي فيه مرج راهط تتسلق الجبل وتهبط منه الى السهل ، والثنية هذه في هذا الجبل كما بينا . واذا كان خالد قدم من سوى الى مرج راهط لمباغتة الغسانيين لماذا يعرج الى الجبال ويرفع رايته فوق الثنية ويكشف عن محله ؟ هل علم أنه لا يقدر على مباغتة الغسانيين اذا قدم من البادية ، لأن عيون عدوه كانت تترقبه ، لهذا عرج بعد ضمير الى الجبل وأغار على الغسانيين من الشمال بعد أن أخفى حركته في الأرض المتموجة ؟ أم أن حادثة الثنية وقعت بعد فتح دمشق ؟

ويظهر من رواية سيف أن خالداً أغار على الغسانيين في مرج الصفر وكان عليهم الحارث بن الأيهم ولم يشر سيف في روايته الى قتال وقع في مرج راهط على حين أجمع الرواة على وقوع هذا القتال . ويتضح من هذا أن راويه احتفظ بذكريات قتال مرج الصفر الرئيسي وأهمل قتال مرج راهط الثانوي . واذا كانت عيالات الغسانيين وماشيتهم في مرج الصفر ، كان ينبغي لهم بعد هزيمتهم في مرج راهط أن يسرعوا الى مرج الصفر للدفاع عن عيالاتهم وماشيتهم . وفي هذه الحالة لا بد ان خالداً لم يمهلهم ، بل طاردهم الى مرج الصفر ـ والمسافة بينهما على ما يبدو قصيرة ـ فهزمهم شر هزيمة ثم توجه الى بصرى . ليس في الروايات ما يشير الى عمل قام به خالد في طريقه الى بصرى . ويبدو من ذلك أنه بعد أن ظهر في أطراف عاد فأضاع أثره وظهر من جديد أمام بصرى .

أما الأخبار التي تروي اغارة خالد على قرى الغوطة ونزوله على أحد ابواب دمشق واعطائه عهداً لأسقفها وغير ذلك فيصعب تصديقها . ومع هذا فان مالمدينة دمشق من شهرة ومكانة قد بعثت أطماع خالد فجذبته الى المدينة .. لهذا جاز لنا أن نزعم ان رجاله أغاروا في طريقهم على بعض قرى الغوطة وان خالداً مرّ بباب دمشق مر الخاطف .

الخلاصة :

والذي يتلخص من بحثنا هذا ان خالداً بعد استلامه أمر ابي بكر بالشخوص الى الشام ، قرّر المسير اليها بطريق دومة الجندل ، فترك الحيرة بعد منتصف شهر آذار سنة ٦٢٤ فبلغ دومة الجندل وبدلاً من أن يسير على طريق وادي السر تقدم من الشمال محاذياً للوادي حتى وصل قراقر ومنها اعتزم اجتياز المفازة بين قراقر وسوى ، ثم تقدم رأساً الى مرج راهط فهزم الغسانيين في عيد فطحهم في ٢٤ نيسان سنة ٦٢٤ ثم تقدم مسرعاً الى بصرى .

وبهذه المناسبة ننشر فيما يلي ما كتبه الجنرال جلوب قائد الجيش العربي في الأردن في كتابه «قصة الكتيبة العربية» :

«وبينما كانت الجيوش العربية تقاتل الروم في السهول الفارسية (العراق) كان خالد بن الوليد يغزو مسالح الامبراطورية الفارسية . ولما ورد اليه أمر الخليفة يلح عليه بالكف عن حرب فارس ويطلب اليه الاسراع لنجدة جيش المسلمين امام دمشق ، وكان خالد قد فتح مدينتين من مدن العراق . وكان خالد على بعد خمسمائة ميل عن زملائه في الشام ، تفرقهم بادية الشام التي لم يقطعها جيش في الحرب قبلاً ، ما عدا مرة واحدة (يقصد بها حركة الكتيبة العربية من شرقي الأردن الى العراق في حوادث سنة ١٩٤١) ترك خالد العراق حالاً وسار عبر الصحراء الى واحة دومة الجندل (تدعى الآن الجوف) ومنها فتح وادي سرحان بوجهه الطريق الى الشام ، والوادي بطن طويل حافل بالآبار طالما قطعته القوافل . وكانت الحصون الرومية تسيطر على منتهاه الشمالي . وبعد ان استقى خالد الماء من قراقر دلف الى الشرق وتوغل في البادية بعيداً عن أنظار حاميات الروم في الشام . وبينما كان جيش الروم يقاتل العرب في السهول الواقعة الى جنوبي دمشق ظهر خالد من البادية بغتة وراء ظهرهم . وكانت هذه الحركة السريعة فوق طاقة جنود الروم المجهزين بالسلاح الثقيل . لهذا بعث الروم مناصريهم العرب ، الأمراء الغسانيين لطرد خالد من خطوط مواصلاتهم ، ولكن بني غسان منوا بهزيمة منكرة شرقي دمشق على بعد خمسين ميلاً .

دلف خالد البادية وأضاع أثره للمرة الثانية وبعد أن التف وراء جبل الدروز ، انضم الى جيش المسلمين في السهول الممتدة جنوبي دمشق [1] » .

بغداد : طه الهاشمي

(1) The Story of Arab Legion (ص ٢٥) وما بعدها .

تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر ؛ مع نقد وتعليق

- ٥ -

٧ – ابن سراقة :

ويأتي ابن سراقة (٤١٠) فيؤلف كتاباً في الإعجاز ليس له أثر الآن وانما ذكره حاجي خليفة صاحب كشف الظنون بين كتب الاعجاز وقال إنه في الإعجاز من حيث الأعداد ذكر فيه من واحد الى ألوف ولا ندري ما يقصد بهذه العبارة المقتضبة « من حيث الأعداد من واحد الى ألوف » وقد تساءل الرافعي أيضاً عن المقصود منها وحار في تعليلها .

وذكر السيوطي رأي ابن سراقة في الإعجاز فقال (الاتقان للسيوطي ص ١٩٨) : وقال ابن سراقة : « اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة وصواب وما بلغوا في وجوه اعجازه جزءاً واحداً من عشر معشاره » ثم يعدّد أقوال الناس المختلفة في الإعجاز وأكثرها يتعلق بالبلاغة والفصاحة والنظم بصورة عامة ومعاني القرآن والغيب .

ونحن نرى من عبارة ابن سراقة : « فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة وصواب » أو نستطيع أن نستنتج أنه كان يرى أن القرآن معجز بكل مافيه فكل وجهات النظر والنواحي المختلفة التي قيلت في إعجازه صحيحة وهو لا يمحّص الآراء المختلفة فيأخذ ببعضها وينأى عن بعض وفيها المتناقض كالقول بالصرفة والقول بالإعجاز البياني فكلها عنده حكمة وصواب أو – كما يقولون – « خير وبركة » .

٨ً ـ ابن حزم الأندلسي :

ويتكلم ابن حزم الأندلسي المتكلم في كتابه « الفصل في الملل والنحل » عن الإعجاز فيذكر أقوالاً عدة من مسائله ويرد عليها ثم يذكر رأيه فيها وفي وجه الإعجاز ويتلخص ما أورده في أمور :

١ً ـ ذكر رأي الأشعري في أن المعجز هو القديم الذي لم يزل مع الله تعالى ورد رأيه لأن الإعجاز يبطل حينئذ فلا يمكن تحدي الناس بشيء لم يروه ويرجح قول الجمهور في أن المعجز هو الذي بأيدينا .

٢ً ـ يتعرض لزمن الإعجاز هل يقف عند حياة الرسول ، كما يقول بعض أهل الكلام الذين يرون أنه لو عورض في زمنهم لما بطلت المعجزة لأنها إنما قامت الحجة بها زمن النبي بعجز العرب عن معارضته ، أو إنه باق الى يوم القيامة كما يقول جمهور أهل الاسلام ويفهم من كلامه أنه يرجح رأي الجمهور .

٣ً ـ يذكر المعجز من القرآن فيقول إن قوماً يرون أن المعجز منه نظمه وقوماً يرون أنه إخباره بالغيوب وإن سائر أهل الاسلام قالوا كلا الأمرين معجز نظمه وإخباره بالغيوب .

٤ً ـ يذكر قولين في وجوه إعجازه وهما القول بأنه في أعلى مراتب البلاغة والقول بالصرفة وهو يرفض الرأي الأول لأنه لو كان في أعلى درجات البلاغة لكان لا حجة فيه لأن هذا يكون في كل من كان في أعلى طبقة وأما آيات الأنبياء فخارجة عن المعهود ، وبأن الله لا يُسأل عما يفعل ولا يُقال له لِمَ عجّزت بهذا النظم دون غيره ، ولأنه يلزم من ذلك أن ينزل الله القرآن في جميع اللغات ليكون معجزاً للأعاجم إعجازه للعرب لأن العجم لا يعرفون إعجاز القرآن إلا بأخبار العرب ويبدو من خلال تناوله الموضوع أنه يؤيد الثاني الى جانب قوله بأن القرآن معجز لأنه قرآن فهو ينقد من يستشهدون ببعض الآيات دون

بعض على إعجاز القرآن كآية «ولكم في القصاص حياة» فيقول إنهم لا حجة لهم فيها لأنها إما أن تكون وحدها معجزة ويكون باقي القرآن غير معجز وإما أن يكون كله معجزاً فيكون الاستشهاد بها دون سواها موهماً بأنه ليس كله معجزاً ثم يتساءل عن الاعجاز في مثل هذه الآية : «وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً» كيف يظهر وكيف يبرهن عليه وهل احتوى شروط هؤلاء الجماعة في أن يكون الكلام في أعلى درجات البلاغة ثم يقول لو أن كل كلام جاء في أعلى درجات البلاغة معجز لكان كلام الحسن وسهل بن هارون و . . . و . . . معجزاً ولا يصح هذا لأنه يجوز أن يؤتى بما يماثله وشرط الإعجاز عدم امكان المماثلة ولأنه لو كان إعجازه كما يقولون لما اشترطوا أن يكون المعجز ثلاث آيات فأكثر ولكانت الآية أو جزء منها كافية في الإعجاز .

وهو يعتقد بأن القرآن في أعلى درجات البلاغة من حيث أن الله قد بلغ به ما أراد فهو في هذا المعنى في الغاية التي لا شيء أبلغ منها وليس هو في أعلى درج البلاغة في كلام المخلوقين لأنه ليس من نوع كلامهم لا من أعلاه ولا من أدناه ولا من متوسطه ويرى القرآن معجزاً لأنه كلام الله تعالى والبرهان على ذلك أنه استعمل الحروف المقطعة في أوائل السور فلم ينل ذلك من بلاغته ولو استعمل رجل ذلك لعيب عليه لأنه خارج عن البلاغة المعهودة ويعقب على ذلك بما يفهم منه أنه يقول بالصرفة فيقول : «فصح أنه ليس من نوع بلاغة الناس أصلاً وأن الله تعالى منع الخلق من مثله وكساه الإعجاز وسلبه جميع كلام الخلق ثم يذكر أن القرآن حكى كلاماً قاله المخلوقون فكان معجزاً لأنه ورد في القرآن وصار قرآناً وليس معجزاً في كلام المخلوقين .

٥ً — القرآن كله قليله وكثيره معجز في رأيه ولذلك يخطيء رأى الأشعرية القائل بأن أقل المعجز مقدار أصغر سورة محتجين بقوله تعالى : «فأتوا بسورة

من مثله» بأن الله لم يقل بأن ما هو أقل من السورة ليس معجزاً ويذكر أن سائر أهل الاسلام على هذا الرأي ويقول : «ولا يختلف اثنان في أن كل شيء من القرآن قرآن فكل شيء من القرآن معجز» .

ويفصل في نقد من يجعلون أقل المعجز مقدار سورة فيتساءل عن المقصود بالسورة ما هو ؟ عدد آياتها أو عدد كلماتها أو عدد حروفها فاذا كان المعجز سورة كاملة كانت سورة البقرة إلا آية منها غير معجزة وإن قالوا مقدار السورة آيات وأقلها ثلاث كانت آية الدين غير معجزة وكان «والفجر وليال عشر والشفع والوتر» معجزاً مثل سورة البقرة وكان «والضحى والفجر والعصر معجزاً» ؛ فإن قالوا هن متفرقات فلا يكون فيهن إعجاز سقط الإعجاز عن ألف آية متفرقة وإمكان المجيء بمثلها وذلك يبطل الإعجاز عن القرآن وكان «ولكم في القصاص حياة» غير معجز وهذا نقض لقولهم إنه في أعلى درجات البلاغة وإن قالوا إن المقصود بذلك عدد الكلمات أو عدد الحروف بطل احتجاجهم لقوله تعالى : «فأتوا بسورة من مثله» لأنهم جعلوا معجزاً ما ليس سورة ولم يقل تعالى مقدار سورة وبذلك يلوح تمويههم ، ثم يناقض ابن حزم قول من يقول إن المعجز عدد السورة حروفاً بنفس الطريقة ويرده ويتابع المناقشة فيقول : إذا كانت الآية منه أو الآيتان غير معجزة وكانت مقدوراً على مثلها فكل القرآن يكون حينئذ مقدوراً على مثله وهذا كفر فإن قالوا اذا صارت ثلاث آيات صار غير مقدور عليها قيل لهم هذا غير قولكم إن إعجازه هو من طريق البلاغة لأن طريق البلاغة في الآية مثله في الثلاث .

وخلاصة رأيه أن القرآن معجز لأنه قرآن فكل كلمة فيه معجزة وكل حرف فيه معجز إذا عد من القرآن فاذا لم يعد منه لم يكن معجزاً كما لو ذكرت في خبر على أنها ليست قرآناً وأن القرآن استعمل أشياء تخالف البلاغة فيما لو كانت في كلام الناس وعدت فيه معجزة مثل ادخاله معنى دخيلاً بين معنيين لا يكون بينهما في العادة .

وعلى هذا فان ابن حزم لا يرى القرآن معجزاً ببلاغته وأن في استطاعة الناس أن يأتوا بمثله بلاغة مع اعترافه بأنه في أعلى طبقات البلاغة . ونراه من جهة ثانية يخالف طريقة المتكلمين فهم يجعلون إعجاز القرآن وسيلة الى اثبات أنه منزل من عند الله وإثبات النبوة وهو يعكس الأمر فيجعله معجزاً لأنه كلام الله وقد سبقه الى هذا بندار الفارسي فيما رواه التوحيدي (الاتقان للسيوطي ، فصل الاعجاز ج ٢ ص ١٩٨ ـ ٢١٢) . ومن مميزات ابن حزم أنه يستعمل حججاً قوية في الرد على من يقولون بالاعجاز البلاغي . وأرى أنه عرض رأيه عرضاً حسناً قوياً وإن كنت أرى أن القرآن يمتاز في جملة ما يمتاز به بأنه في الدرجة العليا من البلاغة .

٩ ـ الخفاجي :

وممن له رأي في الاعجاز في هذا العصر ابن سنان الخفاجي الحلبي (٤٦٦ هـ) وقد أورد آراءه في الإعجاز في كتاب « سر الفصاحة » في علوم البيان وهو يرى فيه أن علم الفصاحة ضروري للأديب ليحسن قول الكلام ونقده . (سر الفصاحة للخفاجي ص ٣ و ٤) كما أنه ضروري للعلوم الشرعية لأن المعجز الدال على نبوة محمد هو القرآن ويقول إن هناك قولين في الخلاف الظاهر فيما به كان القرآن معجزاً القول الأول خرق العادة بفصاحته وعلم الفصاحة ضروري للقائل بهذا حتى يعلم بم خرق العادة . والقول الثاني هو أنه معجز بصرف العرب عن معارضته مع أنها في مقدورهم ومن جنس فصاحتهم وهو يرى أن مسيلمة لم يأت بما يصح أن يسمى معارضة للقرآن لأن كلامه خال من الفصاحة التي وقع التحدي بها في الأسلوب المخصوص .

وهو يذكر تقسيم الرماني لتأليف الكلام إلى ثلاثة أضرب متنافر ومتلائم في الطبقة الوسطى ومتلائم في الطبقة العليا وينكر عليه هذه القسمة ويجعلها

قسمين متنافراً ومتلائماً ويذكر أن بعض المتلائم أكثر تلاؤماً من بعض كما يخالفه في قوله بأن القرآن متلائم في الطبقة العليا وغيره في الطبقة الوسطى وهو يعني بذلك جميع كلام العرب فليس الأمر على ذلك ويرى أنه لا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار في ناحية الفصاحة وأن في كلام العرب ما يضاهي القرآن في تأليفه وهو ينكر على الرماني لجوءه الى هذه الحجة ليثبت للقرآن الإعجاز . والوجه الصحيح عنده هو الصرفة وفي هذا يقول : « وإذا عدنا الى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك » وهو نفس رأي الشريف المرتضى في الصرفة الذي قلنا إنه يخالف رأي النظام قليلاً .

ويكمل الردّ على رأي الرماني بأن القرآن يتألف من ألفاظ مفردة جاءت في كلام العرب سواء اذا ادعى أن القرآن في الدرجة العليا أو في الدرجة الوسطى منها ولا يرى للقرآن ميزة من حيث تلاؤم الكلم ويورد رأيه الخاص في تنافر اللفظ فيقول قد يحصل من تقارب مخارج الحروف كما يحصل من تباعد مخارجها ويضرب لذلك أمثلة عدة .

وينكر الخفاجي قول القائلين بأن كل أقسام القرآن معجزة ومتساوية في الفصاحة ويقول إن بعض القرآن أفصح من بعض ويقدم أمثلة مؤيدة لرأيه عدة آيات ثم يمثل لرأيه هذا بقوله متسائلاً : « وليت شعري أي فرق بين أن يخلق الله وجهين أحدهما أحسن وأصبح من الآخر وبين أن يحدث كلامين أحدهما أبلغ وأفصح وهل يفرق بينهما الا مقترح » .

ولا يرى مانعاً من أن يكون بعضه أفصح من بعض لأن التوراة والانجيل والزبور وهي كلام الله لم تكن معجزة لخرقها العادة بالفصاحة ويقول إنما منعهم عن القول بهذا أنهم جعلوا إعجازه في خرق العادة بفصاحته فكيف يكون بعضه أفصح من بعض . وهو ينقض رأيهم هذا بأنه لا مانع حتى في

هذه الحالة من أن تتفاوت المعجزات في العظم ويرجع الى القول بأن إعجاز القرآن إنما هو بالصرفة وليس ببلوغ الغاية في الفصاحة .

وخلاصة ما أتى به الخفاجي أنه لا يرى فصاحة القرآن كافية للبرهان على إعجازه ويقول بالصرفة على طريقة المرتضى ويرى أن بعض القرآن أفصح من بعض وهذا الرأي الأخير صحيح في اعتقادي وقد ذهب اليه ابن حزم كما رأينا حين عرض رأيه .

١٠ – عبد القاهر الجرجاني :

ويأتي عبد القاهر الجرجاني فيتزعم نظرية النظم في إعجاز القرآن فقد فصّل فيها وعرضها عرضاً مستفيضاً وانتقل بها من حيّز الألفاظ الى حيّز المعاني . وهو متكلم وأديب . ويعتقد كثيرون بأنه أول من ألف في علم البلاغة . والجرجاني أول من نظم الأفكار التي كانت في هذا الموضوع وأبرزها في قالب علمي . وكتابه دلائل الإعجاز دليل على أن البلاغة في شكلها العلمي ظهرت من فكرة إعجاز القرآن . فهو إنما كتبه إذن لغرض ديني . ويناقش عبد القاهر مسائل في البلاغة والنحو ويقول بأنه لا يستطيع أحد أن يعرف إعجاز القرآن حتى يحسن تمييز أنواع النظم المختلفة ويحسن فهمها وقد ألف الجرجاني كتاباً آخر في البلاغة هو كتاب «أسرار البلاغة» . وبه يتمّ ما بدأه في دلائل الاعجاز إلا أنه يهتم بصفة خاصة في بيان قيمة البلاغة وسرها من الوجهة النفسية من حيث مراعاة وقع الكلام في النفس ومن حيث مراعاة أحسن الطرق لإفهام النفس الانسانية ما يريد أن يؤديه المتكلم .

وقد سبق أن ذكرت أثناء عرض آراء الخطابي أن للجرجاني شرحين على كتاب الخطابي كبيراً سماه المعتضد وصغيراً وأنهما كانا مقدمة لوضع كتابيه المشهورين : دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة .

ويمكن تلخيص آراء الجرجاني :

١ً — لا يقوم إعجاز القرآن في رأيه على الأغراض الأدبية المقصودة في وضع الكلام من حيث معانيها العامة كوصف الكريم بأنه كالبحر أو وصفه بالكوم بصورة مجردة بل بالصورة الجميلة التي تنقل المعنى من السذاجة الى الحلية في التعبير والجمال في الأداء وحسن العرض للمعنى بمعانٍ ثانوية فرعيـة تكمله وتضفي عليه جمالاً وخلابة فيحسن فيه التصوير ويقوى المعنى بما يستعمله المنشئ من أساليب النظم البلاغية من تقديم وتأخير واستعارة على ما تبحث فيه علوم المعاني والبيان والبديع . وليس الكلام عنده معجزاً لأنه حكمة . وليس الإعجاز أيضاً في تلاؤم الألفاظ مفردة أو مركبة (دلائل الاعجاز ص ١٩٦) فانها موجودة كذلك في كثير من كلام العرب وإنما هو في حسن النظم . وهو يرى النظم قائماً على مراعاة التلاؤم بين معاني الكلمات المفردة تلاؤماً يساعد على أداء المعنى العام المقصود بجمال وقوة . ويتم نظم هذه المعاني نظماً متلائماً بالاستعانة بعلم النحو في معناه الواسع في مفهوم عبد القاهر وهو يشمل علمي النحو والبلاغة . فنحن لا نقدم ونؤخر في الكلام أو نقوم بعمل فيه فنستعمل المعاني والقواعد النحوية الا لتخدم المعنى وتحسن سبكه فتجيد التلاؤم بين معاني الألفاظ . فالنحو بمعناه الواسع إذن خادم لنظم المعاني وليس خادماً للألفاظ (ص ٣٥ من دلائل الإعجاز) وقد كسر عبد القاهر الجرجاني كل كتابه دلائل الإعجاز على شرح هـذه الأنظار وعرضها والرد على مخالفيها ونقض ما سواها وقد أحسن في عرضها كل الإحسان وإن كان قد أهمل ناحية موسيقى الألفاظ وفصاحتها مفردة ومركبة إهمالاً لا يغتفر له ولعله إنما بالغ في نصرة المعاني لمبالغة غيره في نصرة الألفاظ بمجرد رد الفعل النفسي الذي يقابل المبالغة بمبالغة مثلها أو اشد منها تعاكسها في الاتجاه .

٢ً — يذكر عبد القاهر أن النبي قد تحدى العرب الذين عرفوا المقصود من هذا التحدي ولكنهم عجزوا عنه .

٣ً — ليس الإعجاز بمعاني الكلمات المفردة وإنما هو باجتماعها منظومة لتؤدي معنى شاملاً كما قلنا وليس كذلك في الموازنة بين كلمات وكلمات القرآن حركة وسكوناً وإلا كان مسيلمة قد قلد القرآن .

٤ً — ليس إعجاز القرآن في مراعاة القواطع والفواصل فليس ذلك بأصعب من مراعاة الوزن والقافية في الشعر ويذكر أن العرب كانوا قادرين على مثل ذلك كما يذكر أن أحدهم ألف كلاماً له فصول وربما كان يقصد المعري (ص ٢٩٦ — ٢٩٧ من دلائل الإعجاز للجرجاني) .

٥ً — يذكر قول الجاحظ (ص ٢٩٨ من الكتاب المذكور) الذي يستفاد منه أن العرب أدركوا بالحدس وفي سريرة نفوسهم بلاغة القرآن وعجزوا عن مجاراتها ثم يقول الجرجاني إن العرب لم يفهموا من الإعجاز الفواصل والسكنات والحركات بدليل أنهم لما قارنوا بين : « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب » وبين « قتل البعض إحياء للجميع » لم ينظروا الى ذلك بل الى بلاغة المعنى . وأنا أشك في أن هذه المقارنة قد حصلت فعلاً زمن النبي وأميل الى أنها حصلت بعده بزمن طويل في عهد الترجمة والى أن الجملة الأخيرة « قتل البعض إحياء للجميع » قد ترجمت عن كتب أجنبية .

٦ً — يشنع على القائلين بالصرفة (ص ٢٩٩ من الكتاب نفسه) وينقض رأيهم بأنه اذا كان الأمر كذلك فلماذا بهرهم القرآن إذن . أوليست دهشتهم لشيء وجدوه فيه غريباً وفوق طاقتهم ؟

٧ً — لا يمكن أن يكون الإعجاز في الاستعارة وما يتعلق بالبديع لأنها ليست موجودة في كل آيات القرآن وهو يسير في هذا على غرار القاضي الباقلاني .

٨ً — ينعي عبد القاهر على من يجعل الإعجاز في استعمال غريب الألفاظ كما ينعي على من يجعلونه في استعمال الألفاظ السهلة الخالية من الثقل على اللسان (ص ٤ ٣ من دلائل الإعجاز) .

٩ – إنما كانت معجزة النبي بلاغة القرآن لأن معجزة كل نبي كانت في الناحية التي اشتهر بها قومه . (ص ٣٦٥ منه) .

١٠ – ينكر أن يكون القرآن معجزاً لمجرد كونه كلام الله – وهو رأي ابن حزم وبندار الفارسي – (ص ٣٩٨ منه) .

١١ – لا ينكر في موضع (ص ٤٠١) من كتابه شأن خفة الحروف في النطق في فضيلة الكلام وإنما ينكر أن تجعل وحدها سبيلاً الى الإعجاز .

١٢ – يؤمن بأن عمدة إدراك البلاغة في النظم والاعجاز فيه هو الذوق والاحساس الروحي وكثرة الاطلاع على كلام العرب . (ص ٤١٨ من دلائل الإعجاز) .

وهنا لا بد لنا من القول بأن عبد القاهر في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة كان قدوة من جاء بعده من المؤلفين في البلاغة وإعجاز القرآن ببيانه وأنه يعد مرن الفكر في جعله الإعجاز في شيء غير محسوس تماماً . وليس لنظريته قوة البرهان الرياضي الذي ينفي أو يثبت بالأدلة العقلية المشتركة بين كل الناس . وإنما يقوم الإعجاز في نظره بالمعاني ويدرك بالذوق . وذلك بوضعه نظرية مرنة اذا تأملناها أدركنا أنها تساعد المؤمن بإعجاز القرآن على دعم إيمانه ولكنها لا تقنع المنكر او الملحد وذلك لأن الاقناع فيها قائم على الذوق الأدبي الفني وعلى شيء من الشعور الديني ومحال أن يجد الملحد او الشاك في القرآن من الروعة والجمال ما يجده المؤمن وقد يكون كتاب آخر يؤيد عقيدته وأفكاره أروع عنده من القرآن . ولا يتيسر أن يتفق الناس في تقدير الجمال في القول كما أنهم لا يتساوون في تقدير الجمال المدرك بالحس . ونرى أن مقاييس الجمال ، حتى ما وضع منها في عصرنا مهما بلغت من الدقة ، لا توحد أذواق الناس . فنظرية عبد القاهر إذاً لا تحسم الخلاف وان كان ما جاء به يبدو مسلماً به في تصور الكلام البليغ لا سيما وأنه قد أحسن عرض نظريته . ونستطيع أن نلمس من كلامه أنه مفكر استفاد مما ذكره سابقوه وما كان مقلداً أو جامعاً لآرائهم

بل هو مبتكر ألبس نظرية النظم ثوباً قشيباً ونقلها من حيز الألفاظ الى حيز المعاني . ومع أن قواعد البلاغة التي جاء بها ليست بقاطعة كما قلنا في حسم النزاع فانها على كل حال محاولة جدية مجدية تساعد على تذوق الأدب وفهمه وكتابته ومراعاة الصحة والجمال فيه . وقد أفرغ هذه القواعد التي جاء بها عبد القاهر من جاء بعده من علماء البلاغة في قوالب جامدة جافة ذهبت بعلم البلاغة عن غايته وأبعدته عن التجديد والابتكار وأخضعته للمنطق والتعنت الفلسفي العقلي وأهملت ما يساعد على تنمية الذوق الأدبي كما أنها لم تكمل ما أنقصه عبد القاهر ولم تكن الا عالة عليه وعلى من عاصروه أو سبقوه .

ولم تكن مهمة السكاكي أول من صنف وبوّب هذا العلم بالشكل الذي نعرفه الآن الا اختصار ما جاء به عبد القاهر وتبويبه والاسترسال في إخضاعه للبراهين المنطقية والتأثيرات الفلسفية .

وبالانتهاء من الكلام على عبد القاهر أنتهي من الكلام على من درستهم ممن ألفوا في فكرة الإعجاز في هذا العصر وكان لهم بحث أو اجتهاد فيها .

تلخيص ونقد :

إذا أردنا أن نعرض فكرة عامة عن هذا العصر قلنا : إن كثيراً من الباحثين في الإعجاز كانوا مجرد جامعين لآراء من سبقوهم أو مقلدين وإنه قد ظهر القول بصورة أصرح في نظرية أن القرآن معجز لأنه كلام الله على لسان ابن حزم وظهر قول داعي الدعاة بأن القرآن معجز بما فيه من معاني الحكمة ويبدو واضحاً في زمن عبد القاهر الجرجاني أن التيار الفكري كان متجهاً نحو الإعجاز بالألفاظ فخشي من ذلك عبد القاهر على فكرة الإعجاز أن تزول اذا وجد بين الأدباء من يستطيع معارضة هذه الصنعة اللفظية فناصر فكرة النظم القائم على تلاؤم المعاني في خدمة الغرض العام المقصود تلاؤماً يراعى فيه التصوير وحسن التعبير والصياغة . وظهر القول بأن بعض القرآن أفصح من بعض على لسان ابن سنان الخفاجي .

القرن السادس

أشهر من تكلم في قضية الإعجاز في هذا العصر متكلمان : أحدهما له ابحاث واسعة في الفلسفة وهو الغزالي والثاني مؤلف في السيرة النبوية وهو القاضي عياض ، ومفسران أحدهما من المعتزلة وهو الزمخشري والثاني ابن عطية ، وفيلسوف كان يسعى الى التوفيق بين الفلسفة اليونانية ومبادئ الدين الاسلامي وهو ابن رشد . وسأتحدث على كلّ واحد منهم على حدة فيما يلي ..

١ – الغزالي :

يرى الغزالي أن القرآن مسوق لمعنى واحد وهو دعوة الخلق الى الله تعالى وصرفهم عن الدنيا الى الدين (الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ١٩٨ وما بعدها) وكان يذهب الى أن في القرآن جميع العلوم الدينية والدنيوية وأنها كامنة في مطاويه لا يدركها الا العالمون فكأنه يرى أن هذا وجه من وجوه الإعجاز لأنه انما ذكره قاصداً به أن يبين عظمة القرآن . قال الأستاذ أمين الخولي بعد ان ذكر فكرة اتساع القول في احتواء القرآن جمل العلوم جميعاً واشتماله الى جانب العلوم الدينية اعتقادية وعمليـة وظاهرة وخفية سائر علوم الدنيا : « والغزالي الى عهده كان أكثر من استوفى بيان هذا القول (الإحياء الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل ص ٢٥٩ – ٢٦٤) وأن في القرآن رموزاً ودلالات على كل ما اختلفت فيه الخلائق في النظريات والمقولات والقرآن يشير الى مجامع العلوم كلها وبعد أن يذكر الغزالي العلوم ويذكر أن منها ما سوف يوجد ومنها ما اندرس يذكر أن اوليات العلوم كلها في القرآن فإنها جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى وهو بحر الأفعال ..... ويشير أخيراً الى أنه لو ذهب يفصل ما تدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الأفعال لطال ولا تمكن الإشارة الى مجامعها » ..

ويلاحظ أن الغزالي بين المؤلفين الذين تكلمنا عنهم حتى الآن هو أول من يعرض لهذه الفكرة القائلة باحتواء القرآن على جميع أوليات العلوم الدينية والدنيوية وسنرى كيف يتوسع فيها المتأخرون .

٢ً — القاضي عياض :

وللقاضي عياض (٥٤٤) في كتابه « الشفاء ص ٢١٦ — ٢٣٧ ط دار السعادة سنة ١٣١٢) رأي في الاعجاز أورده السيوطي في الاتقان (ج ٢ فصل الإعجاز) وخلاصته أن إعجاز القرآن في الإيجاز والبلاغة والأسلوب الغريب والإخبار بالمغيبات والإخبار عن الأمم الماضية على أمية النبي وتعجيزه أيضاً لقوم في قضايا لم يفعلوها كقوله لليهود : « فتمنوا الموت ان كنتم صادقين » ومن فضائله الروعة في قلوب السامعين — ويذكر بهذه المناسبة اسلام جبير بن مطعم حين سمع النبي يقرأ في صلاة المغرب سورة الطور — وأنه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع ما تكفل الله بحفظه وأنه لا يخلق على كثرة الرد وجمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب وذلك في كلمات قليلة وأحرف معدودة .

ونتبين من رأي القاضي عياض في الإعجاز أنه لم يأت بجديد وإنما لخص تقريباً رأي الباقلاني وزاد عليه جمع القرآن علوماً ومعارف لم يجمعها كتاب قبله على إيجازه . ويعرض لرأي الصرفة أثناء كلامه فلا ينكر هذا القول بل يثبته إثباتاً مبهماً ضعيفاً ويقول إنه على هذا القول أيضاً معجز .

٣ً — الزمخشري :

يبني الإمام الزمخشري (٥٣٨) فكرة الإعجاز في الكشاف على خصائص الكلمات والنظم في التعبير ويوافق رأي الجرجاني قليلاً فالإعجاز عنده قائم على المعاني من تعريف وتنكير وتقديم وتأخير ثم على ما يتصل بعلم البيان ويذكر الدكتور محمد خليل الخطيب في مقدمة حسن الصنيع للبسيوني ـ وأوافقه على رأيه ـ

أن الامام الزمخشري ينبغي أن يعدّ بعد عبد القاهر في صدر الواضعين لفن البيان ويذكر بهذه المناسبة رأي ابن خلدون في «أن ثمرة فن البيان فهم الإعجاز من القرآن وأن المفسرين أحوج الناس الى هذا الفن وأن أكثر تفاسير المتقدمين غفل منه حتى ظهر جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن بما يبدي البعض من إعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير» .

ومن الحق أن نقول إن الإمام الزمخشري يعدّ بين المفسرين أول او اكثر من اهتم ببحث البيان في القرآن والى جانب تطبيقه العملي فن البيان في إظهار إعجاز القرآن نراه أثناء تفسير آية التحدي في سورة الإسراء : «قل لئن اجتمعت الانس والجن ... الخ الآية» يقول بضرورة كون القرآن مخلوقاً حادثاً حتى يكون معجزاً ويصح به التحدي فإن كان قديماً كان محالاً على البشر ولا يصح أن يتحداهم النبي به فيقول : «والعجب من النوابت ـ يقصد بهم نوابت أهل السنة ـ ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز وإنما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الأجسام والعباد عاجزون عنه وأما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لأنه لا يوصف بالقدرة على المحال إلا أن يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان رأس مالهم المكابرة وقلب الحقائق» .

وقد ردّ عليه في هذا الشيخ ناصر الدين احمد بن محمد الاسكندري المالكي (٦٨٣) وقال بأن اعتقاد اهل السنة يقوم على أن مدلولات العبارات قديمة قائمة بذات الباري تعالى يطلق عليها قرآن كما أن الألفاظ الدالة التي بين أيدينا يطلق عليها قرآن ايضاً والمتحدى به والمعجز هو الدليل أي الألفاظ الدالة لا المدلول وإنما يتحرز العلماء من اطلاق هذا القول لسببين الأول أن السلف كفوا عنه

فاقتفى الخلف آثارهم والثاني أن هذا القول ربما أوهم الضعفاء بأن مدلول القرآن حادث لا قديم . (تعليقات الاسكندري على كتاب الكشاف في الحاشية) .

وكذلك علق الشيخ محمد عليان المرزوقي في الهامش المطبوع مع الكشاف على قول الزمخشري بكلام له نفس معنى كلام الاسكندري . وكلام الزمخشري يدلنا على أن مسألة خلق القرآن كانت ولا تزال قيد بحث علماء الكلام حتى عصره .

ويذكر الزمخشري أثناء تفسير آية سورة البقرة « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا » أن الله جاء في هذه الآية بما هو الحجة على إثبات النبوة وذلك حين يتحداهم فيدركون عجزهم ويعلمون أنه من عند الله .

ويقول الزمخشري في مقدمة تفسيره ما معناه إنه لا بد من علم البيان والمعاني لإدراك معجزة رسول الله ومعرفة لطائف حجته وأن يوجد ذوق في الفكر والادراك ودراية بأساليب النظم والنثر ويقول إن القرآن معجز على وجه كل زمان ودليل إعجازه سكوت العرب عن معارضته مع كثرة عنادهم وتوفر دواعيهم واشتهارهم بالأنفة .

وآراء الزمخشري جاءت في تفسيره ولم أعرف أنه وضع في هذا البحث كتاباً خاصاً أو أفرد له باباً .

(يتبع) نعيم الحمصي

تاريخ علم الفلك في العراق
وعلاقاته بالأقطار الاسلامية والعربية
(في العهود التالية لأيام العباسيين)
من سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م الى سنة ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م

– ٢ –

٢ — عهد الجلائرية

وفي عهد الجلائرية ، وهم مغول أيضاً ، ظهر عدة علماء الا ان العناية كانت أقل لما طرأ على الدولة من ضعف وان لم ينقطع الاتصال بعلوم الفلك وانما مضت على اطرادها ، وأبقت الدولة الوضع على حاله .

ومن العلماء المشهورين :

١ — صفي الدين بن عبد الحق :

هو ابو الفضائل عبد المؤمن بن كمال الدين البغدادي . وكان معروفاً بالفرائض وبعلوم جمة . وكان يعرف الهيأة والحساب معرفة جيدة . كان في عهد المغول وأدرك دولة الجلائرية . ومن مؤلفاته :

١) المعرفة بدلائل القبلة . وظهرت بعد ذلك مؤلفات عديدة في هذا الموضوع . وتوفي سنة ٧٣٩ هـ — ١٣٣٨ م[1] .

٢) شمس الدين بن الأكفاني :

هو شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري (السنجاري) المعروف

---

(١) الشذرات والدرر الكامنة وطبقات الحنابلة للشيخ جميل الشطي ص ٦٠ وتاريخ العراق ج ٢ ص ٣٢ .

ب (ابن الاكفاني) . كان من أبرز العلماء في الفلك والرياضيات والتنجيم . ومن مؤلفاته :

١) ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد . وهذا الكتاب بيّن فيه أموراً مهمة في هذه العلوم خاصة وعين الكتب المعتبرة في الرياضيات والفلك والاختيارات .

٢) اللباب في الحساب . منه نسخة في أياصوفيا . توفي سنة ٧٤٩ هـ بمصر [١] .

٣ — جمال الدين البابصري .

هو ابو العباس جمال الدين احمد بن علي بن محمد البابصري البغدادي الحنبلي الفقيه الفرضي الأديب . ولد سنة ٧٠٧ هـ . برع في الفرائض والحساب . وتوفي سنة ٧٥٠ هـ [٢] .

٤ — عبد الصمد المنجم التبريزي :

توفي أيام السلطان أويس من الجلائرية . له في فنّ الهيأة وأحكام النجوم اليد الطولى . ومما قال فيه برهان الدين المدني :

« نظام الدين عبد الصمد بن ابي البركات النهشلي الشافعي التبريزي ... له اليد الطولى في علم الفلك وأحكام النجوم وما يتعلق بذلك على الدين والأمانة . ولد سنة ٧٠٣ هـ وحج سنة ٧٦٢ هـ وفي آخر الوقت ولي قضاء قضاة تبريز » اهـ [٣] .

٥ — المولى شمس الدين العصار :

هو شمس الدين الحاج محمد العصار . من المشهورين في عصر السلطان أويس من الجلائرية . ويعدُّ من علماء الفلك والرياضيات والاسطرلاب . وهو من تلاميذ عبد الصمد المنجم . توفي في أيام السلطان أحمد الجلائري سنة ٧٩٢ هـ [٤] .

---

(١) ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد ص ١١٥ والوافي بالوفيات ج ٢ ص ٢٥ .

(٢) الشذرات ج ٦ ص ١٦٦ .

(٣) دانشندان اذربيجان ص ٢٥٦ .

(٤) » » ص ٢٧٥ .

هذا وعلوم الفلك مضت على اطرادها في هذا العهد الا ان المدونات قليلة جداً . وكانت علاقة الجلائرية ببغداد كبيرة . ويعد علماء هذه الدولة من علماء بغداد أو الواردين اليها .

٣ ـ الدولة التيمورية

استولت هذه الدولة على بغداد سنة ٧٩٥ هـ ـ ١٣٨٣م . واختارت جماعة من علماء بغداد ورجالهم في الفن والعلم والهندسة والبناء . وكانت علوم الفلك نشأت في بلاد الترك أيام المغول . وظهر الأستاذ الجغميني . والفضل الكبير في تقدم هذا العلم يرجع الى أحد أحفاد تيمور وهو أولوغ بك ابن شاه رخ ابن تيمور . وكان تيمور قد ركن اليه غالب رجال البلاط الجلائري . وبينهم الفلكيون والمنجمون . فاستفاد أولوغ من ثقافة هؤلاء .

رعى هذا العلم ، وجمع علماءه . وبينهم ايرانيون وترك . وبنى رصداً مدة سلطنته بسمرقند أو بالتعبير الأصح كانت امارته في سمرقند مستمدة من والده شاهرخ . وليها بعد وفاة جدّه ودام الى أن ملك بعد والده . ولد في حدود سنة ٧٩٠ هـ . وتوفي سنة ٨٥٣ هـ [1] . وكان من تصانيفه :

١) الظل المنكوس السئيني .

٢) الزيج الأولوغ بيكي . وسماه ابو الثناء الآلوسي بـ (سلطان الأزياج) .

ولقد صرفت عناية كبرى بهذا الزيج ودام العمل به أكثر من الزيج الايلخاني ومنه نسخ عديدة في بغداد والشام وغيرهما . شرحه علي القوشجي وميرم چلبي ، واختصره محمد بن ابي الفتح الصوفي المصري . وعرب باسم (تذكرة الفهيم في عمل التقويم) ، و (التسهيل) لهذا الزيج من تأليف عبد الرحمن الصالحي الموقت بالجامع الأموي وهو محاول أولوغ بك . وشرحه البرجندي في سنة ٩٢٩ هـ . منه نسخة في خزانة المجلس . وعندي نسخة منه .

---

(١) شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧٦ وغيره .

عني به حق العناية واشتركت فيه رجالات العلم من مختلف الأقطار ، ولم يحل محله الزيج الهندي الا بعد حين ثم حلّ محله الزيج المعروف بالكاسيني ثم (زيج لالاند) . وهذه ظهرت في الغرب ونسخت سائر الأزياج .

والدر النظيم في علم التقويم على أصول رصد أولوغ بك . منه نسخة لدى الأستاذ احمد عبيد وأخرى في الخزانة الشرقية . ومؤلفه محمد بن عبد الرحمان العفيفي الشافعي . ورد ذكر مؤلفه في المشرق ج ٣ ص ١١٢٩ .

ومن العلماء في الفلك أيام الدولة التيمورية :

١ — غياث الدين جمشيد الكاشي ، وله :

١) نزهة الحدائق في كيفية صنعة الآلة المسماة بالطبق الناطق . رسالة باللغة العربية طبعت على الحجر سنة ١٣٠٦ ه في آخر مفتاح الحساب وعليها ذيل ألحق بها وطبع معها . ألفه في شعبان سنة ٨٢٩ ه .

٢) رسالة الوتر والجيب .

٣) الزيج الخاقاني بالفارسية . قدمه الى أولوغ بك حين قدم الى سمرقند وقبل أن يكتب الزيج الأولوغ بيكي . وعندي نسختان منه احداهما كاملة والأخرى ناقصة الورقة الأولى . ومنه نسخة في اياصوفيا .

٤) سلم السماء في الهيئة . طبع على الحجر .

٥) مفتاح الحساب بالعربية . منه نسخة في (خزانة يكي جامع) . وطبع على الحجر سنة ١٣٠٦ ه في ايران وفي آخره نزهة الحدائق مع ذيلها . ولخصه مصنفه وسماه (تلخيص المفتاح) . ومنه نسخة مشروحة في خزانة المتحف العراقي . وذكره صاحب كشف الظنون في مادة (أسنان المفتاح) .

٦) زيج التسهيلات .

٢ — السيد الشريف الجرجاني :

هو الشريف علي بن محمد الجرجاني . ومن مؤلفاته :

١) شرح ملخص الهيئة للجغميني . منه نسخة في الخزانة الظاهرية بدمشق كتبت سنة ٨٧٠ هـ . وفي خزانة الأوقاف العامة وفي خزائن أخرى عديدة .

٢) حاشية على التحفة الشاهية . الأصل لقطب الدين الشيرازي .

٣) شرح التذكره للطوسي . توفي سنة ٨١٦ هـ — ١٤١٣ م .

٣ — قاضي زاده الرومي :

هو موسى بن محمد بن محمود القاضي ببروسة المعروف بـ (قوجه ملا محمود) . نال حظوة كبيرة لدى أولوغ بك . أخذ عن المولى الفناري ومن مؤلفاته :

١) شرح الملخص للجغميني . أكمله سنة ٨١٤ هـ وهو من كتب الدرس . منه نسخة بخط يده في خزانة أياصوفيا . وعليه حاشية للبرجندي .

٢) رسالة في القوس قزح .

٣) شرح أشكال التأسيس . والأصل للعلامة شمس الدين محمد بن أشرف السمرقندي المتوفى في حدود سنة ٦٠٠ هـ (كذا) . وعليه حاشية لمير ابوالفتح المتوفى سنة ٩٧٦ هـ وحاشية لعبد البر العوفي كتبه باسم محمد صادق بن محمد افندي المعروف بـ (شيخ زاده) . وهذا من كتب الدرس أيضاً .

٤) رسالة في استخراج الجيب . ولعبد الوهاب من أهل قواله مؤلف بهذا الاسم . وطبع مع حاشية محمد الحاج بن ابي نصر العراقي سنة ١٢٦٨ هـ .

٥) سمت القبلة . ذكره صاحب كنه الأخبار .

مات في ما وراء النهر في منتصف المائة التاسعة . وعلى قول سنة ٨١٥ هـ . ولم يتبين لنا وجه الصواب من هذه الأقوال في تاريخ وفاته [1] .

٦) رسالة في الحساب . وعليها شرح في خزانة الشهيد علي باشا باستنبول .

٤ — علي القوشجي :

هو المولى علاء الدين علي بن محمد المعروف بـ (القوشجي) . كان من تلامذة قاضي زاده الرومي . وعرف باكمال رصد سمرقند ومن رجال أولوغ بك .

---

(١) الآثار الباقية لصالح زكي . والتراث العلمي ص ٢٣٢ .

ومن مؤلفاته :

١) فتحية في الهيأة . ألفها لما ذهب السلطان محمد لمحاربة حسن الطويل . وقد اشتهرت شهرة عظيمة . شرحها أحد تلامذته العلامة سنان المتوفى سنة ٨٩٨ هـ ولعله مصلح الدين اللاري المعروف بـ (عجم سنان) . وشرحها ميرم چلبي المتوفى سنة ٩٣١ هـ . وترجمها الى التركية سيدي علي رئيس المتوفى سنة ٩٧٠ هـ وسميت ترجمته (خلاصة الهيأة) . وترجمها المولى پرويز بالتركية سنة ٩٨٧ . وسماها (مرقاة السماء) .

٢) رسالة في حلّ أشكال القمر .

٣) شرح التحفة الشاهية . شرحها بقال أقول . وصل به الى بحث الدوائر . وله تعليقة على المتن الى الباب التالي .

٤) الرسالة المحمدية . منها نسخة في خزانة الأشهر .

٥) شرح زيج أولوغ بك .

٦) مجموعة في النجوم . منها نسخة في الخزانة الحميدية باستنبول .

٧) مسرة القلوب في دفع الكروب .

وتوفي سنة ٨٧٩ هـ — ١٤٧٤ م .

ولم تنقطع العناية بالفلك بوفاة أولوغ بك . فان ركن الدين بن شرف الدين الحسيني الآملي كتب (الزيج الجامع السعيدي) . نقح به الزيج الايلخاني . كتبه بالفارسية لأمير زاده ابي القاسم بابربهادرشاه وجعله باسم السلطان ابي سعيد كوركان سنة ٨٦٠ هـ . منه نسخة في خزانة المجلس الايراني كتبت سنة ٨٨٩ هـ كما ان له (پنجاه باب سلطاني) في كليات الأعمال ومعرفة الاسطرلاب .

ومما كتب (زيج ملخص ميرزائي) تأليف عبد القادر بن حسن الروياني . كتبه بالفارسية وقدمه الى السلطان ميرزا علي .

ومن الأزياج (زيج هندي محمد شاهي) . تأليف محمد علي الشهير بـ (ميرخان) . كتبه سنة ١١٣١ هـ . ثم ان الشاه محمد عمل رصداً . وأرسل جماعة من العلماء لمراجعة أزياج أوربا وتحقيق الزيج فقاموا بما عهد اليهم وكتبوا زيجاً هندياً مصححاً لا يزال معروفاً بهذا الاسم[1] .

ومن هذا كله علمنا ان الثقافة الفلكية تمكنت في آل تيمور في ماوراء النهر وفي الهند . وان الهنود تأثروا بالعرب والايرانيين وأشهر من عني بعلم الفلك من الهنود المهراجا جاي سينگ الثاني (١٦٨٦ م — ١٧٤٢ م) وكان أمر بنقل المجسطي من العربية الى السنسكريتية وأقام المراصد في بعض المدن المختلفة . جهزها بآلات الرصد المعروفة آنئذ أولها الاسطرلاب[2] .

ومن هنا علمنا اتصالات الأقطار بنا وبمجاورينا . وان الدولة التيمورية لم تكن متصلة بنا باستمرار وانما تخلل ذلك فترات عديدة دامت الى سنة ٨٠٨ هـ . ثم عاد الجلائرية فلم ترسخ لهم قدم ، بل انقرضوا من بغداد سنة ٨١٤ هـ — ١٤١١ م ونزلوا البصرة . والثقافة لم تكن دولية لتزول بزوال الدولة الحاكمة . وانما كانت ترعاها المدارس العلمية . وهي قائمة بوقوفاتها . وتمدها خزائن الكتب بالمعرفة . والروح العلمية راسخة في النفوس .

٤ — دول التركمان في العراق

من سنة ٨١٤ هـ — ١٤١١ م الى سنة ٩١٤ هـ — ١٥٠٢ م

قلت العناية بالعلم في هذه العهود أيام قراقوينلو وآق قوينلو الا أن المدارس كانت دائبة في عملها . والرغبة الشخصية ماضية في طريقها . ولم نستطع أن نسجل حوادث ذات شأن في الفلك والظاهر أن الحال اطرد على ما كان .

---

(١) خزانة المجلس ص ١٠٢ .
(٢) الاسطرلاب عند العرب محاضرة للأستاذ أحمد مختار صبري ص ٢٧ طبعة جامعة فؤاد الاول سنة ١٩٤٧ م .

وظهر عندنا في التنجيم (ابن فهد الحلي) . ومثله (المشعشعون) . استخدموا الشعبذة أو الشعوذة لاستغلال البسطاء .

ولم ينفك العلماء عن الاهتمام بالعلوم ومنها الفلك بل لم تخل هذه العهود من مشتغلين وتغلبت الدراسات الفارسية لما رأت من الاهتمام بها في ايران وفي ماوراء النهر والهند والأناضول .

ومن الفلكيين المعروفين عندنا :

١ — الغياثي . مؤرخ وفلكي . وبراعته في الفلك غالبة . وفي تاريخه يتعرض لأمور فلكية . ومن مؤلفاته :

١) تاج المداخل . من أجل الآثار في الهيأة . نقل به الى اللغة العربية تاج المداخل للحكيم الفاضل ابي جعفر محمد بن عبد الله الشربفي . وأصله باللغة الايرانية قدمه الى السپهسالار تاج الدين المعتز بن محيي الدين طاهر الخوارزمي من أمراء الدولة السلجوقية ببلاد الروم . وابنه أمير شاه كتب له قطب الدين الشيرازي كتابه المسمى بالتحفة الشاهية . والكتابان ثروة علمية . والغياثي نقله الى العربية باسمه الأصلي . وبهذا حصل الاتصال العلمي فقد نقلت الأزياج الفارسية مثل زيج أولوغ بك وغيره مما روعي فيه تجدد العلم . فتجددت مباحث علم الفلك . والغياثي متصل بالتنجيم والطالع ومطالب القرانات . فهو عالم بالاختيارات . أخذ عن علماء الشام . وكتب كتابه هذا بخطه ومعه (مختصر نزهة النظر) في مجموعة في خزانة الآثار القديمة ببغداد . وتوفي بعد التسعمائة من الهجرة .

٥ — الدولة الصفوية في العراق

من سنة ٩١٤ هـ – ١٥٠٢ م الى سنة ٩٤١ هـ — ١٥٣٤ م

هذا العهد كان عهد حروب ومناضلات ، فما كان للعلوم حظ من العناية . ولا شك أنها سارت سيرتها الطبيعية في المدارس ، وفي الرغبة العلمية . ومن علماء هذا العهد (البرجندي) و (مير ابو الفتح) ويأتي الكلام عليهما .

العلاقات بالأقطار الاسلامية

هذه العلاقات قديمة ترجع الى أوائل اتصال الاسلام بالشعوب ثم لم تنقطع • وانما تأثرت بنا • والعلاقات في الفلك والرياضيات قديمة • وزاد الاتصال بسبب الفتح المغولي • ويعسر احصاء هذه الصلات • وما عرف يشير الى ما وراءه •

١ ـ العلاقات بايران

وهذه من أقوى العلاقات • كتبوا علومهم بلغتنا • وقلما كتبوا باللغة الايرانية لشدة الارتباط والمجاورة والاختلاط أحياناً • دام الى عهد المغول واستمر الى ما بعده • والعلوم الفلكية هذا شأنها • وفي نهضتها أيام المغول عند بناء الرصد استعانت بالثقافة العربية وبرجالها • والاسماعيلية في ايران اكثر اشتغالاً بالفلك لصلته بمذهبهم • ومن أبرز علمائهم الخواجة الطوسي • وحصل الانتفاع بما غنم المغول منهم من آلات فلكية • ويهمنا الآن ذكر العلاقات الى سنة ٩٤١ هـ ـ ١٥٣٤ م • ومن علمائهم :

١ ـ الأبهري : هو أثير الدين المفضل بن عمر الأبهري • وآثاره متداولة • ومن مؤلفاته الفلكية :

١) المجسطي في الهيأة • وهو من الكتب المختصرة •

٢) ثلاث رسائل في علم الفلك •

٣) الزيج المقنن • ألفه على مقتضى أوساط صححها ابو الوفاء محمد بن أحمد البوزجاني بعد الرصد المأموني • وأصلح الزيج العلائي •

توفي سنة ٦٦٢ هـ • ومنهم من قال غير ذلك •

٢ ـ الشربفي : هو ابو جعفر محمد بن عبد الله الشربفي وله من المؤلفات :

١) تاج المداخل • فارسي • نقله الى العربية الغياثي • ولم أعرف مكان النسخة الأصلية • والترجمة العربية في خزانة متحف الآثار القديمة ببغداد •

قدّم المؤلف كتابه الى أحد أمراء السلجوقيين في بلاد الروم · وهو تاج الدين السپهسالار المعتز بن طاهر كما أن القطب الشيرازي قدم الى ابنه امير شاه محمد كتابه (التحفة الشاهية) · وكان تاج الدين أميراً أيام سليمان شاه البروانة ·

٢) شرح التذكرة للخواجة الطوسي نقل منها الخفري في شرحه لتذكرة الخواجة ·

٣ — الكاتبي القزويني : من العلماء الأفاضل في الفلك والحكمة · وكان ممن اشترك في رصد مراغة · وتوفي سنة ٦٧٥ هـ — ١٢٧٦ م · ولم نقف له على تأليف في الفلك ·

٤ — قطب الدين الشيرازي : من أكابر العلماء لا سيما في الفلك وما يتعلق به · وكانت شهرته عالمية · ومن مؤلفاته :

١) نهاية الادراك أو ادراك الأفلاك · قدمه الى شمس الدين محمد الجويني · وعليه حاشية لسنان باشا · ومنه نسخة في خزانة الأوقاف العامة ببغداد من خزانة السيد نعمان خير الدين الألوسي · كتبت سنة ٧٦٦ هـ ·

٢) التحفة الشاهية في علم الهيأة · كتبت باللغة العربية · قدمها الى أمير شاه محمد بن تاج الدين المعتز بن طاهر · ومنها نسخة في خزانة مدرسة السپهسالار · وأخرى في خزانة الأوقاف ببغداد · ونسخة منها في برلين ·

٣) الاختيارات المظفرية · فارسي في الهيئة · ألفه لمظفر الدين بولق أرسلان من سلاجقة الروم · كتبه بعد نهاية الادراك ·

٤) الزيج السلطاني · ومنهم من نسبه للوابكيني البخاري · عدّل به الزيج البتاني ·

٥) درة التاج للملك دوباج · كتبه لملك كيلان بالفارسية · منه نسخ عديدة في خزانة الأوقاف العامة ببغداد · وطبع في ايران ·

توفي في شهر رمضان سنة ٧١٠ هـ — ١٣١١ م ·

٥ — النظام الأعرج : هو نظام الدين حسن بن محمد النيسابوري · وكان من علماء الفلك المعروفين · وله من المؤلفات :

١) الزيج العلائي . فارسي . صححه تلامذته بعد وفاته . ألفه لعلاء الدولة .

٢) تفسير التحرير . فرغ من تأليفه سنة ٧٠٤ هـ .

٣) شرح التذكرة . ويسمى (توضيح التذكرة) .

٤) الشمسية في الحساب .

وتوفي سنة ٧٢٨ هـ على ما هو الأظهر . وليس بصواب ما ذكر في كشف الظنون من انه توفي سنة ٨٢٨ هـ .

٦ – عبد الصمد المنجم التبريزي .

٧ – شمس الدين الحاج محمد العصار .

وغالب هؤلاء لم يخل من علاقة بالعراق . وتنتهي بهم الدولة الجلائرية .

وفي أيام الأمير تيمور وأخلافه استخدم علماء ايران . لا سيا في رصد سمرقند أيام أولوغ بك . وهم من ذكروا . وبينهم غياث الدين جمشيد . وأثروا كثيراً في التدوين بالفارسية . ويقال ان (الزيج الخاقاني) قد أثر على زيج أولوغ بك .

وفي أيام التركمان وأوائل الصفويين ظهر :

١ – البرجندي : وهو عبد العلي بن محمد البرجندي . وله من المؤلفات :

١) شرح التذكرة . باللغة العربية .

٢) بيست باب . ألفه سنة ٨٩٣ هـ .

٣) شرح تحرير المجسطي .

٤) شرح الزيج الجديد السلطاني . شرح به زيج أولوغ بك . ألفه سنة ٩٢٩ هـ .

٥) حاشية على ملخص الهيأة . شرح قاضي زاده .

وهذه مؤلفات تعليم لم تزد في الثقافة . ولا شك أن هذه العهود قد طرأ عليها توقف في أيام التركمان وأيام الصفويين . لم تتجاوز الوجهة التعليمية .

٢ — الملاقات بالترك في ما وراء النهر

الترك ثقافتهم اسلامية من أوائل اتصالهم بالاسلام وقد تكلمنا على ماضيهم في أيام المغول والتركمان ، ومن اشتهر منهم وبينا بعض مؤلفاتهم . ومنهم العلاء البخاري ، والجغميني . ثم ظهر آل تيمور في سمرقند ، فتكاثرت المعرفة بالوجه المبين .

٣ — الملاقات بالترك في الأناضول

١ — سلاجقة الروم . وهؤلاء زها علم الفلك في أيامهم في عهد المغول . وظهرت مؤلفات خدمت الثقافة . بذلوا البذل اللائق للحصول عليها . ومكنوا هذا العلم عندهم بما رعوا من علماء وردوا اليهم .

١) تاج المداخل في الهيأة للشربفي بالفارسية قدمه لأحد أمراء الأناضول تاج الدين السپهسالار . نقله الى العربية الغياثي سنة ٨٧٩ هـ — ١٤٧٤ م .

٢) تحرير المجسطي . للخواجة الطوسي . قدمه الى حسام الدين بن محمد السيواسي .

٣) التحفة الشاهية . لقطب الدين الشيرازي . قدمه الى ميرشاه محمد بن تاج الدين السپهسالار المذكور .

٤) الاختيارات المظفرية (له) كتبه لمظفر الدين بولق ارسلان المتوفى سنة ٦٩٠ هـ — ١٢٩١ م .

وهذه من صفوة المؤلفات . وتتكون منها ثروة علمية في الهيأة .

٢ — الترك العثمانيون . وهؤلاء جاءتهم الثقافة من سلاجقة الروم فبنوا على أساسها . وظهر فيهم جماعة العلماء ولم يقصروا في رعاية هذا العلم . ويقال لهم (علماء الروم) . وبعد فتح استنبول رعوا العلم . وتوسعوا في الفلك خاصة لما رأوا من ضرورة السير في البحار وعمل السفن الحربية . ومن مشاهير علمائهم :

١) قاضي زاده . أصله من بلاد الروم . استخدم لرصد سمرقند . مرّ الكلام عليه .

٢) علي القوشجي . وهذا أيضاً من علماء الروم عمل في مرصد سمرقند أيضاً . سبق أن ذكرناه .

٣) افه زاده . هو محمد بن سليمان . وله شرح بيست باب في الاسطرلاب للخواجة الطوسي .

٤) ميرم چلبي . هو الملا محمود بن محمد قاضي زاده . ابن بنت القوشجي . وكان قد عمل في رصد مراغة . وله من المؤلفات :

١ — دستور العمل وتصحيح الجدول . شرح به زيج أولوغ بك .

٢ — رسالة في ربع المقنطرات .

٣ — رسالة في الربع المجيب

٤ — رسالة في الحساب .

٥ — رسالة في سمت القبلة . وذكرها كاتب چلبي مرتين .

٦ — شرح الفتحية للقوشجي .

٧ — رسالة في الربع الشكازي .

٨ — رسالة في العمل به .

٩ — رسالة الزرقالة (فارسية) أخذها من عرب الأندلس .

١٠ — رسالة في الربع الجامع . وتوفي في ذي القعدة سنة ٩٣٢ هـ .

٥) المولى عطاء الله العجمي . له رسالة في الربع المجيب . وعليها شرح أخوين المولى محيي الدين محمد بن القاسم المتوفى في حدود سنة ٩٠٠ هـ .

٦) محمد بن سنان الكاتب القنوي . وله تحفة الفقراء في علم الميقات .

هؤلاء عرفوا في بلاد الروم . وبعد الاتصال بالأقطار العربية عظمت النهضة ولهذا البحث محله .

(يتبع) عباس العزاوي

أقدم تأليف في الحديث النبوي

صحيفة هَمّام بن مُنبِّه ومكانتها في تأريخ علم الحديث

— ٢ —

صحيفة هَمّام بن مُنَبِّه

المولود سنة ٤٠ (؟)، والمتوفى سنة ١٣١ أو ١٣٢ للهجرة؛
تلميذ أبي هريرة رضي الله عنه المتوفى سنة ٥٨ من الهجرة

مخطوطة دمشق

ورقة الأصل الدمشقي (١ ب)

بسم الله الرحمن الرحيم عونك اللهم
الحمد لله رب العالمين • والصلوة على
رسوله محمد وآله أجمعين •

حدثنا الشيخ الامام الأجل الأوحد
الحافظ تاج الدين بهاء الاسلام بديع
الزمان ابو عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن
مسعود المسعودي البندهي وفّقه الله
وبصّره بعيوب نفسه بقراءته علينا
من أصل سماعه المنقول منه في المدرسة
الناصرية الصلاحية خلد الله مُلك واقفها

في السادس والعشرين من ذي القعدة
سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، قال :
أخبرنا الشيخ الثقة الصالح
أبو الخير محمد بن أحمد بن محمد بن عمر
المقدر الإصبهاني قراءة عليه وأنا أسمع ،
قال :
أخبرنا[1] الشيخ أبو عمرو عبد الوهاب بن
أبي عبدالله محمد بن إسحق بن محمد بن يحيى بن
منده الإصبهاني ، قال :
أخبرنا والدي الإمام أبو عبد الله
محمد بن إسحق ، قال :
أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن
الحسن بن الخليل القطّان ، قال :
حدثنا أبو الحسن أحمد بن
يوسف السُّلمي ، قال :
حدثنا عبد الرزاق بن هَمّام بن
نافع الحميري ،
عن مَعْمَر ،
عن هَمّام بن مُنَبِّه ، قال :
هذا ما حدّثنا أبو هريرة ،
عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
قال :

(١) من هنا يبدأ سند النسخة البرلينية بعد البسملة .

١ — نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم . فهذا يومهم الذي فرض عليهم . فاختلفوا فيه . فهدانا الله له . فهم لنا فيه تبع ؛ فاليهود غداً ، والنصارى بعد غد .

٢ — وقال رسول الله ﷺ : مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتاً ، فأحسنها وأجملها وأكملها إلا موضع لَبِنة من زاوية من زواياها . فجعل الناس يطوفون ، ويعجبهم البنيان . فيقولون : ألا وضعت هاهنا لبنة ، فتمّ بناؤه ؟ فقال محمد ﷺ : فأنا اللبنة .

٣ — وقال رسول الله ﷺ : مثل البخيل والمتصدق (٢ آ) كمثل رجلين ، عليهما جبّتان ـ أو جُنّتان ـ من حديد الى ثدييهما ، أو إلى تراقيهما . فجعل المتصدق كلما تصدق بشيء ، ذهبت عن جلده حتى تجن بنانه ويعفو أثره . وجعل البخيل كلما أنفق شيئاً ، أو حدّث به نفسه ، عضّت كل حلقة مكانها ، فيوسّعها ولا تتّسع .

٤ — وقال رسول الله ﷺ : مثلي كمثل رجل استوقد ناراً . فلما أضاءت ما حولها ، جعل الفَراش وهذه الدوابّ التي يقعن في النار ، يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ، ويغلبنه ، فيتقحمن فيها . فذاك مثلي ومثلكم : أنا آخذ بحجزكم عن النار : هلمّ عن النار ، هلمّ عن النار ، فتغلبوني تقحمون فيها .

٥ — وقال رسول الله ﷺ : في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ، لا يقطعها .

٦ — وقال رسول الله ﷺ إياكم والظن ، إياكم والظن ، إياكم والظن ! فان الظن أكذب الحديث ، ولا تناجشوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تنافسوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا .

---

(٣) بهامش الدمشقية : سقط من اصل السماع كلة « بنانه » .
(٥) لا يذكر هذا الحديث في رواية ابن حنبل .

٧ — وقال رسول الله ﷺ : في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو يصلي يسأل ربه شيئاً إلا آتاه إياه ·

٨ — وقال رسول الله ﷺ : الملائكة يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ؛ ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر · ثم يعرج اليه الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ، وهو أعلم بهم ؛ كيف تركتم عبادي ؟ قالوا : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون ·

٩ — وقال رسول الله ﷺ : الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ، وتقول : « اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه » ، ما لم يُحدث ·

١٠ — وقال رسول الله ﷺ : إذا قال أحدكم آمين ، والملائكة في السماء [آمين] فوافق احداهما الاخرى ، غُفر له ما تقدم من ذنبه ·

١١ — وقال أبو هريرة : بينما رجل يسوق بدنة مقلدة ، فقال له رسول الله ﷺ : اركبها · فقال : إنها بدنة ، يا رسول الله · فقال : ويلك ، اركبها ؛ ويلك اركبها ·

١٢ — (٢ ب) وقال رسول الله ﷺ ناركم هذه ، مايوقد بنو آدم ، جزء من سبعين جزءاً من حرّ جهنم · فقالوا : والله ، ان كانت لكافيتنا يا رسول الله · قال : فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرّها ·

١٣ — وقال رسول الله ﷺ : لما قضى الله الخلق ، كتب كتاباً ، فهو عنده فوق العرش ، « إن رحمتي غلبت غضبي » ·

١٤ — وقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ، لو تعلمون ما أعلم ، لبكيتم كثيراً ، ولضحكتم قليلاً ·

---

(١٢) في المخطوطتين : « بنو آدم » ·
(١٤) وهو بين ١٤ و ١٥ · زاد ابن حنبل ههنا حديثاً لا يوجد في المخطوطتين وهو : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه » ·

١٥ — وقال رسول الله ﷺ : الصيام جُنَّة . فاذا كان أحدكم يوماً صائماً ، فلا يجهل ، ولا يرفث . فان امرؤٌ قاتله ، أو شاتمه ، فليقل : إني صائم ، إني صائم .

١٦ — وقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ؛ يذر شهوته وطعامه وشرابه من جراي ؛ فالصيام لي ، وأنا أجزي به .

١٧ — وقال رسول الله ﷺ : نزل نبيٌّ من الأنبياء تحت شجرة ، فلدغته نملة . فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ؛ فأمر بها فأحرقت في النار . فأوحى [الله] اليه : فهلاّ نملة واحدة ؟ !

١٨ — وقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ، لولا أن أشقّ على المؤمنين ، ما قعدتُ خلف سريّة تغزو في سبيل الله . ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة فيتبعوني ، ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي .

١٩ — وقال رسول الله ﷺ : لكل نبي دعوة تستجاب له . فأريد ، ان شاء الله أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة .

٢٠ — وقال رسول الله ﷺ : من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه . ومن لم يحب لقاء الله ، لم يحب الله لقاءه .

٢١ — وقال رسول الله ﷺ : (٣ آ) من أطاعني ، فقد أطاع الله ؛ ومن يعصني ، فقد عصى الله ؛ ومن يطع الأمير ، فقد أطاعني ؛ ومن يعص الأمير ، فقد عصاني .

٢٢ — وقال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال ، فيفيض ، حتى يهمّ رب المال من يتقبل منه صدقته . قال : ويُقبَض العلم ،

(١٩) بهامش الدمشقية : « خ أدخر » . وفي البرليلية : « ادخر » في المتن ، وفي « اوخر » بالهامش .

ويقترب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج . قالوا : الهرج ، ما هو ، يا رسول الله ؟ قال : القتل ، القتل .

٢٣ — وقال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان ، تكون بينهما مقتلة عظيمة ، ودعواهما واحدة .

٢٤ — وقال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى ينبعث دجالون كذّابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله .

٢٥ — وقال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها . فاذا طلعت ورآها الناس ، آمنوا أجمعون . وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها ، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً .

٢٦ — وقال رسول الله ﷺ : اذا نودي بالصلاة ، أدبر الشيطان ، له ضراط ، حتى لا يَسمَع التأذين . فاذا قُضي التأذين أقبل ؛ حتى اذا ثُوّب بها أدبر ؛ حتى اذا قُضي التثويب ، أقبل يخطر بين المرء ونفسه ، ويقول له : « اذكر كذا ، اذكر كذا » لما لم يكن يذكر من قبل ؛ حتى يظلّ الرجل إن يدري كيف صلى .

٢٧ — وقال رسول الله ﷺ : يمين الله ملأى ، لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار . أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض ؟ فانه لم ينقص مما في يمينه . قال : وعرشه على الماء . وبيده الأخرى القبض ، يرفع ويخفض .

٢٨ — وقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ، ليأتينّ على احدكم يوم لا يراني ، ثم لأن يراني أحبّ اليه من مثل أهله وماله معهم .

٢٩ — وقال رسول الله ﷺ : يهلك كسرى ثم لا كسرى بعده ، وقيصر ليهلكنّ ، ثم لا يكون قيصر بعده ؛ ولتنفقنّ كنوزهما في سبيل الله . وسمى الحربَ « خدعةً » .

٣٠ — وقال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل قال : أعددت (٣ ب) لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

٣١ — وقال رسول الله ﷺ : ذروني ما تركتكم . فانما هلك الذين من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، واذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم .

٣٢ — وقال رسول الله ﷺ : إذا نودي للصلاة ، صلاة الصبح ، وأحدكم جُنب ، فلا يصوم يومئذ .

٣٣ — وقال رسول الله ﷺ : لله تسعة وتسعون اسماً ، مائة الا واحداً . من أحصاها دخل الجنة . إنه وتر ، يحب الوتر .

٣٤ — وقال رسول الله ﷺ : اذا نظر أحدكم الى من هو فُضّل عليه في المال والخُلُق ، فلينظر الى من هو أسفل منه ممن فضل عليه .

٣٥ — وقال رسول الله ﷺ : طهور إناء أحدكم ، اذا ولغ الكلب فيه ، فليغسله سبع مرات .

٣٦ — وقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ، لقد هممتُ أن آمر فتياني أن يستعدّوا لي بحزم من حطب ، ثم آمر رجلاً يصلي بالناس ، ثم أحرق بيوتاً على من فيها .

٣٧ — وقال رسول الله ﷺ : نصرتُ بالرعب . وأوتيت جوامع الكلم .

٣٨ — وقال رسول الله ﷺ : اذا انقطع شسع نعل أحدكم ، أو شراكه ، فلا يمش في إحداهما بنعل واحدة ، والأخرى حافية : ليحفهما جميعاً أو لينعلهما جميعاً .

---

(٣١) في المخطوطتين بالهامش : « خ تركتم » (أي بدل : تركتكم) . د بالهامش : « خ فائتمروا » .

(٣٥) بهامش البرلينية : « خ طهر » (أي بدل : طهور) .

(٣٧) بهامش الدمشقية : « خ الكلام » (أي بدل : الكلم) .

٣٩ — وقال رسول الله ﷺ : لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم أكن قد قدرته ، ولكن يلقه النذر وقد قدرته له ، استخرج به من البخيل ويؤتيني عليه ما لم يكن آتاني من قبل ٠

٤٠ — وقال رسول الله ﷺ : إن الله قال : « أنفق أنفق عليك » ٠ وسمى الحرب « خدعة » ٠

٤١ — وقال رسول الله ﷺ : رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق ٠ فقال له عيسى : [سرقتَ ؟ فقال : كلا ، والذي لا إله إلا هو ٠ فقال عيسى : آمنتُ بالله و كذّبتُ عيني ٠

٤٢ — وقال رسول الله ﷺ : ما أوتيكم من شيء ولا أمنعكموه ٠ إن أنا إلا خازن أضع حيث أمرتُ ٠

٤٣ — وقال رسول الله ﷺ : (٤ آ) إنما الإمام ليؤتمّ به ٠ فلا تختلفوا عليه ٠ فاذا كبّر ، فكبّروا ؛ واذا ركع ، فاركعوا ؛ واذا قال : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : « اللهم ربنا لك الحمد » ؛ فاذا سجد ، فاسجدوا ٠ واذا صلى جالساً ، فصلوا جلوساً أجمعين ٠

٤٤ — وقال رسول الله ﷺ : أقيموا الصفّ في الصلاة ٠ فان اقامة الصف من حسن الصلاة ٠

٤٥ — وقال رسول الله ﷺ : تحاجّ آدم وموسى ٠ فقال له موسى أنت آدم الذي أغويتَ الناس فأخرجتهم من الجنة الى الأرض ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذي أعطاه الله علم كل شيء ، واصطفاه على الناس برسالته ؟ قال : نعم ٠ قال : أتلومني على أمر قد كتب عليّ أن أفعل من قبل أن أُخلَق ؟ فحجّ آدم موسى ٠

---

(٤١) ضاع ورقة في ب ٠ و « [» علامة ابتداء السقطة ٠

٤٦ — وقال رسول الله ﷺ : بينما أيوب يغتسل عرياناً ، خرّ عليه رِجل جراد من ذهب . فجعل أيوب يحثي في ثوبه . قال : فناداه ربه : يا أيوب : ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى يارب ، ولكن لا غنى بي عن بركتك .

٤٧ — وقال رسول الله ﷺ : خفّف على داود القرآن . فكان يأمر بدوابه تسرج . فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته . وكان لا يأكل إلا من عمل يديه .

٤٨ — وقال رسول الله ﷺ : رؤيا الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة .

٤٩ — وقال رسول الله ﷺ : يسلّم الصغير على الكبير ، والمارّ على القاعد ، والقليل على الكثير .

٥٠ — وقال رسول الله ﷺ : لا أزال أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله . فاذا قالوا لا اله الا الله ، فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم وأنفسهم إلا بحقها وحسابهم على الله .

٥١ — وقال رسول الله ﷺ : تحاجّت الجنة والنار . فقالت النار : أوثرتُ بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة : فمالي ، لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرّتهم . فقال الله للجنة : إنما أنتِ رحمتي ، أرحمُ بكِ من أشاء من عبادي . وقال للنار : إنما أنتِ عذابي : أُعذّب بك من أشاء من عبادي . ولكل واحدة منكما ملؤها . فأما النار فلا تمتلئُ حتى يضع الله تعالى فيها رِجله فتقول : قطِ قطِ . فهنالك تمتلي ويزوي بعضها الى بعض . ولا يظلم الله من خلقه (٤ ب) أحداً . وأما الجنة فان الله عزّ وجل ينشيءُ لها خلقاً .

٥٢ — وقال رسول الله ﷺ : إذا استجمر أحدكم فليوتر .

٥٣ — وقال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : اذا تحدّث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ، ما لم يعملها ؛ فاذا عملها فأنا أكتبها له

بعشر أمثالها . واذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له مالم يعملها ؛ فاذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها .

٥٤ — وقال رسول الله ﷺ : والله ، لقيد سوط أحدكم من الجنة خير له مما بين السماء والأرض .

٥٥ — وقال رسول الله ﷺ : ان أدنى مقعد أحدكم من الجنة ان هيَ له أن يقال له : تمنّ . فيتمنى ويتمنى . فيقال له : هل تمنيت ؟] فيقول : نعم . فيقول له : فإن لك ما تمنيت ومثله معه .

٥٦ — وقال رسول الله ﷺ : لولا الهجرة ، لكنت امرءاً من الأنصار . ولو يندفع الناس في شعبة ، أو في وادٍ ، والأنصار في شعبة ، لاندفعتُ مع الأنصار في شعبهم .

٥٧ — وقال رسول الله ﷺ : لولا بنو اسرائيل ، لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم . ولولا حواء ، لم تخن أنثى زوجها الدهر .

٥٨ — وقال رسول الله ﷺ : خلق الله آدم على صورته : طوله ستون ذراعاً . فلما خلقه ، قال : « اذهبْ فسلّمْ على أولئك النفر » — وهم نفر من الملائكة جلوس — « فاستمع ما يحيّونك . فانها تحيتك وتحية ذريتك » . قال : فذهب ، فقال : السلام عليكم . فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، فزادوا « ورحمة الله » . قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم : طوله ستون ذراعاً . فلم يزل الخلق ينقص بعدُ حتى الآن .

٥٩ — وقال رسول الله ﷺ : جاء ملك الموت الى موسى ، فقال له :

---

(٥٥) « [» علامة انتهاء السقطة في ب .

(٥٧) في المخطوطتين : « بنوا اسرائيل »

(٥٨) بهامش البرلينية : « خ معا : يحيبونك » (اي بدل : يحبونك) . وفيه أيضاً « خ معا فزادوه » (اي بدل : فزادوا) .

أجبْ ربك . قال : فلطم موسى عين ملك الموت ، ففقأها . قال : فرجع الملك الى الله عز وجل ، فقال : إنك أرسلتني الى عبد لك لا يريد الموت ؟ وقد فقأ عيني . قال : (٥ آ) فردَّ الله اليه عينه ؛ قال : ارجعْ الى عبدي فقل له : الحياة تريد ؟ فان كنت تريد الحياة ، فضعْ يدك على متن ثور ؛ فما وارت يدك من شعرة فانك تعيش بها سنة . قال : ثم مه ؟ قال : ثم تموت . قال : فالآن من قريب . قال : ربِّ ادنني من الأرض المقدسة رمية بحجر . وقال رسول الله ﷺ : لو أني عنده ، لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر .

٦٠ — وقال رسول الله ﷺ : كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض ، وكان موسى يغتسل وحده . فقالوا : والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر . قال : فذهب مرة يغتسل ، فوضع ثوبه على حجر ، ففرَّ الحجر بثوبه . قال : فجمح موسى في أثره ، يقول : « ثوبي ، حجر ؛ ثوبي ، حجر ! » حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوأة موسى ، فقالوا : والله ، ما بموسى من بأس . قال : فقام الحجر بعد ما نُظر اليه ، فأخذ ثوبه ، وطفق بالحجر ضرباً . فقال أبو هريرة : والله ، إنه ندب بالحجر ستة أو سبعة ضرب موسى بالحجر .

٦١ — وقال رسول الله ﷺ : ليس الغنى من كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس .

٦٢ — وقال رسول الله ﷺ : إن من الظلم مطل الغني . وإن اتبع أحدكم على مليء فليتبع .

٦٣ — وقال رسول الله ﷺ : أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه وأغيظه عليه رجل كان يسمى ملك الأملاك ، لا ملِك الا الله عز وجل .

---

(٦٠) في المخطوطتين : « بنوا اسرائيل » .

٦٤ — وقال رسول الله ﷺ : بينما رجل يتبختر في بُردين وقد أعجبته نفسه ، خسف به الأرض • فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة •

٦٥ — وقال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي •

٦٦ — وقال رسول الله ﷺ : من يولد ، يولد على هذه الفطرة • فأبواه يهوّدانه وينصرانه • كما تنتجون البهيمة ، هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها ؟ قالوا : (٥ ب) يا رسول الله ، أفرأيت من يموت ، وهو صغير ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين •

٦٧ — وقال رسول الله ﷺ : إن في الانسان عظماً ، لا تأكله الأرض أبداً • فيه يركب يوم القيامة • قالوا : أي عظم ؟ قال : عجم الذنب •

وقال أبو الحسن : إنما هو «عجب» ، ولكنه قال بالميم •

٦٨ — وقال رسول الله ﷺ : إياكم والوصال ، إياكم والوصال ، قالوا : فانك تواصل يا رسول الله • قال : اني لست في ذلكم مثلكم : اني أبيت يطعمني ربي ويسقيني ؛ فاكفلوا من العمل مالكم به طاقة •

٦٩ — وقال رسول الله ﷺ : اذا استيقظ أحدكم فلا يضع يده على الوضوء حتى يغسلها • إنه لا يدري أحدكم أين باتت يده •

٧٠ — وقال رسول الله ﷺ : كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع عليه الشمس • قال : تعدل بين الاثنين ، صدقة • وتعين الرجل في دابته وتحمله عليها ، أو ترفع له عليها متاعه ، صدقة • والكلمة الطيبة ، صدقة • وكل خطوة تمشيها الى الصلاة ، صدقة • وتميط الأذى عن الطريق ، صدقة •

(يتبع) الدكتور محمد حميد الله

التعريف والنقد

اللغة العربية

أصولها النفسية وطرق تدريسها

تأليف الدكتور عبد العزيز عبد المجيد (دار المعارف بمصر)

هذا الكتاب انما هو خلاصة تجارب الدكتور عبد العزيز عبد المجيد وقراءاته ومباحثه ودراساته في ميدان تدريس اللغة خلال اثني عشر عاماً .

أصبح التدريس علماً وفناً بعد أن كان فناً على نحو ما أشار اليه المؤلف في المقدمة وأصبحت له قواعد علمية كشف عنها علم النفس وقد ذكر المؤلف هذه القواعد في مؤلفه على قدر ما وصل اليه العلماء في مباحثهم وتجاربهم وأضاف الى هذا كله نتائج تجاربه الخاصة في تدريس اللغة العربية على اختلاف مراحل هذا التدريس .

قد يطول الكلام على الموضوعات التي خاض فيها صاحب الكتاب وأكثرها حديث لم تشر اليه كتب اللغة في قديم عصورنا وانما هو من مستحدثات هذا العصر وقد استشهد المؤلف بآراء كثير من العلماء في تعريف اللغة وفي الصلة بينها وبين الفكر وفي المراكز العصبية للغة وغير ذلك من الموضوعات الدقيقة ولئن اهتمّ علماء اللغة بمعرفة تكوين اللغات وما لتركيب الأعضاء وعلم النفس والاجتماع من أثر في هذا التكوين فانما نهتم معاشر الأدباء باللغة من حيث أنها أداة ننقل بها الى الناس فكرنا وشعورنا وحسنا وذوقنا وينقل الناس بها الينا هذه الأمور كلها وعلى ما به فلا بدّ لنا في مثل هذا الاهتمام من معرفة أصول تدريس هذه اللغة والاهتداء الى ذوق محاسنها والأستاذ المؤلف مارس

هذا التدريس وتدل على براعته في هذه الممارسة نظراته الثاقبة في تدريس البلاغة أو في فهم الشعر ومن هذه النظرات اشارته المختصرة الى أبيات البحتري المشهورة في وصف الربيع فبعض أساتذة الأدب اذا بلغوا الى هـذه الأبيات وامثالها اقتصروا على شرح ألفاظها ومشتقاتها وعرضوها عرضاً جامداً لا حياة فيه فذهبوا بنضرتها وروعتها وقضوا على محاسنها لأنهم لم يدركوا حقيقة أصوات الطبيعة فيها وحركاتها وإشاراتها وألوانها ومن نظراته الثاقبة أشارته الى بعض أبيات المعري وارشاده الى أسلوب تدريس هذه الأبيات •

أجل ! انا لا نهتم معاشر الأدباء بفهم اللغة من ناحية الأعضاء أو علم النفس والاجتماع بقدر اهتمامنا بهذا الفهم من ناحية التدريس فقد يمرُّ بنا في خلال التدريس لفظ محسوس يكاد يكون صورة ناطقة بنفسه أو قد يمرُّ بنا لفظ شديد التناسب بينه وبين معناه فمهمتنا في التدريس الاشارة الى هـذا اللفظ واستخراجه من مدفنه وعرضه على الأذهان حتى تشعر بمحاسنه وحتى تذوق هذه المحاسن فاذا لم نفهم حسن الألفاظ حق الفهم فقد نخفق في نقل أفكارنا وشعورنا الى الناس وما يقال في مفردات اللغة يقال في الجمل فالبلاغة لا تدرَّس مجردة والتعريفات الجامدة لا قيمة لها وانما البلاغة تدرَّس في قطعة من القطع الأدبية فالأستاذ الذي يفسر نصاً أدبياً يشير الى ما اشتمل عليه هذا النص من وجوه البلاغة وعلى هذا الشكل يكون ادراك الطالب للبلاغة ولسرّ الألفاظ والجمل أتمّ •

هذا كله أشار اليه الدكتور عبد العزيز عبد المجيد في كتابه وهـذا هو الذي يهمنا معاشر الأدباء من كتابه الحديث في آرائه ومذاهبه ، انا في حاجة شديدة الى أساليب حديثة في فهم لغتنا وأدبنا واذا كنا نمرُّ في كثير من الأحيان بقطع أدبية تكاد تكون آية في البلاغة وحسن التنسيق فقد نمرُّ في بعض الأحيان بفصول كاملة تكاد تكون فوضى ولا سيا فصول التراجم

فقد يشير المؤلف الى وفاة الرجل قبل الاشارة الى ميلاده ويذكر مؤلفاته قبل ذكر ثقافته وأساتذته وينقد طائفة من هذه المؤلفات قبل الاشارة اليها وهذا كله يؤثر في تفكيرنا أسوأ تأثير ويجعل هذا التفكير فوضى لا نظام له ، نبدأ من حيث يجب أن ننتهي ، وننتهي من حيث يجب أن نبدأ .

فاذا كان فضل الدكتور عبد العزيز عبد المجيد عظيماً في تعريفنا باللغة من حيث صلتها بتركيب الأعضاء أو بعلم النفس أو بالاجتماع فان فضله أعظم من حيث ارشادنا الى تدريس اللغة والأدب على أحدث الأساليب .

طبقات فحول الشعراء

تأليف محمد بن سلام الجمحي

شرحه محمود محمد شاكر (دار المعارف للطباعة والنشر)

صدّر الأستاذ محمود محمد شاكر كتاب طبقات فحول الشعراء بمقدمة بسط فيها أول عهده بهذا الكتاب وبيّن كيف عثر على نسخته المخطوطة وأشار الى طبع كتاب طبقات الشعراء لأول مرّة ووضح الاختلاف بين نسخته التي ظفر بها وبين النسخ المطبوعة ثم دوّن ترجمة راوية الكتاب أبي خليفة الجمحي وهو ابن اخت محمد بن سلام صاحب الطبقات كما دون ترجمة ابن سلام نفسه وردّ على المستشرق الألماني يوسف هِلْ وجمع من كتاب الأغاني لأبي الفرج كل ما وقف عليه مما فيه ذكر ابن سلام وتولى شرح الديوان وخالف في بعض شرحه بعض ما ذهب اليه الأئمة .

من هذه المخالفات ما جاء في شرح أبيات الفرزدق المشهورة :

وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ترةً من جذبها بالعصائب
سروا يركبون الريح وهي تلفهم الى شعب الأكوار ذات الحقائب

فقد يشير المؤلف الى وفاة الرجل قبل الاشارة الى ميلاده ويذكر مؤلفاته قبل ذكر ثقافته وأساتذته وينقد طائفة من هذه المؤلفات قبل الاشارة اليها وهذا كله يؤثر في تفكيرنا أسوأ تأثير ويجعل هذا التفكير فوضى لا نظام له ، نبدأ من حيث يجب أن ننتهي ، وننتهي من حيث يجب أن نبدأ .

فاذا كان فضل الدكتور عبد العزيز عبد المجيد عظيماً في تعريفنا باللغة من حيث صلتها بتركيب الأعضاء أو بعلم النفس أو بالاجتماع فان فضله أعظم من حيث ارشادنا الى تدريس اللغة والأدب على أحدث الأساليب .

طبقات فحول الشعراء

تأليف محمد بن سلام الجمحي

شرحه محمود محمد شاكر (دار المعارف للطباعة والنشر)

صدّر الأستاذ محمود محمد شاكر كتاب طبقات فحول الشعراء بمقدمة بسط فيها أول عهده بهذا الكتاب وبيّن كيف عثر على نسخته المخطوطة وأشار الى طبع كتاب طبقات الشعراء لأول مرّة ووضح الاختلاف بين نسخته التي ظفر بها وبين النسخ المطبوعة ثم دوّن ترجمة راوية الكتاب أبي خليفة الجمحي وهو ابن اخت محمد بن سلام صاحب الطبقات كما دوّن ترجمة ابن سلام نفسه وردّ على المستشرق الألماني يوسف هِلْ وجمع من كتاب الأغاني لأبي الفرج كل ما وقف عليه مما فيه ذكر ابن سلام وتولى شرح الديوان وخالف في بعض شرحه بعض ما ذهب اليه الأئمة .

من هذه المخالفات ما جاء في شرح أبيات الفرزدق المشهورة :

وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ثرةً من جذبها بالعصائب
سروا يركبون الريح وهي تلفهم الى شعب الأكوار ذات الحقائب

قال الأستاذ في الشرح : وأجود الروايات : يخبطون الليل ويركبون الليل ...
فلو قال : وفي رواية : يخبطون الليل أو يركبون الليل ... لما كان لنا اعتراض ، أما أن يقول : وأجود الروايات ... فهذا كلام قد يكون لنا رأي فيه فان كلمة الريح في بيت الفرزدق تكاد تكون صورة شعرية ناطقة بسبب هذه المناسبة الشديدة بين السرعة وبين الريح ، فضلاً عن أن العصر الذي نعيش فيه انما هو عصر الطيارات ، فاذا أحببنا أن نقول الشعر في طيار من الطيارين أفترى أصلح من قولنا : يا راكب الريح ! على أن المسألة مسألة ذوق في اختيار الألفاظ ولا جدال في الأذواق .

واذا أحببت أن أجمل خصائص مقدمة الاستاذ محمود محمد شاكر وخصائص شرحه فاني لا أرى مندوحةً عن الاعتراف بظهور آثار التحقيق والتدقيق على هذه المقدمة وهذا الشرح ، دع أن الأستاذ منصف كل المنصف فقد رغب الى كل من يعنُّ له رأي في شيء مما ذكره وأشار اليه أو في نقد لما قاله أو فعله أن يرسل اليه هذا الرأي وهذا النقد .

أما كتاب طبقات فحول الشعراء فقد فصّل فيه الجمحي الشعراء من أهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين فنزّلهم منازل واحتجّ لكل شاعر بما وجد له من حجة وما قال فيه العلماء ومضى له قول في الشعر واختلاف العلماء فيه وفي صناعته وثقافته وذكر أول من تكلم بالعربية وأول من استنّها وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها وهو أبو الأسود الدؤلي وذكر من جاء بعده ثم رجع الى الكلام على الشعر في الجاهلية والاسلام وعلى ذهابه وسقوطه ثم ذكر بعض ما روي من قديم الشعر وأشار الى بعض الزيادات التي زادها الرواة والى بعض التوليدات التي ولّدوها .

اذا كنا نطالع كتاب طبقات فحول الشعراء ليكون لنا رأي في طبقة

كل شاعر في الشعر فهذا أمر غير يسير ، فمن كلام يونس بن حبيب : ماذكر جرير والفرزدق في مجلس شهدته قط فاتفق المجلس على أحدهما ، معنى هذا أن الأذواق تختلف اختلافاً عظيماً في تقدير نتاج الخواطر وثمرات القرائح ومهما نشأ أن نضع قواعد عامة في النقد فقد تكون قاعدة هذا الاختلاف أعمّ القواعد لأن لكل ناقدٍ رأياً خاصاً وذوقاً خاصاً وشعوراً خاصاً ومن الصعب أن نجد اجماعاً في أمور الفن يشبه الإجماع في أمور العلم .

أما اذا كنا نطالع كتاب الجمحي لنرى فيه اثراً من آثار الشعور والعاطفة والوصف في شعر بعض أهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين فقد نظفر من هذا كله بأشياء كثيرة حتى اذا أراد ناقد الشعر على مختلف أزمانه وأطواره أن يقابل ويوازن ويقايس فانه يرى مجال هذه المقابلات والموازنات والمقايسات ذا سعة وكذلك اذا أراد عالم اللغة أن يشهد حياة الألفاظ التي تعيش في عصرٍ من العصور ثم تموت في عصر آخر فانه يشهد من هذا الشكل أموراً غريبة تدل على أن الألفاظ تولد فتعيش وتموت على نحو المخلوقات الحية .

شفيق جبري

تصحيح خطأ مطبعي

وقع خطأ في الصفحة (٢٤) من مقال : « تعريف الاصطلاحات العلمية » المنشور في الجزء الأول من المجلد الثامن والعشرين ما يلي :

« مع تبديل وتحديد معناه تحديداً جديداً » وصوابه « مع تبديل معناه وتحديده تحديداً جديداً » .

وجاء في الصفحة ٢٧ من المقال نفسه «**Hipothèse**» وصوابه «**Hypothése**» .

تهذيب الصحاح

معجم (الصحاح) للجوهري أشهر معاجم اللغة وأوثق مصادرها . ولفظ الصحاح يجوز فيه كسر الصاد جمعاً لصحيح وفتحها وصفاً مفرداً بمعنى الصحيح . وانما سمي به لأن مؤلفه رحمه الله توخى أن يدوّن فيه ما ثبتت عنده صحة استعماله في كلام العرب . ولا سيما الذين سكنوا ديار مُضَر منهم . ووقع في (الصحاح) هنات : من مثل تكرر الكلام في شرح بعض المواد اللغوية واستطرادات قليلة لا فائدة فيها ووهَم في تفسير بعض كلمات اللغة ـ كل ذلك حمل الفضلاء والغُيُر على اللغة العربية وعلى مصدر يعتبر في طليعة مصادرها ـ حملهم على العناية بهذا الكتاب شرحاً وتعليقاً واستدراكاً . ومن جملة خدمتهم له تهذيبه بحذف ما لا يعلق بمصلحة الطالب المستفيد . وأشهر تهاذيبه وأقدمها نشراً وطبعاً كتاب (مختار الصحاح) . ومن أمتعها فائدة وأجزلها عائدة (تهذيب الصحاح) تأليف (محمود بن احمد الزنجاني) الذي استشهد في فتنة التتار ببغداد سنة ٦٥٦ ﻫ وقد وجدت مخطوطة من هذا الكتاب نادرة في خزانة كتب الأستاذ الشيخ محمد سرور الصبان فأحب نشرها بالطبع ليرتوي النشء من منهلها العذب . ويجتنوا من أدواحها الثمر الرطب . فعهد بذلك الى أستاذين فاضلين من أشهر رجال الثقافة اللغوية العربية وأنشطهم في نبش آثارها والكشف عن أسرارها : أحدهما حجازي وهو احمد عبد الغفور عطار والآخر مصري وهو عبد السلام محمد هارون . فقاما بهذه المهمة خير قيام . وأحكموا صنعها أحسن إحكام . وطبع الكتاب في (دار المعارف) مُهدى الى صاحب الجلالة (عبد العزيز آل سعود) ومزيناً برسمه الكريم ومفتتحاً بثلاث مقدمات بقلم صاحب النسخة ومحققيها الفاضلين ومفرغاً بثلاثة أجزاء أوثلاثةأقسام بلغ عدد صفحاتها أكثر من ألف ومئة صفحة . وقد طبع مع القسم الثالث ملاحق وفهارس تصلح أن تكون جزءاً قائماً بنفسه . والمهم من ذلك كله التعليقات التي

طبعت في ذيل الصفحات شرحاً وبياناً لموضع الحاجة في الكتاب وهي التي جعلت الكتاب أجزاء فخمة ولو اقتصر فيه على ما قاله المؤلف الزنجاني وانتقاه وهذّبه لما تخطى أن يكون الكتاب جزءاً لطيف الحجم كمختار الصحاح مثلاً . فيكون ناشرو الكتاب تجاوزوا غرض المؤلف وعادوا على موضوعه بالنقض : هو أراد أن يخفف مؤنة اللغة على طالبيهافيكون (الصحاح) كتاباً خفيف الحمل قريب التناول والناشرون أبى حرصهم على العلم ونشر فوائده الا أن يجعلوا من الكتاب بحراً خضماً .

هذه بادرة أو خاطرة عابرة ـ كما يقولون ـ والا فقلما يحظى محب اللغة والحريص على شواردها وفوائدها بمثل هذا الكتاب جمعاً وتحقيقاً وحسن ايراد واطيف مأخذ .

والكلام على ما ألف في اللغة من كتب ومعاجم والمقارنة بينها ومنزلة (الصحاح) منها وتهاذيبه والموازنة بينها والمؤلف وشيء من سيرته وسائر ما له علاقة بالتعريف بهذا الكتاب ـ كل ذلك أتى عليه الأستاذ (احمد عبد الغفور العطار) في مقدمته الثالثة للكتاب . والنفس تنازعني أن أنقل بعض التعليقات على ذلك الكتاب لكن رأيت أن الأمر يطول وأن الأجدر بي أن أنقل اليه بعض ما كتبه (الأستاذ العطار) في مقدمته للتعريف بهذا الكتاب :

قال : ان نسخة تهذيب الصحاح هي نسخة فريدة نادرة في خزائن العالم جميعاً ، كتبت بخط يشبه خط القرن التاسع الهجري ، وليس على النسخة اسم الكتاب ولا مؤلفه ، ولم نجد فيما لدينا من المراجع نصاً صريحاً يدلنا عليه ، وأما اسم مؤلفه فقد اهتدينا اليه بما ورد في مقدمة الكتاب التي نقل بعضها السيد محمد صديق حسن خان بهادر ، ملك مملكة بهوبال في صفحة ١٢٩ من كتابه « البلغة في أصول اللغة » في الفصل الذي عقده عن صحاح الجوهري ، وذكر أنها مقدمة محمود بن احمد الزنجاني للكتاب الذي اختصر فيه كتابه الآخر « ترويح الارواح ، في تهذيب الصحاح » .

وهذا نص «البلغة» : «واختصره محمود بن احمد الزنجاني المتوفى سنة ...
قال : لما فرغت من كتاب ترويح الأرواح ، في تهذيب الصحاح ، ووقع حجمه موقع الخمس من كتابه بتجريد لغته من النحو والتصريف الخارجين عن فنه ، واسقاط ما لا حاجة اليه من الأمثال والشواهد أوجزته ايجازاً ثانياً حتى وقع حجمه موقع العشر» .

قال : وقد فكرنا في اختيار اسم لهذا الكتاب الذي لم يسم على نسخة الأصل ولا في المراجع التاريخية ، فرأينا أن نقتبس له اسماً من الكتاب الآخر للمؤلف ، وهو «ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح» فأسميناه «تهذيب الصحاح» .

رحلة «ريج *Rich*» في العراق

عام ١٨٢٠ م

من يوم أن التحقت البلاد العربية بالدولة العثمانية وأصبحت جزءاً منها (أي منذ أربعمائة سنة) نزلت آية الحجاب عليها : فلم يعد أحد من كتابنا معشر العرب يدون آثارها ويبلو أخبارها . واذا ذكر شيء من وقائعها التاريخية فانما يذكر عرضاً في تضاعيف ما يكتب عن تاريخ العثمانيين ومختلف أخبارهم . وكما أنه لم توضع كتب تاريخ مستقلة لبلادنا كذلك لم يخصها أحد برحلة فيدون في رحلته ما رأى وسمع من تراجم أشخاص أو وصف آثار أو حكاية وقائع وأخبار . كما فعل (الشيخان المغربيان ابن جبير وابن بطوطة في تدوين أخبار رحلتيهما الى الأقطار المشرقية قبيل ظهور الدولة العثمانية) اللهم الا الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي فان رحلاته كشفت عن شيء من حالة البلاد التي زارها منذ ٢٥٠ سنة . ووصفت جانباً من ثقافة سكانها وأطوار حياتهم الاجتماعية . لكنه وصف ممزوج بقليل من التحقيق وبكثير من البحوث الدينية التي قد يلذها قراء زمانه وبمبالغات في تحلية

الأشخاص واطراء الحكام اقتضتها طبيعة ذلك العهد وطريقة أهله في ايراد الحوادث ومسرد الوقائع مفرغاً ذلك كله في قالب مسجع . وأسلوب مسهب متكلف .

ولم نظفر بصورة كاملة عن حياة أسلافنا المتأخرين ومستواهم الاجتماعي والاخلاقي الا في ما كتبه سياح الافرنج في رحلاتهم الى الشرق العربي : فان من علق بشيء مما كتبوه عن بلادنا في تلك الحقبة ظفر بفائدة لا توصف . وشعر بلذة لا تنسى . وخاصة ما كان من تلك الرحلات محلى برسوم الأماكن وصور الأشخاص كالرحلة التي أهديت الى مجمعنا أخيراً وهي (رحلة ريج Rich في العراق عام ١٨٢٠) م وريج هذا هو (كلود لويس جيمس) ممثل شركة الهند الشرقية والمقيم البريطاني في بغداد في أوائل القرن ١٩ كتبها بالانكليزية وطبعتها أرملته سنة ١٨٣٦ أي بعد وفاته ونقلها الى اللغة العربية الأستاذ بهاء الدين نوري أحد فضلاء العراق وطبعت الترجمة في مطبعة السكك الحديدية ببغداد سنة ١٩٥١ م . والمطبوع من ترجمة الرحلة هو جزؤها الأول وقد ألحق به الفصل ١٢ من الجزء الثاني وستة ملاحق أخري فبلغت نحو ٣٥٠ صفحة . والكل يدور الحديث فيه حول وادي دجلة وما عليه من العمران وقديم البنيان ومن فيه من السكان : عرب ، ترك ، ايرانيين ، نسطوريين ، أكراد ، يزيدية ، يتخلل ذلك رسوم أثرية وصور أشخاص مختلفي الجنسية : جنديان كرديان . زوجان نسطوريان . زوجان يزيديان . سيدات كرديات يرقصن . وغير ذلك من الوقائع والحوادث يقصها (ريج) على قارئ رحلته فيجعله كأنه معه بعينه وأذنه : فيسمع عن (أمجاد الأكراد) و (تخت سليمان) و (الصلاة الشرقية) و (شهر رمضان) و (تقوى محمود باشا) و (مغالطات مضحكة) و (لعبة غريبة) و (اليهود) و (حفلة عرس) والأكراد : نساؤهم ، جنائزهم ، أخلاقهم ، مقارنة بينهم وبين الأتراك والإيرانيين الى غير ذلك من شؤون شتى : إدارية وسياسية واقتصادية واثنوغرافية وعلاقات ديبلوماسية بين تركيا وايران .

وهل كان المؤلف (ربج) موضع ثقة في ما قال وسرد من الحوادث والأخبار ؟ سأل المترجم الفاضل المستر لونكريك (مؤلف كتاب أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) عن رأيه في ما دوّنه (ربج) في رحلته هذه فلم يجده ميالاً الى الأخذ بكل ما جاء فيها عن الأكراد . بينما نرى المستر مينورسكي أحد أعلام الدراسات الشرقية يستشهد في بحث له عن (القرآن) بما قاله (ربج) عنهم في رحلته المذكورة .

ذكر المترجم كل هذا في مقدمته للكتاب وارتأى أن لا يؤخذ بما في الرحلة من دون تمحيص : لأن ربج لم يرحل الى العراق لدراستها دراسة مؤرخ محقق بل ما كان الوقت الذي قضاه فيها كافياً للدراسة العميقة لو أرادها . وكل ما أراده الراحة والاستجمام . ومهما يكن فان في كثير مما جاء في هذه الرحلة جلاء لكثير من غموض غشّى تاريخ بلاد العراق والأكراد وحالة سكانها .

هذا ملخص ماجاء في مقدمة المترجم الأستاذ بهاء الدين نوري . وقد نُشر بعدها مقدمة لناشرة الكتاب زوجة ريج . ثم ترجمة مسهبة لريج نفسه ضمنها كثيراً من أطواره ومختلف أخباره ، واليكم نموذجات من الكتاب تصف بعض ما فيه من مفاجآت تاريخية يحرص على مثلها عشاق المطالعة وروّاد الأخبار :

(السليمانية عاصمة بلاد الأكراد منذ مئة وعشر سنوات) تحتوي على الفي دار للمسلمين و (١٣٠) لليهود و (٩) للكلدانيين الذين لهم كنيسة صغيرة كئيبة . وخمس دور للأرمن وهؤلاء لا كنيسة لهم ولا قسيس . وخمسة خانات . وخمس حمامات منها واحد جيد وخمسة جوامع منها واحد جيد .

(وصف حمام) : قال (ربج) : ذهبت صباح اليوم الى الحمام فألفيته جميلاً جداً وكانت إضاءته جيدة والخدمة فيه حسنة . ووجدته أرقى من كل حمام شاهدته في المملكة التركية عدا حمامات الشام واستامبول والقاهرة بل ويمتاز على هذه في بعض النواحي . مُلطت جدرانه بملاط خافقي وصُبغ على الطراز

العربي وزوّق بالأحواض ذات النافورات . شيده باشا السليمانية على نفقته مستخدماً معمارين ايرانيين . يقال انه قلد فيه حمام كرمانشاه . والمسلم ينفق المال بسخاء على الحمام ويعد ذلك نوعاً من التقوى . والجيوش في الحروب لا تتعدى على الحمامات وقد يحميها مالكها بوقفها .

(وصف الصلاة الاسلامية) قال : أتيحت لي فرصة لرؤية أمر كثيراً ما استرعى انتباهي : ألا وهو أن الصلاة الشرقية ليست الا أمراً نمطياً رتيباً (رُوتينياً) . ثم وصف (ريج) تهيؤ مضيفه الكردي للصلاة وخشوعه وإصداره الأوامر الى خدمه خلال الصلاة الى أن قال : (وكثيراً ما لاحظت عدم المبالاة من المسلمين اذ يتكلمون أو يتعاتبون أو ينظرون الى ما حولهم وهم ركّع . والواقع ان هذه الصلاة صلاة أسلوبية لا تتغير بل تتردّد وتتكرّر الى حد أن أصبحت تحاكي التمثيل الصامت المضحك) .

كذا قال (ريج) ولعمري ان جهله في وصف صلاتنا مضحك صارخ لا صامت . والا فان الأكراد شوافع وعُرفوا من بين المسلمين بالتمسك بالدين . وهل يعقل أن يتكلموا في الصلاة وهم راكعون . ويذكرنا هذا بما نقلناه في المقدمة عن المستر لونكريك من أنه لا يستحسن الأخذ بما قاله (ريج) عن الأكراد . أما قوله عن صلاتنا انها صلاة صموت وانها لا تتغير : يعيبها بذلك ، فهو لعمري نعم المدح لها والاعتراف بحسنها ولا يتسع المقام لما يجب أن يقال في هذا الموضوع فان الوهم . وسوء الفهم . ظاهران في كلام المستر (ريج) .

(شهر رمضان) : المسلمون فيه يجعلون ليلهم نهاراً فينامون في النهار ويقضون ساعات الصيام بالاعتكاف وتلاوة القرآن ويكرّسون الليل للأكل واستقبال الزوّار .

(وصف رقص نساء الأكراد) : أطال (ريج) في هذا الوصف وجاء فيه قوله : (ثم بدأت الموسيقى تعزف لحن الدبكة (الجوبى) فتقدم رتل من نحو

ثلاثين امرأة متماسكات الأيدي بخطى وئيدة رشيقة . وهن على أتم ما يكون من التزين بالزراكش الذهبية وأثواب الحرير الملوّنة دون أي حجاب . لقد كان منظراً بديعاً حقاً بل كان أمراً جديداً بالنسبة اليّ . إذ لم أر حتى الآن النساء في الشرق مختلطات بالرجال بمثل هذه الحرية . ثم وصف اهتزازهن في رقصهن وتقدمهن وتأخرهن (ولم يقمن بأية حركة نابية في رقصهن) قال (ثم انقطعت الموسيقى فانسحبت الراقصات الى بيوتهن بعد أن تحجبن من القمة الى الأخمص) ولاحظ (ريج) على التحجب بعد التبذّل قائلاً : إن الرجال الذين شاهدوا هؤلاء الراقصات في الحفلة كانوا اكثر ممن يحتمل أن يراهن في شوارع السليمانية قال (وأغلبهن جميلات فاتنات) .

(كردية رجُلة) : قال : زارني فيض الله أفندي رئيس ديوان باشا بغداد وحينما أراد الانصراف وجاء خدمه بجواده قال لي أريد أن أريك شيئاً طريفاً لم تشاهده في حياتك ونادى خادماً من خدمه وسألني عما اذا كنت ألاحظ شيئاً غير اعتيادي في هذا الخادم . فأجبته بالنفي وانما أرى فتى قوياً . فقال كلا بل فتاة كردية بلباس الفتى (وعلى رأسها شال حريري وهي ذات قامة هيفاء وعمرها بين ٢٥ — ٣٠ سنة ذات ملامح كردية أصيلة وقد لوّحتها الشمس) ثم وصف من أخبار شجاعتها وأنفتها وبكارتها وحسن سلوكها ما يعجب ويطرب .

هذا نموذج مما في الكتاب وكله على هذا النمط من حيث دقة الوصف وتتبع جزئيات الأخبار والأطوار فالشكر الجزيل لمترجمه ومهذبه .

المغربي

المدخل الفقهي العام

الى الحقوق المدنية في البلاد السورية

تأليف الشيخ مصطفى الزرقاء (طبع الجامعة السورية في ٦٩٥ صفحة)

يعد هذا الكتاب، في نظرنا، خير كتاب في التوطئة لدراسة مجلة الأحكام العدلية ـ القانون المدني العثماني القديم ـ وهو الى ذلك دفاع مجيد عن عظمة الفقه الاسلامي، وقد نقل لنا مؤلفه ثلاثة نصوص دولية خطيرة تشيد بمزايا فقهنا ويسرنا أن نثبتها في هذه المجلة :

القرار الأول : اتخذه مؤتمر الحقوق المقارنة المنعقد بمدينة لاهاي في شهر آب من عام ١٩٣٧ وهو يتضمن ثلاثة مبادئ :

(١ — اعتبار الشريعة الاسلامية مصدراً من مصادر التشريع العام .

٢ — اعتبارها حية قابلة للتطور .

٣ — اعتبارها تشريعاً قائماً بذاته ليس مأخوذاً من غيره) .

القرار الثاني : اتخذه مؤتمر المحامين الدولي عام ١٩٤٨ وهذه ترجمته :

«اعترافاً بما في التشريع الاسلامي من مرونة وما له من شأن يجب على جمعية المحامين الدولية أن تقوم بتبني الدراسة المقارنة لهذا التشريع وبالتشجيع عليها» .

القرار الثالث : اتخذه مجمع الحقوق المقارنة الدولي المنعقد في باريز ١٩٥٢ واليك ترجمته :

«ان المؤتمرين، بناء على الفائدة المتحققة من المباحث التي عرضت أثناء «أسبوع الفقه الاسلامي» وما جرى حولها من المناقشات التي تخلص منها بوضوح :

أ — أن مبادئ الفقه الاسلامي لها قيمة لا يمارى فيها .

ب — وان اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الحقوقية العظمى
ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات ، ومن الأصول الحقوقية ،
وهي مناط الاعجاب وبها يتمكن الفقه الاسلامي أن يستجيب
لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها ،

يعلنون رغبتهم في أن يظل (أسبوع الفقه الاسلامي) يتابع أعماله سنة فسنة ، ويكلفون مكتب المؤتمر وضع قائمة للموضوعات التي أظهرت المناقشات ضرورة جعلها أساً للبحث في الدورة القادمة .

ويأمل المؤتمرون أن تؤلف لجنة لوضع معجم للفقه الاسلامي يسهل الرجوع الى مؤلفات هذا الفقه فيكون معلمة فقهية تعرض فيها المعلومات الحقوقية الاسلامية وفقاً للأساليب الحديثة » .

.. وكأن الأستاذ الزرقا قد استجاب لهذا الأمل ، حين ألف كتاباً في الفقه الإسلامي على الأسلوب الحديث !

بدأ كتابه بتعريف الفقه الاسلامي ، ثم ذكر مصادره الأولى الأربعة الأساسية : الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، ومصادره التبعية : الاستحسان والمصالح المرسلة والعرف ، ثم بحث في أدوار (أو أطوار) الفقه الاسلامي ، فجعلها سبعة ، أولها عصر النبوة ، وآخرها عصر المجلة — ولسنا معه في هذا التقسيم ، وإن يكن لعدد (٧) سره وسحره ! — ثم دخل في صميم موضوعه ، وهو : « النظريات الفقهية الأساسية » كنظريات الملك والعقد والأهلية والضمان الخ .. لم ينسج فيها على منوال من سبقوه ، من شراح المجلة ، الذين جعلوا الفقه « فتاوى » و « قضايا » و « جزئيات » ... وإنما حاول أن يدرس المجلة كما يدرس الأساتذة الفرنسيون في كلية الحقوق بباريز مادة القانون المدني ، فجمع من أحكام القرآن والحديث وآراء الفقهاء ، من مختلف المذاهب ، ما يؤلف نظريات عامة تشبه النظريات الأوربية الحديثة ، وقد وفق في محاولته توفيقاً كبيراً ، فمن قرأ

كتابه خرج منه بفائدتين : النظريات الفقهية الجديدة ، وله فضل إخراجها ، وآراء الفقهاء التي لخصت للقارئ فأغنته من قراءة عشرات من كتب الفقه !

وعلى إعجابنا بهذا الكتاب الجليل نشير الى ناحية صغيرة ضعيفة منه كانت بمثابة «الخرزة» الزرقاء .. أو التميمة ... من العين ، وهذه الناحية هي ان الأستاذ الزرقاء لا يتقن لغة أجنبية ، ومن أجل هذا النقص يقول دائماً ان آراء علمائنا خير من آراء الغربيين ، وأنا معه ، فقديمنا أفضل من قديمهم ، ولكن قديمنا ليس دائماً ، أفضل من جديدهم !

هذه ملاحظة ! والملاحظة الثانية هي أن الأستاذ الزرقاء حمل بعض النصوص أكثر مما تستطيع أن تحمل ، في سبيل بناء نظريات عامة تشبه النظريات الغربية ، خذ لك مثلاً احتجاجه بالآية الكريمة : «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم» لإثبات مبدأ «سلطان الإرادة» وليس في هذه الآية شيء من ذلك ! فمبدأ سلطان الإرادة أعلن تحرر الناس من المراسم والأشكال التي كانت تفقد المتعاقدين ، في ظل الشريعة الرومانية القديمة ، كثيراً من حريتهم وتفسد كثيراً من عقودهم وتعتبرها لغواً لمجرد أنها لم تستكمل بعض « الشكليات » ... فما هي الصلة بين هذا المبدأ وبين الآية الكريمة ؟

إن هاتين الملاحظتين لا تنقصان من قدر كتاب يستحق صاحبه أبلغ الثناء وأعظم التقدير ، وهو كتاب قوي بمادته ، وصاحبه رجل متوقد الذكاء ، جمع بين الثقافتين الدينية والقانونية ، قوي بلغته ، فالأستاذ الزرقاء فقيه أديب ، وأسلوبه في الكتابة يكاد ينسيك صعوبة المادة التي يدرسها وجفافها ...

الثقافة العربية

في رعاية الشرق الأوسط

عنوان محاضرة ألقاها في خزانة الكونغرس الأميركيـة المستشرق جورج سارطون ، ونقلها الى العربية الدكتور عمر فروخ ، في كتيب صدر عن مكتبة المعارف ببيروت ، في نحو ثمانين صفحة .

المحاضرة ، في حقيقتها ، حديث عن الاسلام ، وما كان يجوز أن يختار لها عنوان آخر ، لولا أن المحاضر مهد لها بكلمة قصيرة - ولكنها قوية - عن الشرق ، قرر فيها أن تاريخ العلم بدأ في الشرق الأوسط لا في يونان ، كما يتوهم كثيرون ، وأن فلاسفة يونان أنفسهم أخذوا عن مصر وما بين النهرين الحكمة والمعرفة .

كتبت المحاضرة لجمهور اميركي يجهل أصول الاسلام او يعرفها معرفة يسيرة ، فكان لا بد للمحاضر من أن يذكر لهم أشياء كثيرة يعرفها كل مسلم ولا جديد فيها ، ولكنه ، مع هذا ، لم يُخلِ محاضرته من آراء شخصية في أسباب انتشار الاسلام واللغة العربية ، ومما قاله :

« ... قسم السيوطي الكلمات الدخيلة في القرآن أحد عشر قسماً : الكلمات الحبشية والفارسية واليونانية والهندية والسريانية والعبرية والنبطية والقبطية والتركية والزنجية والبربرية . أما (جفري) فيشير الى ما لا يقل عن خمس وخمسين لغة ولهجة دخل شيء من كلماتها في القرآن الكريم .

.. إن خزائن المفردات في اللغة العربية غنية جداً ويمكن لتلك المفردات أن تزاد بلا نهاية ، ذلك لأن الاشتقاق المتشابك والأنيق يسهل إيجاد صيغ جديدة من الجذور القديمة بحسب ما يحتاج اليه الانسان .

.. لم يتح لنبي من قبل ولا من بعد أن ينتصر انتصاراً تاماً كانتصار محمد . إن الاصرار على تفوق اللغة العربية - خاصة - أو على حاجة الدين اليها هو الذي

جعل لها انتشارها الحاضر ثم حفظ لها هذا التفوق قروناً عديدة ولولا هذا الدفاع الضمني لبقيت اللغة العربية لغة قبلية بلا قيمة عامة ولاضمحلت تماماً ولكان شأن العرب في ذلك شأن نصارى الشرق الأوسط الذين تركوا لغتيهم المقدستين السريانية والقبطية حتى زالتا » .

أما انتشار الاسلام فيرده المحاضر الى ضعف الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية ، وهذا الرأي ـ وهو رأي جمهور المؤرخين الغربيين ـ إنما يفسر في الواقع سرعة الفتوح الاسلامية ، أما انتشار الدين الاسلامي فان له أسباباً أخرى تتصل بجوهره ، ولولاها ما دخل بلاداً لم يدخلها جيش اسلامي قط .

... وأخيراً ، يقول لنا المؤلف :

« .. لم يكن ثمة علم في المدينة أو في مكة أو في دمشق . ومعجزة النهضة العربية لم تكشف عن نفسها قبل تأسيس الخلافة العباسية في بغداد . ولكن ماذا حدث هنالك ؟ لقد نشطت العبقرية العربية بفعل الخميرة الايرانيـة . إن محاسن الأمتين العربية والفارسية (ومساوئها) كان بعضها يتمم بعضاً . وهكذا نرى أن معجزة العلم العربي كانت ترجع في الأكثر الى الأثر الذي حدث بفعل النشاط والجد العربيين وبفعل الإيمان الاسلامي فى الفضول والجدل الفارسيين ، أو بكلمة أعم ان العلم العربي كان ثمرة للعبقرية السامية التي خمرت بالعبقرية الفارسية » .

هذا الرأي له أشياع كثيرون في الشرق وفي الغرب . وفي اعتقادنا أن الاسلام دعا الى التعلم دعوة قوية ، وأن العلم الكوني بدأ في دمشق ، حين تهيأت للعرب أسبابه ومواده ، ولم يكن العرب محتاجين الى فارس لتكون لهم حضارة ، فقد أسسوا في الأندلس حضارة عظيمة لا نصيب لفارس فيها . القضية قضية وقت . ولو دام ملك دمشق ، لعظمت منتها على العلم والعالم .

الاتجاهات الأدبية

في العالم العربي الحديث

كتاب في نحو (٤٠٠) صفحة ، ألفه الأستاذ أنيس الخوري المقدسي ، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، وطبعته له جامعة بيروت الأميركية ، في «سلسلة العلوم الشرقية» .

أنفق الأستاذ في تأليف هذا الكتاب جهداً كبيراً ، ووقتاً طويلاً ، وقرأ لأجله من الكتب والمجلات والصحف ما لا يكاد يحصى كثرة ، وفي اعتقادنا أنه وفق توفيقاً عظيماً ، ولكن عملاً ضخماً كهذا ، كان ينبغي أن تجتمع عليه عصبة من الرجال ، لا يخلو ، حين ينتدب له رجل واحد ، من هنات معدودات ، فقد كنا ، مثلاً ، نستحب للمؤلف أن يغفل ، في كتابه ، ذكر أسماء كثيرة لم نجد لأصحابها فضلاً ولا فضيلة ـ وان يكن هو قرأ لهم مقالة أو قصيدة مترجمة في احدى المجلات فوجدها كافية للتنويه بأسمائهم ـ وكنا نستحب له كذلك ألا ينعت بعض المفكرين بأنهم شعراء (كبار) من أجل أبيات نظموها ، وما نظن حتى العلامة فارس الخوري ، يرضيه أن يقرأ في كتاب الأستاذ المقدسي أنه من «كبار الشعراء» !

وبعد .. فانَّ هذا الكتاب من «أغنى» الكتب التي أخرجتها لنا مطابع بيروت ، وهو يتألف من أربعة أبواب :

الباب الاول ـ الاتجاه القومي ـ وهو سرد موجز لتاريخ الحركات القومية في سورية ولبنان ومصر من خلال الأشعار والمقالات . وقد بدأه المؤلف بالكلام على الجامعة العثمانية وأثبت لنا أن الأدب العربي بقي مدة طويلة عثماني الروح ، فان وجد رجلاً مثل ابراهيم باشا كان يقول : «ما أنا بتركي ، بل أنا ابن مصر ؛ ان شمسها قد غيرت دمي فجعلتني عربياً قحاً !» فان عامة الأدباء ورجالات

الفكر من العرب كانوا متمسكين بالخلافة الاسلامية ، مخلصين للجامعة العثمانية ، حتى أن مصطفى كامل ، زعيم الحركة الوطنية في مصر ، كان يقول : «ان الراية العثمانية هي الراية الوحيدة التي يجب أن نجتمع حولها» .

ثم كان الاستبداد الحميدي ، فظهرت الحركات المناوئة للجامعة العثمانية ؛ وقد وقف إعلان الدستور ، الذي تباشرت به العرب ، هذه الحركات ، ولكن غلو الترك بقوميتهم قضى على آمال العرب فعادت الأفكار القومية والاقليمية الى الميدان وامتزجت بالدعوة الى الحرية والاصلاح ، وسهر عليها رواد ممتازون ، من طراز عبد الرحمن الكواكبي .

الباب الثاني — الاتجاه الاجتماعي — وقد مهد له المؤلف بكلمة قارن فيها بين الأدب القديم ، الذي كان يعيش «في كنف الملوك والأمراء أو من يتصل بهم من أرباب الثروة والجاه» وبين الأدب الجديد ، الذي يعيش «على موائد الشعب ومن عطائه وهباته» لأنه «أدب ديموقراطي» . ثم أبرز لنا خمسة «اتجاهات» في هذا الأدب الاجتماعي الحديث ، وهي :

١ — الدعوة الى العلم والحضارة .

٢ — الحملة على المفاسد الناشئة عن التطرف في الحياة العصرية .

٣ — العطف على الطبقات البائسة .

٤ — المطالبة بالحقوق الانسانية والعدالة الاجتماعية .

٥ — مناصرة القضية النسائية ورفع المستوى العائلي .

الباب الثالث — الاتجاه الى التأمل الفكري — التأمل في الحياة الروحية ، والتأمل في الموضوعات المجردة ، والتأمل في الطبيعة والريف .

الباب الرابع — الاتجاه الفني — وهو خاص بتأثير الأدب الغربي في الأدب العربي الحديث ، فان العرب القدامى ، فيما يقول المؤلف ، لم ينقلوا عن الغرب

سوى العلم والفلسفة ، أما أدباء العصر ، فقد نقلوا عن الغرب الأدب والشعر ، وكان من آثار ذلك أن الأدباء الجدد انصرفوا عن السجع والصناعة البديعية الى البساطة ، وأخذوا في تأليف الروايات والقصص والمسرحيات ، وكلها ألوان جديدة في أدبنا . أما شعراؤنا فقد أفادوا من اتصالهم بالغرب وحدة القصيدة والتفنن البياني وحرية الاخراج .

العادات والأخلاق اللبنانية

تأليف أديب لحود

طبع مكتبة صادر ببيروت في ٢٤٠ صفحة

كتاب يصف لنا فيه الأستاذ أديب لحود ، شيئاً من عادات اللبنانيين ، في ولاداتهم ومناكحهم وأفراحهم وأحزانهم وزياراتهم ولهوهم ؛ وما نحسب هذه العادات الا آخذة بالتحول ـ وقد يكتب على كثير منها الزوال ! ـ ومن المفيد كثيراً تسجيلها قبل أن تحول أو تزول ، فانها قطعة من حياة وطننا ، ومرحلة من مراحل « تطوره » ، وما ينبغي لها أن تهمل ، فقد تعنى بها الأجيال التي تأتي بعدنا أشد من عنايتنا .

أعجبني في بداءة هذا الكتاب وصف الأسرة اللبنانية ، فهو وصف جد موفق ، في بساطته وقد وجدت فيه للطفل اللبناني معجماً لا يختلف عن معجم أخيه الطفل الدمشقي فالطعام عنده « نن » والشرب « نبو » والمشي « دادي » والخروج « تش تش » والوجع « واوا » والشي الجميل « دح » والشي القبيح « كخ » وهكذا ...

ولكن نهاية الكتاب لم تعجبني ، فقد ملأها المؤلف نصائح وألغازاً وألعاباً لا صلة لها بالموضوع ، وكان يحسن به استبعادها من كتابه ، حتى لا يظن أنه إنما كتبها للعوام والبسطاء .

ومما يلفت النظر حقاً في هذا الكتاب الطريف ـ ويزيد في قيمته عندنا ـ أن كثيراً من العادات والمعتقدات والخرافات والأغاني التي ذكرت فيه لا يختلف في شيء عما نعرفه في الشام ، فوحدة الوطن التي تحجبها السياسات السطحية ، تكشف عنها هذه الأخلاق التي تعبر عن عبقرية الأمة العميقة .

خطرات

تأليف محمد مهدي البصير

١٩٠ صفحة . مطبعة المعارف ببغداد عام ١٩٥٢

(خطرات) : كلمات ، بل جوامع كلم ، لخص فيها مؤلفها تجاريبه في السياسة والاجتماع وآراءه في الأدب والفن ؛ وهو ، إجمالاً ، يدعو الى الفكرة الديموقراطية الصحيحة في السياسة ، والى الحق والجمال والخير في حياة الناس الاجتماعية ، ويرى إقصاء المرأة عن الميادين العامة ... ولكن هـذا الوصف لا يطمع بتلخيص أبحاث الكتاب ، ففي الكتاب موضوعات لا حد لها ، وهي كلها ملخصة ، وأكاد أقول « مقطرة » و « مكررة » ؛ فليرجع الى هذا الكتاب من يطلب المعنى الكثير في الكلام القليل ، فانه واجد فيه ألواناً كثيرة من الحكمة ، تبدو على بعضها مسحة من تشاؤم ، واليك طائفة من أقواله :

(— لا أدري كيف تصلح أمور قوم هم بين عارف لا يقدر ، وقادر لا يعرف ، ومسكين لا يعرف ولا يقدر !

— يبلغ بعض الرجال بالطاعة ما لا يبلغ غيرهم بالكفاية والاخلاص .

— من الصعب أن تستقيم أمور دولة يديرها موظفون في شكل وزراء ، ووزراء في شكل موظفين .

— من وضع نفسه فوق حوادث الزمن ، لا تستخفه اذا واتتـه ولا تهزمه اذا تنكرت له وكان عبد عقله وسيد هواه دائماً فذلك هو الرجل الحق ·

— البيت حجر الزاوية في بنيان المجتمع والمرأة عماده فاذا آثرت أن تحيا خارجه ، فمن يأخذ مكانها فيه ؟

— قال لي قائل في أحد مقاهي مونبيليه ذات يوم : « إنكم تبيعون المرأة ، أليس كذلك ؟ » فأجبته : نعم يا سيدي ، ولكن على أن يكون قلب الرجل ثمناً لها !

— الدعابة الساخرة ، جد العارفين بالحياة !

— إن بخيلاً يملك ثروة لكفيف يحمل مصباحاً ·

— أقل الناس عملاً أولئك الذين لا يرضيهم عمل !

— كن حلواً في أفواه الناس ، ولكن على أن يكون فيك من المرارة ما يمنع من أكلك !

— لا يمتحن الصبر بأشد من بلادة ترافقها عجرفة ·

— قد تهدم العاطفة في لحظة ما يبني العقل في سنة ·

— اذا عملت بوحي عقلك دون أن تقوله فأنت حكيم ، واذا قلته فقط فأنت أديب ، واذا جمعت بين القول والعمل جمعت بين الرجلين ·

— اذا استمعت الى سمفونية بتهوفن السادسة فكأني أتنزه في غابة شجراء وأستمتع بحديث رجل مثقف وأنعم بزيارة امرأة جميلة في وقت واحد ·

ديوان النبط

مجموعة من الشعر العامي في نجد. جمعه وفسر بعض ألفاظه السيد خالد بن محمد الفرج
طبع في مطبعة الترقي بدمشق عام ١٩٥٢

يتألف هذا الديوان من أشعار اربعة شعراء عاميين من نجد، وهم: «حميدان الشويعر» و «محمد بن لعبون» و «عبد الله بن ربيعة» و «عبد الله بن سبيل»، ونشهد لوجه الله شهادة خالصة أننا قرأنا هذا الديوان من بابه الى محرابه، وتحملنا في ذلك مشقة كبيرة، ولكنا لم نجد فيه شيئاً ينتعم به الفكر أو القلب. وقد تعجبنا كثيراً من قول جامع الديوان في مقدمته: «وبعد فلا بد لمن يدرس الأدب العربي وتاريخه وتطوراته أن يبدأ بدراسة الأدب العامي في نجد في الوقت الحاضر، لأنه صورة صادقة على ما كان عليه أدب اللغة العربية في العصر الجاهلي» !..

لا والله! ليس هذا الأدب أدب التطور، ولكنه أدب التدهور.. وحرام أن يشبه به شعر الجاهلية، وحرام أكثر من ذلك أن يطبع مثل هذا الزجل الغث للفخر... فما أجد لطبعه الا فضيلة واحدة: العلم به، للحذر منه.

إنه أدب العامة، أدب الانحطاط الذي يوجد مثله في كل قطر، ولم توجد المجامع اللغوية إلا لتنقذ الشعوب من هذا اللون من الأدب!

كتب صغيرة

فلسفة غاندي الاقتصادية

كتيب في خمس عشرة صفحة صغيرة، لخص فيه مؤلفه السيد احمد الحسيني فلسفة غاندي الاقتصادية في ستة أصول، وهي: المبدأ الأخلاقي، البساطة

في المعيشة ، الانتاج للاستعمال وليس لأجل الربح ، عدم العنف ، تقدير العمل وتقديسه ، تحديد استعمال الآلات رفقاً بالعمال (طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة) .

الملكية في الاسلام

كتيب في ٦٠ صفحة صغيرة ، تسبقه مقدمة كبيرة ، وتتبعه فهارس كثيرة ، في مثل عدد صفحاته ، مع أن فهرساً واحداً في صفحة واحدة يكفيه ويزيد .. ألفه السيد أحمد الحسيني ، ليثبت فيه أن الاسلام يحمي الملكية ، ولكنه يكره التوسع فيها وإهمال استغلالها .

ينقل المؤلف تعاريف وآراء لبعض علماء الاقتصاد الغربيين في الملكية ويوازن بينها وبين أقوال فقهاء مسلمين ، ويزكي أقوال المسلمين ويسفه أقوال الغربيين ، وهذا شيء يرضي غرور القارئ ، ولكنه أسلوب غريب عن العلم ، لأن المؤلف لم يحسن ترجمة ما نقله من نصوص الغربيين وما أحسن ترجمته لم يحسن فهمه .

أما لغة الكتاب فحسنة ، لولا أغلاط منثورة هناك هناك ، كقوله في صفحة ٢٧ : (ما دام ولدوا بعضهم حائزين موقف التمتع بها وولدوا غيرهم وهم كثيرون فاقدين ذلك الموقف) وهي لغة (أكلوني البراغيث) ، وقوله في صفحة ٢٩ : (.. وهو الذي كان لآرائه وأفكاره أثراً بليغاً) فجعل (أثراً) خبراً لكان ، وقد وقع في مثل هذا الخطأ كثيراً ...

الدكتور منير العجلاني

بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن

بقلم هنري غيز وتعريب الأستاذ مارون عبود

من منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة اللبنانية ، ونشر هذا الكتاب في جزئين الأول في (٢٩٤) صفحة والثاني في (٢٤٠) صفحة من قطع المتوسط . طبع في بيروت سنة ١٩٤٩ .

وهو من المباحث الأجنبية في تاريخ لبنان ويمتاز عن أمثاله من المباحث بدقة الوصف وأمانة النقل رغم ما جاء فيه من هفوات وأوهام التي لا يخلو منها مصدر أجنبي . إن المؤلف هو افرنسي الأصل ومن مواليد الشرق العربي . نشأ فيه وأتقن لغته . ثم عين وقتئذ قنصلاً لبلاده في لبنان ، وقد أتاح له منصبه وطول اقامته الوقوف عن كثب على أمور قد لا يتيسر الوقوف عليها لغيره من عابري السبيل ممن كتبوا عن الشرق مستمدين أخبارهم من مصادر لا يركن لصحتها ، حتى ان كثيرين منهم تحدثوا عن أشياء لم يعرفوها الا بالسماع وحكموا على ذمة غيرهم في أمور كثيرة حكماً سطحياً وجائراً . وإن بعضهم تعمد التشويه والتشهير . وأما مؤلف هذا الكتاب لم يذكر على زعمه شيئاً لم يره بأم عينه ولم ينقل الا ما أجمعت عليه الآراء .

ويجد القارئ في هذا الكتاب وصف آثار اندرست معالمها وذكر عادات وتقاليد تطورت مع الزمن وعالج أبحاثاً سياسية وقضايا ادارية واقتصادية أهملها مدونوالعرب .

وكان الأستاذ مارون عبود موفقاً في ترجمته هذا الكتاب القيم فلم يخرج عن الأصل كما تقتضيه الأمانة العلمية ، غير أنه أسقط منه متعمداً بعض الفقرات التي رأى فيها ما لا يحتمل ذكره ولا يطاق وحبذا لو اتسعت لها رحابة صدر الأستاذ وأثبت ما أسقط حتى ينقل الينا الكتاب كما وضعه مؤلفه لا كما نريده . ولماذا نكتم ما كتبه عنا أو اختلقه الأغيار ؟

وقد ترفع الأستاذ المترجم عن الرد على المؤلف في بعض ما ذهب اليه وتوهمه لئلا يضيع القارئ في أودية الحواشي ، ولكن هنالك بعض التحريف لا بد من الاشارة اليه ، كما جاء في الجزء الثاني ص : (٢٥) سنة ١٨٠٣ صوابه ١٠٨٣ ، وتوتوخ وصوابه تتش ، ومجير الدين عبس وصوابه مجير الدين ابق وفي ص : (٥١) : تاجانه Tyané وصوابه Teyamné .

نشكر للأستاذ مارون عبود جهوده الموفقة وحسن صنيعه .

فلسطين : وصفها الجغرافي وتطورها التاريخي

لمؤلفيه فخري الدين العبيدي ومحمد خالد الطائي

في (٢٥٦) صفحة من قطع الوسط طبع في بغداد سنة ١٩٤٨

بحث المؤلفان في هذا الكتاب أحوال فلسطين الطبيعية والاقتصادية وتاريخ اليهود فيها وبحثا فكرة الصهيونية وأساليب زعمائها لتحقيق أهدافها واستعرضا جميع المراحل التي اجتازتها القضية الفلسطينية منذ اعلان الوطن القومي اليهودي في ظل الانتداب البريطاني الى أن حلت بالعرب النكبة المشؤومة في عام ١٩٤٨ وانتهت بتأسيس دولة اسرائيل .

وشرح المؤلفان القضية شرحاً علمياً مجرداً عن العواطف والأهواء وعززا دراستهما بوثائق رسمية قلما جمعت في كتاب واحد ، وقد حققا فيه الغاية التي وضع من أجلها فهو بحق : «سفر لمن يريد معرفة وضع فلسطين ودليل لمن يبتغي التوجه والعمل لخلاصها . وسجل لمن يقصد تقصي أحوالها ، فكان تنفيذاً لفكرة واظهاراً لعقيدة» .

فعسى أن يجد جمهرة العرب في موضوع الكتاب العبرة واليقظة بعد غفلتهم الطويلة ، والعاقل من اتعظ والصادق من عمل وأخلص .

Textes géographiques arabes sur la Palestine, recueillis et traduit par le R. P. Marmardji, Paris 1951.

يقع الكتاب في (٢٦٨) صفحة من قطع الوسط طبع في باريز سنة ١٩٥١ وينطوي على ترجمة كتاب بلدان فلسطين العربية الى الافرنسية الذي وعد الأب مرمرجي في مقدمته تحقيقها خدمة لذوي التخصص من أبناء الغرب ممن لا يتسنى لأكثرهم الاطلاع عليها في مصادرها العربية .

وقد جاءت الترجمة بجملتها صحيحة يركن اليها . وان الملاحظات التي نبهنا اليها في الأصل العربي تتكرر أكثرها في هذه الترجمة ويضاف اليها زيادة فصل في الصفحتين ١١٠ و ١١١ منقول من (زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك) للظاهري غير وارد في الأصل العربي ، كما أنه سقط من الترجمة (ص : ١٩٥) جميع مادة وصف بحرة المنتنة أو بركة لوط .

نشكر حضرة الأب مرمرجي على ما يبذله من جهد في خدمة تاريخ بلاده .

Fossatium Africae

لمؤلفه جان براديز (Jean Baradez) ومن مطبوعات مديرية الفنون الجميلة وديوان الآثار القديمة في الجزائر ، ويبلغ عدد صفحاته (٣٦٠) صفحة من القطع الكبير بورق صقيل وطبع أنيق يتخللها عدد كبير من الصور والمخططات . طبع في باريز سنة ١٩٤٩ .

تناول المؤلف في هذا الكتاب سلسلة أبحاث في التدابير الادارية والعسكرية التي اتخذتها السلطات الرومانية لتوطيد دعائم سلطانها في الجزء المعمور من الجزائر وحمايته من خطر غزاة الصحراء . وقد حصر المؤلف دراسته في منطقة الحدود

الجنوبية التي يبلغ طولها (٧٥٠) كيلومتراً ويختلف عرضها بين (٦٠) و (٨٠) كيلومتراً باحثاً عن مواقع الحصون والمخافر التي أقامها الرومان على ثغور هذا الخط لدفع عدوان برابرة الصحراء ومنع تسربهم الى ما ورائها ٠

ولم تكن محاولة المؤلف الأولى في بابها فقد سبقه اليها منذ احتلال الجزائر عدد من المشتغلين بتاريخ افريقية الشمالية في العهد الروماني ومن أبرزهم (رينه كانيا) (René Cagnat) و (ستفان جسيل) (Stéphane Gsell) وقد زعما أنهما أحصيا جل الأبنية التي خلفها الرومان في الجزائر ٠ وبذلا في سبيل ذلك الجهد والمال في رحلات طويلة ، محفوفة بالأخطار وفي بلاد مترامية الأطراف ، وعرة المسالك وضنينة بأسرارها ٠

ان مهمة أمثال هؤلاء الرواد ـ وكانت تعتبر في الماضي مغامرة وبطولة ولا يقدم عليها الا من تحلى بالشجاعة والصبر على مكاره السفر واقتحام أخطاره ـ أصبحت اليوم بفضل الطائرة والتصوير متعة تحدت الزمن وتخطت العقبات وكان السيد كريفورد (Crawford) أول من استعمل هذه الطريقة الحديثة وجربها في انكلترا عقب الحرب العالمية الأولى ثم طبقها الأب بوادبار (Poidebard) على نطاق أوسع في سورية وقد أسفرت هذه التجربة عن أحسن النتائج اذ استطاعت عدسة آلة التصوير أن تلتقط من الجو بارتفاع معين وفي ساعات محدودة من النهار ما تعجز العين المجردة عن ادراكه وصورت الأبنية التي حجبتها عن النظر الأتربة والرمال أو غمرتها الأمواه تصويراً ظاهراً واضحاً ٠

وقد زينت هذه النتائج لمؤلف هذا الكتاب وهو من قادة سلاح الطيران الافرنسي أن يحلق فوق بادية الجزائر مستطلعاً المنشآت الدفاعية من حصون ومخافر وطرقات واقطاعات التي نظمها الرومان في هذه المنطقة الجرداء ٠ استغرق عمله ثلاث سنوات حقق خلالها النتائج الباهرة التي عرضها لنا في كتابه ويعتبر

هذا الأسلوب الحديث في البحث عن الآبنية الأثرية مرحلة جديدة في صحة المعلومات واختصار الوقت وحبذا لو تطبق هذه الطريقة في بقية الأعمال الحكومية الواسعة كالتحديد والتحرير وغيرها من دراسات المساحة والتخطيط كسباً للوقت وتوفيراً للنفقات والجهد .

Stéfan Zweig - Le Brésil terre d'avenir. Traduit de l'allemand par J. Longenille, Paris 1949.

البرازيل أرض المستقبل

لمؤلفه ستيفان زويغ . ترجمه من الألمانية الى الفرنسية جان لونجفيل . عدد صفحاته (٣٣٥) صفحة من قطع الصغير . طبع في باريز سنة ١٩٤٩ .

أكثر الناس لا يميزون بين البرازيل وغيرها من جمهوريات أميركا الجنوبية ، فهي في نظرهم محط رحال خليط من مغامري الأمم ومشرديهم ، فرقتهم المنازعات العنصرية والدينية وشغلتهم عن الحضارة والعمران وطاب لهم عدم الاستقرار .

لبى مؤلف هذا الكتاب دعوة لزيارة البرازيل للتعرف اليها ـ وكان من هؤلاء المخدوعين وحامل فكرتهم ـ وهو قانع انه سوف لا يجد في هـذا البلد المنحط أكثر مما يعرف عنه هو وأمثاله من الاوروبيين وبقية شعوب أميركا الشمالية . ويتساوى بالجهل بأحوال هذا البلد الخاصة منهم والعامة ، ومن طريف أوهامهم ما وقع فيه أحد كبار أدباء الانكليز الذي أرسل بطل روايته الى عاصمة البرازيل ليتعلم اللغة الاسبانية مع أن سكانها لا يتكلمون الا البرتقالية .

لم تكد تطأ قدما المؤلف عاصمة البرازيل حتى تبذدت أوهامه وهبط من عليائه وتضاءل في نظره ما كان يفاخر به أبناء العالم القديم غيرهم من شعوب

الأرض ، فقد شاهد في البرازيل على حداثة عهدها في الحضارة عمراناً يفوق عمران أعظم عواصم أوربا ورأى من حسن التنسيق وسلامة الذوق ما يفتقر لمثله الغرب ؛ وقد تضافرت هنا الطبيعة وعبقرية الانسان فابتدعتا أروع نماذج العمران الحديث مستمدة من تقاليد البلاد الجيدة ، وصاغ قومها حضارة جديدة دون أن يزدروا بثقافتهم القديمة . وقد أكبر المؤلف في هذا الخليط من الناس التفافهم حول قوميتهم الجديدة والاعتزاز بها دون تمييز عنصري أو اضطهاد ديني . وقد تآخى القوم في اغترابهم ونبذوا أحقادهم وعاشوا في سلام ووئام .

وكان المؤلف على حق في قوله : ان البرازيل هي : «أرض المستقبل» في اقتصادياتها وعمرانها ، ونحن نزيد عليه بأنها ستكون أيضاً خير مثال يحتذى اذا أراد العالم أن يسوده السلام .

Hinry Valloton - Brésil terre d'amour et de beauté. Lausanne 1948.

البرازيل بلد الحب والجمال لمؤلفه هنري فالوتون . عدد صفحاته (٢٩٣) من قطع الوسط تتخللها بعض الصور . طبع في لوزان سنة ١٩٤٨ .

وصف المؤلف في هذا الكتاب رحلته الى البرازيل فأحسن وصفها ، وأخذ بسعة هذا البلد ووفرة ثروته الطبيعية ، وأعجب بنهضة شعبه ووحدة أمانيه على تعدد عناصره ومذاهبه ، وأكبر جهود حكومته وبسطها سلطانها على هذا العالم المترامي الأطراف وتفوقها في استثمار خيراته .

أقام المؤلف سنتين في تلك الديار قطع خلالها في رحلاته أكثر من (١٥٠٠٠) كيلومتر فأدرك أطرافها ولم يلج صميمها لقصر مدة اقامته ، والبرازيل كما يقول : «ليست دولة بل هي عالم لم تنتبه الى اليوم اكتشافات مجاهله ،

ويكاد عمر المرء كله يكفي للاحاطة بأجوائه» . ويشتم القارئ في قوله ريح الدعاية رغم زعم المؤلف بأنه وفق الى دراسة هذا البلد ووقف على دخائله وعالج مشاكله بنزاهة واخلاص وتنبئه له بأطيب الآمال . ولم يكن مؤلفنا أول من فتن بالبرازيل وسكانها بل هذا هو شعور كل من زار تلك الجمهورية العظيمة وتعرف اليها ، فهو بحق بلد الحب الجمال والنبل وكرم الوفادة . ونحن السوريين أول من يشارك المؤلف عواطفه نحو البرازيل ولنا من جاليتنا أصدق الشهود لما يلقونه فيهـا من كرم المثوي والتسامح والمعاونة .

Xénophon - de l'art équestre, édité par Edouard Delebecque.

الفروسية

تأليف كزينفون . نشره وترجمه من اليونانية الى الفرنسية الدكتور ادوار ابيك وعلق عليه . طبع في باريز سنة ١٩٥٠ .

احتل الفَرَس في العالم القديم مكانة عظيمة ، وكان منذ أقدم العصور موضع عناية الشعوب واهتمامهم ، وهو أكرم حيوان استصحبه الانسان وانتفع بخصائصه وعقد الخير في ناصيته . وكثر الكاتبون في صفاته وفوائده وتوسعوا في طرق رياضته وتحسين نوعه . وقد عثر في بوغازكوي على كتابة حثية كتبت حول عام (١٣٦٠) ق . م ذكر فيها كاتبها القواعد التي يجب أن يعرفها سائس الخيل ومدربها لإتقان مهنته واعدادها لفنون الحرب في الكر والفر ومعالجتها في مرضها . وكانت عناية الحثيين بالخيل التي جلبوها من أواسط آسيا واعتمادهم عليها في هجماتهم الخاطفة في غزواتهم من أهم عوامل تغلبهم على شعوب الشرق الأوسط . وقد أدركت الشعوب المغلوبة خطر هذا الحيوان وفوائده في الحرب والسلم فتنافسوا

باقتنائه والعناية به . وقد عنى اليونان بالفرس وكرموها وأدخلوها أساطيرهم الدينية وأبدعوا بتمثيل فرسانهم في فنونهم الجميلة .

ومؤلف هذه الرسالة هو من هواة الخيل في اليونان وفرسانهم ، عاش في القرن الرابع ق . م . وقد دون لولديه في هذه الرسالة خبرته الطويلة في تربية الخيل وانتقاء جيادها ، فوصف لهما محاسنها وعيوبها وما يلزمها من علف ومأوى وما تتطلبه سياستها من فطنة وحكمة ، وأسهب في تعداد أساليب تدريب هذا الحيوان وتطبيعه للأغراض التي اقتني من أجلها .

كتب المؤلف رسالته بأسلوب بسيط وتغلب السجاجة على أحكامه على كثير الأمور التي يرويها ، فهو شاهد يدلي بمشاهداته دون تعليل أو تعميق . ومحترف ماهر تعوزه بلاغة البيان في مهنته وحسن التنسيق في بحثه . ولم يكن مؤلفنا من مفكري اليونان ونوابغه المبدعين ممن وضعوا قواعد علمية معينة أو قرروا نظريات عامة . بل كان همه تخريج فرسان وتدريبهم في فنون الفروسية وتوابعها وارشادهم الى محاسن الجياد وعيوبها وأساليب تطبيعها والعناية بها ، وقد حقق هذا الكتيب غايته وخلف لنا صورة صادقة عن نظر الأقدمين في الخيل ومبلغ انتفاعهم بها . وكان الفضل لمترجم الكتاب وناشره في توضيح غوامض النص اليوناني وبيان فوائده .

المدخل الى تاريخ الحضارة (الجزء الأول)

تأليف الدكتور جورج حداد أستاذ التاريخ في الجامعة السورية

يبحث الدكتور المؤلف في كتابه هذا في شروط الحضارة ومظاهرها وفي طلائع الحضارة ومصادرها ، وفي تفاعلات الحضارة ومآثرها في بلاد الشرق القديم وفي العالم اليوناني الروماني حتى ظهور النصرانية . وقد استعرض فيه قصة الحضارة والعوامل التي أدت الى ظهور حضارات مختلفة ، وتناول أسباب نموها وانتشارها ثم انحطاطها وقد جمع في هذا الكتاب على صغر حجمه عصارة ما كتبه في هذا البحث علماء أعلام في عشرات المجلدات . وقد بذل جهوداً محمودة حتى قدم الى مواطنيه هذا الكتاب وهو الأول من نوعه باللغة العربية .

وكان الدكتور موفقاً بأكثر الألفاظ العربية التي اختارها أو وضعها للاصطلاحات الفنية الأجنبية ، وقد مهد بذلك السبيل لكل من يرغب باقتفاء أثره . وحبذا لو جمعها في مسرد ليسهل الرجوع اليها والافادة منها .

وقد توسع الأستاذ المؤلف فى تعريب بعض أسماء الأمكنة ، فقال في ص : (٥٩) تل غورا وتل حصار بدلاً من تبة غورا وتبة حصار مع ان الكتب الأجنبية تحرص على ذكر الأسماء كما اشتهرت بها فقالوا : تل الحريري وتل كوجك وتل العبيد الخ . وجاء في ص : (٥٩) القرميد النيئ مع أنه يقابلها لفظة اللبن ، وفي ص : (٧٣) اكيتوم وصوابها اكثيوم . وفي ص : (٨٣) منتصف الأول ق . م ولعله أراد منتصف القرن الأول ق . م . وفي ص : (٨٥) أساس سكان مصر والأفضل أن يقال أصل سكان مصر . وفي ص : (٨٦) الطوب المجفف يقابلها اللبن . وفي ص : (١٤٧) وقلعتان صوابه وقاعتان . وفي ص : (١٦٥) الطين المشوي يقابله الآجر .

ويبشر هذا المدخل الذي أتحف به الدكتور الخزانة العربية بأن أبحاثه المنتظرة التي مهد لها سوف لا تقل عنه فائدة وتدقيقاً ينتفع بها الطالب والباحث .

الديارات

تأليف أبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ . عني بتحقيقه ونشره الأستاذ كوركيس عواد . عدد صفحاته (٣٣٥) صفحة من قطع الكبير ، طبع في بغداد سنة ١٩٥١ .

أحسن الأستاذ المحقق في اختياره هذا السفر النفيس ، وأجاد في نشره والتعليق عليه . وكان يغلب على الظن ان هذا السفر كان نصيبه الضياع كالكثير من تراث السلف ومآثرهم . ولكن عناية الأقدار شاءت أن تنجو منه نسخة فريدة استقرت في مكتبة برلين العامة ، كتبت سنة ٦٣١ هـ . وعسى أن يساعد نشر هذا الكتاب على ظهور نسخ جديدة منه محفوظة في خزائن الكتب الخاصة تساعد على اتمام نقصه وتصحيح عبث الناسخ وتقويم تصحيفه وتحريفه .

ان لكتاب الديارات منزلة أكبرها الأقدمون واعتمدوه في كتبهم لما يحوي من أنباء البلدان والأحداث التاريخية وسير الرجال وما انطوى عليه من طرف أدبية وغرر شعرية أغفلها غيره ، وهو كما قال عنه الأستاذ حبيب زيات : « إنه ذخر للمؤرخ وغنية لكل أديب وحقيق بالخدمة » . وقد نقل عنه كثير من المؤلفين فصولاً أودعوها مؤلفاتهم منهم : أبو صالح الأرمني ، وياقوت الحموي ، وابن شداد ، والقزويني ، وابن فضل الله العمري وغيرهم .

قد جاء في الحاشية (٥) من ص : ١٣٠ : فيق من مدن فلسطين القديمة وصوابه من مدن سورية وهي اليوم مركز قضاء الزوية الغربية .

وجاء في ص : ١٣٧ في فصل دير البخت بأنه بدمشق وعلى فرسخين منها ، وقد علق الأستاذ المحقق بما ذكره عنه الأستاذ (دوسو) في خططه بأنه في حوران شمالي قرية الصنمين . وأعتقد بأن الدير المذكور في الديارات هو غير القرية التي ذكرها الأستاذ (دوسو) وهي على نحو ثماني فراسخ من دمشق . ان اختلاف البعد بين المكانين وتباين الأوصاف تبعد الالتباس بينهما ، وصف الأول بأنه

في موضع نزه فيه جنائن وماء جار بينما دير البخت الحورانية هي موضع موحش لا ماء فيه ولا جنائن ، ولذلك يجب البحث عن دير البخت في غوطة دمشق وما جاورها في حدود الفرسخين حيث الماء والحدائق .

وجاء في ص : ٢٤١ : كلمة مقارنة بدل مطارنة وهي غلطة مطبعية لا تغيب عن فطنة القارئ .

وقد ضم الأستاذ المحقق الى هذا الكتاب ذيلاً قيماً بقلمه وفهارس مطولة دلت على غزير علم الزميل الكريم وسعة اطلاعه فجزاه الله على خدمة العلم خيراً وبارك بجده وجهوده .

تاريخ العرب قبل الاسلام

تأليف الدكتور جواد علي ، يقع الكتاب في مجلدين ويبلغ عدد صفحات الجزء الأول (٤١٧) صفحة والثاني (٤٣٠) صفحة ، وهو من مطبوعات المجمع العلمي العراقي وطبع الجزءان في بغداد في سنتي ١٩٥١ و ١٩٥٢ . وزينا بكثير من الرسوم والمصورات .

قدم الأستاذ المؤلف في هذين الجزئين القسم السياسي من تاريخ العرب قبل الاسلام . وهذه الدراسة على ما أعلم هي أوسع ما كتب حتى الآن في هـذا الموضوع في العربية أو في أي لغة أعجمية . جمع في هذا الكتاب صفوة ما كتبه الأقدمون والمعاصرون عن أخبار العرب في الجاهلية وأضاف اليها ما وصل اليه علمه وثمرات أفكاره ونتيجة أبحاثه ، وكون من كل ذلك نواة لتاريخ العرب قبل الاسلام ، وجعل من كتابه هذا نقطة انطلاق لكل راغب بمواصلة البحث والتوسع فيه وكشف الكثير من غوامضه وخفاياه التي يعوزها التحقيق والتدقيق ، ولا يرجى للطامعين المزيد بعد أن استنفذ المؤلف معظم المصادر المعروفة الا اذا أطلق للعلماء حرية التجول في مجاهل شبه جزيرة العرب للبحث عن آثارها وجمع الجديد من أخبارها ، ويقع العبء الأوفر من هذه المهمة على عاتق الآثاريين

الناشئين العرب ومن واجب الحكومات العربية ومعاهدها العلمية مساعدة هؤلاء العلماء على تحقيق هذه الخدمة العلمية والغاية القومية ·

وقد بحث المؤلف في الجزء الأول من كتابه عن الجاهلية ومصادر التأريخ الجاهلي ، ووصف جزيرة العرب ، وصلات العرب بالساميين ، وطبقات العرب وأنسابهم ، وتاريخ شبه جزيرة العرب ، وخص الجزء الثاني بتاريخ الحكومات والمشيخات والقبائل العربيـة التي عاشت قبل الميلاد وقد استخلص أخبارها من كتابات المسند القديمة ومن مصادر أخرى ·

واني لأرجو من المؤلف أن يسمح لي بابداء بعض الملاحظات وان لا أشاطره رأيه في حصر أثر العرب قديماً في بادية الشام لأن الاكتشافات الأثرية الجديدة والدراسات اللغوية والدينية أثبتت بأن توغل العرب في مختلف أجزاء الديار الشامية كان قديماً أعمق مما يظن اليوم · وقد فات المؤلف عند بحثه عن حدود بادية الشام في ص : (١ : ١٢٢) ذكر كتاب :
(Poidebard - La trace de Rome dans le désert de Syrie)
وهو أوفى بحث في هـذا الموضوع · وجاء في (١ : ١٢٥) (قبائل عنيزة) والمتعارف عليه هو قبائل عنزة · وفي (١ : ٢٠٢) الجبيل وصوابه جبيل · وفي (٢ : ٣٣٢) (Azalla) موقع في بادية تدمر بين أرك ودمشق وصوابه : (Nazalla) وهي على الأرجح قرية القريتين الحالية بين تدمر ودمشق · وفي (٢ : ٣٣٦) وجعل عليها (Satrap) وأصح أن يقال وجعل عليها (مرزباناً) وفي (٢ : ٣٦٦) « ارتاس » وصوابه « الحارث » وهو الاسم العربي الذي اشتهر به ·

نشكر المؤلف على جهوده القيمة كما نشكر المجمع العلمي العراقي الذي أتاح له فرصة نشر ثمرة أبحاثه المفيدة ونأمل أن يبر المؤلف بوعده وينشر تتمة أبحاثه عن حضارة العرب وحالتهم الثقافية والاجتماعية قبل الاسلام ونحن بأمس الحاجة لمثل هذه الأبحاث الجديدة ·

جعفر الحسني

[illegible]

آراء وأنباء

فجع المجمع العلمي العربي – بعد أن تم طبع هذا المجلد من المجلة – برئيسه العلامة الكبير الأستاذ محمد كرد علي . اختاره الله يوم الخميس في الثامن عشر من شهر رجب سنة ١٣٧٢ والثاني من نيسان سنة ١٩٥٣ .

والمصاب بالأستاذ الرئيس اذا خص مجمعنا العلمي العربي ـ وقد كان مؤسسه الأول ورئيسه الدائم ربع قرن كاملاً يتعهده برعايته ، ويرعاه بعنايته ، ويسهر على تقدمه وازدهاره . وينفق عليه من روحه ووقته وعلمه ـ فقد عم مصابه الشام ، وهو مؤرخه الثبت في واسع اطلاعه ، وصحيح حكايته ، وجري روايته ، مقرراً للحوادث والوقائع ، مستخلصاً للحقائق ، بفكر نقاد ، وقريحة صافية ، وأسلوب أدبي رفيع ، كان نسيج وحده .

هذا الى ما كان له في العالمين العربي والاسلامي من الشهرة الواسعة والمكانة العالية لما كان يبعثه من كنوزهما . وينشره من حضارتهما . داعياً مخلصاً لنهضة صحيحة . بلسانه محاضراً ، وبقلمه كاتباً ومؤلفاً ، وفي مجالسه منبهاً ومحدثاً ، وفي صحفه داعيةً ومرشداً ، ما وقفه مرض ، ولا عاقته شيخوخة ، عن هذه الخدمة العلمية الصادقة النصوح ، لقومه ولأمته .

رحمه الله عداد حسناته وخدماته .

الدراسات الاجتماعية

أقام المجمع العلمي العربي في داره مساء السبت الواقع في اليوم الثالث من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ الموافق ٢٠ كانون الأول سنة ١٩٥٢ حفلة تكريم لممثلي الدول العربية والاسلامية في حلقة الدراسات الاجتماعية التي عقدت دورتها الأخيرة في دمشق فألقى العلامة الدكتور أسعد الحكيم أحد أعضاء المجمع الكلمة الآتية :

سيداتي . سادتي !

أحييكم بأحسن تحية . وأرحب بكم أجمل ترحيب ، باسم هذا الصرح العلمي التاريخي ، الذي هو أول مجمع علمي عربي أنشئ في هذا الشرق الأوسط . فقد مضى على تأسيسه ثلاث وثلاثون سنة أدى فيها وما زال يؤدي رسالته في خدمة اللغة والأدب والتاريخ والثقافة العربية العامة بصدق وأمانة . وإذ أزف اليكم تحيته فانه يحيّي فيكم المبدأ السامي الذي اجتمعتم من أجله ، والعناية الانسانية المثلى التي ترمي هذه الحلقة اليها ، والحكومات العربية التي عهدت اليكم بهذه الأمانة فأحسنتم أداءها كما ستحسن هي العمل بتوصياتكم بعون الله .

ومن بواعث سرور هذا المجمع أن يكون ختام اجتماعات هـذه الحلقة الدراسية الاجتماعية في هذه الدار المباركة التي يرقد على مقربة منها ، ونفسه مطمئنة ، بانيها ، المحقق الأول للعدالة الاجتماعية التي جاء بها صاحب الشريعة الاسلامية . فقد كان للملك العادل في ميدان الخدمات الاجتماعية التي تقصد الى تحقيقها فخر السبق والحظ الأوفر : مستشفيات في كل بلد للمرضى مفتوحة الأبواب لكل من يؤمها ، وملاجئ للزمنى المقعدين والمصابين بالأمراض العقلية ، والمجذّمين تعد من حيث نظمها وادارتهـا وغذاؤها وعدد الأطباء والمشارفين

والخدم فيها كأحسن المستشفيات والملاجئ في هذا العصر . ومكاتب للأيتام تجري عليها وعليهم وعلى معليهم الجرايات . ومدارس ومساجد ومنازل للغرباء والفقراء لكل منها أوقاف معينة . كما أن هنالك أوقافاً لأبناء السبيل يعطون منها ما يأكلون ويلبسون ، وأوقاف تجهيز البنات الى أزواجهن ، وهن اللواتي لا قدرة لأهلهن على تجهيزهن (وهذا لم يلاحظ في أعمال هذه الحلقة) الى غير ذلك من أعمال البر والاحسان غير الممنون التي تعد لمشاعها من أجل الخدمات الاجتماعية وتخلد للملك العادل في تاريخ الانسانية والعدالة الاجتماعية أطيب الذكر ، لا سيما وهو القائل لأصحابه عندما تعرضوا لكثرة خرجه في هذه السبيل : « إنما أنتم ترزقون وتنصرون بضعفائكم . وهؤلاء القوم لهم نصيب في بيت المال . كيف يحل لي أن أعطيه غيرهم ؟ » .

وكأني بروحه الزكية وقد انتعشت لذكراها الآن فجاءت ترفرف فوق هذا المجمع الكريم تبارك مسعاه وتشكر له سعيه ، وترجو لتوصياته التحقيق ، والله المستعان . والسلام عليكم . اه .

* * *

فأجاب العلامة الأستاذ محمد العشماوي رئيس الوفد المصري على هذه الكلمة بما عرف به من علم وطلاقة وبلاغة وسحر بيان فأثنى على المجمع العلمي العربي أقدم المجامع العلمية العربية وعلى جهوده وانتاجه العظيم خير ثناء . وامتدح دمشق بأنها السباقة الى كل ما فيه فخر للعروبة . ثم شكر للأستاذ رئيس المجمع العلمي كريم دعوته وعظيم الحفاوة التي استقبل المدعوون بها متمنياً لهذا المجمع الازدهار والتقدم .

الألفاظ المكررة

تعرض للكاتب الفاظ تلازمه فيكررها في كلامه على غير قصد ، وليست غلطاً بل غلط ذوق . وهل الكتابة الا كلام بذوق ؟ وما كانت المكررات يوماً تحلو في الذوق . والمكرر يمكن تفاديه لاتساع اللغة وما بالكاتب حاجة الى استعمال لفظة واحدة في صفحة واحدة عشر مرات وأحياناً أكثر . ومما وقع لنا ووقع لغيرنا وكثر استعماله على هذا الوجه لفظ « البلاد » وفي الألفاظ التي تؤدي معناها غنية عن هذا التكرار ، مثل : « الديار » ، « الأرض » ، « الممالك » ، « المملكة » ، « الأقطار » ، « القطر » ، « البلد » ، « الأرجاء » ، « الأقاليم » ، « الأصقاع » ، « الأوطان » ، « الموطن » ، « الوطن » ، « القارة » ، « البر » الخ . يستعمل من كل أولئك ما يناسب المعنى المراد .

وتتصرف كلمة « البلاد » على كلمات كثر تردادها فابتذلت ومجتها النفوس وان كانت لا غبار عليها من حيث اللغة وهي كلمة : « فحسب » ، « اللهم » ، « أجل » ، « أي » . ووقع لأحدهم أن أتى بلفظ « أي » سبع مرات في مقطعين من كلامه . فقال : « أي شعب » ، « أية فلسفة » ، « أية أمة » ، « أية فلسفة » (مرة ثانية) ، « أي خلق » ، « أي مبدأ » ، « أية أمة » (مرة ثانية) . ووقع لأحد كتاب مصر أثناء كلامه على ديوان نشر حديثاً أن كرر لفظة فحسب نحو عشرين مرة في المقدمة . ومثله ما حدث لكاتب آخر أن كرر في حديث له في المذياع كلمة « اللهم » أكثر من عشر مرات .

واستعمال كلمة بعينها في قصد واحد ينعي على الكاتب عجزه وقلة بضاعته من الألفاظ وهي ميسورة له . وكثيراً ما يقع ذلك في كلام متأدبين فاذا لفت أنظارهم اليها يعتذرون عن تماديهم في ايرادها بانهم يقررون قضايا علمية ولا يهتمون لغير الافصاح عن المعنى ولذلك كان لهم أن يستعملوا من المفردات ما طاب لهم ،

وجمال العبارة لا يقدح في جوهر الكلام . أما الحقيقة فهي غير ما يصورون فللقوالب رونق وجمال ومن جملة الابداع افراغ الكلام في صورة مقبولة . فان كنا نستهجن من مخاطبنا أن يُعيد في كلامه ويكرر ويحشده بما هو مستغن عنه فنحن أحرياء أن نشمئز من التكرار في الكتابة وبخاصة فيما يفرض فيهـا الخلود أو التداول زمناً .

قد يعذر المضطرون الى الاسراع في كتب ما يكتبون كأرباب الجرائد ولكن ما عذر بعض المؤلفين وأرباب المجلات في تسطير ما يعاب وهم في سعة من الوقت ، وما اخال معظمهم اذا حدقوا النظر قليلاً فيما ترعف به أقلامهم الا عائدين على ما خطوا بالحذف والتبديل . واذا أرجعوا أبصارهم على ما كتبوا مرتين في يومين يسقطون على ما يرون من أنفسهم دافعاً لحذفه . وليس من شك في أن كل كاتب اذا تأمل قليلاً فيما يكتب يتأتى له أن يحذف ألفاظاً وجملاً يستعيض عنها بأجمل منها ويسلم كلامه من الهجنة والغثاثة . واذا قرأ ما فتح على قريحته بادئ الرأي ، وصوره لساعته على الورق ، على رجل مرن على الكتابة يصحح له المعوج ، وينبهه الى الركيك والمكرور السمج ، يأتي بعد ذلك بالجيد من القول ويخرج أحسن ما عنده خصوصاً اذا كان على فضل ذكاء ورغبة في الاتقان . والاتقان في كل شيء يتوقف على الاكثار من العناية والأناة . وقديماً كان الكتاب ينقد بعضهم بعضاً فتصفو كتاباتهم في العين والذوق ويقبلها جهابذة الكلام ولا يرذلونها . وفي أيامنا عمت البلوى بالمكرور البارد والدخيل غير الوارد حتى كاد بعض من اعتادوا سماع كلام البلغاء أن يعرضوا جملة واحدة عن النظر في المنشآت الحديثة ، يتقززون من تلاوتها وان كانت تحمل أفكاراً جيدة وعلماً طريفاً .

كان من عادة صديقي الشاعر حافظ ابراهيم رحمه الله اذا نظم قصيدة أن يرددها على مسامع اخوانه ليذكروا له رأيهم في ألفاظها ، وكنت أستكبر منه

ذلك على تضلعه من اللغة واستغنائه ببيانه عن كل بيان ، فكان يقول لا بد من أخذ آراء العارفين وان لم يكونوا شعراء فقد تكون لهم يد في اللغة ويهتدون الى مواقع استعمالها بما لا يهتدي اليه غيرهم . ويا حبذا لو تأسى الكتاب بشاعر النيل يحذون حذوه يوم يخطون أسطراً تنشر وتؤثر .

لو كانت جرائدنا وناشرو كتبنا على شيء من الغنى لاقترحت على كل جريدة وعلى كل مطبعة أن تعهد الى أستاذ نحرير في البيان يقوّم العبارات الضعيفة ويصقلها صقلاً يخرجها عن حد الكلام الغث التافه ، وبطول الزمن يدرك كل من يكتب ما يعاب على الكتاب فيتوقاه ويكتب الكلام المنقح المستملح .

أدب طه حسين

من قبيل تحصيل الحاصل الاشادة ببلاء صديقي العلامة الدكتور طه حسين في خدمة الآداب العربية ، وأثره المحسوس في ادخالها في طور جديد وبث أفكاره في جميع طبقات القراء . كان مجلياً في معظم ما خطته يمينه من بحث علمي وابداع أدبي وكان عمله عدل علمه ظهر ظهوراً واسعاً في رئاسة الجامعة وفي وزارة المعارف . وما خلا مع هذا من حساد وأعداء ولكنهم قلائل جداً اذا قيسوا بالمعجبين به والمستفيدين من نفثاته ، فهو بلا مراء حسنة من حسنات مصر في هذا العصر وفضله على الأفراد والجماعة لا ينكره عليه الا مكابر .

ينشر الدكتور هذه الأيام في جريدة «الاهرام» مقالات في الأدب يعرض فيها للكتب الحديثة ولا سيما للقصص والروايات ويفيض في نقدها بلطف ولا يغفل عن الدلالة الى ما فيها من مواضع احسان ، فهو كعلماء الافرنج في هذه الأيام يعلل تعليل حكيم عالم ، ويحلل تحليل نقاد منصف ، يعلّم ولا يجرح ويتألف ولا ينفر . ولا يسع المرء مهما كان معجباً بنفسه اذا قرأ ما كتبه فيه

نابغة مصر الا أن يشكره على عنايته ويفيد من نصائحه الثمينة ، ويشفع لهذا الأسلوب الجديد في النقد الصدق وقول الحق ٠

ولا مراء في أن للآداب خطة سيضطر كل من يمسك القلم ليؤلف للناس أن يحاسب نفسه بعد الآن قبل أن يحاسب غيره ويعلمها قبل أن يدعي مقام المعلم ٠

كثر التافه في التآليف الجديدة حتى عافت النفوس الكريمة كل ما يطلق عليه اسم الأدب ٠ ورأينا الجرأة على نشر الغث والخفيف الوزن توازي غرام بعضهم اخراج للناس ما لا ينفعهم ٠ يداوي الدكتور طه فوضى الأقلام بدرياق علمه وصحة حكمه وقد سئم القوم مصانعات المجلات والجرائد للمؤلفين والناشرين ومجت الأذواق الكتابات التجارية الرخيصة ٠ محمد كرد علي

(استدراك آخر)

كتب الأستاذ رئيس المجمع العلمي العربي تعليقاً على ما ورد في جريدة الأخبار المصرية بعنوان (بين الفصحى والعامية) منتصراً فيه لمجمع اللغة العربية المصري ولوزارة المعارف أيضاً ، يحرص المجمع على انتقاء كلمات عربية أصيلة ، تحل محل الألفاظ الأعجمية الدخيلة ، على هذه اللغة الكريمة ٠ وقد جاء في آخر كلام الأستاذ محمد زكي عبد القادر : «ألا ينادي البعضُ اليوم بالعودة الى النظم التي كانت سائدة في عصور الإسلام الأولى ؟ أليست هذه ردّة عجيبة في وقت يدعو فيه كل شيء للتحرر والتقدم ؟ !» ٠

يقول هذا في معرض التنظير بين اللغة والدين ، وان كلاً منهما يعرض له النسخ والتغيير ، فالأولى بمفرداتها ، والثاني بأحكامه ومعاملاته ، ولو أخذ هذا القول على إطلاقه لما بقي لنا لغة ولا دين !! وليته لم يستطرد ولم يتعرض

نابغة مصر الا أن يشكره على عنايته ويفيد من نصائحه الثمينة ، ويشفع لهذا الأسلوب الجديد في النقد الصدق وقول الحق .

ولا مراء في أن للآداب خطة سيضطر كل من يمسك القلم ليؤلف للناس أن يحاسب نفسه بعد الآن قبل أن يحاسب غيره ويعلمها قبل أن يدعي مقام المعلم .

كثر التافه في التآليف الجديدة حتى عافت النفوس الكريمة كل ما يطلق عليه اسم الأدب . ورأينا الجرأة على نشر الغث والخفيف الوزن توازي غرام بعضهم اخراج للناس ما لا ينفعهم . يداوي الدكتور طه فوضى الأقلام بدرياق علمه وصحة حكمه وقد سئم القوم مصانعات المجلات والجرائد للمؤلفين والناشرين ومجت الأذواق الكتابات التجارية الرخيصة .

محمد كرد علي

(استدراك آخر)

كتب الأستاذ رئيس المجمع العلمي العربي تعليقاً على ما ورد في جريدة الأخبار المصرية بعنوان (بين الفصحى والعامية) منتصراً فيه لمجمع اللغة العربية المصري ولوزارة المعارف أيضاً ، يحرص المجمع على انتقاء كلمات عربية أصيلة ، تحل محل الألفاظ الأعجمية الدخيلة ، على هذه اللغة الكريمة . وقد جاء في آخر كلام الأستاذ محمد زكي عبد القادر : «ألا ينادي البعضُ اليوم بالعودة الى النظم التي كانت سائدة في عصور الإسلام الأولى ؟ أليست هذه ردة عجيبة في وقت يدعو فيه كل شيء للتحرر والتقدم ؟ ! » .

يقول هذا في معرض التنظير بين اللغة والدين ، وان كلاً منهما يعرض له النسخ والتغيير ، فالأولى بمفرداتها ، والثاني بأحكامه ومعاملاته ، ولو أخذ هذا القول على إطلاقه لما بقي لنا لغة ولا دين ! ! وليته لم يستطرد ولم يتعرض

لهذا الموضوع الديني الذي أوجب علينا بيان الحق فيه ، وان لم يكن من موضوع مجلتنا العلمية .

وقد علق الأستاذ الرئيس على الأول منها ، واني أعلق على الثاني بايجاز فأقول : ان النظم التي كانت سائدة في عصور الاسلام الأولى — وهي العصور العربية الذهبية — هي روح (الديموقراطية) الحرة ، ومن مميزاتها على سائر الحكومات المدنية ، أن قوانينها مبنية على النصفة والعدل : « لا ضرر ولا ضرار » بخلاف هذه القوانين التي تبيح كثيراً من الضرر بالنفس والعقل والعرض والمال . ومن مميزاتها أيضاً الرجوع — عند تنازع أولي الحل والعقد — الى ما كان أصحّ دليلا ، وأوضح سبيلاً ، وأدنى في حكمه الى المصلحة العامة ، بخلاف المجالس (البرلمانية) التي كثيراً ما تحكم الأكثرية فيها بما تملي عليها المصلحة الخاصة والهوى ، وتخالف الحق الصريح مخالفة ظاهرة ، فلا هي معتقدة بصحة حكمها ، ولا الأقلية المنصفة مقتنعة بفساد رأيها ، ولكنها تكون مغلوبة على أمرها .

ونحن نورد شاهداً واحداً على ما سماه الأستاذ (التحرر والتقدم) وهو أن علماء الحقوق والاجتماع في هذا العهد قسموا العقوبة الى أدوار ثلاثة : انتقام وقصاص واصلاح ، والحق الى شخصي وإلـهي وعام ، وجعلوا الإسلام في هذين المطلبين ، وسطاً بين طرفين ، فعقوبته قصاص ، أي لا تأديب واصلاح ، والحق فيه إلـهي ، أي ما هو حقٌّ عامٌّ للأمة ، والصواب أن هذا التقسيم الثلاثي ، هو أمور اعتبارية ، لا حقائق ثابتة متغايرة ، فانه لا منافاة بين كون العقوبة حقاً شخصياً وإلـهيًّا وعاماً ، وإنما يختلف التعبير باختلاف الاعتبار ، فالحق شخصي من جهة قرابة صاحب الحق وذويه ، وإلهي من حيث ان الله تعالى قسم الحقوق بين العباد على قاعدة العدل والإحسان ، وشرع القصاص رحمةً بالعباد ، وذريعة لحسم مادة الفساد ، وحقّ عام من حيث وحدة الأمة وتضامنها ، وان ما شرع في مصلحتها ، فهي المكلفة بتنفيذ الحكم بواسطة حكومتها .

والانتقام قد يراد به التأديب ، والقصاص تكون غايته الحياة الطيبة والإصلاح ؛ وما يقال في الأمم يقال في الأفراد فان القتل والقطع والجلد ، يراد منها صلاح الفرد ، والمحافظة على المجموع ، فكم من نقمة أورثت نعمة ؛ والعجب ممن ينكر القصاص العادل ، ولا يعظم الذنب ، إن الجريمة هي التي تفضي الى القصاص ، وهو الذي يأخذ المجرم بذنبه ، فيكون فيه حياة الباقي ، وإذعان القرابتين للحكم ، وإزاله الوغر والضغن ، وكف الأذى والعدوان ، «فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بمعروف وأداء اليه باحسان» .

ثم قال الأستاذ محمد زكي : «ولو وعوا أن الاسلام لم يقصد قط خلود حكم من الأحكام فيما عدا العبادات لأدركوا أيّ دين عظيم هذا الدين ، وأية شريعة سمحة هذه الشريعة .. ولكنهم بضيق التفكير ، وضآلة الفهم ، يجنون على الاسلام أعظم جناية» .

أقول : إن من الأحكام الثابتة الخالدة ما لا يغيره الزمان والمكان ، ولا يختلف باختلاف الشعوب والأقوام ، وهي الأصول الكلية التي اتفقت عليها شرائع المرسلين كالتوحيد والصدق والعدل والإخلاص ، وتحريم الظلم والفواحش ، والشرك والإفك «إن الله يأمر بالعدل والاحسان ، وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي» فهل تقبل هذه الأوامر والنواهي تبديلاً أو تعديلا ؟ وقوله في العدل العام : «ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا ، اعدلوا ، هو أقرب للتقوى» أي لا يحملنكم بغض قوم لكم أو بغضكم لهم على ألاّ تقيموا سنة العدل فيهم ؛ ثم أمرهم بالعدل الكامل الشامل للمسلمين وغيرهم على اختلاف طبقاتهم بقوله : «اعدلوا» وحذف المعمول يؤذن بالعموم كما هو معلوم .

قال حكيم : « الاسلام هداية روحية ، وسياسة اجتماعية مدنية ، فأما الهداية الدينية المحضة فقد جاء بها تامة أصلاً وفرعاً ، وفرضاً ونفلاً ؛ وأما السياسة الاجتماعية المدنية ، فقد وضع الإسلام أساسها وقواعدها ، وشرع للأمة الرأي والاجتهاد فيها ، لأنها تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وترتقي بارتقاء العمران ، وفنون العرفان ؛ ومن قواعده فيها ان سلطة الأمة لها ، وأمرها شورى بينها ، وأن حكومتها ضرب من الجمهورية ، وخليفة الرسول فيها لا يمتاز في أحكامها على أضعف أفراد الرعية » .

إن الأمة العربية الآن متجهة اتجاهاً قوياً الى أن تعيش في ظلال القوة والوحدة والثروة والنظام ، وهل في الاسلام ما يعارض هذا الاتجاه ؟ لا ، بل الاسلام قد سبق أوربا بمئات السنين اليه ، وجرى ملوكه المدول أيام حضارتهم عليه ، وقد امتازت حضارته بالعدل والفضيلة على سائر المدنيات التي تبيح الظلم والرذائل .

محمد بهجة البيطار

(استدراك)

وقع سهواً في الصفحة (٩٧) من مقال : « أقدم تأليف في الحديث النبوي » المنشور في الجزء الأول من المجلد الثامن والعشرين ما يلي :

الآية : « ما كنت تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون » وصوابها : « ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون » .

كيف تكتب (سورية)

تعددت الروايات عن كتابة (سورية) بالتاء المربوطة أو بالألف . وقد سئل المجمع العلمي العربي عن هذا الغرض فأجاب بقوله ان (سورية ورومية وأمثالها من أسماء الأقطار والمدن التي عرفها العرب تكتب بالتاء المربوطة . والسبب في ذلك يرجع الى أن مؤلفي العرب وكتابهم كانوا يكتبونها كذلك . أما ما لم يكن للعرب به عهد من اسماء البلدان كفنزويلا وكندا مثلاً فيكتب بالألف) . وقد قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية مثل هذا القرار أيضاً ونشر قراره في سجل محاضر جلساته المطبوع سنة ١٩٣٩ .

ولكن من أين لنا أن نعرف الأعلام الجغرافية وكيف كتبها العرب ؟ ذلك سهل علينا ، ولا سيما على المتخصصين في فن تقويم البلدان (الجغرافيا) والتاريخ : يرجع الى كتب التاريخ وتقويم البلدان وهي كثيرة في خزائننا : منها المطبوع ومنها المخطوط . ومؤلفو الجغرافيا العربية الى أواخر القرن الرابع كثيرون : منهم ابن خرداذبه وابن رسته واليعقوبي والاصطخري وابن حوقل والمقدسي والمسعودي وابو الفدا . وقد طبَعَ علماء المشرقيات مصنفاتهم وعنوا بها وبفهارسها . وقام بعد هؤلاء البكري والهروي وياقوت الحموي والبغدادي وأشهرهم كلهم الادريسي الذي ألف كتاب (نزهة المشتاق) لملك صقلية . وفي هذا الكتاب خريطة جغرافيا أو أطلس جغرافي وقد أطلق عليه اسم (صورة الأرض) . فمن تصفح كتب التاريخ وتقويم البلدان ومصورات الأرض التي ألفت في العربية ووقع بصره على أسماء المدن الأعجمية وجد أن العرب كتبوا أواخر أسمائها بالتاء المربوطة . فنكتب نحن هذه الأسماء كما كتبها المؤلفون العرب . وما لم نظفر به من هذه الأسماء كتبناه بالألف كما يلفظه أهله الأعاجم . أو قلدنا فيها السلف فنكتبه بالتاء المربوطة .

أما الوصول الى هذه المراجع فهي كثيرة في خزانة المجمع العلمي العربي وهو مفتح الأبواب للكتاب والمؤلفين والمراجعين . ولو ألقينا النظر على اسبانيا (الأندلس) مثلاً لوجدنا أسماء مدنها تنتهي بالتاء المربوطة مثل (طليطلة سرقسطة غرناطة طرطوشة جزائر ميورقة منورقة الخ ....) واذا نظرنا الى صورة اوربا وجدنا فرانسة رومة جنوة الخ ... وهكذا يمكن لنا أن نتبين بسهولة ما يكتب بالتاء . وما لا نجده فنحن أحرار في كتابته .

فوجب والحالة هذه أن نكتب (سورية) كما كتبها العرب بالتاء المربوطة . فقد وردت في تاريخ الامام الطبري ، عقد المؤلف فيه فصلاً خاصاً في الجزء (٤) ص (١٥٥) بعنوان (ذكر ارتحال هرقل الى القسطنطينية) وذكرت كلمة سورية فيه مراراً . ومنها ما قاله هرقل في وداعها (عليك السلام يا سورية) وتكررت هذه الجملة بسبب تكرر الروايات . ولم تختلف كتابتها في كل مرة كتبت فيها : هكذا (سورية) بالتاء المربوطة . ومثل ذلك في معجم البلدان لياقوت الحموي . فلا اشكال بعد هذا !

المغربي

كتاب تقييد العلم

(لأبي بكر الخطيب البغدادي)

ابو بكر الخطيب البغدادي من أكابر المؤرخين . ولتاريخه مكانة في الأندية العلمية ، وظهرت عظمته فسار على نهجه جماعة من الأعاظم في تدوين أخبار المدن وآثارها وما أنجبت من رجال في الثقافة نسجوا على منواله في (تاريخ حلب) ، و (تاريخ دمشق)، و (تاريخ مصر الكبير) للموفق البغدادي ، وتواريخ مدن عديدة .

وأثر فيمن ذيل على تاريخه مثل السمعاني وابن النجار والدبيثي وابن رافع والبنداري ، والذهبي ، والتقي الفاسي ... هذا ولم نحصل على احصاء كامل في علماء بغداد وثقافتها الثقافة التاريخية .

أما الوصول الى هذه المراجع فهي كثيرة في خزانة المجمع العلمي العربي وهو مفتح الأبواب للكتاب والمؤلفين والمراجعين . ولو ألقينا النظر على اسبانيا (الأندلس) مثلاً لوجدنا أسماء مدنها تنتهي بالتاء المربوطة مثل (طليطلة سرقسطة غرناطة طرطوشة جزائر ميورقة منورقة الخ ....) واذا نظرنا الى صورة اوربا وجدنا فرانسة رومة جنوة الخ ... وهكذا يمكن لنا أن نتبين بسهولة ما يكتب بالتاء . وما لا نجده فنحن أحرار في كتابته .

فوجب والحالة هذه أن نكتب (سورية) كما كتبها العرب بالتاء المربوطة . فقد وردت في تاريخ الامام الطبري ، عقد المؤلف فيه فصلاً خاصاً في الجزء (٤) ص (١٥٥) بعنوان (ذكر ارتحال هرقل الى القسطنطينية) وذكرت كلمة سورية فيه مراراً . ومنها ما قاله هرقل في وداعها (عليك السلام يا سورية) وتكررت هذه الجملة بسبب تكرر الروايات . ولم تختلف كتابتها في كل مرة كتبت فيها : هكذا (سورية) بالتاء المربوطة . ومثل ذلك في معجم البلدان لياقوت الحموي . فلا اشكال بعد هذا !

المغربي

كتاب تقييد العلم

(لأبي بكر الخطيب البغدادي)

ابو بكر الخطيب البغدادي من أكابر المؤرخين . ولتاريخه مكانة في الأندية العلمية ، وظهرت عظمته فسار على نهجه جماعة من الأعاظم في تدوين أخبار المدن وآثارها وما أنجبت من رجال في الثقافة نسجوا على منواله في (تاريخ حلب) ، و (تاريخ دمشق)، و (تاريخ مصر الكبير) للموفق البغدادي ، وتواريخ مدن عديدة .

وأثر فيمن ذيل على تاريخه مثل السمعاني وابن النجار والدبيثي وابن رافع والبنداري ، والذهبي ، والتقي الفاسي ... هذا ولم نحصل على احصاء كامل في علماء بغداد وثقافتها الثقافة التاريخية .

وتهمنا ناحية أخرى (الثقافة التاريخية في الحديث) . وأعتقد أنها لا تقل شأناً عن سابقتها وربما كانت أصلاً لتلك أو ركناً من أركانها . وهي ما نعبر عنه بـ (مصطلح الحديث) . منها اقتبس المؤرخون أصول التاريخ . وهي التي ألهمته أصول تاريخه . ومن ثم أوضح عن (رجال الحديث في بغداد) وغيرهم تناول صحة الخبر ومطالب أخرى تتعلق بها . فهي أصول الحديث وأصول التاريخ معاً . ومؤلفاته في موضوعها كثيرة . ومنها (كتاب تقييد العلم) .

طلع علينا الأستاذ العش بهذا الكتاب ، أوضح ما فيه تعليقاته ، توصل منها الى أن العلماء التالين لم يزيدوا على ما قال . وان اظهاره بهذه الحالة خدمة عظيمة لا تقدر .

وأقول : ان التأثر بكتابه هذا وأمثاله من كتبه الأخرى في فنون الحديث لا تقلّ ، أو لا تختلف عن درجة التأثر بتاريخه (تاريخ بغداد) . حصل ذلك في مجموع مؤلفاته في (علم الحديث) . وهي كثيرة ومهمة . ومنها ما طبع ، فلم يخل محدث من التأثر بها ، بل لم نرَ مؤرخاً مكيناً الاّ تأثر بها من ناحية تدقيق الخبر والوثوق من صحته وطريق الأخذ به .

والخطيب لا ينكر أنه تأثر بمن قبله من المحدثين الا أن العلماء شهدوا بأنه فاق من تقدمه ، وصار التالون عيالاً عليه ، ولعل النص التالي يؤيد وضعه التاريخي في (فنون الحديث) ، ويتميز به على غيره . قال الأستاذ الحافظ شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ في كتابه (نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر) ما نصه :

«ان التصانيف في اصطلاح أهل الحديث قد كثرت للأئمة في القديم والحديث . فمن أول من صنف في ذلك القاضي ابو محمد الرامهرمزي كتابه (المحدّث الفاضل) لكنه لم يهذب ولم يرتب ، والحاكم ابو عبد الله النيسابوري لكنه لم يهذب ولم يرتب . وتلاه ابو نعيم الأصبهاني فعمل على كتابه مستخرجاً

وأبقى أشياء للمتعقب . ثم جاء بعدهم الخطيب ابو بكر البغدادي ، فصنّف في قوانين الرواية كتاباً سماه (الكفاية) ، وفي آدابها كتاباً سماه (الجامع لآداب الشيخ والسامع) . وقلّ فنّ من فنون الحديث الا وقد صنف فيه (كتاباً مفرداً) ، فكان كما قال الحافظ ابو بكر ابن نقطة : كل من أنصف علم أن المحدّثين بعد الخطيب عيال على كتبه .

ثم جاء بعض من تأخر عن الخطيب فأخذ من هذا العلم بنصيب ، فجمع القاضي عياض كتاباً لطيفاً سماه (الالماع) ، وابو حفص الميانجي جزءاً سماه (ما لا يسع المحدّث جهله) . وأمثال ذلك من التصانيف التي اشتهرت وبسطت ليتوفر علمها ، واختصرت ليتيسر فهمها الى أن جاء الحافظ الفقيه تقي الدين ابو عمرو عثمان بن الصلاح عبد الرحمن الشهرزوري نزيل دمشق فجمع لما ولي تدريس الحديث بالمدرسة الأشرفية كتابه المشهور ، فهذب فنونه وأملاه شيئاً بعد شيء ، فلهذا لم يحصل ترتيبه على الوضع المناسب . واعتنى (بتصانيف الخطيب) المتفرقة فجمع شتات مقاصدها . وضم اليها من غيرها نخب فوائد فاجتمع في كتابه ما تفرق في غيره . فلهذا عكف الناس عليه ، وساروا بسيره ، فلا يحصى كم ناظم له ومختصر ومستدرك عليه ومقتصر ، ومعارض له ومنتصر ...» اه

ثم كتب الأستاذ ابن حجر نفسه كتابه (نخبة الفكر) وشرحها باسم (نزهة النظر) . ومن مخطوطتها نقلنا النص المذكور . ويطول تعداد ما شغل به العلماء من الشروح والتعاليق . ويهمنا بيان التأثير والتأثر بكتب الخطيب في (فنون الحديث) كما أثرت في (فنون التاريخ) ، فتجلت عظمته فيها وفي تاريخه . ومنها تكونت ثقافة العصور التالية بما ألهم من آراء سديدة وجديدة . وصحّ ما قيل من أن المحدثين عيال على كتب الخطيب .

وقد أجاد الأستاذ العش بما علقه على كتاب (تقييد العلم) ، فلم يشأ أن ينقطع عنه . وله الفضل فيما أسدى من هذه الخدمة .

عباس العزاوي

تصحيح سبعة أسطر

حينما طالعت (تاريخ داريا لابن المهنا) وجدت فيه من التحريف والتصحيف غرائب وبخاصة في ص (١٢٦) فقد ورد فيها من الغموض والابهام ما جعلني أرجع الى تاريخ ابن عساكر فظهر لي أن الترجمة المذكورة بسبعة أسطر في الصفحة المذكورة ليست لشخص واحد وهو « خلف بن محمد » وإنما هي ثلاث تراجم لثلاثة أشخاص كل واحد منهم غير الآخر ، مزج الأستاذ سعيد الأفغاني محقق هذا الكتاب بعضها ببعض وجعلها ترجمة واحدة لشخص واحد . وان ما في هذه الصفحة من الخطأ الفادح دفعني الى نشر تصحيحها حتى لا يقع فيه من ينقل عن هذا الكتاب أو يفيد منه .

وهذه صورة ما ورد في (ص ١٢٦) من تاريخ داريا بتحقيق الأستاذ الأفغاني :

خلف بن محمد بن القاسم بن عبد السلام بن محمد العنسي

حدث عن أبي يعقوب الاذرعي : حدثنا عنه ابو محمد عبد العزيز بن احمد ابن احمد بن عمرو بن معاذ ابيه [كذا ؟] عبد الله بن احمد بن عمرو بن معاذ العنسي .

أبو الحسين يروي عن ابي الميمون بن راشد وابي الحسن بن حذلم ، وابي القاسم ابن ابي العقب ، وابي يعقوب الاذرعي وغيرهم . توفي بداريا(١) في شوال سنة اربع عشرة واربعمائة .

وعلق المحقق على قوله « بداريا(١) » مايلي : (١) في ترجمة ابن عساكر له انه كان قاضي داريا ـ ٣/٢٤٧ أ ـ وفي ص ٣/٢٤٧ ب منه ان وفاته كانت سنة ٤٠٩ هـ .

هذا ما جاء في ص (١٢٦) ويظهر الاضطراب باديًا بين متن الكتاب

من أن محمد بن خلف توفي سنة (اربع عشرة واربعمائة) وبين ما عاق عليه المحقق من ان وفاته سنة (٤٠٩) .

أما صواب ما تقدم فكما يلي :

خلف بن محمد بن القاسم بن عبد السلام بن محمد العنسي

حدث عن ابي يعقوب الاذرعي . حدثنا عنه ابو محمد عبد العزيز بن احمد [الكتاني] [1]

احمد بن عمرو بن معاذ العنسي

[روى عن] ابيه . [وروى عنه ابنه] عبد الله بن احمد [2]

عبد الله بن احمد بن عمرو بن معاذ العنسي

ابو الحسين . يروي عن ابي الميمون بن راشد ، وابي الحسن بن حذلم ، وابي القاسم بن ابي العقب ، وابي يعقوب الاذرعي وغيرهم ، توفي بداريا في شوال سنة اربع عشرة وأربعمائة [3] .

هذا ما أردنا تصحيحه الآن ، ولعلنا نعود الى تصحيح ما ورد في هذا الكتاب في فرصة أخرى .

محمد احمد دهمان

---

(١) هذه ترجمة مستقلة وقد انتهت راجع تاريخ ابن عساكر اختصار بدران (١٧١/٥) تر ترجمة مستقلة مع تصحيف فيها .
(٢) وهذه ترجمة مستقلة أيضاً راجع المصدر المذكور (٤١٨/١) تر ترجمة مستقلة مع تصحيف فيها .
(٣) ترجمة ثالثة مستقلة . المصدر السابق (٢٨٥/٧) تحقيق الأستاذ احمد عبيد .

المدارس في الجمهورية السورية

بلغ مجموع المدارس الرسمية والأهلية والأجنبية في عام ١٩٥١ — ١٩٥٢ ما يأتي:

١ — المدارس الابتدائية : المجموع ٢١٨٤ مدرسة منها ١٥٢٤ مدرسة للذكور و ٣١٣ مدرسة للاناث و ١٣ مدرسة مختلطة (رسمية) و ٩٨ مدرسة للذكور و ٤٦ مدرسة للاناث و ١٥٢ مدرسة مختلطة (أهلية) و ١٣ مدرسة للذكور و ١٠ مدارس للاناث و ١٥ مدرسة مختلطة (أجنبية) ٠

٢ — المدارس المتوسطة والاعدادية : المجموع ١٦٤ مدرسة ٠ منها ٣٥ مدرسة للذكور و ٢٠ مدرسة للاناث ومدرستان مختلطتان (رسميتان) و ٦٥ مدرسة للذكور و ١٩ مدرسة للاناث و ٥ مدارس مختلطة (أهليـة) و ٧ مدارس للذكور و ٩ مدارس للاناث ومدرستان (اجنبيتان) ٠

٣ — المدارس المهنية تدخل فيها المدارس الزراعية : المجموع ١٣ منها ١٠ مدارس للذكور ومدرسة واحدة للاناث (رسمية) ومدرسة واحدة للذكور ومدرسة واحدة للاناث (أهلية) ٠

٤ — مجموع مدارس دار المعلمين عشر : منها ٦ للذكور و ٤ للاناث (رسمية)٠

وقد بلغ مجموع موازنة وزارة المعارف لعام ١٩٥١ — ١٩٥٢ حوالي ٤٠ مليون و ٧٦٩ ليرة سورية وبذلك تكون النسبه المئوية لهذه الموازنة بالنسبة لمجموع موازنة الدولة ١٨٫٧٨ ٠

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثامن والعشرين

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٣ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٤ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٥ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٦ — تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٧ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٨ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — غوطة دمشق (الطبعة الأولى والثانية): تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١١ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
١٢ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٣ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٤ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٥ — 〃 〃 〃 (الجزء الثاني) 〃 . 〃 〃 〃
١٦ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
١٧ — تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (المجلدة الأولى) بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد
١٨ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢٢ — 〃 〃 〃 (الجزء الثاني) 〃 〃 〃 〃

٢٣ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرح وتعليق الأستاذ محمد بهجة البيطار

٢٤ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك . و . سترستين

٢٥ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد

٢٦ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني

٢٧ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب

٢٨ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الدكتور يوسف العش

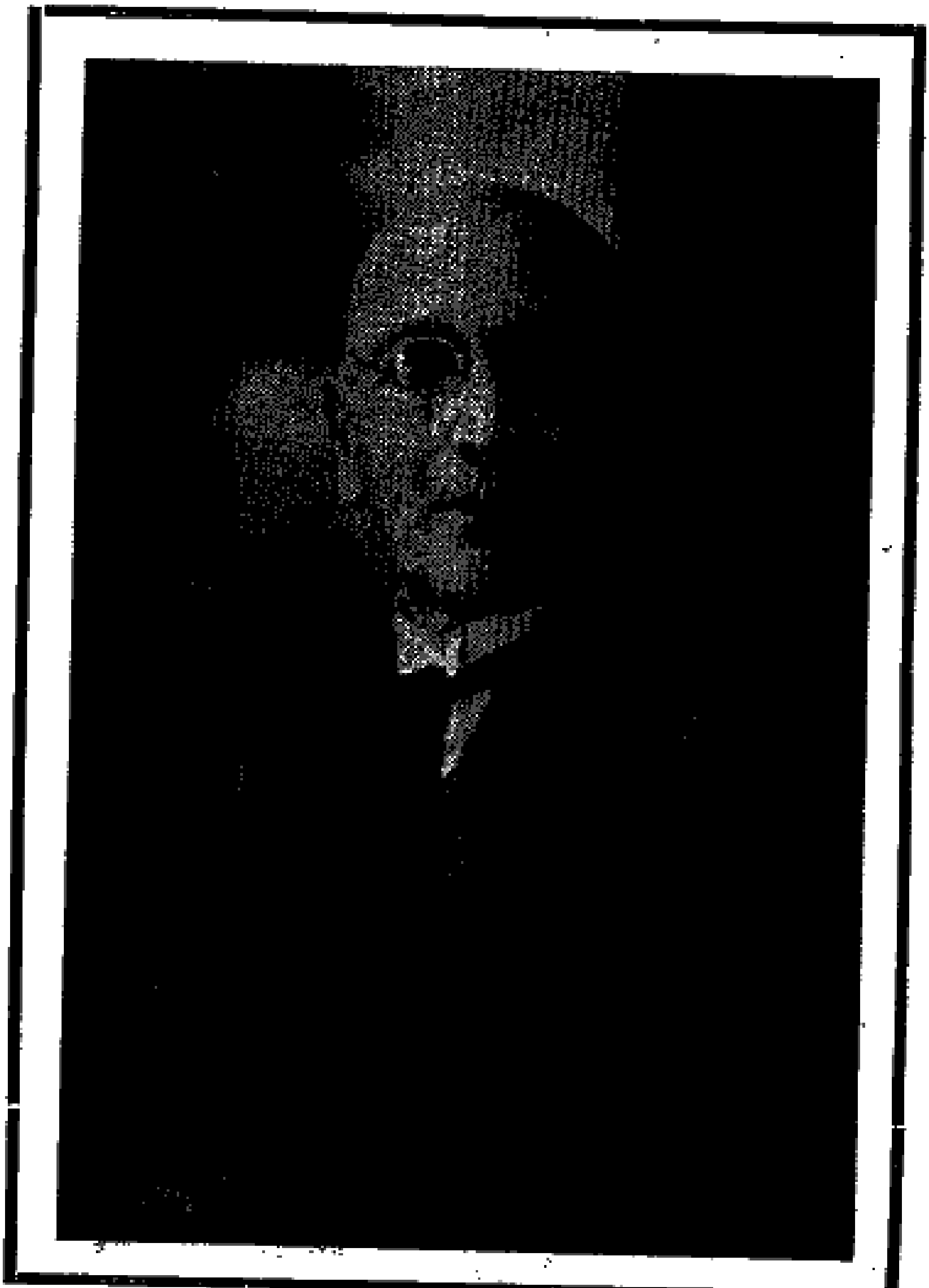
٢٩ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٣٠ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٣١ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
} بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي

٣٢ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي

٣٣ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم

٣٤ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

الأستاذ الرئيس



محمد كرد علي

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٥٣ ١٩ شوال سنة ١٣٧٢

(كلمة السمرمر اسماً للطائر)

(من أية لغة جاءت؟ وما حقيقة هذا الطائر؟)

رددت الصحف (وأصبحت تردد اليوم) أخبار الجراد الذي حام حول سورية وأخذ يهددها حتى أزعجت زيارته السوريين قاطبة ولا سيما المزارعين الذين خشوا غائلته وعقبى التواني في مكافحته ودفع أذاه . وجرى الحديث بهذا الشأن في بعض أندية الأدب ومال بأهله الكلام الى ذكر طائر (السمرمر) وعجيب خبره ، وانه اذا اقتحم أرجال الجراد فرّق شملها وكفى البلاد شرها . ولكن كيف الوصول الى هذا الطائر ؟ فقلت : إن أخبار (السمرمر) وفتكه بالجراد الى حد الإبادة غير صحيحة ، حتى يكاد (السمرمر) بما يُروى عنه من القصص يصبح طيراً خرافياً كالعنقاء . فانبرى للرد عليّ بعضُ الاخوان وكانوا من فضلاء حلب فاشتدت عارضتهم في معارضتي . وقالوا إن طير السمرمر ثابت الوجود في بلادهم . وسماء ديارهم . وشائع الذكر على ألسنة خاصتهم وعامتهم . وانهم يرونه بعيونهم . ويصطادونه ببنادقهم . وكانت حجتي التي حضرتني في ذلك

الحين هي أن السمرمر لو كان فتكه بالجراد الفتكَ الذي يزعمه الناس لما خفي أمره على الحكومات التي تعاني ما تعاني في كفاحه ٠ واتخاذ أعنف الوسائل في إبادته ٠ الى أن اهتدوا أخيراً الى مواد كيماوية قاتلة كـ (الاكريسيد) و (الألدرين) ولم نسمع ان حكومةً ما استعانت بالسمرمر ٠ وكلَّفته مهمةَ هذا الكفاح ٠ والاوربيون الذين اخترعوا من الجمادات طائرات تطير ، لا يعجزهم ان يدجّنوا طائراً يرونه تحت مواقع أبصارهم وتناول حبائلهم ثم يستخدمونه في مكافحة الجراد ٠ وكل ما في الأمر أن (السمرمر) أطلقه أناسُ القرون الأخيرة في الشرق الأدنى على الطير الذي يأكل الجراد ٠ وسباعُ الطيور من شأنها ان تأكل الفيران والحشرات والديدان والأفاعي بَلْهَ الجراد ٠ وجارنا ابوالمرقال (أعني الغراب) لا يقصر في مهمة أكل الجراد كما قال عنه الجاحظ ٠ عندها اشتد الجدال حول هذه المسألة بين الجلساء ٠ ورأيت نفسي في حَيرة من أمري أمام من قال ان السمرمر نراه ونصطاده ونسميه بهذا الاسم ٠ وتنسمت من أقوال هؤلاء الفضلاء ان الديار الحلبية ربما كانت مهبطاً لشهرة هذا الطائر ، وأكبر محلٍّ لتصدير بضاعة أقاصيصه ٠ كما يظهر للقارئ فيما نسرده عليه من أدوار نشوء قصة السمرمر ٠ وورود ذكر حلب في تضاعيفها ٠ ثم أرضيت القوم بقولي قد صحّ عندي أن في حلب وغيرها من بلادنا طائراً يأكل الجراد ويسميه الناس (سمرمراً) ولكنّ طاقةَ هذا الطائر قلما تُغني في صدّ عادية الجراد وإبادته كما يزعم الزاعمون ٠ وهكذا انتهى الحديث ٠ وهدأت الشقاشق ٠

وقد رأيتني بعد هذا الحوار منساقاً الى مراجعة المصادر اللغوية والعلمية التي تكشف القناع عن حقيقة هذا الطائر ٠ ومن أية لغة جاء اسمه (سمرمر) فراجعت بعض المصادر وأخذت (نوطة) عن بعضها الآخر ، ثم نبهني منبه الى ما كتبه الشيخ كامل الغزّي في تاريخ حلب من أخبار تُروى عن السمرمر حينما كان يقدم الجراد الديار الحلبية ٠ وقد وصف لنا الشيخ الغزي مبلغ الخداع

الناس به . فشدّ ذلك من عزيمتي على كتابة مقالي هذا عن (السمرمر) وغريب خبره ومنشأ اسمه أو أسمائه .

وما أكتبه عنه لا يكون موثوقاً به ما لم يُرجع فيه الى علماء علم الحيوان والتاريخ الطبيعي وعلماء الزراعة وأبحاثهم في الجراد ووسائل مكافحته في مختلف أدوار التاريخ : هؤلاء بنو اسرائيل أدّبهم الله بعقوبات أشهرها الجراد فدفعوا كيده بكل وسيلةٍ حتى وسيلة الأصواتِ المزعجة ودقّ الطبول والأواني التنكية وما شابه ذلك كما ذكره الدكتور بوست في تاريخ الكتاب المقدس ، ولم يذكر بوست طائر السمرمر بهذه المناسبة في ما عدد من الوسائل ولا أن اليهود لجأوا الى الله كما هي عادتهم طالبين منه إرسال السمرمر اليهم : فالسمرمر وبطشه بالجراد في تلك الأزمان الخالية لم يكن معروفاً في المشرق على ما يظهر . أما عرب الجاهلية فلم يكونوا يعرفون قط طيراً باسم السمرمر ولو عرفوه لجاء ذكره في أخبارهم وأشعارهم ولكان اسمه مدوّناً في معاجم لغتهم . وهذه دواوينهم ومعاجمهم وأكبرها المخصّص واللسان والتاج لم يذكروه مع أنهم ذكروا كثيراً من سباع الطير التي تلتهم الأفاعي والهوام . ومن الغريب أن صاحب التاج لم يحفل بكلمة (السمرمر) ولم يدونها في شرحه ومستدركه مع أنه عاش في القرن الماضي الذي استفاض فيه خبر السمرمر في بلادنا على ما سيجيء . والأعجب من ذلك ان صاحب القاموس ذكر ان السمرمرة هي الغُول . والسمرمر من مادة السمرمرة لكنه أهمل ذكر السمرمر بمرةٍ واحدة : فلم يذكر اسمه وانما ذكره المعجميون المعاصرون كبطرس البستاني الأول في محيط المحيط وعنه أخذ صاحب (أقرب الموارد) أما البستاني الثاني أعني صاحب البستان فقد ترفع عن ذكر السمرمر فلم يذكره تأسياً بالمعاجم الكبرى التي تدوّن لغة العرب وما تخللها من المعرّبات المعروفة في العصور الأولى ، وكلمة السمرمر جاءتنا في العصور المتأخرة بدليل إهمال المعاجم القديمة لها . وبدليل آخر أظهرُ بياناً . وأعزُّ سلطاناً . وهو أنّ

من دوّن أخبار الحيوان من العلماء المعروفين لم يذكروا اسم السمرمر في كتبهم فالجاحظ في كتاب (الحيوان) لم يذكره . ولما ذكر الجراد قال إن العصافير والغربان تأكله ، واقتصر عليهما مع أن السمرمر لو صحّ خبره لكان أحقّ بالذكر وأولى . ومثل الجاحظ ابن المقفع في كتابه (كليلة ودمنه) الذي أبدع في ذكر الأمثال والقصص على لسان الطير فهو لم يدع نكتةً الا ذكرها ، وقد ذكر من الطيور ما لا قيمة له . أما السمرمر فلم يذكره بخبر ما مع أن مزيته لو صحت لأشار اليها فيما ذكره من لطائف طباع الطير . وهذا القلقشندي المتوفى سنة (٨٢١) في كتابه الجامع (صبح الأعشى) ألّفه لما يحسن بالكاتب والمنشئ أن يعلمه من الشؤون المتعلقة بفن الكتابة ويستوعبه من الأوصاف التي يحتاج اليها الكاتب : من ذلك الطيور وخصائصها . وقال إنه يجمل بالمنشئ ان يعلم كل ذلك ليذكره اذا كتب ووصف ومدح أو ذم . ثم نرى القلقشندي وصف معظم أصناف الطير فذكر (السَّمَنْدَل) وما قيل في أخباره وأوصافه . والسُّمانَى وهي من فصيلة السمرمر كما صرح بذلك بعض علماء الحيوان المتأخرين . أما السمرمر فلم يذكره ولم يتعرّض له بحال . ومنهم الدميري المتوفي سنة (٨٠٨) في كتابه المشهور باسم (حياة الحيوان) فانه لم يذكر (السمرمر) ولم يتعرض له في أخبار الجراد ولا أنه من آكلاته ، مع أنه تعرض لدفع شرّ الجراد بالأدعية والأوراد والآيات القرآنية التي تكتب وتلقى في الحقول والمزارع المصابة به . وجاء بعد الدميري الشيخ السيوطي المتوفي سنة (٩١١)هـ فألف في الحيوان كتابه المسمى بـ (ديوان الحيوان) وهو من مخطوطات مكتبتي : فلم يذكر السمرمر واستدرك على الدميري ما أغفله من أسماء بعض الطيور فلم يذكر السمرمر في جملتها .

وصلنا الى القرن العاشر الهجري فلم نسمع بذكر للسمرمر ولا باسمه : لا في كتب اللغة ولا في كتب الحيوان . حتى جاء القرن الحادي عشر فسمعنا الشهاب الخفاجي المتوفي سنة (١٠٦٩) هـ يقول في كتابه (شفاء الغليل) :

السمرمر لفظ فارسي . قال الكتيباني : إن السمرمر اسم طائر ببلاد العجم يأكل الجراد . وله مكان عند عين ماء يجتمع لديها ، فاذا أُخذ من مائها وعلق على رؤوس الرماح تبعه الطائر حتى يُؤتى به الى بلدٍ يراد افناء جرادها . وقد وقع ذكر السمرمر في أشعارٍ عربية للمولدين وهو بالتركية (صفرجق) اه فنتساءل أولاً من هو هذا الكتيباني ، وقوله (للمولدين) يشعر بأن العرب الأقدمين لم يعرفوا السمرمر : ومعنى (صفرجق) بالتركية (الزُرزور) كما في معجم (كنز لغات) . فالسمرمر عند الأتراك ليس هو سوى (الزُرزور) . وهكذا الفرنسيون لا يفهمون من السمرمر الا الزُرزور . بدليل أن البستاني الأول في دائرة المعارف العربية لما جاء ذكر السمرمر ذكره تحت اسمه بالفرنسية هكذا (étourneau) الذي معناه الزُرزور . ومثله الدكتور شرف فانه لما ذكر في معجمه اسم الزُرزور بالانكليزية (starling) فسره بالفارسية بكلمة (سار) وبالعربية بكلمة (زرزور) .

والانكليز في معاجمهم اذا عرض لهم ذكر السمرمر المشهور في الشرق فسروه باسم (starling) الذي معناه الزرزور . ففي قاموس (تشمبرز) الانكليزي ص ٦٦٧ ما ترجمته بالعربية : (السمرمر طير جميل ورديّ اللون من فصيلة الزرزور قاطن غربي آسيا) . وقوله من فصيلة الزرزور يعني من عائلته كما اختار التعبير بالفصيلة بدل العائلة بعض المعاصرين ، فالزرازير منها الأرقط وهو كثير الوجود في بلادنا والرقطة في اللغة العربية لون السواد الذي يخالطه نُقط بيض ومنه الحية الرقطاء . ومن الزرازير ما ليس بأرقط بل يكون وردي اللون فيصحُّ أن نسميه الزرزورَ المورَّد أو الورديّ اللون . وهو الذي خصه العامة باسم السمرمر .

وقد اختلف الكتاب في توصيفه وتحليته : فتشمبرز الانكليزي قال إنه ورديّ اللون كما مر ، وقال غيره غيرَ هذا كما يأتي . لكنهم أجمعوا على أنه أسود أو أن السواد غالب عليه وقد طُرِّز السواد بألوانٍ اخرى كالحمرة والصفرة . ويظهر

أن متحف التاريخ الطبيعي في بغداد اقتبس عن (تشمبرز) وصف السمرمر : فقد ذُكر في قائمة الطيور العراقية (نشرة رقم « ٢ ») ما ترجمته بالعربية (زُرزور وردي سمرمر من طيور المرور المهاجرة) أي من الطيور القواطع . وهكذا نرى أن طير (السمرمر) لم يشتهر اسمه وخبره على ألسنة الكتاب الا بعد الألف للهجرة . والكتاب الشرقيون والغربيون ولا سيما أصحاب المعاجم ينقل بعضهم عن بعض : فالشرتوني إنما لخص ما قاله البستاني الأول في محيط المحيط . ونص عبارة البستاني : (السمرمر طائر يشبه السماني أسود اللون سريعُ الصوت يزعق على الجراد ويأكل منه كثيراً فلا يشبع ولذلك ينهزم الجراد من صوته . ويلقي نفسه في البحر غالباً وهو ضدٌ عظيم له) وقوله هذا في السمرمر يشبه أن يكون صدًى لما يتحدث به العامة عنه . وما أعجب كثرة الاختلاف في السمرمر : أأسود هو أو ملون ؟ أيشبه الزرزور أو السُّماني ؟ أيفتك بالجراد بواسطة زعقه عليه ، أو أكله له بلعاً ، أو بتمزيقه لجسمه ؟ ثم كيف يمزّقه ؟ وبعد تمزيقه أيأكله أو يطرحه أشلاءً مبعثرة ؟ واذا أكله كيف يهضمه ؟ ثم أيستقر في جوفه ، أو يقذفه من فوره ؟ ؟ كل ذلك سمعناه من أفواه أناس مختلفي الثقافات ، ومنهم من ثقافته عاليــة . على أن المتأخرين من الخاصة الذين دوّنوا خبر السمرمر كأرباب المعاجم المسيحية لا يعدو كلامهم كلامَ العوام من حيث التردّد والتساؤل . وفي يقيني أنك لو عرضتَ سمرمراً تحت أنظار جمهور من الناس لتماروا فيه وتخالفوا : فمنهم من يزعم أنه السمرمر بعينه . ومنهم من يزعم أنه غيره . فيدّعون ان شيات السمرمر كيتَ كيتَ لا كيت ولا كيتَ . ولا يزالون مختلفين الى آخر أيام الناس . والبستاني في دائرة المعارف ترجم للسمرمر بما يشعر بضعف الثقة بعجائبه . وقد جعله زرزوراً إذ فسره بالفرنسية بقوله (étourneau) كما مرّ وقال إنه من فصيلة الزُرزور . لكنه قال عنه انه يشبه السُّماني . ولما حلاّه جعل له عُرفاً طويلاً حالكَ السواد مع لمعانٍ

بنفسجي في العنق والجناحين والذنب . وجعل لونه ورديا في ما عدا ذلك وفي ماعدا ساقيه السمراوين الضاربتين الى الصفرة . والعُرف بضم العين شعر عنق الفرس فاستعاره لريش عنق السمرمر . فالسمرمر على قول البستاني أسود بنفسجي فيه حمرة وصفرة . أما رأيه في أسطورة إبادته للجراد فقد عبَّر عنها بما يشعر بالضعف وقلة الثقة ، إذ قال : واشتهر السمرمر بمخاصمة الجراد قيل ويجتمع أسرابًا ويطارد الجراد ويأكل منه كثيراً . فقوله (واشتهر مع قوله قيل) يدلُّ على البراءة من صحة هذا الخبر عن السمرمر كما يدل على أن أسطورته في اكتساح الجراد ضعيفة أو مبالغ فيها : إذ هو (أي السمرمر) في ذلك كسائر أبناء عمه الزرازير والسُّمانَيات والسودانيات والصَفاريَّات : يأكلون الجراد مع تفاوت بينهم في مقدار الشره والالتهام . وكأن صاحبنا (السمرمر) أكثر التهامًا وأشدُّ شرَهًا حتى أدى ذلك الى تولد أسطورته وولوع القُصَّاص بعجائبه . وكيف تولدت هذه الأسطورة ؟ وشاعت تلك العجائب ؟ ذكرنا آنفًا ما قاله البستاني في الدائرة عند ذكر السمرمر في حرف السين . وكان في حرف الجيم (عند ذكر الجراد) قال :

وأكثر ما اشتهر عند العرب في إتلاف الجراد طيور يسمونها بالطيور السودانية تأتي من نواحي عين بأصبهان يقال لها (سُمَيْرَم)[1] ويسميها أهل الشام وما يجاورها (أي يسمون تلك العين أو تلك الطيور السودانية) بالسمرمر ويسميه الافرنج بالسلوقي اﻫ .

---

(١) « سُمَيْرَم » بضم ففتح فسكون ففتح اسم قصبة بين أصبهان وشيراز اليها ينسب وزير السلطان محمود السلجوقي وهو نظام الدين السُمَيْرمي الذي قتل الطغرائي بتهمة الالحاد ظلماً . وكان الطغرائي وزيراً للسلطان مسعود السلجوقي وقتله كان بعد أن نصر محمود على مسعود (راجع تفصيل ذلك في ابن خلكان في ترجمة الطغرائي في حرف الحاء) وأخبرني بعض الفضلاء الايرانيين ان سيرم هذه ما زالت قصَبة معروفة في ايران الى اليوم لكنهم يلفظونها بفتح السين وضم الراء أي غير مصغرة .

لم أتمكن من معرفة تسمية الافرنج للسمرمر بالسلوقي حسبما روى البستاني ·
أما قوله إن السمرمر من الطيور التي اشتهرت عند العرب باسم (الطيور السودانية) فإن هذه الطيور السودانية أمرها مشهور ومدون في كتبهم ويجمعون السودانية أحياناً على السودانيات · واسمها يدلُّ على أنها سود الألوان : فهي في عالم الطيور كالسودان في عالم البشر ، فالسمرمر على هذا أسود · والسودانيات اسم عربي قديم بخلاف (السمرمر) فانه اسم حديث أطلقه سكان الديار الشامية على نوع من السودانيات المذكورة · قال السيوطي في كتابه (ديوان الحيوان) : (والسودانية طائر يأكل العنب لعله الزرزور · وقال النضر السودانية هُنَيَّة سوداء طويلةُ الذنب بصغر الصَّجْرة وسوادِها)اهفالسمرمرمن نوع السودانيات أي الطيورالسود الصغيرة ·

وقول البستاني (الطيور السودانية المعروفة بالشام بالسمرمر تأتي من نواحي عين بأصبهان يقال لها سُمَيْرَمْ) قوله هذا يفتح أمام أعيننا أفقاً جديداً في موضوع (السمرمر) من حيث الوضع اللغوي وسيأتي تفصيله ـ كما يدلّ كلام البستاني على أن السمرمر وأخباره أُسطورة عجمية موطنها الأصلي بلاد العجم أي ايران اليوم · وما قلناه في التعليق على رواية البستاني في الدائرة نقوله في التعليق على قول الخفاجي في كتابه (شفاء الغليل) الذي مرَّ آنفاً وقد قال فيه : إن مكان السمرمر عين ماء ببلاد العجم · وزادنا الخفاجي تعريفاً بخواص السمرمر وهو أنه يتبع الماء المأخوذ من العين والمعلَّق على رؤوس الرماح الى حيث يكون الجراد فيأكله ·

فمن قول الخفاجي هذا وما تلاه من قول البستاني في دائرة المعارف نضع مبدأ « الأسطورة السمرمرية » تحت نظر القارئ ونعمل على تعيين الزمن الذي تولدت فيه بقدر ما وسعه علمنا القاصر :

الأسطورة السمرمرية ذكرها الخفاجي في القرن الحادي عشر للهجرة ، فيظهر أن اسم السمرمر وقصته جاءت بلاد الشام في حدود الألف للهجرة ومما يأتي من

النقول التاريخية نستدل على أن حلب هي أول من تلقى هذه الأسطورة من بلاد العجم، ثم أشاعتها في سائر البلدان الشامية وما جاورها . ولا غرو فحلب في العهد التركي العثماني كانت محطة كبرى لحجّاج العجم وتجار العجم وقوافل العجم ولسائر الدراويش والبكداشلية والقلندرية والمتسولين الواردين من بلاد العجم .

اتصلنا ونحن نجمع مواد هذا البحث بالمفوضية الايرانية بدمشق . وسألناها تلفونياً عن السمرمر واننا نريد أن نستطلع طلعه من المصادر الايرانية . فأجابت من فورها إن قصة السمرمر من الأساطير الفارسية وأن دراويش ايران هم الذين نشروها في البلاد بواسطة بيعهم لماء السمرمر . وأن السمرمر ليس الا الزُرزور المسمى بالفارسية (سارْ) . ثم وعدت المفوضية مجمعنا الدمشقي بأنها سترسل اليه ما يُمليه بهذا الشأن معلم اللغة الفارسية بدمشق وهو الأستاذ (آغا آرام) أو (أحمد آرام) وبالفعل أرسل الفاضل المشار اليه الى مجمعنا العلمي طائفةً من مصنفاته وتقريراً مختصراً عن السمرمر، استفدنا منه في ما نحن بصدده من هذا البحث . وسنذكر المهمّ منه . لكننا لم نعثر على نص قديم يتعلق بأسطورة السمرمر غير ما نقلناه عن الخفاجي في القرن الحادي عشر . بل ظفرنا بنص آخر أقدم منه غير أن أمره أعجب : ذلك أن النويري ذكر في كتابه نهاية الأرب جزئه العاشر صفحة (٢٩٥) بمناسبة الكلام على الجراد نقلاً عن أحد مؤرخي حلب !! في حوادث سنة (٥٩٢) . والمؤرخ الحلبي روى الخبر عن القاضي الفاضل، والقاضي الفاضل رواه عن قاضي حلب ابن شداد . وهؤلاء الرواة من رجال الفضل اللامعين في القرون الوسطى الاسلامية، وروايتهم هذه حجة لمن يدعي أن المؤرخين ورواة الأخبار (أو معظمهم) في الاسلام كان يغلب عليهم قلة التمحيص وعدم التدقيق والاكتفاء بالنقل المجرد وترك القارئ في حيرةٍ من أمره . وخبرُ ابن شداد طويل نلخصه بما يأتي :

بلغ ملك حلب (الظاهر بن صلاح الدين) أن زحوف الجراد تتوالى على بلاد الشام وأن طائر (السمندل) كفيل بإتلافه وأن في خوزستان وهي (الأهواز

بيلاد العجم) عين ماء اذا أحضر منه تبعه طير (السمندل) الى حيث الجراد فيفنيه . فأرسل الملك ثلاثة رجال من العجم الي الأهواز فأتوا بشيء من ماء العين وحملوه مشاةً لا ركباناً . واذا نزلوا علقوه ولم يضعوه على الأرض . مصحوبين بقافلةٍ لا منفردين . كل هذه شروط لتأثير الماء . وشروط أخرى ذكرها النويري تغثي نفسُ القارئ من ذكرها . أما رواة القصة الأفاضل وملك حلب نفسه فما غثت نفوسهم ولا أنفت من ذكر أو قبول هذه الشروط غير المعقولة . حتى وصل الماء الى حلب فعُلِّقَ . ووصل طير السمندل في جمع كثيف من بنات جنسه وهو يشبه السماني في قدره ولونه فاستأصل الجراد وكان يأكل الجرادة والاثنتين والثلاث والأربع في دفعةٍ واحدة ويرميها في الحال من بطنه ويبحث عن بيض الجراد في الأرض حتى صارت الأرض كالغربال من آثار النقر . قال : (يعني القاضي ابن شداد) وأمر هذا الماء مشهور معلوم مستفيض اه .

فقصة السمندل فى (نهاية الأرب) هي بسطُ للخبر الذي ذكره الخفاجي في القرن الحادي عشر عن السمرمر من حيث أن الجراد يُطرد بماء يُجلب من بلاد العجم فيتبعه الطائر . وبين الزمنين نحو خمسة قرون . غير أن طائر القرن السادس اسمه (السمندل) وطائر القرن الحادي عشر اسمه (السمرمر) فكيف تحوّل السمندل الى السمرمر؟ أما السمندل فطائر معروف واسمه هذا مذكور في كل كتب اللغة العربية وفي كل المصنفات في الحيوان . وخلاصة ترجمة السمندل أنه مقيم في الصين والهند لا تحرقه النار حتى إنه يبيض ويفرّخ فيها ويُتخذ من ريشه مناديل تُلقى في النار فتغسلها من الوسخ ولا تحرقها . وقد رأى ابن خلكان في القرن السابع قطعة من هذا النسيج فما أحرقتها النار . وكل هذا خرافة كما حققوا . وخبر ماء السمندل أو السمرمر تناقلته الرواة . وحاول الاستفادة منه والانتفاع به سكان الشرق قرناً فقرناً : فقد ذكر الشيخ كامل الغزي في تاريخه عن حلب أنه في أواسط القرن العاشر للهجرة ظهر الجراد وجيء بالماء من العين وعُلِق ابريقه على مأذنة جامع القلعة . وفي سنة (٩٦٤) جاء الجراد فأرسل والي حلب (قُباد باشا) رجلاً

أعجمياً الى أصبهان وجمعوا للرجل (٢٠٠) دينار فذهب وعاد بالماء بشروط تختلف عن الشروط التي رويناها آنفاً عن (نهاية الأرب) لكنها تماثلها في الغرابة وتكلّف السماجة: مثل قوله: لا يدخل الماء تحت سقف ولا تحت قنطرة باب قنسرين بل من فوقه وفوق أسوار حلب حتى علقوه على قبة التكية الخسروية وحرّك الشيوخ الماء ليجيء الطائر، فلم يجيء!! حتى أتلفت أرجالُ الجراد المزارع. فقال دراويش الماء إذ ذاك ان السبب في ذلك هو الاخلال في بعض الشروط. قال الشيخ الغزي: وبعدَ الوالي (قُباد) تولّى حلب (فرهاد باشا) واشتدت مصيبة الجراد فخرج الأهالي لاستقبال ماء عين السمرمر فرُفع على مأذنة القلعة بالشروط الغريبة التي مرّ ذكرها، وبات الناس قريري العين.

أقول: وظلت أسطورة ماء السمرمر حتى زمننا الحاضر لكن ضعفت ثقةُ الفضلاء بها وشعروا بمجانفة من يعوّل عليها: فقد ذكر الشيخ كامل أنه أدرك دراويش البكداشلية يحملون أباريق من صفيح فيها ماء السمرمر يعلقونها على منبر جامع حلب ويتقاضون من وُلاتها عطية تقليدية. ولم يُرَ من هذه الأباريق أقل فائدة. وأذكر أني شاهدت في حداثتي قنينةً معلقةً على أحد منابر المساجد لا أذكر في أيّ بلد من بلاد الشام وقيل لي إن في القنينة ماء السمرمر. فأسطورة ماء السمرمر أو السمندل فارسية الأصل وانتشرت في بلادنا وخاصة حلب بواسطة الدجّالين من دراويش العجم. ومن أجل التثبت في ذلك اتصلنا بالمفوضية الايرانية كما ذكرنا فأرسلت الينا الكتاب التالي بتوقيع الأستاذ (احمد آرام) وهذا نصه: ان الطائر الذي يأكل الجراد يُسمى في ايران (سار) وهو كما علمتُ يسمى في العراق وسورية (زرزوراً) وإني ما سمعت كلمة (سمرمر) وما رأيتها في القاموس الفارسي الصغير الموجود عندي، وكثيراً ما سمعتُ الأسطورة التالية عند زيارتي لبعض القرى الواقعة بقرب طهران وهي: عند هجوم الجراد يبعث أهلُ القرية واحداً منهم الى بيت من بيوت خاصة: تسمى باسم (أجاق) وعلى الغالب يكون رئيس هذه العائلة من ذرية سيدنا محمد (ﷺ) ليشتري منها ألفاً أو ألفين

او أكثر من هذا الطائر . ورئيس هذا البيت يعطي رسول القرية كوز ماء فيرجع به الى القرية ويصبه في بركة ماء . وهم يزعمون أن بهذه الصورة يجلب الزرزور ويحارب الجراد ويبيده . وعندما يتعب من الحرب يدخل في ماء البركة ويغتسل فيه ويرجع من جديد لمكافحة الجراد حتى يبيده . والآن بعد وفور أسباب المكافحة الكيمياوية والميكانيكية هذه الخرافة والعمل بها آخذ بالزوال اه الكتاب والتوقيع (أحمد آرام) معلّم زبان فارسي .

والأسطورة التي ذكرها حضرته تشابه الأساطير العربية التي رويناها في هذا الشأن . والذي يهمنا بالأكثر من كتاب الأستاذ آرام التعجب من قوله أن كلمة (السمرمر) لا يعرفها ولم يعثر عليها في القاموس الفارسي الصغير . وكنت أعهدها فارسية لما أن قصة ماء السمرمر نشأت ببلاد فارس . وزد على ذلك أن (الخفاجي) قال ان هذا اللفظ فارسي . وقد حمله على هـذا القول ما ذكرنا من أن منشأ القصة فارسي حتى قال احمد آرام ما قال . وهو أعرف بلغته وبما في معاجمها . وان كان المعلم آرام قال إنه راجع لفظ (السمرمر) في القاموس الفارسي الصغير فإني راجعته في أشهر قواميس الفرس وهو (برهان قاطع) فلم أجد فيه ذكراً لكلمة (السمرمر) مع أنه ذكر طير السُماني وطير السمندل وقصته الخرافية وهي عدم احتراقه بالنار . فسمرمر إذن ليست فارسية ولا عربية . وليست من اللغات الأوربية بالطبع لأن معاجم الغرب اذا اضطرت الى ذكر السمرمر عبرت عنه بلغاتها (starling) (étourneau) أو بما ترجمته الطائر الورديّ اللون أو الزرزور الوردي . وأكبر دليل على أن اللفظ ليس من لغات أوربا أن قاموس (الفرائد الدرية) لأصحابه اليسوعيين في بيروت فسر لنا السمرمر بقوله : (oiseau qui devore les sauterelles) أي العصفور الذي يلتهم الجراد . فقد عبر عنه بما اشتهر بين الناس في بلادنا الشامية التي يقطنها اليسوعيون . فلم يبق الا أن تكون كلمة (السمرمر) من اللغات السامية التي اقتبست لغتنا العربية منها طائفةً كبيرةً من الألفاظ فراجعنا ما كتبه العلامة أفرام بطريرك

السريان المقيم بحمص في كتابه الذي نشره تباعاً في مجلة المجمع العلمي وتتبع فيه جميع ألفاظ اللغات السامية العبرانية والبابلية وخاصة السريانية فلم يذكر بينها لفظ السمرمر الشائع في العربية الحديثة فكل هذا يورث العجب من كيفية تولد هذا اللفظ على ألسنتنا ، ويحملنا على أن نفرض في منشئه فروضاً فنقول إن سمرمر إما أن تكون محرفة من كلمة (سُمَيْرَمْ) التي هي اسم عين الماء في أصبهان أو اسماً للقصبة نفسها كما قال البستاني في دائرة المعارف . وإما أن تكون محرفة من كلمة (سمندل) أو سمندر بالراء وهو لغة في السمندل باللام وهو اسمه الشائع في القرن السادس للهجرة كما في قصة نهاية الأرب ، وإما أن يكون لفظ السمرمر من كلمة (سمرمرة) بالتاء في آخره وهو اسم عربي للغول كما في كتب اللغة العربية : فطير السمرمر غول للجراد كما أن الغول الخرافية غول للبشر . ولا يمكن أن تكون سمرمر محرفة من (سَمَرْمَد) بالدال وهو من أسماء السمرمر كما قال أمين باشا المعلوف : لأن السمرمد بالدال غير مذكور في كتب اللغة العربية ولا في كتب الحيوان وإنما هي محرّفة عن كلمة السمرمر بالراء غالباً وأصبحت من لغة سكان البوادي كما يأتي . وهنالك طريقة في تحليل الألفاظ المجهولة الأصل وهي مما يتداعب به الأدباء في مجالس أنسهم : ذلك أن يقال إن أديباً حدّث جلساءه بعجائب الطير الذي يأكل الجراد وما زعموا من أن اسمه (سمندل) وأنه لا تحرقه النار وخبر استقدامه من بلاد العجم بواسطة ماء عين (سُمَيْرَمْ) وقصّ الأديب من ذلك قصصاً أدهشت القوم . وبعد ليالٍ طلبوا منه أن يحدثهم عن الطير المذكور فقال هيهات ذاك (سَمَرْ مرّ) أي ما قصصتُه عليكم (سمَرٌ) من أسمار الليل (مرّ) وانقضى فلا رجعة له : على حدّ قولهم (كلام الليل يمحوه النهار) : فمن كلمتي (سَمَرٌ) و (مرّ) تولدت كلمة (سمرمر) وشاعت في العصور الأخيرة اسماً لطائر يأكل الجراد وتغلغلت في اللهجة الشعبية الشامية أو الدمشقية حتى قالوا في أمثالهم : «يا جراد جاءك السمرمر» .

والذي يرتاح اليه القلب أو هو الحق في تولد كلمة (السمرمر) أنها محرفة من كلمة (سُمَيْرَمْ) اسم للعين أو البلد: فكان دراويش العجم الذين يبيعون الماء العجيب ينادون

عليه بين البيوت (ماء سمَيْرَمْ ماء سمَيْرَمْ) كما ينادون عليه بلغتهم الفارسية (آبِ سارْ) (آبِ سار) أي ماء الزرزور ماء الزرزور • ثم ان كلمة (سُمَيْرَمْ) كما حققه صديقنا العلامة الأديب (محمد محيط طباطبائي) المستشار الثقافي في المفوضية الايرانية بدمشق ـ هي أصل كلمة سمرمر وقال ان ميم (سُمَيْرَمْ) الأخيرة تكتب بالخط الفارسي هكذا (مر) بشكل الميم والراء فتصحفت (سُمَيْرَمْ) الى (سُمَيْرَمَرْ) ثم الى (سَمَرْمَرْ) على وزن سَفَرْجَلْ العربي • وربما كان هذا معنى عبارة البستاني السابقة مذ قال (ويسميها أهل الشام بالسمرمر) اذا جعلنا ضمير يسميها راجعاً الى (سميرم) بمعنى العين أو البلدة : فالشاميون حرّفوا (سُمَيْرَمْ) الى سمرمر وسموا به الطائر • ولفظ السمرمر ان كان مجهول الأصل فان مسماه وهو الطائر ليس بمجهول اذا جعلناه نوعاً من الزرازير يلتهم الجراد بشره ونشاط • ولكنه أعجز من أن يبيده أو يقطع دابره • أما اذا جعلناه مبيداً مفنياً فانه يدخل في باب الأسمار • التي يمحوها النهار •

وآخر من نعتمد عليه في هذا البحث بحث الطائر المسمى بسمرمر صديقنا المرحوم أمين باشا المعلوف صاحب كتاب معجم الحيوان فقد قال ما نصه (السمرمر نوع من الزرازير أسود الرأس والعنق والجناحين وسائره أحمر ومن أسمائه (سَمَرْمَدْ) بالدال و (صَفَر مادي) و (سلَكوت) و (باذنجان) • وقال ان السمرمر يأكل الجراد أكلاً ذريعاً اهـ : وقد فسر المعلوف (صفر مادي) بقوله (أي طائر بلاد مادي) وهي جبال الأهواز عند الآراميين (وصفر بمعنى طائر) ومادي هي بلاد فارس كما لا يخفى • ولعل أصل (مادي) اسماً للأهواز كما قال • والأهواز هي المسماة اليوم باسم (خوزستان) و (عربستان) • وأما (سلَكوت) فقد فسرته المعاجم العربية بقولها (اسم طائر) فاذا كان سلكوت من أكلة الجراد كان هو السمرمر • وكانت العرب تسمي السمرمر بالسلكوت لكن لا تعرفه باسم مفني الجراد • و (سمرمد) بالدال محرفة عن سَمَرْمَرْ بالراء قطعاً • بقي التساؤل عن تسمية السمرمر (بالباذنجان) كما جاء في عبارة الأستاذ المعلوف

وقد كثر تفكيري فيه حتى اتفق لي أن كنت في ضاحية المهاجرين مع الشروق فصادفت قروياً غريباً هائماً على وجهه فسألني عن دار أمير عرب الفضل ثم سألني عن الجامع (المموي) وأنه يريد أن يصلي فيه صلاة الجمعة . فلاحظت من قوله هذا أن فيه لوثةً أعرابية أي سذاجة أهل البادية . فقد سمى الجامع الأُموي بالجامع (المموي) ولا يكاد يحسن نطقها . فأعدت سؤاله عن اسم الجامع فأعاده مرتبكاً ، فضحكت وسألته عن بلده قال إنه من ديرة حلب وان قريته اسمها (تل علوش) وذكر معها قرى أخرى واقعة بين حلب وادلب . فقلت لبعض المارة خذ هذا الأعرابي معك وأرشده الى طريق الجامع الأُموي . ثم عدت فاستوقفته وسألته هل تعرف السمرمر ؟ ج — لا أعرفه .

— الطائر الذي يأكل الجراد . قال: أعرفه ولكن اسمه (السمرمد) أي بالدال .

فذكرت ما قاله المعلوف في معجمه من أن السمرمد من أسماء السمرمر . ثم سألته :

— أليس السمرمر هو الزُرزور ؟ قال :

— لا . السمرمر وحْد . والزرزور وحْد .

فالأعرابي في قوله هذا خالف المعلوف الذي جعلها واحداً . ويكاد يوافق الأمير مصطفى الشهابي الذي جعل في معجمه السمرمد طائراً غير السمرمر . ثم سألت الأعرابي ؟ وهل يسمى (السمرمد) الذي يأكل الجراد (باذنجان) فقال لا يسمى باذنجان [1] وأظهر العجب من قولي . فسألته : ألستَ ترى يا أعرابي أن السمرمد يشبه في لونه وشكله الباذنجانة فانفرجت شفتاه عن أسنانه البيض مبتسماً وقال: إي والله . فقلت في نفسي ان الشعر أو المعاني الشعرية مركوزة في طبع البشر على اختلاف أطوارهم: كل بحسبه . ولا يخفى أن الباذنجانة سوداء من عند رأسها ثم يخف سوادها فيصبح بنفسجياً ثم يحمر قليلاً من تحت قمعها الأخضر . وهكذا لون السمرمر تقريباً أسود بنفسجي محمر أو وردي كما يصفه كتاب العرب . والمعلوف أوثق من كتب عن الحيوان بلغتنا العربية في عصرنا ،

---

(١) والذي في كتب اللغة : انه كما يقال لذكر الورشان (ساق حرّ) يقال لطائر صغير جداً (جُميل حرّ) وهو للسمى في العراق باسم باذنجان !! ا هـ .

وقد حقق أن السمرمر من فصيلة الزرازير . وسألت علماء الزراعة المعاصرين من أصدقائي : فالأستاذ وصفي زكريا قال إن مكافحة السمرمر للجراد لا قيمة لها وقد عشت عمري أشتغل في فن الزراعة ولم أُعنَ بالسمرمر ولا بأسطورة إبادته للجراد . ومثله الأستاذ هولو العابد (ابن عزت باشا) الذي درس فن الزراعة في انكلترا : فقد قال إنه لم يسمع بالسمرمر في بحثه الفني الا مايسمعه في المثل من عامة أهل دمشق (ياجراد جاءك السمرمر) .

هذا المثل وأسطورة جلب الماء من العين التي هي في بلاد العجم جعلت الناس يتوهمون في بعض أنواع الزرازير قوةً خارقة للعادة في إبادة الجراد وسموا هذا النوع سمرمراً . وأدرك الحظ الزرزور السمرمري فطمست شهرته في ابادة الجراد شهرة غيره من أبناء جنسه : كالقلق مثلاً فانه يتسلط على الجراد فيفنيه كما قال الغزي في بحث الطيور القواطع التي تنتاب حلب قال (طير اللقلق يخرج عند ظهور الجراد أحياناً ويُهلِكُ من الجراد قسماً كبيراً) فنسب الإفناء للقلق ولم ينسبه للسمرمر . ولكن الشهرة كانت له ، لا لابن عمه .

المغربي

ألاشتقاق

هذا كتاب الاشتقاق للأصمعي وهو الذي وصفته في الجزء الثالث من المجلد الثالث والعشرين من هذه المجلة فيما كتبته عن (المكاتب الايرانية) وتعليقي عليه أقدمه للقراء وفاءً بالوعد .

الهيصم — الغليظ الشديد . قال بعض الرجاز :

أهون عيب المرء أن تثلما ثنية تترك نابًا هيصما [1]

الغطريف — يقال : بنو فلان غطاريف سراة [2] .

---

(١) الهصم : الكسر . ناب هيصم يكسر كل شيء . وأسد هيصم من الهصم وهو الكسر . وقيل : الهيصم اسم للأسد . والهيصم من الرجال القوي . والهصهصم الأسد لشدته وصولته . وقيل : أخذه من الهصم وهو الكسر يقال : هصمه وهزمه اذا كسره . والهيصم حجر أملس يتخذ منه الحقاق . وأكثر ما يتكلم به بنو تميم . وربما قلبت فيه الصاد زايًا . وهيصم رجل . وجاء في رواية تكلم ، بدل تثلم ، والثَّنِيَّةُ العقبة أو طريقها أو الجبل أو الطريقة فيه أو اليه .

(٢) الغِطريف بالكسر السيد الشريف والسخي السري والشاب كالغطراف جمعه الغطارفة . وفرخ البازي . والحسن . كالغطروف كزنبور . أو كفردوس الشاب الظريف . وتغطرف تكبر ، واختال في المشي والغطرفة الخيلاء كذا في القاموس .

زهدم — اسم من أسماء الصقورة [1] .

دهثم — اسم من أسماء الرجال ؛ ويقال للمرأة : دهثمة وأصله السهولة . يقال : رجل دهثم الخلق . قال عمرو بن لجأ :

ثم تنحت عن مقام الحوّم لعطن رابي المُقام دهثم [2]

(١) في القاموس : زهدم كجعفر فرس لعنترة . وفرس لبشر بن عمرو الرياحي . والأسد والصقر أو فرخ البازي . والزهدمان اخوان من عبس .

وفي أحد مصادر هذا التعليق .. قال سحيم بن وثيل اليربوعي ـ وذكر بعض العلماء أنه لولده (جابر بن سحيم) بدليل قوله : إني ابن فارس زهدم . وزهدم فرس سحيم .

أقول لهم بالشعب اذ ييسرونني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

ييسرونني . يتقاسمونني بالميسر (تيأسوا) تعلموا . وانما ذكر ذلك لأنه وقع عليه سباء فضربوا عليه بالميسر يتحاسبون على قسمة فدائه . ويروى يأسرونني من الأسر ، وزهدم اسم فرس . وروي (اني ابن قاتل زهدم) وهو رجل من عبس . فعلى هذا يصح أن يكون الشعر لسحيم .

(٢) دهثم كجعفر الشديد من الابل . والرجل السهل الخُلق والأرض السهلة وبلالام ابن قُرّان المحدث . وسمي الرجل دهثماً لسهولة خلقه . قال الأصمعي : العرب تقول للصقر : الزهدم وللبحر الدهثم . والدهثم الرجل السخي . ودهثم اسم . وفي تهذيب الألفاظ لابن السكيت . والبسيط اذا رأيته انبسط لك ورأيته يتهلل وجهه وعرفت السرور في وجهه وكذلك الدهثم قال ابن لجإ :

ثم تنحت عن مقام الحوم (البيت)

وفي مكان آخر منه : والدهثم السهل اللين وانه لدهثم ورهشوش ، والرهشوش الندي الكف الكريم النفس . وفي مقام آخر يقول : والدهثمة الماجدة السهلة الحرة . وأورد البيت ثم قال : وأنشد غيره : —

أحوز – المحاز في ناحية الجادّ في أمره . ويقال للعبد اذا كان حديد النفس : انه لحوزي .. قال الراعي :

حوزية طويت على ... طيّ القناطر قد بزان بزولا [١]

مخارق – أصله من ... [٢] ... في وجوه الخير من الانصلات والانجراد في السير وانجراد السيف من الغمد قال : (مرّ منصلتاً) اذا مرّ مرّاً مريعاً . قال أعشى باهلة :

– جرعا كأثباج القطاط الحوّم بعطنٍ في سهل المناخ دهثم

جرعا مقصور جرعاء وهي الرملة الطيبة المنبت أو عكس ذلك وأثباج جمع ثبج محركةً ما بين الكاهل الى الظهر ، ووسط الشيء ومعظمه . والقطاط القطا أو ضرب منه غبر الظهور والبطون سود بطون الأجنحة . ويعطن يبركن .

(١) تتمة صدر البيت ممحوة في الأصل . وفي الأساس بمادة زفر .

حوزية طويت على زفراتها طي القناطر قد بزان بزولا

وجوابة بدل حوزية في رواية ابي زيد في جمهرته .

وجاء في التاج عن الصاغاني : الأحوز المحاز في ناحية الجاد في أموره .. قال ابن السكيت : في البيت قولان أحدهما كأنها زفرت ثم خلقت على ذلك . والقول الآخر : الزفرة الوسط . والقناطر الأزج . والزفر بالكسر الحمل والجمع أزفار .

وفي القاموس .. (الحوز) الجمع وضم الشيء كالحيازة والاحتياز . والسَّوق اللين والشديد ضد . والسير اللين والموضع الى أن قال : والأحوزيّ الأحوذي كالأحوز . والأسود والحسن السياقة كالحوزي الخ .

(٢) تتمة الجملة ساقطة في الأصل ولعلها من الخرق ولهذه المادة معان كثيرة ومشتقات يطول بنقلها الكلام وبه سمي مخارق بن شهاب المازني .

طاوي المصير على ... منصلت بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر

ويقال للعقاب اذا انقضت : انصلتت منقضة . ويقال : سيف صلت اذا جرد من غمده . ويقال رجل صلت الجبين اذا كان منكشف الشعر بارزاً (١)

---

(١) ما قبل هذه الجملة ساقط من الأصل ولعله لفظ صلت من صلت في وجوه الخير الخ .

وهذا بعض ما ذكره اللغويون في هذه الكلمة ومشتقاتها :انصلت في الأمر انجرد وكل ما انجرد فهو صلت . وقولهم : منصلت ماضٍ في الحوائج . وانجرد في البيت تعرى . وفي كامل المبرد قول أعشى باهلة :

طاوي المصير على الغراء منصلت بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر

ويقال : سيف منصلت وصلت اذا جرد من غمده . وورد في مكان آخر منه بدل منصلت منجرد .

وطاوي في البيت من الطوى وهو الجوع . والمصير المعى الرقيق وجمعه مصران وجمع الجمع مصارين ، وفي المصباح : المعى المصران وقصره أشهر من المد وجمعه أمعاء مثل عنب وأعناب وجمع الممدود أمعية مثل حمار وأحمرة . وقال بعض اللغويين : المصير المعي وهو فعيل وخص بعضهم به الطير وذوات الخف والظلف والجمع أمصرة ومصران كمثل رغيف ورغفان ومصارين جمع الجمع عند سيبويه . وقال الليث : المصارين خطأ . وقال الأزهري : المصارين جمع المصران جمعته العرب كذلك على توهم اصالة النون . وقال بعضهم مصير انما هو مفعل من صار اليه الطعام . والعزاء وهو الساقط من الأصل الأمر الشديد .

وهذا البيت من قصيدة طويلة يرثي بها الأعشى المنتشر بن وهب الباهلي .

قال الشريف المرتضى في أماليه (الدرر والغرر) : وهذه القصيدة من المراثي المفضلة بالبلاغة والبراعة مستهلها : —

جلاج — من الجلجة . يقال : جلج ذلك الأمر جلجة وجلاجاً كقولك : زلزله زلزالاً . ومعنى الجلجة تردد الكلمة في فيه لا يخرجها . واللقمة لا يسيغها . قال الشماخ :

مفج الحوامي عن نسور كأنها نوى القسب ترّت عن جريم ملجلج

ترت طاحت . والملجلج تمر جلج في الفم . ومثل من الأمثال : الحق أبلج والباطل لجلج . قال هميان بن قحافة :

تسمع في أفواهها لجالجا هواملاً وزُجلا هزامجا

يعني أنها تلجلج الصوت في أجوافها لا تخرجه . الهزامج التي يتبع بعضه بعضاً [1]

— اني أتتني لسان لا أسرُّ بها من علوَ لا عجب منها ولا سخر
فظلت مكتئباً حرّان أندبه وكنت أحذره لو ينفع الحذر

وختامها :

إما سلكت سبيلاً كنت سالكها فاذهب فلا يبعدنك الله منتشرُ

واللسان ـ في مطلع القصيدة ـ بمعنى الرسالة ولهذا أنثت .

(١) مفج : مقبب . الحوامي : ميامن الحافر ومياسره . والنسور جمع نسر : وهي لحمة في باطن الحافر . وفي المخصص : الهزامج الصوت الشديد . وأنشد :

أزاملاً وزجلاً هزامجا

وفي كامل المبرد ثرت بالثاء المثلثة وكأنما في بيت الشماخ قال : وقوله : (مفج الحوامي عن نسور كأنما) يريد متفرقاً . والحوامي : نواحي الحافر . والنسور واحدها نسر وهي نكتة في داخل الحافر . ويحمد اذا صلب ذلك منه فلذلك شبه بنوى القسب . وثرت : سقطت . والجريم : المصروم . والملجلج : الذي قد لجلج مضغاً في الفم ثم قذف اصلابته . وقوله : مفج ليس يريد الذي هو كثير التفرقة ولكن الانفصال عن النسر فانه ان اتسع واستوى أسفله فذلك —

وكيع — شديد وكل شديد وثيق وكيع • وسقاء وكيع اذا كان محكم الجلد والخرز وقد استوكعت معدته اذا اشتدت وقويت • قال الفرزدق :

وذفراء لم تحرز بسير وكيعة عدوت بها طيا بدي برشائها

يصف فرساً • وقوله : طيا أي خميصة (١) .

— الرحح وهو مذموم في الخيل وكذلك ان ضاق وصغر قيل له : مُصْطَرّ وكان عيباً قبيحاً • قال حُميد الأرقط :

لا رحح فيها ولا اصطرار ولم يقلِّب أرضها البيطـار
ولا لحبليه بهـا حَبار

الحَبار الأثر ويروى ولم يقلب • وتأويل ذلك أن حوافرها لا تتشعث فيقلمها البيطار لأنها اذا كانت كذلك ذهب منها شيء بعد شيء فمحقها، الى كلام بهذا المعنى طويل فليطلبه من يطلب الاستزادة من الجزء الاول من الكامل ص ٧٨ •

وفي مبادئ اللغة : اصطرار بالصاد المهملة • وفي المخصص : ولم يقلب أرضها البيطار أي ليست به علة وقال قبل هذا : وان عاجلته الغدة فهو مقلوب وقد قلبت قلابا وأقلب القوم أي أصابت ابلهم القلاب •

ابن السكيت • قولهم ما بهم قلبة مأخوذ من هذا وهو داء يصيب البعير فيشتكي فؤاده منـه فيموت من يومه • يقال : أقلب فلان أي ليست به علة وقال ابن الأعرابي : معناه ليست به علة يقلب لها فينظر اليه •

وأما القسب فهو التمر اليابس •

(١) في المخصص بدل طيا : طبا بالباء الموحدة وعنى بها الفرس • ومعنى وكيعة شديدة • وفي لسان العرب الوكاعة الشدة • وفرس وكع صلب غليظ شديد ودابة وكيع • ووكع الفرس وكاعة فهو وكيع صلُب إهابه واشتد والأنثى بالهاء واياها عناها الفرزدق بقوله : —

شخير – من النخير . يقال : حمار شخير اذا كان كثير النخير [1] .

دجانة – من الدجن . والدَّجْنُ ظلمة الغيم والباسه وبعض الغيم . والدجنُ

—

ووفراء لم تخرز بسير وكيعةٍ عدوت بها طبّاً بدي برشائها
ذعرت بها سرباً نقياً جلوده كنجم الثريا أسفرت من عمائها

وفراء أي وافرة يعني فرساً أنثى . وكيعة : وثيقة الخلق شديدة . وفي المخصص .. فأما قول الفرزدق ووفراء (البيت) فانه عنى الفرس فاجى بذلك والدليل على هذا قوله : ذعرت بها سرباً الخ . فأما طبا من قوله : طبا يدي . فقد يكون حالاً من الأقرب الذي هو متعلق بحرف الجر ومن الأبعد الذي هو معتمد الفائدة .

(١) الشخير رفع الصوت بالنخر . وشخر الحمار يشخير بالكسر شخيراً . والنخير : صوت الأنف . تقول منه : نخر ينخر بالكسر وينخر بالضم كذا في مختار الصحاح . وفي اللسان الشخير صوت من الحلق . وقيل : من الفم دون الأنف . وشخير الفرس صوته من فمه . وقيل : هو من الفرس بعد الصهيل شخر يشخر شخراً وشخيراً . وقيل : الشخر كالنخر (الأصمعي) من أصوات الخيل الشخير والنخير والكرير . فالشخير من الفم ، والنخير من المنخرين ، والكرير من الصدر . ورجل شخير نخير . والشخر أيضاً رفع الصوت بالنخر .

والشيخير بكسر الشين اسم . ومطرف بن عبد الله ابن الشخير مثل الفسّيق لأنه ليس في كلامهم فَعيل وفُعل بضم الفاء . وعبد الله بن الشخّير بن عوف ابن كعب نزل البصرة وأولاده المطرف ، ويزيد ، وهانيْ روى عنه ابن المطرف غير حديث .

وفي النهاية لابن الأثير : الناخرة الخيل ، واحدها ناخر . وقيل : الحمير للصوت الذي يخرج من أنوفها .

والدُّجُنَّة . والدجى جماع الدجنة وهو ما ألبسك من ظلمة أو غيم أو غيره [١]

سبرة — للغداة الباردة [١] .

مخنف — مشتق من الخناف والخنف . فأما الخنف فان يصرف الرجل وجهه في احدى الناحيتين والخناف أن تهوي الدابة بيدها الى وحشيّها [٢] .

---

(١) القاموس : الدَّجْن . الباس الغيم الأرض وأقطار السماء ، والمطر الكثير جمعه أدجان ودجون ودُجُن ودِجان الى أن قال : والدُّجُنَّة كخُرُقَّة وبكسرتين الظلمة والغيم المطبق الريان . وأبودُجانة كثُمامة سماك بن خرشة الصحابي . مختار الصحاح : دجا الظلمة . وقد دجا الليل من باب سما وليلة داجية ، قال الأصمعي : دجى الليل انما هو ألبس كل شيء وليس هو من الظلمة . الأساس : ليلة ذات دجي وهي الظلم .

(١) التاج . السبرة بالفتح الغداة الباردة . وقيل : هي ما بين السحر الى الصباح . وقيل : ما بين غدوة الى طلوع الشمس جمعه سبرات محركة . وقال الحطيئة :

(عظامُ مقيلِ الهامِ غلبٌ رقابها يباكرن حدَّ الماء في السَّبَرات)

يعني شدة برد الشتاء والسنة . وسبرة بن العوال مشتق منه . وكذا سبرة ابن ابي سبرة الجعفي . وسبرة بن فاتك .

(٢) القاموس : الحنف : محركة الاستقامة والاعوجاج في الرجل ، أو أن يُقبل احدى ابهامي رجليه على الاخرى ، أو أن يمشي على ظهر قدميه من شق الخنصر ، أو ميل في صدر القدم . وقد حنف كفرح وكرم فهو أحنف . ورِجل حنفاء . وكضرب مال . وصخر ابو بحر الأحنف بن قيس تابعي كبير . الأساس : رجل أحنف يمشي على ظهر قدميه . وبه حنف . وقد حنفت رجله وهي حنفاء . وقال الكسائي : الحنف من كل حيوان في اليدين ومن الانسان —

زفر — من الازدفار حمل الحمل يقال : أتى حمله فاحتمله وازدفره . ويقال للحمل نفسه : زفر قال الشاعر :

(بيض الوجوه كرام النجر لم يجدوا ريح الإماء اذا راحت بأزفار)

ويقال للرجل : لتجدنه زفراً بحمله[1] .

مسطح — يقال للموضع الذي يجفف فيه التمر مسطح . قال ابن مقبل :

اذا الأمعز المحزوّ اضحى كأنه من الحر في قبل الظهيرة مسطح[1]

— في الرجلين . وقد تحنف الى الشيء اذا مال اليه . المصباح : الحنف الاعوجاج في الرجل الى داخل وهو مصدر من باب تعب فالرجل أحنف وبه سمي . ويصغر على حنيف تصغير الترخيم وبه يسمى أيضاً وهو الذي يمشي على ظهور قدميه . والحنيف المسلم لأنه مائل الى الدين المستقيم ، والحنيف الناسك .

(١) القاموس : والزُفر بالكسر : الحمل على الظهر . وفي البارع الحمل محركة . والقربة ، وجهاز المسافر ، والجماعة كالزافرة .

(٢) اللسان : ١ — المسطح الصفاة يحاط عليها بالحجارة فيجتمع فيها الماء . قال الأزهري : ٢ — والمسطح أيضاً صفيحة عريضة من الصخر يحوّط عليها لماء السماء . ٣ — والمسطح كوز ذو جنب واحد يتخذ للسفر . ٤ — والمسطح تفتح ميم وتكسر مكان مستوٍ يبسط عليه التمر ويجفف ويسمى الجرين يمانية . ٥ — والمسطح حصير يسف من خوص الدوم ومنه قول تميم بن مقبل :

اذا الأمعز المحزوّ آض كأنه من الحر في جد الظهيرة مسطح

٦ — والمسطح عمود من أعمدة الخباء والفسطاط . وفي رواية البيت كما ترى اختلاف عن رواية الأصمعي ففي اللسان : آض بدل (أضحى) وجد بدل (قبل) .

والأمعز من المعز محركة الصلابة : مكان أمعز وأرض معزاء جمع مُعْز . وفي الأساس : عد هذا المعنى من المجاز . والمحزوّ من حزام السراب : رفعهم ، وطريق محزوّ يحزوه الآل هكذا في الاساس .

ومسطح الذي وقع منه ما وقع من حديث الإفك وممن تولوا كبره واسمه عوف بن اثاثة بن عبد المطلب بن عبد مناف . ومسطح لقب له .

اثاثة — من الشعر الأثيث وهو الطويل الكثير . وقال الشنفرى ينعت امرأة :

أثـَّت وطالت واسبكرت وأكملت فلو جنّ انسان من الحسن جنت [١]

شِنِّير — يقال: شنيراذا كان كثير الشر ، قال أبو سعيد : أنشدني أبو مهدية :

وعـير عانات شرير شنير يرتشف البول ارتشاف المعذور

يرتشف يشربه . والمعذور الذي به العذرة وهو وجع الحلق [٢] .

(يتبع) سليمان ظاهر

---

(١) أثّ يئثّ مثلثة اثاثة وأثاثاً وأثوثاً كثر والتف . وأثاثة كثمامة وبفتح رجل ووالد مسطح الصحابي . وصدر البيت في مفضليات الضبي :

فدقـَّت وجلت واسبكرت وأكملت

ومعنى اسبكرت طالت وامتدت .

(٢) الشنير كسكيت : السيئ الخلق والكثير الشر والعيوب كالشنيرة وبنو شنير بطن منهم (القاموس) .

المعذور : العذرة وجع الحلق وأكثر مايعتري الصبيان فيعلَّق عليهم . قال جرير :

غمز ابن مرة يا فرزدق كينها غمز الطبيب نغانغ المعذور

وفي الأساس : غمزت العاذرة نغانغ الصبي . قال الفرزدق :

(غمز الطبيب نغانغ المعذور)

وهي لحمات عند اللهات . وكأنما هي ما يعبر عنه الأطباء بالتهاب اللوزتين وأنت ترى أن البيت صدراً وعجزاً أجدر بأن يكون لجرير . والكين في البيت من كان الرجل يكين كينة واستكان استكانة اذا خضع واشتق من الكين وهو لحم باطن الفرج ملخص عن الأساس .

(استدراك) على الأستاذ الفاضل ناشر (الاشتقاق):

فسر الأستاذ في (صفحة ٣٥٥ سطر ١٧) معنى (الثنية) بالعقبة أو طريقها الخ. فيحسب القارئ أن هذا هو معناها المراد في بيت الشعر المذكور في الأصل. وهو سهو من قلم الأستاذ: إذ أن المراد (بالثنية) هنا إحدى الأسنان الأربع التي تكون في مقدم الفم بجانب الأنياب. فالشاعر يقول لا يضر المرء أن تتثلم أو تتكسر احدى أسنانه هذه ما دامت قد تركت بجانبها ناباً يقوم مقامها ويحطم كل شيء يصادفه على حدّ ما قاله أحد شعراء العصر:

(وكن رجلاً كالضرس يرسو مكانه ليطحن لا يعنيه حلوٌ ولا مرُّ)

ويحتمل أن لا تكون الحقيقة مرادة في البيت ويكون الشاعر أراد معنىً مجازياً أو كنائياً: كأن يراد بالثنية والناب الأولاد مثلاً، وإنه إذا أصيب أحدهم بعاهةٍ قام الآخر مقامه.

المغربي

لا نقول : كَراج ولا مِرْآب ولا سَفَريات ،

ولكن نقول : مَسَار

يضطرب المشتغلون باللغة والأدب إذا أرادوا التعبير عن المكان الذي تتحرك منه السيارة للسفر الى جهة من الجهات ، فكانوا يسمونه (كراج) استبقاء للفظة الأعجمية التي تطلق على ذلك المكان الذي تسير السيارة منه ، ثم شعروا أن هذا اللفظ ليس بعربي ، ومن حقنا ـ ولغتنا أوسع اللغات ـ أن نسميه بلفظة عربية ، فقالوا (مِرْآب) ، ولكنهم وجدوا أن هذه اللفظة لا تصلح للدلالة على المعنى الذي يقصدونه ، وإنما تصلح أن تطلق على المكان الذي تُصْلَح فيه السيارة من العَطَب الذي يصيبها ، لأن العرب تقول : رَأَبَ فلان الصَّدْعَ ، اذا أصلح ما بين الشخصين المتنافرين ، وأزال ما بينهما من تهاجر وتقاطع ، فلذلك لم تعشْ هذه اللفظة طويلاً ، وفوق هذا فإن العامي والقريب منه لا يدرك من لفظة (مرآب) أنها عَلَم لمكان السيارة المعدّة للسفر ، لأن اللفظة غريبة عنه جداً ، بل هي غريبة عن المثقف أيضاً ، لأنه ليس في لغته التي يتناطق بها مشتقات وأخوات من مادة (مرآب) حتى تدله على معنى (مرآب) .

فلهذا انتقلوا من لفظة (مرآب) الى لفظة (سفريات) ، ورأوا فيها غَناء ودلالةً على المعنى الذي يريدونه ، ولكن اذا نظرنا في لفظة (سفريات) وجدناها أيضاً ناقصةً في الدلالة على المعنى الذي نريد أن ندل عليه ، إذ أننا نريد أن نقول : « المكان الذي تسير منه السيارات التي تحمل المسافرين الى الجهات » ، ولفظ (سفريات) لا يدل على شيء من هذا ، سوى أنه جمع للفظ (سَفَرِيَّة) نسبةً الى السَّفَر أو السَّفْرة ، وهي نسبة شاذة لا تمشي على

قياس لغة العرب ، فوق أن معناها قاصر ناقص الدلالة على المراد منها ، ولفظُها ـ مع ذلك ـ جمعٌ ثقيل ، ولا حاجة لنا هنا الى الجمع .

وعلى هذا فمن حقّ العربية ـ وقد وسعت التعبير عن كل معنى وهاجس ، ودلّ بها العرب على كل مراد وخاطر ـ أن تتسع لوجود لفظ يدل على ما نريده في هذا الصدد .

ومن تمام التوفيق أن نجد في لغتنا العربية الشريفة لفظاً يدل بلفظه على المعنى الذي نقصده كل الدلالة ، وفوق هذا فإن مشتقاته وأخواته يستعملها العامي والعالم على السواء ، هذا اللفظ هو (مَسَار) ، وقد أطلقته العرب على مكان السير ، قال الجوهري في كتابه « الصحاح » في مادة (ع ي ب) : العَيْبُ والعابُ بمعنى واحد ، وتقول : ما فيه مَعَابَةٌ ومَعَابٌ ، أي عَيْبٌ ، ويقال : موضع عيبٍ ، قال الشاعر :

أنا الرجلُ الذي قد عِبْتُمُوه وما فيه لعيَّاب مَعَابُ

لأن الفعل من ذوات الثلاثة مثل كال يكيل ، إن أريد به الاسم مكسور ، والمصدر مفتوح ، ولو فتحتهما أو كسرتهما في الاسم والمصدر جميعاً لجاز ، لأن العرب تقول : « المَسَار والمَسِير ، والمَعَاش والمَعِيش ، والمَعَاب والمَعِيب » انتهى . أي أن العرب تطلق لفظ (المَسَار) على السير نفسه ، وعلى مكان السير . وقد نقل صاحب « لسان العرب » وصاحب « تاج العروس » كلام الجوهري هذا ، وأسنداه اليه بكل تسليم واقرارٍ وموافقةٍ منهما .

فاستفدنا من هذا النص الصريح اللفظة العربية التي يبحث عنها الشعب ليضعها دالةً على الموضع الذي تسير منه السيارات المسافرة ، وهي لفظة (مَسار) ، فان العرب أطلقتها على (موضع السير) ؟ وهو الذي نريد له اسماً عربياً يكون في كلمةٍ واحدةٍ رشيقةٍ مأنوسة ، وزاد في حسن هذه اللفظة فوق مطابقتها للمراد منها أنها خفيفة اللفظ ، لينة النطق ، حسنة الجرس ، كثيرة

المشتقات والأخواتِ الدالةِ على معناها لمن يجهلها أول وهلة ، فان العامي يفهم قولك ـ بل ويقول هو أيضاً ـ : سرتُ أنا وفلان ، ورأيت فلاناً يسير مع فلان ، وكنا البارحة سائرين ، وركبنا السيارة ، ولقيت في مسيري صديقاً لي ، وألقى فلان عصا التَّسْيار ، أي عصا السفر ؛ فهذه الألفاظ المفهومة المعنى ، المخزونة في ذاكرة العامي والمتعلم تدله سريعاً على معنى (مَسار) حين يسمعها أو يراها مكتوبةً إذا لم يهتد اليها بسليقته العربية ، واذا لم يهتد اليها بالقرائن المحيطة بها .

فاذا سمعك تقول : سنسافر غداً الى دمشق من (مَسار البابا) أو من (مَسار عزيزة) فهم أنك تقصد موضع السفر الذي تسير منه السيارة ، ولكن إذا سمعك تقول : سنسافر غداً الى دمشق من (مِرْآب البابا) أو من (مِرْآب عزيزة) شعر بنقص كبير في تأدية المعنى الذي تريد التعبير عنه ، لأنك اخترت له لفظاً لا يتصل بمخزونات ذاكرته اللغوية ، فليس عنده أخوات لكلمة (مرآب) حتى يفهمها كما تريد ، على أنها إنما تدل على محل الرأب وإصلاح العطب ، فلا يصح أن نستعملها للدلالة على موضع تحرك السيارة للسفر .

أما لفظة (سفريات) فثقلها وعدم انسجامها في حديثك كافيان لرفضها وهجرها دفعةً واحدة ، فاذا قلت : سنسافر غداً من (سفريات أمية) أو ركبت من (سفريات عزيزة) كان اللفظ ركيكاً ثقيلاً ، على أن لفظ (سفريات) غير صحيح من حيث اللغة العربية .

ومن شرط اللفظ الذي يوضع للمُسَمَّيات المستحدثة أن يكون مطابقاً لقوانين اللغة العربية ، ومواتياً للذوق العربي السليم في الحاضر والماضي ، مع خفةِ لفظه ، وحسن نغمته وجرسه ، ووضوح معناه لدى السامع المثقف وغير المثقف ، وهذه الشروط نراها مجتمعةً في لفظة (مَسار) ، فهي عربية صحيحة ، صريحة المعنى ، طيبة الجرسة ، خفيفة النطق ، مفهومةٌ لسامعها وقارئها .

وعما يحقق رواجها وشيوعها أن لها شقيقةً توزنها وتطلق اطلاقها أيضاً ، ولكن تطلق على المكان المعدّ لنسافر منه في الجوّ والفضاء ، وتلك الشقيقة هي لفظة (مَطَار) ، فقد أصبحت شائعة شيوع الشمس في الآفاق ، لا يتردد سامعها أو قارئها في دلالتها على المكان الذي تسافر منه الطائرات ، فلفظة (مطار) ترشح قبول شقيقتها (مَسار) وتحقق انتشارها وذيوعها أيضاً للدلالة على المكان الذي تسافر منه السيارات ، فكما يقولون : مطار المِزّة ، ومطار النيرب ، ومطار دمشق ، ومطار حلب ، يقولون أيضاً : مَسار البابا ، ومَسار عزيزة ، ومَسار أمية .

وإذا كانت الحكومة السورية قد خصصت كل مَسارٍ بسفرٍ الى جهة من الجهات لا يجوز له السفر الى غيرها ، فحينئذ نضيف المَسار الى الجهة التي قد خُصّ بالسفر اليها فيقال : مَسار دمشق ، ومَسار بيروت ، ومَسار حمص ، ومَسار حماه ، ومَسار حلب ، ومَسار الفرات .

(حلب) عبد الفتاح ابو غدة

(تعليق على مقال أبي غدة)

نوافق الكاتب الفاضل على ما قال من استنكار (كاراج) و (سفريات) ووجوب استبدال غيرهما بهما . أما المرأب فلا : ذلك أن (المرأب) اسم مكان من (رأب) وهي على وزن مفعل لا مفعال (مرآب) كما ظنها أو كتبها هو وكما يلفظها بعض الناس غلطاً . والرأب وان كان أصله الشَّعْب أي اصلاح شيئين متشاخسين أي غير متلائمين فنلائم بينهما ونشد أحدهما الى الآخر بوسيلة من

ومما يحقق رواجها وشيوعها أن لها شقيقةً توزنها وتطلق اطلاقهـا أيضاً ، ولكن تطلق على المكان المعدّ لنسافر منه في الجوّ والفضاء ، وتلك الشقيقة هي لفظة (مَطار) ، فقد أصبحت شائعة شيوع الشمس في الآفاق ، لا يتردد سامعها أو قارئها في دلالتها على المكان الذي تسافر منه الطائرات ، فلفظـة (مطار) ترشح قبول شقيقتها (مَسار) وتحقق انتشارها وذيوعها أيضاً للدلالة على المكان الذي تسافر منه السيارات ، فكما يقولون : مطار المِزّة ، ومطار النيرب ، ومطار دمشق ، ومطار حلب ، يقولون أيضاً : مَسار البابا ، ومَسار عزيزة ، ومَسار أمية .

وإذا كانت الحكومة السورية قد خصصت كل مَسارٍ بسفرٍ الى جهة من الجهات لا يجوز له السفر الى غيرها ، فحينئذ نضيف المَسار الى الجهة التي قد خُصّ بالسفر اليها فيقال : مَسار دمشق ، ومَسار بيروت ، ومَسار حمص ، ومَسار حماه ، ومَسار حلب ، ومَسار الفرات .

(حلب) **عبد الفتاح ابو غدة**

(تعليق على مقال أبي غدة)

نوافق الكاتب الفاضل على ما قال من استنكار (كاراج) و (سفريات) ووجوب استبدال غيرهما بهما . أما المرأب فلا : ذلك أن (المرأب) اسم مكان من (رأب) وهي على وزن مفعل لا مفعال (مرآب) كما ظنها أو كتبها هو وكما يلفظها بعض الناس غلطاً . والرأب وان كان أصله الشَّعْب أي اصلاح شيئين متشاخسين أي غير متلائمين فنلائم بينهما ونشد أحدهما الى الآخر بوسيلة من

الوسائل ـ إلا أن العرب كما يظهر من كتب اللغة توسعوا فعمموه في كل اصلاح حتى بطريق المجاز . لهذا لا نوافق الشيخ الفاضل على هجر (المرأب) ولا سيما انها شاعت على الألسنة وفي الصحف بل كتبت على أبواب المرائب .

والتوسع في لفظ المرأب من حيث اطلاقه على مكان الاصلاح والبيتوتة والسفر معهود أمثاله في اللغة العربية بل كلمة (كاراج) نفسها كانت في اللغة الأعجمية بمعنى واحد ثم عمت في المعنيين : الاصلاح والبيتوتة : كما قيل لنا منذ أول ماوضع المجمع كلمة (مَرْأب) . ودفاعنا عن (المرأب) لا يلزم منه استنكار (المسار) كما استنكرنا (كاراج) و (سفريات) بل نستحسن المسار ونؤيدها وندعو اليها لأن القياس اللغوي وخفتها على اللسان والتصاق معناها بمعني (الأتوموبيلات) ـ أي السيارات ـ كل ذلك يؤيد معناها . ويشد عضدها .

وقد قال الفاضل أبوغدة (ان العرب أطلقت المسار على موضع السير) لا نراه صحيحاً ، ولو كان صحيحاً لذكروا له شاهداً من أقوالهم في استعمالهم لها بهذا المعنى ، والنص الذي نقله عن الجوهري انما يدل على قياسية (المسار) أي انها لفظة عربية فصيحة صحيحة الاستعمال مقيسة على اخواتها (المعاش) و (المعاب) . ولعل البحث يُعثرنا على شاهد لها من كلام العرب .

والحاصل ان (المسار) كلمة مرادفة للمرأب ، ولعل احداهما أصلح من الأخرى . ولا يهدينا الى الأصلح إلا أن نرسلها العراك كما يرسل الأعرابي نياقه الى منهل الماء فهي تتزاحم وتتسابق حتى يصل الأقوى الى المورد . وهكذا ندعو الكتاب ولا سيما الاخوان الصحافيين الى استعمال الكلمتين كلما سنحت مناسبة لاستعمالها فتحيى الكلمتان أو احداهما ، فتكون هي الأصلح والسلام .

المغربي

اسماء مؤلفات ابن تيمية

تمهيد

نقدم هنا رسالة صغيرة ، ضمت كثيراً من آثار شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية ، كتبها أحد تلاميذه المقرّبين : شمس الدين ابن قيم الجوزية .

ان هذا التمهيد لا يتسع لبيان شأن ابن تيمية وأثره الكبير في الاصلاح الديني ، وعرض آرائه السياسية والاجتماعية ؛ ولكن يكفي أن نذكر أن هذا العالم الدمشقي الذي عاش في القرن السابع والقرن الثامن ، كان مكانه أن يكون الى جانب كبار رجال الفكر الاسلامي في القرن الثالث . فالحقيقة ان ما أوتيه من سعة التفكير وجودته ، وفهم الاسلام على حقيقته ، والنفوذ الى روحه وكنهه ، كان أرفع من المستوى الفكري الذي بلغه علماء القرن الثامن .

وقد يكون في عصره من كان أوسع منه علماً أو حفظاً ، ولكن ابن تيمية كان أوسع من معاصريه فهماً وتدبراً وفكراً [1] .

---

(١) عن ابن تيمية انظر :

C Brockelmann, *G A L sup.*, II,119

H. Laoust, *Essai sur les doctrines sociales et politiques de taqi -d- Din Ahmad B. Taimiya.* Le Caire, 1939.

H. Laoust, *Contribution à une étude de la méthodologie canonique de Taki -d- Din Ahmad B. Taimiya.* Le Caire, 1939.

ومن الدراسات الحديثة :

أبو زهرة ، ابن تيمية : حياته وعصره وآراؤه وفقهه (القاهرة ، ١٩٥٢) .

هراس ، ابن تيميه السلفي (القاهرة ، ١٩٥٢) .

ومن المقالات الجديدة :

محمد بهجة البيطار ، شيخ الاسلام ابن تيمية (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد ٢٧ والمجلد ٢٨) .

إن تلك الثورة السمحة التي قام بها ابن تيمية على ما علق بالاسلام، على مر العصور، من بدع، وتلك الدعوة الجريئة المخلصة الى العودة الى الدين الصحيح والمنبع الأول، حيث الصفاء والنقاء، لجديرتان بالفهم والاتباع. وليس كعرفان آثار ابن تيمية ما يدعو الى فهمها. وعرفان هذه الآثار يوجب حصرها، ثم نشرها نشراً علمياً صحيحاً[1]؛ لأنها وحدها تكفل ثورة فكرية تؤتي ثمرات طيبة. فالاسلام بحاجة الى ثورة تعيد اليه الصفاء والقوة وتبعد عنه ما خالطه من بدع وضعف.

وقد كنا عنينا بالبحث عن مؤلفات ابن تيمية منذ سنين، متخذين أساساً لها رسالة ابن قيم الجوزية لأنها أقدم نص سجلها. ثم أضفنا اليها ما لم يذكر فيها. وعندما زرنا مكتبات اوروبة صورنا معظم ما وجدناه منها.

مؤلف الرسالة

ومؤلف الرسالة هو ابن قيم الجوزية[2] (شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن أيوب الزرعي: ٦٩١ — ٧٥١ / ١٢٩٢ — ١٣٥٠)؛ وقد كان أعرف الناس بابن تيمية ومؤلفاته حتى قالوا إنه هو الذي هذب كتبه ونشر علمه.

اتصل ابن قيم الجوزية بشيخه سنة ٧١٢/١٣١٢، بعد عودة الشيخ من مصر. وبقي ملازماً له طوال ستة عشر عاماً حتى مات سنة ٧٢٨/١٣٢٧ — ٢٨؛ فأخذ عنه علماً كثيراً وصار فريداً في فنون كثيرة. هذه المدة التي لازم

(١) من المؤسف ان النشرات التي ظهرت لآثار ابن تيمية في الهند والقاهرة لم تكن علمية يصح الاعتماد عليها، ولا بد من اعادة نشرها.

(٢) عن المدرسة الجوزية انظر: النعيمي، تنبيه الطالب ٢ : ٢٩ (دمشق ١٩٥١). المنجد، مخطط دمشق القديمة رقم ٦٩ (دمشق ١٩٤٧).

بها شيخه كافية لتجعله مطلعاً على آثار الشيخ ، محباً لها . حتى إن هذا الحب غلب عليه فما كان يخرج عن شيء من أقواله . وظهر أثر ذلك في تصانيفه « فمعظمها من كلام شيخه » . وقد اعتقل مع الشيخ في القلعة وبقي حتى مات فأفرج عنه [١] .

وصف الرسالة

الرسالة من مخطوطات دار الكتب الظاهرية . رقمها : (٤٦٧٥ عام) . تقع في تسع ورقات (٢٤ × ١٧ عشيراً) ، كتبت بخط نسخي حديث ، عليه رونق وجمال ، هو خط جميل العظم .

وقد وجدنا بعض التحريف في الأسماء فقوّمناه ، وبعض الخطأ في الآيات فصححناه [٢] .

وها نحن أولاء نقدم الرسالة ، ثم نلحق بها ما نقص منها ، ونبين ما طبع من آثار ابن تيمية ، وما عرف من مخطوطاتها في مكتبات العالم ، ثم ما نقل منها الى اللغات الأجنبية .

وها كم الرسالة :

---

(١) عن ابن قيم الجوزية انظر :
ابن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة (مخطوطة الظاهرية) .
ابن كثير ، البداية والنهاية ١٤ : ٢٣٤ (القاهرة . تم سنة ١٣٥٨) .
ابن حجر ، الدرر الكامنة ٣ : ٤٠٠ (حيدر آباد ١٣٤٨) .
وبروكلمن ، *GAL Sup.*, II, 126

(٢) نشكر هنا للاستاذ محمد بهجة البيطار تلطفه بقراءة الرسالة وابداءه بعض الملاحظات الثمينة .

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فان جماعة من محبي السنة والعلم سألني أن أذكر له ما ألّفه الشيخ الامام العلامة الحافظ أوحد زمانه وفريد العصر ، تقي الدين ابو العباس احمد ابن تيمية رضي الله عنه . فذكرتُ لهم اني عجزتُ عن حصرها وتعدادها لوجوه أبديتها لبعضهم وسأذكرها ان شاء الله فيما بعد ، فأكثرهم قالوا : لا بدّ من ذكر ما تعرف وما لا يدرك كله لا يترك جله ، فتعينتْ اجابتهم . وها أنا [ذا] أذكر ما يسر الله عليّ منها . وإن وجد الواقف على ما كتبنا زيادة فليلحقها والله المستعان .

١ — فمما رأيته في التفسير

١ — أوراق على الاستعاذة .

٢ — قاعدة في الفاتحة ، وفي الأسماء التي فيها . وفي قوله تعالى ﴿ إياك نعبدُ وإياك نستعين ﴾ (١) .

[في سورة البقرة] :

٣ — قاعدة في تفسير أول البقرة .

٤ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ مثلهم كمثلِ الذي استوقدَ ناراً ﴾ (٢) نحو عشرين ورقة .

٥ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ إلا من سفه نفسه ﴾ (٣) .

٦ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ ومن حيثُ خرجتَ فولِّ وجهكَ شطر المسجدِ الحرام ﴾ (٤) .

٧ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ فمن تمتع بالعمرة الى الحج ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الفاتحة ١ : ٣

(٢) سورة البقرة ٢ : ١٧

(٣) ٢ : ١٣٠

(٤) ٢ : ١٤٩ و ١٥٠

(٥) ٢ : ١٩٦

٨ - رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ﴾[١] .

٩ - رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿والوالداتُ يُرضعن أولادهنّ﴾[٢] نحو ثلاثين ورقة .

١٠ - رسالة في تفسير آية الكرسي[٣] ، نحو عشرين ورقة .

١١ - 〃 〃 〃 قوله تعالى ﴿ومنَ الناس مَنْ يقول آمنا بالله وباليوم الآخر﴾[٤] نحو ثلاثين ورقة .

١٢ - رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ياأيها الناسُ اعبدوا ربكم﴾[٥] نحو سبعين ورقة .

١٣ - رسالة في تفسير آياتِ الربا[٦] . وتكلم فيها على تحريم ربا الفضل نحو ثلاثين ورقة .

وفي سورة آل عمران :

١٤ - رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿وما يعلم تأويله الا الله﴾[٧] نحو مجلد .

١٥ - 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿شهد الله أنه لا اله الا هو﴾[٨] .

١٦ - 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿فيه آياتٌ محكماتٌ﴾[٩] .

١٧ - 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿أفغير دينِ الله يبغون﴾[١٠] .

١٨ - 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿وكأيٍ من نبي قاتل معه ربيُّون كثير﴾[١١] نحو عشر ورقات أو أكثر .

---

(١) ٢ : ١٧٣ ووردت أيضاً في ٦ : ١٤٥ و ١٦ : ١١٥

(٢) ٢ : ٢٣٣

(٣) ٢ : ٢٥٥

(٤) ٢ : ٨

(٥) ٢ : ٢١

(٦) آيات الربا التي وردت في سورة البقرة هي الآية ٢٧٥ « الذين يأكلون الربا » والآية ٢٧٦ « يمحق الله الربا .. » والآية ٢٧٨ « وذروا ما بقي من الربا .. » وفي سورة الروم الآية ٣٩ « وما آتيتم من ربا » وفي سورة آل عمران الآية ١٣٠ « لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » وفي سورة النساء الآية ١٦٠ « وأخذهم الربا وقد نُهوا عنه » .

(٧) ٣ : ٧

(٨) ٣ : ١٨

(٩) ٣ : ٧

(١٠) ٣ : ٨٣

(١١) ٣ : ١٤٦

وفي سورة النساء :

١٩ - رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ما أصابك منْ حسنةٍ فمن الله﴾ [١] نحو مائة ورقة .

٢٠ - رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿وإذا حييتم بتحية﴾ [٢] .

٢١ - 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ [٣] .

وفي سورة المائدة :

٢٢ - رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة﴾ [٤] نحو ثلاثين ورقة .

٢٣ - تفسير سورة المائدة . مجلد لطيف .

وفي سورة الأنعام :

٢٤ - رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿فلما جنّ عليه تعالى﴾ [٥] .

٢٥ - 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿وكيف أخافُ ما أشركتم﴾ [٦] (٢ آ).

٢٦ - 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿لا أحبُّ الآفلين﴾ [٧] .

٢٧ - 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿لا تدركه الأبصارُ﴾ [٨] .

وفي سورة الأعراف :

٢٨ - رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿وإذْ أخذ ربك من بني آدم﴾ [٩] وهي ثلاث قواعد ، أكثر من سبعين ورقة .

---

(١) ٤ : ٧٨
(٢) ٤ : ٨٥
(٣) ٤ : ٩٢
(٤) ٥ : ٧
(٥) ٦ : ٧٦
(٦) ٦ : ٨١
(٧) ٦ : ٧٦
(٨) ٦ : ١٠٣
(٩) ٧ : ١٧١

٢٩ - رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ لنُخرِجنّك يا شعيب ﴾ [١] .
٣٠ - 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿ واختار موسى قومه ﴾ [٢] .

وفي سورة الأنفال :

٣١ - رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ يا أيها النبيُّ حسبك اللهُ ﴾ [٣] .

وفي سورة براءة :

٣٢ - رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ وإنْ أحد من المشركين استجارك ﴾ [٤] .
٣٣ - 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿ فأتموا اليهم عهدهم ﴾ [٥] .
٣٤ - 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿ إنما الصدقات للفقراء ﴾ [٦] .
٣٥ - 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ [٧] .

وفي سورة يونس :

٣٦ - رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ كتاب أُحكمت آياته ﴾ [٨] .
٣٧ - 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهدٌ منه ﴾ [٩] .
٣٨ - رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ خالدين فيها ما دامت السمواتُ والأرضُ ، إلا ما شاء ربك ﴾ [١٠] وتكلم على هذا الاستثناء .
٣٩ - رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ ولا يزالون مختلفين الا مَنْ رحم ربك ، ولذلك خلقهم ﴾ [١١] .

---

(١) ٧ : ٨٧
(٢) ٧ : ١٥٤
(٣) ٨ : ٦٤
(٤) ٩ : ٧ . وفي الأصل : إن ...
(٥) ٩ : ٥
(٦) ٩ : ٦١
(٧) ٩ : ١٢٢
(٨) ١١ : ١
(٩) ١١ : ١٧ . وفي الأصل : فمن ...
(١٠) ١١ : ١٠٨ ، ١٠٩
(١١) ١١ : ١١٩

وفي سورة يوسف :

٤٠ – رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ وما أبرّيء نفسي ﴾ [١] .

٤١ – 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿ ولقد همت به وهمّ بها لولا أن رأى برهانَ ربه ﴾ [٢] .

٤٢ – رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ حتى اذا استيأس الرُسل ﴾ [٣] .

٤٣ – 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿ قلْ هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة ﴾ [٤] .

وفي سورة الرعد :

٤٤ – رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ ويسبح (٢ ب) الرعد بحمده ﴾ [٥] .

٤٥ – 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿ أفمن يعلم أن ما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ﴾ [٦] .

وفي سورة الحجر :

٤٦ – رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ﴾ [٧] .

٤٧ – 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾ [٨] .

وفي سورة النحل :

٤٨ – رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ [٩] ﴿ لآياتٍ لقومٍ يعقلون ﴾ [١٠] ﴿ لآية لقوم يذّكرون ﴾ [١١] ، الآيات .

---

(١) ١٢ : ٥٣
(٢) ١٢ : ٢٤
(٣) ١٢ : ١١٠
(٤) ١٢ : ١٠٨
(٥) ١٣ : ١٤
(٦) ١٣ : ١٩
(٧) ١٥ : ٨٧
(٨) كذا في الأصل . والآية في الحجر « هذا صراط عليّ مستقيم » ١٥ : ٤١
(٩) ١٦ : ١١ . وفي الأصل : إن ذلك
(١٠) ١٦ : ١٢
(١١) ١٦ : ١٣

٤٩ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ضربَ الله مثلاً عبداً مملوكاً﴾[1] .
٥٠ — 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون﴾[2] .

وفي سورة الأنبياء :

٥١ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿لا إله الا أنتَ سبحانك﴾[3] في مجلد لطيف .
٥٢ — 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله﴾[4] الآية ، واعتراض ابن الزبعرى وجوابه .

وفي سورة الحج :

٥٣ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾[5] .
٥٤ — 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾[6] .

وفي سورة النور :

٥٥ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية﴾[7] في قاعدتين .
٥٦ — 〃 〃 〃 〃 〃 ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾[8] خمس ورقات .

وفي سورة القصص :

٥٧ — رسالة في حَمْو موسى هل هو شُعيب أم غيره . في كراسة .
٥٨ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿إنما أوتيته على علمٍ عندي﴾[9] .

(١) ١٦ : ٧٥
(٢) ١٦ : ١٠٣
(٣) ٢١ : ٨٧
(٤) ٢١ : ٩٨
(٥) ٢٢ : ٥٢
(٦) ٢٢ : ٦٠
(٧) ٢٤ : ٣
(٨) ٢٤ : ٣٠
(٩) ٢٨ : ٧٨

٥٩ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ﴾ (١) .

وفي سورة العنكبوت :

٦٠ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ الم • أحسب الناس ﴾ (٢) (٣ آ) .

٦١ — 〃 〃 〃 〃 ﴿ أقم الصلاة • إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ (٣) .

٦٢ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن ﴾ (٤) .

وفي سورة لقمان :

٦٣ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ (٥) .

وفي سورة الم السجدة :

٦٤ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ﴾ (٦) .

وفي سورة الأحزاب .

٦٥ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ﴾ (٧) وذكر فيها قصة الخندق .

---

(١) ٢٨ ، ٨٣
(٢) ٢٩ : ١ و ٢
(٣) ٢٩ : ٤٥
(٤) ٢٩ : ٤٦ ، ووردت ايضاً في ٦ : ١٥٢ و ١٧ : ٣٤
(٥) ٣١ : ١٣
(٦) ٣٢ : ٢٤
(٧) ٣٣ : ٩ ووردت أيضاً في : ٢ : ٢٣١ . ٣ : ١٠٣ . ٥ : ٨ و ١٢ و ٢٢ . ١٤ : ٦ . ٣٥ : ٣

وفي سورة سبأ :

٦٦ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿لا تسألون عما أجرمنا ، ولا نُسألُ عما تعملون﴾ [١] .

وفي سورة فاطر :

٦٧ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ [٢] .

٦٨ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم ، لا يُقضى عليهم فيموتوا﴾ [٣] .

وفي سورة غافر :

٦٩ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿رفيع الدرجات﴾ [٤] .

٧٠ — 〃 〃 أواخر السورة ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ [٥] الآيات .

وفي سورة الشورى :

٧١ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ [٦] نحو خمسين ورقة .

وفي سورة الزخرف :

٧٢ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ [٧] .

وفي سورة الدخان :

٧٣ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ولقد اخترناهم على علم﴾ [٨] .

---

(١) ٣٤ : ٢٥ . وفي الأصل : فلا ...
(٢) ٣٥ : ٣٢
(٣) ٣٥ : ٣٦
(٤) ٤٠ : ١٥
(٥) ٤٠ : من الآية ٨٢ الى الآية ٨٥
(٦) ٤٢ : ١١
(٧) ٤٣ : ٨١
(٨) ٤٤ : ٣٢

وفي سورة الجاثية :

٧٤ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿وأضله الله على علم﴾ (١) .

وفي سورة الذاريات :

٧٥ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ وما خلقتُ الجن والانس إلا ليعبدون ﴾ (٢) في نحو سبعين ورقة .

وفي سورة الواقعة :

٧٦ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿فلولا اذا بلغت الحلقوم (٣)﴾ .

وفي سورة المجادلة :

٧٧ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة ﴾ (٤) وتكلم على المعية في جميع مواردها .

وفي سورة الممتحنة :

٧٨ — رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾ (٥) .

٧٩ — تفسير سورة « سبح اسم ربك الأعلى » (٦) في مجلد لطيف .

٨٠ — 〃 〃 « والشمس » (٧) .

٨١ — 〃 〃 « القلم » (٨) .

---

(١) ٤٥ : ٢٣

(٢) ٥١ : ٥٦

(٣) ٥٦ : ٨٣ . وفي الأصل « حتى اذا بلغت ... »

(٤) ٥٨ : ٧ . وفي الأصل : وما يكون ...

(٥) ٦٠ : ١٠

(٦) السورة ذات الرقم ٨٧ ، وهي سورة الأعلى

(٧) » » » ٩١

(٨) » » » ٦٨

٨٢ — تفسير سورة «الفجر»(١) .

٨٣ — 〃 〃 «لا أقسم»(٢) .

٨٤ — 〃 〃 «اقرأ باسم ربك»(٣) .

٨٥ — 〃 〃 «لم يكن الذين كفروا»(٤) .

٨٦ — 〃 〃 «قل يا أيها الكافرون»(٥) .

٨٧ — 〃 〃 «تبَّت»(٦) .

٨٨ — 〃 سورتي «المعوذتين»(٧) .

٨٩ — 〃 سورة «الاخلاص»(٨) في مجلد .

٩٠ — قاعدة في فضائل القرآن .

٩١ — قاعدة في أقسام القرآن .

٩٢ — قاعدة في أمثال القرآن .

---

(١) السورة ذات الرقم : ٨٩
(٢) » » » : ٩٠ وهي سورة البلد
(٣) » » » : ٩٦ » » العلق
(٤) » » » : ٩٨ » » البيّنة
(٥) » » » : ١٠٩ » » الكافرون
(٦) » » » : ١١١ » » المسد
(٧) » » » : ١١٣ و ١١٤ وهما سورتا الفلق والناس . وفي الأصل : سورة للمعوذتين .
(٨) السورة ذات الرقم : ١١٢

٢ — ومما صنفه في الأصول

مبتدئاً أو مجيباً لمعترض أو سائل

١ — كتاب الايمان • في مجلد •
٢ — 〃 الاستقامة • في مجلدين •
٣ — 〃 جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية • في أربع مجلدات •
٤ — 〃 الجواب عما أورده كمال الدين الشريشي على كتابه تعارض العقل والنقل •
٥ — 〃 تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية • في ست مجلدات •
٦ — 〃 درء تعارض العقل والنقل • أربع مجلدات •
٧ — 〃 منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية • أربع مجلدات •
٨ — 〃 الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح • في مجلدين •
٩ — 〃 شرح أول المحصل • في مجلد •
١٠ — 〃 الرد على أهل كسروان (٤ آ) الرافضة • في مجلدين •
١١ — لهولا كونية • وهو جواب سؤال ورد على لسان هولاكو ملك التتار • في مجلد •
١٢ — كتاب في الوسيلة • في مجلد •
١٣ — 〃 في الرد على البكري في الاستغاثة • في مجلد •
١٤ — شرح على أول كتاب الغزنوي في أصول الدين • في مجلد لطيف •
١٥ — كتاب في الرد على المنطق • في مجلد كبير •
١٦ — شرح عقيدة الإصفهاني •
١٧ — 〃 مسائل من الأربعين للرازي • في مجلدين •
١٨ — المسائل الاسكندرانية • رد فيه على ابن سبعين وغيره • في مجلد •
١٩ — كتاب في محنته في مصر • في مجلدين • وتكلم فيه على الكلام النفسي وأبطله من نحو ثمانين وجهاً •
٢٠ — كتاب الكلام على إرادة الرب وقدرته • نحو مائة ورقة •

٣ – قواعد وفتاوى

١ – الكيلانية . وهو جواب في مسألة القرآن . في مجلد لطيف .
٢ – قواعد في إثبات المعاد ، والرد على ابن سينا في رسالته الأضحوية . نحو مجلد .
٣ – تحقيق الاثبات في الأسماء والصفات .
٤ – التدمرية . بحث فيها في حقيقة الجمع بين القدر والشرع .
٥ – الفتيا الحموية . ستون ورقة . كتبها بين الظهر والعصر .
٦ – المراكشية . وهي فتيا في الصفات . خمسون ورقة .
٧ – فتيا في مسألة العلو . نحو خمسين ورقة .
٨ – فتيا تتضمن صفات الكمال مما يستحقه الرب سبحانه . نحو ستين ورقة .
٩ – الواسطية . وهي فتيا في عقيدة الفرقة الناجية . نحو ثلاثين ورقة (٤ ب) .
١٠ – جواب في تعليل مسألة الأفعال . نحو ستين ورقة .
١١ – جواب في مسألة القرآن . وردت من مصر . نحو سبعين ورقة .
١٢ – البعلبكية . تكلم فيها على اختلاف الناس في الكلام . نحو عشرين ورقة .
١٣ – القادرية . وهي مسألة في القرآن . نحو عشر ورقات .
١٤ – جواب مسألة في القرآن ، هل هو حرف وصوت أم لا . نحو ثلاثين ورقة .
١٥ – الأزهرية . بضع وعشرون ورقة .
١٦ – البغدادية . وهي مسألة في القرآن .
١٧ – مسائل في الشكل والنقط .
١٨ – كتاب إبطال قول الفلاسفة بإثبات الجواهر العقلية .
١٩ – كتاب إبطال قول الفلاسفة بقدم العالم . في مجلد كبير .
٢٠ – قاعدة في إبطال قول الفلاسفة أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد .
٢١ – قاعدة في القضايا الوهمية .

٢٢ — قاعدة فيما يتناهى وما لا يتناهى .

٢٣ — جواب في العزم على المعصية هل يُعاقب العبد عليه . نحو عشرين ورقة .

٢٤ — قاعدة في أن مخالفة الرسول عليه الصلاة والسلام لا تكون الا عن ظن واتباع هوى .

٢٥ — قاعدة في أن الايمان والتوحيد يشتمل على مصالح الدنيا والآخرة .

٢٦ — قاعدة في إثبات كرامات الأولياء . في عشرين ورقة .

٢٧ — قاعدة في أن خوارق العادات لا تدلّ على الولاية .

٢٨ — قاعدة في الصبر والشكر . نحو ستين ورقة .

٢٩ — قاعدة في الرضا . مجلد لطيف .

٣٠ — قاعدة في أن كل آية يحتج بها مبتدع ففيها دليل على فساد قوله .

٣١ — قاعدة في أن كل دليلٍ عقلي يحتج به مبتدع ، فيه دليل على بطلان قوله . نحو مائة ورقة .

٣٢ — قاعدة في تفضيل صالحي الناس (٥ آ) على سائر الأجناس .

٣٣ — قاعدة في الخلوات ، والفرق بين الخلوة الشرعية والبدعية .

٣٤ — قاعدة في لباس الخرقة والأقطاب وغيرهم .

٣٥ — الصعيدية .

٣٦ — قاعدة في الفقراء والصوفية أيهم أفضل .

٣٧ — قاعدة في محبة الله للعبد . مجلد لطيف .

٣٨ — التحفة العراقية . نحو ستين ورقة .

٣٩ — قاعدة في الاخلاص والتوكل . نحو خمسين ورقة .

٤٠ — قاعدة في الشيوخ الأحمدية . نحو خمسين ورقة .

٤١ — قاعدة في تحريم السماع . نحو عشرين ورقة .

٤٢ — تحريم السماع . في مجلد .

٤٣ — تعليقة على فتوح الغيب لسيدي عبد القادر الكيلاني .
٤٤ — قاعدة في أسماء الله الحسنى .
٤٥ — 〃 في قوله ﷺ : «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» .
٤٦ — 〃 في الاستغفار وشرحه .
٤٧ — 〃 في أن الشريعة والحقيقة متلازمتان .
٤٨ — 〃 في الخلة والمحبة وأيهما أفضل . في مجلد .
٤٩ — 〃 في العلم المحكم . مجلد .
٥٠ — قواعد في خلافة الصدّيق . مجلد .
٥١ — رسالة في أمر يزيد هل يُسبّ أم لا .
٥٢ — 〃 في الخضر هل مات أم هو حي .
٥٣ — 〃 في احتجاج الجهمية والنصارى بالكلمة .
٥٤ — 〃 فيمن عزم على فعل محرم ثم مات .
٥٥ — 〃 في أن اسماعيل عليه السلام هو الذبيح .
٥٦ — 〃 في الذوق والوَجْد الذي يذكره الصوفية .
٥٧ — 〃 في قوله عليه الصلاة والسلام : «من قال أنا خير من يونس بن مَتّى فقد كذب» .
٥٨ — رسالة في الاشتغال بكلام الله وأسمائه وذكره ، أي ذلك أفضل .
٥٩ — 〃 في غض البصر وحفظ الفرج ماذا يتعيّن عليه .
٦٠ — الاربلية . وهي رسالة في الاستواء (٥ ب) والنزول هل هو حقيقة أم لا .
٦١ — رسالة في مسألة الزوال واختلاف وقته باختلاف البلدان . في مجلد لطيف .
٦٢ — 〃 في اللقاء وما ورد فيه في القرآن وغيره . نحو عشرين ورقة .
٦٣ — 〃 في قرب الرب من عابديه وداعيه . مجلد لطيف .
٦٤ — 〃 في الاستواء وإبطال قول من تأوّله بالاستيلاء . من نحو عشرين وجهاً ،

٦٥ — رسالة في الشهادتين وما يتبع ذلك . في مجلد .

٦٦ — 〃 في انكار عصمة الأنبياء هل هي من الصغائر . وهل يكفر المنازع في تجويز الصغائر عليهم ؟ نحو ثلاثين ورقة .

٦٧ — رسالة في الاستطاعة هل هي مع الفعل أو قبله .

٦٨ — 〃 في العين والقلب وأحواله .

٦٩ — 〃 هل كان النبي ﷺ قبل الرسالة نبياً وهل يسمى من صحبه إذ ذاك صحابياً

٧٠ — 〃 هل كان النبي ﷺ قبل الوحي متعبداً بشرع من قبله من الأنبياء .

٧١ — 〃 في كفر فرعون .

٧٢ — 〃 في ذي الفقار هل كان سيفاً لعلي رضي الله عنه .

٧٣ — 〃 في وجوب العدل على كل أحد في كل حال .

٧٤ — 〃 في فضل السلف على الخلف في العلم .

٧٥ — 〃 في الإيمان هل يزيد وينقص . في مجلد .

٧٦ — 〃 في حق الله وحق رسوله وحقوق عباده وما وقع في ذلك من التفريط .

٧٧ — 〃 في أن مبدأ العلم الإلهي عند النبي ﷺ هو الوحي ، وعند أتباعه هو الايمان .

٧٨ — رسالة في أن كل حمد وذم للمقالات والأفعال لا بد أن يكون بكتاب الله وسنة رسوله .

٧٩ — رسالة في عقيدة الأشعرية وعقيدة الماتريدي (٦ آ) وغيره من الحنفية . نحو خمسين ورقة .

٨٠ — الواسطية . وهي عقيدة .

٨١ — الحوفية . وهي عقيدة أيضاً .

٨٢ — رسالة في العرش والعالم هل هو كروي الشكل أم لا ؟

٨٣ — 〃 في الخلة والامكان العام .

٨٤ — شرح رسالة ابن عبدوس في أصول الدين .
٨٥ — قاعدة فيما لكل أمة من الخصائص ، وخصائص هذه الأمة .
٨٦ — 〃 في الكليّات . مجلد لطيف .
٨٧ — كتاب في توحيد الفلاسفة على نظم ابن سينا . مجلد لطيف .
٨٨ — رسالة في جواب محيي الدين الأصفهاني . نحو ستين ورقة .
٨٩ — الفرقان بيان أولياء الرحمن وأولياء الشيطان . نحو ستين ورقة .
٩٠ — رسالة في الفرق بين ما يتأوّل ومالايتأوّل من النصوص. نحو عشرين ورقة .
٩١ — قاعدة في الفناء والاصطلام . نحو ثلاثين ورقة .
٩٢ — 〃 في العلم والحلم . نحو عشرين ورقة .
٩٣ — 〃 في الاقتصاص من المظالم بالدعاء وغيره . مجلد .
٩٤ — 〃 في تزكية النفوس . نحو ثلاثين ورقة .
٩٥ — 〃 في كلام ابن الشريف في التصوّف . كرّاسة .
٩٦ — 〃 في حق الله وحق عباده . بضع وعشرون ورقة .
٩٧ — 〃 في الزهد والورع . نحو ثلاثين ورقة .
٩٨ — 〃 في الايمان والتوحيد ، وبيان ضلال من ضل في هذا الأصل .
٩٩ — 〃 في أمراض القلوب وشفائها . نحو أربعين ورقة .
١٠٠ — قاعدة في السياحة ومعناها في هذه الأمة .
١٠١ — 〃 في خلة ابراهيم عليه السلام وأنه الامام المطلق .
١٠٢ — 〃 فيمن امتحن في الله وصبر .
١٠٣ — رسالة (٦ ب) في المباينة بين الله وبين خلقه . نحو أربعين ورقة .
١٠٤ — قاعدة في الصفح الجميل والهجر الجميل والصبر الجميل .
١٠٥ — 〃 في اقتراب الايمان بالاحتساب .
١٠٦ — رسالة في قوله «أمرتُ أن أخاطب الناس على قدر عقولهم» هل هو من كلام النبي ﷺ .

١٠٧ — قاعدة في الرد على أهل الاتحاد . وهي جواب الطوفي . في مجلد لطيف .
١٠٨ — رسالة في أصول الدين للعدوية . بقدر أربعين ورقة .
١٠٩ — 〃 في أصول الدين لأهل جيلان نحو خمسين ورقة .
١١٠ — 〃 لأهل قبرص تتضمن قواعد دينية أصولية ، بقدر ثلاثين ورقة .
١١١ — قاعدة فيما يتعلق بالوسيلة بالنبي ﷺ ، والقيام بحقوقه الواجبة على أمته [و] على جميع الأمم .
١١٢ — قاعدة تتعلق بالصبر المحمود والمذموم .
١١٣ — 〃 تتعلق برحمة الله في ارسال محمد ﷺ ، وأن إرساله أجلّ الشكر .
١١٤ — 〃 في الشكر لله .
١١٥ — رسالة في حال الحلاّج ، ودفع ما وقع به التحاجّ .
١١٦ — قاعدة في العُمَر المكية وهل الأفضل للمجاور وأهل مكة الاعتمار أو الطواف . نحو أربعين ورقة .
١١٧ — قاعدة في الكلام على المرشد .
١١٨ — 〃 في كلام الجنيد لما سُئل عن التوحيد فقال «افراد الحدوث عن القدم» .
١١٩ — 〃 في التوكل والاخلاص . نحو اربعين ورقة .
١٢٠ — 〃 في التسبيح والتحميد والتهليل .
١٢١ — 〃 في أن الله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته .
١٢٢ — 〃 في توحيد الشهادة .
١٢٣ — القواعد (٧ آ) الخمس .
١٢٤ — قاعدة في القدرية وأنهم ثلاثة أقسام : مجوسية ، ومشركية ، وابليسية .
١٢٥ — 〃 في بيان طريقة القرآن في الدعوة والهداية النبوية وما بينها وبين الطريقة الكلامية والطريقة الصوفية .
١٢٦ — قاعدة في وصية لقمان لابنه .

١٢٧ — قاعدة في تسبيح المخلوقات من الجمادات وغيره هل هو بلسان الحال أم لا .
١٢٨ — 〃 في السياحة والعزلة ، وفي الفقر والتصوّف . وهل هما اسمان شرعيان .
١٢٩ — 〃 في مشايخ العلم ومشايخ الفقراء أيهم أفضل .
١٣٠ — 〃 في تعذيب المرء بذنب غيره .
١٣١ — رسالة في العباس وبلال أيهما أفضل .
١٣٢ — 〃 لأهل تدمر .
١٣٣ — قاعدة في أن جامع الحسنات العدل ، والسيئات الظلم . ومراتب الذنوب في الدنيا .
١٣٤ — قاعدة في فضل عشر ذي الحجة . وذكر نحو عشرين فضيلة .
١٣٥ — 〃 في رسالة النبي ﷺ الى الإنس والجن .
١٣٦ — 〃 في رجوع البدع الى شعبة من شعب الفكر .
١٣٧ — 〃 في الاجماع . وله ثلاثة أقسام .
١٣٨ — رسالة فيمن قال إن بعض المشايخ أحيا ميتاً .
١٣٩ — شرح العمدة . في أربع مجلدات .
١٤٠ — شرح المحرّر .
١٤١ — الصارم المسلول على شاتم الرسول .
١٤٢ — اقتضاء الصراط المستقيم في الردّ على أصحاب الجحيم .
١٤٣ — التحرير في مسألة الخضر . مجلد .
١٤٤ — دفع الملام عن الأئمة الأعلام . مجلد لطيف .
١٤٥ — قاعدة فيما يظن من تعارض النص والاجماع .

٤ — الكتب الفقهية

١ — قواعد في رجوع (٧ ب) المغرور على مَنْ غرَّه .
٢ — 〃 في السنة والبدعة ، وفي أن كل بدعة ضلالة .
٣ — السياسة الشرعية لإصلاح الراعي والرعية .
٤ — رسالة في فضائل الأئمة الأربعة ، وما امتاز به كل إمام من الفضيلة .
٥ — قاعدة في مقدار الكفارة في اليمين ، نحو خمسين ورقة .
٦ — 〃 في لفظ الحقيقة والمجاز ، والبحث مع الآمدي . نحو ثمانين ورقة .
٧ — رسالة في ذبائح أهل الكتاب .
٨ — 〃 في قوله تعالى ﴿وأنْ ليس للإنسان إلاّ ما سعى﴾ .
٩ — 〃 في اهداء الثواب للنبي ﷺ .
١٠ — رسالة في قوله (كما صليتَ على ابراهيم) وفي أن المشبَّه به أعلى من المشبهِ .
١١ — 〃 أجوبة مسائل أصفهان .
١٢ — 〃 أجوبة مسائل الأندلس .
١٣ — 〃 جواب سؤال الرحبة .
١٤ — 〃 أجوبة مسائل السلط .
١٥ — 〃 في أرض الموات اذا أحياها ثم عادت هل تملَّك مرة أخرى .
١٦ — 〃 في النهي عن أعياد النصارى .
١٧ — قواعد في تطهُّر الأرض بالشمس والريح .
١٨ — 〃 في مسائل من النذور والضمان .
١٩ — قاعدة في المائعات والميتة اذا وقعت فيها . نحو عشرين ورقة .
٢٠ — قواعد في الوقف ، وشروط الوقف ، وفي إبداله بأجود منه ، وفي بيعه عند تعذر الانتفاع .
٢١ — قاعدة في تفضيل مذهب أحمد ، وذكر محاسنه . في مجلد .

٢٢ – قاعدة في أن جنس فعل المأمور به أفضل من جنس ترك المنهي عنه •
في مجلد لطيف •
٢٣ – قاعدة في طهارة (٨ آ) بول مايؤكل لحمه • نحو سبعين ورقة • من ثلاثين تجة •
٢٤ – « في معاهدة الكفار المطلقة والمقيدة •
٢٥ – « في دم الشهيد ومداد العلماء •
٢٦ – « في وجوب التسميه على الذبائح والصيد •
٢٧ – « في أن كل عمل صالح أصله اتباع النبي ﷺ •
٢٨ – « في تفضيل مذهب أهل المدينة نحو خمسين ورقة •
٢٩ – « في نواقض الوضوء •
٣٠ – « في الاجتهاد والتقليد •
٣١ – « في الجهاد والترغيب فيه •
٣٢ – « في المخطئ في الاجتهاد هل يأثم ، وهل المصيب واحد •
٣٣ – « فيما يحلُّ ويحرم من الأطعمة •
٣٤ – « فيما شرعه الله بلفظ العموم • وهل يكون مشروعاً بلفظ الخصوص •
٣٥ – « في لعب الشطرنج •
٣٦ – « في مفطرات الصائم •
٣٧ – « في السفر الذي يجوز فيه القصر والفطر •
٣٨ – « في الجمع بين الصلاتين •
٣٩ – « فيما يُشترط له الطهارة •
٤٠ – « في مواقيت الصلاة •
٤١ – « في الكنائس ، وما يجوز هدمه منها • في مجلد •
٤٢ – شمول النصوص في الفرائض •
٤٣ – قاعدة في تقليد مذهب معين هل يجب على العامي أم لا •
٤٤ – « في حلق الرأس هل يجوز في غير النسك •

٤٥ — قاعدة فيما يحل ويحرم بالنسب والصهر والرضاع .
٤٦ — 〃 في الجد ، هل يجبر البكر على النكاح .
٤٧ — 〃 (٨ ب) في الجهر والبسملة .
٤٨ — 〃 في القراءة خلف الامام .
٤٩ — 〃 فيمن بكر وابتكر ، وغسل واغتسل .
٥٠ — 〃 في ذم الوسواس .
٥١ — 〃 في الأنبذة والمسكرات .
٥٢ — 〃 في قوله عليه الصلاة والسلام « استحللتم فروجهن بكلمة الله » .
٥٣ — 〃 في الحسبة .
٥٤ — 〃 في المسألة السريجية .
٥٥ — 〃 في حل الدور . ومسائل الجبر والمقابلة .

٥ — وله وصايا منها :

١ — وصية لابن المهاجري .
٢ — 〃 للتجيبي .
٣ — 〃 لأبي القاسم السبتي .

٦ — وله اجازات منها :

١ — اجازة لأهل سبتة ، ذكر فيها مسموعاته .
٢ — 〃 كتبها لبعض أهل تبريز .
٣ — 〃 لأهل غرناطة .
٤ — 〃 لأهل أصبهان .

٧ — وله رسائل تتضمن علوما

١ — الرسالة المدنية .
٢ — 〃 المصرية .

٣ — رسالة كتبها الى أهل بغداد ·

٤ — 〃 الى أهل البصرة ·

٥ — 〃 كتبها الى القاضي السروجي الحنفي ·

٦ — الرسالة العدوية كتبها الى بيت الشيخ عدي بن مسافر ·

٧ — رسالة كتبها الى بيت الشيخ جاكير ·

٨ — 〃 كتبها الى صاحب قبرص في مصالح تتعلق بالمسلمين ·

٩ — 〃 الى البحرين وملوك العرب ·

١٠ — رسالة لأهل العراق ·

١١ — 〃 الى ملك مصر ·

١٢ — 〃 الى ملك حماة (٩ آ) ·

١٣ — 〃 العرش ·

١٤ — 〃 تكسير الأحجار ·

١٥ — 〃 في المسألة الحرفية ·

١٦ — 〃 في إثبات وجود النفس بعد الموت ·

١٧ — شرح دعاء ابي بكر رضي الله عنه .

١٨ — الدر المنثور في زيارة القبور ·

١٩ — شرح العقيدة الاصفهانية ·

٢٠ — الفرقان بين الحق والبطلان . نحو ستين ورقة ·

٢١ — رسالة في عرض الأديان عند الموت ·

٢٢ — 〃 في المفاضلة بين الغني الشاكر والفقير الصابر ·

تم كتاب «أسماء مؤلفات الإمام أحمد بن تيمية»

رضي الله عنه ·

(يتبع) صلاح الدين المنجد

اسماء جبال تهامة

تأليف: عرّام بن الاصبغ السلمي (١)

لنشر هذه الرسالة قصة نجملها بأن الشيخ ابراهيم الخربوطي مدير مكتبة (شيخ الاسلام) في المدينة (المتوفى سنة ١٣٧١ هـ) زار الهند في عام ١٣٥٧ فرأى العلامة المحقق الشيخ عبد العزيز الميمني عضو المجمع العلمي العربي يقوم بنسخها • فساعده في مقابلة ما نسخه على الأصل ونسخ هو نسخة أتى بها الى الحجاز • ولما مر بجدة نزل في ضيافة السري المفضال السيد محمد حسين نصيف وأطلعه على هذه النسخة فاستنسخها الشيخ نصيف وأطلعَ عليها كثيراً من المعنيين بالعلم من علماء وغيرهم • فمنهم من نسخها ومنهم من استفاد منها • وكان ممن نسخها على نسخة الشيخ نصيف الشيخ سليمان الصنيع • وقد بذل جهداً مشكوراً في تصحيحها بمقابلة ما جاء فيها على معجم البلدان ومعجم ما استعجم وغيرهما من الكتب • إذ نسخة الشيخ الخربوطي كثيرة التحريف والغلط زيادة على ما في الأصل من ذلك • ولما زار مصر أطلع الأستاذ محمد عبد السلام هارون على أمر هذه الرسالة لكي ينشرها في مجموعته من الرسائل النادرة • وبعث اليه بعد أن عاد من مصر بنسخته ولكنه لم ينشرها بل قال في مقدمة المجموعة الثانية من (نوادر المخطوطات) ص ١١٦ : «وكنت قد اعتزمت أن أنشر في هذه المجموعة كتاب عرّام بن الأصبغ السلمي في أسماء جبال تهامة •• ولكن علمت أن العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي قد قام بنشر هذا الكتاب ، فآثرت أن أؤجل صنعه إلى أن أطلع على نسخته» •

(١) تحقيق : عبد السلام هارون الأستاذ المساعد بجامعة القاهرة .

أما الشيخ الميمني فقد نشر الرسالة ـ كما ذكر الاستاذ عبد السلام ـ نشرها في مجلة الكلية الشرقية التي تصدر في مدينة لاهور في الباكستان (Oriental College Magazine) بعد أن وضع لها مقدمة وصف فيها الأصل وتحدث عن مؤلف الرسالة وأشار الى شيء من خبر المكتبة السعيدية التي وجدت فيها ٠

وقد أراد الشيخ محمد نصيف نشر هذه الرسالة ـ لأنه لم يطلع على ما نشره الشيخ الميمني ـ فبعث بها الي (المجمع العلمي العربي) فأرجعت اليه وقيل له : ينبغي أن يقوم بتصحيحها فلان ـ كاتب هذا المقال ـ فبعث بها الي والكنني رأيت تحقيقها تحقيقاً مفيداً يتطلب الحصول على صورة عكسية من الأصل (فتوغرافية) وأبديت للشيخ نصيف عدم صلاحية نسخته للنشر قبل مقابلتها على الأصل مقابلة دقيقة ٠ فبعث بها الى الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني ـ وكان إذ ذاك في الهند من القائمين على نشر الكتب التي تطبعها دائرة المعارف العثمانية في (حيدراباد) ـ فقابلها على الأصل مقابلة دقيقة ٠ ونسخ نسخة أخرى عن الأصل بعث بها الى الشيخ نصيف ٠ وبمقابلة تلك النسخة ظهر أن نسخة الشيخ الخربوطلي كثيرة التحريف والغلط ٠ ثم رأى الشيخ محمد نصيف أن يقوم بنشر الرسالة وأن يتولى نشرها الأستاذ عبد السلام هارون ، وكانت الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية قد بعثت الى الهند السيد محمد رشاد عبد المطلب ليصور بعض المخطوطات العربية النادرة ٠ فكان مما صوّر أصل هذه الرسالة ٠ وقد حرصت حينما كنت في القاهرة على الاطلاع على النسخة التي صورتها الادارة الثقافية والكنني لم أتمكن من ذلك مع ما بيني وبين السيد محمد رشاد من الصلة ـ التي أعتبرها أنا قوية ـ وقد تكرم فأعارني نسخة من النسخ التي طبعها الأستاذ الميمني ٠ وقد اتصلت بالأستاذ الجليل الشيخ محب الدين الخطيب وتحدثت معه في موضوع نشرها ولكنه قال ان الأمر يتطلب وجود نسخة من الأصل ٠ ولعل الله أراد لهذه الرسالة خيراً ـ باحيائها وتحقيقها من علامة محقق ذي خبرة

ودراية وطول معاناة هو الأستاذ عبد السلام هارون • وليس لنا من عتب نوجهه الى اخواننا في مصر الذين قد تحول ظروفهم الخاصة دون اطلاعنا على ما نرغب الاطلاع عليه من الكتب التي لنا حق الاطلاع عليها ـ وخاصة مخطوطات الادارة الثقافية ـ نعم ليس لنا من حق في عتبهم فلعل لهم من العذر ما نجهله • غير أننا نعلم ـ كما يعلمون ـ ان التعاضد والتساند والتآزر في سبيل العلم أمور يجب أن تقدم على كل اعتبار •

وأما كلمتنا عن الأستاذ عبد السلام ـ في تحقيقه لهذه الرسالة ـ فهي تحوي شيئاً من الاختلاف معه في شأن التحقيق • وهو اختلاف ما كنت أودُّه ، إذ الاختلاف شرٌّ في جميع وجوهه • غير أن واجب العلم يقضي به • لقد قلت في كلمات نشرت في (الرسالة ومجلة المجمع العلمي ومجلة الفتح ومجلة الحج) ان بعض اخواننا الجامعيين كالأستاذ مصطفى السقا والأستاذ الدكتور زكي محمد حسن قاموا بتحقيق بعض المؤلفات أو ترجمتها قياماً لا يتناسب مع ما لهم من منزلة علمية رفيعة • وخشيت أن يكون ما قيل من أن بعض العلماء المشهورين يكتفي بوضع اسمه على المؤلف الذي يراد منه تحقيقه ويكل الأمر الى بعض اخوانه ممن لا يبلغون منزلته ـ خشيت أن يكون هذا حقاً • أما الأستاذ عبد السلام فأنا أبرئه من هذه الوصمة لأني شاهدت من آثار عمله في تحقيق بعض المؤلفات القديمة ما لم أشاهده من كثير ممن يعنون بذلك •

وكنت أود أن أجد في هذه الرسالة ما وجدته في غيرها من الكتب التي حققها أو أكثر مما وجدته ، غير انني ـ وإن رأيت فيها ما يسر ويفيد ويمتع ـ رأيت كل هذا قليلاً بالنسبة لما كنت أتوقعه من الأستاذ • ولكي أدلل على قولي يحسن بي أن اذكر بعض ما رأيته في حاجة الى مزيد من العناية •

لم يشر الأستاذ عبد السلام الى أن العلامة الميمني نشر هـذه الرسالة •

والأمانة العلمية والاعتراف لكل ذي حق بحقه يقضيان بعدم اخفاء مجهود هذا المحقق الذي لا يجهل باحث في الأدب العربي ماله من أيادي في سبيل تحقيق كثير من الكتب الأدبية ولا ينكر ما له من فضل وعلم . ولا أكون مبالغاً حينما أقول بأن جهده في تحقيق هذه الرسالة لا يقل عن جهد الأستاذ عبد السلام ان لم يفقه . فاليمني مثلاً أوضح من حالة عرام وبيّن عصره فذكر انه من أهل القرن الثاني وأول الثالث وانه ممن دخل خراسان مع عبد الله ابن طاهر سنة ٢١٧ هـ وهذه من الأمور التي فاتت الأستاذ هارون وهي أمور لا بد منها . إذ معرفة المؤلف من أهم ما يعتني به محقق الكتاب . قد يقال بأن الأستاذ يجهل كون الميمني قام بتحقيق هذه الرسالة ولكن هذا يرده أمور :

١ — انه صرح بعلمه بذلك قبل شروعه في تحقيق الرسالة .

٢ — ان السيد محمد رشاد عبد المطلب الذي قال الأستاذ هارون بأنه أوصاه باحضار نسخة مصورة من أصل الرسالة فأحضرها ، قد أحضر في الوقت نفسه نسخة من تحقيق الميمني .

٣ — انني نشرت في الرسالة في العام الماضي نبأ نشر الأستاذ الميمني أثناء نقدي لطبعة السقا لكتاب (معجم ما استعجم) ـ وليس عبد السلام ممن يوصف بأنه لا يقرأ مجلة (الرسالة) وهو ممن يكتبون فيها .

هـذا الأمر ـ تجاهل الناشر لما يقوم به من سبقه في سبيل تحقيق ما يقوم بنشره ـ مما أخذ على الأستاذ السقا وأخذ على بعض العلماء الجامعيين ـ وكنا نود أن يتنزه عنه الأستاذ عبد السلام هارون .

٢ — قال الاستاذ عبد السلام في مقدمة الرسالة : (أصل هذه النسخة فريدة في مكتبات العالم . وهو مخطوط في دار الكتب السعيدية بحيدراباد في مجموعة برقم (٣٥٥ حديث) وتاريخها يرجع الى سنة ٨٧٦ . والنسخة في ست ورقات (أي في اثنتي عشر صفحة) . كذا قال الأستاذ . ولكننا نجد الأستاذ الميمني

حينما وصف الرسالة قال : (يوجد في الخزانة السعيدية في حيدراباد مجموعة فيها ٢٧ رسالة في الأحاديث والرجال . أولها خلق افعال العباد للبخاري ووافق الفراغ من كتابتها في ١٨ جمادى الأولى سنة ٧٨٦ وثبت على طرة الخاتمة (بلغ مقابلة على الأصل المنقول منه في مجالس آخرها في ليلة يسفر صباحها عن يوم الخميس من ذي الحجة الحرام سنة ٧٨٧ كاتبه محمد بن علي . . .) . ولكنه مع هذه الدعوى الفارغة آية في التصحيف والتحريف ورقم كتاب عرام فيها ١٦ فيما بين ص ١٥١ ـ ١٥٩ أي انه وقع في تسع صفحات فحسب) هذا ماقاله الأستاذ الميمني وهو يخالف وصف الأستاذ عبد السلام في تاريخ النسخ وفي عدد الصفحات . فأيهما أصح قولاً ؟ الظاهر أن الميمني هو المصيب ، وان الاستاذ عبد السلام نقل تاريخ النسخ من نسخة سليمان الصنيع ، وهو نقلها عن نسخة أصلها نسخة الخربوطي التي جاء فيها التاريخ كما ذكر الاستاذ هارون ، غير ان الشيخ نصيف لما بعثها الى الهند لتقابل على الأصل كان مما صحح هذا الموضع ، صححه الأستاذ عبد الرحمن اليماني كما جاء في نسخة الأستاذ الميمني . يضاف الى ذلك ان الانموذج الذي نقله الأستاذ مصوراً في نسخته ليس فيه شيء عن تاريخ النسخ مع انه آخر الرسالة . فالظاهر ان الذين صوروها صوروها وحدها وهي خالية من التاريخ فاعتمد الأستاذ عبد السلام على ما جاء في نسخة الأستاذ الصنيع وهو غلط .

٣ — وضع الأستاذ عبد السلام في أول الرسالة صورة للجزيرة العربية وقع فيها بعض الغلط فقد جاء فيها (وادي الشربة) والمعروف من كتب المعاجم أن الشربة أرض تقع بين وادي الرمة ووادي الجريب وليست وادياً بالمعنى المعروف . ووضع الأستاذ اسم (حنين) غرب (بدر) بينه وبين البحر . والمعروف ان اسم حنين عند المتقدمين ـ وهذه الصورة وضعت لكتاب قديم ـ يعني به الموضع الذي حدثت فيه وقعة حنين وهو بين مكة والطائف بعيد عن

موضع حنين الذي رسمه الأستاذ . ولعل منشأ غلط الأستاذ وجود موضع آخر بقرب بدر يطلق عليه اسم حنين . يرد ذكره في الكتب التي تصف طريق الحجاج من مصر الى الحجاز .

٤ — للأستاذ العذر في جهل بعض المواضع التي لم يسر فيها ولم يجد من النصوص ما يوضح مواقعها توضيحاً تاماً . ولكن ما عذره في جهل الكلمات اللغوية ـ وهو اللغوي الذي عانى نشر بعض المعجمات اللغوية ـ ونعني بالكلمات ما نجده ما نجده متداولاً في معجمات اللغة المطبوعة ؟ في صفحة ٥٥ ما هذا نصه : (وامما وهو بكون السن) وعلق الأستاذ قائلاً : كذا وردت هذه العبارة في الأصل . ولو رجع الى كتب اللغة لوجد ان الامعاء هي أمكنة تجتمع فيها المياه وتبقى مدة طويلة وإذن فالجملة هي : (وامعاء وهو ماء بكون السنين) . وهكذا وردت هذه الجملة فيما نقله السمهودي في وفاء الوفاء (ج ٢ ص ٣٣١) عن عرام .

وفي ص ٧١ (عتاقا سيرها نسل لنسل) ونقل الأستاذ عن الحموي (سربها نسلا) وعن البكري (سيرها نسلا) مع انها في الأصل (سربا نسلا) ولم يذكر الأستاذ نص الأصل والكلمة لا تحتاج الا الى اعجام فتصبح (شُزَّبا) أي ضمرا . وقال الأستاذ في حاشية ص ٧٤ (اطلاق العمود على الهضبة لم تعرفه معاجم اللغة) كيف هذا وصاحب تاج العروس يقول (ج ٢ ص ٤٣٢) : وعمود البان وعمود السفح جبلان طويلان لا يرقاهما الا طائر يعلوهما . من ذلك قولهم : العقاب يبيض في رأس العمود . والمراد به الجبل المستدق المصعد في السماء . كذا قال صاحب التاج في تفسير العمودين اللذين نفى الأستاذ في الكلام عليهما معرفة معاجم اللغة اطلاق اسم العمود على الهضبة .

وورد في صفحة (٦) هذه الجملة (والوشل ماء يخرج من شاهقة لا يطورها أحد ولا يعرف منفجرها وليس شيء من تلك الأوشال يجاوز **الشفة**) .

والكلمة الأخيرة بالشين بعدها قاف مشددة · وقد ظنّ الأستاذ أن المقصود بها اسم موضع فراح ينقل عن البكري كلاماً طويلاً في تحديده وهو كلام لاصلة له بتلك الكلمة ولا محل لإيراده · اذ الكلمة على وجهها الصحيح (الشفة) بالفاء بعد الشين لا بالقاف · أي ان هذا الماء قليل جداً وهذا التعبير (لا يجاوز الشفة) يكثر استعماله في كلام العرب ولا يزال مستعملاً في عهدنا هذا · يقولون (هذا الماء لا يزيد على الشفة) · ويقولون (هذا ماء ماشية وهذا ماء شفة) يقصدون بالأول الماء العدّ الذي يروي الماشية من ابل أو غنم ، وبالثاني الماء القليل الذي لا يزيد على ريّ الوارد من الناس ·

(يتبع) الرياض — حمد الجاسر

شيخ الإسلام ابن تيمية

- ٥ -

تحقيقه لوحدة الأديان وأخوة الرسل الكرام عليهم السلام

مدخل

(الاسلام وأهل الأديان السماوية)

قرر الاسلام في معاملة الأمم التي يضمها تحت رايته حقوقاً تضمن لهم الحرية في ديانتهم ، والفسحة في إجراء أحكامها بينهم ، وإقامة شعائرها بارادة مستقلة ، فلا سبيل لأولي الأمر الى تعطيل شعيرة من شعائرهم ، ولا يدخل في فصل نوازلهم الخاصة ، إلا إن تراضوا بالمحاكمة أمام محكمتنا ، فتحكم بينهم على قاعدة العدل والمساواة ، قال تعالى : « وإنْ حكمتَ فاحكمْ بينهمْ بالقسطِ ، إنَّ اللهَ يحبُّ المقسطين » . وإبقاء الرعية على شرائعهم وعوائدهم منظر من مناظر السياسة العالية ، وباب من أبواب العدالة السامية . والأصل في كل مملكة أن يكون حق الولاية الشرعية في يدها دون سواها ، بحيث تفصل المحاكم التابعة لها في جميع قضايا من تقلهم أرض الوطن ، سواء كان النزاع متعلقاً بالجرائم أو الأموال ، أو الأحوال الشخصية ، ولكن عملاً بحرية الأديان والمعتقدات قيدت هذه الولاية وانحصر سلطانها في الأمور الدنيوية ، وأصبح كل إنسان حرًّا في أحواله الدينية وما يتبعها .

تنظر الى أبواب الشريعة فتبصر في جملتها أحكاماً كثيرة مبنية على التسامح مع غير المحاربين ، تطالع أبواب الهبة والوقف والوصية فتستفيد من أحكامها

أن الاسلام لم يقتصر على إباحة معاملتهم بمعاوضة ، بل أجاز للمسلم أن يهب جانباً من ماله أو يوقفه أو يوصي لغير المسلم ؛ أمر الاسلام بالعدل والاحسان في معاملتهم ، والرفق بضعيفهم ، وسدّ خلة فقيرهم ، وحرّم الاعتـداء عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم .

(آيات التوحيد الخالص في الكتب السماوية)

من تصفح كتب العهدين القديم والجديد ومزامير داود (التوراة والانجيل والزبور) وجـدها طافحة بالدعوة الى توحيد الله تعالى ، والوعيد الشديد على الشرك ، مملوءة بالبشارات بظهور رسول الله محمد عليـه الصلاة والسلام الى الناس كافة . فأما تنزيه الإله والرب عن الوالد والولد ، وعن الند والضد ، فتراهُ في الفصول والأعداد ، (وهي كالسور والآيات) من أسفار التوراة ، كتثنية الاشتراع ، وسفر الخروج ، وأشَعْيَاء ، مثل قوله : « إن الرب هو الإله ، وليس آخر سواه » « لا يكن لك آلهة أخرى أمامي » « لا تسجد لهن ولا تعبدهن ، لأني أنا الرب إلهك إله غيور » « ولكي يعلموا من مشرق الأرض ومن مغربها أن ليس غيري ، أنا الرب وليس آخر » .

وفي إنجيل مَرْقُسَ : فأجابه يسوع : « إن أول كل الوصايا هي : اسمع يا اسرائيل : الرب إلهنا رب واحد » (الفصل ١٢ عـدد ٢٩) . وفي انجيل يُوحَنّا : « وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته » (الأصحاح ٣/١٧) .

ليس من قصدي استيفاء آيات التوحيد الخالص من الكتب المقدسة فهي كثيرة ، ولا نقل البشائر التي لا تنطبق إلا على النبي العربي محمد خاتم النبيين فقد نقل منها المحقق الكبير الشيخ رحمـة الله الهندي الشهير ، في كتابه (إظهار الحق) عن الكتب المعتبرة عند علماء البروتستانت — ثمـاني عشرة

بشارة ، وسبقه إلى مثل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية الذي عقدنا هذا الفصل للكلام على كتابه الجواب الصحيح ، وتبعه فيه تلميذه الإمام ابن القيم في كتابه (إرشاد الحيارى) . وحسبي الآن أن أنقل شاهداً واحداً من التوراة ، وآخر من الإنجيل ، وكلمات قليلة من الزبور أو المزامير ، تأييداً لما جاء في القرآن ، من بشائر الوحدة والسلام ، والهتاف ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام ، لكيلا يكون على المؤمنين بالكتب المقدسة حرج إذا هم صدقوا برسالة النبي العربي الذي آمن بكتب اخوانه المرسلين وصدقهم ، ولتقوم الوطنية على أساس المساواة التامة بين أبناء الوطن الواحد ، وهذا موضوع جليل ، ومطلب خطير يهم أهل الملل السماوية ، وعلماء الاجتماع الإنساني ، لأنه يدعو إلى الوحدة الصحيحة ، بلسان الكتب الإلهية ، والعاملين بها ؛ ومن واجب العلماء بيان هذه الوحدة الدينية من الكتب المنزلة ، لتؤيد بها وحدتنا القومية .

(بشارة موسى بمحمد)

جاء في العدد الخامس عشر من الأصحاح (أو الفصل كما في الطبعة اليسوعية) من سفر التثنية[1] من التوراة : « ويقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي ، له تسمعون » فهذه البشارة صريحة في محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، لأنه لم يقم نبي مثل موسى من وسط اليهود ، ومن إخوتهم بني اسماعيل غير النبي العربي محمد ، وأبناء العم يسمون إخوة ، ومن ذلك تسمية أبناء عمهم (عيسو) إخوة لهم كما في ٢ : ٤ و ٨ من التثنية ، ولو كان المراد من هذه البشارة المسيح عليه الصلاة والسلام لقال : أقيمه منكم أو من نسلكم ، لا من إخوتكم ؛ لأن يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم ، كما في متى (١ : ١ — ١٦) فهو من نسل اسحق ، لا من نسل اسماعيل عليهم السلام .

(١) التثنية : اسم السفر الخامس من أسفار العهد القديم ، وقد أطلق عليه التثنية ، لأنه ذكرت فيه الشريعة الموسوية مرة ثانية .

(بشارة الانجيل بالنبي العربي)

جاء في انجيل يوحنا « ١٦ : ١٢ و ١٣ إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء روح الحق، فهو يرشدكم إلى الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع ، يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية » فمحمد هو الذي كان يتكلم بما يسمع من وحي الله إليه ، قال تعالى : ٥٣ : ٣ و ٤ « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » ومملكة محمد هي مملكة الله في الأرض المسماة في العهد الجديد بملكوت الله ، وبملكوت السموات ، وكان المسيح وتلاميذه يبشرون الناس بمجيئها ، وأمر عليه السلام أن يطلبوا إتيانها من الله في صلواتهم ، انظر متى ٣ : ٢ و ٤ : ١٧ ، ٢٣ و ٦ : ١٠ و ١٣ : ٣١ ، ٣٢ و ٢٠ : ١ ـ ١٦ و ٢١ : ٣٣ ـ ٤٤ ولوقا : ١٠ : ٩ ، ١١) وهذه المملكة هي التي بدأت صغيرة ثم نمت وكبرت حتى ملأت العالم ، ولذلك شبهها عليه السلام بالزرع الجيد وبالخميرة وبحبة الخردل ، التي تصير أكبر البقول ، حتى ان طيور السماء تأتي وتتأوى في أحضانها ، (وفي طبعة الجزويت : تستظل في أغصانها ، متى ١٣ : ٢٤ ـ ٣٥) وهي منطبقة على ما في القرآن الكريم في محمد وأتباعه ، « ومَثَلُهم في الإنجيل كزرع أخرج شَطْأه فآزره ، فاستغلظ ، فاستوى على سُوقه » السورة ٢٩ ، الآية ٤٨) شطأه : أي فراخه ، يقال : أشطأ الزرع ، إذا فرّخ ، فآزره من المؤازرة ، وهي المعاونة ، أي فشدّ أزره وقواه ، فاستوى على سوقه : فاستقام على قصبه ، جمع ساق ، وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الاسلام ، والنبي عليه السلام ، قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه ، كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع ما يحتفّ به مما يتولد منها ، حتى يعجب الزراع .

(بشارة حَبَقُّوقَ (1) وذكر بلاد العرب فيها)

قال حبقوق (٣ : ٣ و ٤) الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبال فاران ، سِلاَهْ (2) جلاله غطى السموات ، والأرض امتلأت من تسبيحه ، وكان لمعان كالنور ، له من يده شعاع ، وهناك استتار قدرته » .

فتيمان بلاد العرب ، ومعنى كلمة تيمان الصحراء الجنوبية ، لأنها جنوب بلاد الشام ، ولا يزال الى الآن على طريق القوافل بين دمشق ومكة قرية تسمى (تيماء) ومعنى هذه الكلمة أيضاً الصحراء الجنوبية ، وتيماء أيضاً اسم قبيلة اسماعيلية تسلسلت من تيماء ، وكانت تقطن بلاد العرب (تك ٢٥ : ١٥ و ١١ ي ١/٣٠ كما في قاموس الكتاب المقدس العربي . أما جبل فاران فهو في البرية التي سكنها اسماعيل أبو العرب (تك ٢١/٢١) فكأن حبقوق أشار بعبارته هذه إلى مسكن رسول الله ، وهو بلاد العرب (أو التيمان) وإلى مسكن أصله ، أو جده اسماعيل ، وهو برية فاران .

(التصريح ببكة وهي مكة)

ومنه قول المزمور الرابع والثمانين (٥ و ٦) طوبى لأناس عزهم بك ، طرق بيتك في قلوبهم ، عابرين في وادي البكا ، والأصل العبراني : وادي (بكة) فأبدل لفظ (بكا) بلفظ (بكة) وهي (مكة) في نص القرآن (3) .

---

(1) نبوة حبقوق : هي السفر الخامس والثلاثون من أسفار العهد القديم حسب ترتيبها الأصلي ، وأما زمن كتابتها فقبل المسيح بنحو ستمائة سنة كما بين قاموس الكتاب المقدس .

(2) قال بعض المحشين : سِلاَهْ : اختلفوا في تفسيرها على أقوال ، أرجحها في رأينا وهو ما ذهب اليه أشهر المتأخرين من علماء العبرانية — انها عبارة عن الأمر بالسكوت أو الوقف — إيماز للمنشدين أن يقطعوا الغناء ويتخذوا فترة تنفرد فيها الآلات باللحن .

(3) ضبطنا الألفاظ العبرية على اهلها و نقلنا بعض معانيها الى العربية بالتعاون معهم.

(التصريح باسم محمد)

من ذلك ما جاء في الفصل الخامس من النشيد ١٦ حلقه حلاوة ، وكله مشتهيات ، هذا حبيبي ، (هذه ترجمة البروتستانت ، وترجمة اليسوعيين : حلقه أعذب ما يكون ، بل هو بجملته ، هذا حبيبي) .

ولفظ مشتهيات في الأصل العبراني (محمديم) والقواميس العبرانية تقول : ان هذه اللفظة لا تفيد مشتهيات ، ولكن تفيد انه محمود ، وتقول : ان هذه صريحة في نبينا عليه السلام ، وقوله قبلها : حلقه حلاوة : كناية عن فصاحة كلامه ، لم يأت نبيٌّ بكلام أحلى مما جاء به خاتم الأنبياء ، وقوله بعدها هذا حبيبي نصٌّ في لقب النبي عليه الصلاة والسلام ، فانه حبيب الله عزّ وجل .

ومنه ما جاء في الفصل الثاني من النشيد : أسمعيني صوتك ، لأن صوتك لطيف ، ووجهك جميل ، وفي الأصل العبراني : (عرب) بدل (جميل) أي عربي . ومنه ما في الفصل الثاني من نبوة حجّي أو حجاي أو حكاي - كما في الأصل العبري : ٧ وازلزل كل الأمم ويأتي مشتهى كل الأمم فأملأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود . وكلمة مشتهى هذه ، أصلها العبراني (حِمْدات) ومعناه محمود ، وهي من الفعل العبراني (حَمَدْ) .

علمنا من هذه النصوص والبشائر الصريحة في الكتب المقدسة أنها بشرت بالنبي العربي ، وذكرته باسمه الكريم ، وصرحت باسم بلاده ، ومحل ميلاده وهو مكة .

أفرأيتم كيف ألفت هذه النصوص الصريحة بين الأديان الثلاثة ؟ وهذا هو الإخاء الصحيح ، بين محمد وموسى والمسيح ، عليهم الصلاة والسلام ، وهذه بعض نصوصه وبشائره ، وهي قليل من كثير مما عثرنا عليه ، ولو اقتصر

رجال الكنيسة الأكارم على ما بين أيديهم من الكتب المقدسة ، ـ دون عقائد وعوائد ليست في هذه الأناجيل التي هي أصل العقيدة ومستندها ـ لاجتمعت الكلمة ، وأحكمت عرى المودة القلبية بين المختلفين .

(الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح)

يقع هذا الكتاب المطبوع بمصر (١٣٢٢ هـ = ١٩٠٥ م) في أربعة أجزاء ، وهي تبلغ أكثر من ألف وأربعمائة صفحة بالقطع المتوسط ، وقد ذكر شيخ الاسلام في طلائع كتابه أنه جعله جواباً لكتاب ورد من قبرص « فيه الاحتجاج لدين النصارى بما يحتج به علماء دينهم ، وفضلاء ملتهم قديماً وحديثاً ، من الحجج السمعية والعقلية ، فاقتضى أن نذكر من الجواب ، ما يحصل به فصل الخطاب ، (ثم قال) : وأنا أذكر ما ذكروه بألفاظهم بأعيانها ـ فصلاً فصلاً ، وأتبع كل فصل بما يناسبه من الجواب فرعاً وأصلا ، وعقداً وحلا ، ... فان هذه الرسالة وجدناهم يتمدون عليها قبل ذلك ، ويتناقلها علماؤهم بينهم ، والنسخ بها موجودة قديمة ، وهي مضافة الى بولص الراهب أسقف صيدا الأنطاكي كتبها الى بعض أصدقائه ، وله مصنفات » . وقد اشتمل ردّ شيخ الاسلام على ستة فصول :

(١) دعواهم أن محمداً (ﷺ) لم يبعث إلاّ إلى أهل الجاهلية من العرب .

(٢) دعواهم أن القرآن أثنى على دينهم الذي هم عليه .

(٣) دعوى أن نبوات الأنبياء المتقدمين تشهد لدينهم الذي هم عليه من الأقانيم والتثليث والاتحاد وغير ذلك .

(٤) فيه تقرير ذلك بالمعقول .

(٥) دعوى أنهم موحدون ، والاعتذار عما يقولونه من ألفاظ يظهر منها تعدد الآلهة كألفاظ الأقانيم الخ .

(٦) أن المسيح عليه السلام جاء بعد موسى عليه السلام بغاية الكمال ، فلا حاجة بعد النهاية ، إلى شرع مزيد على الغاية »[١] .

والغرض الأول من تأليف « الجواب الصحيح » على ما يظهر ، هو بيان أصول الشرائع السماوية والكتب المنزلة ، وانها واحدة (قال) وهذا أصل دين المسلمين ، فمن كفر بنبي واحد ، أو كتاب واحد ، فهو عندهم كافر ، « كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله » والمنسوخ الذي تنوعت فيه الشرائع قليل بالنسبة إلى ما اتفقت عليه الكتب والرسل ، فان الذي اتفقت عليه هو الذي لا بد للخلق منه في كل زمان ومكان ، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح ، كما قال تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وعامة السور المكية كالأنعام والأعراف وآل حم وآل طس ، وآل الر - هي من الأصول الكلية التي اتفقت عليها شرائع المرسلين ، كالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والصدق والعدل والإخلاص ، وتحريم الظلم والفواحش والشرك ، والقول على الله بلا علم . وعامة ما عندهم من النقول الصحيحة عن الأنبياء من التوراة والإنجيل والزبور ونبوات الأنبياء ، توافق المنقول عن محمد (ﷺ) يشهد هذا لهذا ، وهذا لهذا ، وذلك من دلائل نبوة محمد (ﷺ) ومن دلائل نبوة أولئك الأنبياء[٢] .

(الابن وروح القدس لا اختصاص لهما بالمسيح عليه السلام)

وقد أوضح ان الابن ليس كلمة ولا صفة ، ولا هو خاص بالمسيح ، وإنما يراد به المصطفى المكرّم ، (قال)[٣] : المراد بالابن ناسوت المسيح ، وبروح

(١) ص ١٩ و ٢٠ .
(٢) ج ٣ ص ٢٤٥ .
(٣) ج ١ ص ٢٥٠ .

القدس ما أنزل عليه من الوحي ، والملك الذي نزل به ، فيكون قد أمرهم بالايمان بالله وبرسوله ، وبما أنزله على رسوله ، والملك الذي نزل به ، وبهذا أمرت الأنبياء كلهم (قال) [1] : وليس في كلام المسيح ولا في كلام سائر الأنبياء ولا كلام غيرهم أن كلمة الله القائمة بذاته سبحانه وتعالى تسمى ابناً ولا روح قدس ، ولا يوجد قط في كلام الأنبياء اسم الابن واقعاً إلا على مخلوق ، والمراد في تلك اللغة أنه مصطفى محبوب الله ، كما ينقلونه أنه قال لاسرائيل انه ابنه بكره ، ولداود انت ابني وحبيبي ، وان المسيح قال للحواريين : أبي وأبيكم ، فجعله أباً للجميع ، وهم كلهم مخلوقون ، فيكون اسم الابن واقعاً على المسيح الذي هو ناسوت مخلوق قال [2] : وفي الانجيل في غير موضع يقول المسيح : أبي وأبيكم كقوله : « إني ذاهب الى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم » فيسميه أباً كما يسميهم ابناً له ، فان كان هذا صحيحاً ، فالمراد بذلك أنه الرب المربي الرحيم ، فان الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها ... فيكون المراد بالأب الرب ، والمراد بالابن عبده المسيح الذي رباه ، وأما روح القدس فهي لفظة موجودة في غير موضع من الكتب التي عندهم ، وليس المراد بها حياة الله باتفاقهم ، بل روح القدس عندهم تحل في ابراهيم وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء والصالحين ، وروح القدس قد يراد بها الملك المقدس ، ويراد بها الوحي والهدى والتأييد الذي ينزله الله بواسطة الملك أو بغير واسطة .

(وفي ص ٩٦) : فالذي فسر (بعض) النصارى به ظاهر كلام المسيح ، هو تفسير لا تدل عليه لغة المسيح ، وعادته في كلامه ، ولا لغة غيره من الأنبياء والأمم ، بل المعروف في لغته وكلامه ، وكلام سائر الأنبياء تفسيره بما فسرناه ، وبذلك فسره أكابر علماء النصارى » .

---

(١) ج ٢ ص ٦٥ .
(٢) ج ٢ ص ٩٤ و ٩٥ .

(وفي ص ٣٣٢ من ج ٢) : بل أفصح في كل الانجيل من كلامه ومخاطباته ووصاياه بما لا يحصى كثرة بأنه عبد مثلكم ومربوب معكم ، ومرسل من عند ربه وربكم ، ومبدي ما أمر به فيكم ، وحكى مثل ذلك من أمره حواريوه وتلامذته ، ووصفوه لمن سأل عنه ، ومن كلامهم بأنه رجل جاء من عند الله عزّ وجل ، ونبي له قوة وفضل [١] .

(وفي ص ٢٤٤) : ولفظ الابن عندهم في كتبهم يراد به من رباه الله تبارك وتعالى ، فلا يطلق عندهم في كلام الأنبياء لفظ (الابن) قط إلا على مخلوق محدث ، ولا يطلق إلاّ على الناسوت دون اللاهوت ، فلا يسمى عندهم اسرائيل ابناً ، ولا داود ابناً لله ، والحواريون كذلك . فتبين أن العارف كلما تدبر ما قالته الأنبياء ، وما قاله أهل البدع من . . . وغيرهم لم يجد لهم في كلام الأنبياء إلاّ ما يدل على نقيض ضلالهم .

وقد بين في (ص ٣٠٦ ج ٢) : فلسفتهم في الأقانيم الثلاثة (الأب والابن وروح القدس) وأعظم فرقهم في ذلك العهد اليعقوبية والملكانية والنسطورية . وقد اختلفت وجهات نظرهم واستغرقت صفحات كثيرة . وذكر القائلين منهم بالأمانة ، واختلافهم في تفسيرها وامتناع تصورها على الوجه الصحيح ، وهنا تظهر سعة علم شيخ الاسلام بالفِرَق ، واطلاعه على مقالاتها ، واحاطته بفلسفتها ، وقوة عقله في إظهار تعارضها وفي ردّها كلها بالمنقول والمعقول .

(التوحيد الصحيح في كلامهم)

ثم خاص إلى إفراد الله تعالى بالوحدانية والعبادة على ألسنة طوائف منهم ، (وقال) (ص ٣٠٩) : وقال الأريوسية : إن الله ليس بجسم ولا أقانيم له ، وان المسيح لم يصلب ولم يقتل ، وانه نبي ، وحكى عن بعضهم أنه قال : المسيح ليس بابن الله (أي بنوة لاهوت) وحكى عن بعضهم انه ابن الله على التسمية والتقريب

---

(١) ج ٢ ص ٣٣٢ .

(إلى أن قال) : وهذا الذي نقله عنهم ابو الحسن الزاغوني ، هو نحو ما نقله عنهم القاضي ابو بكر بن الطيب والقاضي أبو يعلى وغيرهما ، (قال) : وقال ابو محمد ابن حزم : النصارى فرق ، منهم أصحاب أريوس ، وكان قسيساً بالاسكندرية ، ومن قوله : التوحيد المجرّد ، وان عيسى عبد مخلوق ، وأنه كلمة الله التي بها خلق السموات والأرض (أي وهي كلمة « كن ») وكان في زمن قسطنطين الأول باني القسطنطينية ، وأول من تنصر من ملوك الروم ، وكان على مذهب أريوس هذا . (قال ابن حزم) : ومنهم أصحاب بولس الشمشاطي ، وكان بطرياركاً بانطاكية قبل ظهور النصرانية ، وكان قوله بالتوحيد المجرّد الصحيح ، وان عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام ، خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر ، وانه انسان لاإلاهية فيه البتة ، وكان يقول : لا أدري ما الكلمة ولا روح القدس ، (قال) : وكان منهم أصحاب مقدينوس ـ كان بطرياركاً بالقسطنطينية بعد ظهور النصرانية أيام قسطنطين بانيها ، وكان هذا الملك أريوسياً كأبيه ، وكان من قول مقدينوس هذا التوحيد المجرّد ، وان عيسى عليه السلام عبد مخلوق ، إنسان نبي رسول كسائر الأنبياء عليهم السلام ، وأن عيسى هو روح القدس وكلمة الله ، وأن روح القدس والكلمة مخلوقان ، خلق الله كل ذلك .

(رسالة الحسن بن أيوب الى أخيه)

وهذه الرسالة من أخ دان بالتوحيد الخالص ، وكتبها الى أخيه ، وذكر له سبب إسلامه فيها ، ثم ذكر فرق النصرانية الثلاث ، وناقشهم في مذاهبهم وقضاياها واحدة واحدة ، وهي من أمنع الرسائل وأبلغها ، وفيها أدق المباحث وأهمها ، لم تترك شبهة إلا كشفتها ، ولا حجة إلا جلتها ، ومن قرأها بتدبر وإمعان علم ما علمناه منها ، فقد سبرت غور المسائل ، وقابلت بين الأشباه والنظائر ، وأتت بأحسن النتائج ، التي تسكن اليها النفس ، ويطمئن بها القلب ، ثم هي

تزيل الفروق بين الأديان ، وتجعل أهلها عباداً للرحمن ، لا لبني الانسان .
وقد أوردها في (الجواب الصحيح) فبلغت ثلاثاً وخمسين صفحة (ج٢/٣١٢ـ٣٦٣) وصفحتين من أول الثالث .

ذكر مؤلفها فيها أن مريم ولدت إنساناً (عليهما السلام) وأنه جرى عليه أحكام الآدميين من غذاء وتربية ، وصحة وسقم ، وخوف وأمن ، وتعلم وتعليم ، لا يتهيأ الكم أنه كان منه في تلك المدة من أسباب اللاهوتية شيء ، ولا له من أحوال الآدميين كلها - من حاجاتهم وضروراتهم ، وهمومهم ومحنهم وتصرفاتهم - مخرج .

(ابن الله ومعناه)

(قال) : وقد علمتم ان من يسمى بابن الله كثير لا يحصون ، فمن ذلك إقراركم أنكم جميعاً أبناء الله بالمحبة ، وقول المسيح أبي وأبوكم ، وإلهي وإلهكم في غير موضع من الانجيل ، ثم تسمية (الله) يعقوب وغيره (بنيه) خصوصاً ، فالسبيل في المسيح إذا لم تلحقوه في هذا الاسم بالجمهور ، أن يجري في هذه التسمية مجرى الجماعة الذين اختصوا بها من الأنبياء والأبرار ، ونسبة الملك إياه الى أبيه داود تحقق أن أباه داود ، وان التسمية الأولى (أي ابن الله) على جهة الاصطفاء والمحبة ، وأن حلول الروح عليه على الجهة التي قالها متّى التلميذ للشعب عن المسيح في الانجيل : لستم أنتم متكلمين ، بل روح الله تأتيكم تتكلم فيكم . فأخبر أن الروح تحل في القوم أجمعين وتتكلم فيهم .

(عشرون ألف آية تنطق بعبودية المسيح لله تعالى)

ومن تمام كلام الحسن بن أيوب (ص ٣٦١ من ج ٢) قوله : واذا نظر في الانجيل وكتب بولص وغيره ممن يحتج به النصارى وجد نحواً من عشرين ألف آية مما فيه اسم المسيح ، وكلها تنطق بعبودية المسيح ، وانه مبعوث مربوب ،

وأن الله اختصه بالكرامات ، ما خلا آيات كثيرة مشكلات ، قد تأولها كل فريق من أولئك الذين وضعوا الشريعة باختيارهم على هواهم ، فأخذوا بذلك التأويل الفاسد ، وتركوا المعظم الذي ينطق بعبوديته ، وقال في أواخر هذه الرسالة :

ومن أعجب العجب أن تكون أمة ، كتابها ودعوتها ومعبودها واحداً ، يتمسكون بأمر المسيح عليه السلام وتلامذته وانجيله ، وسنته وشرائعه ، وهم مع ذلك مختلفون فيه أشدّ الاختلاف ، فمنهم من يقول إنه عبد ومنهم من يقول إنه الـه الخ .

وقد ختم شيخ الإسلام كلام هذه الرسالة بقوله في أول الجزء الثالث من جوابه : هذا آخر ما كتبته من كلام الحسن بن أيوب – وهو ممن كان من أجلاء علماء النصارى ، وأخبر الناس بأقوالهم ، فنقله لقولهم أصح من نقل غيره ، وقد ذكر في كتابه من الرد على ما يحتجون به من الحجج العقلية والسمعية ، وما يبطل قولهم من الحجج السمعية والعقلية – ما يبين ذلك . (قال) ونحن نذكر مع ذلك كلام من نقل مذاهبهم من أئمتهم الخ ثم وصف كتاب (نظم الجوهر) لابن البطريق بترك الاسكندرية وصفاً شاملاً لأخبارهم ومجامعهم واختلافهم ، وسبب إحداثهم ما أحدثوه مع انتصار ابن البطريق لقول الملكيـة ، والرد على من خالفهم (وفي ص ١٦٩ ج ٣) : ومن أجلّ من جمع أخبارهم عندهم (أي الطوائف المختلفين في التثليث والاتحاد ، وإن كل صنف يحكي أقوالاً غير الأقوال التي حكاها الآخرون) سعيد بن البطريق بترك الاسكندرية في أثناء المائة الرابعة من دولة الاسلام ، وقد فند هذا البترك أقوال النسطورية والملكانية ، وفند شيخ الاسلام أقوال الطوائف كلها بالعقل والنقل ولم يبق زيادة لمستزيد . (وفي ص ٢٣٢ ج ٣) : ذكر ما امتاز به القرآن على التوراة ، (وفي ص ٢٤٤) : ان جمهور المسلمين لا يعلمون نبوة أحد من الأنبياء قبل محمد (ﷺ) الا باخبار محمد (ﷺ) بنبوتهم ، فلا يمكنهم التصديق بنبوة أحد من هؤلاء إلا بعد التصديق بنبوة محمد (ﷺ) .

(ما اتفقت عليه الكتب والرسل)

ثم انتقل في الجواب الصحيح الى ذكر ما اتفقت عليه الكتب والرسل من الأصول الكلية العامة ، وإلى ما جاء في التوراة من الجمع بين التوراة والانجيل والقرآن ، والرسل الثلاثة موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام «تجلى الله من طور سينا ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران» وإلى بشارة السفر الأول من التوراة بمحمد . وبشائر الزبور به وهو مزامير داود ، وقد ذكرنا قبل هذا شواهد من هذه الكتب الثلاثة المقدسة .

وفي الجواب الصحيح (٣/٢٨٢) : قال كثير من العلماء واللفظ لمحمد بن قتيبة : ليس بهذا خفاء على من تدبر ولا غموض ، لأن مجيء الله من طور سينا إنزاله التوراة على موسى من طور سينا كالذي هو عند أهل الكتاب وعندنا ، وكذلك يجب أن يكون اشراقه من ساعير ، إنزاله الانجيل على المسيح ، وكان المسيح من ساعير أرض الخليل بقرية تدعى ناصرة ، وباسمها سمي من اتبعه من نصارى ، وكما وجب أن يكون اشراقه من ساعير المسيح ، فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران ، إنزاله القرآن على محمد (ﷺ) وجبال فاران هي جبال مكة ، (قال) : وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة ، فان ادعوا أنها غير مكة ... قلنا أليس في التوراة أن ابراهيم أسكن هاجر واسماعيل (فاران) ، وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران ، والنبي الذي أنزل عليه كتاب بعد المسيح ؟ (ثم قال) : ولا يمكن أحداً أن يدعي انه بعد المسيح نزل كتاب في شيء من تلك الأرض ، ولا بعث نبي ، فعلم أنه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران إلا ارسال محمد (ﷺ) ، وهو سبحانه ذكر هذا بالتوراة على الترتيب الزماني ، فذكر إنزال التوراة ، ثم الانجيل ثم القرآن ، وهذه الكتب نور الله وهداه . والى أماكن هذه الكتب الثلاثة

أشار القرآن الكريم ، قال في الجواب الصحيح (ص ٢٨٦) : فقوله تعالى : « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين » إقسام منه بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة التي ظهر فيها نوره وهداه ، وأنزل فيها كتبه الثلاثة : التوراة والانجيل والقرآن ، كما ذكر الثلاثة في التوراة .

(بشائر النبوات بالنبي العربي ، والتصريح باسمه)

ثم ذكر في « الجواب الصحيح » بشائر النبوات بالنبي العربي ، وفي اشعياء : « اسم محمد ، موجود الى الأبد » قال اشعياء : يامحمد يا قدوس الرب ، اسمك موجود من الأبد » ، قالوا فهل بقي بعد ذلك لزائغ مقال ، أو لطاعن مجال ؟ (ص ٣٠٧) . وفيه أيضاً التصريح باسمه (أحمد) و (محمد) . وقال أشعياء : إنا سمعنا من أطراف الأرض صوت (محمد) » وهذا إفصاح من أشعياء باسم رسول الله (ﷺ) (٣/٣١٠) . وفي حبقوق التصريح باسم محمـد مرتين : « إن الله جاء من التيمن ، والقدوس من جبال فاران ، لقد أضاءت السماء من بهاء محمد (ﷺ) وامتلأت الأرض من حمده ، شعاع منظره بامم النور ، يحوط بلاده بعزه (الى أن قال) وترتوي السهام بأمرك يامحمد ارتواء » (ثم قال) : وهذه النبوة لا تليق إلا بمحمد ، ولا تصلح إلا له ، ولا تدلّ إلا عليه ، فمن حاول صرفها عنه فقد حاول ممتنعاً .

وفي (ج ٤ ص ٥) في كلمة الإنجيل وتفسيرها ، قالوا : وقال يوحنا الإنجيلي ، قال يسوع المسيح في الفصل الخامس عشر من إنجيله : إن الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء ، وقال يوحنا التلميذ أيضاً عن المسيح أنه قال لتلاميذه : إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي ، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطاً آخر يثبت معكم الى الأبد روح الحق الخ .

وذكر بشارات إخرى من هذه الأناجيل ، وتوسع في شرح هذه البشائر

واحدة واحدة ، وجملة جملة ، وبين وجه دلالتها على النبي (ﷺ) وانطباقها عليه دون غيره . (إلى أن قال) (ص ٤/١٤) : وأيضاً فان معنى الفار قليط إن كان هو الحامد أو الحماد أو الحمد أو المعز ، فهذا الوصف ظاهر في محمد (ﷺ) فانه وأمته الحمّادون الذين يحمدون الله على كل حال ، وهو صاحب لواء الحمد .

ثم عقد فصولاً في إعجاز القرآن من وجوه متعددة ، من جهة اللفظ ، والنظم ، والبلاغة ، ومعانيه التي أمر بها ، والمغيبات التي أخبر عنها ، وما وصف به المعاد ، وما أقامه من الدلائل اليقينية ، والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة ، قال : وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن فهو حجة على إعجازه ، وكل قوم تنبهوا لما تنبهوا له . وعقد فصولاً أخرى في سيرة النبي ، وفي هديه وأوصافه وأخلاقه . وذكر معجزاته في نفسه وفي خلفائه (إلى ص ١٢٠) ثم ما أخبر بوقوعه في الأحاديث الصحيحة . ثم قال بعد سرد إخباره (ﷺ) بالمغيبات (ص ١٤٨) : وهذا وأمثاله مما أخبر به من المستقبلات ، فوقع بعده كما أخبر ، ورأى الناس ذلك ، وأما ما أخبر به مما لم يقع الى الآن فكثير . ثم ذكر شواهد مما تواتر عند علماء التاريخ أو السير ، أو النحو ، أو اللغة ، أو الحديث دون غيرهم ، وبيان أن المحدثين أوثق وأضبط من جميع هؤلاء ، وقال (ص ٢٣٥) : وعامة ما ذكرناه من آيات النبي (ﷺ) هي من موارد إجماعهم ، لا من موارد نزاعهم .

وفي (ص ٣٠٦) : والرجل الصادق البار يظهر على وجهه من نور صدقه وبهجة وجهه ، سيما يعرف بها .

ونقل عن القاضي عياض ـ في صدق نبوة النبي ـ قوله : اذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمنا من جميل أثره ، وحميد سيره ، وبراعة علمه ، ورجاحة عقله وحلمه ، وجملة كماله ، وجميع خصاله ، وشاهد حاله وصواب مقاله ، لم يمتر في

صحة نبوته ، وصدق دعوته ، (قال) : وكفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به .

وفي أواخر الفصل الذي ختم به شيخ الإسلام «الجواب الصحيح» ما نصه : وفي خبر الجلندي ملك غسان لما بلغه أن رسول الله (ﷺ) يدعوه الى الإسلام ، فقال الجلندى : والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير الا كان أول آخذ به ، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له ، وأنه يَغلِب فلا يبطَر ، ويُغلَب فلا يضجر ، ويفي بالعهد ، وينجز بالموعود ، وأشهد أنه نبي ، وقال نفطويه في قوله تعالى : « يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار » هو مثل ضربه الله لنبيه ، يقول : يكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يتل قرآناً كما قال ابن رواحة :

لو لم يكن فيه آيات مبينة   كانت بديهته تأتيك بالخبر

محمد بهجة البيطار

تاريخ علم الفلك في العراق

وعلاقاته بالأقطار الاسلامية والعربية

(في العهود التالية لأيام العباسيين)

من سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م الى سنة ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م

— ٣ —

٣ — العلاقات بالأقطار العربية

هذه العلاقات أمكن وأمتن . وقد دامت ثقافة الأمة العربية متواصلة . وهي أقرب للتفاهم بعضها مع بعض . والعراق لا يخلو من اتصال بايران والترك ولم تنقطع عنه هذه اللغات وعلومها الا ان الاتصال بالعرب أقوى . وأهم علاقاتنا بالشام ومصر والمغرب . وقلّت صلاتنا بغيرها .

١ — بالشام :

رأيت في الشام مختلف المؤلفات بالفلك للشاميين ، وللترك ، وللايرانيين فثبت لي أن العلاقات كانت وشيجة ، ولم أجد في الشام الا ما هو معلوم . والخزانة الظاهرية وافرة المؤلفات في الأزياج ، والاسطرلابات ، والربع المجيب ، والحساب بأنواعه والجبر والمقابلة وغير ذلك في التصانيف الخاصة والعامة مما يعين على الدرس والبحث .

وعلاقة الشام بمصر أقوى . ولا يستغرب ذلك . فان الشام ومصر كانتا دولة واحدة والصلات العلمية بينهما مشهودة ومتينة . وقد رأيت من الضروري تنظيم هذه المؤلفات والنظر في اتصال علمائها ، وذكر العلاقات العلمية . وكان بين علمائهم من اشتغل برصد مراغة مثل المؤيد العرضي . ومنهم من كانت صلاته العلمية بالمؤلفات المنتشرة مثل ابن اللبودي . وتلاهما كثير من العلماء .

وقيمة الفلك لا تتعين في قطر بعينه • وانما تراعى مواطن الرغبة ، فتكون أكثر ظهوراً فيقع الاحتكاك العلمي • ولذا نرى الاشتغال لم ينقطع ، والعناية بمستحدثات العلم مطردة . فنرى الزيج الايلخاني ، وزيج أولوغ بك قد انتشرا في الشام ورأيت نسخها في دمشق مما يدل على النشطة في العلم والأخذ بمذاهبه • ورأيت دمشق وبلادها الأخرى أكثر اشتغالاً في المطالب الخاصة من هذا العلم ولم أجد مثلها من قام بالاشتغال في التوسع في هذه المباحث •

دام الاتصال العلمي والتجدد فيه طول أيام المغول والتركمان • فاذا كنا أخذنا عن الهند وايران واليونان في أوائل العهد العباسي ، فلم نغفل تطوره لما بعد العهود العباسية ، وأخذنا بتجدداته الا اننا بعد ذلك أهملنا الاشتغال ، وجمدنا على ماعندنا • فتقدم هذا العلم في الانحاء الغربية ••• في حين أن دمشق كانت مركزاً ثقافياً في تلك العهود تغذي مدارسها بالمعارف • وكذلك الشأن في مهمة التوقيت في الجامع الأموي والجوامع الأخرى •

راجعت بعض النصوص التاريخية • ولم التفت كثيراً الى من قرأ علم الفلك من المشاهير أمثال شيخ الاسلام ابن تيمية وأخيه شرف الدين ، وأخيه اسماعيل ، وصاحب حماة العماد اسماعيل الأيوبي وجماعة • وانما الغرض ذكر الأساتذة الذين توسعوا في المعرفة وكانت لهم قدم راسخة في التدوين والتدريس في هذا العلم من كل من يرجع الى قوله ويؤخذ برأيه ، فخدموا العلم وكانوا علماء الاجازة •

وكل هذا لا يمنع أن أقول : فات الكثير ، وحال دون التنظيم الكامل • ولعل هذه الخطوة تدعو الى التوسع ، والسلوك الى طريق تكامل المعرفة •

هذا الموضوع محدد بعهود المغول والتركمان حتى الفتح العثماني • وأما العهد العثماني فله بحثه الخاص به • وقد رأيت أزياجاً كثيرة وتعريباً لزيج أولوغ بك ، وعلاقات كثيرة به كما رأيت الكثير من كتب الدرس المتداولة • وربما كانت زائدة عن الكفاية . أما المباحث الخاصة فهي وافرة جداً ، والعناية بها كبيرة • وهكذا يقال في كتب الميقات والتقاويم ••• ومثلها كتب الطالع •

ومن مشاهير علماء الشام :

١ – نجم الدين بن اللبودي :

هو أبو زكريا يحيى بن شمس الدين محمد بن عبدان اللبودي . وكان حكيماً وله مؤلفات عديدة في الرياضيات والفلك :

١) مختصر كتاب أوقليدس .

٢) كافية الحساب .

٣) الرسالة الكاملة في علم الجبر والمقابلة .

٤) غاية الأحكام في صناعة الاحكام .

٥) غاية الغايات في المحتاج اليه من اقليدس والمتوسطات .

٦) الرسالة المنصورية في الأعداد الوفقية .

٧) الزاهي في اختيار الزيج الشاهي . الأصل وهو الشاهي للخواجة الطوسي كتبه باسم ركن الدين خورشاه الاسماعيلي .

٨) الزيج المقرب المبني على الرصد المجرب .

توفي بعد سنة ٦٦٦ هـ . وترجمتـه في تاريخ مختصر الدول لابن العبري وفي ابن أبي أصيبعة . وغيرهما .

٢ – مؤيد الدين العرضي :

هو مؤيد الدين برمك بن مبارك العرضي . وكان حكيماً ورياضياً . اشتغل في رصد مراغة مع الخواجة الطوسي . واكتسب شهرة فائقة . وآراؤه في الرصد هي المعول عليها . وله من المولفات :

١) كتاب الهيئة .

٢) آلات الرصد وأسباب عمله . ونسخته المخطوطة في مدرسة سبهسالار . ذكره في فهرست (دانشكدهٔ معقول ومنقول) .

٣) الزيج العلائي . ومنهم من ينسبه الى غيره .

٣ — شمس الدين بن محيي الدين بن عربي :

اشترك في رصد مراغة . ومن أحفاده ميرزا نصر الله المراغي في أيام فتح علي شاه وعرف كجدّه في التنجيم . ولم نعثر للمترجم على كتاب [1] .

٤ — الديريني :

هو أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري الديريني . وله من المؤلفات :

١) رسالة في الفلك . منها نسخة في الأزهر .

ولد سنة ٦١٣ هـ ـ ١٢١٦ م وتوفي سنة ٦٩٤ هـ ـ ١٢٩٤ م .

٥ — شرف الدين الماردیني :

هو أحمد بن ادريس الماردیني وورد المادرائي . كان من علماء الشام المعروفين بالفلك والرياضيات . وسبط الماردیني منسوب اليه . وله من المؤلفات :

١) نظم الدرر في معرفة منازل القمر . نظمه بدمشق في جمادى الآخرة سنة ٦٩٧ هـ . وتوفي سنة ٧٢٨ هـ — ١٣٢٧ م [2] .

٦ — الامام الطرسومي :

هو نجم الدين ابراهيم بن علي الطرسومي . كان معروفاً بالفلك والرياضيات . ومن مؤلفاته :

١) كفاية المصورات في العمل بربع المقنطرات . عندي نسخة مخطوطة منه كتبت سنة ١٠٩٠ هـ .

٢) رسالة في العمل بربع المقنطرات . عندي مخطوطة منها .

وتوفي سنة ٧٢٨ هـ — ١٣٢٧ م .

٧ — شمس الدين المزي :

هو ابو عبد الله محمد بن احمد المزّي المالكي الموقت بالجامع الأموي .

(١) دانشمندان أذربيجان ص ٣٧٧ .

(٢) الدرر الكامنة ج ١ ص ١٠٢ .

برع في الهيئة والحساب ، وعمل الأوضاع الغريبة من الاسطرلابات والأرباع ، فكان لا يلحق بذلك . قرأ على ابن الأكفاني بالقاهرة ثم سكن دمشق .

وله من المؤلفات :

١) رسالة في المقنطرات . منها نسخة في الأزهر .

٢) الروضات الزاهرات في العمل بربع المقنطرات . منها نسخة في الأزهر أيضاً .

٣) كشف الريب في العمل بالجيب . واعتمد جامع المبادي والغايات لأبي علي المراكشي وعندي مخطوطة منه .

٤) رسالة في الاسطرلاب . قال في الدرر الكامنة كان اسطرلابه يباع في حياته بعشرة دنانير وأزيد . وعندي نسخة من هذه الرسالة .

توفي في أوائل سنة ٧٥٠ هـ — ١٣٤٩ م .

٨ — ابن الشاطر :

هو الشيخ أبو الحسن علاء الدين علي بن ابراهيم الأنصاري الدمشقي المعروف بـ (ابن الشاطر) الفلكي الموقت بالجامع الأموي . ولد بدمشق سنة ٧٠٤ هـ . ومهر في الهيأة والفلك والنجوم . كان أوحد زمانه في التطعيم والفلك . وأثنى عليه صاحب سدرة المنتهى .

من عمله آلة اسطرلاب . صنعها سنة ٧٣٨ هـ . عمله للشيخ علي بن محمد الدنبدي ويعد أعظم تحفة باقية . وهو في الخزانة الوطنية بباريس . ذكره صالح زكي في كتابه (قاموس الرياضيات ص ٣٠٩) . وله من المؤلفات :

١) رسالة في الاسطرلاب . منها نسخة في الأزهر .

٢) زيج ابن الشاطر . وعني به جماعة من العلماء في التصحيح والاختصار والشرح . اختصره شمس الدين الحلبي . وسماه الدر الفاخر .

صححه الشيخ شهاب الدين أحمد بن غلام الله الحاسب الكوم الريشي . وسماه (نزهة الناظر في تصحيح أصول ابن الشاطر . وصوابه (نزهة الخاطر) .

اختصره الشيخ شهاب الدين المذكور وسماه (اللمعة في حل الكواكب السبعة) .

شرحه محمد بن علي الشهير بـ (ابن زريق) . وسماه (الروض الناظر في تلخيص زيج ابن الشاطر) .

وشرح اللمعة الشيخ محمد الدمياطي المعروف بـ (الخضري) المتوفى سنة ١٢٨٧هـ .

٣) كتاب الجبر والمقابلة . منه نسخة في دار الكتب المصرية .

٤) رسالة أخرى في الاسطرلاب . منه نسخة الأستاذ أحمد عبيد بدمشق وأخرى في الأزهر .

٥) كشف المغيب في الحساب بالربع المجيب . منه نسخ في دار الكتب المصرية والأزهر .

٦) النفع العام في العمل بالربع التام لمواقيت الاسلام . منه نسخ في الأزهر .

٧) نزهة السامع في العمل بالربع الجامع . منه نسخة في دار الكتب المصرية .

٨) غاية السول في تصحيح الأصول . ذكره ابن الشاطر في مقدمة زيجه .

ومن هذه تعرف مكانة المترجم وعلاقاته بمؤلفين عديدين وبأكابر علماء الفلك واستفادته من مؤلفاتهم كبيرة . توفي سنة ٧٧٧ هـ كما في الشذرات . وجاء في الدرر الكامنة انه توفي سنة ٧٤٤ هـ .

٩ — ابن الهائم :

هو العلامة شهاب الدين احمد بن محمد المصري المعروف بـ « ابن الهائم » . توفي في بيت المقدس في جمادى الآخرة سنة ٨١٥ هـ . وكان علامة في الفقه والفرائض والحساب . وله من المؤلفات :

١) اللمع في الحساب .

٢) المعونة في الحساب الهوائي . وشرحها الشنشوري .

٣) شرح الياسمينة . والأصل لابن الياسمين المتوفى سنة ٦٠٠ هـ . وهي أرجوزة

في الجبر والمقابلة . وعليها شروح غير هذا وتعليقة الشيخ احمد بن يونس الحليفي . ومنها نسخة في الأزهر .

٤) غاية السول فى الاقرار بالمجهول . منه نسخة في دار الكتب المصرية .

٥) المقنع . منظوم في الجبر والمقابلة . وشرحه المؤلف وسماه (الممتع في شرح المقنع) . وله (المشرع مختصر الممتع) . وشرحه الشيخ زكريا الأنصاري وسماه (فتح المبدع في شرح المقنع) . وشرحه سبط المارديني باسم (القول المبدع في شرح المقنع) . ومن هذه الشروح نسخ في الأزهر .

٦) الوسيلة في الحساب . اختصرها من المعونة . منها نسخة في الأزهر . وشرحها سبط المارديني وسماه (ارشاد الطلاب الى وسيلة الحساب) وعندي مخطوطة منها . وشرحها نور الدين علي بن عبد القادر الحسني . ومنها نسخة في الأزهر . سماها (الفوائد الجليلة في حلّ مجهولات الوسيلة) .

٧) نزهة الحساب أو (نزهة النظار) . مختصرة من (مرشدة الطلاب في صناعة الغبار) . وعليها من الشروح :

تحفة الطلاب في شرح نزهة الحساب لم يعرف مؤلفها . منها نسخة في الأزهر .

مسالك الطلاب في شرح نزهة الحساب ليحيى بن تقي الدين الحلبي من علماء القرن الحادي عشر . منه نسخة في الأزهر . وله شرح مطول أيضاً .

شرح السيد محمد بن أبي الخير الطحان .

شرح الشيخ محمد بن ابراهيم الحلبي . منه نسخة في الأزهر . وله شرح آخر اسمه (مسلك الطلاب في شرح نزهة الحساب) .

شرح الغزي . هو أبو عبد الله محمد بن ابي العباس أحمد الغزي الشافعي منه نسخة في الأزهر .

كشف الأسرار في علم حروف الغبار . للقلصاوي منه نسخة في الأزهر .

٨) الحاوي . مختصر تلخيص الحساب . الأصل لابن البناء . ومن شروحه :

الصوفي . منه نسخة في الأزهر .

فتح الوهاب في شرح حاوي الحساب . لسبط المارديني منه نسخة في الأزهر .

٩) مرشدة الطالب الى أسمى المطالب في الغبار . ومنها اختصر (نزهة الحساب) . منها نسخة في الأزهر . وشرحها الشنشوري . وسماها (غنية الراغب في شرح مرشدة الطالب) .

١٠) المبدع . مختصر المعونة .

١١) المنظومة اللامية في الجبر والمقابلة .

وعدّ له صاحب الضوء اللامع مؤلفات أخرى لا تمس موضوع الرياضيات .

١٠ — أبو زرعة العراقي :

هو الشيخ ولي الدين ابو زرعة احمد بن عبد الرحيم العراقي . من أكابر العلماء في مختلف الثقافات . وله من المؤلفات :

١) الدليل القويم على صحة جميع التقاويم .

٢) المعين على فهم أرجوزة ابن ياسمين .

وتوفي سنة ٦٢٨هـ [1] .

١١ — ابن المجدي :

هو أبو العباس شهاب الدين احمد بن رجب بن الأمير طيبغا . ويعرف بابن المجدي . وجدّه طيبغا له رسالة في الربع الشكازي . أخذ عن التقي ابن عز الدين الحنبلي وعن الجمال المارداني . وللمترجم من المؤلفات :

١) الدرّ اليتيم في صناعة التقويم . منه نسخة في نور عثمانية . وعليه شرح الشيخ سليمان بن حمزة العثماني الفلكي . سماه (طرز الغرر في حلّ الدرر) . منه نسخة في الأزهر .

٢) ارشاد الحائر الى تخطيط فضل الدائر . منه نسخة في دار الكتب المصرية .

---

(١) الضوء اللامع ج ١ ص ٣٤٤ والشذرات ج ٧ ص ١٧٣ .

٣) زاد المسافر لمعرفة فضل الدائر . لخصه من ارشاد الحائر المذكور . عندي نسخة منه . وعليه شرح الشيخ محمد الدمياطي الخضري . عندي نسخة منه أيضاً .

٤) دستور النيرين . منه نسخة في دار الكتب المصرية .

٥) كتاب العمل بربع المقنطرات . وتسمى الرسالة العشرة . منها نسخ في دار الكتب المصرية وفي الأزهر . وعليها شرح الشيخ يونس بن عبد القادر الرشيدي سماه (غاية السول في شرح العشرة فصول) عندي نسخة منه .

٦) تحفة الأحباب في نصب الباداهنج والمحراب في جميع البلاد والأقطار . ومنه نسخة في برلين وفي دار الكتب المصرية .

٧) خلاصة الأقوال في معرفة الوقت ورؤية الهلال . منها نسخة في الأزهر .

٨) الروض الأزهر في العمل بالربع المستر . منه نسخة في الأزهر .

٩) حاوي اللباب في الحساب . شرح تلخيص الحساب لابن البناء . منه نسخة في خزانة الأوقاف ببغداد وفي الأزهر .

١٠) غنية الفهيم في الطريق الى حلّ التقويم . منها نسخة في الأزهر .

١١) المنهل العذب الزلال في حل التقويم ورؤية الهلال . منه نسخة في الأزهر .

١٢) المبتكرات . في دون كراس .

١٣) القول المفيد في جامع الأصول والمواليد .

١٤) الدرر في مباشرة القمر .

١٥) كشف الحقائق في حساب الدرج والدقائق . اختصره سبط المارديني .

١٦) رسالة في العمل بالجيب .

١٧) الضوء اللائح في وضع الخطوط على الصفائح .

١٨) رسالة في الربع المستر .

١٩) رسالة في الربع الهلالي .

٢٠) رسالة في معرفة الأوساط .

٢١) رسالة في استخراج التواريخ بعضها من بعض ·

٢٢) رسالة في اخراج القبلة من غير دائرة اثنى عشر بيتاً . وشرحها ·

٢٣) التسهيل والتقريب في طرق الحلّ والتركيب ·

٢٤) الاشارات في كيفية العمل بالمحلولات ·

والاخيرات لم نقف عليها · وذكره الأستاذ حافظ طوقان في التراث العلمي مرتين ظاناً أنهما شخصان [1] · والعلاقة بمصر مشهودة · توفي في ١١ ذي القعدة سنة ٨٥٠ هـ [2] .

١٢ — عبد الرحمن الأقفهسي الصوفي :

هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الاقفهسي الصوفي · كان من تلاميذ ابن المجدي · ومن مؤلفاته :

١) الجوهر المكنون في الحساب المصون · عندي نسخة منه ·

٢) الأمثلة الظاهرة في حساب ربع الدائرة · أزال بها التصحيف لما جاء في كتاب الفرغاني · عندي مخطوطة منها ·

٣) رسالة في الاسطرلاب ·

١٣ — الشيخ عبد الرحمن الصالحي :

هو زين الدين بن عماد الدين احمد الصالحي الموقت في الجامع الأموي · وله من المؤلفات :

١) الطراز المعلم في تسهيل المحكم · مشى به على أصول أولوغ بك · سهل به زيجه المنقول الى العربية ·

٢) تذكرة الفهيم في عمل التقويم · نقل الزيج الأولوغ بكي · ثم سهله بالوجه المذكور أعلاه فكان الاشتغال بعد المعرفة · توفي سنة ٨٤١ هـ [3] ·

(١) التراث العلمي ص ٢٢٤ و ٢٣٤ ·
(٢) الضوء اللامع ج ١ ص ٣٠٥ ·
(٣) الضوء اللامع ج ٤ ص ٥٨ ·

١٤ — عز الدين الوفائي :

هو الامام ابو الفضائل عز الدين عبد العزيز بن محمد الوفائي .

وله من المؤلفات :

١) رسالة على جيب الثمن . عندي مخطوطة منها .

٢) شرح رسالة دائرة المعدل . عندي مخطوطة من هذا الشرح .

٣) مقنطرات خط الاستواء .

٤) نزهة النظر في العمل بالشمس والقمر . منه نسخة في برلين .

٥) ملخص نزهة النظر . منها نسخة في خزانة متحف الآثار القديمة ببغداد وأخرى في برلين .

٦) النجوم الزاهرة في العمل بربع المقنطرات .

٧) الدرر المنتثرات في العمل بربع المقنطرات . مختصر سابقتها .

٨) كفاية الوقت لمعرفة الدوائر وفضله والسمت .

وتوفي سنة ٨٧٦ هـ — ١٤٧١ م وقيل سنة ٨٨٦ أو ٨٧٩ هـ .

١٥ — أبو ذر الحلبي :

هو الشيخ محمد بن ابراهيم الحلبي . وفي كشف الظنون أبوذر أحمد بن البرهان ابراهيم سبط ابن العجمي الحلبي صاحب كنوز الذهب . وله من المؤلفات :

١) الهلال المستنير . توفي سنة ٨٨٤ هـ .

١٦ — ابو محمد الكراديسي :

هو الحسن بن خليل الموقت الشهير بالكراديسي . وله من المؤلفات :

١) اشكال الوسائط في رسم المحرفات والبسائط . وتوفي سنة ٨٨٧ هـ .

١٧ — سبط المارديني :

من مشاهير علماء الفلك والرياضيات . وهو جمال الدين محمد بن محمد بن احمد الغزالي الدمشقي المعروف بـ (سبط المارديني) . وله من المؤلفات :

١) اظهار السر المودوع في العمل بالربع المقطوع . منه نسخة في الأزهر .
٢) لمعة المختصرات في معرفة القبلة وأوقات الصلاة . منه نسخة في الأزهر .
٣) تدريب العامل بالربع الكامل . عند نسخة منه .
٤) رسالة في نصب الخيط . منه نسخة في الأزهر .
٥) الرسالة الفتحية في الأعمال الجيبية . عندي نسخة منها . وشرحها احمد ابن عبد الحق السنباطي المتوفى سنة ٩٩٠ هـ ومنها نسخة في الأزهر . ولقواله لي زاده . أصلح فيها رسالة سبط الماردیني وزاد عليها . ونظم الفتحية ابن غانم . منها نسخة في الأزهر . وعلى الرسالة الفتحية شروح وردت في خزانة الأزهر ولم يعرف مؤلفوها كما أن لها هناك مختصراً لم يعرف مؤلفه ومنها شرح التاجوري في المشرق .
٦) دقائق الحقائق في حساب الدرج والدقائق . عندي نسخة منها . اختصر بها كتاب ابن المجدي المسمى (كشف الحقائق) .
٧) رسالة في علم الوقت . عندي نسخة منها .
٨) شرح الياسمينة في علم الجبر . وسماه (اللمعة الماردينية) . وعليه تقييدات للجناجي وحاشية للمغني . ونسخها في الأزهر .
٩) كفاية القنوع في العمل بالربع المقطوع . منها في الأزهر وطبعت . وعندي مخطوطة منها وهي مختصرة من اظهار السرّ المودوع المذكورة .
١٠) اللؤلؤ المنثور في العمل بربع الدستور . منه نسخة في الأزهر .
١١) المطلب في العمل بربع المجيب . منه نسخة في الأزهر .
١٢) مقدمة في العمل بالربع المستتر . منه نسخة في الأزهر .
١٣) هداية السائل في العمل بالربع الكامل . منه نسخ في دار الكتب وخزانة الأزهر .
١٤) الورقات في العمل بربع الدائرة . منه نسخة في الأزهر .

١٥) وسيلة الطلاب الى معرفة الأرقام بالحساب . منه نسخة في الأزهر .

١٦) ارشاد الطلاب الى وسيلة الحساب . شرح الوسيلة لابن الهائم . منه نسخة في الأزهر . وعندي منه نسخة مخطوطة .

١٧) تحفة الأحباب في علم الحساب . وشرحها الشنشوري المتوفى سنة ٩٩٩ هـ — ١٥٩١ م . منها نسخة في الأزهر .

١٨) فتح الوهاب في حلّ حاوي تلخيص الحساب . والأصل لابن الهائم . منه نسخة في خزانه الأزهر .

١٩) القول المبدع في شرح المقنع . الأصل لابن الهائم .

٢٠) اللمعة الشمسية على التحفة القدسية .

٢١) الدر المنثور في العمل بربع الدستور .

٢٢) نظم الجوهر الغالي في العمل بالربع الشمالي .

٢٣) تصحيح الساعة . طبعت مع رسائل أخرى .

٢٤) لفظ الجواهر في الخطوط والدوائر . رسالة في علم الميقات .

وتوفي سنة ٨٩٠ هـ - ١٤٨٥ م أو ٨٩٥ وقيل سنة ٩٠٢ هـ .

١٨ — التيزيني .

العلامة محمد بن محمد بن ابي بكر الحلبي المعروف بـ (التيزيني) كان رئيس الموقتين بالجامع الأموي بدمشق . ولد في رجب سنة ٨٢٨ هـ وله من المؤلفات :

١) رسالة في العمل بالجيب . ألفها سنة ٨٥٧ هـ عندي مخطوطة منها .

٢) رسالة على ربع الدائرة الموضوعة على المقنطرات . عندي نسخة منها .

توفي ٣ صفر سنة ٩١١ هـ [1] .

١٩ — شمس الدين الخفري .

هو محمد بن أحمد الخفري من تلاميذ سعد الدين . ظهر في العهد العثماني بعد الاستيلاء على الشام . وله من المؤلفات :

(١) الشذرات ج ٨ ص ٥٥ .

١) تذكرة الخفري . تحوي زبدة المبسوطات ولباب ما في كتب الهيأة . ومن مراجعه تذكرة الخواجة والتحفة الشاهية للقطب الشيرازي .

٢) التكملة في شرح التذكرة . شرح تذكرة الطوسي . وأدرج ألفاظ الشرح الشربفي للتذكرة فرغ من تأليفها سنة ٩٣٢ هـ منها نسخة في خزانة الآثار ببغداد .

والحاصل ان هذه المؤلفات كثيرة ومن مراجعتها ندرك العلاقات بالعراق وايران والأقطار العربية والاسلامية الا أن هذه لم تكن جميع الثقافة . وانما هناك أعمال غيرها ظهرت في الأقطار العربية الأخرى . ومع هذا لايستهان بهذه المعرفة الفلكية والرياضية ، فكان نصيب الشام وافراً . ولم نجد وسيلة للاستقصاء الا بأن يقدم كل واحد ما عنده مما فات لتتكامل المعرفة في قطر من أهم مراكز الأقطار العلمية . ولا شك أننا أكثر ما تصدينا لذكره نراه ذا علاقة وتداول بين علماء الأقطار فقد رأينا صلة الشام بمصر أكبر وأعظم وان كانت لا تخلو من روابط بالأقطار الأخرى . وتقوى وتضعف بما يحدث من توتر سياسي أو يزول ... والمهم أن بعض المؤلفات شاعت شيوعاً زائداً بما نالته من رغبة فلم تقف عند قطر بعينه .

ولا ننس أننا وصلت الينا مؤلفات عديدة لم نقطع بمعرفة مؤلفيها ، أو ندرك أسماءهم وعصورهم . ويكون ذلك بمتابعة البحث وتتعين أسماء مؤلفين وما صنفوا والتعاون العلمي آخذ بالنمو .

الفلك في مصر

علاقة مصر بالفلك كبيرة . وبين علماء مصر والشام صلات تعاون . فالثقافة في الفلك مشتركة تقريباً مكنتها المدارس والتوقيت في الجوامع ، فظهرت المواهب . ومن القديم اتصلت الثقافة الفلكية بعلم (البحار) لما تدعو الحاجة الى السير في البحار المتوسط وبحر القلزم (البحر الأحمر) . وهذا متصل بالفلك

وكانت لهم عناية وفي قوانين الدواوين نرى أثر التراتيب البحرية . وهي ذات اتصال بالرصد والزيج الخاص بهم . قال ابن ساعد الأنصاري :

« وأهل مصر في زماننا ـ في المائة الثامنة ـ يسيرون ويقيمون دفتر السنة من زيج لفقوه من عدة زيجات ولقبوه بـ (المصطلح) . » اهـ . وهذا من أهل سنجار وعاش في مصر .

وفي كشف الظنون :

« الزيج المصطلح في كيفية التعليم والطريق الى وضع التقويم لمحمد بن محمد الفارقي الحاسب » اهـ .

وهذان النصان يوضح أحدهما الآخر . ومن بحارتهم المعروفين في آخر عهد المماليك البحريين (حسين الكردي) القائد البحري . دام في بحر القلزم والبحر المحيط الهندي الى أن قتل بعد فتح العثمانيين مصر . وفي هذا العهد تجددت العلاقة بهذه الأبحر . ثم شعروا بالحاجة الى علم البحار المتصل بالفلك .

تكلمنا على من كانت له علاقة بمؤلفات الشام مثل ابن الهائم . ومن أشهر من عرفوا غير المذكورين : (الغزولي) وله رسالة الجيب الغائب . وشمس الدين محمد بن أبي الفتح المصري . وله (الشمسية في الأعمال الجيبية) ، و (مختصر زيج أولوغ بك) ، و (بهجة الفكر في حل الشمس والقمر) وهو متأثر بزيج أولوغ بك . ورأينا آخر من له بعض العلاقة بالفلك جلال الدين السيوطي ، وله (الهيئة السنية) وجاء بعده ابراهيم القرماني فكتب (الهيئة على طريق أهل السنة) . وعندي مجموعة خطية منها . وكذا ابو العباس القسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣ هـ وله (رسالة في الربع المجيب) . واتهمه الجلال السيوطي بأنه يأخذ من كتبه ولا ينسب النقل له .

هذا . وغالب المؤلفات مشتركة الموضوع أو أن الاتصال العلمي بها غير منقطع . هذا يشرح أو يلخص . ولا تنكر العلاقة بزيج أولوغ بك . وظهرت لبعض العراقيين الذين مالوا الى مصر مؤلفات في هذا العلم الا أنهم أقل من الشاميين .

الفلك في المغرب

تمكن هذا العلم من أيام العباسيين في المغرب . والزرقالة من اختراعاتهم . ولهم عناية بالتنجيم ولعل للباطنية دخلاً في هذا . ومن كتبهم المنتشرة بين ظهرانينا (جامع المبادي والغايات) عرف في العراق والأقطار العربية . وعندي مخطوطة منه . والياسمينة اشتهرت وشروحها تداولها القراء . وكان قد كتب صاعد الأندلسي الى أيامه ما كتب ...

ولهم زيج خاص بالمغرب منسوب لابن اسحق من منجمي تونس في أول المائة السابعة . ويزعمون ان ابن اسحق عوّل فيه على الرصد وان يهودياً في صقلية ماهراً في الهيئة والتعليم وقد عنى بالرصد وكان يبعث اليه بما يقع في ذلك من أحوال الكواكب وحركاتها . فكان أهل المغرب لذلك عنوا به لوثاقة مبناه على ما يزعمون .

ولخصه ابن البناء في (المنهاج) فولع الناس به لما سهل من الأعمال فيه . وبقي معمولاً به الى عهد ابن خلدون [1] .

وابن البناء من عصر المغول وفي هذا العهد وتاليه ظهر في المغرب مشاهير :

١ — محي الدين بن ابي الشكر المغربي :

هو محي الدين يحيى بن محمد بن أبي الشكر المغربي . ورد حلب . وفي أيام المغول اشترك في رصد مراغة . رتبه الخواجة الطوسي بأمر السلطان هولاكو وهو راصد ومهندس . وله مجموعة في التنجيم .

١) المدخل المفيد في علم النجوم .

٢) غنية المستفيد في علم المواليد .

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٠٨ .

٣) تحويل سني العالم أو أحكام تحاويل سني العالم .

وهذه الرسائل منها مجموعة في مجلس الأمة الايراني .

٤) الاختيارات . في خزانه كوپريلي .

٥) الجامع الصغير . ذكره في ارشاد المقاصد .

٦) كتاب الأكر لثاوذوسيوس . هذبه وأصلحه . منه نسخة في خزانة مجلس الأمة الايراني .

٧) تسطيح الاسطرلاب . منه نسخة في برلين .

٨) تاج الأزياج . ذكره الألومي في الفيض الوارد ، والأستاذ طوقان في التراث العلمي .

توفي سنة ٦٧٢ هـ . وفي كشف الظنون توفي سنة ٢٧٢ هـ وليس بصواب .

٢ — ابن البناء المراكشي :

هو الشيخ ابو العباس احمد بن أبي عبد الله محمد الازدي المراكشي المعروف بابن البناء . ولد سنة ٦٥٤ هـ — ١٢٥٦ م . وله الأثر الكبير في الرياضيات . ومن مؤلفاته :

١) منهاج الطالب في تعديل الكواكب . اعتمد فيه زيج ابن اسحاق قال ابن خلدون : وقد عوّل المتأخرون لهذا العهد ـ المائة الثامنة ـ بالمغرب على الزيج منسوب اليه . وكان من منجمي المائة السابعة عوّل على الرصد وعلى ما كان يبعث اليه يهودي من صقلية بما يقع في ذلك من أحوال الكواكب وحركاتها ... ولخصه ابن البناء في (المنهاج) ، فولع به الناس لما سهل من الأعمال فيه [1] .

٢) تلخيص الحساب . ومنه نسخ في دار الكتب المصرية وفي خزانة الأزهر . وعليه شروح :

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٠٨ .

حاوي اللباب . لابن المجدي . منه نسخة في خزانة الأوقاف ببغدادا .

شرح عبد العزيز الهواري . من تلاميذ ابن البناء .

شرح علي بن حيدرة .

التمحيص في شرح التلخيص . للشيخ علي ابن هيدور فرغ من تأليفه سنة ٨٦٦ هـ . منه نسخة في الأزهر .

حط النقاب عن وجوه أعمال الحساب للقاضي ابي العباس احمد بن حسين المعروف بابن الخطيب وابن قنفذ المتوفى سنة ٨١٥ هـ . منه نسخة في الأزهر . وبهامشها (التمحيص) المذكور .

شرح ابن زكريا وهو محمد الاشبيلي . منه نسخة في اكسفورد . ذكرها صاحب التراث العلمي .

شرحا القلصاوي الكبير والصغير .

رفع الحجاب في شرح تلخيص أعمال الحساب . لابن البناء نفسه ذكره ابن خلدون .

٣) كتاب المقالات في الحساب . لعله أصل (تلخيص أعمال الحساب) .

٤) الأصول والمقدمات في الجبر والمقابلة .

٥) كتاب الجبر والمقابلة .

٦) رسالة في المساحة .

٧) كتاب اليسارة في تقويم الكواكب السيارة .

٨) كتاب تحديد القبلة .

٩) كتاب القانون لترحيل الشمس والقمر .

١٠) كتاب الاسطرلاب واستعماله .

١١) مدخل النجوم وطبائع الحروف .

١٢) كتاب أحكام النجوم .

١٣) كتاب في التنجيم القضائي .

١٤) كتاب المناخ .

وغالب كتبه مفقود . وتوفي سنة ٧٢١ هـ — ١٣٢١ م . ومنهم من قال سنة ٧٢٤ هـ ، أو سنة ٧٢٣ هـ [١] .

٣ — ابن اللجائي :

هو أبوزيد عبد الرحمن بن أبي الربيع اللجائي الفاسي . كان آية في فنونه . ومن بعض أعماله أنه اخترع اسطرلاباً ملصوقاً في جدار والماء يدير شبكة على الصحيفة فيأتي الناظر فينظر الى ارتفاع الشمس كم وكم مضى من النهار ، وكذلك ينظر ارتفاع الكواكب بالليل . وهو من الأعمال الغريبة . وتوفي سنة ٧٧٣[٢] .

٤ — القلصاوي :

هو الشيخ أبو الحسن علي بن محمد القرشي البسطي المعروف بـ (القلصاوي) الأندلسي . وورد القلصادي وأظنه غلط ناسخ . ولد سنة ٨٠٣ هـ .

وله من المؤلفات :

١) كشف الأسرار عن علم حروف الغبار . منه نسخ في الأزهر . ورأيت نسخة منه لدى الأستاذ أحمد عبيد . وجاء فيها أنه القلصاوي . وهكذا في كشف الظنون .

٢) القانون في الحساب .

٣) كتاب التبصرة في حساب الغبار .

٤) شرح تلخيص الحساب الكبير والصغير .

وتوفي سنة ٨٩١ هـ — ١٤٨٦ م[٣] .

---

(١) تفصيل ترجمته في التراث العلمي ص ٢١٦ .

(٢) التراث العلمي ص ٢٢١ .

(٣) التراث العلمي ص ٢٣٦ .

ه — ابن غازي :

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن غازي المكناسي ثم الفاسي. ومن مؤلفاته :

١) كتاب منية الحسّاب في علم الحساب .

٢) شرح المنية . للمؤلف نفسه .

وتوفي بفاس سنة ٩١٩ هـ — ١٥١٣ م[١] .

هذا والمغاربة شائعة مؤلفاتهم . وذكر صاحب ارشاد القاصد جملة منها ظهرت في العصور السابقة . ومن مؤلفاتهم الياسمينة وجامع المبادي والغايات ورسالة الزرقالة للشيخ أبي اسحق ابراهيم الزرقلي القرطبي . كان قدمها الى المعتمد على الله محمد الثاني ابن عباد أبي عمرو المعتضد بن محمد من خلفاء اشبيلية . وكانت حكومته من سنة ٤٦١ هـ ١٠٦٨ م الى سنة ٤٨٤ هـ — ١٠٩١ م . وهذه صارت أصلاً لما كتبه ميرم چلبي بالفارسية ونابغتهم في عهد المغول محيي الدين ابن أبي الشكر المغربي وابن البناء .

الفلك في جزيرة العرب

لا يزال أثر الثقافة الاسلامية والعربية باقياً في مختلف الأقطار . وفي جزيرة العرب في اليمن ونجد والحجاز ومهرة وعمان ظهر جماعة في علم الفلك توارثوا مؤلفات عديدة .

١ — في اليمن

ا — الملك الأشرف الرسولي :

وهو أبو الفتح عمر بن الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول من سلاطين الدولة الرسولية . وله :

(١) التراث العلمي ص ٢٤٠ .

١) التبصرة في علم النجوم .

٢) منهج الطلاب في العمل بالاسطرلاب . ومنه نسخة في مجلس الأمـة الايراني وأخرى في خزانة الأستاذ احمد تيمور باشا . وقد جاء وصفه في مجلة المجمع العلمي[1] .

ومن العلماء في أيامه ممن قرظ كتابه في الاسطرلاب :

١ — ابراهيم بن ممدود الموصلي .

٢ — حسن بن علي الفهري المظفري .

ومن الكتب في الفلك في القطر اليماني (كتاب غاية اتقان الحركات للسبعة الكواكب السيارة) تأليف الشيخ الامام عبد الله المثنى بن عبد الله بن احمد السرجي القرشي . أوله : الحمد لله الذي رفع سبع سماوات بقدرته ، ومسكها على الارض بقوته ... قال في مقدمته :

«مازلت أرصد الكواكب في حركاتها ومرها وقراناتها وأعتبر على ذلك عدّة من الأزياج في اليمن ، فلم أر فيها غير الضعيف أو الحسن مع ما فيها من الخلاف ، وعدم المطابقة والائتلاف مع تقادم أزمانها كما ان كثيراً من الأزياج اذا تضاعفت أزمانها وأوقاتها ظهر الخلل في حركاتها . ولما ظهر لي صحيح البرهان ، وتمثل لي شاهده بالعيان بعد أن تقضت مدة من الزمان ، وعرف الصحيح من السقيم بحسب مبلغ علمي ... أحببت أن أعي ثمرة الاجتهاد في هذا الكتاب ...» اهـ .

وهذا ـ كما يظهر ـ آخر زيج معتبر في اليمن . رأيته مخطوطاً عند الأستاذ محمد احمد .

وليس في الوسع الاستقصاء في هذه العجالة .

(١) ج ٢٧ ص ٥٢ .

٢ — في الحجاز

لم يظهر علماء علماء فلك . وبعض الرسائل المشهودة لا تدل على تمكن من هذا العلم . والعبرة أن نرجع الى نوابغ العلم . ومن المعروفين (نور الدين الزمزمي) . وله (فتح الوهاب) منظوم في الحساب . شرحه بعض علماء أواخر القرن التاسع سنة ٨٩٥ هـ . ولم يعرف شارحه . ومنه نسخة في خزانه الأزهر . وليس لهم حاجة في تعيين القبلة وما ماثل ...

٣ — في نجد وما جاورها

في المائة التاسعة بدا نوابغ في (علم البحار) . وغالب اعتمادهم على الفلك ، فأحدثوا تجدداً في هذه العلاقة . ومن المعروفين في هذا العلم شهاب الدين أحمد ابن ماجد المعقلي النجدي ، وسليمان المهري . ساروا سيرة علمية في علم البحار . فكانوا وسيلة التكامل . توارثوا بعض المؤلفات . وخلدوا آثاراً جديدة مهمة . وكان لهم الفضل في الخدمة العلمية .

ومؤلفاتهم نقلت الى التركية . نقلها الرئيس سيدي علي أمير البحر في كتابه المحيط . جمع رسائل هؤلاء في كتابه . وترجم هذا الكتاب الى الألمانيـة الأستاذ همّر الألماني فشاع في أوربا . ثم طبعت هذه المؤلفات في فرانسة . كل ذلك ذكرته مفصلاً في المجلد الرابع من تاريخ العراق بين احتلالين [1] . وبينت ما رجعت اليه من مصادر .

(١) ج ٤ ص ٩٠ ومواطن اخرى منه .

خلاصة وصفوة

ان علم الفلك في هذه العهود كان في تكامل وازدياد . والأقطار الاسلامية والعربية على اتصال علمي واضح الأثر والتأثير . ومن أهم ماعرف في أواخر هذا العهد انتشار (علم البحار) ومعوله علم الفلك وقد ظهرت مؤلفات فيه بهرت الأندية العلمية . هذا ولو تكلمنا في المادة العلمية وبحوثها الخاصة ، أو في الأزياج وما تستند اليه من أرصاد ، أو في المصطلحات العلميـة ، أو إحصاء الثروة العلمية ومادة التقويم وسائر المطالب الكثيرة والحوادث الفلكية لطال بنا الأمر ولا يزال هذا الموضوع يحتاج الى عناية لمعرفة تاريخه . وهناك مؤلفات لم يعرف أصحابها ، أو لم نتمكن من معرفة عصرهم . فالضرورة تدعو الى بذل جهود وافرة . ووقع في العهد العثماني جمود من جهـة ، وتجدد من أخرى . وتتفاوت الأقطار العربية والاسلامية فيه . أفردته في بحث آخر . ولعل الفرصة تسنح لنشره . والله ولي التوفيق .

عباس العزاوي

أقدم تأليف في الحديث النبوي

صحيفة همّام بن منبّه ومكانتها في تأريخ علم الحديث

— ٣ —

٧١ — وقال رسول الله ﷺ : إذا ما ربّ النعم لم يعط حقها ، تسلّط عليه يوم القيمة : تخبط وجهه بأخفافها .

٧٢ — وقال رسول الله ﷺ : يكون كنز أحدكم يوم القيمة شجاعاً أقرع . يفرّ منه صاحبه ويطلبه ويقول : أنا كنزك . قال : والله ، لن يزال يطلبه حتى يبسط يده ، فيلقمها فاه .

٧٣ — وقال رسول الله ﷺ : لا يبال في الماء الدائم الذي لا يجري ، ثم يغتسل به .

٧٤ — وقال رسول الله ﷺ : ليس المسكين هذا الطوّاف الذي يطوف على الناس تردهُ اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ؛ إنما المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ويستحيي أن يسأل الناس ولا يُفْطَن له فيتصدّق عليه .

٧٥ — وقال رسول الله ﷺ : لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه . (٦ آ) ولا تأذنُ في بيته وهو شاهد إلا بإذنه . وما أنفقتْ من كسبه من غير أمره فان نصف أجره له .

٧٦ — وقال رسول الله ﷺ : لا يتمنّى أحدكم الموت ولا يدعو به من قبل أن يأتيه . انه اذا مات أحدكم ، انقطع عمله ـ أو قال : أجله . ـ إنه لا يزيد المؤمن من عمره إلا خيراً .

٧٧ — وقال رسول الله ﷺ : لا يقل أحدكم للعنب «الكرم» إنما الكرم الرجل المسلم .

٧٨ — وقال رسول الله ﷺ : اشترى رجل من رجل عقاراً . فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرّة فيها ذهبٌ . فقال له الذي اشترى العقار : خذ ذهبك مني ؛ إنما اشتريت منك الأرض ، ولم ابتع منك الذهب . فقال الذي شرى الأرض : إنما بعتك الأرض وما فيها . فتحاكما الى رجل . فقال الذي تحاكما اليه : ألكما ولد ؟ فقال أحدهما : لي غلام . وقال الآخر : لي جارية . فقال : أنكحِ الغلام الجارية ، وأنفقوا على أنفسكما منه ، وتصدّقا .

٧٩ — وقال رسول الله ﷺ : أيفرح أحدكم براحلته اذا ضلت منه ثم وجدها ؟ قالوا : نعم يارسول الله . قال : والذي نفس محمد بيده ، لَلّه أشدّ فرحاً بتوبة عبده إذا تاب ، من أحدكم براحلته اذا وجدها .

٨٠ — وقال رسول الله ﷺ : إن الله عزّ وجل قال : اذا تلقّاني عبدي بشبر ، تلقيته بذراع ؛ واذا تلقاني بذراع ، تلقيته بباع ؛ واذا تلقاني بباع ، جئته ـ أو قال : أتيته ـ بأسرع .

٨١ — وقال رسول الله ﷺ : إذا توضّأ أحدكم فليستنشق بمنخريه من ماء ثم لينتثر .

٨٢ — وقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ، لو أن عندي أحُداً ذهباً لأحببت أن لا يأتي عليّ ثلاث ليال وعندي منه دينار أجد من يتقبله مني ، ليس شيء أرصده في دَين عليّ .

٨٣ — وقال رسول الله ﷺ : إذا جاءكم الصانع بطعامكم قد أغنى عنكم حرّه ودخانه ، فادعوه فليأكل معكم . وإلا فألقموه في يده (أو : «ليناوله في يده») . (٦ ب)

٨٤ — وقال رسول الله ﷺ : لا يقل أحدكم : «اسقِ ربك» أو «أطعم ربك» و «ضيّ ربك» . ولا يقل أحدكم «ربي» ، وليقل «سيدي» ،

---

(٨٣) بهامش البرلينية والدمشقية : «خ معا : بطعام» (أي بدل بطعامكم) .

« مولاي » . ولا يقل أحدكم : « عبدي » ، « أمتي » ؛ وليقل : « فتاي » ، « فتاتي » ، « غلامي » .

٨٥ — وقال رسول الله ﷺ : أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتمخطون ولا يتغوطون فيها . آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة ، ومجامرهم من الألوة ، ورشحهم المسك . ولكل واحد منهم زوجتان يُرى مُخ ساقها من وراء اللحم من الحُسن . لا اختلاف بينهم ولا تُباغض قلوبهم على قلب واحد . يسبحون الله بكرة وعشياً .

٨٦ — وقال رسول الله ﷺ : اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تُخلفه . إنما أنا بشر . [فأي المؤمنين آذيته أو شتمته أو جلدته أو لعنته ، فاجعلها صلاة وزكاة وقربة تقرّبه بها يوم القيامة .

٨٧ — وقال رسول الله ﷺ : لم تحلّ الغنائم لمن كان قبلنا . ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا ، فطيّبها لنا .

٨٨ — وقال رسول الله ﷺ : دخلت امرأة النار من جراء هرة لها أو هرة ربطتْها . فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تتقمّم من خشاش الأرض ، حتى ماتت هزلاً .

٨٩ — وقال رسول الله ﷺ : لا يسرق سارق وهو حين يسرق مؤمن ، ولا يزني زانٍ وهو حين يزني مؤمن ، ولا يشرب الحدود أحدكم - يعني الخمر - وهو حين يشربها مؤمن . والذي نفس محمد بيده ، لا ينتهب أحدكم نُهبة ذات شرف يرفع اليه المؤمنون أعينهم فيها وهو حين ينتهبها مؤمن . ولا يغلّ أحدكم حين يغلّ وهو مؤمن . وإياكم ، وإياكم .

(٨٥) في المخطوطتين : « يسبقون » . ثم صحح في الدمشقية : « يبصقون » .
(٨٦) سقطت ورقة أخرى في ب . و « [» علامة ابتداءها .
(٨٩) بهامش الدمشقية : يحاذي السطر الذي يبتدئ بكلمة « يرفع » وينتهي بكلمة « لا يغل » : « خ معا : حينئذ » . (كأنه بدل « حين ») .

٩٠ — وقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ، ولا يهودي ، ولا نصراني ، ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار .

٩١ — وقال رسول الله ﷺ : التسبيح للقوم والتصفيق للنساء في الصلاة .

٩٢ — (٧ آ) وقال رسول الله ﷺ : كل كلم يُكلَم به المسلم في سبيل الله يكون يوم القيامة كهيئتها إذا طعنت بفجر دما ، اللون لون الدم ، والعرف عرف المسك .

٩٣ — وقال رسول الله ﷺ : لا تزالون تستفتون حتى يقول أحدكم : هذا اللهُ خلق الخلقَ ، فمن خلق اللهَ ؟

٩٤ — وقال رسول الله ﷺ : إني لأنقلب الى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي أو في بيتي فأرفعها لآكلها ، ثم أخشى أن تكون من الصدقة ، فألقيها .

٩٥ — وقال رسول الله ﷺ : لأن يلج أحدكم بيمينه في أهله آثم له عند الله من أن يعطي كفارته التي فرض الله .

٩٦ — وقال رسول الله ﷺ : إذا أكره الاثنان على اليمين فاستحياها فأسهم بينهما .

٩٧ — وقال رسول الله ﷺ : إذا ما أحدكم اشترى لقحة مُصرّاة أو شاة ، فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها إما هي وإلا فليردها وصاعاً من تمر .

٩٨ — وقال رسول الله ﷺ : الشيخ شاب على حب اثنتين : طول الحياة وكثرة المال .

٩٩ — وقال رسول الله ﷺ : لا يشير أحدكم الى أخيه بالسلاح فانه لا يدري أحدكم لعل الشيطان أن ينزع من يده فيقع في حفرة من النار .

١٠٠ — وقال رسول الله ﷺ : اشتد غضب الله على قوم فعلوا برسول الله (ﷺ وهو حينئذ يشير الى رباعيته) .

١٠١ — وقال رسول الله ﷺ : اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله .

١٠٢ — وقال رسول الله ﷺ : على ابن آدم نصيب من الزنا ، أدرك ذلك لا محالة . قال : فالعين زنيتها النظر وتصديقها الإعراض . واللسان زنيته المنطق ؛ والقلب زنيته التمنّي ؛ والفرج يصدّق بمأثم أو يكذّب .

١٠٣ — وقال رسول الله ﷺ : إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل (٧ ب) حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف . وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله عزّ وجل .

١٠٤ — وقال رسول الله ﷺ : إذا أمّ أحدكم للناس ، فليخفّف الصلاة ، فان فيهم الكبير وفيهم الضعيف وفيهم السقيم . وإن قام وحده ، فليطل صلاته ما شاء .

١٠٥ — وقال رسول الله ﷺ : قالت الملائكة : « ياربّ ، ذاك عبد يريد أن يعمل سيئة » . وهو أبصر به ، فقال : ارقبوه ؛ فان عملها فاكتبوها له بمثلها ؛ وإن تركها فاكتبوها له حسنة ، إنما تركها من جَرايّ .

١٠٦ — وقال رسول الله ﷺ : قال الله عزّ وجل : كذّبني عبدي ولم يكن ذلك له ، وشتمني عبدي] ولم يكن ذلك له . أما تكذيبه إياي أن يقول : « لن يعيدنا كما بدأنا » . وأما شتمه إياي أن يقول : « اتخذ الله ولداً » . وأنا الصمد : لم ألد ولم أولَد ولم يكن لي كفوًا أحد .

١٠٧ — وقال رسول الله ﷺ : أبردوا عن الحر في الصلاة ، فان شدة الحر من فيح جهنم .

١٠٨ — وقال رسول الله ﷺ : لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ .

---

(١٠٦) «] » علامة انتهاء السقطة في ب .

١٠٩ — وقال رسول الله ﷺ : إذا نودي بالصلاة فأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة . فما أدركتم فصلّوا ، وما سُبقتم فأتمّوا .

١١٠ — وقال رسول الله ﷺ : يضحك الله لرجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة . قالوا : وكيف يا رسول الله ؟ قال : يُقتَل هذا فيلج الجنة . ثم يتوب الله على الآخر فيهديه الى الاسلام ثم يجاهد في سبيل الله فيُستشهد .

١١١ — وقال رسول الله ﷺ : لا يبيع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه .

١١٢ — وقال رسول الله ﷺ : الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، والمؤمن يأكل في معىً واحد .

١١٣ — وقال رسول الله ﷺ : (٨ آ) إنما سمي خَضِر ، لأنه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتزّ تحته خضراء .

١١٤ — وقال رسول الله ﷺ : إن الله لا ينظر الى المسبل يوم القيمة — [يعني] إزاره .

١١٥ — وقال رسول الله ﷺ : قيل لبني اسرائيل : « ادخلوا الباب سُجّداً وقولوا حِطّةٌ يغفر لكم خطاياكم » . فبدّلوا : فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم ؛ وقالوا : حبّه في شعيرة .

١١٦ — وقال رسول الله ﷺ : إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآنُ على لسانه : فلم يدر ما يقول ، فليضطجع .

١١٧ — وقال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : لا يقل ابن آدم : « ياخيبة الدهر » ، فاني أنا الدهر ، أرسل الليل والنهار ؛ فاذا شئتُ قبضتهما .

١١٨ — وقال رسول الله ﷺ : نعمّا للمملوك أن يتوفاه الله بحسن طاعة ربه وطاعة سيده . نعمّا له ، نعمّا له .

١١٩ — وقال رسول الله ﷺ : إذا قام أحدكم الى الصلاة ، فلا يبصق أمامه ، فانه يناجي الله مادام في مصلاه ؛ ولا عن يمينه ، فان عن يمينه ملكاً ؛ ولكن ليبصق عن شماله أو تحت رِجله فيدفنه .

١٢٠ — وقال رسول الله ﷺ : اذا قلتَ للناس : « أنصِتوا » ، وهم يتكلمون ، فقد لغوتَ على نفسك ـ يعني يوم الجمعة .

١٢١ — وقال رسول الله ﷺ : أنا أولى الناس بالمؤمنين (٨ ب) في كتاب الله . فأيكم ترك دَيناً أو ضيعة فادعوني ، فاني وليّه . وأيكم ما ترك مالاً ، فليؤثر بماله عصبته من كان .

١٢٢ — وقال رسول الله ﷺ : لا يقل أحدكم : « اللهم اغفر لي إن شئتَ » أو « ارحمني إن شئتَ » أو « ارزقني إن شئتَ » . ليعزم المسألة . انه يفعل ما يشاء : لا مكره له .

١٢٣ — وقال رسول الله ﷺ : غزا نبيٌ من الأنبياء ، فقال للقوم : « لا يتبعني رجل قد كان ملك بضعَ امرأة يريد أن يبني بها ولمّا بنى . ولا آخر بنى بناءً له ولما يرفع سقفها . ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر ولادها » . فغزا ، فدنا القرية حين صلى العصر أو قريباً من ذلك ، فقال للشمس : أنت مأمورة وأنا مأمور . اللهم احبسها عليّ شيئاً . فحبست عليه ، حتى فتح الله عليه . فجمعوا ما غنموا . فأقبلت النارُ لتأكله ، فأبت أن تَطعمه . فقال : « فيكم غلول . فليبايعني من كل قبيلة رجل » . فبايعوه فلصقت يد رجل بيده . فقال : « فيكم الغلول . فلتبايعني قبيلته » . فبايعته قبيلته ، فلصق يد رجلين أو ثلاثة بيده . فقال : « فيكم الغلول . أنتم غللتم » . قال : فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب . فوضعوه في المال ، وهو بالصعيد ، فأقبلت النار ، فأكلتْ . قال : فلم تحلّ الغنائم لأحد من قبلنا . ذلك (٩ آ) بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا ، فطيبها لنا .

١٢٤ — وقال رسول الله ﷺ : بينما انا نائم ، رأيت أني أنزع على حوض أسقي الناس . فأتاني ابو بكر ، فأخذ الدلو من يدي ليريحني . فنزع دلوين ؛ وفي نزعه ضعف . والله يغفر له . قال: فأتاني عمر بن الخطاب فأخذها منه ، فلم ينزع رجل نزعه حتى ولّى الناسُ والحوض ينفجر .

١٢٥ — وقال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا جُور كرمان ، قوماً من الأعاجم ، حمر الوجوه ، فطس الأنوف ، صغار الأعين ، كأن وجوههم المجانّ المطرقة .

١٢٦ — وقال رسول الله ﷺ : الخيلاء والفخر في أهل الخيل والإبل؛ والسكينة في أهل الغنم .

١٢٧ — وقال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر .

١٢٨ — وقال رسول الله ﷺ : الناس تبع لقريش في هذه الشأن — أراه يعني الإمارة — مسلمهم تبع لمسلمهم ، وكافرهم تبع لكافرهم .

١٢٩ — وقال رسول الله ﷺ : خير نساء ركبن الإبل نساء قريش : أحناه على ولد في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده .

١٣٠ — وقال رسول الله ﷺ : العين حق . ونهى عن الوشم .

١٣١ — وقال رسول الله ﷺ : لا يزال أحدكم في صلاة ما كانت تحبسه ، ولا يمنعه أن يخرج إلا انتظارها .

١٣٢ — وقال رسول الله ﷺ : اليد العليا خير من اليد السفلى . وابدأ بمن تعول .

١٣٣ — وقال رسول الله ﷺ : أنا أولى الناس بعيسى بن مريم (٩ ب) في الأولى والآخرة . قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال الأنبياء إخوة من علاّت ، وأمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ، فليس بيننا نبيّ .

١٣٤ — وقال رسول الله ﷺ : بينما أنا نائم إذ أتيت من خزائن الأرض فوضع في يدي سواران من ذهب ، فكبُرا عليّ وأهمّاني . فأوحي إليّ أن انفخهما . فنفختهما ، فذهبا . فأولتهما الكذابَين اللذين أنا بينهما : صاحب صنعا وصاحب اليمامة .

١٣٥ — وقال رسول الله ﷺ : ليس أحد منكم بمنجيه عمله ، ولكن سدّدوا وقاربوا . قالوا : ولا أنت ، يارسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة وفضل .

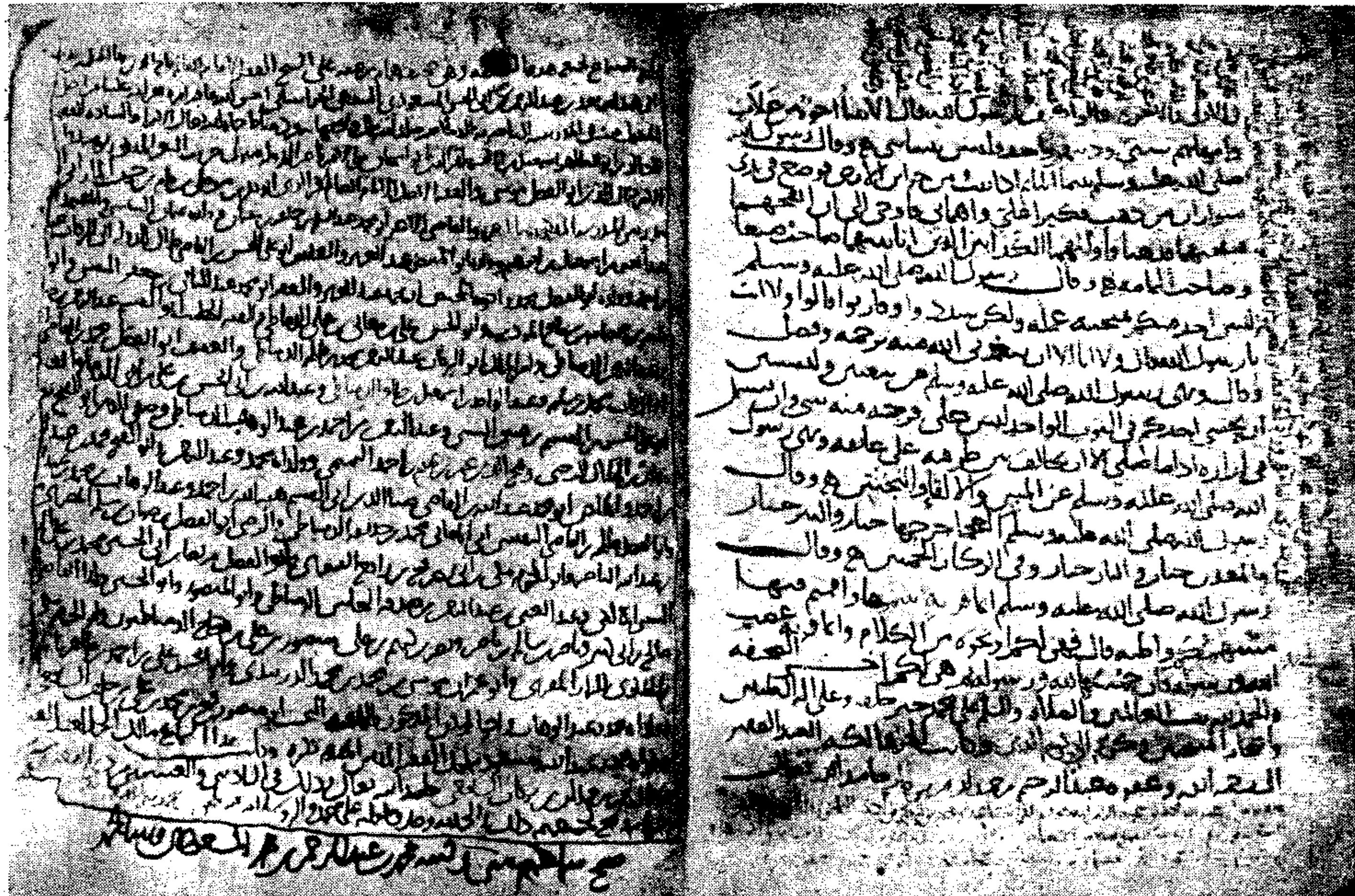
١٣٦ — وقال : ونهى رسول الله ﷺ : عن بيعتين ولبستين : أن يحتبي أحدكم في الثوب الواحد ليس على فرجه منه شيء ؛ وأن يشتمل في إزاره إذا ما صلّى إلا أن يخالف بين طرفيه على عاتقه ؛ ونهى رسول الله ﷺ عن المس والإلقاء ، والنجش .

١٣٧ — وقال رسول الله ﷺ : العجماء جرحها جبار ، والبئر جبار ، والمعدن جبار ، والنار جبار ، وفي الركاز الخمس .

١٣٨ — وقال رسول الله ﷺ : أيما قرية أتيتموها وأقمتم فيها سهمكم — وأظنه قال — فهي لكم — أو نحو من الكلام — وأيما قرية عصت الله ورسوله فان خمسها لله ورسوله ، ثم هي لكم .

***

(١٣٨) وبهامش الدمشقية : « بلغ للمقابلة » .



راموز الورقة الأخيرة من مخطوطة دمشق في الظاهرية وفي أولها بقية الحديث رقم (١٣٣)

آخر الصحيفـة والحمـد لله رب العالمين والصـلاة والسلام على محمد خير خلقـه وعلى آله الطيبين وأصحابه المنتجبين وكرّم الى يوم الدين . وكاتب الجزء مالكه العبد الفقير الى رحمة الله وعفوه عبد الرحيم بن حمدان بن بركات حامداً لله تعالى .

(آخر مخطوطة دمشق)

آخر الصحيفة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً . فرغ منها كتابة الفقير ابراهيم بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الحنفي الجينيني الأصل ، الدمشقي الدار في نهار الاثنين سابع عشر ربيع الاول سنة مائة وألف وعلقها لنفسه ولمن شاء الله تعالى من بعده ، من خط العلامـة اسمعيل بن ابراهيم بن جماعة وتاريخ كتابته لها يوم الجمعة ١٦ ربيع الأول سنة ٨٥٦ رحمه الله تعالى رحمة واسعة آمين .

(آخر مخطوطة برلين)

اختلاف الروايات

الرموز : « ب » يدل على مخطوطة برلين لصحيفة همام بن منبه ؛ « د » على مخطوطة دمشق ؛ « ح » على مسند ابن حنبل . والرقم هو رقم الحديث في الصحيفة كما نشرناها .

١ — ح : فرض الله عليهم * ب ، ح : اوتينا من بعدهم .

٢ — ح : أبو القاسم صلعم ـ أكلها وأجملها ـ فيتم بناؤك ـ محمد النبي صلعم فكنت انا .

٣ — ب ، ح : أنفق أشياء .

٤ — ب : يقحمن فيها فذلك * ح : فتقتحم فيها قال فذلكم * ب ح : « هلم عن النار » مرة واحدة * ح : فتغلبوني تقتحمون .

٦ — ح : « إياكم والظن » مرة واحدة • وكذلك كلمة « ولا تناجشوا »
حذفت عنده * ح : عَبيد الله •
٧ — ح : مسلم وهو يسأل •
٨ — ح : لى رسول الله — وقال يجتمعون — أعلم كيف — فقالوا •
٩ — ح : كلمة « ما لم يحدث » بعد « صلى فيه » •
١٠ — كلمة « آمين » الثانية في ب فقط * ح : فيوافق •
١١ — ح : وقال: بينما — قال له — ويلك اركبها فقال بدنة *ب ، ح : يارسول الله
قال * وفي آخر الحديث كلمة « ويلك اركبها » مرة واحدة عند ح •
١٢ — ح : جزء واحد من — جهنم قالوا — كانت الكافية •
١٣ — هذا الحديث بعد رقم ١٦ عند ح •
١٤ — ب : تعلمون مالبكيتم * ح : اضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً •
١٥ — ح : شتمه • كلمة « إني صائم » مرة واحدة في ب •
١٧ — ح : أمر بالنار * د : فلذعته — فأوحي اليه •
١٨ — د : محمد في يده * ب : قعدت سرية * د : تغزوا •
٢٢ — ح : ويفيض — يكثر الهرج أيما هو يا رسول الله •
٢٣ — ب ، ح : يكون بينهما •
٢٥ — ب : آمنوا جميعاً •
٢٦ — ح : وله ضراط — حتى يخطر — نفسه فيقول * ب : حتى قضي التثويب •
٢٧ — ح : خلق السموات — ما في يمينه
٢٨ — ح : يوم لأن يراني — من أهله وماله ومثلهم معهم •
٢٩ — ح : هلك كسرى ثم لايكون — لتقتسمن كنوزهما — سبيل الله
عزّ وجل • وحذف ح كلمة « وسمى الحرب خدعة » •
٣١ — ح : فانما اهلك — بأمر فائتمروا به * ب : بأمر فأتوا به •

٣٤ — ب، ح : الى من فضل * ح : منه فيمن ٠

٣٥ — ح : طهر إناء ـ أن يغسله ٠

٣٦ — ح : يصلي الناس ثم يحرق ٠

٣٩ — ح : لم أكن قدرته له ولكنه يلقته به قدرته له يستخرج به من البخيل يؤتيني ـ آتاني عليه ٠

٤١ — ح : هو قال عيسى ٠

٤٢ — ح : والله ما أوتيتكم ٠

٤٣ — ح : جعل الامام ـ وإذا كبر ـ وإذا سجد ٠

٤٥ — ح : وأخرجتهم ـ أعطاك الله علم كل شيء واصطفاك ـ برسالاته ـ كان قد كتب ـ فحاج ٠

٤٦ — ح : خرّ عليه جراد ـ أغنيك عما ٠

٤٧ — خففت على داود عليه السلام القراءة ـ بدابته فتسرج وكان ٠

٤٩ — ح : ليسلم الصغير ٠

٥٠ — ح : عصموا مني أموالهم ـ على الله عزّ وجل ٠

٥١ — ح : الناس وسفلتهم وعرتهم فقال الله عز وجل للجنة إنما أنت رحمة ـ يضع الله عزّ وجل رجله فتقول قط قط أي حسبي ـ فان الله ينشئ ٠

٥٣ — ح : عليه وسلم إذا تحدث ـ حسنة ما لم يفعلها ـ يفعل سيئة فأنا أغفرها ما لم يفعلها ٠

٥٤ — ح : عليه وسلم لقيد ـ خير مما ٠

٥٥ — ح : الجنة أن يقول تمن ويتمن فيقول له * ب : له إن لك ٠

٥٧ — لاندفعت في شعبهم ٠

٥٨ — ح : خلق الله عزّ وجل ـ قال له اذهب ـ واستمع ما يجيبونك ـ فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه رحمة الله ـ صورة آدم وطوله ـ ينقص الخلق * ب : حذف كلمة «فزادوا ورحمة الله» ٠

٥٩ — ح : موسى عليه السلام ـ عينه وقال ـ فقل الحياة ـ فما توارت بيدك ـ جنب الطريق * ب ح : رد الله عينه .

٦٠ — ح : موسى عليه السلام يغتسل ـ الحجر بثوب موسى ـ موسى باثره ـ موسى وقالوا ـ ان بالحجر ندبا ستة .

٦١ — ح : عن كثرة .

٦٢ — ح : وإذا اتبع أحدكم .

٦٤ — ح : خسفت به ـ حتى يوم القيامة .

٦٦ — ح : ما من مولود يولد إلا على ـ تنتجون الإبل فهل .

٦٧ — ح : الذئب قال .

٦٨ — ح : قالوا إنك * ب، ح : كلمة «إياكم والوصال» مرة واحدة ـ لست في ذاكم .

٧٠ — ح : تطلع الشمس ـ الرجل على دابته تحمله ـ له متاعه عليها صدقة قال والكلمة ـ قال كل خطوة يمشيها .

٧١ — ح : حقها بسطها عليه .

٧٢ — ح : قال ويفر منه * ب : يفر منه ويطلبه .

٧٣ — ح : لا تبل ـ تغتسل منه .

٧٤ — ب : المسكين الذي يطوف .

٧٦ — ح : لا يتمن أحدكم ـ انقطع عمله وإنه لا يزيد * د : يدعوا به .

٧٨ — ح : فقال الذي اشترى ـ وقال الذي باع الأرض ـ قال فتحاكما ـ قال أحدهما ـ جارية قال ـ على أنفسهما منه * ب ح : أنا اشتريت منك الأرض * د : اشترا .

٧٩ — ب : ضلت ثم وجدها .

٨٠ — ح : حذف كلمة «أو قال أتيته» .

٨١ — ح : الماء ثم لينثر ٠
٨٢ — ح : أن احداً عندي ـ أجد من يقبله مني ليس شيئاً ٠
٨٣ — ح : عنكم عناء حره ـ فلقموه في يده ٠ وحذف ح كلمة « أو ليناوله في يده » ٠
٨٤ — ح : ربك أطعم ـ وليقل فتاتي غلامي * ب ح : سيدي ومولاي ٠
٨٥ — ح : فيها ولا يتفلون ولا يتمخطون ـ أمشاطهم الذهب ـ مجامرهم الألوة ـ مخ ساقيها ٠
٨٦ — ح : ان تخلفنيه ـ له صلاة ٠
٨٧ — ح : لمن قبلنا ٠
٨٨ — ح : دخلت النار امرأة ـ لها ربطتها ـ ترمم من خشاش ٠
٨٩ — ح : وهو مؤمن حين يسرق ـ وهو مؤمن حين يزني ولا يشرب الشارب وهو مؤمن حين يشرب يعني الخمر ـ ولا ينتهب ـ مؤمن فإياكم ٠
٩٢ — ح : يكلمه المسلم في سبيل الله ثم يكون ـ تنفجر دماً ـ المسك قال أي يعني العرف الريح ٠
٩٣ — رقمه عند ح بعد ٩٤ ـ ح : الله عز وجل ٠
٩٤ — رقمه عند ح بعد ٩٢ ـ ح : تكون صدقة فألقيها ولا آكلها ٠
٩٥ — ح : والله لأن يلج ٠
٩٦ — ح : واستحياهما فليستهما عليها * « فاستحياهما » كذا بالأصل الدمشقي ؛ لعلها « فاستحياها » أي فاستحيا اليمين ٠
٩٧ — ح : شاة مصراة ـ إما يرضى ٠
٩٨ — ح : الشيخ على حب ٠
٩٩ — ح : لا يمشين أحدكم ـ لعل الشيطان ينزع في يده ٠
١٠١ — ح : رسول الله صلعم في سبيل ٠

١٠٢ — ح : كتب على ابن آدم ـ أدرك لا محالة فالعين ـ النظر ويصدقها ـ زنيته النطق والتمني ـ يصدق ما ثمّ ويكذب .

١٠٤ — ح : إذا ما قام أحدكم .

١٠٥ — ح : الملائكة رب .

١٠٦ — ح : له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك تكذيبه إياي أن يقول فلن يعيدنا ـ الصمد الذي .

١٠٧ — ح : من الحر .

١٠٨ — ح : لا يقبل الله صلاة .

١٠٩ — ح : تمشون عليكم ـ فصلوا وما فاتكم فاقضوا .

١١٠ — ح : قالوا كيف .

١١١ — ح : لا يخطب أحدكم على .

١١٢ — ح : زاد في آخر الحديث بعد كلمة « واحد » ما يأتي : « حدثنا عبد الله قال سمعت أبي (أي ابن حنبل) يقول : قلت لعبد الرزاق : يا أبا بكر ، أفضل ! يعني هذا الحديث . كأنه أعجبه حسن هذا الحديث وجودته . قال : نعم . » .

١١٣ — ح : لم يسم خضراً إلا أنه جلس ـ خضراء والفروة الحشيش الأبيض وما يشبهه قال عبد الله هذا التفسير من عبد الرزاق .

١١٤ — ح : حذف كلمة « يعني ازاره » وحذف د كلمة « يعني » .

١١٥ — ح : حبة في شعرة .

١١٧ — ح : قال لا يقل ـ إني أنا الدهر .

١١٨ — ح : للمملوك أن يتوفى بحسن عبادة الله وصحابة سيده ـ كلمة « نعما له » مرة واحدة .

١١٩ — ح : من الصلاة ـ مناج لله .

١٢٠ — ح : ألفيت على نفسك ـ وحذف كلمة « يعني يوم الجمعة » .

١٢١ — ح : فأيكم ما ترك ـ فأنا وليه ـ فليرث ماله عصبته .

١٢٢ — ح : وارحمني ـ وارزقني ليعزم .

١٢٣ — ح : بها ولم يبن ولا أحد قد بنى بنياناً ـ ولا أحد قد اشترى ـ ينتظر أولادها ـ من القرية حين صلاة ـ أن تطعم فقال ـ قبيلتك فبايعته قبيلته قال فلصق بيد رجلين ـ فأكلته قال ـ ذلك لأن الله عز وجل * ب ، ح : يد رجل بيده قال ـ ثلاثة بيده قال .

١٢٤ — ح : الناس قال فأتاني ـ يدي ليرفه حتى نزع ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف قال فأتاني ابن الخطاب والله يغفر له فأخذها ـ فلم ينزع رجل حتى تولى الناس * ب ، ح : ابو بكر الصديق .

١٢٥ — ح : خوز وكرمان * ب : حمر الوجه فطس الأنف .

١٢٦ — رقمه في ح بعد ١٢٧ .

١٢٧ — رقمه في ح بعد ١٢٥ ـ ح : أقواماً نعالهم .

١٢٨ — ح : الشأن مسلمهم . (هو حذف كلمة « أراه يعني الامارة ») * ب : كافر تبع لكافرهم .

١٣١ — ح : ما كانت الصلاة وهي تحبسه لا يمنعه إلا انتظارها .

١٣٣ — ب ، ح : أنا اولى بعيسى .

١٣٤ — ح : إذا أوتيت بخزائن .

١٣٥ — ح : ليس واحد بمنجيه .

١٣٦ — ح : وقال نهى عن بيعتين ـ ونهى عن اللمس والنجش .

١٣٧ — ح : وقال العجماء ـ والمعدن جبار وفي الركاز الخمس .

١٣٨ — رقمه في ح بعد ١٠٢ وقبل ١٠٣ ـ ح : فأقمتم فيها فسهمكم فيها وأيما قرية .

سماعات في مخطوطة دمشق

١) كتب على لوح الكتاب ما يلي (والخط الفاصل يدل على السطر في الأصل) :

أ — « صحيفة همام بن منبه رحمه الله رواية معمر عنه ، / رواية عبد الرزاق عنه ، رواية أحمد بن يوسف / السلمي عنه ، رواية ابي بكر القطان عنه ، رواية/ الامام أبي عبد الله بن منده عنه ، رواية ابنه / عبد الوهاب عنه ، رواية الشيخ أبي الخير محمد بن / أحمد المقدر عنه ، رواية الشيخ الإمام الأجل / الأوحد الحافظ تاج الدين بهاء الاسلام بديع الزمان / ابي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي عنه / أصلحه الله ورضي عنهم أجمعين وسلم تسليماً كثيراً ، إلى يوم الدين » .

ب — وتحته : « سماع مالكه عبد الرحيم بن حمدان بن بركات ولله الحمد والمنة » .

ج — وتحته : « وقف نجم الدين أبو الحسن بن هلال أثابه الله ، / لله على جميع المسلمين بشرط أن لا يعار لأحد منهم إلا ... ... قيمته » .

٢) وفي آخر الكتاب ، على هامش الورقة ٩/ب ، سماع من أبي القاسم ابن عساكر ، صاحب « تاريخ دمشق » ؛ وهو في ثلاثة أسطر طوال وخمسة عشر قصار ، بخط مغربي فنقطة الفاء تحت الحرف والقاف لها نقطة واحدة فوق الحرف ، وقد كتب اسم « القاسم » و « خالد » بدون ألف . وهذا نصه : « [سم]عها من الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، ومن الشيخ أبي علي الحسين بن علي بن الحسن بن عمر بن علي / البطليوسي ، كليهما عن زاهر ، عن أبي بكر محمد بن القسم الصفار ، وأحمد بن علي بن عبد الله بن خلد ، وأبي الحسن / علي بن احمد بن محمد المامعي (؟ الغافقي) . وزاد الحافظ أبو القسم : وأنا أيضاً أبو الفضل محمد بن إسمعيل بن الفضيل الفضيلي / عن أبي سهل / عبد الرحمن ابن محمد / المالبقي ، كلهم / عن ابي طاهر محمد / ابن محمد بن كثير / عن أبي بكر

محمد/ابن الحصين القطان/ بسنده محمد بن/هبة الله الشيرازي/وابو البركات/ الحسن، وأخوه/أحمد ابنا محمد/ابن الحسن وآخرون/في شوال سنة تسع وخمسين وخمسمائة» .

٣) وفي أواخر عين الورقة سماع في ثلاثة أسطر وقد انمحى بعض الكلمات . وهذا نصه : «سمعها من أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المسعودي بقراءته جماعة، ومحمد بن أبي بكر بن احمد البلخي ، وذلك يوم الاثنين/ السادس من ربيع الآخر . سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وأبوالفرج نصر (؟) والمظفر بن أبي الفنون العتابي ، وابو الطاهر/إسمعيل بن ظافر بن عبد الله العقيلي ، ونبأ بن مكارم بن حجاج الحنفي ، وأبو محمد بن عبد المحسن بن ابراهيم الزجاج» .

٤) وفي الورقة ١٠/ألف سماع يحتوي على الصفحة بتمامها في (٢٤) سطراً ، مانصه : «بلغ السماع لجميع هذه الصحيفة وهي صحيفة همام بن منبه على الشيخ الفقيه الامام العالم تاج الدين بهاء المسلمين بدي[ع الزمان]/ أبي عبد الله محمد ابن عبد الرحمن بن محمد بن أبي الحسن المسعودي البندهي الخراساني أحسن الله عاقبة أمره بقراءته علينا من أصل[...]/ المنقول منه في المدرسة الناصرية الصلاحية خلد الله ملك واقفها بثغر دمياط حماه الله تعالى ، الأمراء والسادة الفقه[اء]/عماد الدين أبوالطاهر إسمعيل بن الأمير ظهير الدين ابو(كذا) اسحق بن الأمير ناصر الدولة متولي حرب الثغر المذكور يومئذ وا[...]/الأمير جمال الدين أبو الفضل موسى والفقيه الأجل الامام العالم فخر الدين أبوبكر بن موصلي بن مام بن حرب المارانى ا [...]/ مدرس المدرسة المذكورة بالثغر والقاضي الأعز ابو محمد عبد السلم بن جماعة بن عثمان ، وولد عثمان التنيسي ، والمعتمد[...] / عبد الغني بن اسمعيل بن ابراهيم ، وولده ابوالمنتصر عبد العزيز ، والعلس (؟) ابو علي الحسن بن القاضي جلال الدولة أبي البركات عب[يد ...]/ بن أحمد ، وولده أبو الفضل محمد ، وأخوه المختص ابو محمد عبد العزيز ، والفقيه

ابو محمد عبد الباقي بن جعفر التنيسي وأبو [٠٠٠] / ناصر بن صمصام بن سباع المؤدب ، وأبو الحسن علي بن معالي بن علي الدماطي [؟ الدمياطي] ، والفقيه الخطيب ابو القاسم عبد الرحمن بن [٠٠٠] / بن عبد الرحمن الدمياطي ، وأمير الملك ابو البركات عبد الرحمن محمد بن طلحة الدمياطي ، والعفيف ابو الفضل محمد ابن القاضي ا[٠٠٠] / ابو البركات محمد بن سليم ، وعبد الواحد بن اسمعيل ابن ظافر الدمياطي ، وعبد الله بن ابي الحسن بن علي بن أبي الرجا ، وال[قاضي] / ابو علي الحسن بن القسم بن عتيق (؟) التنيسي ، وعبد الرحمن بن احمد بن عبد الوهاب الدمياطي ، وصفي الدين ابو الفتح نص[ر بن] / مظفر بن الجلال الرحبي ، وفتح الدين عمر بن تميم بن احمد التميمي ، وولداه محمد وعبد الرحمن ، وابو الفتح محمد بن عبد ا[٠٠٠] / بن أحمد والخلص ابو محمد عبد الله بن القاضي ضياء الدين ابي القسم هبة الله بن احمد ، وعبد الوهاب بن محمد بن عبد ا [٠٠٠] / وابو الفضل طلحة بن القاضي النفيس ابي المعالي محمد بن حذيفة الدمياطي ، والرضى ابو الفضل رضوان بن سلمة المصري و [٠٠٠] / بن عبد الله الناصر ، وأبو المحرم مكي بن أبي نصر فتح بن رافع المصري ، وابو الفضل مرتضا بن ابي الحسين محمد بن علي الـ[٠٠٠] / التنيسي المالكي ، وعبد الغني بن عبد الرحمن بن صدقة الحلبي الدمياطي ، وابو المنصور وابو الحسين ولدا القاضي [٠٠٠] / صالح بن أبي كثير ، وناصر بن سالم بن ناصر ، ونصر بن كريم بن علي ، ومنصور بن علي بن حجاج الدمياطيون وابو الحرم مكى [بن ٠٠٠] بن الحلاوى البرار المقري ، وابو عمران موسي بن محمد بن محمد الدربندي ، وابو الحسن علي بن احمد بن طاهر المؤ[ذن] ، / وولداه محمد وعبد الوهاب ، وأخو المؤذن المذكور ، والفقيه النجيب ابو منصور فتح بن محمد بن علي بن خلف الشافعي ا [٠٠٠] / وولداه محمد وعبد الله ، ومسعود مملوك الفقيه المدرس المقدم ذكره . وكاتب هذا السماع مالك الجزء العبد الف[قير] / عبد الرحيم بن حمدان بن بركات الشافعي حامداً

لله تعالى ٠ وذلك في السادس والعشرين من ذى القعدة سنة سب[ع وسبعين]/ وخمسمائة ٠ وصح لجميعهم ذلك ٠ والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وسلامه ٠ فيه ملحق من محمد بن ٠٠٠٠ (؟) » ٠ وتحته خط عارض ٠ وتحت الخط : « صح سماعهم مني ٠ وكتبه محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي ولله الحمد » ٠

٥) وعلى الورقة ١٠/ب سماعات ٠ أولها : « سمع جميع هذا الجزء من أوله الى آخره على الشيخة الصالحة الصيّنة أم الفضـل كريمة بنت الشيخ الأمين / نجم الدين عبد الوهاب بن علي بن الخضر القرشية الزبيرية الأسدية صان الله قدرها باجازتها / من الشيخ الأصيل أبي الخير محمد بن الباغنان (؟) عن الإمام [ا] بن منده بقراءة الإمام العالم الفاضل/جمال الدين أبي العباس احمد بن ابي الفضائل ابن ابي المجد الدخميسي نفعه الله ، عمر بن محمد بن منصور / الأميني ٠ وهذا خطه عفا الله عنه ٠ وصح وثبت يوم الثلثاء سابع عشر شهر ربيع الأول سنة/ثلاث وعشرين وستمائة بمنزلهـا عمر بطول بقائها من درب المسك بدمشق ٠ والحمد لله حق حمده » ٠

٦) وتحته بخط أندلسي على يد البرزالي الإشبيلي : « سمع جميع هـذه الصحيفة على الشيخ الأجل المقرئ ابي عبد الله محمد بن ابي / بكر بن محمد البلخي لسماعه فيه صاحبها السيد الأجل العالم النبيه المتقن / ثقـة المحدثين كمال الدين ابو العباس احمد بن ابي الفضائل بن ابي المجد بن الدخميسي وفقه الله وإياي / والفقهاء نجيب الدين أبوالفتح نصرالله بن ابي العز بن ابي طالب الصفار ، وابومحمد عبد الواحد/ ابن عبد السيد بن ابي البركات الصقلي ، وإبرهيم بن عبد الله بن [؟ عثمان ، غسان] المازوني المغربي ، / ومحمد بن يوسف بن محمد البرزالي الإشبيلي بقراءته وهذا خطه يوم الأربعاء الثالث عشر من / شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وستمائة بزاوية ابن عروة من جامع / دمشق حماها الله والحمد لله وحده وصلاته على نبيه محمد وسلامه » ٠

٧) وتحته سماع نصه : «سمع جميع هـذه الصحيفة على الحافظ ابي محمد عبد القادر بن عبد الله الرهاوي نحو (؟ بحق) سماعه / من أبي الفرج مسعود بن الحسن الصيفي عن عبد الوهاب بن محمد بن يحيى بن منده عن أبيه محمد / بقراءة اسمعيل بن ظفر النابلسي ، يحيى بن [أ] بي منصور بن [أ] بي الفتح الصيرفي في آخرين / منهم مثبت الأسماء ابو منصور بن [أ] بي الفضل ابن [أ] بي محمد البغدادي وذلك في شهر ربيع الأول / سنة تسع وستمائة نقله من خطه مختصراً علي بن محمد بن عمر بن هلال الأزدي (؟) الأزدي (؟) » – لعل المراد سنة ٦٢٩ أو بعدها الى ٦٦٩ فان هذا السماع بعد سماع البرزالي من سنة ٦١٣ ، فلا يكون من ٦٠٩ كما في النص . والسماع التالي من ٦٧٠ من نفس الشيخ الرُّهاوي .

٨) وتحته سماع وهو آخر السماعات ، ما نصه : «قرأت جميع هذا الجزء على الشيخ الامام العالم العامل مفتي المسلمين أبي زكريا يحيى بن / ابي منصور بن أبي الفتح الصيرفي الجراز ، عرضاً بأصل سماعه من ابي محمد الرهاوي بسنده / فسمعني صاحبه الصدر الجليل نجم الدين أبو الحسن علي بن عماد الدين محمد بن عمر ابن هلال / الأزدي ، وعماد الدين عبد المحسن بن محمد بن احمد بن هبة الله ابن أبي جرادنا (؟) ، وعبد الرحمن / ومحمد ابنا عماد الدين محمد بن عبد الغفار ابن عبد الخالق الأنصاري ، ومحمد بن الشيخ ابراهيم بن / محمد القرمشك (؟) وجلال الدين إبراهيم بن اسمعيل بن مبارك الحلبي وآخرون على / الأصل . وصح وثبت عشية يوم الاثنين سادس ذي حجة سنة سبعين وستمائة وكتب / عبد الرحمن بن خميس (؟) بن يحيى بن محمد القرشي عفا الله عنه حامداً لله ومصلياً » .

وبه تمت المخطوطة

مخطوطة برلين

نقل كاتب نسخة برلين ما وجد في آخر المنقول منه . وهو كما يلي :

«صورة السماع :

«الحمد لله قرأت جميع هـذه الصحيفة على جدّي شيخ الاسلام الخطيبي الجمال ابي محمد عبد الله بن جماعة أدام الله رفعته ، وأجيز به عن العلامة ابي اسحق ابراهيم بن احمد بن عبد الواحد الشافعي ، إجازة عن القاسم بن محمود ابن مظفر بن عساكر ، وابي نصر محمد بن محمد بن محمد بن هبه الله بن مميل (؟ جهول) إجازة ، قال : انآ ابو الوفا محمود بن ابراهيم بن منده إجازة إن لم يكن سماعاً ، انآ أبو الفرج مسعود بن الحسن الثقفي كذلك ، انآ ابو عمرو عبد الوهاب ابن منده بسنده أول الجزء ، فسمعه سيدي والدي الخطيبي الإمامي العالم ابو اسحق ابراهيم بن المسمع ؛ وأخواه : شرف الدين موسى وبدر الدين محمد ؛ والاُخوان : العلامة نجم الدين محمد ومحبّ الدين أحمد ؛ والفضلاء : زين الدين عبد الكريم بن ابي الوفا ، وشمس الدين محمد بن الجمال يوسف بن الصفي ، وزين الدين عبد الرحمن بن احمد بن غازي ، وعلاء الدين علي بن خليل بن باقيس ، وبرهان الدين ابراهيم بن القاضي تاج الدين عبد الوهاب ابن قاضي الصلت ، وغرس الدين خليل بن القاضي شهاب الدين أحمد بن قطيبا ، وعلي ابن الحسن بن الوزان . وأجازهم المسمع لافظاً . وصح ذلك وثبت نهار الاُحد خامس عشر من ربيع الأول من سنة ٨٥٦ ، قاله وكتبه اسمعيل بن جماعة حامداً مصلّياً مسلّماً محَسبِلاً . وتحته بخط أغلظ منه ما صورته : صحيح ذلك كتبه عبد الله بن جماعة غفر الله له» .

اضافة

[قد بحثنا في الصفحة ١٠٥ من الجزء الأول من المجلد الثامن والعشرين عن صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص . وقد رآها تلاميذه عنده ، كما ذكر ابن منظور حيث قال في لسان العرب (تحت مادة ظ ه م) : وفي الحديث : قال : كنا عند عبد الله بن عمرو . فسئل : أي المدينتين تفتح أول ؟ قسطنطينية أو رومية ؟ فدعا بصندوق ظَهْم ـ قال : والظهم : الخَلَق ـ قال : فأخرج كتاباً فنظر فيه ، وقال : كنا عند النبي ﷺ نكتب ما قال ، فسئل : أي المدينة تفتح أول ، قسطنطينية أو رومية ؟ فقال رسول الله ﷺ : مدينة ابن هرقل تفتح أول . يعني القسطنطينية . قال الأزهري : كذا جاء مفسراً في الحديث ، ولم أسمعه ـ (يريد الظهم) ـ إلا في هذا الحديث» . وهذه الرواية تدل ان الصحابة ، سوى عبد الله بن عمرو أيضاً ، كانوا يكتبون ما يتكلم به النبي عليه السلام . وقد كان صدَق الأمين المأمون فيما قال إن « مدينه ابن هرقل تفتح أول » . وقال ذلك في حياة الامبراطور هرقل .] .

***

تذكرة المصادر

وبعد فمن واجبي أن أعترف بما استفدته مما كتبه الذين سبقوني في مسألة تدوين الحديث وتأريخه خاصة أستاذي الحاج السيد مَناظر أحسن الگيلاني رئيس شعبة الديانة سابقاً في الجامعة العثمانية بحيدر آباد الدكن ، والأستاذ محمد زبير الصديقي من جامعة كلكته . وأنا اذكر ههنا بعض ما كتب في هذا الموضوع باللغة الهندية فانه غير معروف عند إخواننا الناطقين بالضاد :

١ — تدوين حديث للسيد مناظر أحسن گيلاني :

المحاضرة الأولى المطبوعة في مجموعة تحقيقات علمية ، جامعة عثمانية ، ج ٨

المحاضرة الثانية 〃 〃 ج ١٠

المحاضرة الثالثة 〃 مجموعة مقالات حيدر آباد أكاديمي ج ٦

ولها بقية .

٢ — سيرة النبي لشبلي النعماني ، راجع مقدمة الجلد الأول .

٣ — خطبات مَدراس للسيد سليمان الندوي ألقاها في بلدة مدراس (خطبة في كتابة الحديث) .

٤ — تأريخ تدوين حديث لعبد السلام القدوائي الندوي .

٥ — كتابة أحاديث لمحمد زبير الصديقي ، المطبوعة في « معارف » (مجلة شهرية تصدر من أعظم گڑه مارس ١٩٥١) .

٦ — مقام حديث لمحمد علي اللاهوري .

(باريس) الدكتور محمد حميد الله

التعريف والنقد

فرج المهموم

في تاريخ علماء النجوم

لرضي الدين أبي القاسم علي بن موسى الشهير بابن طاووس

طبع في المطبعة الحيدرية بالنجف سنة ١٣٦٨ ﻫ في ٢٦٠ صفحة .

كان مؤلف الكتاب نقيباً للطالبيين في بغداد وتوفي فيها سنة ٦٦٤ ﻫ ونقل الى النجف . فهو إذن من كبار علماء الشيعة وكتابه هذا (يتضمن أن النجوم جعلها الله دلالات وهو سبحانه الفاعل المختار وانه علّم علمه ادريس ؏ وانتشر بعده في الزمن القديم والحديث في الأنبياء والأئمة والعلماء الاسلاميين وغيرهم من سائر الملل . ويتضمن الكتاب جملةً من إصابة المنجمين وكتبهم اﻫ) .

هذا ما قاله ناشر الكتاب في موضوع الكتاب . أما ما نقوله نحن في وصف هذا الموضوع فهو خرافة من خرافات الأقدمين . بنى عليها الصابئة دينهم الذي هو عبادة النجوم وتقديم القرابين لها واستنزال الرحمة منها . ونُسب الى ادريس لتزداد الفتنة . وتشيع الضلالة . وقد قمع الاسلام هذه الفتنة بثلاث كلمات مذ قال تعالى : (وبالنجم هم يهتدون) فكل ما ينفع البشر من هذه النجوم هو اهتداء المسافرين بها في ظلمات البر والبحر . وكم فتنة قمعها الاسلام وأبى المسلمون الاّ أن يحيوها . ويجددوا الشر بها . ويؤولوا لأنفسهم في هذا الإحياء والتجديد ما شاؤوا وشاء ذهولهم عن أوامر الدين . ففي فتنة النجوم والاستعانة بطوالعها . وتأميل الخير فيها . والاستعاذة اليها منها ـ يقولون ما قاله (اخوان الصفا) أخبث دعاة الضلالة الباطنية في كتابهم (مجلد أول) في فضل فوائد علم النجوم : وهذا لفظهم

(واعلم أيها الأخ أيدك الله وإيانا بروح منه أن في معرفة علم النجوم فوائد كثيرة في ما يكون في الحادث المستقبل والكائن من بعد أيام : فانه اذا علم الانسان ما يكون أمكنه حينئذ أن يدفعه عن نفسه أو بعضه لا بأن يمنع كونه . ولكن ليتحرز منه ويستعد له كما يستعد سائر الناس لدفع برد الشتاء بجمع الدثار ، ولحر الصيف باتخاذ الأماكن ، وللغلاء باتخاذ الغلات ولخوف العين بالصرف عنها الخ) . وهكذا من ضروب التأويل وأنواع التضليل يقولون هذا ولا يخجلون من قوله تعالى على لسان نبيه (ﷺ) : (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) ، وقال تعالى قبل هذه الآية : (من يضلل الله فلا هادي له) .

ومعظم ما في الكتاب من النقول والتأويلات مصدره علوم الباطنية وما كان من بابة كتاب (اخوان الصفا) ، وهو الكتاب الذي أصبح الغرض منه معروفاً وقد افتتن بهذا العلم بعض من كان عهدنا به من ذوي الألباب . لكن انخداع هؤلاء وهفواتهم لا ينبغي أن تكون حجة على عقلاء المسلمين الذين ثبتهم الله بالقول الثابت . وبقيت فتنة الاستيحاء بالتنجيم الى عهد قريب : الى عهد حروب ابراهيم باشا والعثمانيين في سورية ، وكان العثمانيون استعانوا برجل الحرب الكبير (مولتكه) الألماني واعتمدوا على معارفه في الظفر وكسب الحرب . حتى اذا حمي الوطيس في وقعة (نزيب) استحثهم مولتكه في إطلاق المدافع على العدو . فلم يفعلوا واستأنوه ريثما يأخذون الطالع . ويستشيروا النجوم اللوامع فكاد يجن جنون الرجل من بلادتهم وسوء تصرفهم . فانسحب من المعركة واجماً ناقماً . وهكذا خسر العثمانيون الحرب لا بشؤم الطالع . بل بشؤم الجهل ومخالفة الشارع .

هذا ما نقوله في تزييف موضوع الكتاب أما ما نقوله في نقوله التاريخية وقصصه الإخبارية . فهي غاية في الجودة وحسن الفائدة لدارس تاريخ الاسلام

وتطور عقلية المسلمين وأخبار فرقهم . ولا سيما الشيعة لمن يجهل أسرار أخبارها . وتراجم أئمتها . وكبار رجالها : ففي الكتاب من هذا القبيل فوائد تذكّرنا بالفوائد التي يتحسّسها القارئ في كتاب (نشوار المحاضرة) للمحسّن التنوخي ، ولا غرو فان مؤلف الكتاب استعان بنشوار المحاضرة ونقل جملة صالحة من أحد أجزائه التي ما زالت مفقودة ولم يعثر عليها مجمعنا كما عثر على بعضها وطبعه : وهو الجزء الحادي عشر . وبالجملة فانا نشكر لناشر الكتاب صنعه وندعو لمؤلفه ابن طاووس بالرحمة والمغفرة . ونلفت القراء الى مطالعة الكتاب فيقتبسون من فوائده وحسناته .

تسهيل العربية على المتعلمين

كتيّبان فيه

لا تنهض الأمم الا اذا نهضت لغاتها . ولذا نري فضلاء العرب يحرصون على النهوض باللغة لتنهض أمتهم . وتسعد أوطانهم . ويعترض نهوض اللغة أمران : صعوبة تعليم كتابتها على الأميين ثم صعوبة قواعدها على المبتدئين . ومن حسن الاتفاق أن يحمل البريد الينا كتيّبين لطيفي الحجم قد اشتركا في موضوع التسهيل كما اشتركا في الاسم أيضاً :

الكتيّب الأول : في تبسيط اللغة العربية واسمه (علاج الأمية في تبسيط الحروف العربية) ، ألفه الأستاذ (خالد محمد الفرج) من فضلاء الظهران وأهداه الى الأمير سعود ولي عهد المملكة السعودية . وقد طبع في مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٩٥٢ م في نحو خمسين صفحة . وقد أشار بطريقة لطيفة في تبسيط الكتابة العربية وتسهيل أمرها على متعاطيها والإبقاء على حروفها المتوارثة من دون اللجوء الى الحروف اللاتينية ، كما كتب الكثيرون غيره من الفضلاء

بحوثاً في هذا الموضوع ومعظمها قدّم الى (المجمع اللغوي المصري) لينظر فيها ويقرر أحقها بالقبول ، واننا نلفت نظر أساتذة التعليم وأنظار سائر من يعنيهم اصلاح الحروف العربية الى هذا الكتيب وبحثه الطريف .

***

الكتيب الثاني : في تبسيط قواعد العربية وتبويبها على أساس منطقي جديد ومؤلف هذا الكتاب الأستاذ أنيس فريحة في الجامعة الأميركية . بسط اقتراحه في تبسيط هذه القواعد وتسهيل تحصيلها على الطلاب في نحو مئة صفحة . وقد طبع على مطابع المرسلين اللبنانيين في (جونية سنة ١٩٥٢) وأهداه الى كل من يحب اللغة العربية ويُعنى بها وبتدريسها . فنشكر للمؤلف الفاضل عنايته وغيرته على لغته .

خالد بن يزيد الأموي

كتب الأستاذ (سعيد الديوه‌جي) كراسة حسنة الطبع والتبويب في زهاء خمسين صفحة ضمنها سيرة رجل من بني أمية هو أشهرهم في العلم . وكان العلم في ذلك العصر انما يُراد به القرآن وما روي عن النبي (ﷺ) من حديث أو خبر أو غزاة . أما العلم الذي اشتهر به ذلك الرجل المترجَم وهو (خالد بن يزيد بن معاوية) فهو الصنعة (أي الكيمياء القديمة) والطب والنجوم والآلات والصناعات ونحوها — ظهور شاب عربي في ذلك العصر القريب من عهد النبوة يولع بهذه العلوم — فيه شيء من الغرابة — كل ذلك أبانه المؤلف في رسالته وكشف عن أسبابه مستنداً الى الروايات والأخبار الصحيحة مستخرجاً لها من مصادرها الموثوقة . وقدّم للكلام على (خالد) مقدمةً تاريخية حسنة الإيراد . ثم أتى على ذكر الفتى العربي وعلمه ومؤلفاته وشعره وروايته للحديث ثم وفاته . وقد أحسن في ذلك كله . أحسن الله اليه .

المغربي

عبقرية العرب

في العلم والفلسفة

تأليف الدكتور عمر فروخ – الطبعة الثانية. بيروت ١٩٥٢

يقول المؤلف في كلمته الأولى : « ليست الغاية من هذا الكتاب أن يكون أحكاماً براقة ، وكلمات مرصوفة ، فيكون تمدحاً بالماضي ، وفخراً بالأجداد ؛ ولكن الغاية منه أن ندل على مكانة العرب بما نعرضه من آرائهم ومآثرهم ونظرياتهم » (ص ـ ٥) . لذلك اقتصر في بحثه على التعريف بآثر العرب في العلوم الرياضية ، والعلوم الطبيعية ، والفلسفة العقلية ، والفلسفة الاجتماعية . فجاءت أحكامه صادقةً عادلة ، ليس فيها تمدح زائد بالعرب ، ولا إنكار لقيمة انتاجهم العلمي والفلسفي .

ويظهر أن المؤلف لم يهدف في كتابه هذا الى الكشف عن حقيقة تاريخية جديدة ، أو تقرير رأي لم يسبقه اليه غيره ، وإنما أراد أن يكون كتابه في متناول القارئ العام ، يجد فيه ما لا يجده في الموسوعات الكبرى من المعلومات الجامعة ، والحقائق الشاملة . وهو في ذلك يقول : « إن هذا الكتاب سيصل الى أيدٍ كثيرة قد لا تحتمل التعمق في مثل هذه الموضوعات . ولو أنني جهدت كثيراً أو قليلاً لتبيان فضل العرب في حساب سير القمر واختلافه ، وأثبتُّ ذلك بالمعادلات الجبرية وبحساب المثلثات ، ثم سرت هذه السيرة في الطب والهندسة والموسيقى والمنطق والجغرافية والبناء وعلم الحيوان وفلسفة ماوراء الطبيعة ، لضاق هذا الكتاب بتلك السيرة ، وخرج عن الغاية المقصودة منه جملة واحدة » (ص ـ ٦) .

ولكن هذا الإعراض عن التعمق في البحث لا يبخس الكتاب

حقه ، لأن تنسيق الحقائق العامة ، كثيراً ما يكون أصعب من التعمق في تحليل الحقائق الجزئية . ومن شرط هذا التنسيق أن تمحص الأقوال فلا تطلق جزافاً ، وأن تكون الأحكام العامة التي اشتمل عليها صادقة .

وقد تم ذلك كله للمؤلف فرسم لنا في كتابه صورة صادقة للجهود التي بذلها أجدادنا في ميدان العلم والفلسفة . فالشكر له على إحيائه تراثهم ، وعلى تعريفه النشء بقيمة إنتاجهم .

الدكتور جميل صليبا

التبشير والاستعمار في البلاد العربية

عرض لجهود المبشرين التي ترمي الى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي

تأليف

الدكتور مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ

بيروت : ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م

لو ألف هذا الكتاب مسلم متعمم لوصموه بأنه مؤلف متعنت ، ولو كانت مراجعه المؤلفات العربية لقيل بأنه مبالغ في وصفه ، ومغال في نقله ونقده ، ولكن المؤلفين الكريمين من متخرجي الجامعة الأميركية في بيروت ، وكان الدكتور الخالدي أستاذاً فيها ، والدكتور فروخ عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وقد ألفا هذا الكتاب بعد أن وقفا على دقائق حركات المبشرين وأعمالهم ، وشهدا مارسموه من خطط في جمعياتهم وجامعاتهم ، لإذلال الشرق وأهله ، وقدما هذا الكتاب الى كل شاب وشابة في الشرق كله ، وذكرا في الطليعة المصادر فبلغت نحو مائة مصدر ومرجع ، عدا ما زيد عليها في الحواشي ، وعللا اقتصارهما على الكتب الأجنبية ـ نقلاً منها وعزواً الى مجلداتها وصفحاتها ـ

حقه ، لأن تنسيق الحقائق العامة ، كثيراً ما يكون أصعب من التعمق في تحليل الحقائق الجزئية . ومن شرط هذا التنسيق أن تمحص الأقوال فلا تطلق جزافاً ، وأن تكون الأحكام العامة التي اشتمل عليها صادقة .

وقد تم ذلك كله للمؤلف فرسم لنا في كتابه صورةً صادقة للجهود التي بذلها أجدادنا في ميدان العلم والفلسفة . فالشكر له على إحيائه تراثهم ، وعلى تعريفه النشء بقيمة إنتاجهم .

الدكتور جميل صليبا

التبشير والاستعمار في البلاد العربية

عرض لجهود المبشرين التي ترمي الى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي

تأليف

الدكتور مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ

بيروت : ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م

لو ألّف هذا الكتاب مسلم متعمم لوصموه بأنه مؤلف متعنت ، ولو كانت مراجعه المؤلفات العربية لقيل بأنه مبالغ في وصفه ، ومغال في نقله ونقده ، ولكن المؤلفين الكريمين من متخرجي الجامعة الأميركية في بيروت ، وكان الدكتور الخالدي أستاذاً فيها ، والدكتور فروخ عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وقد ألّفا هذا الكتاب بعد أن وقفا على دقائق حركات المبشرين وأعمالهم ، وشهدا ما رسموه من خطط في جمعياتهم وجامعاتهم ، لإذلال الشرق وأهله ، وقدّما هذا الكتاب الى كل شاب وشابة في الشرق كله ، وذكرا في الطليعة المصادر فبلغت نحو مائة مصدر ومرجع ، عدا ما زيد عليها في الحواشي ، وعللا اقتصارهما على الكتب الأجنبية ـ نقلاً منها وعزواً الى مجلداتها وصفحاتها ـ

بقولها : لأن المهم أن نرى ما يقوله الأجانب لأنفسهم عنا ، لا أن نرى ما نقول نحن عن أنفسنا ، وقد أثبتنا الشواهد من كتب المبشرين المعروفين ، ومن الكتب التي تصرح بغاياتها تصريحاً لا التواء فيه ولا غموض » فموقف الأستاذين في مؤلفهما هذا ، هو موقف المؤرخ المنصف الذي يسجل الحوادث وهو يتلو الآية الكريمة : «اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا» .

قرأت هذا الكتاب البالغ (٢٢٤ صفحة) فوجدت أن عناوين فصوله العشرة المجملة ، لا تغني عن الوقوف على مباحثه المفصلة ، ففيها بيان ما يبيّته دعاة التبشير والتنصير ، بالتعاون مع الدول التي تمدهم بالمال والرجال ، وفيها أن هؤلاء المبشرين ، باعوا أنفسهم وغيرهم للاستعمار ، وأن أميركة قد غطت نصف الأرض بالمبشرين ، عدا بعثات التبشير الأوربية ، وأن دينهم يخدم سياستهم ، وأن التبشير مشروع بابوي وبروتستانتي أميركي ، وجامعة القديس يوسف في بيروت جامعة بابوية .

وفى «التبشير» تاريخ تأسيس المبشرين الأمريكان لمدارس عبيـة وصيدا وبيروت واستانبول ، ووصف الجامعة الأميركية في بيروت بهيئاتها ورؤسائهـا واحداً واحداً ، وأنهم كلهم مبشرون ، وقد برهن هذا الكتاب في الفصـل الخامس الذي عقده لبيان التعاون بين التبشير والسياسة ص ١١٥ : أن رجال الدين الأجانب هم المسؤولون عن نكبات الشرق السياسية والخلقية ، وعن الفتن التي كانت تثور بين أهل الأديان والمذاهب ، وفي هذا الفصل قولهم : «ألم نكن نحن ورثة الصليبيين ، أو لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب المسيحي ؟ . (Les Jesuites en Syrie 10 : 8) ولا غرو فالمبشر يسبق الجيش الى كل مكان (ص ١١٧) وفيه : الحصار العسكري وإبعاد المسلمين عن الشواطئ ، وكذلك لما أعطت هيئة الأمم فلسطين لليهود ، نفذت جزءاً من هذه المؤامرة الخطيرة ، فأخلت الشواطئ من العرب المسلمين ، ثم قذفت بهم إلى داخل البلاد ،

والى ما وراء نهر الأردن ص ١٣١ » ، فتنة عام الستين وأسبابها ونتائجها ، تبديل دين الرعايا المسلمين ، التبشير في قلب بلاد العرب ، الظهير البربري في مراكش ، التعاون الوثيق بين فرنسا والولايات المتحدة على التبشير والتنصير ، طرد اليسوعيين من الممالك الأوربية ، التبشير الكاثوليكي والانكلو أميركي والأرثوذكسي والدول الأجنبية ، التبشير يتعاون مع الصهيونية ، زعيم الحركة الرامية الى الكتابة بالعامية ، وبالحروف اللاتينية ، (كل هذه القضايا : « التبشير والتنصير والاستعمار ، وإفساد اللغة العربية » بالنسبة لنا معشر العرب والمسلمين ، قضية بقاء أو فناء ص ٢٢٤) وبهذا ختم الكتاب .

أقول : هذه عناوين قصيرة من مباحث كثيرة تضمنها كتاب (التبشير والاستعمار) وهي نُذُر لويلات يصبها الغرب على الشرق كله ، لا سيما الإسلام وأهله ، وقد جاء في هذا الكتاب قوله : « ومع كثرة المنافسة بين فرق المبشرين المختلفة في التعليم وغير التعليم ، فان هذه الفرق كلها اتفقت على المسلمين ، ففي عام ١٩١٢ كان في سورية كلها ثمان وثلاثون مؤسسة تبشيرية ما بين انكليزية واسكوتلندية وإيرلندية وألمانية وسويدية ودانيماركية وأميركية طبعاً ، لها مدارس كثيرة ، وقد كانت كل هذه المؤسسات مع تضارب سياساتها ، ومع كل ما بينها من التنافس متفقة على وضع التوراة في العربية بين أيدي الطلاب على أنه كتاب تدريسي أساسي ، ولقد اتفقت المؤتمرات المحلية التي عقدت عام ١٩٢٤ في القدس ، وبرمانا (لبنان) وقسنطينة (الجزائر) وحلوان (مصر) وفي بغداد ، على التعاون بين المبشرين كلهم ، للوصول إلى أهدافهم في العالم الإسلامي ، والتبشير من طريق التعليم ، مقصود به المسلمون خاصة ، اهـ ص ٧٨ » .

علمنا مما قرأنا ورأينا مقاصد المبشرين ومحاولة إخراج الناس عن دينهم بوسيلة التعليم ، حتى ان المستر بنروز رئيس الجامعة الأميركية الجديد بقوله :

«ولقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها في سعيهم لتنصير سورية ولبنان» واعتمدوا في مدارسهم العهدين : القديم والجديد ، أو التوراة والانجيل (ص ٦٧) ومن أولى غايات الجامعة أن تعلم الحقائق الكبرى التي في التوراة (ص ١٠٩) .

وبعد فهذا الكتاب هو الوحيد من نوعه ، في ما تضمنه من حقائق ، وكشفه من غوامض ، فليتدبر الجيل الجديد أمره ، وليتق في أمته وبلاده ربه ، وإنا لنشكر الدكتورين المجاهدين ما بذلاه من جهد ، وما قاسياه من عناء في هذه السبيل ، أثابهما المولى ثواب العاملين المخلصين .

وقد رأينا بعض هنات هينات من سهو القلم أو الطبع ، واكتفينا بتصويبها مع الاشارة الى صفحاتها لنستدرك في الطبعة الثانية ، وهذه هي :

ص ٣ : إلاّ الى ، ص ٩ : لا قيمة لها ، ص ١٦ : فإن المبشرين ، ص ١٧ : كيما يستطيعوا ، ص ٥١ : وأساس متين ، ص ٥٥ : في حاشية ، ص ٥٥ : فإن اليسوعيين ، ص ٧٠ : أرفع من أن ، ص ٧٣ : قد جاء إلى بلادنا ، ص ٨٧ : لاكتساب نفوس ، ص ٩٢ : يتفاوتون ، ص ١٢٦ : لا الراهبات ، ص ١٣٠ : إبعادهم عن الشواطئ ، ص ١٣٦ : لم يكونوا فقط الصواب : في امبراطوريتها فقط ، ص ١٥٣ : أن يكون هؤلاء الموظفون ، ص ١٥٨ : أن يكون لهذا العيد طابع خاص ، ص ١٨٤ : يتمكن بها الأوربيون .

الأسرة في الشرع الاسلامي

مع لمحة من تاريخ التشريع الى ظهور الإسلام

هذا كتاب للمؤلف الباحث الدكتور عمر فروخ ، وقد جاء في أوله ما نصه : « ليس هذا الكتاب للعلماء ولا للباحثين ولا للقضاة أو المحامين ، ولكنه للقارئ العام الذي انقطعت الصلة بينه وبين موضوع التشريع للأسرة وأحوالها » .

والذي نراه أنه لجميع هذه الأصناف ، فهو يذكرهم ما نسوه من موضوع التشريع العام ، ويعلمهم ما جهلوه منه ، وقد صدّر كتابه بمقدمة ومباحث أربعة ، وصف فيها التشريع عند الأمم القديمة من أهل الملل السماوية وغيرهم . كالبابليين والحورابيين والآشوريين والعبرانيين ، وكأهل الانجيل والهنود والصينيين والإيرانيين ، وكاليونان والرومان والبيزنطيين ؛ ثم ذكر الشرع العربي في العصر الجاهلي ، وفي ص ٣٨ : بدأ التشريع في الإسلام وأدلته الأربعة وهي : القرآن الكريم ، والسنة القوليـة والعملية ، والإجماع ، والقياس ، وأتى بالحجج الفرعية الخلافية كأعمال الصحابة ، والاجتهاد ، والعرف والعادة ، وبعد هـذه السبعة ، جاء بالدليل الثامن وهو ما سماه : الخير الاجتماعي الذي أوضح فيه أن الشرائع وسائل إلى إقرار العدل بين الناس ، لا أداة لاستعبادهم ، وهي مبنية على العقل والمنطق ، لا على الاستبداد والهوى ، وذكر هنا ما اشتهر بالاستحسان والمصالح المرسلة والاستصحاب ، ثم ترجم للأئمة المجتهدين أصحاب المذاهب الأربعة ، وغيرهم كالمذهب الشيعي الاثني عشري ، وهو مذهب الإمام جعفر الصادق ابن الإمام علي المعروف بزين العابدين ، وكالمذهب الزيدي لأخيه زيد بن زين العابدين ، ثم انتقل الى المذاهب الباطنية ، كالمذهب الاسماعيلي الذي يمثله الآن آغا خان الشهير ، وكالمذهب الدرزي الذي كان يمثله الحاكم الفاطمي الذي خلف أباه العزيز في القاهرة نحو سنة ٣٨٦ هـ ، وعندهم أن الإمام

يضع الشريعة ، والدعاة يفسرونها ، والإمام قد احتجب سنة ٤١١ ﻫ ، ثم لم يكن بعده إمام عندهم . وهنا (ص ٧٧) شرع المؤلف الباحث في بيان «أحوال الأسرة» التي هي أساس المجتمع ، وفي الزواج الذي هو أساس الأسرة ، فتكلم على مايسمى « بالأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية » كالزواج وموانعه ، ومنها قوله (في حاشية ص ٨٢) : فما رأي الفقهاء في اليهوديات اليوم ، بعد أن عاد اليهود علناً الى عداء الإسلام ؟

أقول : ومثلهن الأجنبيات اللواتي يحملن أطفالهن على الكفر بالعروبة والإسلام ، وذكر تعدد الزوجات وضروراته ، والمهر أو الصداق من الزوج ومشروعيته ، والمتعة عند الشيعة ، ثم النسب والبنوّة ، واللقيط وأحكامه ، والحضانة ومدتها ، والنفقة ومقدارها ، والولاية والأحق بها ، والوصاية وأعمالها ، والبلوغ والرشد وحق التصرف ، والحجر وأسبابه ، والهبة وجهاتها ، والوصية وشروطها ، وكالطلاق وأقسامه وأحكامه ، والصحيح منه وخطواته ، والباطل منه وتبعاته ، وعدة الطلاق والوفاة ، والمريض وتصرفاته ، ثم كان الختام في الكلام على الفرائض والمواريث الى ص ١٨٨ وهي آخر الكتاب ، وقد فُصّلت هذه الأبواب كلها على ما تقدم من المذاهب السنية والشيعية ، والاسماعيلية والدرزية .

ولو كان لنا ــ معشر المسلمين ــ مثل همة دعاة التبشير والتنصير ، لرددنا أهل المذهبين الأخيرين الباطنيين إلى أحضان أمهم الاسلامية ، وعلى كل فقد أحسن زميلنا الدكتور كل الإحسان ، في بيان هذه المذاهب والأحكام ، ويسّرها لمحبي الاطلاع فجعلها منهم على طرف الثمام .

ولنا ملحوظات مطبعية وغيرها يجري مثلها في كل كتاب ، وإليك تصويبها : في حاشية ص ١٣ : « وكتبنا عليهم » ، وفي حاشية ص ٣٤ : « ظن الجاهلية »

وليس في الآية لفظ «الأولى» . وفي ص ٥١ س ٣ : مسعود ، (زيدت ياء في آخره) ، وفي ص ٦٧ : ملازماً مالكاً (وكتب: مكة) ، ص ٨١ :المطلقة أو المتوفاة ، ص ٨٣ س ١١ : أحدهما ، ص ٨٩ : شرع فقط للضرورة ، والصحيح : شرع للضرورة فقط ، وهذا التصحيح يجري في ص ١٠٩ و ص ١١٤ من أمثالها ، في آخر ص ٩٥ : «ما وراء ذلكم» ، ص ١٠٦ : ولا تضار الصواب : «لا تضارّ» ، ص ١٣٤ : أن يكونوا ، ص ١٤٢ : ثمت أسباب ، ص ١٥٨ : بالغاً ما بلغ ، آخر ص ١٥٩ : التلاوة «من سمعته» ، ص ١٦٠ : من كان «منكم» . وقد جاء في باب : كيف تقسم التركة (ص ١٧٢) : ب — إذا كان له نسل أو إخوة : لأبيه السدس ، ولأمه السدس أيضاً» والمعروف أن الأب يحجب الإخوة حجبَ حِرمان ، من أي جهة كانوا ، فلا يرثون معه من أخيهم شيئاً .

محمد بهجة البيطار

سر الزخرفة الاسلامية

لمؤلفه السيد بشر فارس طبع في القاهرة سنة ١٩٥٢

هي نص محاضرة ألقاها الأستاذ المؤلف في المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة وفي متحف اللوفر بباريز . وقد حاول في هذا التمهيد الذي كتبه باللغتين العربية والفرنسية أن يعرض على الجمهور ما سنح لفكره عن منهل الزخرفة الاسلامية وخصائصها . وكان موفقاً في بحثه رغم استرساله في التحليل الفلسفي والديني فقيد بها حرية الصانع المسلم التي فطر عليها وانبثق فنه منها .

وقد عالج الأستاذ في بحثه هذا تحريم التصوير في الاسلام وأورد شواهد ونصوصاً جديدة تدعم ما ذهب اليه القائلون بجواز التصوير ، منها قول ابي علي الفارسي وهو من أهل المئة الرابعة يشهد بأن تحريم التصوير في الاسلام مقيد ،

وليس في الآية لفظ «الأولى» . وفي ص ٥١ س ٣ : مسعود ، (زيدت ياء في آخره) ، وفي ص ٦٧ : ملازماً مالكاً (وكتب: مكة) ، ص ٨١ : المطلقة أو المتوفاة ، ص ٨٣ س ١١ : أحدهما ، ص ٨٩ : شرع فقط للضرورة ، والصحيح : شرع للضرورة فقط ، وهذا التصحيح يجري في ص ١٠٩ و ص ١١٤ من أمثالها ، في آخر ص ٩٥ : «ما وراء ذلكم» ، ص ١٠٦ : ولا تضار الصواب : «لا تضارّ» ، ص ١٣٤ : أن يكونوا ، ص ١٤٢ : ثمت أسباب ، ص ١٥٨ : بالغاً ما بلغ ، آخر ص ١٥٩ : التلاوة « من سمعته » ، ص ١٦٠ : من كان «منكم» . وقد جاء في باب : كيف تقسم التركة (ص ١٧٢) : ب — إذا كان له نسل أو إخوة : لأبيه السدس ، ولأمه السدس أيضاً» والمعروف أن الأب يحجب الإخوة حجبَ حِرمان ، من أي جهة كانوا ، فلا يرثون معه من أخيهم شيئاً .

محمد بهجة البيطار

سر الزخرفة الاسلامية

لمؤلفه السيد بشر فارس طبع في القاهرة سنة ١٩٥٢

هي نص محاضرة ألقاها الأستاذ المؤلف في المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة وفي متحف اللوفر بباريز . وقد حاول في هذا التمهيد الذي كتبه باللغتين العربية والفرنسية أن يعرض على الجمهور ما سنح لفكره عن منهل الزخرفة الاسلامية وخصائصها . وكان موفقاً في بحثه رغم استرساله في التحليل الفلسفي والديني فقيد بهما حرية الصانع المسلم التي فطر عليها وانبثق فنه منها .

وقد عالج الأستاذ في بحثه هذا تحريم التصوير في الاسلام وأورد شواهد ونصوصاً جديدة تدعم ما ذهب اليه القائلون بجواز التصوير ، منها قول ابي علي الفارسي وهو من أهل المئة الرابعة يشهد بأن تحريم التصوير في الاسلام مقيد ،

إذ يجرى حكمه عند اجماع العلماء في عهده «على من صور الله تصوير الأجسام»، فمن صنع غير ذلك «لم يستحق الغضب من الله والوعيد عند المسلمين». وقال الفارابي الفيلسوف: «ان المصورات شريفة الوقع في الخاطر جليلة النفع للنفس أحياناً». وقال الجاحظ في كتاب (الحيوان): «ان الفنان المسلم اذا تخيل صوراً مستطرفة فكأنه يلمح بلحظ الغيب الى ما يخلقه الله العلي القدير من أشكال لم يبلغ اليها علم».

وهذه نصوص صريحة تطلق نهضتنا الفنية من عقال فرضه عليها المتشددون في مصر وفي الشام خاصة وظلت فارس بنجوة من حرج التحريم فمضت تنعم برياض الفن الطليق.

وقد أثبت المؤلف في نهاية هذا البحث القيم مسرد الألفاظ التي استخرجها بالمطالعة والتنقيب من كتب العرب والمستعربين وكذلك الألفاظ التي استنبطها باجتهاده، وقد رأيت عرضها على القراء لأجل التيسير والتنقيح.

١ — الفلسفة وما اليها

تأثر	émotion	محال	invraisemblable
توقان	aspiration	حيز	espace
تجريدي	abstractif	خلاء	vide
أجل	auguste	تخيُّل	fiction
تحرُّج، تحمُّس	rigorisme(religieux)	تدبير (٢)	calcul
إحساسة	sensation (une)	تدرُّج	hiérarchie
حصَّر (١)	obséder	اندفاع	impulsion
(الحقيقة) الحاصلة	réalité	دقيقة	nuance
محصَّل	réalisé	مركَّبات	composantes

رهيف	subtil
سَرَحان	rêverie
سَنِي	sublime
سارٍ [3]	diffusé
تسايل	fluidité
تصوُّر (الإدراك المعنوي)	conception
متطابق (هو هو) [4]	identique
طاقة	potentiel
عبث	caprice
اعتباطاً	gratuitement
العَرَضي	l'accidentel
فطرة (غامضة)	obscure (disposition)
مستغلِق	impénétrable
غاية	fin
فضول	surplus
انفعالي	passif
فكّك	désintégrer
مقصِد	intention
كون	existance
لحظة	instant
لمحة	vision (du peintre)
لائحة	vision (apparition)
تمثُّل	représentation
مزاج	tempérament
ممتنع	impossible, irréalisable
متمايز	distinct
منحى	discipline (méthode)
منزع	tendance
متناه	fini
هِزّة	enthousiasme
هلع	inquiétude
وجوب	nécessité
وَله	exaltation

٢ — التصوير

أداء	rendu
أسلوب [5]	formule
بَتَر الشكل	amputer la forme
مبسوط	plat
مبتكر	original
بنية	srtucture
(خط) مُشْتَبِج	indéchiffrable (écriture)
انثناءة	ondulatioin (une)
(الفن) المجرد	abstrait (l'art)
جسّة	touche

جسّم	modeler
(صِبغ) محبَّب	granuleux
احتذى	imiter
استحضار	evocation
تحويل	transmutation
خَرْجة	saillie
خلْع الشكل	désarticuler la forme
خَيْط	lacel (arabesque)
خيالة[6] =(شخص)	figure (personnage)
دنيوي	profane
ترتيب	ordonnance
مرتَجَل	improvisé
رَصْف	agencement
تراصُف [7]	symétrie
رَقْش	arabesque (art de l')
رقشة	arabesque(une)
ترقين	enluminure (art de l')
ترقينة	enluminure (une)
رَمْي	jet (arabesque)
(فنّ) ترويح	agrément (art d')
رواق [8]	arcade
زخرف	ornement
تزويق	illustration
مسبوك	coulé

سطح	surface
مسطور	tracé (écriture)
ساحة (التنميق)	champ (à dècorer)
مساق	courant
مستوى	plan
إشباعُ (اللون)	saturation (couleur)
اشتباكة	entrelacs
تشكُّل	plastique
صِبغ	teinte
اصطراف	transposition
صلابة	roideur
صَنعة	technique
صيغة	motif
طريقة	procédé
مطلب	thème
تطوُّس	chatoiement
أطواء ، مكاسر (الثوب)	plis
اعتدال	équilibre
(أطواء أو حروف) معرَّجة	tourmenlés (blis ou lettres)
عصاب	bandeau
فجاجة (اللون)	crudité (d'une couleur)
(فنّ) فاخر	somptuaire (art)

إفريز	frise	نتوء	relief
اقتضاب	stylisation	مناسبة	proportion
لدونة	flexuosité	نَسْج	texture
لطخة	empâtement	نقّش	colorer
اللواحق	l'accessoire	نمط	manière
لون	couleur	تنميق	dècoration
مَسَخ	dèfigurer, dénaturer	مُنمّق	dècor
مستملح	gracieux	منمنمة	miniature
مأْس	lisse	نَمْج	schème
مهاد	fond	وثبة	ressaut
مار (اللون)	flotter (couleur)	توازن (٩)	balancement
موّه	maquiller	يُبس	hiératisme
نَبْرة	renflement		

واني أقترح في ترجمة بعض الاصطلاحات الآنفة الذكر التعديلات الآتية التي ظهر لي أنها أوفى بالمعنى ٠

١ — حصَر : limiter أو restreindre بدلاً من obséder ٠

٢ — تدبير : meoure بدلاً من calcul ٠

٣ — سار : propagé أو répandu بدلاً من diffusé ٠

٤ — متطابق : كلمة مماثل أوفى لمعنى identique ٠

٥ — أسلوب style بدلاً من formule ٠

٦ — خيالة وخيال : يقابلها silhouette أما figuer يقابلها سيما أو خلقة ٠

٧ — تراصف : أقترح بدلاً منها كلمة متناظر بمعنى symétrie ٠

٨ — رواق : portique بدلاً من arcade ٠

٩ — توازن : équilibre بدلاً من balancement ٠

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا

لتقي الدين احمد بن علي المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

نشره وحققه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه الدكتور جمال الدين الشيال مدرس التاريخ الاسلامي بجامعة الاسكندرية . عدد صفحاته (٣٩٠) صفحة من قطع المتوسط طبع في القاهرة .

ان من عرف كتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) الذي خلد فيه المقريزي وصف ما كانت عليه في أيامه أمهات المدن المصرية وما كان يكتنفها من خطط وحارات وشوارع وأزقة وأسواق . وخص فيه ما بديار مصر من الآثار الباقية ، عن الأمم الماضية والقرون الخالية ، يعرف من خلاله ما يتحلى به هذا المؤلف من علم وتدقيق في تقصي الأخبار .

أراد المقريزي أن يكتب تاريخ مصر السياسي فقسمه عصوراً ثلاثة وخص كل عصر منها بكتاب . الأول (عقد جواهر الاسفاط في أخبار مدينة الفسطاط) يبدأ من الفتح الاسلامي وينتهي في عهدي الطولونيين والاخشيديين وهو غير مطبوع . والثاني (السلوك لمعرفة دول الملوك) وفيه أخبار الدولة الأيوبية ومن جاء بعدها وقد طبع أكثره ، والثالث هو هذا الكتاب الذي قدمه للقراء الدكتور جمال الدين الشيال بعد أن حققه ونشره نشراً علمياً وعلق عليه .

وقد نشر للمرة الأولى هذا الكتاب المستشرق هـ بنز (H. Bunz) في سنة ١٩٠٩ عن النسخة الوحيدة والناقصة المحفوظة في خزانة غوتا في المانيا وهي بخط المؤلف ، وجاءت طبعته هذه مملوءة بالأخطاء المطبعية وفيها تشويه لبعض مواضع النص وهي الى هذا أيضاً أصبحت عزيزة الوجود .

وهذا ما حمل الأستاذ المحقق الى اعادة طبع هذا الكتاب وتصحيح أخطاء الطبعة الأولى بالرجوع الى جميع الأصول التي أخذ عنها المقريزي ، وقارن

بينها مقارنة دقيقة ، وأثبت في الهوامش نتائج هذه المقارنة ، فضمن بذلك الفائدة المتوخاة من اعادة نشر هذا الكتاب .

ويتضمن هذا السفر تاريخ الدولة الفاطمية منذ قيامها في المغرب الى فتح مصر وتأسيس مدينة القاهرة ، ويتحدث المؤلف عن جهود الدعاة الأوائل كأبي سفيان والحلواني وهجرة عبيد الله المهدي من سلمية بالشام الى المغرب ، ونظم فيه أيضاً ثبتاً كاملاً لأولاد علي بن أبي طالب من نسل الحسن والحسين ، كما بحث مشكلة النسب الفاطمي وتسليمه بصحة نسبهم ، وعقد فصلاً خاصاً أرخ فيه للقرامطة وخطرهم وتنذاك على مصر .

وقد ألحق الأستاذ المحقق بهذا الكتاب عدداً من الملاحق نقل فيها تراجم من ضاعت في الأصل سيرهم من الخلفاء الفاطميين نقلاً عن كتاب المؤلف (المواعظ والاعتبار) وهو مختصر (اتعاظ الحنفا) ليكون بين يدي القارئ نصاً كاملاً لتأريخ الفاطميين جميعاً بقلم المقريزي نفسه ، وأضاف الى هذه الملاحق ثلاثة جداول فيها أسماء الخلفاء الفاطميين وتأريخ توليهم الخلافة وصلة القربى فيما بينهم وأسماء وزرائهم ومدد توليهم الوزارة . ونظم في نهاية الكتاب فهارس تضم موضوعات الكتاب وأسماء الجماعات والأعلام والأماكن والأديان والمصطلحات التاريخية سهل بها على القارئ والباحث الرجوع الى الموضوع الذي يريده في أسرع وقت وأيسر جهد .

وقد أضاف الدكتور الشيال الى مأثرته الأولى بنشره كتاب (نحل عبر النحل) هذه المأثرة الجديدة التي يحمد عليها ويشكر .

تاريخ جرجان

أو كتاب معرفة علماء أهل جرجان لأبي القاسم حمزة بن يوسف
ابن ابراهيم السهمي المتوفى سنة ٤٣٧ ﻫ

عني بتصحيحه وتهذيبه الشيخ عبد الرحمن اليماني اعتماداً على النسخة المخطوطة الوحيدة المحفوظة في خزانة كتب جامعة اكسفورد وتاريخ نسخها عام ٦٨٩ ﻫ . ويقع الكتاب في (٥١٨) صفحة من قطع الوسط مضاف اليها الفهارس ، طبع في حيدر آباد الدكن سنة ١٩٥٠ .

إن مؤلف هذا الكتاب هو من أئمة الحديث حفظاً ومعرفة واتقاناً وعده البعض من أئمة الجرح والتعديل ، ترجم له ابن السمعاني في الأنساب ، وابن عساكر في تاريخه ، وياقوت الحموي في معجمه ، والذهبي في تذكرة الحفاظ ، وابن العماد في الشذرات ، ونقل عنه الكثيرون منهم ابن ماكولا والسمعاني وابن الجوزي والذهبي والسبكي وابن حجر وغيرهم .

يحتوي هذا الكتاب على تاريخ فتح جرجان ونواحيها وأخبار من دخلها من الصحابة والتابعين وذكر أسماء من ولي أمرها في زمن خلفاء بني أمية والعباسيين ، وعدد خطط مساجدها مما لا نجده في غيره من المراجع . وقد جمع فيه سير من حدث فيها من العلماء ومن بين هؤلاء طائفة من فقهاء الحنفية والشافعية فاتت أخبارهم أصحاب الطبقات ، وقد أخرج عن كل من ترجم له في كتابه حديثاً أو رواية منها ما هو ضعيف جداً أو منكر ، سكت المؤلف عن بعضها ولم يشر لغرابتها وبطلانها ، من ذلك ما حدث به في (ص : ٤٦) احمد بن عبد الرحيم الجرجاني عن ابن عباس بقوله : «ان الله طهر قوماً من الذنوب بالصلعة في رؤوسهم وان علياً لأولهم» . وقد استدرك الأستاذ المحقق ما فات المؤلف ونبه في تعليقاته القيمة الى أكثر ما سكت عنه فجزاه الله عن العلم خيراً ، ونشكر الجامعة العثمانية على نشرها هذا السفر الجليل .

الوحدة الايطالية

تأليف بولتن كنج وتعريب العميد طه باشا الهاشمي

يقع الكتاب في (٦١٥) صفحة من قطع الوسط ، نشرته الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، طبع في القاهرة سنة ١٩٥٢

موضوع الكتاب هو قصة الوحدة الايطالية ونضال شعبها الطويل في سبيل تحقيقها . بذل المؤلف الانكليزي جهده ليكون حيادياً في بحثه مجرداً عن أهوائه ، وقد اعتمد مراجع ايطالية وغيرها وضعها رجال اشتركوا فعلاً في بناء هذه الوحدة أو عاصروها ، ولذلك يعتبر هذا التاريخ من أصدق المراجع التي يركن اليها في تاريخ ايطالية الحديث . وليست هذه الترجمة ترجمة حرفية للكتاب بل هي نسخة مصغرة عنه ، ولم يخل هذا الايجاز بأساس الموضوع وتسلسل الوقائع اذ حوى كل ما ورد في الأصل من الأبحاث والمعلومات التي تفيد القارئ العربي .

إن الغاية القومية النبيلة التي حملت العميد طه باشا الهاشمي على تعريب هذا الكتاب بالنسبة الينا أسمى من موضوعه . قد بين المترجم في المقدمة الهدف الذي يرمي اليه من وراء عمله والنفع العظيم الذي يتوخاه منه لبني قومه . إن المترجم هو من قادة الثورة التحريرية والمجاهدين في سبيل استقلال الأمة العربية ووحدتها ، فلا عجب ان استهوى هذا التاريخ طه الهاشمي لما رأى فيه من أوجه الشبه بين نضال الأمتين الايطالية والعربية في تاريخيهما الحديث لبعث كيانيهما وتحقيق وحدتيهما . فلكل من الأمتين تاريخ عريق ومجد أثيل ، سادا العالم وساهما في حضارته . إن العوامل الجغرافية والاجتماعية والروحية التي توفرت لدى الشعب الايطالي وساعدت في مدى نصف قرن على تحريره

وتوحيده هي جميعها متوفرة في الأمة العربية . كانت أوضاع إيطالية بعد حرب نابليون أو قبل ثورة عام (١٨٤٨) أشبه ما يكون بحالة البلاد العربية بعد الحرب العالمية الأولى . فكما لوح خصوم فرنسا للطليان باستقلالهم ووحدتهم ثم نكلوا بعد انتصارهم بوعدهم وجزأوا بلادهم الى دويلات مستقلة مستضعفة أو شبه مستقلة ، كذلك فعل الحلفاء بالعرب ، وعدوهم بالاستقلال والوحدة ولما انتصروا على أعدائهم الأتراك أخلفوا الوعد وتقاسموا بلادهم وجعلوا منها دويلات مستجدية لا تجلب النفع ولا تدفع الضر . ولذلك حري بنا نحن العرب الاطلاع على هذا التاريخ لنتعلم منه نبذ الأحقاد والقضاء على أنانيات المستثمرين في دنيا العرب لنتمكن من بناء وحدتنا وبعث مجدنا

جعفر الحسني

فهرس المؤلفين والعناوين

للكتب الموجودة بالمكتبة العامة للحماية الاسبانية بتطوان

وضع احمد المكناسي رئيس القسم العربي فيها

طبع في دار الطباعة المغربية بتطوان سنة ١٩٥٢ م

(٦٠٤ ص بالقطم الكبير)

تتبع هذه المكتبة مديرية المحافظ والمكاتب ، المربوطة بنيابة التربية والثقافة في الاقامة العامة لاسبانيا بتطوان .

والمكتبة حديثة البناء ، ذات طراز فني بديع ، فيها قاعة للمطالعة فسيحة الأرجاء ، جهزت بأحسن الأثاث ، والخزائن ، والمناضد ، والمقاعد . وضمت بين جدرانها مستودعات وغرفاً استوفت الشروط الفنية والصحية التي تتطلبها دور الكتب الحديثة .

وفي المكتبة ثلاثة فروع : إعارة الكتب للقراء ، الإعارة بين المكتبات ، وتقديم الارشادات والايضاحات .

وأما الكتب فيها فتقسم الى أقسام : المركزي [1] ، العربي ، الكتب النادرة ، المخطوطات ، الصور ، الخرائط ، المجلات ، والمنشورات .

ان القسم العربي ، وهو موضوعنا في هذه العجالة ، يشتمل على ٥٦٥٠ كتاباً مطبوعاً ، و ٧٥٧ مخطوطاً ، و ٢٥٢ مجلداً مطبوعاً بالطبعة الحجرية الفاسية . ويتكون الفهرس (الفيش) من ١٧٨٢٥ بطاقة : منها ٥٠٤٨ منظمة حسب أسماء المؤلفين ، و ٤٢٧٤ حسب عناوين الكتب ، و ٤٣٥٩ بحسب المواد ، و ٤١٤٤ بحسب الأرقام .

وأما الفهرس الذي نتكلم عليه فهو مرتب على حروف المعجم . ومن مطالعته تبين أنه لم يرتب الترتيب الأبجدي الكامل ، فلم يرتب اسم المؤلف ، ثم اسم أبيه ثم اسم جده الخ . ليسهل على المطالع الرجوع الى اسم المؤلف بسرعة . وكان يجدر بالواضع أن يذكر اسم المؤلف ، ثم يعدد مؤلفاته على حروف المعجم ، فهذا أقرب للاختصار ، وأجمع لمواد الموضوع .

وبالختام نشكر واضع هذا الفهرس على ما بذل من الجهود في طبعه ونشره ، ونتمنى لهذه المكتبة الازدهار والتقدم .

عمر رضا كحالة

---

(١) هكذا وردت في الفهرس المذكور .

تحفة ذوي الألباب في من حكم بدمشق
من الخلفاء والملوك والنوّاب

للصلاح الصفدي

هذا الكتاب من نفائس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية بباريز [١] . ألفه العالم الأديب المؤرخ صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ، فترجم فيه لكل من حكم بدمشق من الفتح الى القرن الثامن الهجري . فهو موجز في تاريخ دمشق السياسي في أيام الأمويين والعباسيين والطولونيين والفاطميين والقرامطة والحمدانيين والسلاجقة والنوريين والأيوبيين والماليك . وينتهي الكتاب بذكر ولاية الماردانى الثانية سنة ٧٦٠ هـ .

وقد ذكر الصلاح في خطبة كتابه أنه قلّد فيه الحافظ ابن عساكر [٢] . غير انه لم يرتب التراجم على الحروف كما فعل الحافظ ، لكنه ساقها حسب حسب تاريخ ولايات الحكام .

والكتاب مصدر ذو شأن لتأريخ مدينة دمشق . وفيه أخبار كثيرة لم أجدها في غيره . وهو يبين لنا نمطاً من طرق التأليف الشعري في التاريخ الاسلامي [٣] . فقد نظم الصلاح أسماء الولاة جميعاً في أرجوزة طويلة ، ثم عمد في كتابه هذا فأثبت الشعر وشرحه . وفي الشرح ساق الأخبار التي شاء ايرادها .

---

(١) Arabe 5827 .

(٢) تحفة ذوي الألباب ، ورقة ٢ آ

(٣) عن الأراجيز التاريخية انظر ما كتبه الأستاذ عباس العزاوي في مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء الرابع من المجلد السادس والعشرين) ص ٦٢١ — ٦٢٥ . ولم يذكر كتاب الصفدي هذا .

يقع هذا المخطوط في ٣٢٨ ورقة (٣٠ × ٢١ عُشيراً) كتبت بخط نسخي جميل في سنة ٧٩٥ هـ ، أي في عصر المؤلف وبعد وفاته .

وكان من كتب خزانة مدرسة اسماعيل باشا العظم بالخياطين بدمشق . فعلى أول ورقة منه نجد :

« هذا ما وقفه الوزير المعظم والمشير المفخم صاحب الخيرات والمبرات جناب أسعد باشا على مدرسة والده المرحوم اسمعيل باشا طاب ثراه . وشرط الواقف المذكور أن لا يخرج من مكانه » يلي ذلك خاتم أسعد باشا[1] . وعلى هذا كان مقر الكتاب بدمشق . ولا ندري كيف انتقل الى باريز . ولا يذكر بلوشه في فهرس مخطوطات الناسيونال بعد وصف المخطوط الا أنه كان في مجموعة كتب شيفر[2] .

أول الكتاب ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم . رب يسّر .

الحمد لله القديم الدايم	مقدّر الموت على ابن آدم
في ملكه يفعل ما يُريد	ما لامرئ عما قضى محيد
ما زال يؤتي الملك من أفادا	وينزع الملك اذا أرادا
بعزُّ هذا ويذلُّ هذا	إذا قضى أمراً مضى نفاذا ...

ثم يقول :

وبعدُ فالمقصود من ذا الرجز	حسن البيان في كلام موجز
أذكر فيه الخلفا والأمرا	على دمشق نسقاً كما ترى
قلّدت فيه الحافظ العساكري	لأنه الذي جلا بخاطري

(١) انظر كتاب وقف أسعد باشا العظم على مدرسة أبيه اسماعيل باشا . من تحقيقنا (دمشق ١٩٥٣) ، المقدمة .

(٢) Blochet, *Catalogue des Mss Arabes (Nouvelles aquisitions 1884 — 1924)*, 5827 .

لكنه على الحروف رتبه فضيّع المقصود منه واشتبه
ولم يصل الا لنور الدين وعاق ذاك وارد المنون
وقد ذكرتُ من أتى بعده ليومنا فاستجلِ درْ عقده[١]

وفي آخر صفحة منه[٢] : « كان الفراغ منه في خامس عشرين شعبان المكرّم سنة خمس وتسعين وسبع مائة . على يد العبد الفقير الى رحمة ربه محمد بن سليمن بن أبي بكر الاذرعي غفر الله له » .

وفي الورقة نفسها ترجمة قصيرة لناسخ الكتاب ، جاء فيها أنه : « ولد سنة ٧٥٠ هـ وتوفي سنة ٨٤٠ هـ ، وأدّب الأطفال بمسجد ابن الفرفور بالعنّابة خارج دمشق . وكان يحفظ التاريخ والشعر . ودفن بيبت لهيا » .

وهذه النسخة فريدة ، لا يذكر بروكلمن غيرها[٣] . وفي دار الكتب المصرية نسخة مصوّرة عنها ، كان صوّرها العلامة تيمور باشا .

ونذكر هنا أن كتاب الصفدي حلقة في سلسلة من الكتب التي أُلِّفت في ولاة دمشق ، فبعد الصفدي ألّف ابن طولون المتوفى سنة ٩٥٣ هـ كتابه « اعلام الورى » ، ذكر فيه ولاة دمشق أيام المماليك وأول العهد العثماني[٤] . ثم جاء بعده ابن جمعة المقّار ، فألّف كتابه « الباشات والقضاة » ، وتبعه ابن القاري فألّف « الوزراء الذين حكموا دمشق »[٥] .

وقد فرغنا من تحقيق كتاب الصفدي ، ونرجو أن يُتاح الكتاب ابن طولون من يحققه .

صلاح الدين المنجد

(١) تحفة ذوي الألباب ورقة ٢ آ .
(٢) ورقة ٢٢٨ ب .
(٣) Brockelmann, *G A L sup.*, II,28 .
(٤) ترجم هذا الكتاب الى الفرنسية للمستشرق Laoust في كتاب :
Les Gouverneurs de Damas. Damas 1952
(٥) حققنا هذين الكتابين ونشرناهما في كتابنا « ولاة دمشق في العهد العثماني » (دمشق ١٩٤٩) .

آراء وأنباء

اشارات السير في الطرقات

مصطلحات جديدة تتعلق بها

سألنا الأستاذ رياض الميداني مدير الدائرة القانونية في وزارة العدل عما يأتي فأجبناه بما يأتي :

١ — (الشوسه) Chaussé : القسم المعبّد من الطريق المعدّ لمرور المركبات جيئةً ورَوْحةً · فهل من لفظٍ عربي يدل عليه ؟

أقول لا مانع يمنع من تسمية هذا النوع من الطرقات بوصفه الذي اشتهر به وهو (المعبّد) أي الممهد الذي تدرج عليه العربات بسهولة · فكما يقال : بين العاصمة وحمص مثلاً « طريق معبّد » يكتفى بكلمة (معبّد) فيقال : إن بينهما (معبداً) · وهذا جائز في اللغة العربية وكثير من كلماتها كانت أوصافاً فأصبحت أسماء · وأشهرها في ذلك أسماء السيف والأسد · ومن الشواهد عليه كلمة (درعٌ سابغةٌ) ومعنى سابغة كاملة تامة فضفاضة فيقولون : سابغة وسوابغ من دون ذكر الدرع · ونكتفي بلفظ (معبّد) ولا نفكر في سواها لاشتهارها ·

٢ — (Voie) : هو طريق معبّد لكن عرضُهُ لا يسمح الا بمرور المركبات باتجاهٍ واحد إما روحةً واما جيئة · ويقولون أحياناً (Voie unique) أي طريق وحيد · أو وحيد الاتجاه · أقول : لا مانع أيضاً من تسمية هـذا الطريق بكلمة (وحيد) أو (وحيد الاتجاه) التي هي ترجمة (Unique) الفرنسية · فيقال مثلاً ان بين مدينة كذا وقرية كذا (وحيداً) أو (طريقاً وحيداً)

أو (وحيد الاتجاه) . ولا يضر استعمال الكلمتين معاً (أي وحيد الاتجاه) ما دام الفرنسيون أنفسهم يستعملون الكلمتين في لغتهم فيقولون (Voie unique) . ونحن نقول طريق وحيد ، واذ كانت كلمة (الخطّ) بمعنى الطريق جاز الاصطلاح عليها لتقوم مقام (Voie) بمعنى الطريق الوحيد أو وحيد الاتجاه وجمع الخط خطوط ويروّج استعمال كلمة الخط في هذا المعنى انهم يقولون (خطوط المواصلات) يعنون طرقها.

٣ — (المركبة) : اسم يعم جميع وسائط النقل ذات العجلات : كالسيارات والدراجات وما يسمونه (الأوتوبيسات) : وهي السيارات التي تنقل الأشخاص .

أقول إن الجواب على هذا يحتاج الى تفصيل : نعثر في كتب التاريخ والأدب على كلمتين تدلان على الآلة التي تحمل الأشخاص والأشياء وتنقلهم من مكانٍ الى آخر : الكلمة الأولى (عَرَبة) وتجمع على عَرَبات . والكلمة الثانية (عَجَلة) وتجمع على عَجَلات . أما الكلمة الأولى (عَرَبة) ففي الراجح أنها غير عربية الأصل . وأرجعها بعضهم الى اللغة العربية باعتبار ان مادتها (ع ر ب) تدل في أصل اللغة على معنى نقل الشيء وانتقاله من مكان الى آخر : فلا مانع يمنع من استعمال العربة والعربات في الدلالة على المركبة والمركبات (راجع شفاء الغليل حرف العين ص ١٠٦) . أما كلمة (العَجَلة) فعربيةٌ محضة . ومعناها الدولاب . وسمي الدولاب بالعجلة لعجلته وسرعته في حركته . وتطلق العجلة على آلة النقل نفسها ، ففي القاموس إنها اسم للآلة ذات الدواليب التي يجرها الثور : محمولاً عليها الأثقال . فلا مانع إذن من أن تسمى المركبة والمركبات بالعجلة والعجلات . وهو من تسمية الكل باسم البعض . أي اننا سمينا كل المركبة باسم جزء منها وهو عجلتها . ونظير ذلك في اللهجة اللبنانية الحديثة تسميتهم السيارة بالماكينة ، وليست الماكينة سوى جزء من السيارة . وهو أعظم أجزائها . وذو التأثير في سيرها وحركتها .

وهاتان الكلمتان (العَرَبة) و (العَجَلة) قديمتان في لغتنا تاريخيتان في دلالتهما على المركبة . وإذا أُريد للدلالة على (المركبة) كلمةٌ جديدة غير قاموسية فلغتنا العربية تسمح باستعمال الكلمة الأجنبية بنَبِّها واعتبارها عربية . وهو المسمى بالتعريب فتقول (اوتوموبيل) أو نقتصر على أولها فنقول (أوتو) . ونقول (أوتوبوس) أو نختزل فنقتصر على أولها (أوتو) أو على آخرها للفرق بين أوتوموبيل وأوتوبوس فنقول (باص) محرفة عن (بوس) كما يقولها أهل فلسطين . ويجمعونها على باصات . كل ذلك لا يضيق صدر لغتنا العربية عن قبوله واستعماله بناءً على الأصل السابق وهو (التعريب) وباعتبار أن الكلمة المعرّبة أصبحت عربية بدليل ورود المعربات في القرآن الكريم . وهذا كالرجل الأعجمي يتكلم العربية فيصبح عربياً .

وقد يُحرجنا السائل فيقول : إنما يصار الى (التعريب) حين العجز عن وجود كلمة عربية أصيلة أو عن اشتقاقها من مادة لغوية عربية . عندها نقول له :

ان في القرآن آياتٍ تمتن على البشر بأن خلق لهم بهائم وأنعاماً يتنقلون عليها ركوباً . أو ينقلون عليها أثقالهم حَمْلاً . (والخيل والبغال لتركبوها) ، (وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس) ، (ومن الأنعام حَمولةً وفرشا) وقد يكون هناك آيات وأحاديث أخرى ، وجاء في هذه الآيات استعمال فعل : (الركوب والنقل والحمل) . نعم ان هذه الأفعال واردة في امتطاء البهيمة لا الآلة غير ان اللغة لا تمنع التوسع في استعمال الألفاظ . هذا فعل (الطيران) أصله للطير خاصة فنقلناه للآلة العجيبة المعروفة : فنقول طيارة وطائرة ، ونقول إنها طارت وتطير ، بل نقول للانسان وهو جاثم في جوفها انه ركبها : مع أن الركوب للدابة . ونقول انه طار فيها : والطيران للطير . فلنا إذن متسع في أن نشتق من أفعال (ركب) و (نَقَل) و (حَمَل) القرآنيات أوصافاً ثم أسماء لهذه الوسائط ، وسائط النقل والركوب العصرية : فمن الركوب قلنا قديماً (مَرْكب) للسفينة ، ومركبة للعربة . ويسمي

الأتراك الحمار (مركب) ، ويقول شاعرهم ضيا باشا (يا رب نه مطيّه يله كَزَر مركب عالم) . ونشتق من فعل (حَمَل) للدلالة على أنواع السيارات المختلفة (حامل) و (حاملة) ونجمعها على حاملات أو حوامل . ونشتق من فعل (نَقَل) ناقل وناقلة ونواقل . كل ذلك عربي الأصل صحيح الاشتقاق ومرجع الاستناد فيه الى آيات القرآن الكريم .

فالعَرَبة والعجلة والمركبة والناقلة والحاملة ـ كل هذه الكلمات وما يلتحم بها في الاشتقاق تصلح لأن تستعمل في الدلالة على وسائط النقل والحمل المستحدثة . ويمكن ادخال كلمة (مطيّة) التي معناها الناقة التي تركب : ندخلها في الكلمات الصالحة لمعنى (المركبة) بوجه عام . فيكون استعمال المطية مجازاً كاستعمال الطائرة .

وللمركبات ذات العجل أي الدواليب آلة تسمى (فرام) يقبض عليها السائق بكلتا يديه ثم يسيّرها حسب ارادته ، فهي بمثابة اللجام للفرس ماذا نسميها ؟

لا أرى مانعاً في اللغة العربية يمنع من استعمال كلمة (فرام) نفسها فهي خفيفة على اللسان تشبه الألفاظ العربية في جرسها . بل هي عربية وذلك لأننا تصرفنا بها تصرفاً يعطينا الحق فيها فهي من (Frein) الافرنسية بمعنى لجام فعرّبناها بقلب ألفها المائلة ـ إلى ألفٍ مطلقة وبقلب نونها ميماً ، وهذا مثل كلمة (ترام) التي شاعت بيننا . على أن في اللغة العربية فعل (كبح) الدابة اذا وقفها بجذب عنانها اليه . فنستعمل هذا الفعل مجازاً ونقول : كبح السائق السيارة اذا وقفها بجذب فرامها ونسمي الفرام (مكبح) أو (مكباح) واذا سيطر المكبح على الدولاب نقول ان السائق كبح الدولاب وان الدولاب أو الدواليب مكبوحة ـ كل ذلك يتمشى على قواعد اللغة العربية وأصول التصريف والاشتقاق في ألفاظها . فالفرام والمكبح سواء في صحة الاستعمال .

٤ — (أعمدة إشارات السير) : وهي ما يُنصب في الطرقات العامة أو في مفارق الطرق من أعمدة وصفائح حديدية أو حجرية يشار بها الى الجهات المختلفة . ويستدل بها السائر أو المسافر على الطيّة التي ينتحيها . فماذا نسميها ؟

كان العرب يتخذون من النجوم دلالات على الاتجاهات سواء أكان ذلك في البر أو البحر . هذا في مطلق السير أو السير العام . ولا سيما في الليل . أما في النهار فكانوا يركمون حجارةً بعضها فوق بعض بأشكال مختلفة ويدلون بها المسافر على ما يريد السير فيه من المسالك . ولهذه الأحجار الشاخصة أسماء عدّة : أشهرها (المنار) ويجمعونه على مناور ومناير ومنارات . و (العَلَم) ويجمعونه على أعلام . و (صُوّة) ويجمعونها على (صُوَى) .

ولا بأس في استعمال هذه الأخيرة أعني (الصُوّة) لجدّتها في السمع وخفتها على اللسان بينما أختاها (المنار) و (العَلَم) شاع استعمالها في معانٍ غير معنى اشارة الطريق . فيقع تشويش على السامع في استعمالها .

وهناك كلمة تقوم مقام (الصُّوّة) حسنة جداً وهي كلمة (شاخص أو شاخصة) مشتقة من شخوص الشيء ، ظهوره من بعيد مرتفعاً عن سطح الأرض . كالشَبَح يُرى من أول وهلة أو من أول نظرة . فأعمدة اشارات الطريق تكون شاخصةً للمسافرين من بعيد ، فينتبهون اليها . وينتفعون بدلالتها . وجمع الشاخص والشاخصة شواخص .

هذا ما تيسر لنا في هذا المقام والسلام .

المغربي

آراء وتعليقات

— ٢ —

(فَعْل على أفعال)

٦ — وجاء في الذي عنوانه « هل يجمع فَعْل الصحيح العين على أفعال[1] ؟ » ما معناه أنه « ليسَ في وسعنا جمع فَعْل الصحيح العين على أفعال لأن هـذا الجمع لم يسمع إلا في ألفاظ قليلة على حدّ قول الرضي في شرح الشافية وقد ضرب مثلاً على هذا القليل بفرد وأفراد وفرخ وأفراخ » .

قلت : لا شك في أن عامة قواعد الصرف وجملة من قواعد النحو تستوجب إعادة النظر فيها اتباعاً لسنة التطور والتقدم في كل حي أو شبيه به ، ومن القواعد التي تستحق ذلك « جمع فَعْل على أفعال » فان أحداً من الصرفيين المعاصرين لنا لم يعالجها معالجة علمية مسندة الى القوانين العامة في قواعد اللغة العربية ، والتحقيق أن في العربية باباً لاستعارة الجموع ينبغي أن يسمى « الاستعارة في الجموع » كجمع حديث على أحاديث وهو جمع « أحدوثة » وجمع نشيد على أناشيد وهو جمع « أنشودة » وجمع أمر على أوامر وهو جمع آمرة وجمع نهي على نواهٍ وهو جمع « ناهية » وجمع حاجة وعادة على حوائج وعوائد وهما جمعا « حائجة وعائدة » إلا أن هذه الاستعارة ليست بقياسية وانما الأمر فيها للاستعمال وهو ذو السلطان القاهر في اللغة .

وقد تعرّض ابو حيان التوحيدي لجمع « فَعْل » الصحيح العين على « أفعال » وقال في كتاب أخلاق الوزيرين[2] : « قال الصاحب يوماً فَعْل على أفعال قليل ، وزعم النحويون أنه ما جاء إلا زند وأزناد وفرخ وأفراخ وفرد وأفراد .

---

(١) مجـ ٢٦ أيضاً ج ٢ ص ٣١٢ .
(٢) نقل ذلك ياقوت في « معجم الأدباء ج ٥ ص ٣٩٢ » طبعة مرجليوث الأولى.

فقلت له أنا أحفظ ثلاثين حرفاً كلها فَعْل وأفعال . فقال : هات يا مدَّعي . فسردت الحروف ودللتُ على مواضعها من الكتب . فقال : ليس للنحوي أن يلزم مثل هـذا الحكم إلا بعد التبحر والسماع الواسع . وليس للتقليد وجه إذا كانت الرواية شائعة والقياس مُطرداً ، وهذا كقولهم « فعيل » على عشرة أوجه وقد وجدته أنا يزيد على أكثر من عشرين وجهاً وما انتهيت في التتبع الى أقصاه . فقال : خروجك من دعواك في « فَعْل » يدلنا على قيامك في « فعيل » ولكن لا نأذن لك في اقتصاصك ولا نهبُ آذاننا لكلامك ولم يفِ ما أتيتَ به بجرأتك في مجلسنا وتبسطك في حضرتنا فهذا كما ترى » .

وإذا كان الكتاب المذكور يعرف أيضاً بمثالب الوزيرين وجب أن نشك في دعوى أبي حيان أنه حفظ ثلاثين حرفاً من باب « فرخ وأفراخ » ودلَّ على مواضعها من الكتب وذلك لأن تمثيله بفرخ وأفراخ يدلُّ على صحة المفرد المجموع فيخرج عنه مثل « سَيْف » و « وَسْق » و « يَوم » ويدخل فيه المضعَّف مثل « عَمّ وأعمام » ، والظاهر أنَّ أول من جمع « فرخاً » على أفراخ هو الحطيئة الشاعر في قوله :

ماذا تقول لأفراخ بذي مَرَخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجرُ

وقد علق أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش الصغير على رواية أبي العباس المبرّد لهذا البيت :

إنَّ الذين يسوغ في أعناقهم زاد يُمَنُّ عليهم لَلِئامُ

ماهذا نصه : « وروى الفرّاء في هذا الشعر « انَّ الذين يسوغ في أحلاقهم » وإنما كان ينبغي أن يكون في أحلُقِهم كقولك « فلس وأفلُس » وما أشبهه ولكنه شبه باب « فَعْل » بباب « فَعَل » كما قالوا « زند وأزناد » و « فرخ وأفراخ » قال الحطيئة لعمر ـ رحمه الله تعالى ـ :

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مرَخٍ حُمرُ الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ

فعلوا هذا تشبيهاً بباب « فَعَل » كما شبهوا « فَعَلاً » بفَعْل في الجمع فقالوا « جبل وأجبُل » و « زمن وأزمُن » كما قال :

إني لأكني بأجبال عن أجبلها وباسم أودية ٍ حباً لواديها

فأتى به على الأصل وتشبيهاً بغيره على ما أخبرتك[1] » .

فالذي ورد من مثل « فرخ وأفراخ » إنما هو على تشبيه باب بباب للتسهيل على الشعراء وهذا بابه الشعر ، فأما النثر فلا يجوز فيه ذلك لأنه إفساد لقوالب الجمع الطبيعية للغة العربية وذلك أن « أفعالاً » هو جمع « فِعْل » في الحقيقة كحِمل وأحمال وشِبل وأشبال ، وجمع « فَعَل » كقمَر وأقمار وعَمَل وأعمال ، وأكثر ما جاء من « فَعْل أفعال » إنما هو من تحكُّم الشعراء أو من ذي اللغتين كشكل وأشكال (بكسر الشين وفتحها في المفرد) وبعير وأبعار (باسكان العين وفتحها في المفرد) .

ولقائل أن يقول : لماذا خرج عن هذا الحد المعتل العين كسيف ويوم وحال كما ذكر الصرفيون ؟

والجواب : أن ذلك لم يخرج وحده بل خرج معه المعتل الفاء كوزن وأوزان ووسق وأوساق والمضعف كجدّ وأجداد وعمّ وأعمام وما فيه حرف من أحرف الحلق وهي الحاء والخاء والعين والغين والهمزة مثل بعض وأبعاض ووضع وأوضاع ولحن وألحان وبحث وأبحاث[2] لأن أحرف الحلق تطلب الفتح على

---

(١) الكامل في الأدب « ج ١ ص ٤٤ — ٥ » طبعة المطبعة الأزهرية بمصر .

(٢) من ذلك « الأبحاث في الملل الثلاث » لابن كمونة من أهل القرن السابع الهجرة و« الأبحاث الجلية في مسألة ابن تيمية » للشيخ تاج الدين احمد بن التركماني المتوفى سنة ٧٤٤ و « الأبحاث الجيلة في شرح العقيلة » (المسمى بالحوادث الجامعة وكشف الظنون) قال محمد بن الحسن الفقيه « لقد رأيت أبحاث سفيان الثوري » (تاريخ بغداد للخطيب ج ٣ ص ٨) وقال ابن ابي الحديد « ونحن نذكر فيها أبحاثاً » (شرح النهج ج ١ ص ١٥) وقال السيوطي في ترجمة عضد الدولة « وله في العربية أبحاث حسنة » (البغية ص ٣٧٤) وغير ذلك .

ما هو مقرَّر في كتب الصرف ، على أنه لم يجمع فصيح « البحر » على « الأبحار » مع ظهور جوازه .

ومن الجموع التي استعملها المولدون والتي أحدثها الأعاجم وقد ذكرنا شيئاً منها :

بعض أبعاض	فذ أفذاذ	كبش أكباش	ورب أوراب
جدّ أجداد	فرط أفراط	نهر أنهار	ورص أوراص
أنف آناف	فزّ أفزاز	كرّ أكرار	وزن أوزان
ألف آلاف	فسل أفسال	لحظ ألحاظ	وطب أوطاب
شنّ أشنان	فظ أفظاظ	لطع ألطاع	وفز أوفاز
سطر أسطار	فلّ أفلال	وضع أوضاع	محل أمحال
أجر آجار	فن أفنان	شطء أشطاء	مرش أمراش
وسق أوساق	لحن ألحان	وجر أوجار	وهم أوهام
وغد أوغاد	قلد أقلاد	وحش أوحاش	ورد أوراد
نحو أنحاء	قلس أقلاس	وخش أوخاش	مرع أمراع
مرق أمراق	نبض أنباض	نجم أنجام	وأب أوآب
منّ أمنان	نجل أنجال	هجل أهجال	وقل أوقال
نبذ أنباذ	نذل أنذال	هك أهكاك	دهس أدهاس

وقد أهملنا جموعاً أخرى لاشتراك المفاريد فيها ، وخلاصة القول ان هذا الجمع لا يصحّ إلا بالحمل والتشبيه وهما من رخص الشعر ، وقد بان من المثل التي ذكرنا له أنه يكون في الجامد والوصف ، وأنا على تشددي في استعمال هذا الجمع لغير مفرده ومع استدراكي فيه على الصرفيين المضعف [1] كعم وأعمام

(١) لأن التضعيف يقوم مقام العلة ، وهو أصل لها كما ثبت في « فقه اللغة الحديث » ، فكلما استثقل الاستعمال تضعيفاً قلب احد الضعفين حرف علة كالصيرف والكوثر والطائم فان لم يستخف حرف العلة قلب التضعيف أحد الحروف الخفيفة كالنون والراء والهاء ، ومما يؤيد قيام التضعيف مقام العلة جمعهم « كنّة كنائن وضرّة ضرائر وحرّة حرائر » كأن مفرداتها « كنينة وضريرة وحريرة » .

والمعتل الفاء كوسق وأوساق أرى أن يضاف الى ذلك ما عينه أو لامه حرف حلقي ، كبحث وأبحاث وبحر وأبحار لأن من طبيعة أحرف الحلق طلب الفتح فالحرف الثاني من الاسم إن كان حلقياً فهو مفتوح تقديراً ألا ترى الى قولهم « بَحْر وبَحَر وشَعْر وشَعَر وزَهْر وزَهَر ونَهْر ونَهَر » فان هذه الجموع اكتسب ثانيها الفتح بالاستعمال المبني على تجنب الاستثقال ، ولعلّ الميم في « الشمَع » فُتحت فتحة قَبَس [1] من العين المجاورة لها فانها لما لم تستطع الانفتاح الملائم لطبيعتها ألقته على الميم وهو جارُها الأوحد ، فان صح قولنا صحّ استبعادنا دعوى الفرّاء أنَّ الشمَع مفتوح الشين والميم وأن المولدين هم الذين سكنوا الميم منه .

(التطوُّر وتاريخ ظهوره)

٧ — وجاء في هذه المجلة « مج ٢٦ ص ٣٧٣ » : (ولم يسم ابن خلدون هذا المذهب تطوراً لأنّ لفظ التطوُّر إنما هو من مستحدثات هذا العصر ولكنه سماه اسماً آخر » . قلت : ليس أمر التطور كذلك لأنه كان معروفاً في عصر ابن خلدون وإنما كان مستعملاً للانسان اذا ادّعى به انه ينقلب من صورة الى صورة أو يتحول من كيفية الى أخرى ، قال ابن حجر العسقلاني في ترجمة زين الدين عبد الكريم بن علي القوصيّ المتوفى في حدود سنة « ٧١٠ هـ » قال الجمال جعفر : كان [عبد الكريم] يتطوّر فتارةً يباشر المكوس وتارةً ينقطع في بعض الأربطة في زيّ الفقراء [2] » .

وقال الشعراني في ترجمة الزاهد أبي علي الحسين : « كان هذا الشيخ ـ رض ـ

(١) يقال « هذه حمّى قبس لا حمّى عَرَض » أي الحمى التي اقتبسها المحموم من غيره ولم تعرض له من تلقاء نفسه .

(٢) الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة « ج ٢ ص ٤٠٠ » .

من كُلّ العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى وكان كثير التطورات : تدخل عليه بعض الأوقات تجده جندياً ، ثم تدخل فتجده سبعاً ، ثم تدخل فتجده فيلاً ، ثم تدخل فتجده صبياً وهكذا » (١) . وإني لا أزال أتذكر أني قرأت كلمة « التطور » في كتاب « الامتاع والمؤانسة » لأبي حيان التوحيدي ، وأراها محرَّفةً عن كلمة أخرى ، اللهم (٢) إلا اذا وردت في كتاب آخر من كتب القرن الرابع للهجرة فهنالك لا يبقى شك في قدمها .

(رجع الشيء لا ارجاعه)

٨ — وجاء في « ص ٣٩٩ » من المجلد المذكور « وطريقة إرجاعه الى قواعد النحاة ... يمكن إرجاع أيّ » . وجمهور الفصحاء على أنّ « رجع الشيء » أفصح من إرجاعه وعلى أن الثلاثي والرباعي اذا استويا في المعنى فالثلاثي المفضل ما لم ينص على فصاحة الرباعي كأغنى وأوحى ، أما « أرجعه » فلغة هذيل وليست هذيل كل العرب ، وليس من داع استعمال لغة هذيل ، وخير منها لغة القرآن الكريم (٣) .

(أي Aucun)

٩ — وورد في « ص ٣٩٩ أيضاً » (بحث طريف في أيّ الشرطية) في توجيه قول الصحافيين « لم يصدر عني أيّ تصريح » . وهذه « أيّ » وان كانت ترجمة (Aucun) بالفرنسية ، لها أشباه في شعر العرب ، قال عبيد بن الأبرص :

---

(١) الطبقات الكبرى « ج ٢ ص ٧٨ » بالمطبعة الشرقية . ونقله الشبلنجي في نور الأبصار « ص ١٩٨ » طبعة مصطفى البابي .

(٢) أنا أستعمل هذه العبارة وأرى فيها غرابة فهي من العقائر المولدة .

(٣) جاء في الصفحة المشار اليها : « وتكون استفهامية ولا اسم موصول » والصواب « ولا اسماً موصولاً » ولعله من سهو القلم وهو ما نسترجحه .

إلا لأعلم ما جهلت بعقبهم وتذكُّري ما فات أيَّ أوان

قال أبو هلال العسكري «مختل النظم ومعناه : لست بخالد[1] إلا لأعلم ما جهلت وتذكري ما فات أي أوان كان[2] » ، وقال أبو نصر بشر بن الحارث الحافي :

أفادتني القناعة أيَّ عزٍّ ولا عزٌّ أعزُّ من القناعه[3]

فأي الأولى اعتدل حالها بالتقدير والثانية احتاجت الى تقدير آخر يكون معه التركيب «أفادتني القناعة عزًّا أي عزٍّ» فالأولى شرطية والثانية استفهامية منقولة الى التعجب لأن التعجب أصله الاستفهام[4] ، والفرق بين ما ذكرنا من استعمال «أي» وقولهم «لم يصدر أيّ تصريح» أنَّ «أيًّا» هذه استعملت في النفي دون الأولى فانها في الاثبات ، ومن هنا يظهر عليها أثر الترجمة والنقل . ويستحيل رجع «أيّ» الى الشرطية كما رجعها أبو هلال العسكري في قول «عبيد» المذكور ، لأن العامل تسلط عليها متقدماً كما تسلط عليها في قول بشر الحافي «أفادتني القناعة أيَّ عزٍّ» بنصب «أيّ» ومنه قول المتنبي المورد في البحث :

وأصرعُ أيَّ الوحش قفيته به وأنزلُ عنه مثله حين أركبُ

فليست «أيّ» في هذا البيت شرطية ، لخفاء معنى الشرط فيها ولأن ما قبلها وهو «أصرعُ» أثر فيها ، ولأن ما بعدها أثر في ضميرها هي والوحش وهو الهاء في «قفيته» ومن المعلوم أنَّ «أيًّا» الشرطية يعمل فيها ما بعدها ولا يجوز أن يتقدمها عامل فضلاً عن أن يؤثر فيها كما في بيت المتنبي ، وفي

(١) تقدم قوله «ولست بخالد ...» .
(٢) كتاب الصناعتين «ص ١٢٦» من طبعة الآستانة .
(٣) تاريخ بغداد للخطيب «ج ٧ ص ٧٦» ، ولعل ما في نهج البلاغة «واستخلوا منهم أيّ مدّكر» من هذا الضرب .
(٤) يدل على ذلك قولهم «ما أحسنه !» فكأن المتعجب سأل عن الشيء الذي جعله حسناً ثم صار السؤال سؤال عارف فانقلب الى التعجب . ولا بد للتعجب من أن يكون أصله السؤال على حسب «تطور» للظاهر النفسية للانسان .

الآيات المذكورة تأييد لذلك : «أيًّا ما تدعو ...» ، «أيّما الأجلين قضيت ...» ، «أيّ الأجلين قضيت ...» في قراءة . فتخريج الشرط على أنه «أي الوحش أتبعته[1] (كذا) به أصرعه» وعلى أن القائل حذف جواب الشرط وهو «أصرعه» وأقام دليلاً عليه قوله «أصرع» الواقعة قبل «أيّ» غير مستقيم البتة ، لأنه حذف شيئاً وأثبت مثله ، ولأن «أيّا» الشرطية لا تسمح بأن يتقدمها ما يؤثر فيها تأثيراً ظاهراً سوى حروف الجر[2] ، فأي هذه مولدة تحمل على باب «أي» الموصولة ، قال الجوهري في الصحاح «وقد تكون أي بمنزلة الذي فتحتاج الى صلة تقول أيُّهم في الدار أخوك» ثم قال «وقال الكسائي : تقول لأضربنّ أيَّهم في الدار ولا يجوز أن تقول ضربت أيَّهم في الدار . ففرق بين الواقع والمنتظر» . وعلى هذا يكون تأويل قول المتنبي « وأصرع الوحش الذي قفيتُه به » إلا أن في «أي» من المعنى ما ليس في « الذي » لأنها تفيد التعدّد فكأنه قال «وأصرعُ كل وحش قفيته به» . وبهذا نستدل على أن بيت المتنبي مُباينٍ في التركيب لقول أبي تمام :

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجودُ ساحله

لأن « هو البحر» جملة تامة ، والجملة الشرطية المبنية في المعنى عليها تامة تجري مجرى الآية المذكورة في البحث «أيًّا ما تدعو فله الأسماء الحسنى» والدليل على كمال الجملة ربط الجواب بالفاء وإن كان الجواب موجزاً ، والايجاز من البلاغة . ولذلك اتجه التقدير وجهة صحيحة ، ولكن قول المتنبي «وأصرع» جملة غير تامة لا تتم الا بتسليط الفعل على « أي الوحش» ولا يجوز التعليق لأنه خاصٌّ بالأفعال القلبية وليس « أصرع » منها ، ولأن «أيا» الشرطية»

(١) الظاهر أن الكاتب الفاضل أراد « اتبعت » ليصح عمله في « أي » للقدمة لفظاً . وهذا هو قوام الجملة الشرطية من هذا الضرب .

(٢) فلو كان « الفعل السابق لها » من افعال القلوب ما جاز مجيئه فكيف يجوز مجيء « أصرع » ؟ .

ليست من موجبات التعليق كالاستفهام ولام الابتداء ولام القسم وما ولا وإن النافيات ، وكذلك القول في أسماء الشرط الأخرى فانها لا يتقدمها عامل مؤثر فيها سوى حرف الجر ، ولذلك ُعد من الضرائر قول الشاعر الجاهلي :

إنّ من يدخل الكنيسة يوماً يلقَ فيها جآذراً وظباءا

ومن البديهي أنّ التقدير في الجمل هو تقريب لها من أسلوب العرب الفصيح وأنه في الغالب يكون للشعر لا للنثر ، وإذ كان قولهم « لم يصدر عني أيُّ تصريح » من النثر وجب أن يوضع في قوالب النثر الصحيحة ، فيكون « لم يصدر مني تصريح » فنفي الواحد النكرة نفي لغيره أو « لم يصدر عني تصريح من التصاريح » أو « لم يصدر عني تصريح أيًّا كان » أو « لم يصدر عني تصريح كائناً ما كان » أو « لم أصرّح بشيء قط » أو « لم يصدر عني تصريح قط » أو ما أشبه ذلك ، وبعد اعتراف الباحث الفاضل بأنه لم يظفر بجملة حذف فيها فعل الشرط وجزاؤه معاً يدحض ما خرّج جملة « ولم تنشر أية تفاصيل » عليه من أنّ فعل الشرط حذف لدلالة السياق عليه كما حذف جواب الشرط أيضاً لدلالة قوله « ولم تنشر » ويخرجه عن حقيقة كلام العرب ، فالتعبير غربي قريب من تعابير الشعراء المضطرين من شعراء العرب ، ولا حاجة اليه في النثر ، فهو جائز في الشعر على التقدير وعلى غير التقدير ، وكونه غربياً يغني عن النصب في تخريجه .

(يتبع) الدكتور مصطفى جواد

الشهادات العلمية والمدارس

في الجمهورية السورية

بلغ مجموع حملة شهادة الدراسة الابتدائية في عام ١٩٥٢ حوالي ١٩٨٤٠ طالباً منهم ١٥٨٣٢ ذكراً و ٤٠٠٨ من اناث ، وعدد الحاصلين على شهادة الدراسة المتوسطة ٣٨٩٢ طالباً منهم ٣١٢٣ ذكراً و ٧٧٤ انثى ، وعدد الحاصلين على شهادة الدراسة الثانوية ١٤٢٩ طالباً منهم ١١٥٦ ذكراً و ٢٧٣ انثى ، وعدد الحاصلين على شهادة الدراسة الابتدائيـة الزراعية ٣٠ ذكراً ، وعدد الحاصلين على شهادة الدراسة المتوسطة الزراعية ٣٤ ذكراً ، وعدد الحاصلين على شهادة الدراسة الثانوية الزراعية ٣٢ ذكراً ، وعدد الحاصلين على شهادة الدرسة المتوسطة الصناعية ١٢٨ منهم ٩٩ ذكراً و ٢٩ انثى ، وعدد الحاصلين على شهادة الدراسة الثانوية الصناعية ٤٦ ذكراً ، وعدد الحاصلين على شهادة الدراسة المتوسطة التجارية ٢٥ ذكراً ، وعدد الحاصلين على شهادة الدراسة الثانوية التجارية ١٨ ذكراً ، وعدد الحاصلين على شهادة اهلية التعليم الابتدائي ٤٥٢ طالباً منهم ٣٠٤ ذكور ١٤٨ انثى ، وعدد الحاصلين على شهادة الاختصاص في العلوم المالية والاقتصادية ٨ منهم ٦ ذكور و ٢ اناث ، وعدد الحاصلين على شهادة الاختصاص في الحقوق الخاصة ٧ منهم ٦ ذكور وأنثى واحدة ، وعدد الحاصلين على شهادة اختصاص في الحقوق العامة ٣ منهم ٢ ذكور وانثى واحدة ، وعدد الحاصلين على شهادة دكتور في الطب ٣٨ ذكراً ، وشهادة دكتور في طب الأسنان ٦ ذكور ، وشهادة الاجازة في الصيدلة ٢٠ طالباً منهم ١٦ ذكراً و ٤ اناث ، وعدد الحاصلين على شهادة في فن التمريض ٢٦ انثى ، وفن القبالة ١٨ انثى ، وعدد الحاصلين على شهادة الاجازة في الهندسة ١٢ منهم ٨ ذكور ، وعدد الحاصلين على الاجازة في العلوم الطبيعية ١٢ طالباً منهم ٩ ذكور و ٣ اناث ، والاجازة في العلوم

الرياضية ١٣ طالباً منهم ٩ ذكور و ٤ اناث ، والاجازة في العلوم الفيزيائية ٨ طلاب منهم ٦ ذكور و ٢ اناث ، والاجازة في العلوم الفيزيائية والكيميائية والحيوية ٦٨ طالباً ٥٩ ذكراً و ٩ اناث ، وعدد الحاصلين على الاجازة في آداب اللغة العربية ٢٤ طالباً منهم ١٣ ذكراً و ١١ انثى ، والاجازة في الفلسفة ١٠ طلاب منهم ٦ ذكور و ٤ اناث ، والاجازة في التاريخ ١٩ طالباً منهم ١٢ ذكراً و ٧ اناث ، والاجازة في الجغرافيا ٩ طلاب منهم ٥ ذكور و ٤ اناث ، وعدد الحاصلين على دبلوم في التربية من المعهد العالي ٦٦ طالباً منهم ٤٣ ذكراً و ٢٣ انثى ، والحاصلين على دبلوم أهلية التعليم الثانوي ٧٨ طالباً منهم ٥٢ ذكراً ٢٦ انثى .

أما عدد الحاصلين على الشهادات العلمية السورية منذ احداثها حتى غاية عام ١٩٥١ فهي كما يلي :

شهادة الدراسة الابتدائية ١٠٤و٧٦١ منهم ٨١و٤١٧ ذكراً و٢٣و٣٤٤ انثى ، شهادة الدراسة المتوسطة ١٥و٠٨٥ منهم ١١و٨٦١ ذكراً و ٣٢٢٤ انثى ، شهادة الدراسة الثانوية ٧٥٣٥ منهم ٦٢٣٩ ذكراً و ١٢٩٦ انثى ، شهادة الدراسة الابتدائية الزراعية ٨١ ذكراً ، شهادة المتوسطة الزراعية ٩٣ ذكراً ، شهادة الثانوية الزراعية ١٩٨ ذكراً ، شهادة المتوسطة الصناعية ٦٦٩ منهم ٤٨٤ ذكراً و ١٨٥ انثى ، الشهادة الاعدادية الصناعية ٣٦ ذكراً ، شهادة المتوسطة التجارية ٢٩٠ ذكراً ، الشهادة الاعدادية التجارية ١٢٦ ذكراً ، شهادة الدراسة الشرعية ٩٦ ذكراً ، شهادة أهلية التعليم الابتدائي ١٢٦٦ منهم ٧٦١ ذكراً و ٥٠٥ اناث ، شهادة الاجازة في الحقوق ٢٣٠٨ منهم ٢٢١٩ ذكراً و ٢٩ انثى ، شهادة الاختصاص في العلوم المالية والاقتصادية ٤ ذكور ، شهادة الاختصاص في الحقوق الخاصة سبعة ذكور ، شهادة الاختصاص في الحقوق العامة ١٧ منهم ١٣ ذكراً و ٤ اناث ، شهادة الدكتوراة في الطب ٥٥٩ منهم ٥٤٩ ذكراً و ١٠ اناث ،

شهادة دكتور في طب الاسنان ١٦٢ منهم ١٦١ ذكراً وانثى واحدة ، شهادة الاجازة في الصيدلة ٢١١ منهم ٢٠٧ ذكور و ٤ اناث ، شهادة التمريض ٤٦ أنثى ، شهادة القبالة ٢٢٠ انثى ، شهادة الاجازة في الهندسة ٢٤ ذكراً ، شهادة الاجازة في العلوم الرياضية ١٨ منهم ١٦ ذكراً واثنتين من الاناث ، الاجازة في العلوم الفيزيائية ٢٥ منهم ١٦ ذكراً و ٩ اناث ، شهادة العلوم الفيزيائية والكيميائية والحيوية ٧٨ منهم ٧٢ ذكراً و ٦ اناث ، شهادة الاجازة في آداب اللغة العربية ٣٤ منهم ٢٧ ذكراً و ٧ اناث ، شهادة الاجازة في الفلسفة ٢٩ منهم ١٧ ذكراً و ١٢ انثى ، شهادة الاجازة في التاريخ ٦٠ منهم ٣٨ ذكراً و ٢٢ انثى ، شهادة الاجازة في الجغرافيا ١٣ منهم ٨ ذكور و ٥ اناث ، شهادة دبلوم في التربية من المعهد العالي ١٩٤ منهم ١٤٩ ذكراً و ٤٥ انثى ، شهادة اهلية التعليم الثانوي ١٩١ منهم ١٤٦ ذكراً و ٤٥ أنثى .

استدراك

وقع في مقال : « اسماء مؤلفات ابن تيمية » سهواً خطأ يُرجى تصحيحه ، وهو :

١ — ص ٣٧٢ سطر ٥ : « مايدعو الى فهمها » والصواب « مايدعو الى فهمها » .

٢ — ص ٣٧٦ رقم ٢٤ : « فلما جُنّ عليه تعالى » والصواب « فلما جَنّ عليه الليل » .

٣ — ص ٣٩١ رقم ١٤٠ : « شرح المحوّر » والصواب « شرح المحرّر » .

دعوة الى المؤتمر العلمي العربي

الذي سيعقد بمدينة الاسكندرية

في الأسبوع الأول من سبتمبر سنة ١٩٥٣

وافق مجلس جامعة الدول العربية على قرار اللجنة الثقافية بعقد مؤتمر علمي عربي، في مدينة الاسكندرية ، في أوائل شهر سبتمبر سنة ١٩٥٣ ، يشتمل على ثلاث شعب وهي :

١ — شعبة البحوث العلمية المبتكرة .

٢ — 〃 المشكلات العلمية العامة .

٣ — 〃 المحاضرات الثقافية العامة .

وقد تكونت بالقاهرة لجنة للإعداد لهذا المؤتمر، بناء على قرار من المكتب الدائم للجنة الثقافية ؛ ورأت هذه اللجنة أن تشتمل البحوث التي تقرأ في الشعبة الأولى من شعب المؤتمر فروع العلم الآتية :

(ا) علوم الرياضة والطبيعة .

(ب) 〃 الأحياء .

(ﺟ) 〃 الكيمياء .

(د) 〃 الجيولوجيا .

وتقترح اللجنة أن يقتصر البحث في الشعبة الثانية من شعب المؤتمر على المشكلات الآتية :

١ — المصطلحات العلمية .

٢ — التأليف والترجمة والنشر .

٣ — إعداد مدرسي العلوم .

٤ — العلم والاقتصاد القومي .

أما الشعبة الثالثة فتختص محاضراتها بدراسة تاريخ العلوم عند العرب ، وسيدعى للاشتراك في هذا المؤتمر وفود الدول العربية ، ومندوبو الهيئات العلمية ، والعلماء

من العرب ، وذلك لقراءة البحوث المبتكرة ، والتشاور في وسائل تذليل العقبات وحل المشكلات التي تعترض تقدم العلوم والبحث العلمي في البلاد العربية ، وكذلك للاشتراك في البرنامج الثقافي .

وتقترح اللجنة ، أن تؤلف في كل دولة من دول الجامعة ، لجنة فرعية ، تتولى الدعوة للمساهمة في هذا المؤتمر الأول من نوعه في الشرق العربي ، وتكون حلقة الاتصال بين الراغبين في الاشتراك في نشاط المؤتمر من جميع نواحيه ، وبين لجنة الإعداد بالقاهرة . فيرسل الباحث بحثه الى اللجنة الفرعية في بلده ، وهي التي تجمع البحوث ، والآراء في المشكلات المعروضة ، والمحاضرات ، وترسلها بدورها الى لجنة الإعداد بالقاهرة . ويراعى في البحوث أن تكون مبتكرة ، وأن تلقى باللغة العربية ، إلا إذا تعذر ذلك فتلقى بلغة أجنبية ، على أن تكون مصحوبة بملخص باللغة العربية . وستنشر البحوث التي تقرأ أمام المؤتمر ، وقرارات المؤتمر في المشكلات ، والمحاضرات ، في مجلد خاص .

وتتولى اللجنة الفرعية في كل دولة تسجيل أسماء من يريدون الاشتراك في عضوية المؤتمر من بين المشتغلين بالعلم ، وتحصيل رسم العضوية وقدره جنيه مصري واحد ، أو يرسل مباشرة الى الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية بالقاهرة .

ويلاحظ أن آخر موعد لتقديم البحوث والمحاضرات للجنة الإعداد بالقاهرة هو ١٥ ابريل سنة ١٩٥٣ ، أما المقترحات الخاصة بالمشكلات فالمرجو أن تصل الى اللجنة في موعد غايته أول مارس سنة ١٩٥٣ .

وستقوم الإدارة الثقافية بالجامعة العربية بتيسير سفر أعضاء المؤتمر وإقامتهم ، وسترسل البرنامج التفصيلي في أوائل يونيه ، مبيناً فيه أيضاً الرحلات والزيارات العلمية التي ينظمها المؤتمر .

وتكون جميع المراسلات الخاصة بهذا المؤتمر باسم سكرتير لجنة إعداد المؤتمر العلمي العربي بالادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ـ ١٠٢ شارع فاروق بالعجوزة بالقاهرة .

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثامن والعشرين

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)

٢ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسِّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث

٣ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسِّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث

٤ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي

٥ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك

٦ — تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

٧ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسِّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

٨ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

٩ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية): تأليف الأستاذ محمد كرد علي

١٠ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي

١١ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي قدّم له الأستاذ خليل مردم بك

١٢ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك

١٣ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك

١٤ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك

١٥ — 〃 〃 (الجزء الثاني) 〃 〃 〃 〃 〃

١٦ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان

١٧ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

١٨ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

١٩ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢١ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢٢ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢٣ — 〃 〃 〃 〃 (الجزء الثاني) 〃 〃 〃 〃
٢٤ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
٢٥ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
٢٦ — صحيفة همام بن منبه : بتحقيق الدكتور محمد حميد الله
٢٧ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين قدّم له الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٨ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الدكتور يوسف العش
٢٩ — أسماء مؤلفات ابن تيمية لابن قيم الجوزية: بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٣٠ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
٣١ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي } بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي
٣٢ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي } بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي
٣٣ — بحر العوّام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي } بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي
٣٤ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي
٣٥ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
٣٦ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٣ — ٢٣ المحرم سنة ١٣٧٣

(من الأدب القديم في الصميم)

الآثار الأدبية التي وصلت الينا من صنع العرب القدامى وما يتخللها من قطع الشعر والنثر ، البليغة الأسلوب المؤنقة التركيب ، ينبغي أن تعتبر الأساس الذي يبني عليه الأدب الحديث كيانه والمصدر الذي يقتبس منه مادته ثم يُضفي عليه من لبوس الحضارة الجديدة وثقافة أهلها ما يحببه الى أبناء هذا العصر ويدنيه من أذواقهم ومتناول عقولهم . وكنت منذ سنين خلت تناولت من البخاري الشريف حديثاً اشتهر باسم (حديث أم زرع) والحديث ورد على لسان النبي (ﷺ) أو زوجه السيدة عائشة رضي الله عنها يحدث به أحدهما الآخر ولهذا الحديث ـ حديث أم زرع ـ منزلة في كتب السنة لما تضمنه من غريب اللغة وجليل المعاني المتعلقة بالنساء وبعولتهن . وبما يجري بينهم من مستملح النكات وبارع الأوصاف التي تتنادر بها الأزواج مع أزواجهن . وقد كنت تناولتُ هذا الحديث وأفرغته في قالب محاضرة رضي عنها مستمعوها برغم ما فيها من غريب اللغة وحوشي الألفاظ التي لم تعد اليوم مأنوسة ولا مألوفة .

وقد ظفرت في معاجم اللغة بخبر عن العرب يشبه خبر أم زرع قرأته في كتاب (الفائق) للزمخشري واشتهر عند المحدثين واللغويين باسم (حديث لقمان بن عاد) ولقمان هذا هو المشهور في آداب العرب بما ينقل عنه من الأمثال وأوابد الكلم . وينسبونه الى عاد مذ يقولون لقمان بن عاد ويميزونه باسم صاحب النسور التي لما سأل الله أن يعيش عمراً طويلاً أمره الباري تعالى أن يتخذ سبعة نسور ويربيها واحداً بعد آخر حتى اذا انتهى عمر النسر الأخير ، وقد سماه لبداً ، كان ذلك آيةً على انقضاء أجله . وعاش نسره الأخير طويلاً حتى ضرب به المثل فيقال :

(يا بكر حواء كم تعيش وكم تسحب ذيل الحياة يا لُبد)

وقال النابغة :

(أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لُبد)

وهناك لقمان آخر مذكور في القرآن بأنه قد أوتي الحكمة والصحيح أنه لم يكن نبياً وانما كان رجلاً صالحاً في زمن بني اسرائيل وقيل كان قاضياً فيهم ، أما لقمان العرب فهو مَن وصفنا آنفاً وكان له إخوة سبعة فجرت بينه وبينهم منافسة من أجل خطبة امرأة يريد كل منهم أن يتزوجها وعُرضت عليها أوصافهم واحداً واحداً كما عُرضت أوصاف بعولة النساء في حديث أم زرع . وحديث لقمان هذا قد استفاضت ألفاظه في كتب اللغة كحديث أم زرع ويستشهد بألفاظه في كل مناسبة تعرض في معاجم اللغة .

قال الزمخشري : خطب لقمان امرأة كان اخوته سبقوه اليها وخطبوها لأنفسهم فلما بلغهم خطبته لها قالوا له بئس ما صنعتَ : خطبتَ امرأةً قد خطبناها قبلك . وكانوا سبعة وهو ثامنهم وبعد نزاع ثار ثائره بينهم اتفقوا على أن يذهب لقمان اليها فينعت لها نفسه واخوته واحداً واحداً بصدق ثم تختار هي أيهم شاءت فذهب اليها وجرى هذا الحوار بينه وبينها :–

— ١ —

(ذو البَجَل)

قال لقمان :

خذي مني أخيَ ذا البَجَل ، اذا رَعى القومُ غفل ،
واذا سعى القومُ نسل ، واذا كان الشأن اتّكل .
قريب من نَضيج ، بعيد من نيِئ . فلَحيا لصاحبنا لحيا :
فأجابته المرأة قائلة : عِيال لا أريده .

(التفسير)

قال الزمخشري : الوجهُ أن يكون قول لقمان في تسمية أخيه الأول (ذو البجَل) وتسمية الثاني (ذو العفاق) والثالث (ذو الأسد) الى آخرهم — قوله هذا كشفاً لأساميهم وألقابهم المتعارفة بينهم لا أن تكون هذه التسميات استئناف أوصاف لأخوته ارتجلها لقمان من ساعته .

وقوله (خذي مني) من هنا للبدلية كأنه يقول خذي أخي فلاناً بدلاً عني او ابتدائية ويكون الكلام على حذف مضاف كأنه يقول خذي مني وصف أخي الخ و (البَجَل) بالتحريك الضخامة . وسياق ما بعدها يدل على أنه يريد ذمه بوصف ضخامته فهو يلمزه بكثرة الشحم وترهّل الجسم من كثرة ما يأكل . وقيل المراد بالبجَل الحسْب (بسكون السين) بمعنى الكفاية تقول — وقد عُرضت عليك أشياء فوق حاجتك — هذا حسْبي هذا بَجَلي أي ما في يدي يكفيني ولا أطلب زيادةً عليه ، ومنه قول الشاعر :

(ردوا علينا شيخنا ثم بَجَل)

قال ابو عبيدة : ان لقمان أراد أن اخاه قصير الهمة لا رغبة له في معالي الأمور , يرضى بالأدنى من العيش وتكاليف الحياة وعلى غيره أن يكفيه ما زاد عن حاجته . ولذا أجابت المرأة المخطوبة انه (عيال لا أريده) أي هو عيال كَلٌّ على غيره . وعيـال جمع عيّل وهم أهل البيت الذين يكفلهم الرجل ويقوم بمؤونتهم لكن (عيال) يستعمل أحياناً مفرداً كما استعملته المرأة هنا .

وقوله رعى القوم برفع القوم على الفاعلية ومفعوله محذوف كأنه يقول اذا رعى القوم بعضهم بعضاً أو يقال اذا اهتموا برعاية بعضهم بعضاً ويحتمل أن يكون من رعاية النَّعَم أي اذا رعى بعضهم لبعض إبله وحاط بالحفظ والعلف رواحله تغافل هو وتقاعد عن مشاركتهم في الرعاية ومداركة المرعى للابل .

قوله واذا سعى القوم نسل أي اذا سعوا في ما يصلح شأنهم ويفضي الى توفير أسباب هناءتهم لم يدخل معهم في السعي بل (نَسَل) أي خرج وكان في معزل عنهم . ونسل بهذا المعنى مأخوذ من قولهم (نسل الولدُ) سقط من بطن أمه و (نسل الصوف والريش) سقطا عن الخروف والطائر فنسَل هنا بمعنى قولهم انسلَّ اذا انطلق من بين القوم تدريجاً (رمتني بدائها وانسلّت) .

قوله (واذا كان الشان اتكل) يرجع الى معنى ما قبله اي اذا نزل بقومه شأن من الشؤون أو خطب من الخطوب تواري عن نصرتهم واتكل عليهم في حياطة أنفسهم .

قوله (قريب من نضيج بعيد من نيْ) النيءُ من الطعام غير النضيج . يصفه بملازمة المجازر والمطابخ حيث تهيأ الأطعمة فهو يؤمها ويأكل النضيج منها ، أما حيث يكون النيءُ غير الناضج من الطعام فيتجنبه ويسرع الى حيث يجد النضيج المهيَّأ وهذا كما قال الحمامي :

(لحا الله صعلوكاً اذا جنَّ ليله مصافي المشاش آلفاً كل مجزر)

ورجل مثـل هذا خليق بكره النساء له وزهدهن فيه ولذا قالت المخطوبة (عيال لا أريده) كما مر . وقبل أن تقول هذا القول الدال على نفرتها منه وزرايتها عليه قاله لقمان نفسه فهو بادر المخطوبة ودعا على أخيه (ذي البَجَل) بالهلاك قائلاً : (فلحياً لصاحبنا لحيا) أي هلاكاً له هلاكا . كرر للتأكيد وهو مثل (لحواً) بالواو يقال لحاه الله اذا أهلكه أو أخزاه لحواً ولحياً . وعبر عن أخيه بقوله صاحبنا تهكماً أو مؤانسة كما نفعل اليوم في لهجتنا الدارجة : ننتظر أحد الناس لقضاء مهمة فيمضي وقت طويل ولا يحضر فيقول أحدنا مستبطئاً متبرماً : يظهر أن صاحبنا قد نسي الوعد وشغل بالتافه . نقول هذا وقد لا يكون الرجل بصاحب لنا وقد يكون أخاً كما هنا وانما اللهجة محكمة .

* * *

— ٢ —

(ذو البَجْلة)

قال لقمان المرأة بعد أن أبت الزواج من أخيه ذي البَجَل :

خذي مني أخي ذا البَجْلة ، يحمل ثِقْلي وثِقْله ، يخصِف نعلي ونعله ، واذا جاء يومُه قدمت قبله .

فقالت : خادم لا أريده

(التفسير)

(البجْلة) بسكون الجيم بمعنى الهيئة والحسن والشارة ، فهي ـ أي كلمة (البجلة) واردة مورد المدح للأخ الثاني لا كما ورد (البجَل) في مورد الذم للأخ الأول ، ولكن في قول لقمان ملاحظةً لا تخفى فهو قد وصف أخاه

بالشارة الحسنة • ومعنى الشارة يجمع بين حسن جسم الانسان وحسن لباسه وبعد أن وصفه بهذا قال انه يحمل الثِقل ويخصِف النعل • وقد حمل قوله هذا المرأة على أن تأنف من زواجه وتقول ان همته همة خادم وهي تريد زوجاً لا خادماً • و (الثِقل) بكسر فسكون معناه الحمل الثقيل أما الثَقَل بالتحريك فتاع المسافر • والظاهر ان المراد المعنى الأول لينسجم السجع في السمع • والمراد بالحمل الثقيل الحمل المادي لا المعنوي أي مايحمله الخدم والأتباع من الأثقال في خدمة أسيادهم بدليل قوله بعد : ويخصف نعلي ونعله ، وخصف النعل ترقيعها ولولا هذا لقلنا انه يمدح أخاه بحمل أثقال الناس ومهام حياتهم فهو يقضي مصالحهم ويؤدي مغارمهم • فيكون سيداً عظيماً لا خادماً لئيماً • وقول لقمان : (واذا جاء يومه) أي أجله ودنت وفاته وقوله (قدمت قبله) لم أر للشراح قولاً في تفسير هذه الجملة • وقد خطر لي في تفسيرها رأيان الأول أن تكون (قدمت) فعل ماض من القدوم وتكون الجملة دعائية فهو يدعو على نفسه بالموت والقدوم الى مضاجع القبور اذا جاء أجل أخيه ورآه يموت قبله • و (المعنى الثاني) أن تكون (قدمت) مركبة من حرف التحقيق (قد) و (مت) فعل ماض من الموت وفاعله تاء المتكلم • ولا تكون الجملة دعائية بل خبرية يحقق فيها موته قبل أخيه اذا رآه يموت • فهو كأنه يقول انه يموت اذا رأى أخاه مشرفاً على الموت ـ وكل هذا في اظهار حبه لأخيه وتعظيمه له لم يغن شيئاً في نفس المرأة ما دام قد وصفه بخصف النعال وحمل الأثقال وهي من صفات التبع • لا السيد السميذع • فيكون للمرأة الحق في الرغبة عنه والزهد فيه •

* * *

— ٣ —

(ذو العِفاق)

ثم قال لقمان للمرأة : خذي مني أخي ذا العِفَاقِ صفّاق أفّاق . يُعمل الناقة والساق فقالت : فنيخ لا أُريده .

(التفسير)

مادة (العفق) بجميع معانيها تدل على السرعة في الأعمال وفي الحركة والتردد روحةً وجيئةً . فقول لقمان في وصف أخيه الثالث انه ذو عفاق يريد انه ذو حركة ونشاط في ما يحاوله من الأعمال ويؤيد هذا المعنى قوله بعده : صفّاق أفّاق يُعمل الناقة والساق وفي اللسان يعمل (البكرة والساق) والبكرة الفتية من الإبل . قال الزمخشري (والأفّاق) من الأُفُق بمعنى انه مسفار منقب في الآفاق . أما (الصفّاق) فقال انها من الصفق وهو الجانب . ولم يعجبني هذا التأويل وأفضل عليه ان تكون من الصفق في الأسواق وهو التبايع فيها اذ ان المتبايعين عند تمام المساومة والاتفاق على البيع يتصافقان بأيديهما ومنه قولهم صفقة رابحة وصفقة خاسرة . فلقمان يصف أخاه بأنه ذو نشاط في الصفق بالأسواق والضرب في الآفاق فهو صفّاق أفّاق يعمل ناقتـه (أو بكرته) فيركب عليها . وان أعوزته الناقة أعمل ساقه وقدمه في السير : فهو تارة يركب وتارة يمشي لا يعوقه عائق عن النشاط والحركة . رجل مثل هذا في نشاطه ومواصلة حركته في الكسب وطلب الرزق ينبغي أن يعجب النساء ويملن اليه لكن المرأة لم يعجبها ما قاله لقمان في أخيه (ذي العفاق) ووصفه بما وصفه به فقد أجابته قائلة (فنيخ لا أريده) وفنيخ لها معنيان : فنيخ فعيل بمعنى مفعول من فعل فنخه اذا قهره وأذله : فهي تقول ان هذا الرجل الذي وصفته ذليل مقهور .

ومن أين جاءه القهر والذل ومن الذي قهره وأذله ؟ والمعنى الثاني للفنيخ الشيخ المسنّ والرخو الضعيف ولا شيء من هذا في (ذي العفاق) الذي وصفه لقمان بالنشاط والحركة • ويغلب على الظن ان كلمة (فنيخ) محرفة أو مصحفة عن كلمة أخرى تناسب المقام وينسجم معها الكلام • أو ان محلها في جواب آخر من أجوبة المرأة غير هذا الجواب •

* * *

— ٤ —

(ذو الأَسَد)

ثم قال لقمان للمرأة عن أخيه الرابع : خذي مني أخي ذا الأَسَد ، جوّابُ ليلٍ سَرْمَد ، وبحرٌ ذُو زَبَد .

فقالت : سارق لا أريده .

(التفسير)

(الأَسَد) هنا مصدر أَسِدَ الرجل أَسَداً اذا صار كالأسد في جرأته وطباعه فأَسِد (الثلاثي) بمعنى استأسد وقد جاء الفعل الثلاثي نفسه في حديث (أم زرع) في قول احدى النساء اللواتي وصفن أزواجهن قالت : (زوجي إن خرج أَسِد • وإن دخل فَهِد • ولا يسأل عما عَهِد) تقول أنه كالأسد والفهد في حالتي خروجه من الدار وعودته اليها فهو لا يتداخل في شؤون الدار الخاصة بي ولا يسأل عما عهده منها فلا يقول ماذا كان من أمر كذا أو ماذا جرى في أمر كذا • لكنه يتغافل ويكل أمر تدبير البيت إليّ وهذا من حسن أخلاقه •

أما لقمان في وصف أخيه فقد جعله ذا اسَدية في طباعه وسجاياه من ذاك انه جوّاب ليل سرمد أي لا يفتر عن التجوال في الليل مهما طال وهذا معنى كون الليل سرمدا .

قال الزمخشري ليل سرمد أى دائم غير منقطع لفرط طوله .

ثم ان لقمان وصف أخاه هذا بوصف آخر غير القوة وهو انه كالبحر ذي الزبد في كرمه ونفعه واحتواء أعماقه على الجواهر والنفائس . فأغفلت المرأة المخطوبة هذا وتعلقت بقوله (جوّاب ليل) واستخرجت منه ان أخاه لص لا يدع التجول في ليله للسرقة والسلب ، ولذا أجابته بقولها (سارق لا أريده) وأين السارق من الأسد والبحر ؟ غير ان للخبيثة في نفسها من أحد الأخوة أمراً ولها فيه هوى كما سيأتي .

* * *

— ٥ —

(ذو التمر)

ثم قال لها : خذي مني أخي ذا التَّمْر ، حييٌّ خضر ، شجاع ظَفِر ، أعجبني وهو خير من ذاك اذا سَكِر .

فقالت : يشرب الخمر لا أريده .

(التفسير)

أقول لقب هذا الأخ بذي التمر إما لكثرة ما يملكه من حوائط النخيل ذات التمور . وإما لكثرة بذله التمر والسخاء به على الفقراء والمساكين . والعرب اذا رأوا الرجل استكثر من شيء أو لازم شيئاً نسبوه اليه كما قالوا هنا (ذو التمر) أو أضافوه اليه كما قالوا (زيد الخيل) لأنه كان فارساً ملازماً لركوبها .

وفي الطبعة المصرية (ذا النمَر) بالنون فاذا صحت كان (النَمَر) بفتحتين مصدر نمر نَمَراً اذا غضب بمعنى كثير الغضب على من يخالفه أو يجرأ عليه .

وقوله (خضر) كذا في الأصل أي بالضاد وهو تحريف صوابه (خفِر) بالفاء وصف من الخفَر وهو الحياء بدليل قوله قبله حيٌّ . ورفعهما على نية القطع كأنه قال هو حيٌّ خفر . وظفر بكسر الفاء وصف من الظفَر لكن فيه مبالغة ولذا فسروه بقولهم : (لا يطلب أمراً الا أصابه) .

وقوله أعجبني الخ فعل أعجبني مرتبط بقوله (اذا سكر) يريد ان حال أخيه اذا سكر يعجبه أكثر من كل أحواله وقوله (وهو الخ) اعتراض بين الجملتين وضمير (هو) يرجع الى المصدر المفهوم من فعل أعجبني كأنه يقول واعجابي بما أذكره عنه في حالة سكره خيرٌ من ذاك أي خير مما ذكرت قبلُ من الأوصاف كجوده بالتمر وحيائه وشجاعته .

أما كون اعجاب لقمان بأخيه وهو يسكر خير من إعجابه بجميع صفاته فهو لأن سخاء أخيه ملازم له حتى في حالة غياب عقله بالسكر فكيف اذا كان في حال صحو فانه بالطبع يكون أكثر جوداً وأوسع سخاءً . ومقام المدح يعين كون مراده هذا المعنى الذي بسطه عنترة في بيتيه المشهورين :

(واذا سكرتُ فانني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يُكلم)
(واذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمتِ شمائلي وتكرمي)

ولكن عنترة في قوله هذا زاد عما قاله لقمان في وصف أخيه : ذلك ان عنترة يهلك ماله في الجود به وهو سكران . وجوده هذا لا عن سفه وقلة وعي بدليل انه وهو سكران يبقى محافظاً على وفور عرضه وعدم انتقاصه بأدنى خزاية أو عربدة ولذا كان شعر عنترة هذا من خير ما قيل في هذا المعنى بل من خير ما يدل على نجابة عبدِ بني عبس وكبر نفسه .

ومها أطنبنا وأطنب لقمان في وصف أخلاق أخيه في حالة سكره فان المرأة لم يعجبها ذاك ولم يزعزع نيتها في من تضمر خطبته من الأخوة الثمان بل ربما كان قول لقمان ان أخاه يسكر وينفق ماله فرصة اغتنمتها للنفرة من هذا الأخ الملقب بذي الثمر ورد طلبه قائلة : يشرب الخمر لا أريده ·

* * *

– ٦ –

(ذو الحُمَمَة)

قال لقمان : خذي مني أخي ذا الحُمَمَة يهب المائة البكرة السنِمَة ، والمائة البقرة العَمَمة ، والمائة الضائنة الزَنِمة ، واذا أتت على عادٍ ليلةٌ مظلمة ، ركبَ رُتوبَ الكعب ولام شزَنه . وقال : اكفوني الميمنة ، سأكفيكم المشأمة ، وليست فيه لمثْمَة ، الا أنه ابن أمَة .

فقالت : مُشرف لا أريده .

(التفسير)

لم يفسر لنا الزمخشري في الفائق مراده بالُحمَمَة في وصف أخيه غير ان صاحب اللسان قال (وفي حديث لقمان بن عاد : خذي مني أخي ذا الحممة أراد سواد لونه هـ) وجاء معنى السواد من معنى الفحم الذي في الُحمَمَة · ففي اللسان (والُحمَم الفحم واحدته حُمَمَة) واذا ثبت ان أخاه هذا كان أسود اللون فلا جدال · والا فالأمدح أن تكون (الحممة) بمعنى الرماد فيكون قد وصفه بالسخاء والجود على حد قول العرب في الكناية عن الجود : «فلان

كثير الرماد» ويؤيد هذا أن لقمان أول ما وصف أخاه بالجود مذ قال يهب المائة البكرة السنمة الخ .

والبكرة الفتية من الابل فهي بمنزلة الشابة من النساء (والسَّنِمة) العظيمة السَنام . والجود بمثلها من آيات السخاء وسماحة النفس .

قال : ومن جود أخيه أيضاً انه يهب المائة البقرة العَمَمَة ومعنى كون البقرة عَمَمَة انها تامة التكوين عظيمة الخلق . ومنه قول ابي عرار في عرار (فاني أحب الجون ذا المنكب العمَم) . وقول الآخر في هارون الرشيد :

(ويخطو على الأين خطو الظليـــم ويعلو الرجال بخَلقٍ عمَم)

و (الضائنة) الضأن أعني ذا الصوف من الغنم أما المعز فغنم ذو شعر . والزَنمة تكون للمعز وهي لحيمة تتدلى من تحت حلقها وهما زنمتان وتكون فيها خلقة . أما الضأن من الغنم فلا يكون لها زنمة . فكيف قال لقمان : (الضائنة الزنمة) (بكسر النون) أي ذات الزَنَمة (بفتحها) ؟ قال ذلك لأن العرب من عادتهم أن يخصوا كرائم إبلهم وضائنتهم بإحداث زَنَمة لها . ذلك بأن يقطعوا من اذن الشاة والبعير جليدة مستطيلة تبقى معلقة في آذانهـا : فيكون ذلك آية على كرمها . وهذا ما عناه لقمان في وصف جود أخيه فهو يقول عنه انه يهب مائة الشاة ذوات الزَنَمات فهن كرائم . ويروى مكان (زنمة) بالنون (زلمـة) باللام والزَنَمة والزَلمة كلتاهما بمعنى واحد . وفرق الخليل بينهما فجعل (الزَلمة) الهنة المتعلقة في حلق العنز من المعزى كالقرط . و (الزَنَمة) بالنون هي التي تكون في آذان الشياه الكرائم كالأقراط ومن الزنمة اشتق وصف الزنيم للملحق بالقوم وليس له نسب فيهم .

وهنا بحث نحوي أثاره الزمخشري حول قول لقمان (المائة البقرة والمائة الضائنة) من حيث أنه أدخل لام التعريف على (المائة) المضاف قال وهذا لا يجيزه البصريون

ويخطئون من خالفهم وهم الكوفيون الذين يجيزون الثلاثة الأثواب · ومثله المائة البقرة والمائة الضائنة · أما البصريون فلا يجيزون الا ثلاثة الأثواب ومائة البكرة ومائة الضائنة · ويستشهدون بقول ذي الرمة : (ثلاث الأثافي والديار البلاقع) · قال : وبرهانهم القياس الصحيح ·

ثم قال لقمان في أخيه يصفه بالشجاعة بعد أن وصفه بالجود : واذا أنت على عاد ليلة مظلمة رتب رتوب الكعب) يعني بعاد القبيلة المشهورة باسم (عاد) ومعنى اتيان الليلة المظلمة عليها نزول شدة بها ، أو غارة عليها · فكان ذلك كالليلة المظلمة لا يهتدى الى سلوكها أو المضي فيها ·واذ ذاك يكون (ذو الجمة) راتباً رتوب الكعب أي ثابتاً ثبوته لا يضعف ولا يضطرب · وفي اللسان : (رتب : ثبت فلم يتحرك ، يقال رتب رتوب الكعب أي انتصب انتصابه) ثم قال : (وفي حديث لقمان بن عاد : رتب رتوب الكعب : أي انتصب كما ينتصب الكعب اذا رميته) · فقول اذا رميته يشعر بأن المراد بالكعب الذي يُضرب به المثل في الثبوت هو الكعب الذى يرمي به الصبيان على الأرض وهم يلعبون بلعبة الكعاب · ولكن ابا كبير الهذلي وصف تأبط شراً في قصيدة قال فيه :

(واذا يهبُّ من المنام رأيته   كرتوب كعب الساق ليس بزمّل)

فقوله (كعب الساق) ألا يشعر بأن الكعب الذي أصبح مضرباً للمثل هو الكعب الثابت في موضعه من قدم الساق ؟ ؟ هناك شواهد تشهد للأول وشواهد تشهد للثاني ، وقد قلت في هذا الموضوع كلمة ألقيتها في بعض جلسات مجمع مصر اللغوي حررت فيها هذا البحث وسننشرها في مجلتنا هذه ·

قوله : (وولاهم شزنه) جاء في لسان العرب ما نصه : (وفي حديث لقمان ابن عاد و (ولاهم شزنه) يروى بفتح الشين والزاي وبضمهما وبضم الشين وسكون الزاي بمعنى الشدة والغلظة وقيل الشزن الجانب · ومعنى ولاهم ظهره جعلهم

وراء ظهره وأخذ يذب عنهم ولم يولهم دبره ، وهكذا أخو لقمان الملقب ذا أُلجَمَة فانه يولي أعداءه شدته أي يجعل شدته تتولى أمر أعدائه . أو المعنى ـ وهو الأظهر ـ ! انه اذا دهم عاداً خطب ولاهم جانب بدنه فكانوا وراءه يذب عنهم ويحوطهم بنفسه ويقول لهم : اكفوني ميمنة الأعداء ، أي جهتهم اليمنى ، وأنا أكفيكم مشأمتهم ، أي جهتهم اليسرى .

قوله : (وليست فيه لعثمة) هذه الجملة كأنها فذلكة وخلاصة لما مر لأن معنى (اللعثمة) التوقف والتمكث ، ومنه التلعثم في الكلام وهو التوقف عن قراءة بعض ألفاظه ، فلقمان يقول : لا توقف أي لا يتوقف المسئول عما يُسأل عنه من مناقب أخي بل يجاب السائل عن كل منقبة بأنها فيه اللهم الا منقبة واحدة هو مجرد منها وهي صراحة النسب اذ كان ابن أمة : فهو اذا عيب فانما يعاب بهجنته .

قوله : فقالت أي المرأة مسرف لا أريده . معنى المسرف المذنب والمبذر والمخطئ والجاهل وغير ذلك من المعاني وكلها لا تصلح ان يكون الاسراف جواباً لها . وعندي ان الكلمة محرفة عن (مقرف) ومعنى مقرف انه ذو قِرفة وهي بالكسر بمعنى الهُجنة والعيب من جهة الأم . ويؤيد هذا المعنى أن أمه أَمَة كما تقدم .

* * *

ـ ٧ ـ

(حزين)

ثم قال لقمان : خذي مني أخي حزينا ، أوّلُنا اذا غدَونا ، وآخرنا اذا استَنجَينا ، وعِصمةُ أبنائِنا اذا شتَونا ، وفاصلُ خُطّةٍ أعيت علينا ، ولا يمد فضله لدينا .

(التفسير)

لاحظ القارئ أن المرأة كانت تقول بعد وصف كل واحد من الأخوة انها لا تريده وتبين السبب أما (حزين) فانها لم تكشف عن ارادتها أو عدم ارادتها فأشعرت بذلك انه هواها وان شخصه من المُهجة في سويداها . وانتظرت حتى وصف لقمان نفسه ، فأعلنت رغبتها فيه أي في حزين وتزوجته .

قال لقمان : (خذي مني أخي حزينا) لم أجد من ضبط اسم (حزين) أهو مكبر أو مصغر . وقد ذكرهما كليهما صاحب القاموس فقال : حَزين كأمير اسم . وكزُبير اسماء . يعني أن العرب سموا بهما جميعاً .

قوله : أولنا الخ الغدوّ الخروج وقت الغدوة والسياق يدل على أن مراده بقوله (غدونا) خرجنا صباحاً للغزو بقرينة قوله بعد (استنجينا) من النجاء وهو السرعة والسبق فمعنى استنجينا فررنا وانهزمنا من عدونا المغير علينا فان حزيناً اذ ذاك يكون آخرنا رجوعاً وذلك لكي يحمي مؤخرتنا والعاجزَ عن الفرار منا . بخلاف الأمر اذا غدونا صباحاً نريد العدو فانه يكون أولنا وأسبقنا الى لقياه : فهو يصفه بالشجاعة والاقدام ثم وصفه بالجود في قوله : (وعصمة أبنائنا اذا شتونا) الشتاء عند العرب مظنة القحط وفقدان القوت فهو يقول إن حزيناً اذ ذاك يكون عصمةً لأبنائنا من أهل الحي الفقراء المعوزين ، والعصمة اسم مصدر من الاعتصام بالشيء بمعنى التمسك به ، قال ابن الأثير في النهاية : (العاصم المانع الحامي وعصمة الأرامل بمعنى انه يمنعهم من الضياع والحاجة) ، ثم قال ابن الأثير :(وقوله ـ أي قول لقمان ـ :عصمة أبنائنا اذا شتونا معناه يمتنعون به من شدة السنة والجدب) .

وقوله في صفة حزين : (وفاصل خطة أعيتْ علينا) الفاصل اسم فاعل من الفصل وهو الحكم والبتّ في دعوى أو أمر ما (والخُطّة) بالضم غير الخِطة بالكسر : فهي بالكسر الأرض يختطها رجل لم تكن لأحد قبله ليبني عليها

عمارة ونحوها . أما هي بالضم فالحالة والخصلة : فمكسورة الخاء تستعمل في الأمور المحسوسة المادية . والمضمومة في الأمور المعقولة المعنوية . وهي التي في قول لقمان عن حزين ، يقول : اننا اذا تورطنا معشر أهل الحي في حالة شديدة أعيتْ علينا وعسر حلها كان هو ذا القول الفصل فيها ، هذا بعض مناقبه وهناك فضائل وفواضل له لا تعد ولا تحصى . هذا اذا قُرئ (يُعد) على بناء المجهول اما اذا كان (يَعُد) معلوماً وضميره راجع الى حزين كما هو مضبوط في الطبعة المصرية فيكون المراد ان حزيناً يفضل علينا بفواضله ولا يَعُد ذلك لدينا . أي لا يعتد به ولا يمن به علينا .

لا جرم ان وصف حزين بهتين الخصلتين الشجاعة والسخاء والقول النافذ في قضايا العشيرة جعل نفس المرأة تختلج بالحب والحنين اليه واعلان التزوج به حتى اذا أتم لقمان الكلام بوصف نفسه أعلنت قبول خطبة حزين دون اخوته وفيهم لقمان الذي تقعر وتبجح في مدح نفسه ووصفها بالعجيب من القول فلم ينفعه ذلك ولم يترك في نفس المرأة أثراً .

* * *

— ٨ —

(لقمان بن عاد)

قال لقمان وهو آخر الأخوة ووسيطهم في تقديمهم الى المرأة : يصف نفسه ويُغري المرأة به :

« أنا لقمانُ بن عاد ، لعاديةٍ وعاد ، إذا انضجعتُ لا أجلَنْظي ، ولا تملأ رئتي جَنْبَتي ، إن أرَ مطمعي فحِداء يلمع ، وإن لا أرَ مطمعي فوَقّاع بصُلّع » .

(التفسير)

قوله (عادية وعاد) عاد مفرَد أصله عادي اسم فاعل من عدا يعدو وهو أن يجري الرجل أو الفرس أشد الجري . ويجمع عادي على عادية . قال الزمخشري العادية الخيل تعدو والرجال يعدون واحده عادي فلقمان يصف نفسه بالشجاعة فهو يقول انه مستعد متهيء لعادية ولعادي اي أن فيه الكفاية لصد الجماعة من الخيل والرجال تعدو في الغارة على قومه كما ان فيه الكفاية لصدّ العادي الواحد . هذا ما قاله الزمخشري وأرى أنه لا حاجة لجعل (عادية وعاد) من عدو الخيل أو الرجال وجريهم في الغارات والحروب ، ولماذا لا تكون من العدوان بالشر فهو يقول انه وحده يكفي لصد عدوان الواحد العادي أو الجماعة العادية اذا تعدوا على قومه . على أن المآل في المعنيين واحد من حيث أن لقمان وحده حامي القبيلة ومانع الحوزة لشدة بأسه وقوة بطشه .

قوله (اذا انضجعت) الانضجاع هنا مطاوع الإفعال : أضجعه فانضجع على حد أزعجه فانزعج وأطلقه فانطلق . والأشهر في مطاوعة هذا الباب اضطجع من الافتعال وقد ورد اضطجعت في بعض روايات الحديث .

قوله (لا اجلنظي) قال الزمخشري : (الاجلنظاء « بالظاء المعجمة وروي بالمهملة كما في طبعة مصر وروي بالضاد » وهو الاستلقاء ورفع الرجلين يعني انه ينام على جنبه مستوفزاً) . ورفع الرجلين في الاستلقاء آية على شدة التعب وعلى ان المجلنظي مستسلم الى الراحة وفرط الدعة . فلقمان ينفي عن نفسه هذا النوع من الاستلقاء الذي هو شأن الكسالى : فهو يستلقي لكن لا يجلنظي وانه انما ينام على جنبه كالمتهيء للوثوب اذا دُعي . كما كان دأب تأبط شراً اذا نام ولذا قال فيه أبو كبير :

(ما إن يمسّ الأرض إلا جانب منه وحرف الساق طيّ المِحمل) .

أي انه ينطوي طيّ حِمالة السيف فلا يمسّ من جسمه الأرض الاّ جانبه وحرف ساقه ·

قال : (ولا تملأ رئتي جنبتيّ) الجَنْبة (بسكون النون وفتحها) : جنب الانسان وشق بدنه · وجنبتيّ هنا مثنى الجنبة : ينفي عن نفسه صفة الجبن والهلع يقول انه لا يستولي عليه الخوف اذا طرأ طارئ بحيث يتعطل تنفسه ويحتبس هواء النفَس في رئتيه فتنتفخ وتملأ جانبيه أو خاصرتيه · وعبارة الزمخشري (أي لست بجبان فينتفخ سَحْري حتى يملأ جنبتيَّ بانتفاخه) والسحر الرئة وما حاذاها من أعلا الصدر ، ومنه قول السيدة عائشة رضي الله عنها : (مات بين سحري ونحري) أي مات ﷺ وهو مستند الى أعلا صدرها · ويروى بجنبيّ تثنية جنب من دون تاء ·

قال : (إن أر مطمعي فحِداءٌ يلمع) يصف نفسه بالحزم في تلمس حاجاته وانتياش مطامعه : فهو لا يتسرع في تناولها ، حتى يراها قريبة التناول منه وإذ ذاك لا يني ولا يقصر بل يكون كطائر الحِدَأة المشهورة بسرعة الاختطاف حتى قالوا في أمثالهم (هو أخطف من الحدأة) فينقضّ على مطمعه ويحتازه كما تنقض الحدأة على ما تريد اختطافه · والحدأة على وزان عِنبَة وجمعها حِدَء كعنب وتجمع أيضاً على حِداء بالمدّ على وزن كتاب قال ابن سيده : وهذا الجمع نادر ويظهر أن رواية الزمخشري في فائقه على هذا الجمع الممدود كأنه يقول انني اذ ذاك كواحد من هذه الطيور التي تلمع بأجنحتها و (يلمع) بالياء راجع الى (حداء) الجمع وكان الأظهر أن يقول حداء تَلْمَع : يقال لمع الطائر بجناحيه اذا خفق بهما ·

ويروى (فحِدوٌ تلمّع) من التفعّل بمعنى الثلاثي وضبطت (حدو) في الطبعة المصرية بكسر الحاء وتشديد الواو قال الزمخشري هو اسم للحدأة بلغة أهل مكة ·

هذا اذا دنت المطامع من لقمان وقربت من متناول يده فانه يبادر اليها ويختطفها اختطاف الحدأة .

قال : (وان لا أر مطمعي فوقّاع بصُلَّع) وقّاع بالتشديد كثير الوقوع فهو بعد أن شبه نفسه بالطائر في الجملة التي قبل هذه نسب لنفسه وقوع الطائر بالصّلع أي بالصخر الأملس فلا يكون عليه شيء تأكله الطير .

وقال الزمخشري (الصّلع : الموضع الذي لا ينبت مأخوذ من صلَع الرأس أراد لقمان ان عيشه عيش الصعاليك ان ظفر بشيء مال اليه . والا فهو موطن نفسه على معاناة خشونة الحال والشظف) فهو ان رأى خصباً رتع ورعى . وان رأى جدباً صبر وارعوى .

هذا ما وصف لقمان به نفسه للمرأة التي خطبها هو واخوته السبعة ، ولم يكن موفقاً في ما قاله عن نفسه مذ وصفها بعيش الصعاليك والهلاك . وانه يختطف تكاليف حياته اذا سنحت له . ويصبر صبرهم اذا أعوزته الحيلة . وأين هذا مما قاله في صفة أخيه حزين . لا جرم أن تُعرض الحسناء عنه وتميل الى أخيه الذي رضيته بعلاً وتزوجت به .

المغربي

الثقافة في تونس

من قديم أدرك الفنيقيون في تجولهم البحري طيب مناخ تونس فألقوا سفن ترحالهم واستوطنوا سواحلها متخذين منها الوطن والمقر ، وأحدثوا بها - بعد دهر وحين - محطهم الأكبر مدينة « قرطاجنة » وجعلوها أم البلاد .

ومن هنالك انتشر القرطاجنيون فاتحين ومعمرين ومعلمين للشعوب المغربيـة والابيارية ، وبثوا بينهم وسائل تمدينيـة وأسباب رقي ما بين فلح الأرض ، وصناعة المعادن ، وركوب البحر .

فهذا (ماجن) أحد شيوخ فلاحي قرطاجنة يضع أول كتاب عرف في فن الزراعة والاغتراس ، ولم يجد الرومان بداً من نقله الى لغتهم السلاطينية حينما فتحوا البلاد لإعجابهم بهذا الأثر الفريد وفقرهم الى تعاليمه .

وما كان القرطاجنيون ليرتضوا لأنفسهم أن يكونوا معمرين للأرض فحسب ، بل انهم خصوا الوعي الفكري بأوفر نصيب ، وشاركوا من تقدمهم في هذه الرسالة البشرية .

* * *

ولما بدد الرومان القرطاجنيين من افريقية وخلفوهم بها لم يجدوا مندوحة عن تقليد أسلافهم في علومهم ، والانتفاع بتجاريبهم ، والاستفادة من خزائن كتبهم الغنية ، والعمل بوسائلهم في التمدين وتعمير الأرض .

وعلى أنقاض العاصمة الفنيقية رفع الرومان قرطاجنة جديدة ، اجتهدوا في جعلها - بعد رومة - ثانية لقاعدة ملكهم الواسع ، فتزخرفت بالمباني والهياكل الضخمة ، وامتد نفوذها السياسي والأدبي الى مغارب الأرض ، وقد أخرجت

البلاد على عهدهم علماء أفذاذاً من أبناء تربتها مثل « بوبا الثاني » الملك البربري والمؤلف المبدع ، ومثل « أبولي » صاحب التصانيف الفلسفية الفكاهية ، وغيرهما .

ثم خلفتها (قرطاجنة البيزنطية) وقد شغلتها الحروب الداخلية والنزعات المذهبية عن الاشتغال بالاعتناء بالوعي القومي ، لولا قيام رجال ناضلوا عن المبادئ الدينية وسعوا جهدهم في محاربة الوثنية وفي اثبات مزايا الاعتقاد والتمسك بعرى الدين ، وكفاح المقاومين لنشر مبادئ العقيدة ، وفي مقدمة المدافعين المخلصين لهذا العمل الكبير « أوقشطين » الذي ناضل عن الاعتقاد ورفعه الى درجة عالية من البحث ، وقد عرفه علماء العرب وذكره ابو عبيد البكري في « مسالكه » .

* * *

في منتصف القرن الأول للهجرة أتيح للعرب أن ينصبوا سلطانهم على بلاد افريقية ، ولأول وهلة من فتحهم أنشأوا « قيروانهم » فكان لهم في آن واحد مركزاً حربياً ، ومحطاً لرحالهم وعيالهم ، وموطناً لبث لسانهم ومبادئ دينهم .

ومنه امتد سلطانهم فعم المغرب بأجزائه ، وعبر العدوة الأوربية فدخل الأندلس وأواسط فرنجة ، ومن ناحية أخرى انتشر الى السودان فأدخل في حظيرة الاسلام كامل قارة افريقية المعروفة وقتئذ .

من القرن الثاني للهجرة ابتدأ اهتمام أبناء القيروان ومدينة تونس بحمل العلم ، فقصدوا موارده بالمشرق : كالمدينة ، والبصرة ، والكوفة ، ثم دمشق وبغداد والفسطاط ، وملأوا من العرفان أوطابهم وعادوا الى وطن ولادتهم لبث ما لديهم بين أبناء جلدتهم ، وقد نبغ من بين الرعيل الأول أفذاذ مبرزون وصلوا بالعلم التشريعي الى أقصى درجات البحث والاستنباط والتخريج ، مثل : علي بن زياد تلميذ مالك ودفين تونس ، وأسد بن الفرات صاحب مالك ، وأبي يوسف ، وسحنون بن سعيد ، وسليمان بن عمران وغيرهم .

وما كان اشتغالهم بادئ بدء بالفقه (الحقوق) الا لمسيس حاجة العالم الاسلامي إذ ذاك لتنظيم الهيئة الاجتماعية الجديدة ، وتدبير سياستها الشرعية على أصول نظام الدين ، إذ كان الاسلام ديناً ومدنية في آن واحد .

ولما تمهدت وسائل التشريع وأبحاثه ، اتجهت الطبقة التالية الى العلوم العقلية والرياضية ويرجع الفضل في ظهور هذه الحركة الجديدة الى رجلين يجب ذكر اسميهما بكل احترام : أعني الطبيب اسحاق بن عمران الذي أشاع الفلسفة في القيروان وفسر غامضها كما نشر علم الطب وما يتفرع عنه من فنون الحكمة والصيدلة ـ والثاني هو الأديب الكبير والكاتب البليغ أبو اليسر ابراهيم الشيباني .

وقد ساعد الأمراء الأغالبة على انقاذ هذه الحركة العقلية المباركة وعلى نشرها بين طبقات الشعب بتأسيس أول جامعة افريقية للعلم والترجمة ، وبث المبادئ العقلية في الأوساط المغربية ، وهي (بيت الحكمة القيروانية) التي ترأسها ابو اليسر الشيباني المتقدم ذكره (حدود سنة ٢٦٥ هـ = ٨٧٩ م) .

وقد جلب اليها الأغالبة الكتب من أطراف العالم العربي من العراق والشام ومصر ، كما نصبوا بها ثلة من القساوسة المسيحيين استقدموهم من صقلية التابعة لملكهم ؛ فانكبت تلك الثلة على ترجمة مؤلفات يونانية ولاتينية في الفلسفة والتاريخ والطب والنبات ، والمظنون ان من ضمنها قسماً من مصنف (بلينوس الأكبر) في التاريخ الطبيعي المتعلق بالحيوان والنبات ، وكانت الترجمة تقع بمعونة رجال افريقيين متضلعين في العربية .

وقد حفظ لنا التاريخ بعض أسماء هؤلاء المعتنين بالتعريب كأبي سعيد الصيقل والفتى طريف ، فانهما حينما سقطت دولة بني الأغلب من افريقية التحقا ببلاط بني أمية بالأندلس ـ على عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم الثاني ـ اللذين شادا النهضة الكبرى بالأندلس ، فكان انخراط هذين القيروانيين في سلك البلاط القرطبي أداة تلقيح وعاملاً كبيراً في ازدهار الحركة العلمية الفكرية باسبانيا على غرار من تقاليد القيروان وأصول تعاليمها .

ولا يغيب عنا أن نسوق هنا ما كان لجماعة من أبناء اليهود الافريقيين من الاهتمام بالأخذ عن علماء « بيت الحكمة القيروانية » أو التدريس بها لفنون الفلسفة والطب والفلك والتقويم ، وفي مقدمة هؤلاء : الطبيب المشهور (اسحاق بن سليمان الاسرائيلي) ، والطبيب (دونش - ويقال أدنيم - بن تميم المعروف بالشفلجي) وزميله (موسى بن العزار) وسواهم كثير ، فانهم قاموا بوضع أمهات من الكتب في الفلسفة والطب والفلك ، وقد حولها بعضهم بعد ذلك من العربية الى اللغة العبرية .

ومن تلاميذ هذا الرعيل الأول عالم اسرائيلي يدعى (نسيم بن يعقوب القيرواني) فانه فاق أقرانه في علم الهيئة ورصد الكواكب حتى ان الأسئلة كانت ترد عليه من يهود العراق في المشرق ، ومن الأندلس والمغرب يستفتونه في توقيت المواسم الدينية ، إذ لم يكن من بينهم من هو أعلم منه بهذا الشأن .

وما زالت بيت الحكمة تضطلع بأداء رسالتها العلمية في ربوع افريقية وخارجها الى أن نقلها الملوك الفاطميون الى القاهرة عند تحولهم الى مصر - سنة ٣٦٢ هـ : ٩٧٣ م - فزادت هنالك ازدهاراً ، ونمت قوة وانتشاراً بفضل من رافقهم من العلماء الأفارقة ، وبفضل ما نقله الفاطميون معهم من تراث افريقية العلمي .

لكن نزوح بيت الحكمة من القيروان الى القاهرة لم يمنع من امتداد روحها وسريان تأثيرها في العقلية المغربية الى أن توقفت الحركة العلمية بسبب ما اعترى البلاد الافريقية من اختلال الأمن واضطراب الأحوال من جراء زحفة بني هلال على عهد دولة بني زيري الصنهاجيين .

وفي الوقت الذي كان تأثير «بيت الحكمة القيروانية» ينضوي كانت روحها العلمية تتادى قدماً نحو العدوة الأوربية بواسطة أحد الافريقيين المسيحيين ، وأعني به (قسطنطين المشتهر بالافريقي) لولادته بقرطاجنة سنة ٤٠٦ هـ ١٠١٥ م فانه أخذ العلم بالقيروان عن البقية الباقية من رجال فكرة بيت الحكمة وأتقن علوم العربية والرياضة وخصوصاً الطب والفلك ، ثم انتقل الى مصر ، ومنها عاد

الى مسقط رأسه قرطاجنه ـ وكانت عندئذ قرية ضئيلة ـ ومنها قصد ايطاليا واستقر آخراً بمدينة (ساليرنو) ، واتصل هنالك بملك الزمان الذي ألحقه بدير جبل (كاسينو) الشهير ، ولم يلبث أن تولى رئاسة هذا الدير وحمل جماعة من الرهبان على الاشتغال بالعلوم العربية ، ورغبهم في ترجمة مصنفاتها لا سيما ما كان منها في العلوم الرياضية كالطب والهيأة والفلك والفلسفة الى اللغة اللاتينيــة ، فكان قسطنطين بذلك العمل في مقدمة نقلة تلك العلوم التي انفرد المسلمون عندئذ باتقانها ومعاناتها والابداع فيها .

وفي نظرنا ان هذا الحادث العظيم من أهم الأسباب لدخول علوم العرب الى العدوة الأوروبية وانتشارها من جنوب ايطاليا الى الأصقاع الشمالية ، خصوصاً وقد صادف ان كان ذلك في مبتدأ ظهور الانبعاث الافرنجي في البحث عن علوم الطبيعة والهيأة وغيرها ، ويلاحظ هنا ان جل ما ترجمه (قسطنطين) من الكتب العربية الى اللاتينية أو حاول الوضع على غراره انما كان مستمداً من مصنفات أطباء قيروانيين خاصة ، مثل تأليف اسحاق بن عمران ، واسحاق الاسرائيلي ، واحمد بن الجزار ، كما انه اعتمد في الفلك وعلم الهيأة على تأليف الوزير ابي الحسن علي بن ابي الرجال القيرواني ، وفي هذا بلاغ !

ومات قسطنطين الافريقي في خلال عام ٤٨٠ هـ ١٠٨٧ م .

* * *

ومن هنا يتضح جلياً للباحث المنصف ان العرب لم يكونوا ليستأثروا بعلومهم ، ويستقلوا بنتيجة بحوثهم واكتشافاتهم ، بل كانوا يلقونها لكل راغب ، ويلقنونها ويلقنونها لكل طالب ، ولا يهمهم جنسه ومعتقده ، وبمثل هذا العمل تتفاضل الأمم ، وتتفاخر الشعوب ، إذ كانت الرسالة العلمية أمانة يؤديها حاملها للبشر قاطبة من غير ارتقاب جزاء أو شكور ؛ ـ وبذلك قضت سنة الكون بين

أبناء الخليقة ليتم العمران ، ويسود التعارف والتعاضد والتوادد بين جميع أفراد بني الانسان .

* * *

ولا يفوتنا أن نستطرد هنا ذكر ذلك المعهد العلمي التطبيقي الذي أنشأه الأمير الصنهاجي : علي بن يحيى حفيد المعز بن باديس ، فانه أسس بمدينة المهدية حين تولى امارتها ـ سنة ٥٠١ هـ ـ مدرسة للعلوم الكيميائية ، وأشرف على سيرها وتعليمها حكيماً من أشهر حكماء العرب في وقته ، وهو الطبيب الفيلسوف الأديب (أمية بن ابي الصلت الداني) ، وقد ابتنى الأمير لذلك عمارة ذات قاعات متسعة أسماها « دار العمل » إشارةً لما كان يباشر فيها من تطبيق علم الكيمياء وفروعها ، وقد زودها بآلات تحليل المعادن والأحجار ، وتقطير الأعشاب والنبات ، وأدوات لتبخيرها وتحويلها بما يناسب معلومات ذلك العصر ، كما انه جعل حولها غرفاً وفيرة لإسكان الطلبة المعتنين وتمكينهم من التجرد للعمل ؛ لكن ـ للأسف الشديد ـ لم يعش هذا المعهد أكثر من ربع قرن أو خمسه فيما ذكر نقلة الأخبار .

* * *

وعودة الى سير العلم في بقية افريقية فقد انتصبت الدولة الحفصية بعاصمة تونس ـ وريثة قرطاجنة والقيروان معاً ـ في القرن السابع للهجرة ـ ومن أول تأسيسها انضاف الى أهل البلاد عنصر جديد أندلسي ، فقد هاجر الى حضرة افريقية ثلة ممتازة من كبار علماء العدوة الاسبانية وأدبائها ، ولم تزل هجرتهم الى تونس في نماء وازدياد وما منهم واحد الا وقد حمل اليها أوضاعهم وتقاليدهم في العلم والفن والصناعة حتى أصبحت تونس أم البلاد المغربية وقطبها الأكبر بلا منازع .

ومما أعانها على ذلك وجود « جامع الزيتونة » الذي أصبح أكبر جامعة اسلامية

عربية عرفها المغرب بأسره ، وقد أنبتت « الزيتونة » المباركة غير واحد من العلماء الأفذاذ في غير ما فن نذكر من بينهم : الكيميائي الشهير (احمد التيفاشي القفصي) ، والرحالة الكاتب (عبد الله التجاني) ، والمؤرخ الاجتماعي (ابن خلدون) ، والحقوقي الكبير (ابن عرفة) ، وغيرهم ، وغيرهم .

وقد دأبت « الزيتونة » من ذلك الحين وبدون انقطاع على اداء رسالتها العلمية مطردة النمو والازدهار ، زادها الله إنارة ونوراً

* * *

يسجل التاريخ مزية عظيمة لملوك بني حفص في ارساخ قدم الثقافة بالقطر الافريقي ، فانهم في مقدمة من أنشأ في المغرب العربي (المدارس) للتعليم العالي ، نظير ما جرى في بغداد العباسية وبلاد الشام الأيوبية ، وقد تضافر الأمراء والأميرات من الأسرة الحفصية على تحلية مدينة تونس بأكثر من عشر مدارس جليلة قامت بأوفر قسط في تكوين تلاميذ « الزيتونه » تكويناً جامعياً واسعاً الى أن استقل خريجوها بالخبرة التامة والتخصص في الشؤون القضائية والادارية ، فأسندت اليهم المناصب الرفيعة بين المحاكم والدواوين .

ويلاحظ أن حدوث المدارس كان باعثاً على حصر تعليم الفنون في « المتون » وتعويض دراسة الأمهات بالمختصرات وشروح الملخصات .

وان أول المنشآت التونسية للتعليم العالي المقتبس من النظم الاروبية الجديدة كان « المكتب الحربي » بباردو الذي أسسه احمد باي الأول في منتصف القرن الماضي ، فقد تسنى أن جلب اليه عدداً من الضباط المرشدين من ممالك مختلفة : من تركية ، وفرنسا ، وايطاليا ، وأخرجت المدرسة رجالاً كانت لهم المكانة الكبيرة في ميادين الادارة والسياسة والتعليم ، نخص منهم الوزير المصلح خير الدين ، والفريق حسين وزير المعارف ، والفريق رشيد وزير الحرب وقائد الجيش التونسي الذي شارك في حرب القرم ، وسواهم كثير .

وقد ترأس هذه المدرسة العليا جماعة من كبار الضباط الاروبيين منهم القائمقام (كاليقاريس) الايطالي ، الذي ترجم مع تلامذته الى العربية «سيرة نابليون» وهذا الكتاب من أول ما طبع في تونس ، كما عرّب تلاميذ المدرسة الحربية نحواً من أربعين مصنفاً في فنون الحرب من لغات مختلفة : تركيـة وفرنسية وايطالية ، ولا زال معظم هذه التراجم في حيز الوجود مخطوطاً ، وعسى الله أن يوفق يوماً ما مَن يجمع هذه الآثار القيمة في مجموعة تكون فخراً وعبرةً للناشئة القادمة .

* * *

ثم أحدثت «المدرسة الصادقية» بمساعي الوزير خير الدين ـ سنة ١٢٩٣ هـ ـ وحينئذ ألغي المكتب الحربي ، وقد تلقت «الصادقية» من سالفها مشعل النهضة التعليمية ، وأتيح لها أن تهيئ في معملها المصل الملقح لعنصر الشباب ، فأيقظته من سباته وبعثته مقاماً محموداً من العرفان والتفكير ، وبذلك استحقت ولاء تونس والتونسيين .

* * *

هذه خلاصة الأشواط التي قطعتها تونس في سبيل التثقيف العالي الغالي ، وأملها اليوم أن تواصل سيرها بعزم ثابت لتسترجع المكان اللائق بها بين الأمم المخيمة على ضفاف البحر المتوسط ، وتثبت تفانيهـا في نشر أسباب الحضارة الصحيحة والتمدين ، وبذلك تكون قد أدت الرسالة المفروضة عليها ، ان شاء الله تعالى .

(تونس) حسن حسني عبد الوهاب

فضل الثنائية على المعجمية

تمهيد

يلقبني بعض شيوخ اللغة ـ المحبين المذاهب القديمة ـ « داعية الثنائية » فأنا راض بهذا اللقب لأني بالحقيقة من الدعاة الى هذه النظرية ، ومن الساعين في إثبات صحتها ، ولا أزال على منهجي هذا حتى أصل الى غايتي من هذا البحث ، وها أنذا باسط في ذا المقال طائفة من النماذج طبقاً لطريقة بحث المواد في معجمي الثنائي ، وذلك زيادة في تعزيز نظرية « الثنائية » ، وتبياناً لجزيل فضلها ، وفائق تفوقها على نظرية « الثلاثية » القديمة ، وعميم فائدتها المعجمية العربية ٠

آ ـ عَسَل

عَسلَ الطعامَ : عمله وخلطه ٠ و ـ من طعامه : ذاقه ٠ و ـ القومَ : زوّدهم العسلَ وأطعمهم اياه ٠ و ـ فلاناً : طيبَ الثناء عليه ٠ و ـ اللهُ فلاناً الى الناس : حبّبه اليهم ٠ و ـ الذئبُ أو الفرسُ : هزّ رأسه واضطرب في عدو ٠ و ـ الرمحُ : اشتد اهتزازه ٠ و ـ الطريقَ (في الطريق) الثعلبُ : سار ٠ و ـ الدليلُ في المفازة : اسرع ٠ كذب عليك العسلُ : أسرع في المشي ٠ و ـ الماءُ : اضطرب بتحريك الريح ٠ ـ عسَّل : صار كالعسل ٠ و ـ النحلُ عملت العسل ٠ واستعسل القومُ : استوهبوا العسَل ٠ والعاسل : شتار العسل ٠ و ـ الذئب ٠ و ـ ذو العمل الصالح ٠ ورمحٌ عاسل : يهتز ليناً ٠ ومكانٌ عاسل : فيه عسَل ٠ والعسّالة : النحلة ٠ و ـ خليتها ٠ والعَسْل : الناقة السريعة ٠ وعَسْلاً لك : تعساً ٠ والعسِل : الرجل الشديد الضرب ٠ ـ العَسل :

لعاب النحل . و — حَبَاب الماء اذا جرى . والعَسُول ، الشديد الاهتزاز . والعَسِيل : مكنسة العطار يجمع بها العطر . و — الريشة التي تقلع بها الغالية ، أي أخلاط الطيب . والعَنْسَل : الناقة السريعة (النون زائدة) .

هذا مثل من مئات الأمثال التي يتجلى فيها الاضطراب والتنافر بين فحاوي الألفاظ العربية ، اذ ان المرء الباحث يتحير سائلاً نفسه : أية علاقة معنوية يا ترى ، بين العسَل ، هذه المادة الحلوة المذاق ، وما يتفرع من اسم العسَل من الصيغ الارتجالية ، والمداليل المجازية ، وبين الذئب واسراعه في السير ، واهتزاز الرمح ، واضطراب الماء ، والكذب ، والوجوب ، والتعنس ، أو أية لحمة ومناسبة بين الثناء على الصلاح ، والتحبُّب ، وبين خلية النحل ، ومكنسة العطار ، والريشة المستخدمة لقلع الغالية ؟

هذه الحالة هي حالة المعجمية الثلاثية . وقد كانت وما زالت على هـذا المنوال منذ أجيال .

فان استغربتها ، أيها الباحث المحقق ، والمعجمي المدقق ، ونفرت منها نفسك ـ كما نفرت منها نفسي قديماً ، وأنا على مقاعد المدارس ـ وان شق عليك هذا النقصان ، وهذا الخلل والعيب ، فراجع في ذا الشأن اللغويين والمعجميين ، أنصار الثلاثية ، المحافظين عليها محافظتهم على المقدسات بسبيل التقليد . فهم المسؤولون عن ذلك ؛ ومن واجبهم أن يحلوا لك هذا المشكل ، وأن يزيلوا هذه المعايب ، ان استطاعوا ، بثلاثيتهم ، الى ذلك سبيلاً . أما نحن الثنائيين الذين ينظر الينا حضرات هؤلاء الثلاثيين شزراً وحنقاً ، لمخالفتنا ما وجدوا عليه سلفاءهم ، فنقول لك : كن مطمئناً . فان هذا التنافر والتناقض الملازم المعجمية الحالية لا وجود له إلاّ في الظاهر ، ومنشؤه فرضية بدء الاشتقاق من الثلاثية . ودونك كيفية ازالة هذا الخلل بالثنائية .

ان اللفظة « عَسَل » ثلاثة ضروب من المفاهيم :

أولاً : الفحاوي الارتجالية من كلمة «العَسَل» أي هـذه المادة السائلة الغليظة الحلوة المذاق التي تعدُّها النحل من عصارة الزهور وتقذفها في تخاريب خلاياها . وقد سمى بعض المعاجم العربية العَسَل : «لعاب النحل» . ومن باب التشبيه أطلق على حَباب الماء اذا جرى . والعَسل ، من هذا القبيل ، ليس باسم مشتق من أصل فعلي ، بل ان الأفعال مشتقة ارتجالاً من هذا اسم العين . ولمعانيها علاقة بحلاوة العسل .

ثانياً : هناك المداليل المجازية الناشئة عن حلاوة العسل . كقولك : عسل فلاناً : طيب الثناء عليـه . وعسل اللهُ فلاناً الى الناس : حبَّبه اليهم . والعاسِل : ذو العمل الصالح .

ثالثاً : «عسَلَ» فعل اشتقاقي دال على الاهتزاز ، والسرعة ؛ وعلى الذئب ومرعته ، وعلى التعس ، وعلى مكنسة العطار ـ وهنا ينشأ الاضطراب . ولما رأى ابن فارس ، صاحب «كتاب المقاييس» هذه الحالة ، حالة التنافر المعنوي ، رد الفعل الى أصلين . أولهما يدل على الحلاوة المتصف بها العسل ، وما يتفرع من ذلك . وثانيهما : على الاهتزاز والاضطراب والاسراع . بيد أن هـذا الافتراض لا يزيل ما يظهر للعيان من الاختلال المعنوي .

أما نحن ، فبفضل الثنائية ، نقول ونثبت ان أصل الكلمة واحد ، وان لا اضطراب ولا اختلال في سير مداليلها . ودونك البرهنة .

ان «عسَل» المعدود ثلاثياً في نظر الثلاثيين ليس بثلاثي مجرد ، بل هو «ثنائي متوسّع ، أو مزيد» ، باضافة اللام تذييلاً . و «الرس الثنائي» الصادر عنه «عسَل» هو «عَسْ» المكرّر في «عَسْعَسْ» ومقلوبه «سَعْسَعْ» أي تكرار «سَعْ» . ومن معانيه : سَعْسَعَ الراعي بالمعزى : دعاها بقوله : «سَعْ سَعْ» حتى تُقبل اليه . كأني به يقول لها : تحركي ، امشي ، اسعي ،

أقبلي اليَّ . وسَعْسَعَ الشيخُ: اضطرب جسمه . أي تحرك بشدة . والسُّعْسُع: الذئب ، لمشيه بسرعة . وسَعْسَع الليل : أدبر وولّى . وفي ذلك حركة وسرعة . ومن الثنائي الخفيف « سَعْ » تفرع « سعى » بمد حركة ثانية . ومدلول « سعى »: مشى وعدا . وفي العدو حركة وسرعة . وتفرع من « سَعْ » كذلك « ساع » الممدود الأول . ومن مداليله : ساعت الإبلُ : تُركت تسرح دون راعٍ .

وكذا الحال في « عَسْعَسْ » وهو ثنائي خفيف مكرَّر . ومن دلالاته : عَسْعَس الشيءَ : حرَّكه . و — الليلُ أدبر . و — الذئبُ : طاف بالليل . وتعَسْعَس الذئبُ : طلبَ الصيدَ ليلاً . والعَسْعَسُ والعَسْعاسُ : الذئب ، لطوافه في الليل طلباً للصيد . ومن « عَسْ » صدر ، بالتثقيل أو التضعيف ، « عسّ » . ومدلوله : طاف بالليل . وعسَّت الناقة : رعت ، أي طافت في المرعى وحدها . والعسَّاس : الذئب . لأنه يعسُّ ، أي يطوف بالليل . وكذلك قد توسَّع « عَسْ » بمدّ أوله . فجاء منه « عاس » : طاف ليلاً . وعاس الذئب : سعى في طلب شيء يأكله بالليل .

فلنتخطَّ الآن الى « عَسَلَ » . وهو ، كما قلنا ، مزيد في الثنائي « عَسْ » بزيادة اللام تذييلاً . وفيه تطوَّرت متوسعةً مداليل الحركة ، والاهتزاز ، والسير ، والطواف .

« عَسَلَ » المشتق اشتقاقاً فعلياً ، قد انبثق من « عَسْ » فجاءت معانيه كما يلي :

عسَل الذئبُ او الفرسُ : هزَّ رأسه واضطرب في عدو . و — الماءُ : اضطرب . و — الدليلُ : أسرع . و — الرمحُ : اشتد اهتزازه . والعاسِل : الذئبُ . و — الرمحُ المهتز . والعَسِل : الرجل الشديد الضرب . وفي الضرب حركة عنيفة . والعَسِيل : مكنسة العطار . و — الريشة المستعملة لقلع الغالية . وفي الكنس والقلع حركة . يقال عَسْلاً لك ، أي تعساً وبعداً . وفي الابعاد حركة عنيفة . وكذا « العَسَل » الذي سُمي في الثلاثية « اسم عين » أي غير

مشتق من أصل فعلي . فهو بالحقيقة مشتق أيضاً . في نظر « الثنائيه » . اذ ما العسَل الا مادة سائلة ، حلوة المذاق . فصفة السيلان يدل عليها الرس الثنائي « عَسْ » ومقلوبه « سَعْ » ومكرّراهما « عَسْعَسْ وسَعْسَعْ » والمتفرعات المختلفة « عاس ، وساع ، وسعى » . وفي كلها معنى الحركة الأولي . وهذا المدلول متضمن في الصفة الأولى للعسَل ، وهي السيلان . إذ هو مادة سائلة . ومن الصفة الثانيه ، وهي الحلاوة ، نشأت الفحاوي الارتجالية ، الدالة على هذه الخاصية ، حقيقةً ومجازاً ، كما سبق بسطه أعلاه .

فأنتم ترون ، يا محبي اللغة وأنصارها ، أن الثنائية ، مهما طعن فيها خصومها ومناهضوها ، تقف راسخةً ، غير متزعزعة ، ومتجليةً من أنجع الوسائل لاصلاح المعجمية ، بتنظيمها تنظيماً منطقياً ، معقولاً ، مقبولاً . ومن مطاوي البحث يستبين لكل مطالع نزيه ، وذي ذوق سليم ، ان الاشتقاق ، على مثال الشجرة ، متوقف على البزر المزروع كحبة الخردل التي تلقى في الأرض ؛ وبالتدريج ، اي بالتوسع والتفرع ، تصبح شجرة عظيمة ، تستظل في أغصانها طيور السماء ؛ وان التوسع ليس بقائم على البدء بالكثرة والاطالة ، فيعقبها بعدئذ الاختزال . كما ان الشجرة لا تشرع في ان تكون دوحة باسقة ؛ ويوماً بعد يوم تتقلص ، فتصغر ، فتتحول ، خلافاً لسنن الطبيعة ، من دوحة الى شجيرة ، ثم الى نجلة ، ثم الى نبتة ، ثم الى بزرة .

ولذا لا يمكن القول بان بدء الاشتقاق كان بالثلاثيات ، من مثل : « قطع ، زلق ، كدح ، بتر ، زحل » . ثم تقدم وتوسع . فأصبحت هذه الأفعال الثلاثية : « قط ، زل ، كد ، بت ، زح » . فالطبيعة تنفر من هذا الأسلوب الخيالي ، المتعسف ، لأن الحقيقة تثبت ان « قط ، وزل ، وكد ، وبت ، وزح » وأشباهها هي الرساس الأولية ، وان « قطع ، وزلق ، و كدح ، وبتر ، وزحل »

وامثالها ، قد تفرعت عنها بالزيادة [1] . وبعبارة أخرى : ان الثنائية هي الأصل ، والثلاثية ، فرعها . وهذا الناموس ، ناموس التفرع والتوسُّع ، موجود في الطبيعة عينها ، وفي البشر أنفسهم ، فان الانسان لا يولد كهلاً ، فيتطور متناقصاً الى أن يصبح طفلاً . بل يولد طفلاً ، فينمو وينشو مترعرعاً الى ان يصل الى كمال الرجولة .

أما الاختزال الوارد في بعض الأصول والألفاظ ، فهو ناجم عن كثرة الاستعمال والتداول ، وعن ضعف أعضاء النطق ، وتأثير البيئات الاجتماعية ، الى ما هنالك من العوارض ، والآفات الملازمة كل ما هو بشري ومخلوق . وهو ليس من طور التكون والارتقاء ، بل من طور الوهن ، والضمور ، والانحطاط . وهذا الناموس شامل سائر اللغات . وكما أن البحث عن أصل الشجرة لا يقوم على التفتيش عن سيقانها وأغصانها الظاهرة لعيون الناظرين ، بل على الحفر والتعميق ، للوصول الى جذورها وعروقها الخفية الغائرة في الأرض ، كذلك لا يسوغ بك الاشتقاق بالصيغة الثلاثية ، بل من الواجب التنقيب والتقصي للوقوع على « الرساس الثنائية » وجعلها مبدأ الاشتقاق الطبيعي المعقول . وهذه هي الطريقة التي اتبعناها في تآليفنا المنشورة بالطبع ، وفي مقالاتنا المختلفة ، وفي هذا المقال ، كما في سائر معجمنا « الثنائي » . وقد راقت أرباب العلم الحقيقي من العصريين ، في الشرق ، ولا سيما في الغرب .

ب — أذن

منشأ اشتقاق هذه المادة من « دَنْ » الثنائي الخفيف ، ومثقله « دنّ » ، ومكرّره « دَنْدَنْ » وفي كلها دلالة على صوت الذباب . ومبدل « دَنْ ودَنْدَنْ » هو « طَنْ ، وطَنْطَنْ » بالتفخيم .

وقد توسّع « دَنْ » الثنائي بزيادة الهمزة تنويجاً ، فأضحى الثلاثي « أذن »

(١) راجع مقالة للأستاذ للفرني عنوانها : « بعض أسرار اللغة العربية » منشورة في هذه المجلة الجزء ٢ المجلد ٢٨ . ص ١٨١ — ١٨٦ .

وغير خافٍ أن الدال والذال تتعاقبان . مثلاً « دلّى وذلّى . تدأدأ وتذأذأ . ودر ، وذر » . ومن صوت الدَّنْدَنَة . اشتقت الآلة التي يسمع بها الصوت وهي « الأذن » . ومن « الأذن » ارتجلت المشتقات التالية . وفي سائرها معنى السماع والاسماع للصوت ، حقيقةً ومجازاً .

أذَّن فلاناً : أصاب أذنه . و — الصبيَّ : عرك أذنه ونقرها . و — الثمامُ : خرجت خوصته ، وهي تشبه الأذن . أذِن الرجلُ : شكا أذنه . وأذِن للهو : استمع اليه . و — بالأمر : علم به ، أي أدركه بسمعه اياه . و — لرائحة الطعام ، أو لحديث فلان : اذا اشتهاه ، أي أحبه بعد معرفته اياه بالسماع . و — له في الشيء : أباحه له ، أي ألقى في أذنه ما يرضيه . و — له عليه : نال له منه الإذن ، أي السماح المبلَّغ عن طريق الاذن .

آذن العشبُ : اذا بدأ يجف . فبعضه رطب ، وبعضه يابس . فكأن الجزء اليابس يخبر أو يسمع بقرب يبوسة الجزء الرطب . و — النعلُ وغيرها جعلَ لها أذناً . وهو ما أطاف منها بالقِبال . وهو ما يشبه الاذن . وآذنه : أصاب أذنه . و — زيداً : منعه وردّه . لأن المنع يتم بالكلام المسموع بالأذن . و — المؤذن بالصلاة : نادى اليها ، وأعلم بها . وذلك بإيصال صوته الى آذان المدعوين الى أدائها .

أذّن فلاناً : عرك أذنه . (والبقية كما في آذن) — تأذّن : أقسم : لأن القسَم يجري بالصوت ليسمعه الغير . و — الأميرُ في الناس : اذا نادى فيهم ناهياً مهدداً . استأذن في كذا : طلب الإذن ، أي الرخصة . الأُذْن والأُذُن : آلة السمع . ومن باب المجاز : المقبض والعروة من كل شيء . كأذن الكوز ، والدلو ، على التشبيه . و — بطانة الرجل ، لاتصاله به اتصال الأذن ، كأنه يسمع بواسطته .

الإذْن : العلم ، والارادة ، والاجازة . وكل ذلك يتم بالسماع ، أو الاسماع عن طريق الأُذُن .

الأَذَنة : خوصة الثمام الشبيهة بالاذن • و — الشهوة أو الميل الى الطعام ميلَ الأذن الى السمع • و — واحدة الأُذَن ، وهو التبن • و — صغار الإبل والغنم • على التشبيه بخوصة الثمام ، وهي ذاتها تجانس الاذن • — الأذين : المؤذن ، والكفيل ، والزعيم ، والحاجب • وكلها من معنى السمع والإصغاء •

نظائر الأُذن في الألسن السامية • في السريانية ednâ • وفي الارمية ûdnâ • وفي العبرية ôzèn : اذن ، عروة • ومنه âzan و heezin : نصب أذنيه ، أصغى • وفي الحبشية ezen' أذُن • و ma'zen : طرف • حافة • قمة • وفي الاكدية uznu : اذن ، عروة • والدال العربية تقلب زاء في الاكدية ، والعبرية والحبشية •

على انه يحتمل ، بناءً على أصول الاكدية ، والعبرية والحبشية ، ان اشتقاق «اذن» الثلاثي من فكرة الارتفاع والحدة والتسنن • وهذه هي هيئة الاذن ، وخاصة في الحيوانات • بيد انها لا تنافي الفكرة المتضمنة في الرساس الثنائية في العربية ، وهي «دَنْ ، ودَنّ ، ودندن» الدالة على صوت الذباب • لأن من طبع الأصوات أن تكون عادةً ، عالية وحادة •

ت — أرض

هذه المادة سامية ، لوجودها في كل الساميات ، ما خلا الحبشية ، الوارد فيها كلمة Meder الناظرة الى لفظة «مَدَر» العربية ، أي التراب المتلبد ، أو الطين اليابس • ففي الاكدية نلفي ersîtu • وفي العبرية érès • وفي الفينيقية والموآبية aras • وفي الأُغاريتية ars' وفي الارمية : «أرَعْ» وفي السريانية «أرْعا» وفي السبئية : «أرض» • وفي عامة هذه الألسن ، ليس من جذر فعلي يصدر عنه اسم «الأرض» •

هذا والحرف الأخير من اسم «أرض» يختلف حسب اختلاف اللغات • ففي السبئية والعربية يلفظ «ضاداً» • وفي الارمية والسريانية «عيناً» • وفي بقية الساميات «صاداً» • وهذا التباين في لفظ الحرف المذكور سابق ظهوره

في الرساس الثنائية المشتقة منها الثلاثيات ، بزيادة الهمزة تتويجاً . فالرس الثنائي الخفيف هو في العربية «رَضْ» وفي الارمية والسريانية «رَعْ» وفي البقية «رَصْ» وجميعها تطلق على الدق ، والجرش ، والفتّ . مما هو خاص بالتراب المركبة منه الأرض . وبالدق يتلبد ويقوى ، فيصبح صلباً ، يابساً ، مسطحاً ، ثقيلاً . ومن كلمة «الارض» ، اسم العين ، قد نجم في العربية الفعل المشتق ارتجالاً ، والمختلف المعاني ، حسب أوزانه ومزيداته . وهي أرَض . أرِض . أرُض . أرِض . ثم أرَّض . آرض . تأرّض . استأرض .

فالوزن الثلاثي ناشئ من الثنائي «رَضْ» ومثقله «رضّ» ومكرره «رَضْرَض» و «تَرَضْرَض» تحرك ، ارتج ، تكسر . ثم متوسّعه «راض» : ذلّل ، واضع ، سفّل ومزيده «روّض» جعله روضة . والروضة من البقل والعشب مستنقع الماء ، قيل لها ذلك لاستراضة الماء فيها . واستراض المكان : اتسع وكثرت رياضه ، فطابت النفس فيه . والرّوض : أرض مخضرة بأنواع النبات . وبعد هذا يسهل تعليل معاني الثلاثي .

الأرض : التراب . الثرى . اليابسة . البسيطة . الغبراء . البر . الكرة الأرضيـة . القارة . القطر . البلد . وكل شيء يسفل ويقابل السماء . . و — ما استقرت عليه قدماك . و — الزكام . و — الرعدة . و — الدوار .

كل هذه الفحاوي من الهين ادراكها وادراك فروقها حين الوقوف على اللحمة المعنوية بين الثنائي «رضْ» ومتفرعاته «رَضّ ، وراض ، وروّض» كالظاهر مما سبق وما يلحق من المشتقات . يقال «أرض النعل» ما أصاب الأرض منها . «وفرسٌ بعيدٌ ما بين أرضه وسمائه» . اذا كان نهداً أي جسيماً ، لحياً ، مشرفاً . و «أرض الانسان» : ركبتاه وما يليها . «ومن أطاعني كنتُ له أرضاً» أي متواضعاً . ومن الأمثال : «آمن من الأرض» . «واجمع واشد وأذل من الأرض» . «وابن أرض» : غريب لا يعرف له أبٌ ولا أم . أرِضت الخشبة وأُرِضت : وقعت فيها الأَرَضَة ، فأكلتها . والأَرَضَة :

دويبة تأكل الخشب . وهي آفة كل نبات . اشتقاقها من «رَضْ» الدال على الجرش والقرض .

أَرَضَت الأرضُ : زكت ونما نباتها . و — القرحة : مجلت وفسدت بالمدة . وأُرِضَ الرجل : أقام على الإراض . وهو بساط ضخم من صوف أو وبر . وسمي بذلك لأنه يلي الأرض . أُرِضَ الرجلُ : أصابه الزكام . وهو رشح فضلات رطبة ومائية من الأنف . وآرضه اللهُ : أزكمه . و — الطبيبُ : داواه . ومعنى آرضه هنا : للسلب أي للإبراء من الأرْض ، وهو الزكام . — وأرَّض الكلام : شذَّبه وهذبه وهيأه . وأرَّض الصومَ : تهيأ له بالنية . و — الشيءَ : أصلحه . و — لبَّث . و — ثقل . و — فلانٌ : رعى الكلأ .

تأرَّض النبت : تمكن من أن يجَزّ . و — تثاقل الى الأرض . استأرض : أقام فلبث بالمكان . و — السحابُ : امتد . و — الفسيلُ : صار له عرق في الأرض .

الأريض : الذكي . وجَدْي أريض : سمين .

المأروض المزكوم . و — الخشب الذي أكلته الأُرَضة . والمؤرِّض : الذي يرعى كلأ الأرض .

الظاهر بجلاء من كل هذه الفحاوي المتضمنة في مادة «أرض» انها ناجمة بتساوق ، أولاً عن الثنائي «رَضْ» ومكرره «رَضرَضْ» ثم بنوع خاص من المتوسَّع «راض» ومزيده «روَّض» ومنه الروض والروضة . وفي كل هذه سائدة فكرة الرضِّ الدالة على طبيعة الأرض . ثم على فكرة الرطوبة والمائية المتصفة بها الرياض . ثم فكرة الخضرة والعشب . ثم فكرة الغزارة والخصب . ثم فكرة الرفاه . ومن ثم فكرة الاقامة ، والتهيئة والاصلاح .

(يتبع) مرمرجي الدومنكي

من آثار العرب الزراعية
في الأندلس

لم تقتصر المدنية العربية في الأندلس على العلوم الأدبية والتاريخية والفلسفية والدينية ، بل كانوا يعتنون بالزراعة اعتناءً زائداً ، يدرسون نظرياتها ويطبقونها ، ويدرسون أنواع النباتات الطبية وخواصها ، وكيفية تحضيرها ويدرسون المواشي وتربيتها ...

وقد كانت دراستهم مبنية على أساس علمي لا على الوهم والخيال .

وكانوا يترجمون الكتب اليونانية والنبطية وغيرها من الكتب القديمة ويقتبسون منها ما يجدونه موافقاً ، ويطبقون النظريات وفاقاً للاقليم والأرض ، وعلاوةً على ذلك فقد اعتنوا بالتأليف ، وألفوا كتب قيمة للغاية ضاع أكثرها ولم يبق منها الا النزر اليسير ، أهمها كتاب الفلاحة لابن العوام الذي ذاع صيته وترجم الى اللغة الافرنسية .

ويعترف علماء الافرنج بفضل العرب على أنواع العلوم ، وبفضلهم على العلوم الزراعية .

ولا نغالي اذا قلنا بان أوربا اقتبست المبادئ الزراعية المبنية على أساس التجربة والعلم من العرب في الأندلس .

واثباتاً لذلك نذكر ما قاله علماء الغرب عن رقي العرب في الزراعة .

قال الدكتور غوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » :

« وقد برع العرب في الزراعة براعتهم في العلوم والصناعات ، وليس في

اسبانية الحاضرة من أعمال الري خلا ما أتمه العرب ، وقد أدخل العرب في حقول الأندلس الخصبة زراعة قصب السكر والتوت والأرز والقطن والموز ... الخ

وأصبحت اسبانيا وهي قاحلة اليوم ماعدا بعض الأراضي في جنوبها فانها جنة واسعة بفضل أساليب العرب الزراعية الفنية » .

بحث علماء الطبيعة من العرب في النباتات أيضاً ولا سيما في تطبيقاتها الطبية وقد أنشأوا حدائق نباتات زرعوا فيها أندر ما عرفوه من أنواعها وأكثر طرافة .

وكانت غرناطة تشتمل في القرن العاشر حديقة عظيمة للنبات ، وكان لعبد الرحمن الأول مثلها بالقرب من قرطبة .

وأوفد عبد الرحمن الأول جماعة من علماء الطبيعة الى الشام وغيرها من أقطار آسيا ليأتوه بأعز النباتات وأجودها .

وثبت أن العرب هم أول من أسسوا حدائق النبات المختلفة . وهم أول من أدخلوا النباتات الطبية المختلفة مما لم يعهد له أثر في الأندلس وقد أوفدوا لذلك بعثات زراعية من علماء النبات للتجول في مختلف البلدان وجلب ما يمكن جلبه لزراعته في الأندلس ، والعمل على تأقلمه فيها .

وكانت لهم خبرة زائدة بزراعة النباتات الطبية وخواصها وقد ألفوا بهذه الناحية كتباً عديدة سوف نذكر منها المشهور والمذكور في كتب التاريخ .

واهتم علماء الزراعة في الأندلس بري البساتين والحقول بصورة فنية ، وطرق الري التي تستعمل الآن في اسبانية هي الطرق التي كان يستعملها العرب ، وان بساتين البرتقال في بلنسية لا تزال تسقى من الأقنية التي أنشأها العرب منذ ألف سنة ، وطريقة الري المتبعة في مقاطعة بلنسية حتى الآن هي طريقة القناة الرئيسة والأقنية الفرعية الموزعة وهي طريقة العرب ، ولا تزال في القني الأصلية أحجار مغروزة على جانبي القناة لإدخال أحجار مبسوطة لسد القناة وتحويل مجرى المياه الى احدى القنوات الفرعية .

ومن آثار الزراعة العربية في الأندلس ، قناة خوكار وشوكار ، طولها ثلاثون كيلومتراً وعرضها ثلاثة أمتار ، تنقل المياه من نهر خوكار ويوزعها على أراض واسعة بين بلنسية وقربتي : السوقية والصيرة ، وهو يسقي حقول الأرز الخصبة وينتهي في مستنقع البوفيرا . وأخبرني اسباني بلنسي ان هذه القناة من عمل العرب وهي كباقي الأقنية في غاية الاتقان والاستقامة .

وهناك أقنية أخرى كثيرة في جميع أرجاء اسبانية على عهد العرب وكلها تدل على تقدمهم في هندسة الري .

والمعروف عن العرب أنهم هم الذين أدخلوا زراعة النخيل والرمان والارز وقصب السكر والقطن والترمس والنارنج (أبوصفير) ، والبرتقال مورد ثروة في اسبانيا الآن ، ولعلهم هم الذين أدخلوا زراعة الزيتون وزراعات أخرى كثيرة ، ولا تزال أحراج النخيل العربية بين غرناطة ومُرسية تذكرنا بنشاط العرب العجيب يومئذ .

وهناك أثر عظيم من آثار العرب في زراعة الأندلس ، وهو فن هندسة الحدائق والرياض الخاصة والعامة ، فقد نشأ في اسبانيا ذوق عربي في تنسيق الحدائق كان ذا ميزات جمعت بين الرقة والبساطة .

أما نباتات الأزهار فكانوا يزرعونها في (قوارير) ليسهل نقلها وبذلك كانوا يغيرون شكل الحديقة ومناظرها كيفما أرادوا وعندما يريدون . وكان يتألف من البلاط والقرميد الملون ، قسم فني في الجنينة . فالعيون والأحواض والمقاعد والممرات والأدواح كل ذلك يزخرف بالقرميد الملون بألوان مختلفة ، وكان ذلك يبعث في وسط الحديقة جمالاً سحرياً خاصاً .

أجمل حديقة صغيرة في قرطبة ، هي حديقة المركيز دوفيانا وفيها قسم لأشجار البرتقال ، وقسم للأزهار المزروعة في قوارير ، وقسم آخر فيه عدد من شجر السرو الجميل ، مع عين في الوسط ، وهذا بالطبع طراز عربي .

وفي اشبيلية بعض حدائق شهيرة منها حديقة القصر الملكي التي تعد أجمل منتزه يتخيله الانسان ٠

وفي رندة (بستان مسكن الملك العربي) كما يدعونه حتى الآن ، وفي غرناطة جنة العريف الذائعة الصيت ٠

كان العربي يرى في حديقته جزءاً متمماً لبنيه وحياته العائلية ، فكان فيها نفس الوحدة والخلوة والاستقلال كأنه في بيته ٠

ولا يسع المتفرج أن يترك هذه الخلوات المنعشة دون أن يصيبه شيء من الحزن ، يرى هذا الحقل الخصب الذي بذره حصده غيره ونعم به ٠

وازدهرت زراعة الزيتون ازدهاراً عظيماً في الأندلس ، ونيف عدد أشجار الزيتون في اسبانية أيام الدولة العربية على ١٢٥ مليون شجرة ، وكانت عنايتهم عظيمة ويستنتج من محاضرات العالمين : جان ، والدكتور زرولا في نانسي ، انه كان في قرطبة وضواحيها خمسة وعشرون نوعاً من الزيتون ٠ وقد درس العرب هذه الأنواع وعملوا على نشرها ، وعنهم اقتبس علماء اللاتين هذه الأوصاف وصنفوها في دراساتهم وكتبهم ٠ لا شك بأن العرب قد كتبوا كثيراً في زراعة الزيتون ، وبقية الأشجار المثمرة ، ودرسوا أنواعها ، وليس شك في أن هذه الدراسات فقدت في أثناء انسحاب العرب من اسبانية ، والتاريخ يقول ان علماء اللاتين نقلوا كثيراً من دراسات العرب الى كتبهم ٠

علماء الزراعة العرب في الأندلس

كان في الأندلس ابان الحكم العربي علماء من العرب في الزراعة ، وكان لهم كتب عديدة ، ونشرات كثيرة ، وقد قاموا بتجارب زراعيــة أفادت العالم وساعدت على ادخال علم الزراعة الصحيح الى أوربا وغير أوربا ٠

وكثر علماء الزراعة في الأندلس وألفوا كتباً عديدة نذكر المؤلفين الذين

عثرنا على أسمائهم في بطون كتب التاريخ المتداولة ، ممن لا تزال كتبهم محفوظة في بعض دور الكتب العامة .

منهم ابو زكريا يحيى بن محمد ابو أحمد بن العوام والمعروف بابن العوام كان حياً في اشبيلية في القرن الثاني عشر الميلادي ، وقد قام بتجارب زراعية كثيرة في جبل الأشرف بالقرب من مدينة اشبيلية ، وألف كتاباً بالزراعة سماه كتاب الفلاحة وقد ترجم الى عدة لغات ، وترجمه الى الافرنسية « كالامان موبلا » في ألف وخمسمائة صفحة باللغة الافرنسية . منه نسخة أصلية في مكتبة الاسكوريال وأخرى في مكتبة ليد وثالثة ناقصة في المكتبة الوطنية في باريس .

قال ابن خلدون في مقدمته في باب الفلاحة ما يلي : « واختصر ابن العوام كتاب الفلاحة النبطية على هذا المنهاج وبقي الفن الآخر منه مغفلاً » . أي انه ترك السحر والطلاسم ...

وكتب ابن الخوام : ان ابن العوام ألف مختصراً في الزراعة النبطية ، حيث أغفل فيه جميع المسائل السحرية والخيال بل أكثرها .

وفي دائرة المعارف الاسلامية : ابن العوام « ابوزكريا يحيى بن محمد بن احمد ابن العوام الاشبيلي ، مصنف كتاب كبير في الفلاحة اسمه كتاب الفلاحة ، ولا نكاد نعرف شيئاً عن حياة هذا المؤلف ، وكل ما نعرفه انه كان يعيش في نهاية القرن الثاني عشر وان أصله من اشبيلية وقد ذكره ابن خلدون دون ان يعرف أنه موجز كتاب الفلاحة النبطية .

وينقسم الكتاب الى أربعة وثلاثين فصلاً ، وهو مؤلف من جزأين يدرس الجزء الأول طبيعة الأراضي ، والأسمدة المختلفة ، والمياه ، وكيفيـة تنظيم الجنائن ، وزراعة الأشجار المثمرة وتطعيمها وريها وتسميدها وحفظ ثمارها .

ويبحث الجزء الثاني في الحبوب والخضروات والنباتات العطرية والزينة والفوائد التي تنتج عنها وتربية المواشي والدجاج ، والنحل بصورة فنية رائعة ٠

ومنهم ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن الفاضل الأندلسي : لم نقف على سيرته اذ لم تثبت المعلومات التي لدينا عنه لكن م ٠ ماير يقول بأنه عاش سنة ٤٦٧ هـ أو ١٠٧٤ ميلادية لأن ابن الحجار ذكر انه كان في ذلك العصر ٠

وقال الغزيري انه ألف كتاباً ضخماً عن الزراعة ، وقد ذكره ابن العوام في كتابه الفلاحة ، واقتبس منه الشيء الكثير ٠

ومنهم أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن البصل الأندلسي : ذكره ابن العوام في كتابه الفلاحة أربع مرات مع اسم كتابه (القصد والبيان) ٠

ولا يعرف عنه الا انه مؤلف كتاب قيم في الزراعة ٠

ومنهم ابو عمر احمد بن محمد الحجاج : يقال بانه ولد في اشبيلية وعاش فيها وقد ذكره ابن العوام في فاتحة كتابه وانه ألف كتاب (المغني) عام ٤٦٦ هـ (١٠٣٢) م وهو كتاب كبير مفيد استعان به ابن العوام في وضع كتابه الجليل ٠

ومنهم الحاج احمد الغرناطي : ألف كتاباً مختصراً في الزراعة وعاش في القرن الثاني عشر (٥٥٣ هـ و ١١٦٠ م) ٠

ومنهم أبو الخير الاشبيلي : يعد من أشهر علماء الزراعة ، قام بتجارب زراعية عديدة جديدة ، وألف كتاباً زراعياً لم نهتد الى اسمه ، ولم نعلم شيئاً عن حياته ومماته ، وما هي التجارب التي قام بها ٠

وقد ذكره ابن العوام صاحب كتاب الفلاحة مرات في كتابه ، واقتبس الشيء الكثير من تجاربه الزراعية ٠

ومنهم ابو العباس احمد بن محمد مفرج النباتي الأندلسي : ألف كتاباً في علم النبات سماه « الرحلة » امتاز فيه بدقة الملاحظة ذكر فيه ما رآه من النبات في الأقطار

التي زارها ولقد بذّه في ذلك بلا ريب تلميذه ابو محمد عبد الله بن احمد ابن البيطار . فقد زار بلاد الروم وبلاد الشام ومصر ليدرس النبات في بيئته . توفي نحو ٦٣٨ هـ — (١٢٤٠ م) .

ومنهم ابن عبدون : عاش بين القرن الحادي عشر والثاني عشر في مدينة اشبيلية . وله مخطوطتان محفوظتان في مكتبة مراكش ومكتبة مكناس ، ففي المخطوطة الأولى يتناول المؤلف شتى الأوضاع العامة التي تطبق في اسبانية وسائر البلدان والمقاطعات الاسلامية في القرون الوسطى . وفي المخطوطة الثانية يبحث في الأسس الزراعية والاجتماعية في مدينة اشبيلية وكان يسكنها .

ويقول ابن عبدون في بحثه عن الأوضاع المدنية عن اشبيلية ، انه يجب على الأمير الأندلسي الحاكم تشجيع الزراعة بقدر استطاعته ، ويجب عليه أن يكون قدوة في استغلال أراضيهم . ويقول ان الزراعة هي الركن الأسامي لدفع الضرائب التي تغذي مالية الدولة .

وقد تطرق في أبحاثه الى تحصيل الضرائب الزراعية وتخمين الأراضي الزراعية . وضرورة معاملة المزارعين برفق وعدل ، ورأى أن يصانوا لاستغلال الأراضي ، ويقول بأن الزراعة هي أساس المدنية ومنها تنبثق كل الحياة .

عادل أبو النصر

الاشتقاق

- ٢ -

نوفل – اشتقت من النافلة يقال : إنه لذو فضائل ونوافل . قال أعشى باهلة :

أخو رغائب يعطيها ويسألها   يأبى الظلامة منه النوفل الزفر

كما تقول : والله لئن لقيت فلاناً ليلقينك به الأسد . يقول : تأبى الظلامة منه نوفلٌ زفر أي ذو نوافل . والزفر النهوض بالحمل والديات والأمور العظام (١)

مرداس – اشتق من الردس وهو ضرب الجبل بالمعول والصخرة العظيمة (٢) .

---

(١) روى البيت الشريف المرتضى في أماليه لليلى الاخيلية وفي الأضداد روى الصدر (أخو رغائب يُعطاها ويُسئلها) وفي كامل المبرد (يُعطيها ويُسئلها) . والنوفل من النفل متحركة . الغنيمة والهبة جمع أنفال ونفال . والنوفل البحر والعطية . وبعض أولاد السباع وذكر الضباع . وابن آوى . والشدة . والرجل المعطاء . والشاب الجميل . وجماعة من الأصحاب، والزفر كصرد . ملخص عن القاموس .

القاموس : ردس القوم رماهم بحجر . والحائط دكه بشيء صُلب عريض يقال له : المِردس والمِرداس والحجرَ بالحجر يردسُهُ ويردِسُه كسره . وبالشيء ذهب به . والمِرداس الرأس . وعباس بن مرداس السُّلَمي صحابي شاعر شجاع سخي . مبادئ اللغة . والمِرداس ما يرمي به في البئر لينظر أفيها ماء أم لا . قال الشاعر :

من جعل العدّ القديم الذي   أتت له عدة أحراس

الى ظَنونٍ أنت من مائه   منتظر رجعة مرداس

العِد بكسر العين الماء الذي لا انقطاع له مثل ماء العين وماء البئر . وفي فقه اللغة للثعالبي . المرداس الحجر الذى يرمى به في البئر ليعلم أفيها ماء أم لا أو يعلم مقدار غورها . وقال أبو عبيد : ردست أردس رميت .

جهور — اشتق من عظم الكلام وضخمه . يقال : فلان يجهور كلامه . ورجل جَهْوَرِي (١) .

قحطبة — من الصرع يقال : ضربه فقحطبه اذا صرعه (٢) .

خطفى — نرى أصله من الخطف . والخطف سرعة المشي . وسرعة المر . وسرعة الأخذ . يقال : مرّ يخطف خطفاً منكراً اذا مرّ مرّاً سريعاً . ويقال للصقر : خطف الأرنب يخطفها اذا ضربها ضرباً سريعاً . وخطف يخطف . قال : وزعم بعض العرب أن الخطفى جد جرير انما سمي الخطفى لأنه قال :

يرفعن لليل اذا ما أسدفا أعناق جِنّان وهاماً رجّفا

وعَنَقاً بعد الرسيم خيطفا (٣)

---

(١) جهور من الجهور وهو الظهور والعلن . وكلام جهير وجهور وجهوري عال . وكجعفر اسم . وفرس جهور كصبور ليس بأجش ولا أغن ثم يشتد صوته حتى يتباعد .

(٢) القاموس قحطبه صرعه وبالسيف علاه . والحسين بن قحطبة الحلبي محدث . وقحطبة اسم .

(٣) روي في الأضداد حنان بالمهملة وخطفاً بدل خيطفاً وكذلك في المقصور والممدود . وقال : ويروى خيطفاً وكذلك ورد في البيان والتبيين . وورد فيه (باقي) بدل (بعد) وفي الصحاح (الكلال) بدل (الرسيم) .

أما جد جرير فاسمه حذيفة . قال ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء : ولُقّب حذيفة الخطفى بقوله : (وعنقاً بعد الرسيم خيطفا) .

الجنان في الشطر الثاني من الرجز ضرب من الحيات اذا انسابت رفعت رؤوسها . والهام جمع هامة . والعنق والرسيم ضربان من السير . والخيطف سرعة انجذاب السير .

قال في القاموس : العنق ضرب من السير وهو المُسْبَطِرّ فاذا ارتفع عن العنق قليلاً فهو التزيد فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل والرسيم . والرسيم فوق الذميل . —

السميدع — السيد السهل الموطأ الأكناف [1] .

مثقب . وجلال . والقعقاع . والمنكدر . والعنصلين — هذه كانت طرقاً تأخذ أهل الجاهلية اذا أرادوا الغزو أو أرادوا السبل التي هذه طرقها [2] .

— والخيطف السريع أي تخطف كما يخطف البرق . وخيطف من الخطف والياء زائدة كما قالوا : رجل صيرف من الصرف ورجل جيدر من الجدر وهو القصير وأصل الخطف الأخذ في سرعة ثم استعير لكل سريع .

(١) المختار . السميدع بفتح السين السيد الموطأ الاكناف ولا تقل السميدع بضم السين . القاموس : السميذع بفتح السين والميم بعدها مثناة تحتية ومعجمة مفتوحة ولا تضم السين فانه خطأ : السيد الكريم الشريف السخي الموطأ الاكناف . والشجاع . والذئب . والرجل الخفيف في حوائجه . والسيف . واسم رجل . وبنت قيس الصحابية وفرس البراء بن قيس بن عتاب .

(٢) مثقّب كمعرّب ومحدث لقب عائذ بن محصن الشاعر . وكمقعد الطريق العظيم . وجلال كشداد اسم لطريق نجد الى مكة . والقعقاع : الطريق لا يسلك الا بمشقة . وطريق من اليمامة الى الكوفة . واسم جماعة من الصحابة والتابعين . والمنكدر طريق الى مكة وفرس لبني العدوية . : والعُنْصُلَيْن في المخصص (ابن دريد) واذا أراد طريقاً فضل قالوا : أراد طريق العنصلين وهو في معنى قول الفرزدق :

أرادوا طريق العنصلين فياسرت به العيس في نائي الصوى متشائم

الناتي من نتأ كمنع نتئاً ونتواً انتبر وانتفخ وارتفع وعليهم اطلع . والشيء خرج من موضعه . وكأنه يريد المعنى الأخير أي مرتفع . والصوى جمع صوة وهي الاعلام . والمتشائم الآخذ الى الشام .

ويقال الناس غانم . وسالم . وشاجب . فالغانم من قال خيراً . والسالم من سكت فسلم . والشاجب من قال فأهلك نفسه .

يزن — ونرى انه نسب اليه كما قالوا : ذو كَلاع وذو نُواس . وللعرب في يزن أربع لغات . يقال : رمح يزني . ويزأني . وازأني[1] .

عوف — نرى ان أصله واحد من شيئين يقال : نعم عوفك اذا دعي له أن يصيب الباءة التي ترضي . والعوف ضرب من النبت قال النابغة :

فلا زال حوذان وعوف منور سأتبعه من خير ما قال قائل[2]

---

(١) القاموس : يزن محركةً وادٍ يمنع من الصرف لوزن الفعل أصله يزأن . وبطن من حمير منهم أبو الخير مَرثَد التابعي وأبو البقاء هشام بن عبد الملك . وذو يزن ملك لحمير لأنه حمى ذلك الوادي . ولم يذكر في الأصل من اللغات الا ثلاثة . وفي القاموس بمادة (الزؤان) ذكر لغتين أزأني ويزأني . وفي المخصص لابن سيده . واليزنية منسوبة الى ذي يزن . قال (ابو عبيد) : وأحسبني قد سمعت أزنية . ابن الكلبي . انما سميت الأسنة يزنية لأن أول من عملت له ذو يزن . وهو من ملوك حمير . ابن جني : رمح أزني . ويزني . ويزأني . وأيزني . وآيزني . وأصل يزن يزأن فخفف ويجب أن لا يصرف يزن الخ ..

فابن جني يذهب الى ان فيه خمس لغات كما ترى .

(٢) المخصص .. والعوف . نبات طيب الريح وأنشد البيت كما في الأصل . ثم قال : هذه الرواية مستحيلة انما هي :

فيُنبِتُ حوذاناً وعوفاً مُنوّرا

« قال : كذا رواه سيبويه . وهكذا جاء الصدر في ديوانه وفي أمالي المرتضى . وعلق مصححه على قول ابن سيده باستحالة رواية الصدر كما في الأصل . قال : قلت : لقد فطن ابن سيده لشيء وفاته أشياء . ولم يصب في قوله : الرواية مستحيلة . ولو أصاب لقال : الرواية ملفقة وبين كيفيّة تلفيقها وذكر قائل البيت وفيمن قيل لتظهر الحقيقة لكل أحد وكان ذلك حقاً عليه . والصواب ان الرواية —

دلهم — اشتق من السواد . يقال : ادلهم عليه الليل [1] .
الخريت — الدليل ونرى انه اشتق من أنه يهتدي لمثل خرت الإبرة [2] .
البهلول — هو الضحاك المتبسم [3] .

— ملفقة من بيتين وذلك ان قوله : ولا زال ريحان ، صدر بيت وما بعده من بيت آخر وصحة انشاد البيت :

ولا زال ريحان ومسك وعنبر على منتهاه ديمة ثم هاطل

كما لفق سيبويه وحرّف البيت الذي أنشده .

اللسان ـ عوف ـ الضيف . وذكر الرجل . والبال . والحال أيًّا كان وخص بعضهم به الشر . والكادُّ على عياله . وفي الدعاء : نَعِم عوفك أي حالك . وقيل : هو الضيف . وقيل : الذكر . وأنكره ابو عمرو . وقيل : هو طائر . قال ابو عبيد : وأنكر الأصمعي قول ابي عمرو في نعم عوفك : ويقال : نعم عوفك اذا دعا له أن يصيب الباءة التي ترضي . ويقال للرجل اذا تزوج هذا وعوفه ذكره هذا ما جاء في اللسان . ويدفع ما قال أبو عبيد من انكار الاصمعي قول ابي عمرو تصريح الأصمعي في الأصل بقوله يقال : نعم عوفك الخ .

أما الباءة والباء والباه فهي النكاح . وعوف اسم لمسميات كثيرة من حيوان ونبات وانسان .

(١) القاموس : ادلهم الظلام كثف واسود مدلهمّ . وكجعفر المظلم . والذئب . وذكر القطا . والمدله العقل من الهوى . واسم .

(٢) القاموس : الخرت ويضم الثقب في الأذن وغيرها وضلعٌ صغيرة عند الصدر وخرَت ثقب والخرّيت كسكيت الدليل الحاذق .

(٣) الأساس : وهو بهلول وهم بهاليل وهو الحي الكريم قال :

كم فيهم من فارس ذي مصدق عند اللقاء سميدع بهلول

وقال حسان :

بهاليل منهم جعفر وابن أمه علي ومنهم احمدُ المتخيرُ

القاموس : والبُهلول كسرسور . الضحاك والسيد الجامع لكل خير .

حفص — الزنبيل من الأدم [١] .

الزبرقان — الخفيف اللحية [٢] .

شهلان — سمي بجبل معروف [٣] .

الجحاف — اشتق من الجحف وهو قشر الشيء ويقال : هو يجحف الزبد بالتمر [٤] .

اكتل — نرى انه اشتق من واحد من شيئين من التكتل والمكتل المجتمع الخلق يقال : رجل مكتل الخلق اذا كان مجتمع الخلق . أو من الكتال

(١) القاموس : زنبيل من أدم تنقى به الآبار جمعه أحفاص . وولد الأسد . وبه كنى النبيّ (ﷺ) عمرَ بن الخطاب (رضي الله عنه) وسمي به صحابيون . وبهاء بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين حفصة .

(٢) المختار : والزبرقان بكسرتين اسم للبدر ليلة تمامه . وبه سمي الرجل . القاموس : والزبرقان بالكسر القمر . والخفيف اللحية . ولقب الحصين بن بدر الصحابي لجماله . أو لصفرة عمامته . لأنه لبس حلة وراح الى ناديهم . فقالوا : زبرق حصين .

(٣) القاموس : شهلان جبل ورجل الأساس : شهلان ذو الهضاب ما يتحلحل مَثَل للوقور . وكان كهلان بن سبأ أرزن من شهلان وأجأ [١] .

(٤) القاموس : جحفه كمنعه قشره وجرفه وجمعه وبرجله رفسه حتى يرمي به . ومعه مال . وله الطعام غرف ولنفسه جمع والكرة خطفها . والجحوف كصبور الثريد يبقى في وسط الجفنة . وأبو الجحّاف : رؤبة بن العجاج . ولهذه المادة معان كثيرة . الأساس : والجحاف بن حكيم وفيه يقول الأخطل :

الا ابلغ الجحّاف هل هو ثائر بقتلي أصيبت من سليم وعامر

(١) الجمع : قوله (أجأ) لعل صوابه أجسأ : ففي القاموس جسأ : في القاموس جَسَأَ الشيء خشن وصلب . أو صوابه أجرأ .

والكتال المؤنة مؤونة الشيء . يقال : فلان ذو كتال [1] .

---

(١) الأساس : يقال : مكتل تمر بمكتل بر وهو الزبيل وأطعمه كتلة من تمر . وكتل الاقط جعله كتلة كتلة المصباح : المكتل بكسر الميم الزنبيل وهو ما يعمل من الخوص يحمل فيه التمر وغيره والجمع مكاتل . مثل مقود ومقاود . والكتلة القطعة المجتمعة من الصمغ وغيره . والمكتل شبه الزبيل يسع خمسة عشر صاعاً . والمكتل بالتشديد القصير . والتكتل ضرب من المشي القاموس : الكتلة بالضم من التمر والتين وغيره ما جمع . والغدرة من اللحم . وكمعظم المدور المجتمع والقصير والرجل الغليظ الجسم . وكمنبر زبيل يسع خمسة عشر صاعاً . واسم . وكسحاب النفس والحاجة تقضيها والمؤونة وكل ما أصلح من طعام أو كسوة . وسوء العيش وغلظ الجسم كالكتل محركة . والتكتل مشية القصار . والأكتل الشديد والبلية . وبلا لام لص . وابن الشماخ محدث فصيح ثعلب : قال جندل . وقيل : دكين

يرخو اليد اليمنى من الترسل من الرضا جبندل التكتل

يقال : مر فلان يتكتل اذا مر يقارب الخطو ويحرك منكبيه . المخصص : الأكتل من اسماء الشديدة من شدائد الدهر واشتقاقه من الكتال وهو سوء العيش وضيقه وأنشد :

ان بها أكتل أو رزاما خويربان ينقفان الهاما

رزام : اسم شديدة . اللسان : الليث . الكتلة أعظم من الخبزة وهي قطعة من كنيز التمر . والكتال القوة . والكتال اللحم . ورجل مكتل الخلق اذا كان مداخل البدن الى القصر ما هو . وألقى عليه كتاله اي ثقله قال الشاعر :

ولست براحل أبداً اليهم ولو عالجت من وتد كتالا

أي مؤونة وثقلاً . والكتال النفس والكتال الحاجة تقضيها والكتال كل ما أصلح من طعام أو كسوة . وزوجها على أن يقيم لها كتالها أي ما يصلحها

صمحمح — الصلب الشديد [١] .
عدبّس — البعير غليظ ضخم [٢] .
جهضم — المنتفخ الجنبين الغليظ الوسط [٣] .
عنبسة — اشتق من اسم الأسد [٤] :

— من عيشها . والكتال سوء العيش . والأكتل الشديد من شدائد الدهر . واشتقاقة من الكتال وهو سوء العيش وضيقه وأنشد الليث : ان بها أكتل البيت .. وخويربان بالضم . قال : ورزام اسم الشديدة . قال ابومنصور : غلط الليث في تفسير أكتل ورزام . قال : وليسا من أسماء الشدائد انما هما اسما لصين من لصوص البادية ألا تراه قال : خويربان . يقال : لص خارب ويصغر فيقال : خويرب الى أن قال : وفي نوادر الأعراب مرَّ فلان يتكرى ويتكتل ويتقلى اذا مرَّ مرّاً مريعاً . وفلان يتكتل في مشيه اذا قارب في خطوه كأنه يتدحرج .

(١) التهذيب : والصمحمح والدمكمك الشديد . فقه اللغة : ورجل صمحمح شديد المُنة . القاموس : والصمحمح والصمحمحي الرجل الشديد المجتمع الألواح . والقصير والأصلع . والمحلوق الرأس . وحافر صموح شديد .

(٢) القاموس : عدبس كعملّس الشديد المُوثّق الَخلق من الابل وغيرها جمعه عدابس . والشرسُ الخلق والضخم الغليظ . ورجلٌ كِنانيٌّ . وابو العدبس منيع بن سليمان تابعي .

(٣) القاموس : الجهضم كجعفر الضخم الهامة . المستدير الوجه . والرحب الجنبين الواسع الصدر . والأسد . واسم .

(٤) القاموس : عنبسة العنبس كجعفر وعلابط الأسد واذا خصصته باسم قلت عنبسة . غير مُجرى كما تقول أسامة . وعنبس بن ربيعة الجُرَني صحابي أو تابعي . والعنابس من قريش أولاد أميــة بن عبد شمس الستة . حرب ، وابو حرب ، وسفيان ، وابو سفيان ، وعمرو ، وابو عمرو .

فرافصة — اسم من أسماء الأسد . وكل غليظ شديد فرافصة [١] .

مهلهل — الهلهلة سخف الثوب ورقته . يقال : ثوب مهلهل ومهلهلة [٢] .

خرشة — والخرش خرش الرأس . وخرش الشيء وكده . ويقال : لايزال فلان يخرش من فلان شيئاً [٣] .

جراشة — ما وقع من الرأس اذا جرشته بالمشط . ومن الخشبة اذا جرشتها بالحديدة وكل قشر وحك فهو جرش . يقال للأفعى اذا حكت بعضها ببعض : ظلت تجرش [٤] .

---

(١) القاموس : الفرافص بالضم الأسد الشديد الغليظ كالفرافصة . والسبع الغليظ . والرجل الشديد البطش . وبالفتح رجل .

(٢) الأساس : وهلهل النساج الثوب . وثوب مهلهل سخيف النسج . القاموس : أطال الكلام في هذه المادة الى أن قال : ومهلهل الشاعر واسمه عَدِي أو ربيعة لقب لأنه أول من أرق الشعر أو بقوله :

لما توغل في الكراع هجينهم هلهلت أثأر مالكاً أو حنبلا

(٣) القاموس : خرشه يخرشه خدشه . ولعياله كسب لهم وطلب لهم الرزق كاخترش فيها . وبعير مخروش وُسم سمة الخراش ككتاب وهي مستطيلة . وابو خراش خويلد بن مرة الهُذَلي شاعر . الأساس : رأيت عليه قميصاً مثل خرشاء الحية رقةً وصفاء وهو سلخها . وأكل خرشاء اللبن وهو ما ارتفع على رأسه من النفاخات . وقشر خرشاء البيضة وهي القشرة البيضاء الداخلة . وخرش السنور جلده . وتخارشت السنانير والكلاب . وخرشه الذباب عضه . التهذيب : يقال : رجل خرش اذا كان قليل النوم كثير الاستيقاظ من خوف أو كان يكلأ ماله .

(٤) المختار : جرش الشيء لم ينعم دقه فهو جريش وبابه نصر وملح جريش لم يطّيب . وجراشة الشيء بالضم ما سقط منه جريشاً اذا أخذ ما دق منه . —

سفيان — ما سفت الريح من التراب (١) .

عتبة — اشتق من المعتبة أي الغضب . او من العتبان ويقال للبعير اذا مشى على ثلاث قوائم واذا مرّ معقولاً يعتب عتباناً . قال الرياشي : يعتب وقد سمعت من يقول : يعتب كما يقال عرج يعرِج ويعرُج . ويقال : للدابة اذا مشى ساعة ثم رجع قد اعتتب طريقه . وقولهم : لك العتبى والكرامة أي لك الرجوع الى ما تحب (٢) .

والطرِمّاح — الطويل المشرف . يقال : طرمح فلان داره طرمحة شديدة اذا بناها قال الشاعر :

— الأساس : جرش الملح والحب جرشاً لم ينعم دقه وطحنه وملح جرش . وجرش الرأس بالمشط حكه حتى يهيج هبريته . ويقال للمشاطة : الجراشة . وكذلك ما ينحات من الخشب . القاموس : وتميم بن جُراشة صحابي . وأسد ابن عبد الملك بن جراشة محدث .

(١) القاموس : سفت الريح التراب تسفيه ذرته أو حملته كأسفته فهو ساف وسفيّ . والسافياء الغبار الى أن قال : وسفيان مثلثة امم .

(٢) المختار : عتبَ عليه وجد وبابه نصر وضرب ومعتباً أيضاً بفتح التاء . والعتب كالعتب والاسم المعتبة بفتح التاء وكسرها . وقال الخليل : العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة عاتبه معاتبة وعتاباً وأعتبه سره بعد ماساءه . والاسم منه العتبى . القاموس : العتَب جمع العتبة . والعتْبُ الموجدة كالعتبان والمعتَب والمعتَبَة والمعتِبة والملامة كالعتاب والمعاتبة والعتيبي والظلع والمشي على ثلاث قوائم من العُقر وأن تثب برجل وترفع الأخرى كالعتبان محركة والتعتاب يعتُب ويعتِب في الكل الى أن قال : وعتبة بالضم وعتيبة كجهينة اسماء .

طرمحوا الدور بالخراج فأضحت مثلما امتد من عماية نيق[1]

الفرزدق — يقال : هو الفتوت الذي يكون من الخبز تشربه النساء[2] .

رُقيش — تصغير الرقش وهو التنقيط والخطوط والكتاب[3] .

شرعب — أصل الشرعبة الطول . يقال : رجل شرعب وامرأة شرعبة

قال طفيل الغنوي :

قصيرة خطو الرجل يومَ إقامةٍ عميم القوام ذات خلقٍ مشرعب[4]

(١) القاموس : الطرموح كزنبور الطويل وكسنمار العالي النسب المشهور والطامح في الأمر وابن الجهم الشاعر وآخر . الأساس : وطرمح البناء طوله ومنه الطرماح . التهذيب : والطرماح الطويل . يقال : قد طرمح بناءه .

(٢) القاموس : الفرزدق كسفرجل الرغيف يسقط في التنور الواحدة بهاء . وفتات الخبز . ولقب همَّام بن غالب بن صعصعة . أو الفرزدقة القطعة من العجين فارسية (برازده) . أو عربي منحوت من فرز ودق لأنه دقيق أفرز منه قطعة جمعه فرازق والقياس فرازد . الأساس : يقال هو الفتوت من فتّ الخبز وفتته وهو أن يكسره بأصابعه ثم يتركه دقاقاً . ونزلت بفلان فسقاني الفتيت والفتوت وهو الخبز المفتوت كالسويق .

(٣) القاموس : الرقش كالنقش وكسحاب الحية وكقطام علم للنساء وقد يُجرى . وبنو رقاش في بكر بن وائل وفي كلب وكندة منسوبون الى أمهاتهم . ورُقيش وأريقش . ورقش كلامه ترقيشاً زوره وزخرفه . والمرقش الأكبر عمرو بن سعد والمرقش الأصغر ربيعة بن حرملة شاعران .

(٤) القاموس : الشرعب الطويل . وشرعب الأديم قطعه طولاً . والشرعبي ضرب من البُرود . والطويل الحسن الجسم . وعبيدة التابعي .

وروى بعضهم البيت الذي استشهد فيه في الأصل كما يلي :

أسيلة مجرى الدمع خمصانة الحشى برود الثنايا ذات خَلق مشرعب

والشرعبي هو عبيد بن شرحبيل حمصي من أصحاب معاذ بن جبل .

تيم — أصل التيم ذهاب العقل وفساده . يقال : رجل متيم بالنساء . ويقال : تيمته فلانة . وتامته غير مهموزة . قال لقيط بن زرارة :

تامت فؤادك لم تنجزك ما وعدت   احدى بنات بني ذهل بن شيبانا [1]

شمّاس — أصله من الشماس والشماس أن تنزو الدابة اذا مشت لا تقر ظهرها [2]

عريب — يقال : ما رأيت عريباً أي أحداً [3] .

---

(١) الأساس : جاء فيه صدر البيت هكذا :

تامت فؤادك لو تجزيك ما صنعت

وفيه : هو تيم الله أي عبد الله . وتيمه عبده . ومن المجاز تامت فلانة قلبه وتيمته وهو متيم . وعن ابن الاعرابي تيمت قلبه علقته من التيمة وهي التميمة . ويقال : ضللته من التيماء وهي المفازة . القاموس : التيم العبد . ومنه تيم الله ابن ثعلبة بن عُكابة . وتيم الله في النمر بن قاسط وفي قريش تيم بن مرة رهط ابي بكر (رضي الله عنه) . وتيم بن غالب بن فهر . وتيم بن قيس ابن ثعلبة بن عكابة الى كثيرين .

(٢) القاموس : شمس الفرس شموساً وشماساً منع ظهره فهو شامس وشَموس من شُمْس وشُمُس . والشماس كشداد من رؤس النصارى الذي يحلق وسط رأسه لازماً للبيعه جمع شمامسة . وجد ثابت بن قيس الصحابي . الأساس : ومن المجاز رجل شموس الأخلاق وقد شمس لي فلان اذا أبدى عداوته وكاد يوقع قال :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم   وأعظم الناس أحلاماً اذا قدروا

(٣) القاموس : وما بها عريب ومعرب أحد .

نهشل — اشتق من النهشلة وهي الكبر والاضطراب وقد نهشل الرجل وقد خنشل وخنشلت [1] .

مراعف — مسابق يقال للفرس اذا سبق الخيل قد رعفها والرعاف من الأنف انما هو دم يخرج فيسبق [2] .

المتلمس — أصله من التلمس والابتغاء . وأما المتلمس الشاعر فانما سمي ببيت قاله :

فهذا أوان العِرض حيَّ ذُبابه زنابيرُهُ والأزرقُ المتلمس [3]

---

(١) القاموس : النهشل كجعفر الذئب والصقر واسم وقبيلة . والمسن المضطرب كبراً . أو وفيه بقيـة . وهي بهاء . وابو نهشل لَقيط بن زُرارة التميمي . ونهشل كَبِر وعض تجميشاً وأكل أكل الجائع وركب المشيلة للناقة المستعارة . خنشل اضطرب من الكبر والهرم . والخنشل والخنشليل البعير السريع والضخم الشديد .

(٢) الأساس : فرس راعف سابق . وخيل رواعف وقد رعف الفرس الخيل يرعفها . ورعف فلان بين يدي القوم . واسترعف تقدم قال الأفوه الأودي :

كفوهم الشوكة واسترعفوا أمامهم يمشون أولى الخميس

ومن المجاز رعف أنفه سبق دمه والرعاف الدم السابق . القاموس : رعف كنصر ومنع وكرم وعني وسمع خرج من أنفه الدم . والرعاف أيضاً الدم بعينه . والمراعف الأنف وحواليه . والراعف طرف الأرنبة . وأنف الجبل والفرس يتقدم الخيل . وكأمير السحاب يكون في مقدم السحابة والرعافي كغُرابي المعطاء . والرعوف الأمطار الخفاف .

(٣) القاموس : والتمس طلب . وتلمس تطلب مرة بعد أخرى . والمتلمس لقب جرير بن عبد المسيح لقوله البيت : أما العِرض فوادٍ باليمامة . —

عدنان — نرى انه اشتق من العدْن والعدن ان تلزم الابل المكان فلا تبرحه • يقال : تركت الابل عوادن مكان كذا وكذا • ومنه قيل المعدن لأنه مكان يبيت فيه الناس فلا يبرحون به ولا يتحركون في الصيف والربيع[1] •

أدد — يصلح أن يكون ُفعل الوُد فلما انضمت الواو جعلت همزة • ويصلح أن يكون من الأُد والأَد يقال : أدت الإبل تئد أداً مهموزة وهو حنين وصوت قال أبوسعيد : أنشدني أبومَهدي :

تكاد في مجهولة تستوهل   أد وسجع ونهيم همّل[2]

— ومعنى فهذا أوان العرض أي زمن قصده اليمامة لخضرة أوديتها وزهو رياضها وطنين الذباب بها لكثرة أزهارها وحي ذبابه أي انه يعيش في خصب ورخاء • وزنابيره بدل من الذباب • والأزرق المتلمس نوع من الذباب والمتلمس الطالب •

(١) القاموس : عدَن بالبلد يعدِن ويعدُن عدناً وعدوناً أقام . ومنه جنات عدنٍ • والابل في الحمض استمرأته ونمت عليه ولزمته فهي عادن • والمعدِن كمجلس منبت الجواهر من ذهب ونحوه لاقامه أهله فيه دائماً أو لإنبات الله عزّ وجل إياه فيه • ومكان كل شيء فيه أصله الى أن قال : وعدنان أبو معدّ •

الأساس : عدنت الابل بالمرعى • وعدن القوم بالبلد أقاموا . وطال عدنهم فيه وعدونهم وفلان في معدن الخير والكرم ، وهو من مراكز الخير ومعادنه • وعليه عدنيات أي ثياب كريمة • وأصلها النسبة الى عدن • مرت جوارٍ مدنيات عليهن رياط عدنيات • وكثر حتى قيل للرجل الكريم الأخلاق : عدني • كما قيل للشيء العجيب من كل فن : عبقري •

(٢) مختار الصحاح : الإدّ والإدَّة بالكسر والتشديد فيهما الداهية والأمر الفظيع • ومنه قوله تعالى : «شيئاً إدًّا» وادد ابو قبيلة من اليمن والعرب تصرفه جعلوه كثُقَب لا كعمر • القاموس : الإد والإدة بكسرهما العجب والأمر الفظيع . والداهية والمنكر كالأَد بالفتح جمعه إداد وإدد • والأَد والإد والآد —

بجينة — اشتق من واحد من شيئين بقال للغرب اذا كان عظيماً كثير الأخذ إنه لبجون . وضرب من النخل يقال للنخلة بجنة هكذا . قال ابو عثمان وقال الرياشي : ضرب من النخل يقال له : بنات بجنة . وذلك أن امرأة من جذام كانت لها نخلات وكانت المرأة تسمى بجنة . فكانت اذا قيل لها : ما هذا ؟ قالت : بناتي . فقيل : بنات بجنة . ويقال : بعير بجوني اذا كان غليظاً . قال رؤبة :

ونازح الماء عريض بجوَن (١)

حِذيَم — فعيل من الحذم . والحذم طيران الطائر . وقد قص جناحاه فهو يدارك الضرب . وكذلك في المشي اذا جعل يحذف في يده . وقيل : حذف وحذم وهو يحذم ضرب باليد (٢) .

— الغلبة والقوة وأد البعير هدر والناقة حنت . والشيء مده وفي الأرض ذهب . وأدته الداهية تؤده وتئده دهته . والتأدد التشدد . وأدد كعمر مصروفاً وبضمتين أبو قبيلة . وأد بن طابخة ابو (قبيلة) أخرى .

أما غريب البيت فيقول ابن سيده في المخصص : ابن السكيت . فاذا سمعته يسبح ولا تعرف ما يقول ، تقول سمعت هتملته وأنشد (أد ومجع ونهيم هتمل) الاد الحنين والصوت والنهيم صوت وتوعد وزجر والهتملة الكلام الخفي . والمهتمل النمام .

(١) القاموس : البجون كجعفر رمل متراكم . ومن يقارب في مشيته ويسرع . وضرب من التمر . واسم وبهاء المرأة القصيرة . والقربة الواسعة البطن . واسم والبجانة الجلّة العظيمة كالبجناء . وشرارة عظيمة من شرر النار . وعبد الله ابن بجينة كجهينة صحابي وهي أمه . وأبوه مالك بن مالك .

(٢) القاموس : حذمه يحذمه قطعه . أو قطعاً وحياً وفي قراءته وغيرها أسرع . وككتف القاطع كالحِذيَم بكسر الحاء . والحذم محركةً طيران الطائر المقصوص وبضمتين الأرانب السراع . واللصوص الحذاق . وكصرد وهمزة —

معن — اسم وأصله الشيء القليل . يقال : ما له معنة ولا سعنة . يريد ما له قليل ولا كثير . قال النمر بن تولب :

يلوم أخي على اهلاك مالي وما ان خاله ظهري وبطني
وما ضيعتــه فألامَ فيه فان هلاك مالك غير معن(١)

(يتبع) سليمان ظاهر

— القصير القريب الخطو وهي بهاء . والحذمات محركة الاسراع في المشي والإبطاء ضد . والحذيم كمنبر الحاذق وموضع بنجد . ورجل متطبب من تيم الرباب . وابن عمرو السعدي . وحذيم بن حنيفة بن حذيم وأبوه حنيفة وابنه حنظلة بن حذيم صحابيون . المخصص : في قولهم للطبيب : نِطامي ونَطامي قال:وأنشد :

فهل لكم فيهــا إليَّ فانني طبيب بما أعيا النطاسي حذيما

وهو طبيب في الجاهلية . يقال له : ابن حذيم . المختار : يقال : حذم في قراءته . وقال عمر (رضي الله عنه) : اذا أذّنت فترسل واذا أقمت فاحذم . وحذام اسم امرأة مثل قطام . الأساس : حذم الشيء أسرع قطعه . وحذم في مشيه وقراءته أسرع ومر يحذم .

(١) يقول : غير هيّن . القاموس : المعن الطويل والقصير والقليل والكثير . والهين اليسير . والاقرار بالذل والجحود . والكفر للنعم . والأديم . والماء الظاهر ومعن بن زائدة بن عبد الله من أجود العرب . والماعون : المعروف ، والمطر . وكل ما انتفعت به كالمعن اخ . وسعن في القاموس الودك . وبالضم قربة تقطع من نصفها وينبذ فيها وقد يستقى بها . قال : وما له سعنة ولا معنة شيء . وابن سعنة شاعر . وزيد بن سُعنة بالضم يهودي . وأما رواية البيتين في المخصص : ضياع بدل اهلاك . وفي تهذيب الألفاظ : اتلاف .

اعتزال الجاحظ

تمهيد في أثر التدين في الفلسفة :

ليست هذه الحضارة الفخمة وليدة القرن العشرين كما يجب أن يدعوها الناس ، فما هي من نتاجه وحده ، بل لو انقطع الاتصال الفكري ، وحاول هذا العصر أن يعمل أو يبدع شيئاً ، لما اتسع له زمنه أن يصطنع لبنة واحدة في هذا البناء الشامخ الذي جهد فيه الانسان المفكر منذ نحو خمسة وعشرين قرناً . فما العلم والفلسفة وما الاكتشاف والاختراع الا الحلقة الأخيرة من سلسلة كانت أولى حلقاتها على وجه التقريب تعاليم طاليس أب الفلسفة وأحد الحكماء السبعة . وليس من موضوعي أن أتحدث عن هذا التسلسل بل أن أتعرف أي الأسباب أقوى أثراً في هذا التاريخ الفكري وأيها أمضى نفوذاً في قيادة مراحله .

وهنا نرى أن ظاهرة سايرت الانسان منذ انتهى من كفاحه القوى الكونية للبقاء ، هذه الظاهرة التي رسخت في الانسان حتى كأنها صهرت في طبعه ، هي التي ملكت عليه أمره وقادته الى حيث تشاء .

ولئن جاز أن تذوب هذه الظاهرة من نفس الانسان على تراخي الأزمان من غير أن تنتقل أو تتحول ، ما يكون ذلك إلا بمقدار ما يمكن أن يذوب من أوار الشمس وما يمكن أن يخفت من نورها . هـذه هي ظاهرة التدين التي سيطرت من الانسان على كل شيء ، وكان لها من النفوذ ما سخر لها العقـل ، وأخضع لها الشعور ، وألان لها العزم والعادة ، وهي في بعض أدوارها إن عبثت بالعقل ، وسخرت من منتجات الفكر ، فلكم شادت من حضارات ، وبعثت من عقول ، وأنارت من سبل في بعضها الآخر .

والانسان منذ أتيح له أن يستقر ، وكانت له بسبب الاستقرار نزعات نفسية وعقلية ، لم يكن من هذه النزعات أعز عليه من تدينه ، فهو ان حارب المدنية والعلم فذلك صيانة له من أن يتسرب اليه ما يضعفه أو يقضي عليه . وان استخدم الفلسفة واستعمل العقل وساهم في العلم فذلك في الأصل تفسير لمبهماته أو تعزيز لدعواه أو دفاع عن حوزته .

ومن هنا يرى الباحث ان اليونان وفلسفتها ، والاسكندرية وأفلوطينيتها ، والاسلام ونهضته الكبرى ، وأوربا وحضارتها الحديثة ، كل أولئك كانوا مدينين بأكبر قسط الى التدين في عنصر البحث أو فيما حفزهم اليه : فلقد كان للشرق في الماضي السحيق قبل أن يكون هناك يونان في العهد الذي نسميه : ما قبل العلم والفلسفة ، كان له قصص ديني ولد له أفكاراً في العالم والحياة : منها الوجود والتغير والخير والشر والأصل والمصير ، وفضلاً عن ذلك كان التوحيد والشرك ، وكانت الثنائية الفارسية ، وكانت وحدة الوجود عند الهنود .

وما كانت الفلسفة فيما بعد لتخرج عن هذه النظريات الكبرى . بل قد نستطيع أن نجد لكل فكرة يونانية مثيلة شرقية تقدمتها ، أو أصلاً قد تكون نبتت منه كما يقول بذلك بعض مؤرخي الفلسفة . فلئن لم يلقن الشرق اليونان مذهباً أو منهجاً على طريق مباشرة . لقد دفعهم الى التفكير بما جمع لهم من مواد قروناً طويلة عالجوها فيما بعد على نحو فلسفي أو علمي . وأما الأفلاطونية الجديدة والأفلوطينية في مدرسة الاسكندرية فهي التي ظهر بجلاء أثر التدين فيها ، مما جعل لهذه الأفلاطونية طابعاً ظهر فيه التمازج بين فلسفة الغرب ودين الشرق ، ومما يذكر عن فيلويهوذا الاسكندراني أشهر فلاسفة الأفلاطونية الجديدة الأولين ، أنه ذهب في وفد الى روما يشكو معاملة الحاكم الروماني على مصر لأهل ملته ، ولم يكن يعرف العبرانية ، فقرأ التوراة باليونانية وشرحها ، وكان يقصد بذلك أن يبين لليونان ان في التوراة فلسفة أقدم وأسمى من فلسفتهم .

وأما الحضارة الأوربية الحديثة ، فما أتحدث عن أحد أصولها فلسفة القرون الوسطى ، اذ ما يشك مطلع ان هذا العصر كله الذي جمع عصري آباء الكنيسة ، والعصر المدرسي ، قد سيق بعامل التدين وحده ، حتى كان الشعار في ذلك ، هذا الزمن المديد (لا بد لكي تعقل أن تعتقد) . وانما أريد أن أتحدث عن أقرب من ذلك ، عن هذه النهضة الفكرية القريبة التي طرحت عن كاهلها وقراً من التقاليد الدينية والفلسفية والعلمية ، واتجهت نحو التجربة والملاحظة فيما تبحث . أريد أن أتحدث هل استطاعت مع ذلك أن تتحرر من أثر التدين أم انصاعت له وسارت في ركابه في شيء من الحرية تبحث وتستنتج ؟ نأتي على ذلك مثالاً بعلمين كبيرين ، هما أعظم أركان النهضة الحديثة : بيكون وديكارت .

أما بيكون الذي نشأته أمه العليمة بأصول الدين ، فقد أعلن عن ايمانه في مقال يرد به تهمة الإلحاد التي وصمه بها معاصروه يقول فيه : « ان القليل من الفلسفة يميل بعقل الانسان الى الإلحاد ، ولكن التعمق فيها ينتهي بالعقول الى الايمان . وذلك لأن عقل الانسان قد يقف عند ما يصادفه من أسباب ثانوية مبعثرة فلا يتابع السير الى ما وراءها . ولكنه اذا أمعن النظر فشهد سلسلة الأسباب كيف تتصل حلقاتها لا يجد بداً من التسليم بالله » وقد كتب قبل موته : « انني أضع روحي بين يدي الله » .

وأما ديكارت ، فلئن استطاع أن يجتث بشكه كل شيء أدته اليه حواسه الخادعة ، وكل شيء عرف وجوده بالعقل ، فما أسلم انه استطاع أن يشك بالاله إلا شكاً ظاهراً ، بدليل أنه أسرع الى اثبات الكائن اللانهائي ، قبل أن يثبت شيئاً مما هدمه في شكه من هذه الكائنات النهائية ـ الا وجوده ، بأدلة لا تكافيء شكه الحاد الجارف ، مما يدل على تمكن عقيدة الإلهية في نفسه تمكناً لا تخيفه هذه الشكوك مهما تكن عنيفة . على انه قال في قواعده الأخلاقية الثلاث ، الأولى : « ان أطيع قوانين بلادي وعوائدها مع ثبات في محافظتي على الديانة

التي أنعم الله عليّ بأن نشأت فيها » ومما يشهد لذلك نذره أن يحج الى كنيسة العذراء في لورت بايتاليا ، شكراً لله على أن هداه الى أصول فلسفة وقد أوفى بنذره ٠

وأما الحضارة الاسلامية فمن فضول القول أن نسعى الى اثبات أثر التدين البارز فيها ، لأنه ان كان بعض الأديان سبباً قوياً في ظهور الحضارات ، فالاسلام هو كل الشيء في العمل على تكوينها بالفعل والقوة والنص ٠ والحركة الاعتزالية التي سأوجز القول فيها ومضة من ومضات العقل فيه ٠

أما بعد فهذا عرض مسريع نستشف من خلاله التدين عنصراً أصيلاً في الانفعالات الفكرية ، على ضوئه نفسر أسراراً من قيام حضارات قد لا تقوم إلا به ، وسقوط حضارات قد لا تسقط الا به ، وعلى هذا كانت النزعة الدينية الاعتزالية من اعظم مكونات النهضة الاسلامية الفلسفية والعلمية ٠ وبأعلامها وزعمائهـا تضافرت النزعتان الدينية والفلسفية ٠ وسنعرض بايجاز الفكرة الاعتزالية لنبحث في بعض زعمائها الجاحظ المعتزلي ٠

نشأة الاعتزال وانتشاره في الآفاق :

تقاس قوة الأشياء في الصدر الأول من الاسلام بمقدار ما فيها من النفوذ الديني ؛ فما الأحداث الكبرى سياسية أو اجتماعية يمكن أن تكون شيئاً مذكوراً ما لم تتخذ من الدين درعاً يحميها وتتقوى به ، الى أن تضؤل نزعة سياسية أو اجتماعية لتتحول الى نزعة دينية لها عقائد وأدلة ٠ ثم تتوارثها أجيال وتتخذها نحلة وديناً ، وهي ليست من ذلك المنزع الأصلي في شيء ، وهذا في صدر الاسلام طبيعي لأمة كانت تعنو لدين غزاها في أعمق مشاعرهـا ، واستولى على كل ذرة من ذرات وجودها ٠ واذا كان من مسؤول عن الاختلافات المذهبية فهي السياسة التي دخلت على أمة لم تمرس بحلاوتها ومرارتها ٠ فالشيعة والخوارج فرقتان يدل اسماهما على معان سياسية خالصة ٠ فالشيعة هم الذين

شايعوا عليًا وتولوه ، وقد خذلوا غيره ، والخوارج هم الذين خرجوا على معاوية وعلي وقاتلوهما ولم يتولوهما . وللدين في ذلك مدخل واضح ، فالخلافة اسلامية ، والمسلمون هم الذين يختارون خليفتهم . فاذا بايعوا أبا بكر ثم عمر لأفضليتهما في الاسلام وقدرتهما على القيام بأعباء الخلافة ، فما كانوا ليبايعوا من بعدهما بتلك الثقة والسرعة والاستسلام اللاتي فازا بها ؛ فهناك رهط من الأصحاب ، يتقاربون في مؤهلاتهم لهذا المقام الخطير ، ويتقاربون في ثقة المسلمين بهم ، ويتقاربون في طموحهم الى الخلافة ، وهم أصحاب الشورى الذين اصطفاهم عمر ليختاروا هم خليفة المسلمين . ولقد فاز بها عثمان الذي ربما كان الرأي العام ينتظر أن يكون لها غيره ، لكن أو ليس قد أقره أصحاب الشورى وفيهم علي ، اذن فما على الناس الا أن يسلموا ويبايعوا ، الا بعض أقوام كظموا على جرتهم وبدأوا يترقبون أخطاء أغراهم بتقصيها لينه وسماحة خلقه ، حتى جمعوا منها ما يكفي برأيهم أن تكون الكارثة الكبرى التي أشاطت بدمه . واذا كانت هذه الكارثة أكبر جريمة سياسية في الاسلام فهي أكبر مفتاح لاختلافات حزبية أدت الى اختلافات مذهبية . والظاهر أن الأخطاء التي بحث الخوارج فيها ، وأكفروا مرتكب الكبيرة منها ، هي في الأصل أخطاء الخلفاء . ولعل منها ما نسبوه لعلي من الخطأ في التحكيم فأكفروه به وخرجوا عليه .

وبينما كانت المجالدة بالسيف شديدة بين الخوارج والدولة في ميادين القتال ، كانت المجادلة باللسان على أشدها في مسجد البصرة ، ذلك ان الخوارج كانوا يرون أن مرتكب الكبيرة كافر لا ذمة له يستباح دمه وماله مما جعلهم حربًا على علي ومعاوية والأمويين ، وكان في مقابلهم رأي معاكس يحمله المرجئة الذين يرون ألاّ يحملوا أحداً خطأ بعينه ، فهو يرجئون أمر المختلفين الذين سفكوا الدماء الى يوم القيامة ، لا يغمسون أيديهم في الفتن ، كما لا يلغون في اللعن والبراءة ، ومرتكب الكبيرة مؤمن ، وشعارهم في ذلك لا تضر مع

الايمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة . حتى اذا اشتد النزاع واتسعت دائرة الخلاف احتكموا الى شيخ التابعين الحسن البصري وسألوه رأيه في مرتكب الكبيرة ، فلم يجنح الى قول احد الفئتين بل أظهر رأياً ثالثاً وهو أن مرتكب الكبيرة فاسق ، فمن بين هذه الآراء الثلاثة ظهر الرأي الرابع وهو ان لمرتكب الكبيرة منزلة بين المنزلتين أي منزلة بين الكفر والايمان وهو ملحق بالكفار بحسب الحكم الأخروي ، وهذا رأي واصل بن عطاء وزميله عمرو بن عبيد اللذين غادرا حلقة الحسن البصري ، واعتزلا قوله وقول الخوارج والمرجئة الى مبادئ صنفوها واعتقدوها ، فسموا : المعتزلة . واسم المعتزلة لم يتقبله المعتزلة أنفسهم على انه يرمز الى فكرة الانشقاق عن أهل السنة والجماعة ـ والا لتنازعوا في هذه التسمية بدءاً ـ وانما تقبلوه لأنه يرمز الى فكرة الحياد التي لا ينتصرون بها أحد الفريقين على الآخر من أهل السنة والخوارج . ولفظ اعتزل لغة تدل على معنى تجنب وعاش في عزلة . وفي القرآن الكريم : «وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون» ـ أي كما في التفسير ـ خلوا سبيلي ولا تكونوا علي ولا معي . على انه كان قبل هؤلاء المعتزلة ، معتزلة سياسيون مذهبهم الحياد أيضاً ، لا يبايعون أحداً ، ولا يقاتلون مع أحد . ففي تاريخ الطبري «كتب قيس بن سعد الى علي يقول : ان قبلي رجالاً معتزلين قد سألوني أن أكف عنهم ، وإن أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس» وفي الطبري أيضاً «حين اجتمع الحكمون سنة ٣٧ هـ للفصل بين علي ومعاوية قال المغيرة بن شعبة أحد المعتزلة لعمرو بن العاص : يا أبا عبد الله أخبرني عما أسألك عنه ، كيف ترانا معشر المعتزلة فانا شككنا في الأمر الذي قد تبين لكم من هذا القتال ، ورأينا أن نتأنى ونتثبت حتى تجتمع الأمة ، قال أراكم معشر المعتزلة خلف الأبرار وأمام الفجار» وسواء أكان المعتزلون المتكلمون استمراراً في ميدان النظر والفكر للمعتزلين

السياسيين كما يقول بذلك بعض الباحثين ، أم لم يكونوا كذلك ، فان اسم الاعتزال وفكرة الحياد قد اقتفى بها المتأخرون المتكلمون إثر المتقدمين السياسيين حتى بالحياد السياسي ، وان تعرضوا لشيء من السياسة فانما يتعرضون منها لما سبق عصرهم . هذه لمحة عن أصل الاعتزال .

وأما الدعوة الى مذهب الاعتزال فقد اتسع نطاقها في زمن يزيد بن الوليد الخليفة الأموي الذي تمذهب بمذهبهم ، فنشطوا لذلك وقاموا معه يناهضون الوليد الذي أسرف في اللهو والشراب . يقول المسعودي : « وكان خروج يزيد بن الوليد بدمشق مع سابقة من المعتزلة وغيرهم من أهل داريا والمزة من غوطة دمشق على الوليد بن يزيد لما ظهر من فسقه وشمل الناس من جوره » .

والذي نهض بالدعوة في أوائل العصر العباسي بنظام وحزم ، الخطيب الألمعي الزعيم الأول واصل بن عطاء ، فقد أنفذ أصحابه الى الآفاق ، وبث دعاته . قال ابو الهذيل : « بعث عبد الله بن الحارث الى الغرب فأجابه خلق كثير ، وبعث الى خراسان حفص بن سالم ، وبعث القاسم الى اليمن ، وبعث أيوب الى الجزيرة ، وبعث الحسن بن ذكوان الى الكوفة ، وعثمان الطويل الى ارمينية » .

وقد وصف شاعر المعتزلة صفوان الأنصاري أعمال واصل ودعاته وما بلغت من الآفاق بقوله :

له خلف شعب الصين في كل ثغرة ... الى سوسها الأقصى وخلف البرابر
رجال دعاة لا يفل عزيمهم ... تهكم جبار ولا كيد ماكر
اذا قال مروا في الشتاء تطاوعوا ... وان كان صيفاً لم يخف شهر ناجر
بهجرة أوطان وبذل وكلفة ... وشدة أخطار وكد المسافر
فأنجح مسعاهم وأثقب زندهم ... وأورى بفلج للمخاصم قاهر

مبادئ المعتزلة :

لا تستقر الحيوية الفائرة من أمة في حال ، الا لتجد لها منفذاً في حال أخرى . تعمل وتبدع في هذه كما عملت وأبدعت في تلك ، فاذا المسلمون أدوا واجب الفتح لنشر دعوتهم بتلك القدرة الرهيبة فان هذه القدرة لم تقف ولم تضعف ، بل مضت في ميدان آخر هو الميدان العقلي ، الذي ألجأم اليه نوع من الاستقرار ، وذلك الهجوم المعاكس الذي شنه عليهم خليط من أمم مختلفة الأديان والنحل والأهواء : فهناك كثير من اليهود والنصارى الذين تسلحوا بالفلسفة اليونانية ، وهناك كثير من الفرق الثنوية كالزرادشتية والمزدكية والمانوية والديصانية ، وهناك الدهريون الفلاسفة الذين شهروا بالقوة والنشاط في الدعوة ، فلقد كان من هذا الخليط حين أعياه أن يثبت لهذا الأتي الطامي أن عمد الى لون آخر من ألوان الصراع ؛ أن يردع العقيدة بالشك ، ويناهض النص بالعقل ، ويدفع السماع بالقياس . وما نستطيع أن نحكم على هذا الخليط بالاخفاق التام ، فهو ان خسر أن يضم المسلمين الى صفوفه خسراناً مبيناً في هذه المعركة العقلية ، فلعمري لقد نجح في أن يدخل عليهم في دينهم ما كان ينبغي ألا يكون .

ولا جرم أن المعتزلة مع ذلك هم أبطال الدفاع في هذا الميدان ، وقد انتصروا في رد غاراتهم وما يذروه من شكوك انتصاراً ليس هو أقل من الانتصار في الفتح . ولكن طبيعة المحاجة والدفاع تستدعي من المرونة والحرية العقلية والاحاطة بأقوال الخصوم والتسلح بسلاحهم ما به تكونت أكثر آراء المعتزلة . وما يتسع المجال لبسط جميع آرائهم ولكن سأوجز القول فيما أجمعوا عليه . يقول ابو الحسن الخياط : « وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة ، التوحيد ، والعدل ، والوعد ، والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر ، فاذا كملت في الانسان هذه الخصال الخمس فهو معتزلي »

وفي مروج الذهب « كان يزيد الناقص يذهب الى قول المعتزلة ، وما يذهبون اليه في الأصول الخمسة : من التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والاسماء والاحكام وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر » . ولنفسر الآن ما يقصدون اليه من هذه الأصول الخمسة . أما التوحيد فمعناه أن الله واحد لا شريك له من أي جهة كان عالم قادر حي سميع بصير بذاته ، والقول بوجود صفات قديمة قول بالتعدد ، والله لا كثرة في ذاته ، وهو ليس كمثله شيء ، ولا يرى بالأبصار في الدنيا ولا في الآخرة . وهذا المبدأ كان النتيجة السلبية لذلك التجاذب القوي بين المعتزلة من جهة ، والمجسمة من غلاة الشيعة والرافضة ومن يقول بالجهة من المحدثين ، من جهة أخرى . وأما العدل ، فهو والتوحيد من أصولهم اللاتي اشتهروا بها ، إذ كانوا يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد ، ويريدون بهذا المبدأ ان الله تعالى (لا يحب الشر والفساد ، وهو بريء من كل ذلك ، ولا يخلق ولا يفعل الا ما فيه مصلحة للعباد ، وأفعال العباد منسوبة اليهم يفعلونها بقدرة خلقها الله فيهم ، ولهم استطاعة قبل الفعل) وهذا الأصل كان موضوعاً للرد على الجهمية الذين قالوا بالجبر . وغالوا فيه مغالاة اضطرت واصلاً أن يرسل بعض أصحابه لخراسان يناظر جهماً وينازله .

وهذه المشكلة مشكلة الجبر والاختيار لم تكن مما اختلف فيه المسلمون وحدهم ، بل لقد أعيت من قبل فلاسفة اليونان فكان الايقوريون يقولون بأن الارادة حرة ، والرواقيون يرون انها مجبورة لا يمكنها أن تختار .

وأما الوعد والوعيد ، فيريدون به ان الله تعالى صادق في وعده ووعيده ، لا مبدل لكلماته فلا يغفر عن كبيرة الا بعد التوبة . وقد غلا بعضهم في التعبير عما يريد حتى قال : يجب على الله ان يثيب المطيع ويعاقب مرتكب الكبيرة ، فصاحب الكبيرة اذا مات ولم يتب لا يجوز أن يعفو الله عنه لأنه أوعد بالعقاب على الكبائر وأخبر به .

وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين فمعناه أن صاحب الكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن ولكنه فاسق وللفاسق الخلود فى النار على فسقه . وقد علمنا أصل هـذا المبدأ في سياق الحديث عن منشأ الاعتزال .

وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا أمر اشترك فيه عامة المسلمين ولكن اختلفوا في مدى انفاذه ، فمنهم من رأى أنه يجزئ فيه القلب واللسان وهم : سعد بن ابي وقاص ، وأسامة بن زيد ، وابن عمر ، ومحمد بن مسلمة . ومنهم من يرى انه إن لم تجد بانفاذه الا الشدة وجبت ولو في سل السيوف ، ومنهم : علي ، وعائشة ، ومعاوية ومن قاتل معهم ، وهذا الرأي هو الذي جرى عليه المعتزلة والخوارج ، فقد كان للمعتزلة مواقف عنيفة في مخالفيهم يطعنون ويوعدون فواصل بن عطاء يخطب في بشار فيقول «أما لهذا الأعمى الملحد ، أما لهذا المشنف المكنى بأبي معاذ من يقتله ؟ أما والله لولا ان الغيلة من سجايا الغالية لدسست اليه من يبعج بطنه في جوف منزله أو في حفله» . وهذا عمرو بن عبيد يقول لعبد الكريم بن أبي العوجاء : «قد بلغني أنك تخلو بالحدث من أحداثنا فتفسده وتستزله وتدخله في دينك فان خرجت من مصرنا - يعني البصرة - والا قمت فيك مقاماً آتي فيه على نفسك» ولعل أكبر ظاهرة للمعتزلة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالاكراه والشدة هي فتنة خلق القرآن التي لم تكن في تاريخ المعتزلة سمة شرف ، بل كانت وصمة عار . هذا ولكم كنا نود أن نبسط القول بعض الشيء في الاعتزال وآثاره في الحركة العلمية والفلسفية والأدبية لولا ان الغاية البحث في اعتزال الجاحظ .

الجاحظ وآراؤه المعتزلية العامة والخاصة :

يخلد الجاحظ الأديب العالمي ، ويُطوى الجاحظ الزعيم المعتزلي ، فيمتد ذاك حتى يبلغ أن يجاوز المكان والزمان ، ويقلص هذا حتى يبلغ أن يدفن

في أرضه ، أفما كان من حق الجاحظ على الزمن أن يدع له أعلق الأثرين في نفسه ، وأثرهما عنده ، وأقواهما في تربية ملكاته العقلية ، فيبقيه زعيماً معتزلياً كما أبقاه أديباً عالياً ؟ لا جرم لقد أمضى الجاحظ عمره الطويل يسخر آراءه للدفاع عن دينه ، ويسخر المعارف والعلوم لنشر رأيه ، ويسخر أدبه الرفيع لجميع ذلك ، فهو قبـل كل شيء رجل دين يحترمه ويخلص له ، ثم هو رجل فلسفة وعلم ، وللأدب منه مكان الملكة الفنية ، ومكان الآلة التي بها يدافع عن عقيدته ويبث أفكاره ، ويشحذ الأذهان والمشاعر ، ولئن لم يخلد من آثاره غير أدبه ، فذلك لأن الأدب الرفيع ملك للناس في كل جيل . وما زهقت آثاره الدينية الاعتزالية من ضعف عن مغالبة الفناء ، وانما محقها ومحق الاعتزال تعصب المحدثين وأشياعهم الكثر حين أديل لهم ، فأوقعوا بالمعتزلة جزاء وفاقاً على ما قدم هؤلاء من صنوف الأذى وضروب المحن ، فدثرت آثار الجاحظ كما دثرت آثار المعتزلة جميعاً ، ولم يبق منها الا القليل مما انبث في عرض كتبه الأدبية ورسائله ، مما يجعل فهمه زعيماً معتزلياً عسيراً كل العسر ، ولكن مهما يكن من شيء فالجاحظ ركن شديد من أركان الاعتزال سليل أولئك الفحول العظماء الذين كانت بيدهم مقاليد الفكر ، وأعنة البحث ، والذين آمن بهم الجاحظ ايماناً حمله على القول في حقهم بأنه «لولا مكان المتكلمين لهلكت العوام واختطفت واسترقت ولولا المعتزلة لهلك المتكلمون» وكان يقول في معرض الحديث عن ابراهيم النظام وأصحابه : «انه لولا مكان المتكلمين لهلكت العوام من جميع الأمم ، ولولا مكان المعتزلة لهلكت العوام من جميع النحل ، فان لم أقل ولولا أصحاب ابراهيم وابراهيم لهلكت العوام من المعتزلة فاني أقول انه قد أنهج لهم سبلاً وفتق لهم أموراً ، واختصر لهم أبواباً ، ظهرت فيها المنفعة وشملتهم بها النعمة» والحق ان هذه النحلة لم تنته الى ابراهيم النظام حتى كان لها فيه أعظم زعيم أحسن رعايتها وشد أزرها ، بعقل رائع ، وذهن لامع ،

واطلاع واسع ، ونبوغ لا يحد ، مع استقلال في التفكير ، وقدرة أدبية كان فيها مضرب المثل ، فالنظام هو الأستاذ المعتزلي الأكبر للجاحظ ، أخذ عنه أصول الاعتزال مع كثير من العلم والفلسفة والأدب ، وتعهده ذاك بالتربية الفكرية والرياضة العقلية ، فالجاحظ تلميذ النظام واعتزاله اعتزاله ولكنه لم يكن مع أستاذه إمعة يقول بجميع ما يقول به . بل يوافقه تارة ويخالفه أخرى ، شأن المفكر المستقل . وأمره مع أستاذه كأمره مع من تقدمه من شيوخ الاعتزال . فالجاحظ وافق المعتزلة فيما ذهبوا اليه من القول بالأصول الخمسة . ووافق النظام في كثير مما ذهب اليه من الفروع . ولكنه انفرد بمقالة سنعرضها قريباً .

وليس في أيدينا من كتبه ما يظهر لنا آراءه جميعها مع أدلتها الا نتف مفرقة تنم عن رأيه في الأصول الخمسة أو في بعض ما يتبعها من آراء . فهو يقول مثلاً في مبدأ العدل الذي يحظر فيه المعتزلة نسبة الشر الى الله بعد كلام : « وكل ميسر لما خلق له لتتم النعمة ولتكمل المعرفة وانما تأبى التيسير للمعاصي » . ويقول في هذا الرأي في موضع آخر : « فان أنت أبغضت من جهة الطبيعة واستثقلت من جهة الفطرة ضربين من الحيوان : ضرباً يقتلك بسمه وضرباً يقتلك بشدة أسره لم تلم ، الا أن عليك ان تعلم ان خالقهما لم يخلقهما لأذاك ، وانما خلقهما لتصبر على أذاهما ، ولأن تنال بالصبر الدرجة التي يستحيل أن تنالها الا بالصبر ، فالصبر لا يكون الا على حال مكروه » . الى ان يقول : فافهم فهمك الله مواقع النفع كما يعرفها أهل الحكمة وأصحاب الاحساس الصحيحة » . ويقول فيما يتعلق بالتوحيد ونفي الصفات : « وقد علم الدهري اننا نعتقد ان لنا رباً يخترع الأجسام اختراعاً وانه حي لا بحياة وعالم لا بعلم وانه شيء لا ينقسم وليس بذي طول ولا عرض ولا عمق » . وله في كتاب حجج النبوة بحث مطول عن خلق القرآن وما في ذلك من أدلة وردود . هذه اشارة خفيفة الى رأيه في الاعتزال ، ولنشرع في آرائه الخاصة :

ليس من شك ان للجاحظ آراء كثيرة اختص بها وتزعم بها فرقةً يقال لها الجاحظية ، ولكن هل من الصحيح أن يكون له كل ما نسب اليه من آراء ؟ يرى الباحث ان ليس الأمر كذلك ، فالجاحظ المرح الحسن العشرة الذي لا يجبه أحداً بما يكره ، كان الى ذلك مغرّى بالنقد كلفاً بالمحاجة . ولوعاً بكشف هنات الخصوم ، مما أدى المتشيعين وبعض أهل السنة الى الكيد له والتربص به . ذلك ان الجاحظ حين ألف كتابه فضيلة المعتزلة لم يقصد به الى اطراء المعتزلة والثناء عليهم فقط ، بل قصد أيضاً الى الرد على الرافضة وابراز فضائحهم مما جعله هدفاً لغارة الخصوم . فوكل الشيعة أمر الرد عليه الى احمد بن يحيى الراوندي الذي كان قبل ذلك معتزلياً ثم طرد لالحاده فتقبله الرافضة وصار من أنصارهم ، وهو الذي اتفق العلماء على الحاده وكذبه . هذا ابن الراوندي هو الذي رد على الجاحظ وكذب عليه ، وليس الغريب ان يرد وأن يكذب ، ولكن الغريب ان يكون ابن الراوندي عند أهل السنة كاذباً دائماً الا اذا كان بمعرض القول عن المعتزلة عامة والجاحظ خاصة فانه صادق يصح النقل والرواية عنه ، فالبغدادي والغزالي والشهرستاني وابن حزم كل أولئك كان مصدرهم في كثير مما أوردوه على المعتزلة كتاب «فضيحة المعتزلة» الذي رد به الراوندي على الجاحظ ، وابو الحسين الخياط صاحب كتاب «الانتصار» هو وحده الذي انتصر للمعتزلة وللجاحظ ، وبين افتراء ابن الراوندي عليهم ، وتحريفه لمذاهبهم . ومما يدل على تجرده في الانتصار اعترافه ببعض وتصحيحه مفهوم بعض وانكاره بعضاً . اذن فليس كل ما نسب الى الجاحظ صحيحاً يستحق البحث والنظر ، ولكن الذي يبدو أنه لا شك فيه ، هو ما قاله الأشعري ، وما اعترف به الخياط ، وما قاله المرتضى ، وما أشار اليه الجاحظ ، وما أجمع عليه مورخو النحل من قوله على ما جاء في الشهرستاني : « قال الجاحظ : ان المعارف كلها ضرورية طباع وليس شيء من ذلك من افعال العباد ، وليس للعباد كسب

سوى الارادة ويحصل أفعاله طباعاً » وقال المرتضى « ان الجاحظ أغري بشيئين : كون المعارف ضرورية والكلام على الرافضة . ويقول الأشعري : « قال الجاحظ : ما بعد الارادة فهو للانسان بطبعه وليس باختيار له ، وليس يقع منه فعل باختيار سوى الاراده » . ولبيان هذا نقول : ان الجاحظ يريد ان الانسان لا يملك من نفسه كل شيء كما يقول بذلك المعتزلة ، وانما يملك الارادة وحدها ، فهو يستطيع أن يريد متى شاء ، ويستطيع ألا يريد متى شاء . ولكن لا يستطيع اذا أراد شيئاً ألا يريد ما يتبع ذلك الشيء ضرورة . فمن مقدور الانسان ومن إرادته أن يمد عينيه وينظر ، ولكن ليس من ارادته ما يكتسبه بالنظر من معرفة ، لأنه لو أراد بعد النظر ألا يكتسب شيئاً لما قدر عليه ، فنظره الى الشيء عمل إرادي وكسبي ، وما نتج عن نظره من معرفة فاضطراري طبعي ، وكذلك الحال في الأمور العقلية ؛ فتوجيه النظر عمل ارادي كسبي ، وتحصيل العلم الناتج عن توجيه النظر ضروري طباع ، اذن فمعارف الانسان عند الجاحظ بطبعه ، فكما ينمو عقله طبيعياً تنمو معارفه طبيعية ، وللجاحظ في الطبائع بحث يؤكد ايمانه بها يقول فيه : « ولا يكون المتكلم جامعاً لأقطار الكلام متمكناً في الصناعة ، يصلح للرياسة حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة ، والعالم عندنا هو الذي يجمعهما ، والمصيب الذي يجمع بين تحقيق التوحيد واعطاء الطبائع حقائقها من الأعمال . ومن زعم ان التوحيد لا يصح الا بإبطال حقائق الطبائع فقد حمل عجزه على الكلام في التوحيد . وكذلك اذا زعم ان الطبائع لا تصح اذا قرنها بالتوحيد ومن قال فقد حمل عجزه على الكلام في الطبائع ، وانما ييأس منك الملحد اذا لم يدعك التوفر على التوحيد الى بخس حقوق الطبائع ، لأن في رفع أعمالها رفع اعيانها ، واذا كانت الأعمال الدالة على ذلك قد دفعت الدليل فقد أبطلت المدلول عليه ، ولعمري ان في الجمع بينهما بعض الشدة ، وانا أعوذ بالله تعالى أن أكون

كلما غمز قناتي باب من الكلام صعب المدخل نقضت ركناً من أركان مقالتي ، ومن كان كذلك لم ينتفع به » ويتبع مقاله الجاحظ بأن المعارف ضرورية طبيعية ، رأيه في الكافرين ونجاتهم إن لم يكونوا في كفرهم معاندين . يقول الغزالي في كتابه المستصفى : « ذهب الجاحظ الى ان مخالف ملة الاسلام من اليهود والنصارى والدهرية ان كان معانداً على خلاف اعتقاده فهو آثم وان نظر فعجز عن درك الحق فهو معذور غير آثم ، وان لم ينظر من حيث لم يعرف وجوب النظر فهو أيضاً معذور ، وانما الآثم المعذب هو المعاند فقط لأن الله تعالى لا يكلف نفساً الا وسعها وقد عجزوا عن درك الحق ولزموا عقائدهم خوفاً من الله تعالى اذا استد عليهم طريق المعرفة » فهذا الرأي يرجع الى رأيه السابق : بكون المعارف ضرورية ، لأن الانسان اذا نظر فأسلم فاسلامه بعد النظر ضروري ، واذا نظر فكفر فكفره بعد النظر ضروري ، وآراء الانسان وعقائده نتيجة طبيعية للتفاعل بين عاملين تكوين عقله ، وما يعرض من آراء ولا يكلف الله نفساً الا وسعها . هذا وقد نسب الى الجاحظ كثير من العقائد لم يقلها في كتبه ولم ينقلها عنه أحد من تلاميذه من ذلك ما نقله عنه الشهرستاني بأنه يقول : « باستحالة عدم الجواهر وبأن الأعراض تتبدل والجوهر لا يجوز أن يفنى » فقد رد هذا القول الخياط المعتزلي بقوله في الرد على ابن الراوندي « وهذا كذب على الجاحظ عظيم ، وذلك ان قول الرجل انما يعرف بحكاية أصحابه عنه أو بكتبه ، فهل وجد هذا القول في كتاب من كتبه ؟ الى أن يقول : فاذا كان الرجل ميتاً فكتبه وأصحابه تخبر بخلاف ما قرفه به هذا الماجن الكذاب » .

وأما قول الشهرستاني بأن الجاحظ يقول في أهل النار « انهم لا يخلدون فيها عذاباً بل يصيرون الى طبيعة النار » وانه يقول « النار تجذب أهلها الى نفسها دون ان يدخل أحد فيها » فقد رد الخياط على الراوندي بقوله « وهذا كذب وزور ، وهذه كتب الجاحظ في أفعال الطبائع فانظر فيها ، فان وجدت فيها

حرفاً واحداً مما حكاه عنه هذا الماجن فهو صادق، والا فاعلم انه كاذب بهات . كذب عليه في الحكاية عنه انه يحيل فناء الاجسام ثم أردفه بكذب آخر والله المستعان » ومع هذا التكذيب الشديد من الخياط الذي هو أعلم بمقالة المعتزلة ، ذهب بعض علمائنا الباحثين المعاصرين الى تثبيت ما ذهب اليه الشهرستاني مع ان الناقل لها في الاصل هو ابن الراوندي المشهور بإلحاده وكذبه والمستأجر بمال اليهود والرافضة للرد على من خالفهم .

دين الجاحظ :

اذا ذكر الجاحظ بين المتزمتين اشمأزت لذكره نفوسهم ، لأنه يظهر لهم مستهتراً لا يحترم ديناً ولا يراعي عرفاً ، وهو من الأدب والى الأدب لا يرضى حتى يرضي ذوقه ويشبع نهمته في فنه ، وإن جاوز بذلك تعاليم الدين ، وقد يكون لهؤلاء بعض العذر ، وقد لقفوا معلوماتهم عن الجاحظ تقليداً لأولئك الذين قرفوا الجاحظ وطعنوا به . ولكن الباحث يرى من التخاصم والتجاذب بين الجاحظ وخصومه من محدثين ورافضة وغيرهم ما يكفيه أن يقتنع ان ليس صحيحاً أكثر ما نسب اليه . ومن قرأ ما كتبه ابن قتيبة المحدث الأديب المعاصر للجاحظ ير من تحامله عليه شاهداً بيناً على ذلك ، فقد قال عنه في كتابه تأويل مختلف الحديث « ثم نصير الى الجاحظ وهو آخر المتكلمين والمعاير على المتقدمين وأحسنهم للحجة استثارة » الى أن يقول « ويعمل كتاباً يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين ، فاذا صار الى الرد عليهم تجوّز في الحجة كأنه انما أراد تنبيههم على ما لا يعرفون ، وتشكيك الضعفة من المسلمين » الى أن يقول : « وهو مع هذا من أكذب الأمة وأوضعهم لحديث وأنصرهم لباطل » فهنا نرى ابن قتيبة قرف معاصره ونده الجاحظ بأشياء أخطرها دعواه : أنه يعمل كتاباً يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين ، فاذا صار الى الرد عليهم تجوز في الحجة ،

وحسب هذه التهمة من الرد ان يرجع الانسان الى قول الجاحظ نفسه في رده على النصارى ، فيرى من قسوة الأحكام وأمر الحجة ما يقنعه بتحامل ابن قتيبة عليه . ولو ان ابن قتيبة عاود قراءة كتاب الجاحظ في رده على النصارى في تجرد ، لألفى الجاحظ يرد في نفس الكتاب على ما يمكن أن يتذرع به أمثاله من التهم الباطلة اذ يقول «ولولا ان الله قد حكى عن اليهود انهم قالوا : عزير ابن الله ، ويد الله مغلولة ، وان الله فقير ونحن أغنياء . وحكى عن النصارى انهم قالوا : المسيح ابن الله . وقال : لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة — لكنت لأن أخر من السماء أحب الي من أن ألفظ بحرف مما يقولون ، ولكني لا أصل الى اظهار جميع مخازيهم ، وما يسرون من فضائحهم الا بالاخبار عنهم» الى آخر ما قال : وهذا رد صريح عن ابن قتيبة قبل الاعتراض . وأما ما قاله ابن قتيبة عنه : بأنه أكذب الأمة وأوضعهم لحديث ، فهذه شهادة معاصر خصم لا يعتد بها ، وما أدري كيف تبعه فيها كثير من المحدثين مع انهم لا يعتدون بجرح المعاصر المتحامل ونظير ذلك تزييفهم لجرح الذهبي اذا طعن معاصراً له . والذهبي هذا من الطاعنين أيضاً بالجاحظ تقليداً لأسلافه قائلاً عنه : بأنه باقعة قليل دين . قال المقبلي في الرد عليه : علم من المختلفين في العقائد أتباع الهوى وقبول المثالب من دون تثبت ثم قال عن الجاحظ : هو أجل من ذلك وانما تحامل عليه مخالفوه في العقائد فلا يصدقون عليه ، وأصحابه المعتزلة أخبر به . فهو عند المعتزلة من جلة العلماء ، وعند الجميع مقدم الأذكياء الحكماء .

عبد الغني الدقر

اسماء جبال تهامة

تأليف : عرّام بن الاصبغ السلمي

- ٢ -

٥ — ونلج بعد ما تقدم في الرسالة لنبدي ما لاحظناه في عمل الأستاذ عبد السلام في سبيل تحقيقها وهو ينحصر في :

١ — عدم ايراد النص والاستعاضة عنه بغيره .

٢ — عدم نسبة كثير من الأشعار لقائليها .

٣ — التعليق على أسماء بعض المواضع بأوصاف لا تنطبق عليها .

ولهذه الأمور الثلاثة أسباب : فأصل الرسالة هو النسخة الوحيدة الموجودة في المكتبة السعيدية في الهند ، وهو أصل كثير التحريف والغلط وكثير من حروفه مهمل من الاعجام ، فاذا لم يعول عليه الأستاذ تعويلاً تاماً فله العذر . ولكن ينبغي الاشارة الى أصل كل كلة وردت في الأصل حينما تستبدل بغيرها . والمحقق الفاضل عوّل على معجم البلدان ومعجم ما استعجم للبكري . وهما قد اشتملا على جل ما في الرسالة ان لم يكن كلها . ولكنهما ـ وخاصة معجم البكري ـ وقع فيهما كثير من التصحيف ولهذا فاعتبار كل ما ورد فيهما صحيحاً أمر يحتاج الى تثبت ، ومن التثبت عدم اطراح أصل الرسالة . وللرسالة مرجع ثالث فات الأستاذ عبد السلام وهو كتاب (وفاء الوفاء) للسمهودي مؤرخ المدينة فقد ورد في الجزء الثاني منه كثير من نصوصها منسوبة الى مؤلفها . وقد أشار السمهودي هذا (ج ٢ ص ٢٤٤ و ٣٥٧) الى اطلاعه على نسختين منها . ولو اطلع الأستاذ على هذا الكتاب لاستفاد منه كثيراً في تحقيق كثير من

المواضع وخاصة أن جل كلام عرام في الأمكنة القريبة من المدينة ، وقد نقلها السمهودي عنه . والسبب الثاني هو جهل كثير من الشعراء الذين وردت بعض أشعارهم في الرسالة وعدم ذكرهم في أمهات كتب الأدب المشهورة . ءالسبب الثالث تشابه أسماء المواضع من حيث اطلاق الاسم الواحد على عدة مسميات كخليص مثلاً يطلق على عين في طرف ركبة الجنوبي في أعلى نجد . ويطلق على موضع فيه حصن في طريق المتجه الى المدينة من مكة في تهامة وبين الموضعين مهامهٌ وبِيدٌ مترامية الأطراف متباعدة .

ولنذكر بعض ما ألمعنا الى ذكره من هذا القبيل .

١ – ص ١٤ (وهما جبلان كبيران شامخان . وكل تهامة تنبت الغضور . وبين رضوى وعزور وينبع مراحل) هذا الكلام على جبلي ثافل الأكبر وثافل الأصغر . فما دخل المسافة بين رضوى وعزور وينبع هنا ـ وقد تقدم ذكرها ص ٥ من الرسالة ـ ؟؟ ان صحة العبارة (وبينهما وبين رضوى وعزور سبع مراحل) ، (انظر معجم البكري مادة ثافل) أي انّ بين جبلي ثافل وبين رَضْوى وعَزْور سبع مراحل .

٢ – ص ١٧ (ثم الجيّ ويعلو بينه وبين قدس الأبيض ثنية بل عقبة يقال لها ركوبة) . وكلمة يعلو صوابها (يفلق) ولكنها مهملة في الأصل فتصحفت . (انظر مادة ورقان من وفاء الوفاء ج ٢) .

٣ – ص ١٨ (ويقابلها من غير الطريق المصعد جبلان) . صوابها (ويقابلها من يمين الطريق) الخ .

٤ – ص ٢١ (واسم وادي آرة (حقيل) . والصواب ـ كما في معجم البلدان ج ٣ ص ٣٠٦ ووفاء الوفاء ج ٢ ص ٢٩٢ (حقل) . أما حَقيل ففي نجد وبونٌ شاسعٌ بين الموضعين .

٥ — ورد في صفحة ٢٢ ثلاثة أبيات من الشعر اكتفى الأستاذ من بيان قائلها بكلمة (هو ابو المزاحم كما في البكري ٤٤٩، ٤٥٠) ولكن من ابو المزاحم ؟؟ لعل مما يفيد القراء أن ننقل شيئاً من خبر قائلها عن كتاب (التعليقات والنوادر) لأبي علي الهجري ـ نسخة دار الكتب المصرية ـ قال : (وأنشدني لغزلان الثامي، من ثمامة بن كعب بن جذيمة بن خفاف) :

خليلي صُبّاني ورحلي وناقتي على (مَلَح الرّيان) ثم دعانيا

فإن أنتما لم تفعلا ومررتما على (حائط الزبدي) فاستودعانيا

أسائل عن (عَمْقٍ) وعن حسن حاله ولولا ابنة الزبدي قلّ سؤاليا

عَمْق الزروع قرب الفُرْع، وعمق المضيق بيَلْيَل قرب بدر. وقال : الزبديون من بني عمران من مزينة ثم من بني عثمان. والدَّهْنا : قَلْتٌ بين مَرّ عُنَيْب وبين السائرة. وله :

المّا (بعمق) ذي الزروع فسلما وان كان عن قصد المطي يجور

فان (بعمق) ذي الزروع لبدّنا من أسلم في تكليمهن أجور

ولا تعجزا عن حاجة لأخيكما وان كان فيها غلظة وفجور

فما ضر صرم الاسلميات لو بدت لنا يوم عمق أذرع ونحور

وفي عرس قذّان علي ألِيّة وفي الجنذبات الملاح نذور

وله في نساء مزنيات :

فان بوَ كْد فالبُرَيْراء فالحَشا فخَلْص الى الرّنقا من ويعان

وَكْد : طرف أسود، وراء مَرّ بشوكان. والبُرَيْراء أكيمة صغيرة. والحشا بلد بين مَرّ وشوكان. وخَلْص آرة. والرّنقاء : ها هنا قاع. ويعان بالحرّة :

أوانس من حَيّي عِداء كليهما طوامح بالأزواج غير غوان

جنن جنوناً من بعول كأنها قرود تنازى في رباط يمان

فرا فقولا طالبان لحاجة وعودا فقولا نحن منصرفان

فظفروا به في الدهنا ـ وهي قلتة عميقة ـ فربطوا في رجله رحى ثم رموا به فيها فهلك) . هذا ما نقلته من كتاب الهجري أوردته بطوله لاشتماله على شيء يتعلق بقائل تلك الأبيات . ولكن أهو ابو المزاحم ـ الذي نسب البكري الأبيات اليه ـ ؟ الظاهر انه هو ، فصاحب التاج أنشد أحدها في مادة (وبع) ونسبها لأبي المزاحم السعدي . والاصبهاني روى في الأغاني (ج ١١ ص ٧٩) بيتين لأبي المزاحم هما :

اعيرتموني ان دعتني اخاهم سليم وأعطتني بايمانها سعد

فكنت وسيطاً في سليم معاقداً لسعد وسعد ما يحل لها عقد

ويفهم منها ان أبا المزاحم هذا سعدي حالف سليماً فعدّ منهم . والهجري ذكر أن صاحب الأبيات ثمامي من ثمامة بن كعب بن جذيمة بن خفاف . ومعروف ان خُفافاً بطن من سليم . أما معرفة عصر هذا الشاعر فتعلم من معاصرته لأبي وجزة السعدي الشاعر ، وأبو وجزة هذا تابعي ـ أي من الشعراء الاسلاميين ـ والهجري الذي روى أبيات الرسالة من اهل القرن الثاني والثالث الهجريين . وعلى ذكر ابي المزاحم هذا يحسن ان نذكر ان صاحب الأغاني أورد في ترجمة حماد عجرد بيتاً من الشعر لشاعر يدعى أبا المزاحم الثمالي ، هو :

تخوف الرحْلُ منها تامكاً قرداً كما تخوف عود النبعة السفن

ونسبه بعض اللغويين لغيره . ولا أدري هل هو شاعرنا أم غيره ؟

٥ ــ ص ٢٩ (البعق واد بكنفته اليسرى واد يقال له شسّ) . وفسر الأستاذ الكنفة . ولكنها في الأصل كما علمت من النسختين المقابلتين عليه : بكفّته ، والكفة بحذف النون : حرف الوادي .

٦ ــ ص ٣٥ (ثم اسفل منها مهابع وهي قرية كبيرة غناء بها ناس كثير وبها منبر ووال ينتابه من قبل صاحب المدينة) . كذا (ووال ينتابه من قبل

صاحب المدينة) وهي من أقبح ما علمت من أنواع التصحيف . وصوابها : (ووالي ساية من قبل) الخ وساية واد عظيم فيه قرى كثيرة ذكره عرام وغيره . (انظر معجم البلدان ج ٥ ص ٢٣ حيث تجد نص كلام عرام) .

٧ — ص ٣٦ (تجار الفاق) . وهي في الأصل (الفاف) بالفاء ولكن الأستاذين الميمني وهارون أبدلا الفاء قافاً . ويظهر لي أن الأصل صحيح وان المقصود بالالفاف الأخلاط والأصناف .

٨ — ص ٣٩ (وتنحدر في حد مكة في واد يقال له وادي تربة) . هكذا وردت الجملة في طبعة الأستاذ عبد السلام ، وفي طبعة الأستاذ الميمني ولكننا حينما نعلم ببعد وادي تربة عن مكة نستطيع ان ندرك الخلل هنا . وندرك أن الصواب (وبنجد في حد مكة واد يقال له تربة) . والأستاذ عبد السلام لم يورد العبارة كما هي في الأصل بل زاد فيها اعتماداً على معجم ياقوت .

٩ — ص ٤٠ وضع الأستاذ حاشية على (معدن البرام) تنطبق على معدن البرم في أضاخ في عالية نجد . والكلام هنا في حدود الطائف والموضعان متغايران .

١٠ — ص ٤٦ (وبين مكة والطائف قرية يقال لها راسب لخثعم و (الجونة) قرية للأنصار) . كذا (الجونة) بالجيم بعدها واو فنون . وهي في الأصل مهملة الحروف ولم يذكر هذا الأستاذ . وقد وضعها الأستاذ الميمني (الجوبة) بالباء . ولو أوردها على علاتها لكان خيراً من اصلاحها لها . وهي فيما أرى الحوِيّة بالحاء المهملة المفتوحه فواو مكسوره فياء مثناة تحتية مشددة فتاء التأنيث قرية من أشهر قرى الطائف لا تزال معروفةً بهذا الاسم، وان لم يرد ذكرها في المعاجم القديمة كغيرها من كثير من مواضع بلاد العرب .

١١ — ص ٤٧ : (وجل أهل الطائف ثقيف وحمير وقوم من قريش وغوث من اليمن وهي من أمهات القرى) . وعلق الأستاذ قائلاً وغوث من اليمن لم ترد فيما نقل ياقوت عن عرام (٦ — ١١) . وفي اليمن أغواث، ثم ذكر

الأستاذ بعض القبائل التي تسمى بغوث . وأقول ان الكلمة تصحفت على ياقوت (رحمه الله) فظنها اسم قرية فأوردها في معجمه (٦ — ٣١٦) قائلاً : غويث بالتصغير وآخره ثاء مثلثة ولم يتحقق عندي أوله هل هو بالعين او بالغين . وهي قرية بعد الطائف من اليمن من أمهات القرى ، عن عرام . كذا قال ياقوت وأرى أن صحة العبارة (وعريب من اليمن) تصغير عرب أي أناس قليلون . وأستشكلُ مع هذا كلمة (حمير) التي جاءت في سياق كلام عرام .

١٢ — ص ٥٣ (والغضور والخرز) كذا وردت كلمة (الخرز) بالخاء . ونقل الأستاذ في الحاشية كلاماً لصاحب اللسان في معنى الخرزة . مع أن صواب الكلمة (الغرز) بالغين لا بالخاء وهي كذلك في الأصل . والغرز نوع من النبات شبيه بالثمام موصوف في معاجم اللغة ومعروف في بلاد العرب . ونقل الأستاذ في حاشية هذه الصفحة : أن عراماً لم يذكر الجبل الثالث الذى يكتنف الطرف . وان الذي نبه الى عدم ذكره هو الأخ المحقق الشيخ سليمان الصنيع . وأقول : قد نبه على هذا السمهودي في وفاء الوفاء (ج ٢ ص ٢٤٧) قبل الأستاذ الصنيع .

١٣ — في وصف غدير المختبي ص ٥٩ (يؤتى من طرفيه دون جنبيه لأن له حرفاً لا يقدر عليه أحد) . وفي وفاء الوفاء (ج ٢ ص ٣٦٩) نقلاً عن عرام : (لأن له حرفين لا يقدر عليه من جهتها) . وفي هذه الصفحة : (وقلتٌ يقال له ذات القرنين لأنه بين جبلين صغيرين وانما ينزع الماء منه نزعاً بالدّلاء أذا انخفض قليلاً) . وذكر الأستاذ ان في الأصل (انخفضت) وانه نقل صواب هذه الكلمة من ياقوت . وأقول : إن الصواب ـ فيما أرى ـ ما جاء في الأصل ، فالماء ـ كما يفهم من كلام عرام ـ بين جبلين صغيرين ، فوارده يحتاج الى أن ينخفض قليلاً لكي يصل اليه فينزعه بالدلو .

١٤ — ص ٦٠ (النازية بين بني خفاف وبين الأنصار فتضاربوا فسدوها) . وفي وفاء الوفاء (ج ٢ ص ٣٨٠) : فتضارُّوا . وفي ياقوت (فتضادوا) بالدال

تصحيف . والأستاذ اختار كلمة (تضاربوا) كالأستاذ الميمني ولكني أرى (فتضاروا) أصوب .

١٥ — ص ٦١ (وفي أبلى مياه منها بئر معونة وذو ساعدة وجماجم أو حماحم والوسباء) . وفي الأصل بعد كلمة (حماحم) شكٌّ . أي ان « أو » هنا للشك . وحذف كلمة (شك) يوهم ان الاسمين يطلقان على ذلك الماء . والمحافظة على الأصل أولى .

١٦ — ص ٦٣ (والخرب جبل .. لا ينبت شيئاً نابتاً) . كذا بالنون والصواب (ثابتاً) بالثاء أي كالأشجار .

١٧ — ص ٦٥ (وهم بادية الا من ولد بها فانهم ثابتون بها) . وثابتون هي في الأصل (تانون) أي ماكثون من تنا وسهلت الهمزة . نبه على هذا الأستاذ الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني .

١٨ — ص ٦٧ (وبأعلاه ماء يقال له القفا) . وفي معجم ياقوت (٣٣٦/٧) ووفاء الوفاء (ج ٣٦٧/٢) لِقْف . وقد نقلا كلام عرام . اما القفا فجبل سيأتي ذكره في آخر الرسالة . ولقف صحف في معجم البكري بـ « ليث » .

١٩ — ص ٦٩ (وعليها نخيلات وآجام يستظل فيهن المار ـ وواحدها أجم ـ وهي شبيهة بالقصور . وحواليها حموض) . وفي طبعة الأستاذ الميمني : (الغضور) بدل القصور ، ولعلها أصوب . اذ الأجم الشجر الملتف والغضور نوع من النبات .

٢٠ — ص ٧٦ (وهي على طريق البصرة لبني هلال ولبني ماعز) . وسقط من هنا (وجسر) بعد هلال . نقلها السمهودي وحرفت في معجم ياقوت الى (جزء) . وجسر هنا حي من محارب .

٢١ — ص ٦٧ لم يخرج الأستاذ البيتين الواردين في (مرّان) وهما من قصيدة من عيون المراثي تقع في ١٨ بيتاً أوردها الهجري كاملة وذكر قائلها والمرثي بها . قال : (وأنشدني ابو كليب حمّر بن الأشهب من بني عامر بن ربيعة للتيمي في ماعز بن مالك البكائي . وهي تامة هاهنا :

أتاني نعي للأغر ابن مالك فبت وليـلي بالعراق طويل
فبت أعزي النفس ان يشمت العدى وفي النفس من وجد عليه غليل

ثم ساقها ، وقد أورد ابو تمام في الحماسة بعضها . والأستاذ عبد السلام يقوم الآن بنشر شرح الحماسة للمرزوقي واذن فقد اطلع على ما ذكر ابو تمام منها ومن كمال العمل في التحقيق الاشارة الى ذكر ابي تمام لها ، وايراده بعض أبياتها .

٢٢ – ص ٧٨ (وحذاءه جبل آخر يقال له بيش) . وبيش هذا تصحيف بُس بالباء بعدها سين مهملة . وكذا في الأصل ، ولعل الاعجام الذي فوق السين في الاصل هو علامة الاهمال ، وعادة المتقدمين أن يضعوا على السين المهملة علامة الاهمال . فتشبه هذه العلامة بالنقط . ولا يصح التعويل على كل ما في معجم البكري لما فيه من التصحيف والغلط .

٢٣ – علق الأستاذ في صفحة ٨٠ على عين خليص الواقعة في (ركبة) بكلام ياقوت عن حصن خليص الواقع بين مكة والمدينة . وقد ظن ان الموضعين واحداً ، فقال : لعل حصن محرفة عن عين . والحقيقة ان عين خليص الواردة في كلام عرام تقع في طرف ركبة الجنوبي بقرب الطائف في أعلى نجد ، وحصن خليص يقع بين مكة والمدينة بقرب الأولى في تهامة .

هذا ما رأيت ايراده مما لاحظته على هذه الرسالة ، التي قام بتحقيقها السيد عبد السلام محمد هارون الأستاذ المساعد بجامعة القاهرة ، ولا أريد أن أغمطه حقه أو أقلل من عمله فهو أجل من أن ينكر فضله . وأنا أربأ بنفسي عن الانصاف بصفة سيئة . ولكنني أردت المشاركة في ابراز هذه الرسالة ابرازاً يجعل النفع بها تاماً . وقد قام الأستاذ – في هذا السبيل – قياماً مشكوراً فرجع الى ٣٢ كتاباً من المراجع العامة ، ووضع للرسالة فهارس شاملة لأسماء المواضع والأعلام ، والقبائل ، والنبات ، والحيوان ، والقوافي ، واللغة ، وزينها بكثير من الحواشي المفيدة ، وشكل أسماء المواضع فجاء عمله في هذه الرسالة – كعمله في غيرها من الكتب الكثيرة التي حققها – مفيداً نافعاً .

(الرياض) حمد الجاسر

التعريف والنقد

الجمانة في ازالة الرطانة

ناشره الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
مؤلفه ابن الامام ، طبع بمطبعة المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة
سنة ١٩٥٣ في ٤٠ صفحة

كنت نشرت في مجلة المجمع العلمي (مجلد ٢٥ ص ٤٧١) بحثاً حول كتاب في تصحيح أغلاط العوام للصلاح الصفدي وأحصيت في بحثي نحو ٢٥ مصنفاً في موضوع تلك الأغلاط . وقلت بهذه المناسبة : « هذا مجموع ما عاق باليد من مصنفات هذا الموضوع أما ما لم يعلق بعدُ فشيء كثير . ربما أوصلنا التنقيب اليه . وأعثرنا الزمان عليه . وقد نفاجأ بخبر العثور عليه مفاجأة كما كان من (كتاب أغلاطي) للصفي الحلي الذي أهدى فرنكو (عظيم اسبانيا) نسخةً منه الى لجنة الثقافة العربية . وكما كان من كتاب (تصحيح التصحيف) للصفدي الذي أهدى كراسته الأولى الى مجمعنا العلمي المستشرق (المرحوم) كرينكو ا هـ » .

وكذلك كان فقد أعثر الزمان زميلنا الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب على رسالة من ذلك النوع في خرانة كتب جامع الزيتونة اسمها (الجمانة في إزالة الرطانة) لاتتجاوز صفحاتها الأربعين صفحة . مهّد لها الأستاذ وحققها وعلّق عليها . وقال في (التمهيد) : انه لم يتوصل الى معرفة مؤلف الرسالة سوى أنه يلقب بابن الامام . وانه كان يعيش بتونس بين القرنين التاسع والعاشر للهجرة وانه إما أن يكون من مهاجري الأندلس الى تونس أو من أبناء تونس نفسها وقد سكن حيناً في الأندلس بدليل انه يذكر أغلاطاً لعامة الأندلسيين مثل قولهم في الدَّجاجة (بفتح الدال) دِجاجة (بكسرها) .

وكتاب «الجمانة» في تصحيح أغلاط الأندلسيين والتونسيين في حدود القرن العاشر يشبه في وحدة موضوعه كتابنا الذي وضعناه في تصحيح أغلاط الشاميين في عصرنا الحاضر . وقد توافقنا مع مؤلف الجمانة في كثير من هذه الأغلاط مثل (سَكران) بفتح السين . ولكن هنا وهناك يكسرونها . وكذلك غَيرة النساء بفتح الغين وهم ونحن نكسرها . والطعام (النِيء) بكسر النون وهم ونحن نفتحها .

وقد يلاحظ على المؤلف قوله في تسمية كتابه (إزالة الرطانة) فان الرطانة الكلام باللغة الأعجمية . ورسالة الجمانة انما ألفت في تصحيح كلمات عربيـة محضة ينطقها أبناء العرب على غير وجهها الصحيح في اللغة . فلم يكن بين موضوع الجُمانة وبين معنى الرطانة علاقة ما . إلا أن يقال ان العربي اذا غلط في كلمات لغته لم تعد مفهومة لغيره فكأنه يرطُن بها رطانة .

وقد وقع في الرسالة أغلاط مطبعية لا نتعرض الى احصائها لما أن القارئ قد يهتدى اليها من عند نفسه مثل:

ص ١ سطر ٢ : (أسكنهم جَنانه) ضبطت بفتح الجيم وصوابه الكسر .

ص ٢ سطر ١٢ : (من العُقبان) ضبطت بضم العين وصوابه كسرها (جمع عُقاب) .

ص ١٠ تعليق رقم ٣ : (والنيء الذي لم يطبخ) صوابه (لم ينضج) .

ص ٢٢ سطر ٩ : (وضم الكاف) صوابه (وضم القاف) من قُزح .

ص ٢٣ سطر ٩ : (واسمنتها) صوابه (وأسنمتها) بتقديم النون (جمع سنام) .

الى نظير ذلك مما أغفلنا التنبيه اليه اعتماداً على فطنة القارئ . ومن هذه الأغلاط المستملحة ما جاء في ص ١٠ قول الشاعر : (أتبيتَ ريّان الجفون من الكرى) فقد ضبطت التاء من آخر فعل (تبيتَ) بفتح التاء خطأً وصوابه ضمها : لأنه فعل مضارع مرفوع وتاؤه الأخيرة لام الكلمة وكأن متوهماً توهمها

تاء خطاب ففتحها كما توهمت عامة تونس كلمة (بيت) مؤنثة فقالوا بيت حسنة وبيت واسعة قياساً لها على (أخت) و (بنت) .

ومما يلاحظ أيضاً ان نقصاً وقع في أصل المتن لم يُنبه اليه : مثاله ماجاء في ص ٥ السطر الأخير قوله : « وكذلك قولهم أخذت الشيء برُمته والرُمة القطعة من الحبل » ضبطت الرمة بضم الراء ولكن عامة تونس يكسرونها أو يفتحونها ؟ لم ينبه المصحح اليه بل ربما كان التنبيه أوجب لكون الجملة المذكورة وردت في (باب ما جاء مفتوحاً وهم يكسرونه) وليس هنا محلها : (لأن الرمة من (باب ما جاء مضموماً) كما لا يخفى . وقد تكرر مثل هذا النقص في أصل المتن عدة مرات وكان يحسن تقويمه وتنبيه القارئ اليه .

ونعود الى المهم من مواطن التصحيح فنقول :

ص ٦ قول الشاعر (وإني لَلِثغر المخوف لكالئ) ضبطت (لَلِثغر) بفتح لامها الأولى وكسر لامها الثانية أي جعلت اللام الأولى كأنها اللام المزحلقة كما يسميها النحاة . وبعدها لام (الكالئ) لام مزحلقة أيضاً فصار معنا لامان مزحلقتان ولا قائل به . وصوابه كسر اللام الأولى من (للثغر وتحريك ياء الضمير من (إنيَ) فيستقيم وزن البيت ونبقى على لام مزحلقة واحدة .

ص ٦ في التعليق رقم ٤ في ترجمة (الدماميني) قال وان له بديعية مطلعها كذا . ثم ذُكر المطلع بلفظ غير مفهوم وشعر غير موزون . قال المحقق الفاضل : وقد شرح الزركشي هذه القصيدة وهو ـ أي الشرح ـ موجود في عدة مكتبات منها نسخة (بخزانتي الخصوصية) كذا قال فكان يسهل عليه تصحيح البيت وتقويم اعوجاجه .

ص ١٣ قول الحماسي : (لها رُكَب مثل ظلف الغزال) ضبطت (ركب) بضم الراء فتكون جمع ركبة مع أن الشاعر لا يريد أن يصف ضمور رُكب زوجته وانما أراد وصف ضمور رَكبها وهو بفتح الراء والكاف .

ص ١٩ : بيت ابن المعتز المشهور في كتب البيان (ولاح ضوء الهلال كاد يفضحه) الخ . صواب البيت : (ولاح ضوء هلالٍ كاد يفضحنا) .

ص ٢٠ : في أول الصفحة ذكر المؤلف ثلاثة أفعال بالتشديد وقال ان صوابها التخفيف وهي (كنّاه) صوابه (كَناه) و (قشّر التفاحة) صوابه (قشَرَها) و (برّدتُ فؤادي بشربة ماء) صوابه (بَرَدت) فكان ينبغي تصحيح ما هفا به المؤلف فيقال إن الأفعال الثلاثة وردت بالتشديد كما وردت بالتخفيف .

ص ٢٣ : في أول الصفحة أربعة أبيات وقع فيها خطأ . وهذا تصحيحها على التوالي :

قوله : (فمن بين منقضٍّ وغير منقض) صوابه : (فمن بين منقضٍّ علينا ومنفضّ)

قوله : (على الجو دكناً وهي خضرٌ على الأرض) .

صوابه : (على الجوّ دكناً والحواشي على الأرض) .

قوله : (يطرزها قوس السماء بأحمر) .

المشهور في قوس قزح أن يسمى (قوس السحاب) لا قوس السماء لأنه ناشئ عن السحاب .

قوله : (كأذيالِ خودٍ وأقبلت في غلائل) صوابه : (أقبلت) من دون واو ليستقيم الوزن .

ص ٢٤ سطر ٤ : قوله (نفذ بمعنى قضى) وقع من النساخ في هذه العبارة نقص يستدل على صوابه بالرجوع الى معنى (نفذ) في كتب اللغة حيث تجدهم يقولون ان نفذ تكون بمعنى مضى في قولهم : نفذ الأمر ونفذ القول ونفذ العتق كل ذلك بمعنى مضى . ومنه (الإمضاء) الذي شاع استعماله في معنى التوقيع في الرسائل . فقول المؤلف : (بمعنى قضى) صوابه بمعنى مضى . وفيه نقص ينبغي أن يجبر بما نقلناه عن أهل اللغة . على ان استشهاد المؤلف بآية (ان استطعتم أن تنفذوا) لا يلتحم مع فعل (نفذ) اذا كان بمعنى مضى الأمر كما مر وانما معناه في الآية ان يخرق الشيء الشيء ويخلص منه الى الخارج .

ص ٢٥ سطر ٢ : قوله (وانها ـ أي راحلة النبي (ﷺ) ـ لتقصع بجرّتها أي تردّ) . في عبارة المؤلف أيضاً نقص أو سقط ارتكبه النساخ اذ أن السكوت على (تردّ) لا يفيد فصوابه يعلم مما قاله علماء اللغة في معنى القصع . وهذا هو : (قصعت الناقة بجرتها ردتها الى جوفها) فأصل عبارة المؤلف (لتقصع بجرتها أي تردها) أو (تردها الى جوفها) .

ص ٣٠ قول الشاعر قيس بن الخطيم :

(اذا جاوز الاثنين سرٌّ فإنه ‏ ‏ يُبَثُّ وتكثيرِ الوشاة قمين)

قوله (يُبَثُّ) هكذا بالفعل المضارع وقد ضبط بالبناء للمجهول . فقوله بعده و (تكثير) بالجر ليس له ما يعطف عليه وقد عزا الأستاذ محقق (الجمانة) هذا البيت الى (درة الغواص) وفيها (ببثٍ) كما عزاه الى ديوان قيس بن الخطيم طبعة ليبسك وفيها (بنشر) . وفي اللسان والتاج (بنث) بالنون . وكلها ـ أي البثّ والنشر والنثّ ـ بمعنى إذاعة الخبر وإفشائه في الناس . وبناء على تصحيحنا هذا أمكن عطف (وتكثيرِ) وهو مصدر على مصدر قبله لا على فعل .

هذا وفي الحق ان رسالة الجمانة جليلة القدر . جديرة بالعناية . فلا غرو اذا بذلنا شيئاً من الجهد في تصحيحها . وتقويم أودها مشاركةً للذين سعوا في إخراجها الى حيز الوجود . جزاهم الله خير الجزاء

المحاضرات العامة

أهدت رئاسة الجامعة السورية الى مجمعنا العلمي نسخةً من مجموعة المحاضرات العامة للسنة الجامعية ١٩٥١ — ١٩٥٣ وهي في موضوعات مختلفة وتبلغ صفحاتها (٢٢٠) صفحة ، ثلثاها للمحاضرات العربية وثلثها باللغة الفرنسية للمحاضرات الفرنسية فنشكر لهؤلاء الأساتذة مجهودهم العلمي العميم النفع .

بولونية واللغة العربية

نشرت مجلة مجمعنا العلمي في سنة مضت (مجلد ٢٥ صفحة ١٤٧) مقالاً لسعادة قنصل بولونية بدمشق (السيد جرزي كوتكوفسكي) بعنوان : (تأثير اللغة العربية على البولونية) وقد أوضح أسباب هذا التأثير . ومعظمها يرجع الى الحروب التي استمرت عدة قرون بين تركية وبولونية فكانت تتسرب الى اللغة البولونية كلمات عربيه بواسطة الجنود الأتراك وغيرهم من تجار الترك والتتر والعرب . وسرد سعادته جملة ألفاظ عربية مستعملة في اللغة البولونية من ذلك كلمات كرمي ، سروال ، قهوة ، فنجان الخ . وكان لهذا المقال تأثيره الحسن في نفوس قراء المجلة .

وقد جاءنا من القنصلية البولونية نفسها بدمشق كتاب له علاقة بالموضوع السابق مصحوب بدفاتر ثلاثة تتضمن تأليفاً في أصول قواعد اللغة العربية البولونية وضعه (القنصل المعاون البولوني بدمشق عام ١٩٤٨) السيد (ڤيتولد سكوراتوفيكس) وتطلب القنصلية في كتابها ملاحظات مجمعنا على ذلك التأليف (مساعدةً في توثيق الروابط الثقافية التي كانت بين سورية وبولونية وللدلالة على الفوائد التي جناها المستشرقون البولونيون من اللغة العربية الذين بذلوا نشاطاً عظيماً بدراسة اللغة العربية والتعمق فيها) .

هذا ما جاء في كتاب القنصلية ونأسف أن يكون جهلنا باللغة البولونية حائلاً بيننا وبين دقة النظر في ذلك التأليف لما أن بسط قواعد اللغة العربية فيه بتلك اللغة (أي البولونية) أما النصوص والشواهد والأمثلة على تلك القواعد المقررة فباللغة العربية فمن أجل ذلك ستكون ملاحظاتنا على التأليف مقتصرةً على جانب واحد منه لا على سائر جوانبه .

والتأليف مبدوء بمقدمة مسهبة ذكرت فيها حروف الهجاء العربية بأسمائها وكتابتها وما يتصل بذلك ويلي هذا فصول الكتاب بعنوان دروس : فالدرس الأول عن (الجملة الاسمية والفعلية • المبتدأ والخبر • المعرفة والنكرة • الاسم المذكر) ثم يقول :

(١) ما هذا ؟ هذا كتاب • هو كتاب كبير •

(٢) انظر الى هذا الكتاب الكبير • هذا الكتاب الكبير مفتوح الخ •

ويقابل ذلك باللغة البولونية ما يشرح هذه الجمل ويميزها • وتنتهي الدروس بالدرس الثامن والأربعين في الجمل الوصفية والشرطية والصلة ثم نصوص من الصحف وأقوال الكتاب المعاصرين يعقبها جداول بالأسماء وجموعها والأفعال وماضيها ومضارعها ومن أيّ باب من أبواب الصرف هي •

ولا يخفى أن في إيراد القواعد وسرد الشواهد على هذه الصورة فائدة قريبة التناول من أذهان الناشئين والمتعلمين •

وملاحظاتنا على هذا الكتاب ربما كان مؤلفه بريئاً منها ولا صنع له فيها وانما التقصير من المطبعة والطابع مثل كلمة التاجر صوابها المتاجر ، ومثل كلمة كبذها بالذال المعجمة صوابه بالدال المهملة ، ومثل زيرته صوبها زيارته • وهناك الفاظ يحتمل أن يكون الخطأ فيها من الطابع مثل فِتياتنا جمع فتاة فقد ضبطت الفاء بالكسر وصوابها الفتح ، ومثل وصف (المرأة) وهي مفرد بالجمع فقيل (المرأة المصريات) وصوابه المصرية • ولا نظن أن المؤلف قد أراد من لفظ (المرأة) جمعها أي (المرآت المصريات) لأن المرأة لا جمع لها من لفظها وانما جمعها نسوان ونسوة ونساء • وربما كان من أغلاط المؤلف قوله (الحكماء مصر) و (الخدمات الشعب) بإضافة المعرف بأل وصوابه حكماء مصر وخدمات الشعب • وهناك ألفاظ تتعلق بالاستعمال فقد استعمل المؤلف (مشغلات) جمع مشغلة

أو مشغل أي معمل وكأن هذا في لهجات بعض الأقطار والا فالمشهور في لهجة بلادنا معمل ومعامل لا مشغلة ومشاغل ·

هذا في تصحيح الألفاظ المفردة أما الأساليب والألفاظ من حيث التركيب فمثل قوله (وان اختلفَ آراءٌ) والظاهر أن يقول (وان اختلفنا آراءً) أو (وان اختلفت آراؤنا) وقوله (يشسون أكثر مدارس) وصوابه (يؤسسون مدارس كثيرة) أو (مدارس أكثر مما أسَّس غيرهم) وجمَع المؤلف (إوزّ) وهو الطائر المعروف على (إوزُّون) أي بصيغة جمع المذكر السالم وهذا الجمع منقول لكن علماء اللغة أنفسهم استنكروه : فمنهم من قال هو جمع شاذ أو جمع مأوّل وغير ذلك · وكان على المؤلف أن ينبه الى شذوذه وقلة استعماله اللّهم الا اذا كان المتكلمون باللغة العربية في البلاد البولونية يستعملون هذا الجمع ـ فنسلّم لهم ونبارك لهم في جمعهم ـ أما اللغة الدارجة عندنا فهي أن نقول (إوزّ) مريدين الجمع · واذا أردنا المفرد قلنا (إوزة) بالتاء ·

هذا وقد أعجلنا فلم نتمكن من تتبع بحوث الكتاب كله لنتبين أغلاطها · ويظهر انها كثيرة · ولذا أرى أن لا يطبع هذا الكتاب ولا ينشر على المتعلمين ما لم يساعد المؤلف في تنقيحه وتصحيحه عالم باللغة البولونية مصحوباً بأحد علماء العربية الراسخين في ضبط ألفاظها وأصول قواعدها ·

ولي ملاحظة شخصية أحب أن لا يفوتني إبداؤها لزميلي المؤلف : ذلك أنني كنت أتمنى له أن يقتصر في تطبيق القواعد على نصوص وبحوث لا علاقة لها بالبلشفية ليسير العلم في طريقه من دون عثار · ولا إثارة غبار ·

هذا ومجمعنا العلمي يشكر للمؤلف الفاضل ولسائر اخوانه المستشرقين البولونيين جهودهم في نشر لغتنا العربية في بلادهم وبين الناشئين من أبنائهم ويتمنى لهم النجاح ·

المغربي

الوحدة الاسلامية بين الأخذ والرد

(١٤٤ ص) مطبعة الهلال - بغداد ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ م

هذا كتاب يدل اسمه على مسماه دلالة مطابقة كما يقول المناطقة ، فالكلام فيه يدور حول الوحدة الاسلامية ، وقد جرى الأخذ والرد في موضوعها بين مؤلف هذا الكتاب الأستاذ محمود الملاح السني السلفي ، والامام محمد الخالصي المجتهد الشيعي ، وأصله ان المجتهد الخالصي قد هاله ما رأى من تنافر هذه الأمة وتناحرها في هذا اليوم الأيوم ، فقدم من الكاظمية الى بغداد ، وأخذ يلقي الخطب الحماسية ويصدر النشرات التي تدعو الى الوحدة الاسلامية والى نبذ التفرق جانباً ، وصار يصلي هو وأتباعه صلاة الجمعة في الاعظمية مرة ، ويقيم الجمعة في الكاظمية تارة ، جمعاً لكلمة أهل السنة والشيعة ، فسر الناس بما رأوا ، وحمدوا له هذا المسعى ، ثم بدا لأحد أفاضل السنة — وهو السيد جلال الحنفي أن الوفاق التام يحتاج الى إزالة العقبات من طريقه ، فنشر في جريدة (السجل) البغدادية مقالاً بعنوان : (أشواك في طريق الوحدة) ، وأخذ يعدد ما يحول دون هذه الوحدة راجياً أن يوفق الأستاذ الخالصي الى جعلها وحدة خالصة من كل شائبة ، فناقشة الخالصي في نفس (السجل) بفصول عنوانها (وردة لا شوك) ، فاتجهت أنظار الملاح الى المباحث الخالصية فوجه للخالصي سؤالاً في قصة مرفوعة عنوانها : (بل أشواك ولا وردة) ، وهنا بدا الخلاف والمشادة والخروج عن أصل الموضوع الى ما ليس منه ، ولولا خوف التطويل ومخالفة خطة مجلة مجمعنا العلمي لنقلنا للقراء شيئاً من تلك الردود .

وكنت أرجو أن أرى تصحيح الآيات وتخريج الأحاديث الواردة في هذا الكتاب ، وأقتصر الآن على ذكر الآيات مصححة فقط :

آخر ط : « بما رحبت » ، ل : « لقد كان لكم » ، ص ١٩ : « ومن يتعدّ » ، ص ٣٢ : « لا يغرنّك » ، ص ٧٢ : « فويل للمصلين » .

كتاب الزرية في القصيدة الأزرية

هذه الرسالة صغيرة الحجم ، غزيرة الفائدة ، وصف فيها مؤلفها الأستاذ الملاّح أحوال الامام المجتهد الخالصي وتعجب منها بقوله : « تقرأ له شيئاً في تجديد أصول الدين واعادة الاجتهاد الى نصابه ، فتقول : هذا سلفي : وتجده يهاجم عبادة القبور واللطم واللدم فتقول : هذا وهابي ، وتجده يدعو الى اقامة الجمعة مخالفاً لمذهب طائفته [1] فتقول : هذا سني ، وتجد رأيه مترجرجاً في السلف الصالح . . . وقد نقل عن الصدوق ما حاصله : « إن الغلاة والمفوّضة طائفة معروفة لعنهم الله زادوا في الأذان أشهد أن علياً ولي الله » .

وعندي ان الامام الخالصي بذلك كله ، هو أصرح قولاً وفعلاً ونقلاً من غيره ، ولكن العقدة التي لم يقدر أحد على حلها هو سب الصحب الكرام والزراية عليهم وهم أصحاب المآثر والمفاخر بالفتوحات وبنشر الاسلام . ثم إنّ (القصيدة الازرية) منسوبة للشيخ كاظم الازري ، وقد خمسها الشيخ جابر الكاظمي وفيها من تنقص أم المؤمنين والصحابة ، ومن الغلو في اطراء الامام عليّ ما يقفّ له الشعر فقد فضله على الأنبياء ، ورفعه الى مقام الربوبية بقوله :

جمع الله فيه جامعة الرسـ ـــل وآتاه فوق ما آتاها !
قد أعاد المدى وغير غريب أن يعيد الأشياء من أبداها
كل ما في القضاء من كائنات أنت مولى بقائها وفناها

ثم أورد الأستاذ الملاّح أبياتاً للناظم في نحو عشر صفحات وبيّن ما فيها من أغلاط شنيعة ، ولولا خطة مجلة المجمع العلمية لذكرنا بعضها .

---

(١) في ترجمة الشيخ المفيد محمد بن النعمان المتوفى سنة ٤١٣ هـ بقلم العلامة الشهرستاني أن الدولة البويهية خصصت له جامع (براثا) في منطقة الكرخ (من بغداد) لوعظه ، واقامة الصلاة جمعة وجماعة ا هـ من مقدمة شرحه لعقائد شيخه ابي جعفر القمي الملقب بالصدوق (ط تبريز سنة ١٣٧١) .

وأعقب الأستاذ الملاّح ردّه هذا بكتاب مفتوح وجهه الى الامام كاشف الغطاء جواباً على نصيحته للمسلمين بالاتحاد ونبذ الأحقاد يستفتيه في شأن هذه القصيدة (الازرية) المؤلهة للامام والطاعنة في الصحب الكرام . ولم نر له جواباً على هذا الاستفتاء . وأنا من جهتي أختم كلمتي هذه بقولي :

أيها الشيعة الكرام : تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، أنتم تحبونها منا ونحن تسرنا منكم ، وهي أن نأخذ بأدب الامام علي وهديه ، ونقف من محاربيه عند حدود أمره ونهيه ، وان لم تتجاوزوا قوله ولا فعله فأهل السنة معكم ، وأنتم منهم وهم منكم ، وها هي ذي أقواله وأعماله تعرض عليكم : لقد بايع الامام علي للأئمة الثلاثة من قبله ، وتنازل ولده الحسن عن الخلافة لمعاوية من بعده ، وأصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، طبقاً لما أخبر به الصادق الأمين (ﷺ) .

فنحن نرجو أن يعقد مؤتمر يكون من مقرراته إزالة تلك الكتب اللاغية الطاغية من الوجود ، لتزول تلك الإحن ، وتحول تلك المشاحنات الى ما يعود على الأمة بالنفع العام من توحيد الكلمة ، وتقوية الملة ، وانشاء دور العلم المشتركة ، واحياء ذكرى أئمة آل البيت والسلف الصالح بتجديد هديهم واصلاحهم .

وقد جاء في ص ٣٦ (الاّ تنصره) .

والآية الكريمة «إلا تنصروه» للجمع .

وفي ص ٥٢ (لست منهم) والتتمة «في شيء» .

محمد بهجة البيطار

ذكريات مشاهير رجال المغرب

بقلم السيد عبد الله كنون

من مطبوعات معهد مولاي الحسن بتطوان (المغرب)

نشرها واضعها في ست رسائل ترجم فيها لسبعة علماء من أهل المغرب العربي • خص الأولى منها بسيرة الإمام المتكلم عثمان بن عبد الله السلالجي من أهل فاس المتوفى سنة (٥٧٤) وهو صاحب المقدمة العقدية المعروفة (بالبرهانية) •

وترجم في الثانية لمحمد بن احمد بن غازي العثماني المكناسي المتوفى سنة (٩١٩) وهو أحد علماء المغرب وأساتذته ، وله رسائل عديدة في الفقه والحديث والعربية والتاريخ والحساب •

وضمن الثالثة ترجمة أبي العباس محمد بن احمد بن الونان المتوفى سنة (١١٨٧) وهو صاحب الأرجوزة المعروفة (بالشمقمقية) •

وجاء في الرابعة سيرة الشاعر المجيد محمد بن عبدون المكناسي المتوفى سنة (٦٥٨) أو التي بعدها • وسيرة احمد بن شعيب الجزنائي المتوفى سنة (٧٤٩) • وقد برع في الأدب واللسان والعلوم العقلية من الفلسفة والتعاليم والطب وغيرها •

وذكر في الخامسة سيرة القاضي المؤرخ والأديب البارع محمد بن احمد بن شبرين (بالباء الموحدة) المتوفى سنة (٧٤٧) • وقد أجمع مترجموه على انه كان : «أديبا نابغا ، نافس فحول النظم والنثر في عصره» • كما اشتهر ببراعة الخط • خلف ديوان شعر كبير وهو الآن في حكم المفقود ، ولم يعرف من نثره الا اليسير •

وتناول في السادسة سيرة الخطيب محمد بن عمر بن رُشَيْد الفهري المتوفى سنة (٧٢١) وكان من أهل المعرفة بعلم القراءات والعربية وعلم البيان والأدب والعروض والقافية • رحل الى المشرق وأدرك فيه جلة من مشايخ مصر والشام

والحجاز أخذ منهم وروى عنهم ، وله تآليف مهمة في علم الروايات والاسناد والعربية ، وأهم كتبه وصف رحلته الى المشرق في ستة أجزاء .

وحوت السادسة سيرة عيسى بن عبد العزيز الجزولي البربري المتوفى سنة (٦٠٧) ، رحل الى المشرق وأخذ العربية عن ابن بري بمصر ، وقد انتهت اليه الرئاسة في علم النحو وهو صاحب المقدمة المشهورة التي سماها : « القانون » وفيها قال ابن خلكان : « ولقد أتى فيها بالعجائب وهي في غاية الايجاز مع الاشتمال على شيء كثير من النحو ولم يسبق الى مثلها » . وللجزولي فضل في تجديد سند العربية بأقطار المغرب في القرن السادس ، وانشاء المدرسة النحوية التي تهتم بالتقنين والتعليل وهو أول من أدخل صحاح الجوهري الى المغرب .

وقد جمع مؤلف هذه الرسائل سير هؤلاء العلماء من مراجع عديدة وزاد عليها دراسات عصرية عن آثارهم العلمية ومكانتهم الاجتماعية ، وقد أجاد في التحليل وحسن التعريف . ومن وفاء المرء لقومه ووطنه احياء أمجاد السلف وبعث آثارهم ، ومَن هو أولى بنشر مآثر ماضي المغرب من أبنائه البررة ؟ فبارك الله في همة الأستاذ كشنون ووفقه للاكثار من هذه التراجم التي فيها جذوة مثيرة وقدوة حميدة لكل عربي .

السلاح في الاسلام

تأليف القائمقام عبد الرحمن زكي

رسالة في (٦٩) صفحة من قطع الوسط ، وهي من مطبوعات الجمعية الملكية للدراسات التاريخية في مصر ، طبعت سنة ١٩٥١

تقدم الجمعية الملكية للقراء نشرتها الأولى من مكتبة أدوات البحث التاريخي والوثائق والنصوص ، وفيها أهم المصطلحات العربية والمعربة المتعلقة بالسلاح في الاسلام ، أخرجها مؤلفها من بطون المصادر العربية القديمة والحديثة ، وراعى

فيها الايجاز في الشرح والتعريف ، محيلاً على المطولات من يريد الزيادة في التفصيل . وزين النشرة بصور أكثر العدد الحربية التي جاء ذكرها فيها أغنت عن التطويل في الوصف .

استوفت هذه النشرة غرضها بوفرة ما استعرض فيها مؤلفها – وهو الخبير المتمكن من موضوعه – من آلات الحرب ، ويسر الافادة منها بترتيبها الأبجدي فسهل على الباحث الاهتداء الى مطلبه والانتفاع بمادتها الغزيرة ، وفتح بهذا البحث الباب لجمع شتات هذه المصطلحات وإضافة ما غاب منها عن المؤلف .

وقد بدا لي بعض الملاحظات رأيت الاشارة اليها ومنها :

في ص (٩) : اومباشي صوابها أونباشي وهي تركية الأصل . ص (١٢) : بين‌باشي وهي تصحيف بيكباشي التركية . ص (١٢) : بازوباند = دستانا وهي تعرف في بلاد الشام بزند الحديد أو الساعدة . ص (١٧) : تفكجي وهي تصحيف تفنكجي التركية . ص (٣٢) يضاف القربوس الى أجزاء السرج . ص (٣٣) ومن انواع السهام الجبا والجبان . ص (٣٦) : الشذاة أو السميرية صوابه التفريق بينهما لأن كلاً منهما يشير الى نوع من السفن ، فقد جاء في حوادث سنة ٢٦٧ من تاريخ الطبري : « ومعهم الشذا والسميريات والمعابر للرجالة » . ويُدعى المقدم على السميريات الاشتيام . ومن نوع السفن أيضاً الصلغة وهي السفينة الكبيرة . ص (٣٨) : قول‌اغاس صوابها قول اغاسي التركية . ص (٤١) : يتألف المقلاع من كفة مربوطة بثلاثة حبال وصوابه بحبلين كالعيار والمخذفة . ص (٥٣) : الصبابية صوابها الصيبية . ص (٥٧) : محذفة صوابها مخذفة .

ومن أسماء الحجارة التي ترمى بالمنجنيق (الجندلة) . فقد جاء في الأغاني (٢ : ٢١٩ و ٢٢٠) في وصف ناقة تتقدم جماعة إبل :

تمر كجندلة المنجنيـــق يرمى بها السورَ يوم القتال

ومن أنواع القسي المعروفة في العهد العباسي القسي الناوكية ، فقد جاء تاريخ الطبري في حوادث السنة الآنفة الذكر : « ويرمونهم بالمجانيق والعرادات والمقاليع والحجارة عن الأيدي وبالسهام عن القسي الناوكية وقسي الرجل وصنوف الآلات» .

ومن أقسام القوس المدية وهي كبدها .

نشكر المؤلف الذي عالج بدقة هذا الموضوع الجديد جزاه الله عن الباحثين خيرا .

لباب المحصل في أصول الدين

لابن خلدون الحضرمي

حققه الأب لوسيانو روبيو ونشره معهد مولاي الحسن في تطوان ، ويقع الكتاب في (١٤٩) صفحة من قطع الوسط ، طبع سنة ٩٥٢ .

إن «لباب المحصل» هو باكورة تصانيف ابن خلدون ، أتمه وهو لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره ، كما تشير الى ذلك مخطوطة خزانة كتب الاسكوريال الفريدة التي اعتمدها الأب في تحقيقه ، وهي بخط المؤلف ، كتبها في نهاية شهر صفر سنة (٧٥٢) ، وكان مولد ابن خلدون في غرة رمضان عام ٧٣٢ .

ولا يصح أن نسمي «اللباب» تأليفاً مبتكراً وانما هو موجز «المحصل» الرازي و «لتلخيص المحصل» لنصير الدين الطوسي ، وهو يتضمن نفس مقاليها ولكن بعبارات أقصر وأوجز مع بعض التصرف بالألفاظ والجمل .

وقد قرأ ابن خلدون «المحصل» على محمد بن ابراهيم الأبلي شيخ المعقول بالمغرب فرأى فيه كما قال : «اسهاباً لا تميل همم العصر اليه ، واطناباً لا تعول قرائحهم عليه ، فرأيت أن أحذف من ألفاظه ما يستغنى عنه ، وأترك منها ما لابد منه ، وأضيف كل جواب الى سؤاله ، وأنسج في جميعها على منواله ، فاختصرته وهذبته وحذو ترتيبه رتبته ، وأضفت اليه ما أمكن من كلام الامام

الكبير نصير الدين الطوسي وقليلاً من بنيات فكري » . ولكنه أفرط في تلخيصه فجاء صعب الفهم حتى على من ألفوا التعابير الفلسفية واللاهوتية . فضاعت بذلك الغاية من التلخيص ولم يغن عن الأصل ولا بد لفهم « الالباب » من الرجوع الى « المحصل » . وهو بذلك دون مرتبة « تلخيص المحصل » للطوسي .

ويدخل موضوع هذا الكتاب ضمن مذاهب علم الكلام المتأخرة عن عصر الامام الغزالي حينما أخذت النظريات الاريسطاطاليسية – الافلاطونية تحل محل نظريات حكماء اليونان والمعتزلة أصحاب الجوهر الفرد والخلاء .

ويدلنا هـذا الكتاب على نبوغ ابن خلدون الباكر ، فانه على حداثة سنه تصدى لعلم هابته الكهول والشيوخ .

عثرت أثناء قراءتي الكتاب على بعض كلمات ظهر لي من وجه صوابها خلاف ما أثبته المحقق ، منها : ص (ع) : تكاتب بالأدبية صوابه مكاتبات أدبية .
ص (١) : يعزب صوابه يغرب . ص (٦) : متنكساً صوابه متكسراً .
ص (٦) : والشرسام صوابه والسرسام . ص (١٤) : الصيان صوابه الصبيان .
ص (٢٣) : يحجبها صوابه يحجبها .

نشكر للأستاذ جهده ولمعهد مولاي الحسن عنايته باحياء تراث السلف .

Corpus inscriptionum Semiticarum. Pars quinta, T. I. Tabulœ, fasc. primus.

مجموعة الكتابات السامية

(الكراس الأول من الجزء الأول من القسم الخامس — الألواح)

إن هذا الجزء هو ملحق للمجموعة الذي تقدم تعريفها في المجلد (٢٧ : ٦١١) من هذه المجلة ، ويحتوي هذا الجزء على (١٠٣) ألواح صور فيها نحو (٤٠٠٠) نص صفوي كان عثر عليها آثاريون غربيون في حرة الصفا وبقية الأنحاء الشامية . ونشروها في حينه في كتب متعددة ومجلات متفرقة وبلغات مختلفة ضعفت معها الفائدة المتوخاة من اكتشافها والافادة من نصوصها ولذلك رأى المجمع العلمي الافرنسي للكتابات والآداب أن يجمع شتات هذه الوثائق في مجموعة مستقلة وعهد الى الأستاذ ج . ريكمنس (G. Ryckmans) بهذه المهمة فقام بها على أكمل وجه وأخرج لنا هذه المجموعة النفيسة التي نالت اعجاب الأوساط العلمية العالمية وعظيم تقديرها .

Tablettes Albertini - Actes privés de l'époque Vandale (fin du V[e] siècle), édités et commentés par Ch. Courtois, L. Leschi, Ch. Perrat et Ch. Saumagne. Paris 1952-

ألواح البرتيني — صكوك خاصة من العهد الوندالي أو الفندالي (نهاية القرن الخامس م .) نشرها وعلق عليها الأساتذة : (ش . كورتوا) و (ش . ليشي) و (ش . برّا) و (ش . صومان) في مجلدين يتضمن الأول النص وفي الثاني صور الألواح . طبعا في باريز سنة ١٩٥٢ .

عثر بعض القرويين في عام ١٩٢٨ على ستة وخمسين لوح خشبي مكتوبة بأحرف لاطينية في الحدود الجزائرية التونسية . وقد قدم (ا . البرتيني) مدير

الآثار في الجزائر بحثاً عن هذه الوثائق الى المجمع العلمي للخطوط والآداب ، شرح فيه مضمون هذه الألواح وبين بأنها نسخ عقود بيع عبيد وأطيان ومحصولات زراعية عقدت في زمن الونداليين في القرن الخامس م . وقد عاجلت المنية (ا . البرتيني) في عام ١٩٤١ قبل أن ينجز بحثه ، ولذلك أخذ ناشروا هذا الكتاب على عاتقهم مهمة اتمام ما بدأ به المتوفى وتوازعوا العمل واختص كل منهم بناحية .

تعطي هذه الوثائق صورة صادقة عن انحطاط لغة القانون في ذاك العهد وكيف طغت اللهجة الرومانية العامية على فصيح اللاطينية في المعاملات الرسمية ، ونجد الى جانب هذا الضعف اللغوي قوة ووضوحاً في تنظيم هذه العقود لإثبات صحتها وعدم الطعن في موضوعها ، فقد أثبت الكاتب فيها :

اسم البائع وشهرته ، وقبوله البيع برضائه ، وقبضه الثمن ومقداره .

اسم الشاري وشهرته ، وقبوله الشراء برضائه ، ودفعه الثمن ومقداره .

نوع البضاعة وتحديد أوصافها ، وانتقال حق التصرف بها للشاري .

ضمانة البائع وتعهده بالتعويض على الشاري فيما اذا أخل البائع بشروط هذا العقد .

ابراء الزمة وشهادة الشهود وتصديق الكاتب على صحة الاقرار والتوقيع .

وتعطي نصوص هذه الوثائق فكرةً عن الأنظمة العقارية المعمول بها في ذاك العصر ، كما تفيد أسماء الأمكنة فيها دراسة خطط هذا الجزء من افريقية الشمالية ، وتبين لنا أيضاً أنواع المحصولات الزراعية وأثمانها . وقد عالج ناشرو هذا الكتاب جميع هذه النواحي بتفصيل يستحق الاعجاب والتقدير .

جعفر الحسني

كتاب في السياسة

تعليق وتحقيق الدكتور سامي الدهان

مطبوعات المعهد الفرنسي بدمشق (سنة ١٩٤٨)

وجدنا أثناء قراءتنا هذا الكتاب الملاحظات الآتية :

ص ١٠ : لجئوا صواب املائها لجأوا .

ص ١١ : بيت المتنبي (أمن ازديارك) بفتح الكاف والتاء من (كنتَ) ؟

ص ١٢ : قرغويه بالمعجمة ربما وقعت في بعض الكتب بالمهملة .

ص ١٥ : (الرابعة عشر) صوابها الرابعة عشرة ، وانظر ص ٤٤ .

ص ١٦ : (احدى القوى في جعفر) هذا تحريف غريب ! وأصله (احدى القوافي جعفرا) بألف ومن العجب اتفاق نسختين من وفيات الأعيان ونسخة الدكتور في هذا مع اختلافهما في الطبع ؟

ص ١٦ : (فلم يرضه) الصواب (فلما لم يرضه) .

ص ٤٤ : (يبلغ السابعة عشر) الصواب السابعة عشرة ، وانظر ص ١٥

ص ٤٥ : (والزامه) لا تستغني عن همزة على الألف كما في الأصل (الوفيات) .

ص ٤٧ : شعراءه الصواب شعرائه .

ص ٥٦ : (وتسود الاستقامة) استعمال (تسود) بالمعنى المعروف في عصرنا لم يكن من أسلوب عصر المؤلف ولعل الأصل (تتوالى) ولتنظر الحاشية (٤) .

ص ٥٧ : الجور الصواب الخور .

ص ٥٨ : لا حاجة الى اضافة [عليه] لأن المصدر المؤول معطوف على (تجويد) .

ص ٥٨ : الحاشية (٥) لا تلائمها (على) .

ص ٦٨ : (وتقويم زيغهم) لعله بالغين وهو الأظهر .

ص ٦٨ : ح (الأسدّ ذو السداد جمعه سُدّ) ! هذا لو كان الأسدّ صفة مشبهة ! ? ولعل الأصل (أسدّاء) كأشدّاء ·

ص ٩٩ : (يارجنكين) يغلب على ظني أنها بالخاء المعجمة ·

ص ٩٩ : (رُمْح والداروم) الصواب رفح بالفاء ! ولينظر معجم البلدان ·

ص ١٠٨ : (وعمل على شط ماسد ماء وعمل بها پنكاماً للساعات) أرى ان الأصل (على شطها سد ماء) وپنكاما أصلها پنكانا بياء فارسية وهوأصل فنجان ·

ص ١١٢ : الروزبادى الصواب الروذباري بالراء والذال المعجمة ·

ص ١٠٣ : (وأخذ في استمالة حسان) الصواب (وأخذ الحاكم ...) ·

ص ١١٣ : يحوي الصواب يحوى بالقصر ·

ص ١١٤ : (ولا مفارقة الدراعة) تفسيره أن الدراعة أو (الچاروكه) المستعملة حتى اليوم في قرى الموصل من شأن الكتّاب فاذا صاروا وزراء خلعوها · وانظر (جاروكه) في مختصر ابن الساعي طبع الكرملي !! ولي تعليقات هامة عليه لا يستغنى عنها ·

ص ١١٦ : (وكان الحاكم أقتله) الصواب أراد قتله !

ص ١١٨ : يقدح (رأيي) يقرّح ·

هذا ولم أنظر في الحواشي الا نادراً على سبيل المصادفة ·

(بغداد) محمود الملاح

محاضرات

في الدين والتاريخ والاجتماع

٢٣٠ صفحة بدمشق (١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م)

محاضرات للأستاذ الشيخ عبد الغني الدقر ، ألقى بعضها في ردهة المجمع العلمي العربي وبعضها في دار الاذاعة السورية ، وبعضها في المساجد والأندية ، ونشر بعضها في المجلات والصحف ، وكل هذه المحاضرات تجمعها فكرة واحدة هي الفكرة الدينية الموجهة ، ولم يقصد مؤلفها الاستقصاء في البحث العلمي ، فأغناه ذلك عن تأييد أقواله وآرائه بالأدلة والنقول العلمية ، وانما كان قصده الدعاية والهداية ، ولذلك يقول في مقدمة محاضراته هذه : « وأعترف بأن هذه المحاضرات لم تكتب حين كتبت وألقيت لتجمع وتبرز للناس كتاباً ، وانما كتب أكثرها استجابة لطلب مستعجل ، وسيرى القارئون فيها أثر السرعة في الانجاز ، أقول هذا اعتذاراً عما يمكن أن يلاحظ في بعضها من ركاكة أو غموض أو خطأ ... »

ومن مواضيع هذه المحاضرات : الشباب في عهد الرسول ، في ذكرى المولد ، منقذ المرأة ، مواثيق الاسلام ، الصراط المستقيم ، الثبات على المبدأ ، القرآن والعلم ، أبو بكر الصديق ، عمر بن الخطاب مع عماله ، صور من العدل في الاسلام ، محمد المجاهد الأول ، شهادة صابئي بثلاثة أعوام ، حكمة الصيام في مواساة المعوزين ، ووداع رمضان ...

فنلفت أنظار القراء الى الاستفادة من هذا الكتاب ونشكر للمؤلف سعيه وهديته .

التنوخي

كتاب قوانين الدواوين

للأسعد بن مماتي الوزير الأيوبي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ — ١٢٠٩ م
نشرته الجمعية الزراعية الملكية – وحققه الأستاذ عزيز سوريال عطية
(مطبعة مصر ١٩٤٣)

يعد هذا الكتاب بحق ، من أروع الوثائق التاريخية عن العصر الأيوبي وعن الشؤون الزراعية والنظم المالية والادارية في مصر خلال القرن السادس الهجري ، وهو مدين بمكانته السامية لعوامل ثلاثة :

أولها — شخصية مؤلفه الذي ولي وزارة المال مدة طويلة في عهد سلاطين بني أيوب .

وثانيها — المواضيع المختلفة التي طرقها بدقة واتقان والمتصلة بمالية الدولة وزراعتها وادارتها .

وثالثها — انه صنف كتابه بطلب من الملك العزيز ، مما خلع عليه ، في آن واحد ، صيغة الكتاب العلمي ، والتقرير الرسمي .

المؤلف :

هو القاضي الأسعد ابو المكارم اسعد بن الخطير ابي سعيد المهذب ابن أبي مليح مماتي المصري الكاتب الشاعر ، وقد تكلم عنه ياقوت الرومي في « ارشاد الأديب » وابن خلكان في « وفيات الأعيان » والعيني في « عقد الجمان » والمقريزي في « المواعظ والاعتبار » ، والسيوطي في « حسن المحاضرة » ، والزبيدي في « تاج العروس » .

ينمى المؤلف الى أسرة عريقة في خدمة الدولة ، فكان جده أبو المليح يعمل في خدمة الوزير بدر الجمالي والخليفة المستنصر حتى بلغ وظيفة « مستوفي الديوان » ، وهي من الوظائف الرئيسية في الدولة الفاطمية . وتولى أبوه المهذب « رئاسة ديوان الجيش » والدولة الفاطمية تحتضر في وزارة أسد الدين شيركوه السني المذهب ، وأسلم وأولاده على يد صلاح الدين .

أما المؤلف واسمه الأسعد ويعرف بابن مَمّاتي (بفتح الميمين والثانية منها مشددة) فقد قضى الجزء الأول من حياته في عصر الانتقال بين العهدين الفاطمي والأيوبي ، وخلف أباه في بدء الأمر على «ديوان الجيش» ثم أضيف اليه في عهد صلاح الدين وابنه الملك العزيز عثمان ديوان المال ، وهو من أجل دواوين مصر واختص بصحبة القاضي الفاضل وحظي عنده ، وكان يسميه بلبل المجلس ، ولم تشغله الوزارة عن الأدب فوضع تصانيف كثيرة منها : سر الشعر ، وعلم النثر ، وكتاب تلقين التفنن في الفقه ، ونظم كتاب كليلة ودمنة ، وسيرة صلاح الدين شعراً ، ووضع كتاب «حجة الحق على الخلق في التحذير من عاقبة الظلم . وكان صلاح الدين يكثر النظر فيه .

ولما وزر الصفي بن شكر للملك العادل ابي بكر بن أيوب نكب ابن مماتي لذحل قديم كان بينهما ووجه عليه أموالاً كثيرة وطالبه بها فلم يكن له وجه لأنه كان عفيفاً ذا مروءة ، فهرب من مصر مستخفياً وقصد مدينة حلب ، لائذاً بالسلطان الملك الظاهر فأجرى عليه راتباً شهرياً حتى مات سنة ٦٠٦ ودفن ظاهر حلب بجوار قبر الحكيم ابي بكر الهروي .

الكتاب :

أما كتاب قوانين الدواوين الذي نحن بصدده فلم يتحدث عنه غير المقريزي ممن ذكرناهم من المؤرخين الذين اقتصروا على الناحية الأدبية من آثار ابن مماتي . قال المقريزي : «وكتاب قوانين الدواوين» صنفه للملك العزيز فيما يتعلق بدواوين مصر ورسومها وأصولها وأحوالها وما يجري فيها ، وهو أربعة أجزاء ضخمة ، والذي يقع في أيدي الناس جزء واحد اختصره غير المصنف . ويفهم من رواية المقريزي ان الكتاب ألف للملك العزيز ، وان الكتاب المتداول بين أيدينا انما هو نسخة مختصرة من الكتاب الأصلي الذي كان يقع في أربعة

مجلدات ضخمة ، وهو يوضح لنا السبب في الاختلافات الكثيرة بين مختلف المخطوطات التي رجع اليها ناشرو هذا الكتاب كما يوضح لنا السبب في دقة حجم النسخة التي كانت نشرتها مطبعة الوطن من هذا الكتاب عام ١٢٩٩ هـ . والتي تعتبر بدورها تلخيصاً لمخطوطة دار الكتب المصرية التي نحن بصدد الحديث عنها والتي نشرتها الجمعيه الزراعية الملكية .

ومما يدل على صحة نظرية المقريزي سقوط بعض الأبواب من مختلف النسخ ولا سيما الأبواب الأخيرة ، ومما يؤسف له ضياع الأصل المطول ذي المجلدات الأربعة والتي لم يعثر عليها الباحثون حتى الآن في مختلف المكاتب العالمية .

مضمون الكتاب :

يتضمن الكتاب أبحاثاً مستفيضة في جغرافية القطر المصري ، وفي الاقتصاد الزراعي والفن الزراعي وفن المساحة ، كما يتضمن بحثاً مستفيضاً عن مصادر الواردات وجهات الانفاق في الدولة الأيوبية وعن الجهاز المالي والاداري مما يعطينا فكرة واضحة عن « التشكيلات الماليه » الأيوبية .

بعد أن أسهب المؤلف في الباب الأول في الكلام على فضل الكتابة والكتّاب ، وفيما يجب على الكتّاب ولم ، بحث في جغرافية مصر ، وخصص لها من الأبواب الثاني والثالث والخامس فتكلم في الباب الثاني على مصر وفتحها وعجائبها وخواصها وعلى النيل ومبدأه ومنتهاه وطوله وأوقات زيادته ونقصه وقياسه ، وتكلم في الباب الثالث على جملة أعمال مصر وتفصيل نواحيها وتحقيق أسماء ضياعها وكفورها وجزئراها ومناها ، وكل ما يقع عليه اسم الديوان منها وترتيب ذلك على حروف المعجم « لا على عادة الدواوين في ايراد كل عمل مفنى بكل حرف » . وتكلم في الباب الخامس على خلجانها وترعاتها وجسورها وأوقات سدها وأوان فتحها والفرق بين الجسور السلطانية والبلدية وتقدير ما ينفق عليها .

وخصص البابين الرابع والسادس للبحث في الفن الزراعي والاقتصاد الزراعي فتكلم في الباب الرابع على تصنيف الأراضي وتفاوت قيمتها وتباين قضايا أحوالها وتعيين جيدها من رديها ، وفي السادس على أصناف مزروعاتها ، وأوان زراعتها ، ومقدار ما يحتاج اليه كل فدان منها وموسم ادراكها وتقدير ما يتحصل منه غالباً ، وما استقر من قطائع وخراجات ، وأوان نصب أشجارها وترتيب خراجها وأوقات ادراك كل صنف منها ، وما يحتاج اليه من عمال وسواقين وخولة ، وأبقار وعلوفات وسواقي مياه وترتيب جميع ذلك ، وربط بين ما ذكر وبين ما جاء في الباب العاشر عن السنة الشمسية والسنة القمرية ، وأضاف إليه معلومات ثمينة عن الاقتصاد التجاري في ذاك الحين ، وعدد أنواع البضائع المعروفة في ذلك العصر من المكيلات والموزونات والتي تدلنا على الصلات الاقتصادية التي كانت تربط مصر بالعالم الخارجي . وبعد أن تكلم في الباب السابع على فن المساحة وأوجز قواعدها وأحكامها « وأقام الدليل على فساد المصطلح عليه منها في أيامه » وذكر المساحة العادلة ، خصص الباب الثامن للبحث في أنواع الوظائف المالية ، واختصاص كل موظف فيها مع صلاحياته ، ثم فصل في الباب التاسع موارد الخزينة وجهات الانفاق ، ودعاها بالمعاملات السلطانية والجهات الديوانية وسرد فيها المؤسسات الرسمية واحدة واحدة مع ذكر وظائفها ومواردها وجهات انفاقها كالزكاة وأحكامها والمستحق منها ، والجزية ويسميها الجوالي ، وأحكام المواريث والثغور وما يستوفى فيها من رسوم جمركية ، واختلاف بعضها عن بعض في الرسوم المستوفاة ، واحتكار الدولة لتجارة الشب ، ودار الطراز ودار الضرب وأحكامها وما تستوفيه من رسوم ، ودار العيار لضبط الموازين والمكاييل ، والتزام النطرون ، والأوقاف الجيوشية التي اعتبرها الفقهاء باطلة فصار مالها يحمل لبيت المال . والأسطول مع ذكر أسماء مراكبه كالطريدة والحمالة والشيني والحراقة وغيرها من ذكر صناعة السفن ويسميها صناعة الانشاء ، والسور المبارك ، والقلعة المحروسة ، والاحكار ،

والفروس ، وجسور ورسومها ، والخراج ورسومها والأحكام المتعلقة بحراستها وتوفيرها لصناعة الأساطيل ، الى غير ذلك من موارد الدخل وجهات الانفاق .

وهناك أبواب خمسة ساقطة من النسخ جميعاً ، وقد أشار المؤلف اليها في مقدمة كتابه وهي : « تبحث في أنواع الحسبانات ، والدواوين ، وأقسام الكلام المنثور ، وقواعد الوراقة وأنواعها ومختصر أصول الحساب ومصطلح الرياضيين » .

واذا عرفنا ان المؤلف كان رئيساً لديواني الجيش وبيت المال قدرنا ان نظرته الى هذه الأمور هي نظرة المالي الذي يبحث في الأمور وهو يلاحظ دائماً صلتها بالجباية وعمارة البلاد . ففي كلامه عن جغرافية مصر ، انما كان يقصد تقسيماتها الادارية ، لعلاقتها ببيت المال ، ولأن قراها ونواحيها تدفع الضرائب ومن واجب الموظف المالي معرفتها ، وهنا نلاحظ ان النساخ تدخلوا في تعداد اسماء القرى فأضافوا اليها القرى المستجدة بعد عصر ابن مماتي ، مثل قرى الظاهرية وسواها ، ويتجلى ذلك بصورة خاصة حين كلامه على فن الزراعة والاقتصاد الزراعي ، فقد لخص الفن الزراعي الموجود في ذلك العهد ، مستهدفاً ارشاد الناس الى وسائل زيادة الانتاج لزيادة حصائل الضرائب .

ان هذه النظرة العامة لتقصر عن اداء فكرة صحيحة وكاملة عما يتضمن هذا الكتاب من كنوز وفوائد علمية ، وحسبنا أن نشير الى العناوين ، وان نوصي بإمعان النظر في الكتاب الذي قصد منه مؤلفه خدمة الدولة ، مستهدفاً كما قال : « ان يكون خدمها في حال الحياة بمباشرة التثقيف ، وبعد الوفاة بما نبه عليه من وجوه مصالحها بالتأليف والتصنيف ، وما محي شخص أثبت ما يعلمه ، وما أخل بالخدمة من ناب عنه فيها قلمه » .

الدكتور أحمد السمان

صاحب الأغاني

أبو الفرج الاصبهاني الراوية

للدكتور محمد احمد خلف الله

٢٢٨ ص ، قطع متوسط . القاهرة ١٩٥٢

بعد « الفن القصصي في القرآن »[1] يصدر الدكتور محمد احمد خلف الله دراسته الجديدة عن ابي الفرج الاصبهاني مؤلف كتاب الأغاني . ولا حاجة لبيان شأن الأغاني ، فهو « ديوان العرب » على قول ابن خلدون . حفظ لنا شطراً وافراً من أدبنا وتاريخنا . ولولاه لفاتنا الكثير من « أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم » ، وطرائق عيشهم ، وتفكيرهم ، وأحوالهم . فلا غرو ان ظفر أخيراً بعناية الباحثين والمؤلفين . فقد درس الأستاذ العميد شفيق جبري هذا الكتاب[2] من حيث انعكاس الحياة الاجتماعية الاسلامية فيه ، وها هوذا الأستاذ خلف الله يدرس شخصية مؤلف الكتاب نفسه ويصوّر نشأتها ونموّها ونتاجها .

قسم الدكتور خلف الله دراسته الى أبواب : فذكر في الباب الأول العوامل المؤثرة في حياة ابي الفرج (الزمان ، المكان ، الأسرة ، المدرسة ، الخلفاء ، رجال السياسة) . وتحدث في الباب الثاني عن حياة ابي الفرج نفسها (في اصبهان وسر من رأى — في الكوفة — في بغداد ، حياته المادية ، الاعتقادية ، الخلقية ، العقلية ، الفنية) ، وتكلم في الباب الثالث على الرواية عند ابي الفرج (هل كان راوياً — مرحلة التحمّل — مرحلة الضبط — مرحلة الاداء) .

---

(١) الفن القصصي في القرآن الكريم ، القاهرة ، ١٩٥١ - ١٩٥٢ وهو كتاب جيد جدير بالقراءة .

(٢) دراسة الأغاني ، دمشق ١٩٥١ .

جمعت هذه الدراسة محاسن كثيرة ؛ فقد نهج فيها صاحبها نهجاً علمياً ، وصحح أموراً شاعت وعرفت في القرون الحاضرة والماضية ؛ وفتح آفاقاً جديدة مهمة ، لم يبلغها أحد ممن بحث في أبي الفرج . ان الجهد يظهر في هذا الكتاب ، ولكن بعض الآراء التي ارتآها المؤلف ، أو النتائج التي بلغها ، قد تحتاج الى نقاش لا يتسع له هذا التعريف . فللدكتور المؤلف الشكر والتهنئة .

Una Cronica Anonima de
ʿAbd al-Rahman III al-Nâsir
Edit : Lévi-Provençal et E. G. Gomez
Madrid-Granada 1950

تاريخ مُغفَل لعبد الرحمن الناصر

حقق النص العربي ، ونقله الى الاسبانية

ليفي بروفنسال ، وغومث
١٧٦ ص ، قطع صغير ، مدريد — غرناطة ١٩٥٠

هذه قطعة صغيرة من تاريخ مُغفل لم يعرف صاحبه . فيها حوادث وقعت لعبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر في مدّة أولها سنة ثلاثمائة — وهي السنة التي تولّى فيها الامارة — وآخرها سنة سبع عشرة وثلاثمائة . والقطعة تتكلم بايجاز على الأعمال التي قام بها الناصر لاخضاع الثائرين وفتح المدن في أوائل عهده .

والذي يلفت النظر ان في هذه القطعة من التاريخ سبع قطع من شعر ابن عبد ربه يبلغ عدد أبياتها الخمسين . وفيها بيتان آخران لمقدّم بن مُعافى .

نشر المستشرقان النص العربي وحققاه (من ص ٢٧ — ٨٥) ونقلاه الى اللغة الاسبانية (من ص ٨٩ — ١٥٨) وأردفاه بفهارس مختلفة (من ١٥٩ — ١٧٦)

وكنا نودُّ أن يخرج النص ـ لجلالة قدر هذين المستشرقين ـ منزهاً عن الأخطاء . فالأغلاط المطبعية وافرة ؛ وضبط الألفاظ غير صحيح ، وبعض الأبيات لا يستقيم وزنه .

وها كم انموذجات :

١ — ص ٣٥ س ٢ : « ورحمة الله في الآفاق قد نُشّرت » ضبطها المحققان بتشديد الشين . والصواب بالتخفيف « نشرت » . والبيت من البسيط .

٢ — ص ٣٨ س ١٣ : « سيف عزوة مائتا حصن ظفرتَ بها » الصواب « في غزوة ... » .

٣ — ص ٣٩ س ١١ : « وذات الخيل لجاماً وإمراجا » الصواب « الجاماً » ليستقيم الوزن . البيت من البسيط . وقد ورد في العقد الفريد صحيحاً ٤٩٩/٤ (تحقيق احمد امين ، ١٩٤٦) .

٤ — ص ٤٠ س ٧ : « ولم تكن نطفة في الصلب أمشاجا » الصواب «انطفة» .

٥ — ص ٤٠ س ١٣ : « وبادرت نحوك الأنصار واكتحلت .. » الصواب « الأبصار » .

٦ — ص ٤٩ س ٥ : « تئيه به الدنيا ويزهي به القصر » الصواب « يُزهى » يقال زُهيَ يزُهى (انظر القاموس) .

٧ — ص ٥٩ س ١ : « قأجابهم » الصواب « فأجابهم » بالفاء .

٨ — ص ٧٥ س ١١ : « وجبَ عارب الفتنة » الصواب « غارب » .

٩ — ص ٧٧ س ١٠ : « في ريعان غوايته وعنفوان شره » الصواب « شِرّته » .

١٠ — ص ٧٨ س ٣ : « عمرت المساجد المنفرة » الصواب « المقفرة » .

١١ — ص ٧٨ س ٥ : « وافقار المساجد بها » الصواب « اقفار » .

١٢ــ ص ٧٩ س ٢ : « فإنْ أحقُ من استوفى حقُه ، وأجدرُ من استكمل حظَّه ، ولبس من كرامه الله .. ما ألبسه ، فنحن . » الضبط كله مغلوط . والصواب : « حقَّه » بالفتح ، « وأجدرَ » بالفتح ، « حظَّه » بالفتح .

١٣ ــ ص ٧٩ س ٧ و ٨ : « فالحمدُ لله ، وليُّ الانعام بما أنعم به ، وأهلُ الفضل بما تفضَّل علينا به » الصواب « وليِّ » بالجرّ ، « أهلِ » بالجر .

ونذكر أن بعض الأشعار الواردة في هذا الكتاب قد ذكرها ابن عبد ربه في العقد . وكان من المستحسن معارضة ما ورد في الكتاب بما ورد في العقد .

وبين الفهارس مسرد لأسماء الأعلام العرب ، وآخر للقوافي .

فالشكر للأستاذين الجليلين لعنايتهما بتراثنا .

الوافي بالوفيات

للصلاح الصفدي

الجزء الثالث بتحقيق الأستاذ الدكتور س . ديدرنغ

٤١٤ ص . المطبعة الهاشمية بدمشق ، ١٩٥٣

الوافي بالوفيات هو أوسع كتاب في التراجم حفظه تراثنا الاسلامي . ألّفه الصلاح الصفدي العالم الأديب الجمّاع المحيط . وكان المستشرق الكبير الأستاذ الدكتور هـ . ريتر قد صرف اليه عنايته فأخرج الجزء الأول منه بتحقيقه في سنة ١٩٣١ ثم دفع المستشرق السويدي الأستاذ ديدرنغ الى العمل فيه . فأخرج الجزء الثاني في سنة ١٩٤٩ ، وها هو ذا يخرج الجزء الثالث منه اليوم .

يشتمل هذا الجزء على ست مئة ترجمة (٨٥٣ ــ ١٤٥٣) تبدأ بمن اسمه محمد بن الحسين وتنتهي بمن اسمه محمد بن عبد الله .

نشر الأستاذ ديدرنغ هذا الجزء عن النسخة المخطوطة المحفوظة في خزانة السراي باستانبول وهي نسخة قوبلت على خط المؤلف مرتين في القرن التاسع الهجري .

ان هذه الطبعة جيدة • فقد عُني المحقق باظهار النص أقرب ما يكون من الأصل • وقد حافظ على أشياء كثيرة وجدها في الأصل وقال : « لم استجز تصحيحها الا في مواضع يسيرة إذ يغلب على الظن أنها كانت على هذه الصيغة في أصل المؤلف » •• وهـذه الأشياء تتعلق ، أغلب الأحايين ، بالرسم • وكنا نتفضل لو قدّم الأستاذ انموذجات منها في المقدمة للافادة منها في تاريخ تطور الرسم ، واثباتها في النص بالوجه المتعارف عليه اليوم ، مع الاشارة الى ما كانت عليه • وقد ذيّل الأستاذ التراجم بتعليقات ذكر فيها محالّ وجودها في كتب التراجم والتاريخ والأدب ، أو أحال على كتاب الأستاذ بروكلمن • وقد عارض الشعر بروايات وردت في كتب أخرى • وعلى الجملة فقد بذل المحقق جهده ليكون الكتاب صحيحاً • ولا شك أن هذه النشرة العلمية من أحسن ما نشر المستشرقون • فللأستاذين هـ • ريتر ، و س • ديدرنغ الشكر •

W. Hœnerbach, Waṯima's *Kitab ar-Ridda* ans Ibn Hağar's *Isâba*
Mainz, 1951

قِطع من كتاب الردّة

ألّف ابو يزيد وثيمة بن موسى بن الفرات الفارسي المتوفى سنة ٢٣٧ هـ كتاباً اسمه كتاب الردّة • وقد ضاع هذا الكتاب فيما فقد من الكتب وبقيت منه قِطع صغار ذكرها ابن حجر في كتابه الاصابة • فجاء المستشرق الأستاذ الدكتور ولهلم هونرباخ من جامعة بون ، فاستلّ هذه القطع من الاصابة وذكر أنه « فصّلها وضبطها وشرحها » •

وهذه القطع تتضمن تراجم الأشخاص الذين ارتدوا أو دافعوا عن دينهم أيام الردّة . وقد رتبها المحقق على القبائل بالترتيب التالي : أسد ، غطفان ، فزارة ، طي ، هوازن ، عامر بن صعصعة ، قشير ، سليم ، تميم ، حنيفة ، ربيعة ، عبد قيس ، الأزد ، عنس ، همدان ، حمير ، زبيد ، أهل نجران ، كندة . وجعل في آخر ذلك فصلاً سماه «أواخر كتاب الردّة» ذكر فيه ما وجد في ابن حجر من أصحاب الكنى وغير المنسوبين .

ويتألف هذا القسم من ٣٩ ص ، يعقبها ١٠٨ صفحات بالألمانية فيها ترجمة القطع ومقايسة بينها وبين النصوص التي وردت في الطبري عن الردّة .

أراد الدكتور هونرباخ أن ينشر هذه النصوص محققة محرّرة صحيحة ، فقابلها على النسختين المطبوعتين من الاصابة ، أعني نسخة كلكتا التي نشرها Sprenger سنة ١٨٥٦ — ١٨٧٣ ، ونسخة القاهرة التي طبعت سنة ١٣٢٣هـ — ١٣٢٥ . وأبان في الحواشي الاختلاف بين النسختين .

والذي يُلاحظ في إثبات هذه الاختلافات أن المحقق يُبقي الخطأ في الأصل ، ويثبت الصحيح في الحاشية ؛ وتلك احدى طرائق المستشرقين في نشر الكتب العربية . وكان الأحسن اثبات الصحيح في النص والاشارة الى الخطأ .

نذكر على سبيل المثال ماجاء في ص ٧ س ١٤ :

«ومثاهمُ قرّةُ القُرّهات ...» من بيت ؛ فأثبت المحقق «القرهات» وذكر في الحاشية ان في نسخة القاهرة «الترهات» .

وما جاء في ص ١١ س ٣ :

«فلما ارتد مالك أتاه (يعني فاتك بن زيد العبمي) في هاديه فقال له ...» أثبت «هاديه» وذكر ان في نسخة القاهرة «ناديه» .

وقد ورد بعض الأخطاء في الضبط ، مثال ذلك :

ص ٢٨ ، عند ذكر مرثية عامر بن الطفيل في النبي :

مَنْ هَدَيْنا به الى سُبل الحق وكنا لا نعرف المنهاجا

ضبط هدينا بفتح الهاء والدال ، والصواب «هُدينا» .

وما جاء في ص ١٨ في قول مُرّة :

يا ابن الوليد بن المغيرة انني ابرأ اليك من الجحود الكافر

جعل «أبرأ» مهموزة مضمومة . ولا يستقيم الوزن . وحقها هنا التخفيف «أبرا» .

ومن الأخطاء المطبعية التي رأيناها :

ص	الخطأ	الصواب
٨	طوتل	طويل
١١	فخالف	فخالف
١٢	خطبها لنفسه فأجابنه	فأجابته
١٨	ابن قحون	ابن فحون
٢١	ثابت الابصاري	الأنصاري
٢٤	الخضرمي	الحضرمي
٣١	استنفذكم من النار	استنقذكم من النار
٣٥	الحضرموت	حضرموت .

فللأستاذ هوبرناخ الشكر على جهده وعنايته .

(دمشق) الدكتور صلاح الدين المنجد

نظام النقد الأساسي واحداث مصرف سورية المركزي

صدر بالمرسوم التشريعي ذي الرقم ٨٧ والتاريخ ٢٨ آذار ١٩٥٣
طبع في مطبعة الجمهورية السورية عام ١٩٥٣ في ١٥٢ صفحة من القطع الوسط

كان النظام النقدي القديم في سورية فاقداً عناصر أساسية تعتبر في كيان البلاد الاقتصادي حجر الزاوية وتشكل قبل صدور نظام النقد الجديد فراغاً لا بد من املائه وأهم هذه العناصر هي :

١ – الحاجة الى نظام نقدي مرن مستقل يقوم بأود متطلبات حاجات هذا العصر ، فالنظام النقدي القديم كان يعتمد على النقد الاعتباري ويتجاهل العملة الكتابية التي أضحت عنصراً هاماً للنقد لا يمكن الاستغناء عنه ٠

٢ – الحاجة الى مصرف مركزي يقوم على توحيد السياسة النقدية المصرفية ويوجه اقتصاديات البلاد ضمن مبادئ عامة موجهة تتوافق مع سياسة البلاد العليا الاقتصادية ٠

٣ – الحاجة الى جهاز منظم مكين لمراقبة المصارف في سبيل ضمان سلامة أعمالها ليعمل على تمركز احتياط هذه المصارف وانعتاقها من القواعد الآلية التي كانت تنظمها الى قواعد مرنة جديدة تتلاءم وأحدث النظريات الاقتصادية ٠

فالمرسوم التشريعي ذو الرقم ٨٧ المؤرخ في ٢٨/٣/٩٥٣ جاء ليملأ هذه الفراغات الأساسية في حياة البلاد الاقتصادية ، وقد تضمن أحداث سلطة عليا هي « مجلس النقد والتسليف » يقوم على ادارة شؤون النقد والمصارف واحداث مصرف سورية المركزي يعمل على اصدار النقد وادارة القطع ويكون عميلاً مالياً للدولة ٠

والجديد البارز في هذا النظام انه تضمن نظام النقد وكيان المصرف المركزي بوحدة منسجمة متناسقة وهو لا شك فتح جديد في دنيا اقتصادنا القومي ٠

ولقد أخذ هذا التشريع بأحدث النظريات فتبنى نظرية الدولة في احداث المصرف المركزي إذ جعله حكومياً برأسماله وادارته ، بعيداً عن المنافع الفردية الخاصة وبذلك حفظ له التجرد في توجيه سياسته نحو المجال الذي يتلاءم والصالح العام . وبقي في الوقت نفسه بعيداً عن تأثير الأهواء السياسية كما هو بعيد عن تدخل وزارة المالية المباشر .

أما أخذه بنظرية الدولة فيتجلى في تأليف ادارة مجلس النقد والتسليف من أكثرية حكومية وفي صراحة المادة ٦١ منه التي تنص على ان المصرف المركزي يعمل تحت رقابة الدولة وبضمانتها في حدود التوجيهات العامة التي تصدر اليه من مجلس الوزراء . كما تتضح سلطة الدولة في مراقبة مفوض الحكومة لعمليات المصرف عملاً بأحكام المادة ٩١ التي خولته ايقاف تنفيذ كل قرار يراه مخالفاً لتوجيهات مجلس النقد والتسليف أو لمصالح الدولة ، على ان الأخذ بهذه النظرية لا يعني أن المصرف المركزي أضحى خاضعاً للنزعات السياسية في البلاد بل بقي له عمله الذي يمارسه بما لا يخالف القوانين والأنظمة ويتجلى ذلك في الحصانة الممنوحة الى حاكم المصرف بموجب المادة ٧٩ سواء أكان ذلك في انهاء خدمته أو في ايقافه عن العمل .

والموسوم التشريعي جعل المصرف المركزي مؤسسة مستقلة غير تابعة لسلطة وزارة المالية (المادة ٦١) كما انه جعل تعيين الحاكم للمصرف بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء بناء على اقتراح مجلس النقد والتسليف ، وحتى مفوض الحكومة المناط اليه مراقبة عمليات المصرف باسم وزير المالية فانه يعين بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء وليس بتكليف من وزير المالية .

هذا ولقد خلق النظام الجديد مرونة في النقد تتمشى مع السرعة المرتقبة لتطور البلاد الاقتصادي فجاءت المادة ٢٣ من النظام ناصة على قبول وضع القروض والسلف الممنوحة الى مؤسسات التسليف الخاضعة لرقابة الدولة كقسم من التغطية

في حدود يرسمها مجلس النقد والتسليف وضمن شروط تقف دون مخاطر التضخم النقدي على النحو الوارد في الفقرات ا ، ب ، ج ، د من المادة الآنفة الذكر .

وتجلى المرونة أيضاً في عدم تحديد سلطات المصرف المركزي في عمليات منح القروض واعادة الخصم وأبقت أمر هذا التحديد الى مجلس النقد والتسليف حسب مقتضيات الحاجة الاقتصادية كما جاء في المادة ٣٤ من النظام .

ولنعد بعد هذا المطاف القصير الى تقسيمات هذا النظام الذي تضمن ستة أبواب :

١ – الباب الأول : بحث في تشكيل مجلس النقد والتسليف وادارته وصلاحياته .

٢ – الباب الثاني : بحث في اصدار النقد وتداوله وكيفية سحبه ، كما بحث في تغطية الأوراق النقدية والذهبية والنقود من الفئات الصغيرة . وفي تأليف الصندوق النقدي لمؤسسة مستقلة يديرها مجلس النقد والتسليف لحساب الدولة .

٣ – الباب الثالث : بحث في تأليف المصرف المركزي واغراضه والاعمال الموكولة اليه وكيفية ادارته ومراقبته وفي ارباحه وأمواله الاحتياطية .

٤ – الباب الرابع : بحث في مهنة المصارف والصرافة كنظام يلزم المصارف الأخرى اتباعها من حيث التسجيل المسبق والشطب ورأس مالها واحتياطها والأعمال التي يسمح لها بتعاطيها ، كما انه نظم الميزان السنوي والبيانات الدورية للمصارف وكيفية مراقبتها من قبل مفوض الحكومة لديها ، وتنظيم مهنة الصرافة والمصارف في هذا النظام أول تشريع سوري يعمل على حماية الوفر القومي وعلى تنظيم النقد الكتابي .

٥ – الباب الخامس : بحث في الأحكام التي يجب على الدولة الأخذ بها فوراً كخطوة أولى تساعدها في هذه المرحلة الانتقالية على تنفيذ بنود المرسوم الجديد .

٦ – الباب السادس : ويبحث في مصدر رأسمال المصرف المركزي كما ينص على الغاء جميع الأحكام القانونية والتنظيمية المخالفة للنظام الجديد .

وقد شفع هذا النظام بأسباب موجبة بصفة ملاحظات عامة تبرر اصلاح النظام النقدي السوري وتبحث في العلاقات بين السلطات النقدية والسلطات العامة .

وقد أتبعت هذه الأسباب الموجبة الاجمالية بأسباب موجبة مفصلة غايتها شرح مبررات كل مادة على حدة وأحياناً شرح مواد متداخلة تعبر عن مبدأ نقدي أو مصرفي .

الدكتور صادق الايوبي

« العالم العربي : مقالات وبحوث »

هذا كتاب بجزئين أخرجته للناس الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، وليس لهذه المقالات والبحوث المبثوثة في جزأي هذا الكتاب اتجاه واحد أو عنوان واحد ، وانما لكل كاتب موضوع خاص له علاقة باختصاصه أحياناً ، أو باهتمامه وعنايته أحياناً أخرى . ولكن هذه المواضيع تجمعها فكرة عامة واحدة : هي فكرة السعي لايجاد عالم عربي أفضل وأدنى الى الكمال ؛ من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والثقافية والأدبية والقانونية . وقد لخص الدكتور احمد أمين مدير الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية الفكرة في هذا الكتاب بقوله في المقدمة : «أن يقوم بعض مشاهير الكتاب في الأقطار العربية بكتابة مقالات مختلفة الاتجاهات ، بعضها في الأدب وبعضها في الاجتماع وبعضها في الاقتصاد وبعضها في القانون ... الخ تعالج فيه كل مقالة مشكلة من المشاكل العربية ، أو توضح غامضاً في مسألة من المسائل العربية ، ثم يذاع ملخص هذه المقالات في الراديو المصري فيسمعه العالم العربي ثم تجمع هذه المقالات كلها في كتاب خالد» .

ويلاحظ ان هذه البحوث والمقالات ليست من حيث الجودة والدقة والتركيز وحسن الأداء على مستوىً واحد : ففيها الجيد والأجود ، وفيها النافع والأقل

وقد شفع هذا النظام بأسباب موجبة بصفة ملاحظات عامة تبرر اصلاح النظام النقدي السوري وتبحث في العلاقات بين السلطات النقدية والسلطات العامة .

وقد أتبعت هذه الأسباب الموجبة الاجمالية بأسباب موجبة مفصلة غايتهـا شرح مبررات كل مادة على حدة وأحياناً شرح مواد متداخلة تعبر عن مبدأ نقدي أو مصرفي .

الدكتور صادق الايوبي

« العالم العربي : مقالات وبحوث »

هذا كتاب بجزئين أخرجته للناس الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، وليس لهـذه المقالات والبحوث المبثوثة في جزأي هذا الكتاب اتجاه واحد أو عنوان واحد ، وانما لكل كاتب موضوع خاص له علاقة باختصاصه أحياناً ، أو باهتمامه وعنايته أحياناً أخرى . ولكن هذه المواضيع تجمعها فكرة عامة واحدة : هي فكرة السعي لايجاد عالم عربي أفضل وأدنى الى الكمال ؛ من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والثقافية والأدبية والقانونية . وقد لخص الدكتور احمد أمين مدير الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية الفكرة في هذا الكتاب بقوله في المقدمة : «أن يقوم بعض مشاهير الكتاب في الأقطار العربية بكتابة مقالات مختلفة الاتجاهات ، بعضها في الأدب وبعضها في الاجتماع وبعضها في الاقتصاد وبعضها في القانون ... الخ تعالج فيـه كل مقالة مشكلة من المشاكل العربية ، أو توضح غامضاً في مسألة من المسائل العربية ، ثم يذاع ملخص هذه المقالات في الراديو المصري فيسمعه العالم العربي ثم تجمع هـذه المقالات كلها في كتاب خالد» .

ويلاحظ ان هذه البحوث والمقالات ليست من حيث الجودة والدقة والتركيز وحسن الأداء على مستوىً واحد : ففيها الجيد والأجود ، وفيها النافع والأقل

نفعاً ، فمن البحوث الجيدة النافعة في الجزء الأول : مستقبل العالم العربي في السياسة الدولية ، الاستعمار الأوربي للعالم الشرقي ، ماذا ينبغي أن يكون موقف العالم العربي ازاء الفلسفة العربية والفلسفة الغربية . ومنها في الجزء الثاني : القانون المدني العربي ، آراء في العدالة الاجتماعية ، الفكر العربي المعاصر .

وما ينكر أحد ان في جمع هذا الكتاب على هذا النحو مجهوداً يثنى عليه قامت به الادارة الثقافية بهمة مديرها الدكتور أحمد امين . ولكن الذي نحب في هذا المجال أن نلفت النظر اليه هو أن تقدم الادارة الثقافية في الاستكتاب والنشر الأهم على المهم . ولا شك في ان السعي لانماء روح الوحدة في نفوس الشعوب العربية حاكمين ومحكومين . ثم تنظيمها وتوجيهها الوجهة العملية المنتجة ، هو أهم ما ينبغي أن تتضافر عليه أقلام المفكرين ، بل هو أهم عمل ينبغي أن تقوم به جامعة الدول العربية . فعلى قدر دنو بحث من هذه الغاية العظمى يكون خليقاً بتقديمه ونشره واذاعته ، وما يخلو هذا الكتاب من مثل هذه الأبحاث . وحسن جداً أن تيسر الادارة للناس مثل هذه الكتب التي تحوي مثل هذه المباحث بثمنها وأسلوبها وسعة نشرها . عبد الغني الدقر

محاضرات في المصارف والأعمال المصرفية

للعليمين رزق الله انطاكي ونهاد السباعي

مما لا مرية فيه أن العلوم الاقتصادية والمالية ، هي علوم واسعة ، وذات فروع عدة ، ولا يزال الاخصائيون يتوسعون في بحث بعض فروعها الموجزة ، حتى غدت كأنها قائمة بذاتها ، ومن هذه الفروع الهامة : المصارف وأنواعها : ورغم أهمية هذا الفرع في كل العالم ، فانه لا يوجد في سورية كتب عنه تفي بالمقصود .
بيد أن العليمين السيدين رزق الله انطاكي ونهاد السباعي ، الأستاذين

نفعاً ، فمن البحوث الجيدة النافعة في الجزء الأول : مستقبل العالم العربي في السياسة الدولية ، الاستعمار الأوربي للعالم الشرقي ، ماذا ينبغي أن يكون موقف العالم العربي ازاء الفلسفة العربية والفلسفة الغربية . ومنها في الجزء الثاني : القانون المدني العربي ، آراء في العدالة الاجتماعية ، الفكر العربي المعاصر .

وما ينكر أحد ان في جمع هذا الكتاب على هذا النحو مجهوداً يثنى عليه قامت به الادارة الثقافية بهمة مديرها الدكتور أحمد امين . ولكن الذي نحب في هذا المجال أن نلفت النظر اليه هو أن تقدم الادارة الثقافية في الاستكتاب والنشر الأهم على المهم . ولا شك في ان السعي لانماء روح الوحدة في نفوس الشعوب العربية حاكمين ومحكومين . ثم تنظيمها وتوجيهها الوجهة العملية المنتجة ، هو أهم ما ينبغي أن تتضافر عليه أقلام المفكرين ، بل هو أهم عمل ينبغي أن تقوم به جامعة الدول العربية . فعلى قدر دنو بحث من هذه الغاية العظمى يكون خليقاً بتقديمه ونشره واذاعته ، وما يخلو هذا الكتاب من مثل هذه الأبحاث . وحسن جداً أن تيسر الادارة للناس مثل هذه الكتب التي تحوي مثل هذه المباحث بثمنها وأسلوبها وسعة نشرها . **عبد الغني الدقر**

محاضرات في المصارف والأعمال المصرفية

للعليمين رزق الله انطاكي ونهاد السباعي

مما لا مرية فيه أن العلوم الاقتصادية والمالية ، هي علوم واسعة ، وذات فروع عدة ، ولا يزال الاخصائيون يتوسعون في بحث بعض فروعها الموجزة ، حتى غدت كأنها قائمة بذاتها ، ومن هذه الفروع الهامة : المصارف وأنواعها . ورغم أهمية هذا الفرع في كل العالم ، فانه لا يوجد في سورية كتب عنه تفي بالمقصود . بيد أن العليمين السيدين رزق الله انطاكي ونهاد السباعي ، الأستاذين

في معهد الحقوق السوري قد قاما بالأمر ، وألقيا محاضرات في هـذا الموضوع ، ثم جمعا تلك المحاضرات سنة ١٣٧٠هـ — ١٩٥١م . في كتاب يقع في ٢٠٣ صفحات من القطع الكبير .

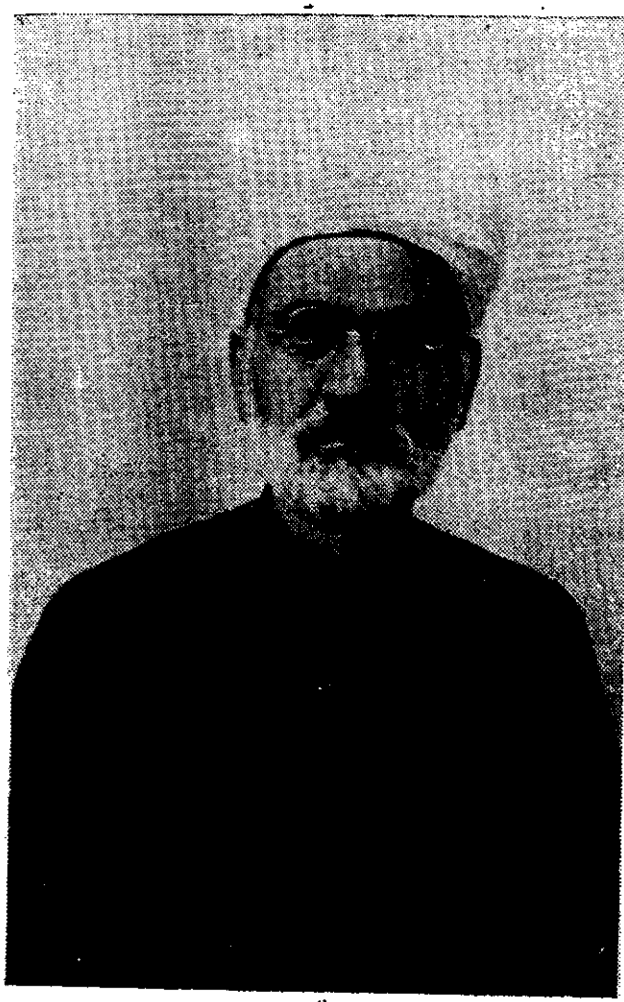
لقد مهد الأستاذان لبحثهما بضرورة وجود مصارف عدة في سورية ، لأنها بلد منتج للزراعة والصناعة ، ثم بحثا في ارتباط الأعمال المصرفية بالحقوق والاقتصاد والحربة ، وعن تنظيم مهنة الصيرفي ، والرقابة على المصارف ، وكيف أممت بعض المؤسسات الصرفية الهامة في فرنسا ، وإدارة المصارف وأعمالها ، وكل ذلك بصورة عامة ، ثم بحثا عن المصارف في سورية ومراقبتها ، وبتحديد الأعمال فيها ، وما جاء في قانون التجارة السوري عنها وعن تشكيلاتها وأعمالها .

وتطرقا الى بحث التطور التاريخي للمصارف والأعمال المصرفية العالمية ، والتنظيمات الداخلية للمصارف الحديثة ، وكيف قسمت أعمال المصارف في فرنسا ، وعادا الى البحث عن سوريا ، وما هي المصارف المرخص لها بالعمل وقد تبسطا في الأعمال المصرفية المنوعة اليوم ، تبسطاً وافياً ، وأدخلا مصرف سوريا ولبنان في البحث والاتفاقية التي جرت بينه وبين الحكومة السورية بتاريخ ٢٥ شباط ١٩٣٨ وما نصت عليه موادها ، ومقدار التغطية الذهبية ، والأعمال المكلف بهـا ، دون أن يتعرضا الى قلة الضمانة الذهبية ، والى شدة بعض مواد الاتفاقية على البلاد ، وعلى المتعاملين مع المصرف من أهل البلاد ، وانه كان من الواجب ان تكون رئاسة مجلس ادارة هذا المصرف ومديريته العامة في شخص واحد ، ويسمى حاكم المصرف ، وهذا الشخص ينبغي أن يعين من قبل الحكومة السورية أسوة ببنك فرنسا الذي أسسه المساهمون سنة (١٨٠٠) وثم أصبح في سنة (١٨٠٦) مصرفاً للاصدار ، وحينئذ اصدر الامبراطور نابليون مرسوماً جاء في المادة ١٢ منه ان الحاكم العام ومعاونيه يعينان من قبل الامبراطور .

الحق ان هذا الكتاب قيم وضروري وانا لنشكر الأستاذين العليمين على جهودهما الطيبة .

منير الشريف

آراء وأنباء



الشيخ أحمد رضا العاملي

الشيخ أحمد رضا العاملي

نسبه :

هو احمد بن ابراهيم بن حسين بن يوسف بن محمد رضا العاملي ، وكنيته أبو العلاء ولقبه بهاء الدين ، وهو عاملي المنبت والمنشأ عربي الموطن والعشيرة .

مولده ونشأته الدراسية :

ولد في النبطية (جبل عاملة) لثلاث بقين من شهر ربيع الاول سنة ١٢٨٩ من الهجرة النبوية (١٨٧٢/٦/٤ م) ، وكان أبوه من أعيان جبل عاملة معروفاً بالصدق والأمانة وأصالة الرأي بين قومه ويحب الفضيلة ، ووالدته من فضليات النساء الصالحات ، وجده الأعلى الحاج محمد رضا كان من أهل الصلاح والاحسان ، وآثار أعماله الصالحة كحفر الآبار وقفاً على الواردين لا تزال في النبطية الى وقت قريب معروفةً بوقف بيت رضا .

في السادسة من عمره أدخله أبوه كتاتيب النبطية فتعلم القرآن وتجويده وحسن الخط وقواعد الاملاء وأصول الحساب ثم انتقل الى المدرسة العلمية في قرية أنصار من أعمال النبطية فدرس فيها النحو والصرف ، ثم الى مدرسة السيد مصطفى العكاري الطرابلسي في النبطية فأخذ علم الحساب والجغرافية ، ولم ينقطع عن دراسة العلوم العربية على السيد محمد نور الدين في النبطية الفوقا ؛ وفي سنة ١٣٠٤ هـ قدم النبطية العلامة السيد محمد علي آل ابراهيم الحسيني لزم درسه ، وقرأ عليه شرح التلخيص المعروف بالمختصر للسعد التفتازاني في البيان ، وشرح التهذيب وايساغوجي في المنطق ورسائل ابن سينا في الطبيعيات ، وجلاء الارتياب في الالهيات ، وهي رسالة مقتبسة من أسفار ملاّ صدر الدين الشيرازي ،

وتخرّج أيضاً على يده في الأدب العربي ، وكان في أثناء ذلك مكباً على درس التاريخ الاسلامي العربي بالمطالعة ، وعلى كتب الأدب ودواوين المتنبي وأبي تمام والبحتري ، وقد أجهد نفسه حتى أصيب بقصر البصر ، وكان أستاذه السيد محمد ابراهيم يبعث في نفسه روح التجدد وترك التقليد في طلب العلم .

وفي سنة ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) قرأ في النبطية الفوقا على أستاذه السيد محمد نور الدين شرح الرسالة الشمسية في المنطق ، وشرح التلخيص المسمى بالمطول للسعد التفتازاني ، وتلقى عليه دروس الفقه في كتاب شرائع الاسلام للمحقق الحلّي ، وفي سنة ١٣٠٩ هـ قدم النبطية العلامة السيد حسن آل مكي الحسيني وأنشأ فيها المدرسة الحميدية فكانت أرقى المدارس لذلك العهد وأكثرها طلاباً وأفضلها أساتذة كالشيخ احمد مروّة الذي درس عليه الفقيد المترجم تتمة المطول والشمسية ومعالم الدين في أصول الفقه للمحقق القمي والرسائل للمرتضى الأنصاري في الأصول ، وفي الفقه شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الزين الجبعي ، وكتابي الطهارة والمكاسب في الفقه الاستدلاليّ .

وكان بعد أن يتلقى دروسه صباحاً مع رفقائه ينصرف الى القاء دروس المنطق والبيان ومبادئ أصول الفقه على من يرغب في الدراسة عليه من التلاميذ وكثير ما هم ، وألقى على بعضهم دروساً في العلوم الطبيعية وبعض الرياضيات ، وممن أخذ عنه الأستاذ الكاتب الشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان ، والشاعر الأديب الشيخ حسن الحوماني ، والقاضي الفاضل الشيخ أسد الله صفا .

وفي سنة ١٣١٢ هـ تزوج في النبطية بشريفة من آل بدر الدين ، ومن أنجالها الدكتور محمد علي رضا ، والدكتور محمد نزار رضا ، وولده الثالث محمد غالب رضا تخرج من كلية المقاصد في صيدا .

مؤلفاته :

في عهد الدراسة الأولى جمع كتاباً سماه « روضه اللطائف » ولا يزال مخطوطاً ، وله رسالة في تاريخ الخط والكتابة اسمها « رسالة الخط » (مطبوعة) ، ورسائل أخر نشر بعضها في المقتطف والعرفان ، وله « الدروس الفقهية » ، و « هداية المتعلمين » ، وهما مطبوعان ، و « شرح كفاية المتحفظ » لابن الاجدابي الطرابلسي ، ونظمه المسمى « بالعمدة » لمحمد بن احمد الطبري ، وهذا النظم من المخطوطات النادرة ، شرحهما بترتيب بديع سماه « الوافي بالكفاية والعمدة » ولا يزال مخطوطاً .

وانتدبه المجمع العلمي العربي بدمشق لتأليف معجم يجمع فيه متن اللغة باختصار مفيد ، وما وضعه مجمعا دمشق ومصر من الكلمات المنتخبة للمعاني المستحدثة ، وما دخل في الاستعمال وطرأ على اللغـة زمن العباسيين والأيوبيين ومن بعدهم ، ويشير الى كثير من الألفاظ العامية ويردّها الى أصلها من اللغة الفصحى ، كل ذلك بترتيب سهل المأخذ جداً لا يكلف الطالب عناءً ولا مشقة ، ويبين فيه المجاز من الحقيقة في الكلمات ، ويردّ كثيراً من الكلمات النادة في كتب الأئمة عن مؤداها في تضاعيف المواد الأخرى الى موادّها التي هي منهـا ، ويفسر بقدر المستطاع المكاييل والموازين التي كانت عند العرب في الجاهلية وصدر الاسلام بذكر نسبتها الى الموازين العشرية في هذا العصر ، فنهض المترجم لهذا العمل الجليل ولبث يعمل في ذلك اثنتي عشرة سنة فتم له ما أراد من ذلك بعد جهد ونصب ، وعمل على اختصار هذا المتن بمختصر يخف حمله ويسهل اجتناؤه وتكثر فائدته سماه (الموجز) ، ثم بدأ بكتاب سماه « التصحيح في ردّ العامي الى الفصيح » يردّه في مادته واشتقاقه ان لم يكن دخيلاً طارئاً على اللغة .

وأما مباحثه العلمية ومقالاته ومحاضراته فقد نشر أكثرها في المجلات العلمية كالمقتطف ومجلة الكلية ومجلة المجمع العلمي العربي والمقتبس والعرفان وغيرها .

خدمته للثقافة :

وعرف صاحب الترجمة بين قومه بحبه للعلم ونشر الثقافة منذ نعومة أظفاره وقد اختارته الجمعية التي تألفت بالنبطية عام (١٣٠٧ هـ) من كبار أعيان النبطية باسم (لجنة المعارف) عضواً عاملاً فيها وخازناً لأموالها ، وهو لم يتجاوز السابعة عشر من عمره ، وأنشأت هذه الجمعية مدرسة لم يطل عمرها بمقاومة الحكومة الحميدية لروحها العربية فانتزعت أوقافها ، وبعد اعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٦ هـ سعى صاحب الترجمة مع زميليه الشيخ سليمان ظاهر والسيد محمد جابر حتى أعيدت أملاك المدرسة ومشت في عملها الثقافي كسابق عهدها .

وفي سنة ١٣٠٩ هـ نهض الأستاذ الفقيد وعوناه الأستاذان ظاهر وجابر لانشاء ندوة علمية دعوها (المحفل العلمي العاملي) ، وكان هذا المحفل يجتمع في رأس كل شهر اجتماعاً ودباً يتلو فيه واحد من أعضائه محاضرة اقترحت عليه في الجلسة السابقة ، وتسجل هذه المحاضرة في سجل خاص سموه (طلائع النجاح) ، ودام هذا المحفل على نهجه هذا حتى انقطعت جلساته لما طرأ على البلاد من الاضطراب السياسي المحلي .

وبعد أن هدأت نار الحرب الكبرى تحركت همة بعض العلماء العاملين للبحث في مشروع (الكلية العاملية) فتألفت منهم سنة ١٣٤٧ هـ جمعية دعوها جمعية العلماء العاملين ، وتولى الفقيد أمر المحاسبة المالية فيها ، ونظم قانونها .

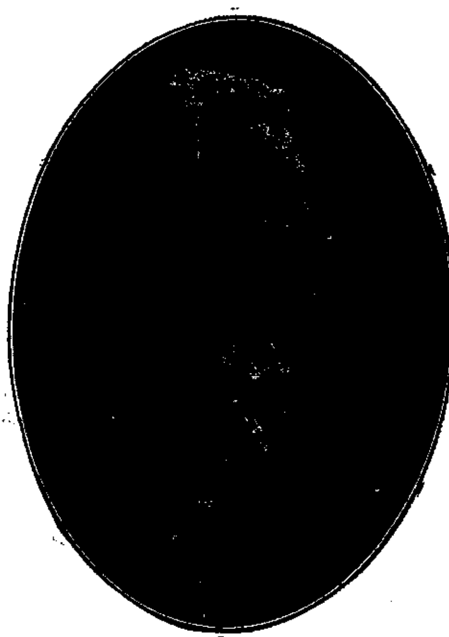
ولما أعلن الدستور العثماني في تموز ١٩٢٦ هـ رأى صاحب الترجمة وزملاؤه في النبطية أن الفرصة سانحة لتأليف الجمعية الخيرية العاملية لتلم الشعث وتحفظ الاخاء والألفة بين طوائف البلاد العاملية في ذلك الانقلاب السياسي ، وجعلوا لها ثلاثة فروع : ١ — فرع قضاء صيدا ومركزه النبطية . ٢ — فرع صور ومركزه صور . ٣ — فرع مرجعيون ومركزه الجديدة ، وانتدب المترجم وزميلاه الأستاذان

ظاهر وجابر فوضعوا نظام الجمعية التي كان يرجى منها الخير لو عاشت طويلاً .

وفي سنة (١٣٣٨ هـ = ١٩٢٠ م) قرر المجمع العلمي العربي بدمشق انتخاب فقيدنا العلامة عضواً مراسلاً فشكر لأعضاء المجمع حسن ظنهم به ، وفي سنة (١٣٤١ هـ = ١٩٢٣ م) اختير عضواً في لجنة انشاء (دار الكتب في المسجد الأقصى) ، ثم اشترك في المؤتمر الاسلامي العام الذي عقد في القدس في (٢٧ رجب سنة ١٣٥٠ هـ = ١٩٣١ م) وفي كثير من المؤتمرات السورية .

وكما كان الفقيد من رجال النهضة العلمية الاصلاحية في الحكومة التركية ، كان من رجال الوحدة القومية العربية ، ففي سنة (١٣٣٣ هـ = ١٩١٥ م) صدر الأمر من الديوان العرفي العسكري في عاليه (لبنان) بالقبض على صاحب الترجمة وزملائه ، فكانوا أول قافلة سيقت الى عاليه بالجريمة السياسية ، فلبثوا في السجن نحو شهرين حوكموا فيها مع الشهيد عبد الكريم الخليل ورضا بك الصلح في ثلاث عشرة جلسة ، وبعد أن نصبت المشانق لأحد عشر كوكباً من كواكب سورية العربية أطلق سراح الباقين ومنهم صاحب الترجمة بعنوان تأجيل التعقيبات .

وفي عهد الاحتلال الفرنسي كان الفقيد من أعداء الاستعمار ، ولاقى في تحرير بلاده الاعتقال والأهوال ، ولبث بعد الجلاء على ما عاش عليه في العهود السابقة عالماً عاملاً على احياء لغة العرب ونشر العلم والأدب حتى استأثر الله به في تموز سنة ١٩٥٣ .



الاُستاذ فرانز كرنكو

فقد المجمع العلمي العربي في حزيران الخالي من هذه السنة أحد كبار أعضائه المراسلين الأُستاذ المرحوم فرانز كرنكو . وكان من أعظم المستشرقين الذين عرفهم هذا القرن . وكان فقده خسارة كبرى للغة العربية .

ولد الأُستاذ كرنكو في قرية في شمالي ألمانية . ونزح بعدُ الى انجلترا وتجنس بالجنسية الانكليزية . وتزوج سيدة انكليزية . وكان له في ولستر مصنع كبير لصنع الأَقمشة ، فاضطره نزول الأَسعار بعد الحرب الأُولى الى ترك معمله . وتعلم العربية والفارسية والاردية وكان يتقن الألمانية والانكليزية والفرنسية واللاتينية واليونانية ، واتصل بدائرة المعارف العثمانية التي أنشأها سمو

النظام سلطان حيدر آباد فكافأته تحقيق عدد كبير من الكتب العربية وتصحيحها . واعتنق الاسلام وأسمى نفسه (محمد سالم الكرنكوي) .

من الكتب التي عني الأستاذ بتصحيحها : شعر ابي دهبل الجمحي ، قصيدتان لمزاحم العقيلي ، وطبقات النحاة للزبيدي ، وديوان عمرو بن كلثوم ، والمجتبى للعجلي ، وجمهرة اللغة لابن دريد ، وديوان طفيل الغنوي ، وتنقيح المناظر للشيرازي ، والتيجان لابن هشام ، والدرر الكامنة لابن حجر ، والجماهر للبيروني ، والمنتظم لابن الجوزي ، والمؤتلف والمختلف للآمدي ، ومعجم الشعراء للمرزباني ، ومعاني الشعر لابن قتيبة ، وأخبار النحويين للسيرافي ، وكتاب الأفعال لابن القطّاع ، وتفسير ثلاثين سورة لابن خالويه ، وكتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ، وكان يشتغل بتصحيح ذيل مرآة الزمان لليونيني .

وكان له عدد كبير من المقالات العلمية الجياد في المجلات . ومقالاته في مجلة مجمعنا من احسن ما كُتب فيها .

إن تصحيح هذه الكتب الكثيرة ، وكلها من النوادر والأمهات ، دليل على حب الأستاذ كرنكو اللغة العربية والتراث العربي . لا جرم انه خدم المسلمين والعرب بأعماله هذه خدمة كبرى . هـذا مع تواضع نادر ، وعلم واسع ، واخلاص صحيح . لقد كان مثالاً للمستشرق المخلص المؤمن العالم . رحمه الله رحمة واسعة .

الكحول Alcool

كلمة (الكحول) بمعنى السبيرتو

كيف تولدت في اللغة العربية

جاءني من الدكتور خالد الطباع كتاب هذا نصه :

ضمني مجلس ببعض الزملاء بعد طول فراق فرجعنا بذاكرتنا الى عهد الدراسة قبل خمس عشرة سنة . ومما ذكرناه خلاف لغوي كان يقع بين أساتذتنا في المعهد بشأن كلمة الكحول (Alcool) ـ لا خلاف بين الافرنج والعرب انها عربية الأصل ، لكن أطباءنا اختلفوا : فمنهم من يقول ان أصلها العربي (الغَوْل) بدليل الآية القرآنية « لا فيها غول » وأن الافرنج أخذوا كلمتهم من الغول فيجب أن ترد الكلمة (أي كلمة (الكؤول) اليها أي الى كلمة الغول . والآخرون من الأساتذة يقولون ان أصل كلمة الكحول عربية مأخوذة من مادة الكحل وقد لاحظنا أن الخلاف بشأنها ما زال قائمًا بينهم الى اليوم . فأرجو ابداء رأيكم في بيان حقيقة هذه الكلمة وكيفية نشوئها في لغتنا العربية .

الامضاء

فأجبته بما يلي :

كان عرب الجاهلية يعرفون (النفط) ويطلون به إبلهم الجربى كما يطلونها بالقطران .

والنفط بكسر النون سائل معدني عرفه الأقدمون ممزوجًا بالشوائب ولم يُنْعِمُوا تصفيته كما أنعمها أهل زماننا . وهو الذي سميناه بالكاز وبزيت الكاز وبالبترول . والبترول كلمة افرنجية مركبة من (بترو) بمعنى صخر و (أويل) بمعنى زيت فمعنى الكلمتين (زيت الصخر) أو (الزيت الحجري) لأنه ينفجر من بين الصخور والأحجار .

وعرّف ابو حنيفة (اللغوي) النِفط بقوله : (والنِفط ُحلابة جبل في قعر بئر توقد به النار) ٠

يريد أن يقول ان النِفط سائل يتحلب من مرتفعات الجبال وينسرب الى قرارات الأرض فيستنقع فيها حتى اذا امتلأ مكانه تفجر وخرج بنابيع بنفسه أو أخرجه الناس بالحفر كما يفعلون اليوم ٠

وكان الأقدمون يستعملون النِفط في إيقاد النار كما قال (أبوحنيفة) ويسمون الأرض التي يوجد فيها النِفط (نفّاطة) وكذا السِراج الذي يوقدون به النِفط للاستضاءة سموه نفّاطة أيضاً ٠ وليس هذا فقط بل انهم اتخذوا إناء من نحاس يوقدون به النِفط ويلقونه على العدوّ كما تُطلق المدافع اليوم ٠ ويسمون ذلك الوعاء أو المِرماة النحاسية (نفّاطة) أيضاً ٠

ويظهر أنهم كانوا يستعملون النفط علاجاً ، فقد قال صاحب القاموس : (والنفط محلِّل ُمذيب مفتّح للسدود والمغص قتّال للديدان الخ ...)

* * *

وكل هذا لا يهمنا وانما يهمنا أن نعرف كيف اهتدى العرب الى وضع كلمة (الكُحيل) التي حرّفت الى (الكحول) للدلالة على المادة الكيماوية التي نسمي بالافرنجية (سبيرتو) — أولئك العرب الذين كانوا يراقبون الأشياء التي تقع تحت حواسهم بيقظةٍ وانتباه ثمّ يميزون بين خصائصها ويضعون لكل شيء ذي صفة خاصة به اسماً يناسب تلك الخاصة ٠ ومهما كثرت الأشياء وتعدّدت الخواص فإنهم واجدون لها من لغتهم الخصبة الطيّعة كلمات للدلالة عليها ٠

وهكذا هم إزاء (النفط) مذ وجدوا بعضه سائل أبيض وهو أحسن أنواعه وبعضه سائل أسود بسبب امتزاجه بشوائب زفتية وقد تتراكم هذه الشوائب وتتكتل فتُخرج النِفط عن رقته وسيلانه فيصبح غليظاً خاثراً يسيل بصعوبةٍ أو لا يسيل قط فيسمونه حينئذ زفتاً أو قاراً أو قيراً ٠

وكما كان العرب يستعملون القَطِران في شفاء جرب إبلهم استعملوا هذا النِفط السائل أيضاً . فكان أحدهم يتناول قليلاً منه (أي من النفط) ثم يصبه بلباقة على نُقبة بعيره (يعني على بثرة الجَرَب التي ظهرت أوّل أوّل في جلده) كما يصبّ الكحال الكُحل في العين الرمداء . ولا يلزم أن يكون الكحل مسحوقاً جامداً بل يكون سائلاً[1] أيضاً فقد قال صاحب (المحكم) : «الكحل : كل ما وضع في العين يُشتفى به» .

فلما استعمل العرب (النِفط) علاجاً للنقَب أو لبثور النُقَب التي تبدو كالعيون في جلود إبلهم رأوا في النِفط كُحلاً نافعاً لجرب الإبل ككحل العيون فلم يرضوا ان يحافظوا على اسمه القديم وهو النِفط بل وضعوا له اسماً جديداً باعتباره شبيهاً بالكُحل فقالوا (كُحَيْل) وأدخلوا عليه لام التعريف حتى كادوا لا يستعملونه من دونها . فقالوا (الكُحَيْل) قال القاموس وشارحه : (والكُحيل كزُبير النِفط يُطلى به الإبل للجرب . وهو مبنيّ على التصغير لا يستعمل الا هكذا) اهـ .

وقال صاحب لسان العرب ما نصّه : (والكُحيل مبنيّ على التصغير هو الذي تُطلى به الإبل للجَرَب لا يستعمل الا مصغراً . قال الشاعر : (مثل الكُحيل أو عقيد الرُّبِ) اهـ .

إذن صار للنفط اسم جديد في اللغة العربية وهو (الكُحيل) وقد جاءته هذه التسمية من كونه أسود بشوائبه الزفتية ككحل الأثمد الذي اشتهر بسواده أو من كونه تُعالج به بثور الجرب فيكون كحلاً لها ككُحل العين السائل ونسميه القطرة .

---

(١) جاء في اللسان في مادة (البَرَم) انه بمعنى الكحل وانه قيل المفضل ما البَرَم قال : الكحل المذاب ، ولا نعلم ماذا أراد المفضل بالكحل المذاب ؟ أأراد به الكحل السائل الذي يوضع في العين للاستشفاء ؟ أو أراد به (الكحيل) مصغراً بمعنى النفط الذي يصب على بثور الجرب في الابل كما يأتي .

ثم على تمادي الأيام أصبح (الكُحيل) من أسماء النِفط وُتنوسي فيه سبب الوضع والتسمية . وقد تخطى هذا الاستعمال الصدر الأول حتى بلغ زمن العباسيين الذي اشتغل فيه علماء العرب بفنون الطب والفلك والكيمياء والتجارب فيها . وبلغوا منها مبلغ الاكتشاف : من ذلك اكتشافهم مادةً كيماوية سائلة بيضاء اللون تشتعل بسرعة ولما رأوها تشبه النِفط الأبيض السائل أطلقوا عليها اسماً من أسمائه المعروفة وهو (الكُحَيْل) وصاروا في كتبهم الكيماوية يستعملون كلمتين كلمة (النِفط) مريدين بها الزيت المعدني المعروف وكلمة (الكُحيل) مريدين بها مادتهم المكتشفة الجديدة .

ووصلت كتب العرب في الكيمياء الى علماء الافرنج فعرفوا لهم فضلهم في اكتشاف هذه المادة العجيبة النفع وقد سموها هم (سبيرتو) لكنهم مع هذا رأوا من وفاء الذمم أن يحافظوا على اسمها العلمي العربي الذي اصطلح عليه كيماويو العرب وهو (الكُحيل) لكنهم (أي كيماويو الافرنج) حرفوه الى ما يناسب رَطانتهم فقالوا (الكُحول) أو (الكُؤول) .

وخلاصة القول ان علماء الكيمياء العرب سموا روح (السبيرتو) باسم من أسماء النفط وهو (الكحيل) كما مرَّ عن القاموس . وذلك مذ رأوا الشبه تاماً بينهما (أي بين مادتهم المكتشفة وبين الكُحيل الذي هو النفط) من جهة الميوعة وبياض اللون الضارب الى زرقة أو صفرة وقابلية الاشتعال .

أما الذهاب الى ان « الكحول » في كتب الافرنج محرفة عن « الغَوْل » الواردة في قوله تعالى في صفة خمرة الآخرة « لا فيها غول » فهذا يستدعي أن يكون كيماويو العرب استعملوا في كتبهم الكيماوية كلمة « الغول » القرآنية

(المجمع) ذكر البارون كارّادافو في كتابه : مفكرو الاسلام ص٣٨٩ ، الجزء الثاني : ان الكحول مشتقة من اسم عربي هو الكحل .

ثم أخذها الافرنج عنهم وحرفوها الى (الكحول) مع أن أطباء العرب لم ينقل أنهم استعملوا كلمة « الغول » القرآنية لمادتهم المكتشفة .

ان الافرنج لا يوجد في لغاتهم حرف الحاء فضلاً عن أن يخترعوها ويدسوها في كلمة « الغول » التي حرفوها الى (الكحول) أولاً ثم الى (الكؤول) ثانياً ولا يخفى أن المراد بالغَوْل في القرآن الاغتيال مصدراً لا اسماً أي أن خمرة الجنة لا تغتال العقول .

المغربي

آراء وتعليقات

— ٣ —

(الدَّوْر بمعنى المحيط)

١٠ — وجاء في المجلة [1] « وجدالبائع المتجول ورقة آس أو قرطاس بدور الدرهم » لعل بدور محرفة عن « بدل » أو المراد أن شكل القرطاس على تدوّر الدرهم واستدارته فتكون « بدور » محرفة عن « بتدوّر » إذ فعله تدوّر واستدار لا دار » .

قلت : إن الاصطلاح اذا جرى في الكلام فليس واجباً فيه أن يوافق أصله موافقة كلية في الاشتقاق ، فالدور الوارد في الكتاب أريد به ما يسمى اليوم « محيط الدرهم » ودائرته قال المسعودي : « ... طول العُمران الذي ذكروا أنهم وقفوا عليه ومقداره من الأميال ثلاثة عشر الف ميل وخمسمائة ميل من الأميال التي عملوا عليها في مساحة « دور الأرض » فوجدوا دور منطقة كرة الأرض المحيطة بالبر والبحر عشرين الف ومائة [وستة] وستين ميلاً ، ثم ضربوا دور الأرض في سبعة ... [2] » ، وقال ابن تغري بردي ناقلاً في

(١) مج ٢٦ ص ٥٦٧ .
(٢) مروج الذهب (ج ١ ص ٥١ — ٢) طبعة عبد الرحمن محمد سنة ١٣٤٦ .

ثم أخذها الافرنج عنهم وحرفوها الى (الكحول) مع أن أطباء العرب لم ينقل أنهم استعملوا كلمة « الغول » القرآنية لمادتهم المكتشفة .

ان الافرنج لا يوجد في لغاتهم حرف الحاء فضلاً عن أن يخترعوها ويدسوها في كلمة « الغول » التي حرفوها الى (الكحول) أولاً ثم الى (الكؤول) ثانياً ولا يخفى أن المراد بالغَوْل في القرآن الاغتيال مصدراً لا اسماً أي أن خمرة الجنة لا تغتال العقول .

المغربي

آراء وتعليقات

— ٣ —

(الدَّوْر بمعنى المحيط)

١٠ — وجاء في المجلة [1] « وجد البائع المتجول ورقة آس أو قرطاس بدور الدرهم » لعل بدور محرفة عن « بدل » أو المراد أن شكل القرطاس على تدوّر الدرهم واستدارته فتكون « بدور » محرفة عن « بتدوّر » إذ فعله تدوَّر واستدار لا دار » .

قلت : إن الاصطلاح اذا جرى في الكلام فليس واجباً فيه أن يوافق أصله موافقة كلية في الاشتقاق ، فالدور الوارد في الكتاب أريد به ما يسمى اليوم « محيط الدرهم » ودائرته قال المسعودي : « ... طول العُمران الذي ذكروا أنهم وقفوا عليه ومقداره من الأميال ثلاثة عشر الف ميل وخمسمائة ميل من الأميال التي عملوا عليها في مساحة « دور الأرض » فوجدوا دور منطقة كرة الأرض المحيطة بالبر والبحر عشرين الف ومائة [وستة] وستين ميلاً ، ثم ضربوا دور الأرض في سبعة ... [2] » ، وقال ابن تغري بردي ناقلاً في

(١) مج ٢٦ ص ٥٦٧ .

(٢) مروج الذهب (ج ١ ص ٥١ — ٢) طبعة عبد الرحمن محمد سنة ١٣٤٦ .

حوادث سنة (٤٤٠) : « وفيها تمت عمارة سور شيراز ودوره اثنا عشر الف ذراع »[1] .

فالمراد بدور الدرهم في الخبر الاستدارة والمساحة معاً لا الاستدارة وحدها .

(التقويد)

١١ — وفيها (ص ٥٦٧) « والتقويد بهذا المعنى[2] لم يرد في اللغة وفعل التطبيق والتقويد يجريان مجرى أفعال كثيرة وردت من باب التفعيل لإفادة التعدية أو التكثير وقد شاعت على ألسنة الكتاب في هذه الأزمنة المتأخرة وأخذ بعضهم يلوم بعضاً في استعمالها كالتشريع والتنفيذ والتبرير والترزيق والتعضيد ونحوها ، وكتبت عنها[3] مقالاً نشرته في مجلة المجمع[4] سنة ٢٥[5] صفحة ٦١١ ملت فيه الى الجواز فليرجع اليه من أحب[6] » .

قلت : إن قوّده تقويداً أي جعله قائداً مثل « أمّره تأميراً » أي جعله أميراً و « ملّكه تمليكاً » أي جعله ملكاً ، وقد ذكر التقويد بهذا المعنى في هذه المجلة « ج ١٨ ص ٣٢٥ » ، وجاء في تاريخ ابن جرير الطبري في حوادث سنة (١٩٦) أنه فيها « استأمن الى محمد الأمين من طاهر جماعة كثيرة ، وشغب الجند على طاهر ففرّق محمد فيمن صار اليه من أصحاب طاهر مالاً عظيماً وقوّد رجالاً وغلّف لحاهم بالغالية فسموا بذلك قواد الغالية » . ثم قال : « وجمع

(١) النجوم الزاهرة (ج ٥ ص ٤٥) .
(٢) في قول صاحب النص « وقوّد على تلك العساكر » وفسره المصاحح الفاضل بإقام قواداً عليهم . وهو تفسير صحيح مليح .
(٣) اي فيها .
(٤) أي هذه المجلة .
(٥) أي من سني نشرها .
(٦) أراد الكاتب الكريم « من أحب الرجوع اليه فليفعل » والأقوال كالأفعال بالنية . ولعله أراد « فمن أحب الاستفادة فليرجع اليه » .

أهل الأرباض واعترض الناس على عينه فكان لا يرى أحداً وسياً حسن الرُواء الا خلع عليه وقوّده وكان لا يقوّد أحداً إلا غلّفت لحيته بالغالية وهم الذين يسمون قواد الغالية» [1] .

وجاء فيه في حوادث سنة (٢٥٧) قول ريحان بن صالح من أتباع صاحب الزنج «ووعدني أن يقوّدني على من آتيه به منهم وأن يُحسن إليّ » ، « فقدّام ووعدهم أن يقوّدهم ويرئسهم ويملكهم الأموال » [2] . وقال أبو الفرج الاصفهاني : قال عكرمة بن دينار : « كان لبطة بن الفرزدق شهد مع ابراهيم العلويّ وهو شيخ كبير فقوّدوه [3] » .

وجاء في أخبار موسى الهادي « وكان في القواد هرثمة بن أعين ولقبه المشؤوم وكان المنصور قد قوّده على خمسمائة ولم يكن له حركة بعد أن قوّد [4] » . وقال المسعودي « وصبت الأموال على ابن الجزري وقوّد وخلع عليه فلم يقبل شيئاً من ذلك وسأل أن يُعفى ويترك على ما هو عليه [5] » .

هذه شواهد التقويد التي عثرنا عليها الى اليوم وهي تثبت قدم زمانه كالتأمير والتمليك إلا أن اللغويين الذين طبعت كتبهم لم ينتبهوا له ، فهو إذن وارد في اللغة .

(التشريع وتاريخ استعماله)

أما « التشريع » فمعروف قديماً وقد ذكرناه في كتابنا « الصبح النذير للمصباح المنير [6] » وهو من بابة ما استعمله الفيومي ولم يذكره في بابه ، قال في « بدع »

---

(١) تاريخ الطبري (ج ١٠ ص ١٧٢ — م) من طبعة المطبعة الحسينية بمصر .
(٢) المرجع المذكور (ج ٧ ص ١٧٦) .
(٣) مقاتل الطالبيين (ص ٣٦٩) طبعة السيد احمد صقر .
(٤) عيون الانباء (ج ١ ص ١٥٤) .
(٥) مروج الذهب (ج ١ ص ٢٠٨) من الطبعة المقدمه الذكر .
(٦) لا يزال في زهاء (٦٠) صفحة متوسطة بين المخطوطات

من مصباحه «قل ما كنت بدعًا من الرسل . أي ما أنا أول من جاء بالوحي من عند الله وتشريع الشرائع» ، وقد أراد بالتشريع التكثير لا المبالغة وذلك جائز لأن «مَنْ» تدل على الواحد والجماعة فكأنه قال «ما أنا أول من جاؤوا بالوحي من عند الله وتشريع الشرائع» . وفي غير التكثير لا يصحّ استعماله ، والفرق بين التكثير والمبالغة أن التكثير منظور فيه كثرة المفعولات كالتفتيح والتذبيح فالواحد لا يفتح مرتين ولا يذبح مرتين ، والمبالغة منظور فيها الى كثرة الفعل حسب كتكسير العصا وتأميل الحاجة والتفتيش لشيء واحد وتحطيم القطعة الواحدة ، ولذلك يجب التمييز بينهما واستعمال كل بحسب المعنى ، فترزيق الله تعالى غير صحيح لأن الرزق عند عامة المسلمين مقدَّر مكتوب فلا تجوز نسبة المبالغة فيه الى الله تعالى فضلاً عن التكثير ، والتعضيد غير سائغ لأنه يلتبس بتفعيل المعضد أي القطع به ، عضده ، قطعه بالمعضد [1] .

(آوى اللازم)

١٢ — وجاء في (ص ٥٧٢) أن «آوَوا الى الكهف» بمد همزة آووا متعدّ وهو هنا لازم فالصواب «أووا» . قلت : آوَوا اللازم لغة ولكنها ليست هناك قال الفيومي «ومنهم من يستعمل الرباعي لازمًا أيضًا وردّه جماعة» .

(أبو شامة والقاضي الفاضل)

١٣ — وجاء في (ص ٦١٩) ما هذا نصه «والغالب انه كان شيء في قلب ابي شامة من القاضي الفاضل ، نشأ من المنافسة على المنصب في حكومة السلطان صلاح الدين عليه الرحمة ، وهذه المنافسة طبيعية ...» .

وهذا الغالب مغلوب لأن أبا شامة (رحمه الله) ولد بدمشق في أحد الربيعين

---

(١) ومضارعه مكسور العين فاذا نقل الى التفعيل استوى الأمر فحدث الالتباس .

سنة (٥٩٩) أي بعد وفاة صلاح الدين بعشر سنين وبعد وفاة القاضي الفاضل بثلاث سنين ، ولم يكن الرجل ممن تحكم في سيرته الطبائع العامة وانما كان كثير النقل كسائر المؤرخين قليل انصاب النفس في الجمع العسير .

(المثنوي والدوبيت)

١٤ - وجاء في (ص ٦٣٣) تعقيب على نظم «المثنوي والدوبيتي» فيه ان المثنوي غير الدوبيتي وأن الدوبيتي غير الرباعي ، قلت : جاء في «ثنى» من الصحاح للجوهري وهو عالم بالعروض ومؤلف فيه «وفي الحديث : من أشراط الساعة أن توضع الأخيار وترفع الأشرار وأن تقرأ المثناة على رؤوس الناس فلا تغير . قيل هي التي تسمى بالفارسية دوبيتي[1] وهو الغناء ...» . فالظاهر من هذا القول أن المثنوي في القرن الرابع للهجرة وما فوقه هو «الدوبيتي» . ثم ان الدوبيتي هو «الرُباعي» قال عماد الدين الاصفهاني في ترجمة «سديد الدولة أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم ابن الأنباري» فأثبت شيئاً من رباعياته الخالبة للخلب السالبة للب ، فمنها :

يا قلب إلامَ لا يفيد النصح دع مَزحَك كم هوىً جناه المزح؟

ما جارحة منك خلاها جرح ما تشعر بالخمار حتى تصحو[2]

وهذا هو الدوبيتي بل الدوبيت الأصلي وان افتنّ فيه العروضيون وفرّعوه كما جاء في سلك الدرر للمرادي وغيره ، وتعريف الجوهري للمثنوي يدل على أن الغناء به طارئ لا أصلي فلا يجوز التعلق به .

---

(١) تعرف اليوم بالعراق «بوذية» وهذا تطورها «دوبيتي ، دوبيت ، بوديت ، بوذيت ، بوذية» .

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر «نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٢٦ ورقة ٧» .

(وزّع فيهم وبينهم ووزّع عليهم)

١٥ — وجاء في هذه المجلة[١] «... ما كان منها مُمضىً مجزأً مقسماً الى أنصباء توزع على المقامرين» . قلت : «الصواب توزع في المقامرين» و «بين المقامرين» ومعنى الأصل «تؤخذ من المقامرين على سبيل التكليف» وليس هذا بمراد الكاتب الفاضل ، قال خفاف بن ايماء بن رحضة «كان أبي ليس شيء أحبّ اليه من اصلاح بين الناس ، موكلاً بذلك فلما مرت به قريش أرسلني بجزائر عشر هدية لها ، فأقبلت أسوقها وتبعني أبي فدفعتها الى قريش فقبلوها و «وزّعوها في القبائل» فمر أبي على عتبة بن ربيعة وهو سيد الناس يومئذ فقال : يا أبا الوليد ما هذا المسير ؟ قال : لا أدري والله غُلبت . قال : فأنت سيد العشيرة فما يمنعك أن ترجع بالناس وتحمل دم حليفك وتحمل العير التي أصابوا بنخلة «فتوزعها على قومك» فوالله ما يطلبون قبل محمد إلا هذا . والله يا أبا الوليد ما تقتلون بمحمد وأصحابه إلا أنفسكم[٢]» .

فها هي ذي العربية في منابتها : لما أراد الاعطاء والمنح قال «وزّعها فيهم» ولما أراد التكليف والتحميل قال : «وزّعها عليهم» وهو ممن أدرك الجاهلية وحسبك بكلامه شاهداً .

---

(١) مج ٢٧ ص ٣١ .

(٢) مغازي الواقدي في «شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد عبد الحميد مج ٣ ص ٣٣١» . وفي نهاية المبارك لابن الأثير «في الحديث انه حلق شعره في الحج ووزعه بين الناس أي فرقه وقسمه بينهم» . وفي كلام عبيد الله بن زياد بعد وفاة معاوية بن يزيد «فانظروا رجلاً ترضونه يقوم بأمركم ويجاهد عدوكم ، وينصف مظلومكم من ظالمكم ويوزع بينكم أموالكم» (المروج ج ٢ ص ١٠٥) ومن امثال «وزع عليه» ما في شرح نهج البلاغة (ج ١ ص ١٣) «قد وزدنا وقسطنا على الأملاك تقسيطاً نصرفه في حفر ...» .

(الماتح والمائح)

١٦ — وجاء في ص ٣٤ ما نصه : « ومن أمثال العرب : هو أعرف من الماتح بإست المائح » والصواب العكس « أعرف من المائح بإست الماتح » لأن الماتح هو الواقف على فم البئر والمائح الواقف فيها فهو الذي ينظر الى فوق ، فيرى ما يرى .

(مختصر جمهرة النسب وصاحبه)

١٧ — وورد في (ص ٥٠) في أثناء الكلام على « مختصر جمهرة النسب » للأستاذ حمد الجاسر « وبعد فهل من عالم بحاثة يهدي الى الحقّ ويرشد الى اليقين في اسم مؤلف هذا المختصر النفيس القيم ؟ الى العالمين ... جواد علي ومصطفى جواد يساق هذا الحديث » .

قلت : ان في هذا القول تفضلاً من رجل فاضل واكراماً من رجل كريم ، والظاهر ان نسخة « مختصر جمهرة النسب » هذه شامية المكان والناسخ ، ومؤرخو الشام الكرام أحق بالبحث عن مؤلفها منا ، وأولى بالجدوى فيه ، وقول المحقق الفاضل (ص ٤٧) « ويفهم من تصريح المختصر بأنه فرغ من الاختصار في بغداد من نسخة بالمستنصرية أنه بغدادي كما يفهم من صلته بالصاغاني وباعتناء اليونيني بنقل كتابه هذا أنه ذو مكانة علمية بارزة ... » . لا يستتبُّ بعضه فان في المستنصرية يومئذ خزانة كتب عظيمة ، وكان الأدباء والعلماء في مختلف الأقطار الاسلامية محتاجين الى الاقتباس من كتبها قراءةً ونسخاً ، هذا الى كون القرابة العلمية بين العلماء والقرابة الأدبية بين الأدباء كانتا أوثق من القرابة النسبية ، خصوصاً بين التلاميذ وشيوخهم ، فشرف الدين عبد المؤمن الدمياطي كان من أشهر من أذاع علم الصاغاني ونشر أخباره وهو دمياطي ،

وكانت رحل العلماء والأدباء بين الأقطار متصلة حتى لقد كان يندر أن يرى أحدهم اعراضاً عنه في قطر آخر أو يشعر بغربة لسوء معاملة أو جفاء في منازلة ومساكنة .

وفي الحق أن المحقق الفاضل قد ذكر جميع ما يعوز الباحث عن مؤلف الكتاب ، إلا أن المترجمين لرجال القرن السابع الهجري كغيرهم من المؤرخين قد يهملون ذكر غير كتاب من كتب المترجَم قلة عناية بها منهم ، أو لغلبة النقل على كتبهم فلا يبحثون ولا يتساءلون ولا يجهدون بأنفسهم ، لما في ذلك من النصَب ، فمن الذين أغفلوا شيئاً من كتبهم « عفيف الدين علي بن عدلان الموصلي » شارح ديوان المتنبي الشرح المعروف عند المعاصرين لنا بشرح أبي البقاء العكبري غلطاً منهم ، وقد أظهرنا مؤلفه ، بعد عشرات سنين من نسبته الى غير مؤلفه والاعتماد عليه من حيث هو شرح العكبري ، على الوهم ، وكان ابن عدلان موصلياً دخل العراق ثم انتقل الى الشام ثم استقر في مصر وتصدّر فيها لتدريس الأدب .

أما مؤلف « مختصر جمهرة النسب » فأنا أظنه من الموصل أيضاً ، وأسترجح أن يكون « كمال الدين أبا البركات المبارك بن أبي بكر احمد بن حمدان الموصلي المعروف بابن الشعار الموصلي » المتوفى سنة (٦٥٥) . قال ابن الفوطي :

« كمال الدين المبارك بن أبي بكر بن حمدان بن أحمد بن علوان الموصلي الأديب المؤرخ ، يعرف بابن الشعار : كان من الأدباء الذين عُنوا بجمع فِقَر العلماء وأشعار الفضلاء ، وله السعي المشكور فيما فعله ، فانه بقي مدة خمسين سنة يكتب الأسفار ، سفر وحضراً . ذيل كتاب معجم المرزباني وذكر كلّ من نظم شعراً بعد وفاته الى سنة ستمائة ، ثم صنف « عقود الجمان » ذكر فيه من قال من الشعر الى آخر أيامه ، وتوفي سنة خمس وخمسين وستمائة ، واستفدت

من تصانيفه [1] واسترحت الى تواليفه ، روى لنا عنه شيخنا بهاء الدين علي ابن عيسى الاربلي وغيره [2] » .

وقال علي بن الحسن الخزرجي مؤلف العقود اللؤلؤية في وفيات سنة (٦٥٤) :

« ومات الامام العالم الأديب المؤرخ كمال الدين أبو البركات المبارك بن أبي بكر بن حمدان بن احمد بن علوان الموصلي مؤلف كتاب « عقود الجمان في شعراء الزمان » . عاش احدى وستين سنة ، وروى عن جماعة كثيرة ، توفي بحلب في جمادى الآخرة من السنة المذكورة والله أعلم » [3] .

وقال ابو زكريا يحيى بن ابي بكر العامري الحرضي في وفيات سنة (٦٥٤) :

« وفيها الكمال أبو البركات المبارك بن حمدان الموصلي مؤلف عقود الجمان في شعراء الزمان [4] » .

وقد ذكر في تواريخ أخرى من غير زيادة في الافادة كالشذرات (ج ٥ ص ٢٦٦) وغيره ، وفي كلام ابن الفوطي ما يوضح السبب في تحوينا عليه وإيمائنا اليه ، أعد نظرك في قوله « بقي مدة خمسين سنة يكتب الأسفار ، سفراً وحضراً » وفي قوله « من الأدباء الذين عنوا بجمع فقر العلماء وأشعار الفضلاء » لا تجد معدىً عنه في نسبة « مختصر جمهرة النسب » اليه .

وقد اتصل الكمال ابن الشعار بكبار الأدباء وأعيان البلاد كشرف الدين

---

(١) خصوصاً « عقود الجمان في شعراء الزمان » وذيل معجم الشعراء الموسوم بتحفة الكبراء أو تحفة الوزراء كما في معجم الألقاب لابن الفوطي وتحفة الوزراء فقط كما في كشف الظنون .

(٢) تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب « ج ٥ ، الترجمة ٤٨٥ من الكاف » طبعة جامعة بنجاب .

(٣) السجد المسبوك في تاريخ دولة الاسلام والملوك (ورقة ١٨٩ من نسخة دار الكتب المصرية) .

(٤) غربال الزمان في وفيات الأعيان (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٩٣ ورقة ١٨٧) .

ابي البركات المبارك بن أحمد بن المبارك المعروف بابن المستوفي الاربلي ، قال ابن خلكان في ترجمة «المبارك بن المستوفي المذكور» : «وكان قد وصل الى إربل الشرف عبد الرحمن[1] بن أبي الحسن بن علي بن عيسى بن علي ابن يعرب البوازيجي الشاعر في سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وشرف الدين [ابن المستوفي] يومئذ وزير ، فسيّر له مثلوماً[2] على يد شخص كان في خدمته يقال له الكمال ابن الشعار الموصلي صاحب التاريخ ... فجاء الكمال الى ذلك الشاعر وقال له : الصاحب يسلم عليك ويقول لك «أنفق الساعة هذا حتى نجهز لك شيئاً يصلح لك . فتوهم ذلك الشاعر أن يكون الكمال [ابن الشعار] قد قرض القطعة من الدينار وأنّ شرف الدين ما سيّره إلا كاملاً ، وقصد استعلام الحال من جهة شرف الدين فكتب اليه :

يا أيها المولى الوزير ومَن به — في الجود حقاً تضرب الأمثالُ
أرسلتَ بدر التمّ عند كماله — حسناً فوافى العبدَ وهو هلالُ
ما غاله النقصان إلا أنه — بلغ الكمال كذلك الآجالُ

فأعجب شرف الدين بهذا المعنى وحسن الاتفاق وأجاز الشاعر وأحسن اليه» .

وبهذه القصة الأدبية علمنا أن الكمال ابن الشعار كان في سنه (٦٢٨) باربل في خدمة سميّه الوزير شرف الدين بن المستوفي ، وكان في كامل شبابه ، وان اغفال المترجمين له قسماً من الكتب التي ألفها والتي اختصرها يؤيدنا فيما

(١) رأيت بخطه نسخة من الصحاح للجوهري في خزانة المرجو له الغفران محمد عبدالوهاب القزويني المؤرخ الأديب الايراني المشهور يوم كان بباريس ، وكان على النسخة أشعار للناسخ مدح بها تاج الدين الصلايا العلوي زعيم اربل الشهيد .

(٢) يعني ديناراً مثلوماً اخذت منه قراضة للمعاملة بها . قال ابن خلكان هناك « والمثلوم عبارة عن دينار تقطع منه قطعة صغيرة وقد جرت عادتهم في العراق وتلك البلاد أن يفعلوا مثل ذلك لأنهم يتعاملون بالقطع الصغار ويسمونها القراضة ويتعاملون بالمثلوم وهو كثير الوجود بأيديهم في معاملتهم » .

ذهبنا اليه آنفاً من كون «مختصر جمهرة النسب» له ، والذي ذكره المحقق حمد الجاسر من كون المختصر للجمهرة قد اختصر «تذكرة ابن حمدون» ومن أنّ له شيخاً يُدعى العزّ ، فتأويلها أنّ لابن الشعار الموصلي «تذكرة» ذكرها مؤلف كشف الظنون قال : «تذكرة ابن الشعار [كمال الدين أبي البركات المبارك بن ابي بكر بن حمدان الموصلي المتوفى سنة ٦٥٤[1]] في اثني عشر مجلداً » .

ونحن مع علمنا أن الأدباء القدماء قد جرت عادتهم أن يكون للواحد منهم «تذكرة» يجمعها في أيام شبابه لتكون مادةً وأصلاً لأدبه وعوناً له عند المراجعة ، كتذكرة أبي حيان التوحيدي وتذكرة الصفدي وغيرهما [2] ، نرى أن تذكرة ابن الشعار المذكورة إنما هي مختصر تذكرة ابن حمدون ، وقد اختصرها أيضاً محمود بن يحيى بن محمود بن سالم بن رجب الشيباني وسمى المختصر «منتخب الفنون من تذكرة ابن حمدون[3] » . ومن مختصراتها «المنتخب والمختار في النوادر والأشعار» منه نسخة كتبت سنة (١١٢١) هـ[4] .

وأما «عز الدين» شيخه فيتبادر الى الذهن أنه «عز الدين علي بن محمد المعروف بابن الأثير» الأديب المؤرخ المحدث المشهور ذو التصانيف السائرة المتوفى سنة (٦٣٠) هـ ، وهو بلديُّه ووطنيُّه ، أعني أنه من الموصل أيضاً ، وإلا فهو مع بعض التسامح «عز الدين أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن عبد الله الأنصاري الحموي الشافعي الأديب ، قال ابن الفوطي «عز الدين أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن احمد بن عبد الله بن رواحة الأنصاري الحموي

---

(١) كشف الظنون (ج ١ ع ٣٨٣ طبعة وكالة المعارف في الجمهورية التركية) وما بين المضادات من الاضافات على أصل المؤلف ، وقد كتب التاريخ أيضا كتابة فحذفناه.

(٢) راجع كشف الظنون في « التذكرة » ففيه جملة صالحة من أسماء التذاكر .

(٣) كشف الظنون .

(٤) دار الكتب الوطنية بباريس (٢٣٢٥ عربيات) .

الأديب ، ذكره شمس الدين الخاصيّ في كتاب حدائق الأحداق ، ووصفه بالذكاء ومكارم الأخلاق وقال أنشدني لنفسه :

أتعلم ما بقلبي حين تجفو   وما أحد سواك به عليمُ
واني لست أحسد من تُصافي   لعلمي أنَّ ودَّك لايدومُ [1]»

وقال الخزرجي في كتابه المقدم ذكره (ورقة ١٧٥) في وفيات سنة (٦٤٦) :
« ومات أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله ابن رواحة بن عبيد بن محمد ابن الشهيد عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي الحموي الشافعي المسند الملقب عز الدين ، هكذا وجد نسبه وكان مولده بجزيرة صقلية سنة ستين وخمسمائة وقرأ الأدب على أبيه وسمع من السلفي وعبد الله بن برّي وطائفة كثيرة وروى عنه الدمياطي [شرف الدين عبد المؤمن] وغيره . توفي بين حماة وحلب في شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة .

وقال ابن تغري بردي نقلاً من كتاب « الاشارة » للذهبي في وفيات سنة (٦٤٦) :

« وأبو القاسم عبد الله بن الحسين بن عبد الله [بن الحسين بن عبد الله] بن رواحة الأنصاري في جمادى الآخرة ، وله ست وثمانون سنة » [2] . وقال ابن العماد الحنبلي في وفياتها « وفيها ابن رواحة عز الدين أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن عبد الله الأنصاري الحموي الشافعي ، ولد بصقلية وأبواه في الأسر سنة

---

(١) تلخيص معجم الألقاب (ج ٤ ص ١٤) من نسختنا و (الورقة ١٤ من النسخة المصورة على نسخة المكتبة الظاهرية ، وقد أصلحنا هذا الجزء المختل التجليد وعلقنا عليه بخمسمائة صفحة أو أكثر منها وقرر المجمع العراقي مباشرة طبعه في ١٩٥١/٨/١٥ كما جاء في كتابه ذي العدد (٧٢٦) .
(٢) النجوم الزاهرة (ج ٦ ص ٢٦١) .

ستين وخمسمائة وسمعه أبوه بالاسكندرية من السلفي الكثير [١] ومن جماعة ، توفي في ثامن جمادى الآخرة وله خمس وثمانون سنة [٢] » .

ومن ينعم النظر بين تواريخ ولادتيهما نجد الفرق (ثلاث وثلاثين) سنة ، فعز الدين ابن رواحة وُلد قبل ابن الشعار بذلكم المقدار من السنين وهو كافٍ في اجازة كونه استاذاً لابن الشعار وفي نفي التسامح الذي أشرت اليه ، على أننا لا نزال يعوزنا نصٌ مصرح بأن ابن الشعار اتصل بعز الدين ابن رواحة اتصال المتأدب المستفيد أو المجالس المستزيد ، ودونك ما عثرنا عليه من أسماء كتب ابن الشعار :

١ — عقود الجمان في شعراء الزمان : قدمنا ذكره ، وأشار اليه أكثر المترجمين لابن الشعار وقد أخبرني الأستاذ عباس العزاوي أنه رأى نسخة كاملة منه في احدى خزائن الكتب باستامبول ، وقد أكثر المؤرخون والأدباء النقل منه .

٢ — التذكرة وهي التي سماها مؤلف كشف الظنون « تذكرة ابن الشعار » وحسبناها مختصر التذكرة الحمدونية ، على ما أسلفنا الكلام فيه .

٣ — ذيل معجم الشعراء للمرزباني ، وقد قدمنا الاشارة اليه وذكرنا أنه سمي « تحفة الوزراء » و « تحفة الكبراء » قال حاجي خليفة : « معجم الشعراء : للشيخ أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني الكاتب المتوفي سنة (٣٨٤)

---

(١) في الشذرات (ج ٥ ص ٢٣٤) وهو موضع الترجمة « الكبير » ، والذي نعلمه من اصطلاح المحدثين في هذا العصر « الكثير » أي السماع الكثير . ولا يجوز أن يُراد به ميزه عن جمال الدين ابي القاسم عبد الرحمن بن مكي الطرابلسي المغربي ثم الاسكندراني المعروف بسبط السلفي المتوفى سنة (٦٥١) كما في السلوك (ج ١ ص ٣٨٩) والنجوم (ج ٧ ص ٣١) والشذرات (ج ٥ ص ٢٥٣) لأنه كان معاصراً له ولم يعرف بالسلفي بل عرف بسبطه . وقد كرر طابع الشذرات الغلط في ترجمة السبط فقال « وسمع من جده السلفي الكبير » .ولا اعرف الاسلفياً واحداً .

(٢) الشذرات (ج ٥ ص ٢٣٤) .

وذيله ابو البركات مبارك بن ابي بكر بن الشعار الموصلي المتوفى سنة (٦٥٤) أربع وخمسين وستمائة وسماه تحفة الوزراء المذيل على كتاب معجم الشعراء » فرغ منه في شعبان سنة (٦٣١) . وقد نقلنا قول ابن الفوطي « ذيّل كتاب معجم المرزباني وذكر كلٌ من نظم شعراً بعد وفاته الى سنة ستمائة » .

وكنا نظن أنّ « مختصر طبقات الشعراء » الذي لابن المعتز من مختصراته ، وهو مخطوط في خزانة الايسكوريال ، وتكلم عليه الأستاذ عباس اقبال [1] ، إلا أن تاريخ الابتداء بنسخه وهو سنة (٥٩٠) ينفي أن يكون له ، اللهم إلا اذا وجدنا نصاً على تقدم ولادته على سنة (٥٩٣) التي هي تاريخ ولادته المتفق عليه اليوم ، ويشجعنا على البحث عن ذلك قول ابن الفوطي ، إنه بقي مدة خمسين سنة يكتب الأسفار سفراً وحضراً » . فان طرحنا هذه الخمسين سنة من مقدار عمره الذي ذكر بعض المؤرخين أنه (٦١) سنة ، بقي (١١) سنة ، فهل يصح أن يكون قد ابتدأ بنسخ الأسفار وعمره احدى عشرة سنة ؟ هذا مما يدعو الى الشك والاستبعاد ، لأن نسخ غلام عمره (١١) سنة لا يكون أهلاً لأن يعتمد عليه من حيث حسن الخط والصحة والضبط ، فان يثبت تاريخ ولادته المذكور باتفاق جماعة من المؤرخين يتوجه الشك على كلام ابن الفوطي . فتظن فيه مبالغة دعاه اليها فرط الاستحسان والمدح ، وعسى أن يوفق أهل التحقيق الى الزيادة في الايضاح والبيان .

(بغداد) الدكتور مصطفى جواد

(١) مقدمة طبقات الشعراء لابن المعتز (بالفرنسية ص ٢٤) .

صحيفة همّام بن منبّه

أ - كتب إليّ اخوان كثيرون من أنحاء العالم، من الهند وألمانية وايطالية، كلهم يثنون على المجمع لنشر الصحيفة (صحيفة همام بن منبه) ذات الأهمية العظيمة وهي في الحقيقة: «صحيفة أبي هريرة لهمام».

ومما يجدر بالذكر أن أحد الفضلاء الذين كتبوا إليّ، لفت نظري الى سهو في إسناد الصحيفة:

ذكر في المخطوطة أن محمد بن اسحاق بن منده (الذي تولد في سنة ٣١٠) رواها عن محمد بن الحسين القطان (الذي توفي في سنة ٣٠٢) كما ذكر في (أنساب السمعاني، قطان) فمحال لقاؤهما. ولكن ابراهيم القطان أيضاً روى عن أبيه محمد بن الحسين (عين المصدر).

فالراجح أنه سقط سطر سهواً في الأصل المنقول عنه كما يلي:

«أخبرنا والدي الامام ابو عبد الله محمد بن اسحاق قال أخبرنا [أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن الحسين القطان قال أخبرنا والدي] ابو بكر محمد بن الحسين الخ».

ونرى أن السهو من عبد الوهاب ابن منده فان مخطوطة برلين أيضاً تروي كما في مخطوطة دمشق وهي أيضاً منقولة من النسخة التي درس فيها عبد الوهاب ابن منده. وسبب السهو تكرار الكلمات «أخبرنا والدي» وكلمة «اسحاق» والله أعلم.

ولكن من حسن حظ العلم أن هذا السهو لا يضرّنا فان الامام احمد بن حنبل (الذي روى هذه الصحيفة قبل ابن منده بقرون) تدرّسها على عبد الرزاق ابن همام بن نافع وحفظ لنا عين هذه الصحيفة بدون خرق. فلا يزيدنا ذلك الا ثقة في كتب الحديث.

٣ — في أكثر مصادرنا أن هماماً توفي رحمه الله في سنة احدى وثلاثين بعد المائة — كما أثبتنا — . ولكن هذه المصادر : (حاجي خليفة ، ابن حجر ، النووي وغيرهم) متأخرة . إن أقدم مصادرنا طبقات ابن سعد (ج ٥ ، ص ٣٩٦) يقول :

« مات وهب بن منبه بصنعاء سنة عشر ومائة في أول خلافة هشام بن عبد الملك . همام بن منبه من الأبناء ، وكان أكبر من أخيه وهب بن منبه . ولقي أبا هريرة وروى عنه رواية كثيرة . وتوفي قبل وهب . مات سنة إحدى أو اثنتين ومائة ، وكان يكنى أبا عقبة » .

الظاهر أن ما روى ابن حجر عن ابن سعد والخليفة وابن حبّان انه مات سنة احدى وثلاثين ، ليس إلا تصحيف « احدى أو اثنتين » والتصحيف قديم فيما يظهر ، ووقع على يد أحد النقلة سامحه الله . إن ابن سعد صريح أن همام ابن منبه مات قبل أخيه وهب وأن وهباً هذا توفي سنة عشر ومائة . فلا بد أن يكون همام مات قبل هذا . نعم لم نقف الى الآن على تاريخ ولادته . لعله ولد قبل السنة ٤٠ كما فكرنا . فاذا كان في أواخر القرن الأول ، حين لقيه تلميذه معمر — كما روى ابن حجر — : « قد كبر وسقط حاجباه على عينيه » فستحتمل ولادته مثلاً في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه ، فلن يسقط حاجباه في الستين من عمره (على فرض ولادته سنة ٤٠) .

(باريس) الدكتور محمد حميد الله

أعمدة اشارات السير

القصد منها هداية السالك ، فمن السهل والمناسب أن نشتق لها اسماً من الفعل هدى يهدي فنسمي الواحد منها هادياً . فان قيل ان الهادي من أسماء الله تعالى أو انه يلتبس مع من اسمه هادي مختصر عبد الهادي ، قلنا (هادية) والجمع هوادي . فنكون عوض أن نقول اشارة هادية أو علامة هادية قد حذفنا الموصوف وأبقينا الصفة وهذا كثير في العربية .

أما تسمية الطريق التي لا يسمح عرضها بمرور المركبات إلا باتجاه واحد ، فليس لنا ، ان أردنا استعمال كلمة واحدة لا التباس معها ، الا أن نستعمل صيغة التصغير فنقول ُطرَيْق . ولكن هذا التصغير لا يظهر بالكتابة الا بوضع الحركات على الحروف ، فالأحسن العدول عنه الى تصغير درب فنسميه (دريب) ولو أن الدرب في الأصل هو المضيق السالك في الجبل ، فقد استعمل من القديم مرادفاً لطريق . ورد في التاج أسماء لدروب في البلاد : كدرب الحطابين ، ودرب فراشة ، ودرب الزعفران ، ودرب الضفادع وغيرها ، ولا زال يستعمل درب كثيراً في المدن .

(الموصل) الدكتور داود الجلبي

(شكر على استدراك ، واستدراك على تقريظ)

أشكر للأستاذ المغربي استدراكه على تعليق كتاب الاشتقاق من أن المقصود بالثنية احدى الأسنان الأربع وهو ما سقط سهواً بنقل النسخة من المسودة ·

وأستدرك على الأستاذ الشيخ بهجة على ما جاء في تقريظه لكتاب (الأسرة في الشرع الاسلامي) ص ٤٧٧ قوله : ثم ترجم للأئمة أصحاب المذاهب الأربعة · وغيرهم كالمذهب الشيعي الاثني عشري · وهو مذهب الامام جعفر الصادق ابن الامام علي المعروف بزين العابدين ·

فالامام جعفر هو حفيد الامام زين العابدين وابن الامام محمد الباقر ابن الامام زين العابدين بن علي بن أبي طالب وهو الامام السادس من أئمة اهل البيت النبوي ثم الأئمة الستة من بعده موسى وعلي الرضا ومحمد الجواد وعلي الهادي والحسن العسكري والامام المنتظر وما كان هذا ليغرب عن علم الأستاذ حفظه الله ولم يسلم من السهو والنسيان الا من عصمه الله ·

سليمان ظاهر

(استدراك)

مرّ في ص ٦١١ تقريظ لكتاب (ذكريات مشاهير رجال المغرب) لمؤلفه (السيد عبد الله كشنون) كذا بالشين ذات الثلاث نقط وصوابه اسقاط الشين والابقاء على (كنّون) بكاف اللهجة المصرية وهي في حروف الهجاء اللاتيني (ga) واعتاد أهل المغرب الأقصى أن يضعوا ثلاث نقط فوق هذه الكاف لتمييزها عن أختها ومن هنا جاء الخطأ في كتابة (كنون) فكتبت (كشنون) ·

أعمال المجمع العلمي العربي

في السنوات العشر الأخيرة

١٩٤٤ — ١٩٥٣

عرض عام موجز عن الجهود الذي قام به المجمع العلمي العربي منذ عام ١٩٤٤ حتى هذا التاريخ ·

جلسات المجمع العلمي العربي :

عقد المجمع العلمي العربي خلال سنوات ١٩٤٤ — ١٩٥٣ ثلاثاً وأربعين جلسة بحث فيها بعض المباحث اللغوية والأدبية والتاريخية ، وقرر بعد المناقشة ما عرض عليه من أمور علمية وادارية ·

مجلة المجمع العلمي العربي :

صدر من هذه المجلة خلال سنوات ١٩٤٤ — ١٩٥٣ عشرة مجلدات من المجلد ١٩ — ٢٨ وبلغ مجموع صفحاتها (٦٧٠٩) صفحة عالج فيها أعضاء المجمع العلمي العاملون والمراسلون وغيرهم من كبار علماء العرب والمستشرقين مواضيع لغوية وتاريخية وأدبية وفلسفية، ونقدوا المطبوعات وعرّفوا بالمخطوطات العربية النادرة،[1] وقد أوتيت مجلة المجمع العلمي مكانة مرموقة في مختلف الأوساط الثقافية التي تعتبرها في طليعة المجلات التي تنشر العلوم الأثرية العربية والاسلامية ·

مطبوعات المجمع العلمي العربي :

نشر المجمع العلمي العربي خلال سنوات ١٩٤٤ — ١٩٥٣ المطبوعات الآتية :

١ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري ، بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي عام ١٩٤٤

(١) وصفت مضامين هذه المجلدات بالتفصيل في مقالة نشرها المعهد الفرنسي بدمشق في مجلته (المجلد ١٣ عام ١٩٤٩ — ١٩٥١ ، ص ١٦١ — ٢٢٠) ·

٢ – المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري وفيه أبحاث عن المعري وحياته وتآليفه وأفكاره عام ١٩٤٥

٣ – ديوان ابن عنين ، بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك عام ١٩٤٦

٤ – تاريخ حكماء الاسلام لظهيرالدين البيهقي ، بتحقيق الأستاذ محمد كردعلي عام ١٩٤٦

٥ – كتاب الأشربة لابن قتيبة ، بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي عام ١٩٤٧

٦ – فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ وملاحقه) ، وضعة الدكتور يوسف العش عام ١٩٤٧

٧ – الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) ، بتحقيق الأستاذ جعفر الحسني عام ١٩٤٨

٨ – الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول) ، بتحقيق الدكتور جميل صليبا عام ١٩٤٨

٩ – عثرات اللسان ، للأستاذ عبد القادر المغربي عام ١٩٤٩

١٠ – غوطة دمشق ، للأستاذ محمد كردعلي عام ١٩٤٩

١١ – ديوان علي بن الجهم ، بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك عام ١٩٤٩

١٢ – طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن رسول ، بتحقيق المستشرق السويدي ك . ر . سترستين عام ١٩٤٩

١٣ – ديوان الوأواء الدمشقي ، بتحقيق الدكتور سامي الدهان عام ١٩٥٠

١٤ – تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني ، بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني عام ١٩٥٠

١٥ – فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي ، بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد عام ١٩٥٠

١٦ – كنوز الأجداد ، للأستاذ محمد كرد علي عام ١٩٥١

١٧ – الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) ، بتحقيق الأستاذ جعفر الحسني عام ١٩٥١

١٨ — تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (المجلدة الأولى) ، بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد عام ١٩٥١

١٩ — ديوان ابن حيوس (في مجلدين) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك عام ١٩٥١

٢٠ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) ، بتحقيق الدكتور جميل صليبا عام ١٩٥١

٢١ — غوطة دمشق (طبعة ثانية منقحة ومزيدة) ، للأستاذ محمد كردعلي عام ١٩٥٢

٢٢ — كتاب البيزرة ، بتحقيق الأستاذ محمد كردعلي عام ١٩٥٣

المحاضرات :

ألقي في المجمع العلمي العربي منذ كانون الثاني عام ١٩٤٤ اثنتان وخمسون محاضرة عامة للرجال واثنتا عشرة محاضرة للنساء في مواضيع متعددة لغوية وأدبية وعلمية وطبية واجتماعية وحقوقية وتاريخية وفلسفية قام بها أعضاء المجمع العلمي وغيرهم من أهل العلم والأدب في سورية والبلدان العربية والأوربية . أما محاضرات النساء فقد كانت السيدات يقمن على كل شؤونها ولا دخل للرجال بشيء من ذلك . عدا المحاضرات التي دعي بعض أعضاء المجمع الى القائها في حلب واللاذقية .

الجوائز :

للمجمع العلمي العربي ثلاث جوائز سنوية يمنحها ثلاثة ممن جودوا من المؤلفين أو المترجمين السوريين تقديراً للعلم والأدب ورفعاً لشأنهما . وقد منح المجمع احدى الجوائز للأمير مصطفى الشهابي لإجادته في كتابه معجم الألفاظ الزراعية ، ومنح الدكتور أسعد طلس احدى الجوائز لإجادته في نشر كتاب ثمار المقاصد في ذكر المساجد ، ومنح المجمع أيضاً احدى الجوائز للدكتور صلاح الدين المنجد لإجادته في نشر كتاب رسل الملوك لابن الفراء .

دار الكتب الظاهرية ـ (المكتبة الوطنية) :

بلغ ما اشترته دار الكتب الظاهرية وما أهدي اليها من الكتب خلال سنوات ١٩٤٣ — ١٩٥٢ (٢٨٨٤) مجلداً من المخطوطات الدينية والأدبية والتاريخية والفلسفية والرياضية . أما الكتب المطبوعة التي دخلت الدار بطريق الشراء والاستهداء فقد بلغت (١١٨٤٥) مجلداً . كما أن المجلات التي اشتريت ودخلت الدار باسم المبادلة بمجلة المجمع العلمي العربي ومطبوعاته فقد بلغ عددها (٦٣٦٧) بين مجلد وجزء ، وبذا بلغ عدد الكتب المخطوطة بدار الكتب الظاهرية حتى الآن (٧٥٧٢) مجلداً مخطوطاً و (٣٠٩٧٧) مجلداً مطبوعاً وعدد المجلات (١٥٢٨٧) ويرجع الفضل في زيادة عدد الكتب في دار الكتب الظاهرية الى زيادة المخصصات لشراء الكتب والى ما يهدى اليها من أهل البر والفضل نخص بالذكر منهم بني الطنطاوي وبني المنير والسيد طاهر أبوحرب فقد أهدوا عدداً وفراً من المخطوطات والمطبوعات . وأهدت دار الكتب الظاهرية من كتبها المكررة الى دار الكتب الوطنية في اللاذقية (٥٨٣) مجلداً مطبوعاً والى مكتبة كفر تخاريم (٢٧٤) مجلداً مطبوعاً والى مكتبة السويداء (٨٥) مجلداً مطبوعاً .

وبلغ عدد الكتب الذي قدم للقراء منذ بدء عام ١٩٤٣ حتى هذا التاريخ (١٩٥٣٨٨) كتاباً ، وقد أجريت اصلاحات عديدة في غرف المطالعة ومستودعات الكتب كما أصلح كثير من أثاث الغرف الخاصة بالمطالعة وصنعت عدة خزائن لوضع الكتب فيها .

المهرجانات :

وبمناسبة مرور الف عام على مولد الشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري أقام المجمع العلمي العربي مهرجاناً عظيماً في ٢٥ ايلول سنة ١٩٤٤ دعا عدداً من

أعضائه المراسلين في جميع الأقطار ، كما دعا من قبل الى مهرجان ابي الطيب المتنبي . واستمر مهرجان المعري أسبوعاً تبارى فيه كبار الأدباء والباحثين والشعراء من عرب ومستشرقين في دراسة المعري وكانت أيام المهرجان موزعة بين دمشق وحمص وحماة والمعرة وحلب واللاذقية وبلودان .

كما اشترك المجمع في مهرجان ابن سينا الذي دعت اليه حكومة العراق وأقيم في بغداد فألقى فيه الدكتور جميل صليبا كلمةً باسم المجمع . ودعي المجمع الى مهرجان أقيم لمرور مئتي سنة على تأسيس جامعة برنستون في أميركا ، فأناب عنه الدكتور فيليب حتي عضو المجمع العلمي المراسل وأحد أساتذة جامعة برنستون ، ودعي الى مهرجان آخر بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس جامعة لافال في كندا .

خزانة كتب المجمع العلمي العربي :

بلغ عدد الكتب التي دخلت خزانة المجمع العلمي بالمبادلة والشراء خلال سنوات ١٩٤٤ — ١٩٥٣ ، (١٠١٧) كتاباً عربياً و (٣١٩) كتاباً افرنجياً و (١١٥) كتاباً مصوراً . وهكذا فان مجموع الكتب التي تضمها خزانة المجمع العلمي اليوم (٢٩٩١) مجلداً عربياً مطبوعاً و (٢٢٩٩) كتاباً افرنجياً بلغات مختلفة و (١٧٤) كتاباً مصوراً بالفوتوغرافات عن أصولها الخطية القديمة .

أعمال الاصلاح والترميم في المجمع العلمي :

يقيم المجمع العلمي العربي في المدرسة العادلية الكبرى وهي من أجلّ مدارس دمشق وأفخمها وأحفلها بالعلم والعلماء ، وهو حريص على حياطتها وترميمها واصلاح ما تشعث منها وازالة الأذى عن معالمها لذلك فقد قام بترميم القبة العادلية والقاعة التي يتخذها اليوم لمحاضراته كما بلط صحن المدرسة الفسيح وأعاد بركة الماء في وسطها على الشكل الذي كانت عليه قديماً .

جهود المجمع العلمي :

وان رئيس المجمع العلمي ونائبه يُدعوان سنوياً الى شهود مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية الذي يظل منعقداً زهاء شهرين في القاهرة بصفتهما أعضاء في المجمع المذكور ، كما أن المجلس الثقافي البريطاني في دمشق دعا في آذار سنه ١٩٤٨ الأستاذ خليل مردم بك أمين السر العام للمجمع العلمي العربي لزيارة بريطانيا للاتصال بجامعاتها ومجامعها ومكتباتها ، وقد أنتجت هذه الزيارة توطيد العلاقات الثقافية ومبادلة المطبوعات بين المعاهد البريطانية المذكورة والمجمع العلمي كما تمكنا من الحصول بنتيجة ذلك على طائفة مهمة من الأفلام المصورة لأهم المخطوطات العربية الموجودة في المعاهد البريطانية . والمجمع العلمي يقوم بوضع مصطلحات علمية وفنية باللغة العربية لبعض المصطلحات الافرنسية التي تستعمل في الدوائر الرسمية مثل دائرة المصالح العقارية التي أرسلت الينا قائمة مهمة بعدد من المصطلحات الافرنسية وضع المجمع لها ألفاظاً باللغة العربية ، ووزارة الدفاع الوطني التي طلبت الى المجمع العلمي في أمرها الاداري الصادر عن رئاسة الأركان العامة لتسمية عضوين من أعضاء المجمع العلمي لمشاركتها في وضع معجم الكلية العسكرية . ووزارة العدل ، كما أن المجمع العلمي اشترك بتنقيح لغة الدستور السوري قبل نشره وقانون الأحداث الذي وضعته وزارة العدل .

وقد قام المجمع العلمي بتغذية المكتبات والمؤسسات المعترف بها في مختلف البلدان السورية مثل مكتبات حلب واللاذقية وحمص وحماة ودير الزور والمعرة وكفر تخاريم والسويداء ودركوش فبلغ عدد الكتب التي اشتراها المجمع من أمواله الخاصة (٣٤٥) كتاباً منذ عام ١٩٤٣ عدا عن مجلته ومطبوعاته المهداة اليها والى مكتبات المدارس الثانوية وكليات الجامعة السورية ودور المعلمين والنوادي الثقافية العامة ، وابداء الرأي فيما تحتاج اليه هذه المؤسسات وغيرها

من استفتاء لغوي وأدبي وعلمي . كما انتدب المجمع العلمي أحد موظفيه للاشراف على تنظيم سجلات وفهارس دار الكتب الوطنية في حمص .

هذا وقد أشرف المجمع العلمي على انشاء مكتبة (دار الحكمة العلائية) في المعرة وذلك بمناسبة مهرجان المعري الذي كان المجمع العلمي أقامه عام ١٩٤٤ وقد تبرعت الحكومة المصرية بمبلغ الفي جنيه مصري اشترى بها المجمع كتباً بلغ عددها (٢٢٦٤) كتاباً قيماً عن آثار المعري وتآليفه وأمهات الكتب العربية والاسلامية وعمل المجمع لهذه الكتب الخزائن اللازمة لحفظها .

ولما كان للمجمع العلمي في كل البلاد العربية والأوربية أعضاء مراسلون يناهزون السبعين عضواً عدا عن أعضائه العشرين العاملين في دمشق ، فقد أصبح المجمع صلة الوصل بين سورية وهذه الأقطار من الناحية الثقافية ، واحتل مكانة رفيعة في هذا المضمار حتى صار مرجعاً للمستشرقين والأدباء يواصلونه بمقالاتهم وكتبهم ويعتبرونه المصدر الأول للعلوم العربية والاسلامية . كما أن المجمع العلمي استطاع أن يحصل بمبادلة مطبوعاته ومجلتهمع المعاهد العلمية الأوربية والأميركية على عدد من وافر من المخطوطات المصورة على الفيلم .

مشروعات المستقبل :

يحرص المجمع العلمي بحسب غايته التي أنشئ من أجلها على إحياء التراث العلمي العربي . وقد عمل على نشر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر نشراً علمياً جيداً على غير حذف أو اختصار وهو يقع في ثمانين مجلدة كل مجلدة في الف صفحة ، وذلك بعد أن استحصل المجمع على نسخ مصورة على الورق أو الفيلم لمخطوطات هذا التاريخ الموجود في أعظم المكتباب العامة في العالم ، وقد صدرت المجلدة الاولى منه بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد وبدأنا بطبع المجلدة الثانية من التاريخ الآن ، والمجمع عامل على استتمام بقية أجزائه في السنين القادمة .

صفحة

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثامن والعشرين

التعريف والنقد

آراء وأنباء

فهارس

المجلد الثامن والعشرين من مجلة المجمع العلمي العربي

أ — الكُتّاب

يشتمل هذا الفهرس على أسماء كتاب مجلة المجمع في هذا المجلد سواء أكانوا من أصحاب المقالات أو ناقدي الكتب وواصفيها ، مع بيان ما كتبه كل منهم . ويدل الحرف ن على أن المكتوب نقد لكتاب أو تعريف به .

(آ)

(ب)

(ت)

(ج)

٢ - المقالات

في هذا الفهرس المقالات التي نشرت في هذا المجلد وما يدخل في باب المقالات من الآراء والأنباء •

(آ)

(ب)

(ت)

(ث)

(خ)

(س)

(ص)

(ف)

(ك)

(م)

٣ — المطبوعات

يتناول هـذا الفهرس المطبوعات العربية والأفرنجية التي نقدت أو وصفت في هذا المجلد :

آ — المخطوطات المحققة

(أ)

(ت)

ب — الفهارس

ج — المؤلفات الحديثة العربية